

القوة التركية الناعمة مقومات الصعود في العلاقات الدولية

Türkiye'nin yumuşak gücü, Uluslararası İlişkiler tırmanış ve temeller



يَحْيَى السَّيِّدِ عُمَرَ



دار الآصول العاصمة
ILMI USÜLLER YAYINEVİ

القوة التزكية الناعمة

مقومات الصعود في العلاقات الدولية

يحيى السيد عمر

1440 هـ - 2019 م

القُوَّةُ التَّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ
مَقَوِّمَاتُ الصُّعُودِ فِي الْعِلَاقَاتِ الدُّوَلِيَّةِ

ISBN : 978-605-7896-04-9

تأليف: يَحْيَى السَّيِّدِ عُمَرَ

الطبعة الأولى: 2019

الطبعة الثانية: 2021

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

قياس الكتاب: 17×24



دار الوصول العلمية
İLMİ USÛLLER YAYINEVİ

Fb: daralusool - Tw: daralusool

www.dar-alusool.com - info@dar-alusool.com

Balabanağa Mah. Büyük Reşitpaşa Cad. 16B/150 Fatih-İSTANBUL

هاتف : 83 77 816 0090537 - جوال : 04 61 61 0090212

Basım / Cilt: Step Ajans Matbaa Ltd \$

Goztepe Mah. Bosna Cod. No : 11 Baclar / İSTANBUL

Tel: (212) 446 88 46 / Sertifika No 12266

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف وبإذن خطي مسبق.

للتواصل مع المؤلف: www.yahyaomar.com yahya@yahyaomar.com

@yahyaomarYO /yahya-sayed-omar-5733a2141



{ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا }

[سورة طه: 114]

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَكْمَلَهُ..

وَلِكِ الثَّنَاءُ أَجْمَلَهُ.. وَلِكِ الْقَوْلُ أَبْلَغَهُ..

وَلِكِ الْعِلْمُ أَحْكَمَهُ.. وَلِكِ السُّلْطَانُ أَقْوَمَهُ.. وَلِكِ الْجَلَالُ أَعْظَمَهُ..

الْحَمْدُ لِلَّهِ بِمَا اخْتَصَّ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ سَمْعٍ وَبَصَرٍ وَأَفْئِدَةٍ، وَبِمَا هَيَّأَ لَهُمْ مِنْ

صُفُوفِ الْعِلْمِ، وَبِمَا أَعَانَهُمْ بِهِ عَلَى تَوْثِيقِ خِطَابِهِمْ عَلَى وَجْهِ يَرْضَاهُ..

حَمْدًا كَثِيرًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَمَقَامِهِ، وَثَنَاءً وَهُوَ أَهْلُ لِعَظِيمِ الثَّنَاءِ..

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ..

وَفِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ..

أُهْدِي هَذَا الْكِتَابَ

إلى والِدَيَّ - رَحِمَهُ اللهُ - وإلى والِدَتِي..
صَاحِبِي الْفَضْلِ، وَأَبْلَغِ الْأَثَرِ فِي سَابِقِ مَحَطَّاتِ حَيَاتِي وَقَادِمِهَا..

إلى زَوْجَتِي..
رَفِيقَةِ الدَّرْبِ، أَمَانَةِ اللهِ عِنْدِي وَوَصِيَّةِ رَسُولِهِ.

وَأَبْنَائِي..
حَصَادِ الْعُمُرِ، وَفِرَّةِ الْعَيْنِ..
فِي حَفْظِ اللهِ وَكَلَاءَتِهِ.

شُكْرٌ وَعِرْفَانٌ

وَمَا وَفَّقَ سَعْيِي وَاجْتِهَادُ وَبَحْتُ إِلَّا بِفَضْلِ اللَّهِ وَمِنَّتِهِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ
أَوْلَاً وَآخِرًا، أَنْ أَيْدِنَا بِنِعْمِهِ..

وَصَادِقُ الشُّكْرِ، وَعَظِيمُ الِامْتِنَانِ، لِمَنْ أَسَدَى لِي الْمَشُورَةَ وَأَعَانَنِي
لِإِتْمَامِ هَذِهِ الدَّرَاسَةِ..

وَلِأَسَاتِدَتِي الْكِرَامِ، وَلِمَنْ أَشَارَ إِلَيَّ بِنُصْحٍ أَوْ فِكْرَةٍ..
إِقْرَارًا بِفَضْلِهِمْ وَدَوْرِهِمْ..
فَجَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا، وَأَعْلَى مَقَامَهُمْ..

مقدمة

تستأثر الدولة التُّركيَّة باهتمام كبير، عَرَبِيًّا وإِقْلِيمِيًّا ودَوْلِيًّا، على كافَّة الأصعدة، السِّيَاسِيَّة والاِقْتِصَادِيَّة والاستِراتِيجِيَّة، لا سِيَّما على صعيد النجاحات الاِقْتِصَادِيَّة والتَّنْمُوِيَّة الَّتِي قَفَزَتْ بِالْبِلَادِ قَفْزَاتٍ واسِعَةٍ نحو التَّقَدُّمِ إلى مصافِّ الدول الأكثر تقدُّماً، خلال السنوات الـ15 الماضِيَّة، ما جعل الاِقْتِصَادِ التُّرْكِيَّ يَحْتَلُّ المِرتَبَةَ الأولى في قائمة دول مجموعة العشرين (1) G20؛ من حيث سرعة النُّمُو، وَفَقاً لتقديرات الربع الأخير من العام 2017م، (2) بالإضافة إلى النجاحات الاستِراتِيجِيَّة الَّتِي حَقَّقَتْهَا تركيا الإِقْلِيمِيَّة لتصبح أحد أبرز الفاعلين المُهمِّين واللاعِبِينَ المحوريِّين بمنطقة الشرق الأوسط؛ الأمر الَّذِي جعلها في بؤرة استقطابات التحالفات الإِقْلِيمِيَّة الرَّاهِنَة، وصولاً إلى جُنُوح تركيا إلى مدِّ نفوذها الخَارِجِيِّ من خلال استِراتِيجِيَّة القواعد العسْكَرِيَّة الثابتة في نقاط تَمَاسٍ مِحْوَرِيَّةٍ من خريطة الشرق الأوسط. (3)

ولعل ما شَهِدَتْهُ تركيا خلال شهر يوليو 2016م من محاولة انقِلابِيَّة فاشلة يُؤكِّد بشكلٍ لافتٍ على مَدَى أهِمِّيَّة الدولة التُّركِيَّة، اسْتِراتِيجِيًّا، وتفردُ خبرتها على الصعيد الإِقْلِيمِيِّ والدَوْلِيِّ،

1. مجموعة العشرين هو منتدى تأسَّس سنة 1999م بسبب الأزمات الماليَّة في التسعينيَّات. يُمثِّل هذا المنتدى ثُلثيَّ التِّجَارَةِ في العالم، وأيضاً يُمثِّلُ أكثر من 90% من الناتج العالميِّ الخام. أُشِيتِ المجموعة في اجتماع لوزراء ماليَّة مجموعة العشرين بهدف تعزيز الاستقرار الماليِّ الدَوْلِيِّ، وإيجاد فُرَصٍ للحوار ما بين البلدان الصَّنَاعِيَّة والبلدان الناشئة، والتي لم تتمكَّن اجتماعات وزراء الماليَّة مع مجموعة السبعة من حلِّها. للمزيد يُنظَر: "مجموعة العشرين"، الدبْلوماْسِيَّة الفرنسيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/cmCHih
2. الاِقْتِصَادِ التُّرْكِيَّ يحقِّق أعلى نموٍّ بين دول مجموعة العشرين 2017، وكالة أنباء الأناضول، 29 مارس 2017م، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rSb9ud
3. انظر الفصل الخامس من كتاب: محمد صادق إسماعيل، التجربة التُّركِيَّة من أتاتورك إلى أردوغان، القاهرة، دار العربي للنشر، 2013م

حتى فيما يتعلّق بإفشال الانقلابات العسكريّة التي ربما كانت بعض القوى الإقليميّة والدوليّة تطمّح إلى جعلها نموذجاً جديداً للالتفاف على إرادة الشعوب، لتمرير مخطّطات تهدف إلى إعادة تقسيم الشرق الأوسط على أسس جديدة بين عددٍ من الفاعلين الدوليّين والإقليميّين، القدّامى منهم والجُدّد، وفقاً لمصالح وأهداف واستحقاقات جديدة في سياق إعادة الفكّ والتركيّب والصُّعود والهبوط على صعيد النّظام الدوليّ والعلاقات الدوليّة بصبغتها الرّاهنة. وتستند استراتيجيّة الصُّعود التُّركي في العلاقات الدوليّة على جملةٍ من المُتكرّرات والمُتطّقات، تُمثّل في مجملها مكوّنات القوة التُّركيّة، بمفهومها الاستراتيجيّ الشامل، وإذا كانت مباحث القوة من المُتكرّبات الرئيسيّة في دراسة العلاقات الدوليّة، فإنّ هذه الدراسة تتعمّق في التّوظيف الاستراتيجيّ التُّركي لمفردات القوة النّاعمة، والتي ستلقي الضوء على مفهومها، تعريفاً وتأطيراً، وتطبيقاً وتأثيراً، ذلك التّوظيف الذي اكتسب خصوصيّته من هويّة البلاد الحضاريّة الإسلاميّة، بمنطلقات تبدو قوميّة براجماتيّة، تُوازن بين مُحَدّدات الهويّة القوميّة والمصلحة الوطنيّة من جهة، ومقتضيات البيئتين، الإقليميّة والدوليّة، وبنيّة النّظام الدوليّ والعلاقات الدوليّة الرّاهنة من جهة أخرى. ولفترةٍ طويلة، كان اللجوء إلى استخدام القوة في العلاقات الدوليّة عمليّة مشروعّة، وعملاً نابعاً من التقدير السياديّ للدول المعبّنة، لكنّ مع التّطوّر في الزمن الذي وضع جرائم الحرب محلّ تعريضٍ وتنديدٍ، ظهرت مبادراتٌ عديدةٌ للحدّ من سُلطة القوة المدمّرة لدى الدول، وذلك في سبيل حفظ السّلم والنّظام الدوليّين. وعليه، فإنّ الحقّ في استعمال القوة صار مُقنّناً ومُقيداً بضوابط رُسميّة وأُمميّة (1).

مفهوم القوة إذن، يبقى أحد المفاهيم المُهمّة والمؤثّرة في العلاقات الدوليّة؛ كونه أحد وسائل التفسير الأساسيّة التي يمكن الاعتمادُ عليه في فهم التفاعلات الدوليّة، والمواقف التي تتخذها الدول الفاعلة على السّاحة العالميّة.

1. عبد الحكيم سليمان وادي، بحث قانونيّ بعنوان "الاستثناءات الواردة على مبدأ عدم اللّجوء لاستخدام القوة في القانون الدوليّ"، موقع "الحوار المُتمدّن"، 10 يونيو 2013، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/a5jQks>.

القوة التركيبية الناعمة

وتظهر أهمية مفهوم القوة كذلك في فهم الصراعات الدولية، وكيفية تجاوب الأطراف فيها بناءً على قوتها المادية والمعنوية.

وقد تطور مفهوم القوة، وتعددت اتجاهاته على مر التاريخ، فيما بين القوة العسكرية، والقوة الاقتصادية، وأيضاً قوة الإقناع والتأثير في الآخرين. (1)

وفي عصرنا الحالي، أظهرت التكنولوجيا الحديثة تأثيرها الكبير وانعكاسها المهم على مفهوم القوة بشقيها؛ سواءً منها الصلبة أو الناعمة، فهناك المفهوم التقليدي السائد للقوة الذي يركز على خاصية الصلابة؛ بما يشمل من القوة العسكرية، والقوة الاقتصادية أساساً، معتمداً في ذلك على مقدرات الدولة المادية، وقدرتها على توظيفها لإجبار خصومها على اتباع ما تريده، والانصياع لما تقرره، وبالتالي تستطيع الدولة من خلال القوة الصلبة أن تحقق أهدافها ومصالحها.

وفي المقابل، تبنى آخرون مفهوم القوة الناعمة كرد فعل تجاه جسامه التبعات المترتبة على القوة الصلبة، وصعوبة استمرار الدول في استخدامها لفترات طويلة؛ حيث الفواعل الدولية المختلفة التي صارت في الآونة الأخيرة، تستند على القوة الناعمة بوصفها المقوم الأهم من مقومات القوة.

ولقد لعب مفهوم القوة الناعمة، منذ تقديم جوزيف ناي (2) Joseph Samuel Nye له، دوراً مهماً في السياسة الخارجية الأمريكية، لكن المفهوم المذكور توسع بعد ذلك بشكل كبير، واعتمدت عليه كثير من الدول بشكل أكبر، وأصبحت القوة الناعمة ركناً أساسياً من أركان القوة لدى كثير من الدول التي تسعى لخلق مكان لها على الساحة الدولية؛ مثل الصين، الهند، تركيا وغيرها من الدول.

1. يمني سليمان، "القوة الذكية- المفهوم والأبعاد: دراسة تأصيلية" 12 يناير 2016م، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، تاريخ الزيارة، 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/3mpeU>

2. جوزيف صموئيل ناي (ولد في 19 يناير 1937م) أمريكي وأستاذ العلوم السياسية وعميد سابق لمدرسة جون كينيدي الحكومية في جامعة هارفارد. أسس بالاشتراك مع روبرت كوهين، مركز الدراسات الليبرالية الجديدة في العلاقات الدولية. وتولى عدة مناصب رسمية، منها مساعد وزير الدفاع للشؤون الأمنية الدولية في حكومة بيل كلينتون ورئيس مجلس الاستخبارات الوطني. اشتهر بابتكاره مصطلحي القوة الناعمة والقوة الذكية، وشكّل مؤلفاته مصدراً رئيساً لتطوير السياسة الخارجية الأمريكية في عهد باراك أوباما. (About. Joseph Nye. available at: goo.gl/zhQUtp)

مع الأخذ في الاعتبار استمرار القُوَّة الصَّلْبَة كعنصر أساسي للقُوَّة. بل إنَّ امتلاك القُوَّة النَّاعِمَة يلي القُوَّة الصَّلْبَة العَسْكَرِيَّة والاقتِصادِيَّة من حيث الأهمِّيَّة؛ حيث إنَّ القُوَّة النَّاعِمَة تعتمد على جاذِبِيَّة الدولة، وبالتالي لا يمكن لدولة ضعيفة أو مُتَهالكَة اقتِصادِيًّا أن يكون لها جاذِبِيَّة وتأثير على غيرها من الدول. (1)

وبناءً عليه، أصبحت القُوَّة النَّاعِمَة وسيلةً مُهمَّة لإدارة الأزمات سَلْمِيًّا، دون الوقوع في أتونِ نزاعاتٍ مَسَلَّحَة، وذلك بالاعتماد على وسائل القُوَّة النَّاعِمَة وإمكانيَّاتها، بالإضافة إلى حُسْنِ إدراك التحوُّلات في طبيعة الهيمنة السِّياسِيَّة للدول الكبرى؛ إذ تحوَّلت مُؤخَّرًا من الاستعمار المباشر أو حتى التَّدخُّل العَسْكَرِيَّ المحدود، إلى هيمنةٍ ناعمة، سواءً الثَّقافيَّة منها أو الاقتِصادِيَّة.. إلخ، دون الحاجة إلى تكبُّد الخسائر الكبيرة التي يُسبِّبها التَّدخُّل العَسْكَرِيَّ؛ حيث تمَّ استخدام الدَّمج بين القُوَّتَيْن الصَّلْبَة والنَّاعِمَة للوصول لأهداف أكثر منفعة وأقل تكلفة في الأرواح والمال. وفي خِصَمِّ التفاعلات الدَّوليَّة، نتج مفهومٌ ثالثٌ للقُوَّة، وهو مفهوم القُوَّة الذَّكِيَّة؛ الذي يُعتَبَر من المفاهيم الحديثة نسبيًّا في العلاقات الدَّوليَّة، ويمثِّل محوراً مُهمًّا من محاور القُوَّة المعاصرة؛ حيث إنَّ هذه الأخيرة تُعتَبَر المقياس الجديد لأيِّ قُوَّة صاعدة عَقِب امتلاكها للقُوَّة الصَّلْبَة. (2)

ومن هنا نخلُصُ إلى أنَّ نجاح واستمرار أيِّ قُوَّة حَضاريَّة في الهيمنة غير مرتبطٍ كليًّا بقُوَّتها الصَّلْبَة، بل بقُوَّتها الثَّقافيَّة بتصوُّر أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci التي يقصد بها أساليب نشر وتعميم هذه الثقافة، أي بمَعزِلٍ عن المضمون الفِكرِيِّ والقيميِّ والدِّينيِّ (3).

1. Joseph S. Nye, "Soft Power", Foreign Policy, No. 80, Twentieth Anniversary (Autumn, 1990) , pp. 153- 171, Published by: Washington post Newsweek Interactive, LLC. Article DOI: 10.2307/1148580, Article Stable URL: Link

2. يمنى سليمان، "القُوَّة الذَّكِيَّة - المفهوم والأبعاد: دراسة تأصيلِيَّة" 12 يناير 2016م، المعهد المصري للدراسات السِّياسِيَّة والاستراتيجِيَّة، تاريخ الزيارة، 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/3mpeU>

3. خالد جليبي، "غرامشي والهيمنة الثَّقافيَّة"، صحيفة الاتِّحاد الإماراتِيَّة، 24 ديسمبر 2003م، تاريخ الزيارة: 2 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/p72Um3

الإشكالية البحثية:

امتد استخدام تركيا الحديثة للقوة الصلبة في سياساتها الداخلية والخارجية لأكثر من تسعين عاماً، وقد نشأ عن استخدام القوة الصلبة وحدها أزمات سياسية واقتصادية شديدة، مسّت تركيا حكومةً وشعباً. فلم تعرف تركيا استقراراً سياسياً ولا نمواً اقتصادياً حينها، وشهدت انحساراً في أدوارها الدبلوماسية وضعفاً في التأثير على محيطها الخارجي. ولم تشهد نهضة حقيقية إلا مع تفعيل القوة الناعمة جنباً إلى جنب مع القوة الصلبة المعتدلة، وذلك بعد تولي حزب العدالة والتنمية مقاليد السلطة في تركيا بعد عام 2002م.

وفي هذا الإطار، تبدو الدولة التركيبية منذ وصول حزب العدالة والتنمية (I) إلى الحكم، في مستهل الألفية الثالثة؛ حالة بحثية مثيرة للاهتمام على المستوى الأكاديمي التنظيري في المجتمع البحثي، كمادة ثرية للنقاش والجدل العلمي حول مفهوم القوة

1. العدالة والتنمية حزب سياسي تركي، تأسس في 14 أغسطس 2002م من قبل مجموعة من الأعضاء السابقين لحزب الفضيلة الذي تعرّض للخلّ. بلغ عدد الأعضاء المؤسسين للحزب 63 بقيادة الرئيس أردوغان ورفيقه عبدالله جول. وهو حزب إسلامي ذي اتجاه معتدل مؤسس على التسامح والحوار، وقائم على احترام الحريات الدينية والفكرية، ورفض كل أشكال التمييز، في غير تعارض مع العلمانية والمبادئ التي قامت عليها الجمهورية التركية الحديثة. كما يؤيد الحزب انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي. وهو الحزب الحاكم حالياً في البلاد. تولّى رئاسته أحمد داود أوغلو بعد الرئيس أردوغان، ثم بن علي يلدرم منذ 22 مايو 2016م. ويرأس الحزب حالياً الرئيس أردوغان. وصل الحزب إلى الحكم في تركيا عام 2002م. تمكن حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا منذ تأسيسه أن يحمق 12 فوزاً سياسياً، وأن يحظى بثقة شعبية. ويعرف الحزب نفسه بأنه حزب سياسي ديمقراطي محافظ يراعي القوانين التركية. ويشكّل حزب العدالة والتنمية الجناح الإسلامي المعتدل في تركيا، ويحرص على ألا يستخدم الشعارات الدينية في خطاباته السياسية، ويؤكد أنه لا يحيد التعبير عن نفسه بأنه حزب إسلامي، فهو حزب يحترم الحريات الدينية والفكرية ومنفتح على العالم ويبني سياساته على التسامح والحوار، ويؤكد عدم معارضته للعلمانية والمبادئ التي قامت عليها الجمهورية التركية، كما يؤيد انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي. كما يؤكد أنه سيواصل تطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادي الذي يجري تطبيقه في تركيا تحت إشراف صندوق النقد الدولي مع نقده لبعض جوانبه. دخل الحزب الانتخابات البرلمانية عام 2002، وحصد 363 مقعداً من أصل 550. وشكّل حكومات منفردة متعاقبة منذ تأسيسه وحتى عام 2016م. وفاز في الانتخابات المحلية البلدية بأكثر من 40 في المئة عام 2004، وحصل على غالبية المقاعد بنسبة 43 في المئة عام 2014. واحتفظ برئاسة كبرى البلديات، بينها إسطنبول وأنقرة. برزت لحزب العدالة والتنمية إنجازات كبرى، من بينها تحقيق طفرة اقتصادية وسياسية واجتماعية في تركيا، وإحباط محاولة الانقلاب العسكري في الخامس عشر من تموز/ يوليو عام 2016م. وأهم إنجازاته: تحويل النظام في البلاد من برلماني إلى رئاسي عام 2017م. فاز مرشح الحزب الرئيس رجب طيب أردوغان برئاسة الجمهورية بنحو 52 في المئة في أول انتخابات مباشرة في تاريخ تركيا عام 2014م، وبنحو هذه النتيجة فاز الرئيس أردوغان وحزبه في الانتخابات الرئاسية والتشريعية المبكرة في يونيو 2018م. للمزيد يُنظر الرابط التالي: <http://cutt.us/N4WYK>

Concept Power ومُقتَرَبَات التَّنْمِيَةِ Development Approaches الرئيسة التي سادت في المنظومة الدُولِيَّة منذ انتهاء الحرب العَالَمِيَّة الثانية، منتصف القرن الفائت، في ظلِّ سَجالات عَرَبِيَّة كبيرة متصاعدة، لا سِيَّما بعد موجة ثورات الربيع المُحَسَّرَة، حول ما دَرَج بعض الباحثين على تسميته بـ«النموذج التُّرْكِي Turkey's Paradigm»، ومدى صلاحية تطبيق ذلك النموذج للتطبيق والاستلھام في البلدان العَرَبِيَّة.

وبالنظر إلى ظاهرة الصُّعود التُّرْكِي في العلاقات الدُولِيَّة، فإنَّ ثمة اتجاهين نَظَرِيَّين لتفسير ظَاهِرَتِي التَّنْمِيَةِ والتَّخَلُّف في المجتمعات الإنْسَانِيَّة الحديثة⁽¹⁾، يتنافران منهجياً وأدواتياً لأعتبارات الحاضنة الأيديولوجية لكل منهما، يندرجان تحت عنوانين جامعين؛ هما: التَّحْدِيث Modernization والتَّبَعِيَّة Dependency، وقد يكون الاتجاه الثاني رِدَّة فعل بالأساس على مقولات الاتجاه الأول، والتي نَبَتَتْ في سياق التفسيرات الليبرالية العَرَبِيَّة للتَّنْمِيَةِ المُجْتَمَعِيَّة، وربطها بسياقات قِيمِيَّة لافتة، تعتمد على خطاب ومقولات المَرَكْزِيَّة الأوروأمرِيكِيَّة السائدة خلال المائة عام الماضية.

تستند نَظَرِيَّات التَّحْدِيث إلى التصنيفات الثَّنَائِيَّة الكبرى، والتي ظهرت في القرن الماضي، والتي قَسَمَتْ المجتمعات وعناصرها البيئية والاجتماعية إلى مجتمعات حديثة Modern، وأخرى تقليدية Traditional، انتظمت تحتها مؤشرات ديموغرافية واقتصادية وتكولوجية وسياسية وقيمية وثقافية عدة⁽²⁾، تمَّ اعتمادها كأساس لهذا التصنيف على الدول والمجتمعات الإنْسَانِيَّة، وقد نشأ وتطوَّر الاتجاه التَّحْدِيثِي للتَّنْمِيَةِ

1. for more details; Bill Hopwood, Mary Mellor and Geoff O'Brien, Sustainable Development: Mapping Different Approaches, Sustainable Cities Research Institute, University of Northumbria, Newcastle on Tyne, UK, 2005, pp. 38- 52.

2. لمزيد من التفصيل انظر: محمود الدواوي، "حركة التغيير الاجتماعي في فكر ابن خلدون وعلماء الاجتماع العَرَبِيَّين الأوائل"، ورقة بحثية مُقدَّمة لمؤتمر: عبدالرحمن بن خلدون قراءة معرفية منهجية، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، 5-6 أغسطس 2000م.

في خمسينيات وستينيات القرن العشرين على يد عددٍ من علماء الاجتماع والاقتصاد الأمريكيين؛ أبرزهم تالكوت بارسونز (1) Talcott Parsons.

وتتلخص مقولات نظريات التحديث في إعطاء أهمية كبيرة للجوانب السوسيوولوجية والسيكولوجية والاقتصادية في التنمية، مع التأكيد على أنظمة القيم والدوافع الفردية، وتراكم رأس المال كشرط لازمة للتغيير الاجتماعي والتحول من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث، وفقاً لمؤشرات التصنيع والتحضر والحريات الفردية، واقتصاد السوق، وتشجيع القطاع الخاص وبناء المجتمع المدني، ومن ثم فإن انتشار خصائص التحديث، والتي تمتاز بها المجتمعات الغربية المتقدمة، وانتقالها إلى البلدان النامية، هو شرطٌ لحصول تلك الدول على الفرصة المناسبة للتحوّل إلى مجتمعات حديثة، واللحاق بركب الحداثة الغربية، كل ذلك في سياق سياسي يقوم على المشاركة الشعبية في الحكم، واستبدال أنماط السلطة التقليدية بنظام عقلاني قانوني وإيجاد حكومات وطنية قائمة على الانتخابات البرلمانية كضمانة لتداول السلطة، وتمثيل كافة أطراف المجتمع (2).

أما نظريات التبعية، فقد انطلقت من سياقات بحثية وفكرية في أمريكا اللاتينية خلال ستينيات القرن العشرين، قبل أن تنتقل إلى فعاليات بحثية وأكاديمية وفكرية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ودول أخرى، كردة فعل ونتيجة منطقية لعدم نجاح نموذج نظريات التحديث في تقديم تفسير حقيقي كاشف لظاهرة التخلف في دول العالم

1. تالكوت بارسونز (13 ديسمبر 1902م - 8 مايو 1979م) عالم اجتماع أمريكي عمل في هيئة التدريس في جامعة هارفارد منذ عام 1927 حتى عام 1973م. وضع بارسونز نظرية عامة لدراسة المجتمع تسمى بنظرية السلوك، استناداً إلى المبدأ المنهجي التطوعي ومبدأ المعرفة من الواقعية التحليلية. حاولت النظرية إنشاء توازن بين اثنين من التقاليد المنهجية الرئيسة: التقاليد النفعية - الوضعية والتقاليد التفسيرية - المثالية. بالنسبة لبارسونز، أنشأ المنهج التطوعي بديلاً ثالثاً بين هذين الاثنین. قدم بارسونز نظريات أخرى غير نظرية المجتمع، مثل نظرية التطور الاجتماعي وتفسير ملموس لـ "محركات" واتجاهات تاريخ العالم. للمزيد يُنظر الرابط التالي: <http://cutt.us/QHPvt>

2. Adam Przeworski and Fernando Limongi, "Modernization: Theories and Facts", World Politics, Vol. 49, No. 2 (Jan., 1997), pp. 155- 183

الثالث؛ حيث حاولت دراسات التَّنْمِيَّة القائمة على المدخل التَّحْدِيثِيَّ أن تُبْرَهَنَ على أن التَّخَلُّفَ هو حالة ذاتيَّة متأصِّلة في تلك الدول، ناتجة عن طبيعة البِنَى الاجْتِمَاعِيَّة فيها، ولم تُنْتَج عن الاستعمار، بل هي موجودة قُبَيْل الاستعمار ومُسْتَمِرَّة بعده كذلك، ومِن ثَمَّ فقد جاءت اقترابات التَّبَعِيَّة كردَّة فعل على مقولات وأطروحات واقترابات التَّحْدِيثِ. وتنطلق مقولات مُفْتَرَبَات التَّبَعِيَّة من فَرَضِيَّة مفادها أن حالة التَّخَلُّف، وما ينتج عنها من إشكاليَّات وأزمات في الدول المتخَلِّفة والأقلُّ نَمُوًّا، هي بالأساس إحدى منتوجات الحِقْبَةِ الاستعماريَّة، تُفسِّر حالة التَّخَلُّف الاقتصاديِّ والسِّيَاسِيِّ من منطلق الظروف التاريخيَّة التي مرَّت بها بلدان العالم الثالث، ووقوعها تحت السَّيْطَرَة الاستعماريَّة للنظام الرأسمالي العالمي، كما أنها تُعْتَبَر أن هناك علاقة جدليَّة بين التَّنْمِيَّة والتَّخَلُّف، وبين الحداثة والتقليديَّة، وبين مختلف الظواهر بشكل عام، بمعنى آخر؛ اعتبرت مقولات التَّبَعِيَّة أن التَّنْمِيَّة التي حدثت في العالم الرأسمالي المتقدِّم، كانت على حساب الدول المُسْتَعْمِرَة، وأنَّ الوجه الآخر لتلك التَّنْمِيَّة هو تخلف دول العالم الثالث، ووقوعها في براثن التَّبَعِيَّة والسَّيْطَرَة الرأسماليَّة (1). وفقاً لذلك الاقتراب، فإنَّ الدول الغربيَّة، دول المركز، تُمارِس هيمنتها على الدول غير المركزيَّة، الدول الأطراف، سواءً من خلال حكوماتها التابعة، سِيَاسِيًّا وَعَسْكَرِيًّا واقتصاديًّا، أو من خلال المؤسَّسات الماليَّة العالميَّة، التي تُعدُّ بمثابة الأذرع الماليَّة للقوى الغربيَّة المهيمنة، مثل البنك الدوليِّ وصندوق النقد الدوليِّ، وغيرهما من المنظَّمات، وكذلك الشركات المتعدِّدة الجنسيَّات، التي تعمل باتجاه تعطيل الإرادة الوطنيَّة للدول التابعة، وفقدانها لشروط إعادة تكوين ذاتها، والتَّوَجُّه نحو التَّقدُّم، والخروج من براثن التَّخَلُّف والتَّبَعِيَّة؛ الأمر الذي يُوَدِّي إلى استمرار وديمومة سيطرة الدول المتقدِّمة على الدول الناميَّة، وإبقاء الأخيرة في دائرة التَّبَعِيَّة للهيمنة الغربيَّة (2).

1. Vincent Ferraro, "Dependency Theory: An Introduction," in The Development Economics Reader. Giorgio Secondi, (ed.) , London, Routledge, 2008, pp. 58- 64.
2. Emeh Ikechukwu Eke Jeffrey, "A Discourse on Andre Gunder Frank's Contribution to the Theory and Study of Development and Underdevelopment; Its Implication on Nigeria's development situation", in: Greener Journal of Biological Sciences, Vol. 2 (3) , November 2012, p. 52- 60.

ربما تكون تركيا الكمالية، مثلاً جيداً لبحث ماهية التنمية في تركيا بين مقولات اقترابي التحديث والتبعية؛ حيث عمّد كمال أتاتورك (1) وخلفاؤه إلى النأي بتركيا

1. مؤسس تركيا الحديثة، تمكّن في سنين قليلة من البروز كقائد عسكري ثم كزعيم سياسي، ألغى الخلافة العثمانية، وأسّس مكانها تركيا المعاصرة التي أصبحت كما أراد دولة علمانية غربية الطابع والقوانين والهوى. وُلد مصطفى علي رضا عام 1881 بمدينة سالونيك اليونانية التي كانت تابعة آنذاك للدولة العثمانية، وكان أبوه موظفاً بسيطاً، انخرط في البدء في مدرسة دينية تقليدية، ثم دخل مدرسة حديثة فالمدسة العسكرية العليا في عام 1893م وهو صبي صغير، وهناك لقّبهُ أحد مُدرّسيه بكمال لنبوغه الدراسي؛ فأصبح اسمه مصطفى كمال.

تخرّج برتبة نقيب في العام 1905م، ثم خاض حروباً عدّة ضمن الجيش العثماني في ألبانيا وطرابلس، وذلك قبل أن تشارك الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور؛ حيث برز نجم الضابط مصطفى كمال كقائد عسكري من طراز رفيع ليُرَفَّقَ إلى رتبة جنرال في عام 1916م وهو في الـ35 من عمره فقط.

قبل تلك الأحداث بسنوات وبعد تخرّجه من المدرسة العسكرية مباشرة كان مصطفى كمال قد أنشأ خلال خدمته في دمشق خلية سرية أطلق عليها الوطن والحريّة ضد ما يصفه مريده (استبداد السلطان العثماني)، وعلى الرغم من أنه لم يعرف لهذه المنظمة نشاط سياسي يذكر مثل جمعية الاتحاد والترقي، فإن التنظيمين ينطلقان من مبدأ واحد حتى قيل: إن مصطفى كمال التحق فعلاً بالجمعية الأخيرة بعد انكشاف أمر منظمته للسلطات.

وبغض النظر عن المرجعية السياسية للضابط الصاعد بقوة، فإن اسم مصطفى كمال عرف في إسطنبول واشتهر بعد ما حقّقه مع قوّاته في فلسطين وحلب وأنطاكية خلال الحرب، لكن أهمية الجنرال مصطفى كمال تعاضلت بعد هذه الأحداث حينما انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة بلاده واحتلال أجزاء واسعة منها من قبل جيوش الحلفاء، حينها قدّر لهذا الضابط أن يمارس دور المُحرّر الذي كرّسه بطلاً قومياً في عموم الدولة العثمانية التي كانت لا تزال تستقطب عطف كثير من المسلمين.

تزعّم مصطفى كمال ما سُمّي بحرب الاستقلال لتحرير الأناضول المحتل، وظهرت كاريزما الرجل بصورة واضحة حينما رفض أوامر السلطان بالتخلّي عن الواجب والعودة إلى إسطنبول المحتلة من البريطانيين، فاستقال من الجيش ونظم منذ مايو/أيار عام 1919م قوّات التحرير التي قاتلت اليونانيين والبريطانيين والفرنسيين والإيطاليين تحت قيادته، حتى تمكّن قبل نهاية صيف عام 1922م من طرد القوّات المحتلة من بلاده.

أكسبت هذه الانتصارات الجنرال مصطفى كمال شهرةً ملأت آفاق العالم الإسلامي الذي نظر إليه كبطل لا سبياً، وأنه استعان بالرموز الدينية وعلماء الدين في حشد الناس للقتال معه، وانهالت عليه برقيات التهاني من البلدان الإسلامية، وتنبّه إليه الغرب وكتب عنه الإعلام هناك ما زاده شهرةً وتأثيراً. خلال معارك التحرير وتحديداً في ربيع عام 1920م أسّس مصطفى كمال المجلس الوطني العظيم في أنقرة من ممثلي القوى الشعبية المشاركة في حرب التحرير ليتحوّل إلى حكومة موازية لسلطة الخليفة=

بعيداً عن هُوِيَّتِهَا الإِسْلَامِيَّةَ باتجاه التَّغْرِيبِ Westernization، باعتباره مُنْطَلَقاً للانتقال بتركيا ما بعد العُثمانيَّة، من مجتمع تَقْلِيدِيٍّ إلى مجتمعٍ عَصْرِيٍّ متحضَّرٍ، لكنَّ هذا الأمر لم يُخَلِّفِ إلا تغيُّراتٍ بِنْيَوِيَّةً، مفروضة فوقياً، على قِيَمٍ وتقاليد المجتمع التُّرْكِيِّ، بعيداً عن هُوِيَّتِهِ الحَضَارِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، من دون أن ينتقل ذلك إلى السياقات الاقتصادية والسياسية السائدة في الغرب، فلم تصبح تركيا الكمالية قُوَّةً اِقْتِصَادِيَّةً كبرى، كما لم تصبح ديمقراطيَّتها وبُنْيَتِهَا السِّيَاسِيَّةُ لِيبراليَّةً كُلِّيَّةً، فساد التَّوْظِيفِ

=العُثماني في إسطنبول، وفي عام 1921م أصدر المجلس ما سَمَّاهُ القانون الأساسي الذي تَزَامَنَ صدوره مع إعلان النصر وتحرير الأراضي التُّرْكِيَّةِ في صيف عام 1922م، وأُعلِنَ فيه مصطفى كمال إلقاء السلطنة. في يوليو/تموز من عام 1923م وقَّعت حكومة مصطفى كمال معاهدة لوزان التي كرَّست قيادته لتركيا باعتراف دولي، فأُعلن في 29 أكتوبر/تشرين الأول من نفس العام ولادة الجمهورية التُّرْكِيَّةِ وألغى الخلافة، وأُعلِنَ رئيساً، وجعل أنقرة عاصمة للدولة الجديدة بدلاً من إسطنبول، وبدأ سلسلة إجراءات استمرت بضع سنوات، غير من خلالها وَجَّهَ تركيا بالكامل.

بدأ مصطفى كمال إجراءاته بتغيير أشكال الناس؛ حيث منع اعتمار الطربوش والعمامة وروَّج للباس الغربي، منع المدارس الدينيَّة وألغى المحاكم الشَّرْعِيَّة، أزال التكايا والأضرحة، وألغى الألقاب المذهبية والدينيَّة، وتبَّى التقويم الدُّوَلِيَّ، كتب قوانين مستوحاة من الدستور السويسري، وفي عام 1928م ألغى استخدام الحرف العربي في الكتابة، وأمر باستخدام الحرف اللاتيني؛ في محاولة لقطع ارتباط تركيا بالشرق والعالم الإسلامي.

تحوَّلت تركيا خلال 15 عاماً من حكم مصطفى كمال بشكلٍ جوهريٍّ، ويذكر له الأتراك أنه أسَّس دولة قوِّية حديثة، لكنَّ خصومه يشددون على أنه لم يكتفِ بإزالة آخر دول الخلافة الإِسْلَامِيَّةِ لكنه حارب الدين والتدين من خلال النِّظَامَ العلماني الذي شرَّعه في تركيا، بل إنه ربط تقدُّم البلاد وتطورها بالتخلُّي عن الهُوِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ تاريخياً وممارسةً، ولذلك فالعلمانية الكمالية لم تكتفِ بفصل الدين عن الدولة، لكنها سيطرت على الممارسة الدينيَّة ومنعت كل مظاهر التدين بإجراءات قانونية تحميها مؤسسات الدولة، وأبرزها الجيش.

تُوِّفِيَ مصطفى كمال بعد مرضه في نوفمبر عام 1938م، وبعد وفاته بخمسة أعوام، منحه البرلمان التُّرْكِيُّ لقب أتاتورك (أبو الأتراك) اعتزازاً به وتخليداً له، وحتى اليوم ما زالت القواعد التي وضعها أتاتورك تحكم تركيا، لكن هذه القواعد ظلَّت موضع جدلٍ داخليٍّ مُعلَّنٍ أو غير مُعلَّنٍ؛ لأنها مسَّت التدين الذي يُمثِّلُ جوهر روح المجتمع، كما أن هذه القواعد تعرَّضت للانتهاك أكثر من مرَّة، وهي اليوم تواجه تساؤلات جدية ببقائها مع انتشار التُّيَّار الإسلامي في تركيا. (مصطفى كمال أتاتورك، الجزيرة نت، 13 نوفمبر 2006م، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4Mureu).

الخشن أو الصلْب للقوة Hard Power من خلال الانقلابات العسْكَرِيَّة وهيمنة الجيش على الدولة والمجتمع على حدِّ سواءٍ، باعتباره حامِي العُلْمَانِيَّة وقِيَمِ الجُمهُورِيَّة التُّرْكِيَّة الحديثة.

مع وصول حزب العدالة والتَّنْمِيَّة إلى سُدَّةِ الحُكْم منذ العام 2002م، تغيَّر المشهد التُّرْكِيّ تدريجيًّا، سِيَاسِيًّا واقتِصادِيًّا، وقبل ذلك ثقافيًّا وهوياتيًّا، من خلال التَّوْظِيفِ الاستِراتيجِيّ للقوَّة الناعمة Soft Power؛ حيث عمَدتْ خبرة العدالة والتَّنْمِيَّة فيما يَتعلَّق بالتَّنْمِيَّة الاقتصادية وبناء الديمقراطية والعلاقة بين الدولة والدين، إلى الانتقال الهادئ من النموذج التَّحْدِيثِي الَّذِي تقوده الدولة، ويحميه الجيش، بناءً على أفكار كمال أتاتورك التي تقوم على الحداثة بواسطة التعريب الثقافيِّ والعُلْمَانِيَّة الراديكاليَّة، إلى نموذج آخر يجمع بين استحقاقات الديمقراطية الانتخابية والعُلْمَانِيَّة المتسامحة غير التَّدخُّليَّة، من جهة، والهويَّة الوَطَنِيَّة المستندة على جذور حَضَارِيَّة إسلاميَّة من جهة أخرى. (1)

وإذا كانت الخبرة النيولبراليَّة التُّرْكِيَّة التي انطلقت في بداية الثمانينيات من القرن الماضي على يد تورجوت أوزال (2)، قد قادت إلى تنمية اقتصاديَّة مُتسارعة، فإنَّ خبرة

1. فؤاد العمري، تركيا: مفاعيل الهيمنة والتحكُّم، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/xPTgt>

2. اقتصادي ليبرالي، بدأ حياته العملية مهندساً للسدود في ستينيات القرن الماضي، قبل أن يأخذ العمل السياسي إلى قمة هرم السلطة في الدولة التُّرْكِيَّة عام 1980م وسط مناخ إقليمي ودولي مضطرب، وكان عهده زمن هدنة في صراع الهويَّة بين الإسلاميين والعلمانيين. أسس أوزال حزب الوطن الأم عام 1983م، وقبل نهاية ذلك العام فاز هذا الحزب في الانتخابات العامة ليتولَّى السياسي الجديد تشكيل الحكومة منفرداً، في الوقت الذي كان فيه الجنرال كنعان يضرين قائد الانقلاب رئيساً للجمهورية، وخلال حكمه أظهر أوزال تعاطفاً شديداً مع النشاطات الإسلاميَّة، لكنه نفى وجود حركة إسلاميَّة منظمَّة في تركيا ليقبل من مخاوف الجيش والأوساط العلمانيَّة. حرص أوزال على أداء صلاة الجمعة بحضور عدد من وزرائه، واستقطب إلى جانب حزبه مردي الطرق الصوفيَّة الذين كان لهم دورٌ مؤثِّر في فوزه للمرة الثانيَّة في انتخابات عام 1987م، وهو لم يكتفِ بأنه أفسح المجال للحركات الإسلاميَّة بالانتشار العلني، بل ضمَّ في قيادات حزبه الحاكم وُجوهاً إسلاميَّة سياسيَّة معروفة كان بعضها جزءاً من حزب السلامة الوطني، للمزيد: يُنظَر الرابط التالي: <https://www.turkpress.co/node/13644>

حزب العدالة والتَّئْمِيَّة قد بُنِيَتْ على تلك النجاحات الاقتصادية، وعَزَزَتْهَا لتصبح بعد 15 عاماً من حُكْمِ الحزب بمثابة الدَّعَامَة الأساسيَّة لنموذج القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة، لتصبح تركيا -وهي الدولة ذات الأغليَّة المسلمة- هي الدولة الوحيدة في المنطقة التي نجحت في خَلْق اقتصادٍ تَنَمُّوِيٍّ ذاتي مستدام، يقوم على حُرِّيَّة السوق، ولا يعتمد على اقتصادات رِبْعِيَّة، وإنما يعتمد على قطاعات إنتاجيَّة حديثة تقوم على التصنيع، وفقاً لمقولات اقترابات التَّحْدِيث، من دون أن يَصْطَلِي بالآثار السَّلْبِيَّة للتَّحْدِيث من قبيل الارتهان السِّيَاسِي لِلقُوَى العَرَبِيَّة وَفَقاً لمقولات اقترابات التَّبْعِيَّة (1).

وَمِنْ ثَمَّ؛ فَإِنَّ خِبرَةَ العَدَالَةِ والتَّئْمِيَّة في تركيا قد قادت البلاد إلى نموذج جديد أو طريق ثالث، يجمع بين مقولات التَّحْدِيث لبلوغ التَّئْمِيَّة المُجْتَمَعِيَّة، وبنأى بنفسه عن آثارها السَّلْبِيَّة وَفَقاً لمقولات التَّبْعِيَّة، هذا على صعيد المُقْتَرَبَات النَّظْرِيَّة لظاهرة الصُّعُود التُّرْكِيٍّ في الشرق الأوسط.

أما على الصعيد الاستراتيجي العملياتي، فإنَّ الدراسة سوف تبحث في ماهيَّة القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة، كإطار إجرائي، ودورها في الصُّعُود بتركيا كقطب إقليمي واعد في العلاقات الدوليَّة؛ من خلال تساؤل رئيس يتمحور حول: كيف وظفت استراتيجيَّة الحكومة التُّرْكِيَّة الحَالِيَّة مفرذات القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في سياق التفاعلات الدوليَّة والإقليمِيَّة للوصول إلى القُطْبِيَّة الإقليمِيَّة في الشرق الأوسط، ما جعلها خبرة مُتَفَرِّدَة ونموذجاً ذا نكهة خاصَّة باتت مُلْهَمَةً لكثيرٍ من الدول والشُّعُوب، لا سيَّما في الدول النَّامِيَّة والعالم الإسلامي؟

1. التقرير الاستراتيجي الارتيادي، الأُمَّة والخروج من التَّبْعِيَّة، مجلة البيان اللندنيَّة بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الإنسانيَّة بالقاهرة، الإصدار الرابع عشر 1438هـ، ص ص 85-86.

تساؤلات الدراسة:

تشير الإِشْكَالِيَّةُ البَحْثِيَّةُ الرَّئِيسَةُ للدراسة عدداً من التساؤلات الفرعية، تسعى للبحث عن إجابات لها، تكتمل، من خلالها منظومة الإجابة عن الإِشْكَالِيَّةِ الرَّئِيسَةِ مَحَلَّ البَحثِ، ولعل أبرز هذه التساؤلات ما يلي:

- ما هو مفهوم القُوَّةِ في العلاقات الدُولِيَّةِ، وما هي أشكال القُوَّةِ وتجلياتها على الصعيد الدُولِيِّ، تنظيراً وتطبيقاً؟
- كيف يمكن قراءة مُحَفِّزَاتِ تطوير القُوَّةِ النَّاعِمَةِ لتركيا، تلك التي مَكَّنَتْهَا من خُلُقِ نموذجها الخاص على الصعيد الدُولِيِّ كقطبٍ إقليميٍّ مُتَقَرِّدٍ؟
- ما هي أبرز مُكوِّنَاتِ القُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ النَّاعِمَةِ، وكيف نجحت خبرة العدالة والنُّمِيَّةِ في توظيف تلك المُكوِّنَاتِ لصالح الدولة التُّرْكِيَّةِ اسْتِراتِيجِيًّا، داخِليًّا وخارجيًّا؟
- ما هي حدود القُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ النَّاعِمَةِ، نطاقياً، وَفَقاً لدوائر اهتمام السِّيَاسَةِ الخَارِجِيَّةِ للدولة التُّرْكِيَّةِ؟
- كيف يمكن تحليل الآثار الاستراتيجيَّةِ لتوظيف القُوَّةِ النَّاعِمَةِ لتركيا في العلاقات الدُولِيَّةِ، وما هي أبرز التَّحَدِّيَّاتِ التي تُجَابِهَ قُوَّةُ تركيا النَّاعِمَةُ، ومن نَمَّ كيف يمكن استشراف مستقبل القُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ النَّاعِمَةِ لا سِيَّما في ظلِّ اسْتِراتِيجِيَّةِ 2023م، التي تُواكِبُ الذُّكْرَى المئويَّةَ لقيام الجمهوريَّةِ التُّرْكِيَّةِ؟
- ما أبرز التعديلات التي تَمَّ إضافتها للدستور التُّرْكِيِّ؟ وما أهم الآثار المترتبة على تحويل نظام الحُكْمِ في تركيا من النُّظَامِ البرلمانيِّ إلى النُّظَامِ الرئاسيِّ؟
- كيف ستنعكس الانتخابات الرئاسيَّةِ والتشريعيَّةِ المبكرة على مسيرة تركيا حكومَةً وشعباً، وعلى محيطها الجُغرافيِّ ومسيرتها النُّمُوِيَّةِ والاقتصاديَّةِ؟

أهداف الدراسة:

تُعَدُّ النهضة التُّرْكِيَّةُ الحديثة أحد أهم النماذج المُشْرِقة على المستوى الإقليميِّ والدُولِيِّ، فقد شهد العَقدُ الأوَّلُ من الألفيَّةِ الثالثة طفرةً تعليميَّةً واقتصاديَّةً، واجتماعيَّةً وسياسيَّةً

هائلة، بعد فوز حزب العدالة والتّميّة ذي التّوجّهات الإسلاميّة بالانتخابات العامّة في تركيا سنة 2002م، بقيادة السيّد رجب طيّب أردوغان (1) الرئيس الحالي للجمهورية التركيّة.

1. السيد رجب طيّب أردوغان (مواليد 26 فبراير 1954م)، عضو حزب العدالة والتّميّة الذي يملك غالبية مقاعد البرلمان التركيّ ورئيس تركيا الثاني عشر والحالي منذ 28 أغسطس 2014م. ويعدّ أول رئيس تركي اختاره الشعب بطريق الاقتراع المباشر.

عرّف السيّد أردوغان باهتمامه بصُلُب الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة وانشغاله بها منذ أوّل شبابه؛ حيث تعلّم روح العمل مع الفريق والانضباط بالعمل الجماعي في الفترة ما بين 1969 و1982، حين اتّخذ كرة القدم هويّةً لنفسه. وفي الفترة نفسها بدأ اهتمامه الجادّ بقضايا بلاده وما تعاني من مشكلات اجتماعيّة؛ لأنه كان شاباً ذا فكر ثاقب ونظّر بعيد، وقد أيقن أنّ نفعه الكبير لمجتمعه وبلده لا يتمّ إلاّ بالولوج في الحياة السياسيّة، فدخلها بقوة وصورة فعّالة.

بدأ رجب طيّب أردوغان يتولّى دوراً بارزاً في المنظّمة الطلابيّة للاتّحاد الوطني للطلبة الأتراك والمنظّمات الشّبانيّة. ففي سنة 1976م، انتخب رئيساً للمنظّمة الشّبانيّة لحزب السلامة الوطني بمنطقة بايغولو التابعة لمدينة إسطنبول. وفي السنة نفسها أصبح رئيساً للمنظّمة الشّبانيّة في مدينة إسطنبول. وبقي أردوغان في هذين المنصبين وغيرهما إلى عام 1980. وعندما حلّت الأحزاب السياسيّة في 12 أيلول (سبتمبر) من السنة نفسها عمل مستشاراً وإدارياً رفيعاً في القطاع الخاص.

عاد رجب طيّب أردوغان إلى الحياة السياسيّة بقوة مع تأسيس حزب الرفاه عام 1983، وأصبح رئيس الحزب في فرع بايغولو بإسطنبول عام 1984، ثمّ رئيساً للحزب في مدينة إسطنبول، وعضواً في اللجنة الإداريّة للقرارات المركزيّة لحزب الرفاه عام 1985. وفي أثناء رئاسته لفرع حزبه بمدينة إسطنبول وضع هيكلاً تنظيمياً جديداً للحزب، وكان ذلك بمثابة نموذج مثالي لسائر الأحزاب السياسيّة أيضاً. بذل أردوغان في تلك الفترة جهوداً سياسيّة كبيرة، ولا سيّما في تشجيع ضمّ النساء والشباب إلى السياسة؛ إذ اتّخذ خطوات مهمّة في نشرها في أصول المجتمع، وتبنيها من الكتل الشعبيّة. وكان لهذا التنظيم الجديد فضلاً طاهراً على حزب الرفاه الذي حقّق نجاحاً كبيراً في انتخابات بايغولو المحليّة عام 1989، كما أصبح نموذجاً يحتذى به في فعاليّات الحزب على الصعيد الوطني.

شغلّ منصب عمدة إسطنبول من 1994م إلى 1998م ثمّ تولّى رئاسة وزراء تركيا من مارس 2003م حتى أغسطس 2014م. عمِل على استتباب الاستقرار والأمن السياسي والاقتصادي والاجتماعي في تركيا. تصالّح مع الأرمين بعد عداءٍ تاريخيٍّ متجذّر، وكذلك فعل مع اليونان. فتح جسوراً بين تركيا وبين أذربيجان وبقية الجمهوريات السوفييتيّة السابقة، وأرسى تعاوناً مع العراق وسوريا، وفتح الحدود مع عدد من الدول العربيّة، ورفع تأشيرة الدخول، وفتح أبواباً اقتصاديّة وسياسيّة واجتماعيّة وثقافيّة مع عدد من البلدان العالميّة. لمزيد من التفاصيل: انظر السيرة الدائيّة للرئيس التركيّ السيّد رجب طيّب أردوغان، موقع رئاسة الجمهوريّة التركيّة على شبكة الإنترنت، تاريخ الزيارة، 5 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/EEvFeU

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وقد كَثُرَ الحديث عن التجربة التُّرْكِيَّةُ ذات التَّوَجُّهَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي الحُكْمِ، وَالتِّي بَرَهَنْتْ عَلَى نَجَاحِهَا فِي الصَّعِيدِينِ الإِقْتِصَادِيَّ وَالسِّيَاسِيَّ بِشَكْلِ مَثِيرٍ لِلدَّهْشَةِ، خُصُوصاً أَنَّ هَذَا يَحْدُثُ فِي دَوْلَةٍ تَرَسَّخَتْ فِيهَا العِلْمَانِيَّةُ (1)، وَسَيَطَرَتْ عَلَى العُنْصَرِينِ المَادِّيِّ وَالبَشَرِيِّ لِأَزِيدَ مِنْ تِسْعَةِ عُقُودٍ مِنَ الزَّمَنِ، مِنْذُ أَنْ قَامَ مِصْطَفَى كِمَالٌ أَتَا تَوْرَكَ بِتَبْيِي العِلْمَانِيَّةِ عَامَ 1923م كِتَافَةً وَهُويَّةً جَدِيدَةً لِلسَّعْبِ التُّرْكِيِّ، وَجَعَلَ الجَيْشَ حَارِسَهَا الَّذِي لَا يَنَامُ. مَسْتَعْمِداً فِي ذَلِكَ القُوَّةَ الصَّلْبَةَ وَسَبِيلَةَ لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى الدَّوْلَةِ، وَحَلَّ الأَحْزَابَ، وَتَحَكَّمَ الجَيْشَ فِي تَدَاوُلِ السُّلْطَةِ. وَبِذَلِكَ أَصْبَحَتِ المَوْسَسَةُ العَسْكَرِيَّةُ القُوَّةُ الَّتِي لَا يَنَازِعُهَا أَحَدٌ فِي أُمُورِ السُّلْطَةِ وَإِدَارَةِ شُؤُونِ البِلَادِ؛ حَيْثُ اسْتَعْمَدَتِ القُوَّةُ فِي ذَلِكَ حِصُونِ الأَكْرَادِ، وَمَعَاقِبَةَ كُلِّ مَنْ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسَهُ مَعَارِضَةَ النُّظَامِ العِلْمَانِيِّ التُّرْكِيِّ. فَضْلاً عَمَّا أَحَدَتْهُ القُوَّةُ الصَّلْبَةُ مِنْ اسْتِئْصَالٍ وَمَسْخٍ لِلهُويَّةِينِ الثَّقَافِيَّةِ وَالدِّيْنِيَّةِ فِي أَوْسَاطِ المَجْتَمَعِ التُّرْكِيِّ، حَتَّى أَصْبَحَ لَا يَعْرِفُ مِنَ الدِّيْنِ إِلا القَلِيلَ.

وَعَقِبَ وَصُولِ حِزْبِ العَدَالَةِ وَالتَّنْمِيَةِ إِلَى الحُكْمِ فِي تَرْكِيَا بِقِيَادَةِ الرَّئِيسِ السَّيِّدِ رَجَبِ طَيْبِ أَرْدُوغَانَ، تَوَجَّهَ نَحْوَ اسْتِخْدَامِ القُوَّةِ النَّاعِمَةِ فِي سِيَاسَاتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ مِنْهَا وَالعَارِجِيَّةِ؛ حَيْثُ يُعْتَبَرُ الوَعْيُ وَالانْفِتَاحُ السِّيَاسِيَّ مِنْ أَسْبَابِ نَجَاحِ الرَّئِيسِ أَرْدُوغَانَ وَحِزْبِ العَدَالَةِ وَالتَّنْمِيَةِ فِي قِيَادَةِ تَرْكِيَا نَحْوِ النُّهُوضِ وَالتَّقَدُّمِ، وَمِمَّا يُحَسِّبُ لِلرَّئِيسِ أَرْدُوغَانَ وَحِزْبِ العَدَالَةِ وَالتَّنْمِيَةِ إِيمَانَهُمْ بِأَهْمِيَّةِ اسْتِثْمَارِ قِيَمِ المَسَاوَةِ وَالعُرْيَةِ وَالعَدَالَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي يَحْتَاجُهَا أَيُّ مَجْتَمَعٍ لِبِنَاءِ نَهْضَتِهِ وَتَقْدَمِهِ.

1. العِلْمَانِيَّةُ فِي الأَصْلِ: هِيَ فَصْلُ الدِّيْنِ عَنِ الدَّوْلَةِ. وَهِيَ بَدَأَتْ العِلْمَانِيَّةُ فِي تَرْكِيَا عَامَ 1928م، مَعَ تَعْدِيلِ الدِّسْتُورِ التُّرْكِيِّ (1924م) بِحَدْفِ مَادَّةِ "دِينِ الدَّوْلَةِ هُوَ الإِسْلَامُ"، بَعْدَهَا أَدْخَلَ أَتَا تَوْرَكَ مَجْمُوعَةً مِنَ التَّغْيِيرَاتِ الإِدَارِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ لِخَلْقِ التَّحْدِيثِ وَتَأْسِيسِ دَوْلَةٍ دِيمُقْرَاطِيَّةٍ عِلْمَانِيَّةٍ تَتِمَاشَى وَالأَيْدِيُولُوجِيَّةِ الكِمَالِيَّةِ (مِصْطَفَى كِمَالٌ) الصَّارِمَةِ فِي هَذَا الصَّدَدِ. بَدَأَتْ تِلْكَ الإِجْرَاءَاتُ بِتَغْيِيرِ أَشْكَالِ اللِّبَاسِ عِنْدَ الأَتْرَاقِ (مَنْعُ اعْتِمَارِ الطَّرْبُوشِ وَالعِمَامَةِ وَالتَّرْوِيجِ لِلِّبَاسِ الغَرِيبِ)، مَرُوراً بِمَنْعِ المَدَارِسِ الدِّيْنِيَّةِ، وَإِلْغَاءِ المَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ، وَإِزَالَةِ التَّكَايَا وَالأَضْرَحَةِ وَالأَنْقَابِ المَذْهَبِيَّةِ وَالدِّيْنِيَّةِ، وَانْتِهَاءِ بِنْيَتِي التَّقْوِيمِ الدَّوْلِيِّ وَسَنِّ قَوَانِينِ مَسْتَوْحَاةٍ مِنَ الدِّسْتُورِ السُّوَيْسَرِيِّ. كَمَا أُلْفِيَ اسْتِخْدَامُ الحُرْفِ العَرَبِيِّ (1928م) وَأَمْرُ بِاسْتِخْدَامِ الحُرْفِ اللَاتِينِيِّ، فِي مَحَاوَلَةٍ لِقَطْعِ ارْتِبَاطِ تَرْكِيَا بِالشَّرْقِ وَالعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ نَهَائِيًّا. لِلْمَزِيدِ يُنظَرُ: <https://noonpost.org/content/11881>

ورغم التَّحَدِّياتِ الكبرى الَّتِي وَاجَّهَهَا الحزب، وَالَّتِي كان أَشَدَّها مُحاوَلَتِي استخدام القُوَّةِ الصَّلْبَةِ للقيام بانقلاب عَسْكَرِيٍّ ضِدَّ حكومة أردوغان، لكنه كان في كُلِّ مَرَّةٍ يتعامل مع الأزمات والخَطَرِ المُحْدِقِ به بِضَبْطِ نَفْسٍ وَحِكْمَةٍ سِياسِيَّةٍ فَدَّةٍ؛ حيث يَنْبَغِي موقفاً لا يبدو ضِدَّ العِلْمَانِيَّةِ بِشَكْلِ كامل، ولكنه في المقابل لا يُبَدِي انصياعه لها، ولا يَقْبَلُ فَرَضَ أَيِّ شروطٍ تَضَعُها حَجَرِ عِثْرَةٍ أمام حكومته، ما دام أنه جاء بإرادة شَعْبِيَّةٍ وَفَقَّ انتخابات حُرَّة. بل عَمَلٌ على تقليص نفوذ المحكمة الدُسْتُورِيَّةِ لِإيْمانِ جَانِبِ الجيشِ التُّرْكِيِّ. وَتَمَّ كُلُّ هذا، عبر خطوات تدلُّ على الحِكْمَةِ والمقدرة على استخدام القُوَّةِ النَّاعِمَةِ والدَّكِيَّةِ، ومعها الأدوات الديمُقْرَاطِيَّةِ المتاحة.

أما من ناحية العلاقات الخَارِجِيَّةِ فقد ضرب حزب العدالة والتَّنْمِيَّةِ أروع الأمثلة في التعامل مع القُوَى الكبرى الَّتِي لم تكن يوماً راضِيَّةً عن فوزه، ولا تقبل التعامل مع أيِّ حزبٍ يحمل مشروعاً إسلامياً نَهْضَوِيًّا، ولكنه بصلافة مواقفه وحزمه السِّيَاسِيِّ مع معارضي الداخل أقنَعَ مُعارِضِي الخارج بأنه جاء ليبقى، فلم يَجِدْ بُدًّا من التصريح بأنَّ النُّظَامَ القائم في تركيا يُعتبر حالة استثناء، وأنه يمكن التعايش معه (1). وهذا في حدِّ ذاته يُمَثِّلُ نجاحاً للتَّجربةِ التُّرْكِيَّةِ، الَّتِي أَكَّدَتْ قدرة القِيمِ الحَضَارِيَّةِ الإسلاميَّةِ على المساهمة في بناء الدولة، وصياغة مشروع مُجْتَمَعِيٍّ ناجح.

وقد سلك الحزب في ذلك سياسات احتِراَفِيَّةٍ ذَكِيَّةٍ؛ فلم يصطدم حزب العدالة والتَّنْمِيَّةِ بالقوانين ولا بالدُسْتُورِ التُّرْكِيِّ وَعِلْمَانِيَّةِ، بل نصَّ عليها في برنامجه وأقرَّ بِعِلْمَانِيَّةِ تركيا، وضرورة احترامها والتعامل معها؛ كونها أحدُ مُكوِّنات تركيا الحديثة وقواعدها الرَّاسِخَة. وهو ما ساعده على احتواء العديد من قُوَى العِلْمَانِيَّةِ، واحتواء

1. نبيل الهتاري، لماذا نجحت التجربة التُّرْكِيَّةِ؟، صحيفة القدس العربي اللندنيَّة، 24 أغسطس 2013م، تاريخ الزيارة 2 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PXITUC

القوة التركيبية الناعمة

سطوة الجنرالات، حتى ذهب البعض من مراكز القوى التركيبية إلى اعتبار حزب العدالة والتنمية أحد أجنحة الديمقراطية التركية التي أصبحت توازي الديمقراطيات الغربية، وأن هذه التجربة احتوت تيارات الإسلام السياسي بامتياز. هذا على صعيد الجبهة الداخلية، التي استطاع الرئيس أردوغان فهمها وقراءتها بمنطق العقل والواقعية السياسية. أما على صعيد سياسته الخارجية، فقد سار على نفس المنوال المتوازن أيضاً، والتي أعلن فيها، عبر الخطوط العامة لبرنامج السياسي، بأن تركيا تسعى للانضمام للاتحاد الأوروبي، وستعمل على تحقيق ذلك، عكس رؤية أستاذه نجم الدين أربكان (1) الذي ابتعد عن المجموعة الأوروبية. (2)

لقد استطاعت الحكومة التركية أن تنهض باقتصاد تركيا نهضة كبيرة، وأن تحقق آمال الشعب في الحريات السياسية والرفاهية الاقتصادية. واستخدام هذه الطفرة الاقتصادية كقوة ناعمة في سبيل تحقيق الاستقرار السياسي، والقدرة على القيام بأدوار رئيسة في محيطها الجغرافي، ووضع تركيا على خريطة الريادة على المستويين الإقليمي والدولي، حتى أصبح عهد حزب العدالة والتنمية صفحة جديدة غير مسبوقه في التطور التاريخي لتركيا.

1. نجم الدين أربكان (29 أكتوبر 1926 - 27 فبراير 2011م) مهندس وسياسي تركي تولى رئاسة حزب الرفاه ورئاسة وزراء تركيا من الفترة بين 1996 و1997م، حاصل على الدكتوراه في هندسة المحركات من جامعة آخن الألمانية (1956م). أنشأ حزب النظام الوطني عام 1970م، كأول تنظيم سياسي ذي هوية إسلامية في الدولة التركية الحديثة. وانتخب عضواً في مجلس النواب عن مدينة قونية، وتم بعدها حلّ حزبه، فقام أربكان بتأسيس حزب السلامة الوطني عام 1972م، وشارك في الانتخابات العامة وفاز بـ 50 مقعداً، وشارك مطلع 1974م في حكومة ائتلافية مع حزب الشعب الجمهوري، ثم حُظر حزب الرفاه وأُحيل أربكان إلى القضاء بتهمة مختلفة، فأسس حزباً جديداً باسم الفضيلة، تعرّض أيضاً للحظر في 2000م. أسس أربكان حزب السعادة في 2003م، لكن خصومه من العلمانيين تربصوا به، ليجري اعتقاله ومحاكمته في نفس العام بتهمة اختلاس أموال من حزب الرفاه المنحل، وحُكم عليه بستين سجناً، وهو في عمر يناهز 77 عاماً. (ضياء طارق، «المعلم» أربكان: أبو الإسلام السياسي التركي "بروفائل"، إضاءات، 8 مارس 2017، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Gn7GWv).
2. سامي الأخرس، لماذا أفلت حزب العدالة والتنمية التركي من أنياب المحكمة الدستورية؟ موقع بيتنا، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/RRRFm>

أهمية الدراسة:

لما كان البحث العلمي بطبيعته هو عمليّة منطقيّة ومنظمة، ويهدف إلى ضبط الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها بطريقة علميّة، ووفقاً لأدوات علميّة منضبطة، تأتي أهمية هذه الدراسة مُستندة بالأساس على بُعدين رئيسين؛ أحدهما علمي والآخر عملي؛ وإن كان الفصل بين كلا البُعدين من الناحية الواقعيّة قد يبدو أمراً تعسُفياً، باعتبار أن كليهما مُكمل للآخر ومُتقاطع معه بشكل كلي أو جزئي؛ ويمكن إلقاء الضوء على كلا النوعين من الأهميّة على النحو التالي:

الأهمية العلميّة:

1. تُعدّ الدراسة محاولة تحليليّة منهجيّة لدراسة أبعاد ومرتكزات القوّة التركيّة الناعمة التي ساهمت في صعود تركيا كقطب إقليمي له وزنه على الصعيد الاستراتيجي في الشرق الأوسط.
2. التّأصيل المفاهيمي للقوّة الناعمة في ظلّ الخبرة التطبيقيّة التركيّة؛ حيث اعتادت الأدبيّات العلميّة، لا سيّما الغربيّة منها، على ربط القوّة الناعمة بالدول الكبرى، وخاصّة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وفقاً لمقتربات العولة التي يعتبرها البعض مرادفاً للأمركة في جوهرها وأهدافها الغائيّة.
3. تقديم رؤية علميّة كليّة حول مستقبل القوّة التركيّة الناعمة ذات الأهميّة الاستراتيجية البالغة في منطقة الشرق الأوسط.
4. تمحيص مقولات مُقتربي التّحديث والتّبعيّة بشكل تطبيقي، وفقاً للخبرة التركيّة في التّسمية المستدامة؛ حيث تمثّل حالة تركيا إطاراً تطبيقياً ملائماً لاختبار تلك المقولات التي لا تخلو من تسييس، ومن ثمّ الخروج عن الحديّة الاستقطابيّة بين أنصار كلا المدرستين، ببيان أنّ ثمة طريقاً ثالثاً للتّسمية، تمثله الخبرة التركيّة؛ الأمر الذي يمثّل تراكم معرفياً في نظريّات التّسمية واستراتيجيّات النهضة.

الأهمية العملية:

1. تأتي الدراسة لتحلّ أبعاد قوة تركيا الناعمة في سياقٍ محايدٍ، بعيداً عن تناقضات التهوين والتهويل، لا سيّما فيما يتعلّق بالتحذير من التحدّيات التي من شأنها المساس بفاعلية القوة الناعمة للدولة التركية، جنباً إلى جنب مع الآثار الإيجابية للتطبيق التركي الناعم للقوة في العلاقات الدولية.
2. الاقتراب من وصفة النجاح التّمويّة التي خاضتها الخبرة التركية، لا بهدف استنساخها عربياً أو إسلامياً، اقتناعاً بأن لكل مجتمع خصوصيته، ولكل دولة خبرتها الذاتيّة الخاصّة، ولكن بهدف الخروج من نفق الوصفات الجاهزة للتّميّة ذات المشروطيّة السياسيّة، التي تفرضها مؤسّسات الرأسماليّة الدوليّة، مثل صندوق النقد الدوليّ والبنك الدوليّ، على الأمم الضعيفة بهدف دمجها في قاطرة الاقتصاد الدوليّ التي تصبُّ بالأخير في مصلحة القوى الكبرى الدوليّة.
3. التأكيد على أهميّة الإرادة السياسيّة التي تُعبّر قاطرة النجاح الحقيقيّة لأيّ استراتيجيّة تّمويّة، والتي بدونها تتحوّل الجهود الرامية إلى التّميّة إلى مجرد إجراءات جُربيّة، ربما تُحقّق بعض النجاحات الوفّقيّة أو الظرفيّة، لكنها قطعاً لن تُحقّق التّميّة بمفهومها الشامل المستدام.
4. بيان أهميّة التدرّج في تغيير الأمم والمجتمعات، والذي يُعدُّ جوهر القوة الناعمة؛ حيث تجسّد خبرة العدالة والتّميّة في تركيا تأكيداً على هذه الأهميّة، لا سيّما مع انتهاج الحزب استراتيجيّات متوازنة للتغيير داخلياً وخارجياً؛ حيث مثّلت نجاحات الداخل منطلقاً لنجاحات الخارج، كما مثّلت النجاحات الخارجيّة لتركيا بدورها في تدعيم وإسراع وتيرة التغيير القيميّ والمؤسّسيّ على الصعيد الداخليّ.

فترة إعداد الدراسة

استغرق إعداد هذا الكتاب قرابة ثلاثة أعوام؛ بدايةً من مطلع العام 2016م وحتى مطلع العام 2019م؛ واستمرّ المؤلّف في مُعايشة قضايا هذا الكتاب طوال هذه المدة؛

تأليفاً ودراسةً ومتابعةً للأحداث عن كَتَبٍ؛ نظراً لطبيعة الكتاب الوصفية التحليلية. والحقيقة أنني كنتُ كلِّمًا هَمَمْتُ بدَفْعِ الكتاب للطباعة؛ يحدث في الأجواء التركيبية وقائع مهمة؛ فأرى لزاماً عليّ التريث قبل دَفْعِهِ للنشر؛ نظراً لسخونة تلك الأحداث وأهميتها، وتطوراتها المتتابعة، وتسارعها وترابطها، وتأثيرها على فحوى الكتاب وقضاياها؛ فمن الانقلاب العسكري الفاشل، مروراً بالعديد من الاستحقاقات الانتخابية التركيبية المهمة والمؤثرة، والتحديات الاقتصادية، وكذا نظراً للتأثيرات المستمرة للأزمة السورية، وتفاعلات علاقات تركيا المحلية والإقليمية والدولية.

مما فرض عليّ في كثيرٍ من الأحيان التمهُّل للإحاطة بنتائج تلك الأحداث الساخنة التي شهدتها تركيا خلال فترة إعداد الدراسة؛ لأنني شعرتُ بأنَّ عدم تضمين هذه الأحداث ونتائجها في طيات الكتاب يُخِلُّ بنتائجه، ويُعْطِلُ عَرْضَ أحداثٍ مهمَّة. وحيث إنني أسعى لتقديم كتابٍ مُتمَيِّزٍ وبحثٍ أكاديميٍّ مُحْكَمٍ ودقيقٍ يبقى مؤثراً للأزمان طويلة، وباكورة الإنتاج الفكري في هذا المجال، وليصبح مرجعاً للباحثين من بعدي؛ عسى أن أكون قد وفقت في دراسة وتحليل تلك الأحداث وتقديمها بصورة موضوعية.

الدَّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ:

ثمَّة مجموعة من الدَّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي تَنَاوَلَتْ بِالرَّصْدِ وَالتَّحْلِيلِ مَفْهُومَ القُوَّةِ فِي العِلاَقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ، وَعِناصِرَ ومَحَدِّدَاتِ قُوَّةِ الدَّوْلَةِ، وَمِناهِجَ قِياسِ قُوَّةِ الدَّوْلَةِ، كَمَا تَعَدَّدَتِ الدَّرَاسَاتُ الَّتِي تَنَاوَلَتْ الدَّوْلَةَ التُّرْكِيَّةَ، وَعِناصِرَ القُوَّةِ الَّتِي تَمْتَلِكُهَا وَاسْتِراتِيجِيَّتِهَا فِي تَوْظِيفِ تلكِ العِناصِرِ عَلى الصَّعِيدِ الدَّوْلِيِّ، وَالدَّورَ القِياديَّ الَّذِي لَعِبَهُ حِزْبُ العَدَالَةِ وَالتَّنْمِيَةِ فِي نَهْضَةِ تَرْكِيَا.

ويمكن بشكل عام الإشارة إلى بعضٍ من هذه الدَّرَاسَاتِ وَفَقاً للتصنيف التالي:

- دراسات حول مفهوم القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة:
وتعالج هذه الدَّرَاسَات مفهوم القُوَّة وتَطَوُّره، وأنواع القُوَّة ما بين مَادِيَّة وَمَعْنَوِيَّة، وتطبيقات القُوَّة ما بين الصَّلْبَة والنَّاعِمَة والدَّكِيَّة، وكذلك مُؤَشِّرَات القُوَّة كَمِيًّا وَكَيْفِيَّةً قِيَاسَهَا، ومن هذه الدَّرَاسَات:
 - منهج قياس قُوَّة الدولة واحتمالات تطوُّر الصَّرَاع العَرَبِي الإسرائيلي، للدكتور جمال زهران، من منشورات مركز دراسات الوحدة العَرَبِيَّة، بيروت، 2006(1)، وهي دراسة كَمِيَّة تطبيقيَّة اضطلع فيها الباحث ببناء مقياس كَمِيّ يستند إلى مقولات اقتراب قياس قُوَّة الدولة، لبيان الفجوة الحاصلة في موازين القُوَّة بين الدول العَرَبِيَّة ودولة الاحتلال الصُّهْيُونِيّ؛ إسرائيل، ويبدو الإطار النَّظَرِيّ لهذه الدراسة هو الأبرز باعتبار أن عمليَّة بناء المقاييس الكَمِيَّة ليست بالأمر الهين، لا سيَّما مع كون المقياس الَّذِي بناه الباحث قائماً على استطلاع رأي عددٍ كبيرٍ من الخبراء والأكاديميِّين المعنَّيين بالعلاقات الدَّوْلِيَّة والدَّرَاسَات الصَّرَاعِيَّة ودراسات توازن القوى.
 - دراسات في النَّظَرِيَّة السِّيَاسِيَّة، للدكتور مصطفى كامل السيّد، وهو كتاب يَتِمُّ تدريسه في مقرَّرات كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة، ومن منشوراتها كذلك، لعام 2006(2)، ويشرح فيه الباحث التَّطَوُّرَات الجديدة في حقل النَّظَرِيَّة السِّيَاسِيَّة، وخاصَّة ما يَتعلَّق بمفهوم القُوَّة، وهي مفهوم رئيس في الدَّرَاسَات الاجْتِمَاعِيَّة بشكل عام، وخاصَّة حقل النُّظُم السِّيَاسِيَّة، وحقل العلاقات الدَّوْلِيَّة، على حدِّ سواء.

1. جمال زهران، منهج قياس قُوَّة الدولة واحتمالات تطوُّر الصراع العربي الإسرائيلي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العَرَبِيَّة، 2006م.
2. مصطفى كامل السيّد، دراسات في النَّظَرِيَّة السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2006م.

- مفهوم تحوُّل القُوَّة في نظريَّات العلاقات الدَّولِيَّة: دراسة الحالة الصِّينيَّة، للباحث أحمد عبدالله الطحلاوي، وهي رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة، 2009(1)، وهي دراسة أكاديميَّة يناقش فيها الباحث مفهوم تحوُّل القُوَّة في العلاقات الدَّولِيَّة، والذي يشير إلى دِيناميَّة بناء القُوَّة للدول وقدرة كلِّ دولة على بناء قدراتها الذاتِيَّة للصعود في سُلَّم النُّظَام الدَّولِيِّ بشكل مُتدرِّج، مع التطبيق على حالة الصُّعود الصِّينيِّ في النُّظَام الدَّولِيِّ كقُوَّة بدأت إقليميَّة، ثمَّ عَدتْ عالميَّة كبرى، على كافَّة الأصدء؛ السِّيَاسِيَّة والاقتصاديَّة والعسكريَّة وحتى الثَّقافيَّة والعلميَّة.
- القُوَّة النَّاعِمَة، لعالم السِّيَاسَة الأَمْرِيكِيَّة الشهير؛ والخبير في شؤون الأمن القومي، جوزيف ناي، وهي دراسة بالإنجليزية ترجمتها مكتبة العبيكان، 2007(2)، وفيها قدَّم ناي رؤيته بشأن التَّطوُّرات التي طالت مفهوم القُوَّة في العلاقات الدَّولِيَّة، والتي حوَّلت مفردات القُوَّة التَّقليديَّة من الصِّبغ الصَّلْبَة القائمة على الأبعاد العسكريَّة بالأساس، إلى الصِّبغ النَّاعِمَة القائمة على مفردات غير عسكريَّة تستند إلى جاذبيَّة نموذج الدولة اقتصاديًّا وثقافيًّا وعلميًّا وحضاريًّا بشكل رئيس.
- القُوَّة الذَّكيَّة في السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة، للباحثة سماح عبدالصبور، من مطبوعات دار البشير، بمصر، 2014م، وهي في الأصل أطروحة علميَّة بكلية الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة(3)، وقد أصَّلت فيها الباحثة

1. أحمد عبدالله الطحلاوي، مفهوم تحوُّل القُوَّة في نظريَّات العلاقات الدَّولِيَّة.. دراسة الحالة الصِّينيَّة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2009م.
 2. جوزيف ناي، القُوَّة النَّاعِمَة، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، مكتبة العبيكان 2007م.
 3. سماح عبدالصبور عبدالحى، القُوَّة الذَّكيَّة في السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2014م.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

لتطوُّرٍ جديدٍ في دراساتِ القُوَّةِ، ألا وهي القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ، وهي التي تعني القُدْرَةَ على الجمعِ بين مفرداتِ القُوَّةِ النَّاعِمَةِ مع القُوَّةِ الصَّلْبَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ للوصولِ إلى مزيجٍ فعَّالٍ من مركِّباتِ القُوَّةِ تعملُ على تحقيقِ أهدافِ الدولةِ الحَيَوِيَّةِ ومصالحها الاستراتيجيَّةِ في تفاعلاتها الخارِجِيَّةِ وعلاقتها الدُّوْلِيَّةِ.

- سياساتِ القُوَّةِ الذَّكِيَّةِ ودورها في العلاقاتِ الدُّوْلِيَّةِ، للباحثِ كريمِ أبو حلاوة، من مطبوعاتِ مركزِ دمشق للأبحاثِ والدِّرَاسَاتِ، 2015(1)، وقد حلَّ فيها الباحثُ الأدوارَ التي تضطلعُ بها القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ في السِّيَاسَةِ الخارِجِيَّةِ للدولِ، وتأثيرِ سياساتِ القُوَّةِ الذَّكِيَّةِ على العلاقاتِ الدُّوْلِيَّةِ القائمةِ؛ إقليمياً وعالمياً.

- دراساتِ حولِ القُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ واستراتيجياتِها في العلاقاتِ الدُّوْلِيَّةِ: ونُعنى هذه الدِّرَاسَاتِ بدراسةِ مفرداتِ القُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ، والاستراتيجياتِ التُّرْكِيَّةِ المُرَكَّبَةِ في العلاقاتِ الدُّوْلِيَّةِ، ومن هذه الدِّرَاسَاتِ:

- تعاضمِ الدورِ الإقليميِّ لتركيا، للباحثِ عبدالله تركماني، من مطبوعاتِ دارِ نقوشِ عَرَبِيَّةِ، تونس، 2010(2)، وفي هذه الدراسةِ يناقشُ الباحثُ، مُبَكِّراً، ظاهرةَ صعودِ الدورِ التُّرْكِيِّ في محيطها الإقليميِّ، وذلك بعد نحو 8 سنواتٍ من وصولِ حزبِ العدالةِ والتَّنْمِيَةِ إلى سُدَّةِ الحكمِ في أنقرة، وإعادةِ هندسةِ السِّيَاسَةِ التُّرْكِيَّةِ؛ خَارِجِيًّا وَدَاخِلِيًّا على أُسُسٍ جديدةٍ، تتسَّقِ مع تطوُّراتِ النُّظَامِ الدُّوْلِيِّ، وتستندُ إلى الرصيدِ التَّارِيخِيِّ للدولةِ التُّرْكِيَّةِ العريقةِ.

1. كريم أبو حلاوة، سياساتِ القُوَّةِ الذَّكِيَّةِ ودورها في العلاقاتِ الدُّوْلِيَّةِ، مركزِ دمشق للأبحاثِ والدِّرَاسَاتِ، 2015م.

2. عبدالله تركماني، تعاضمِ الدورِ الإقليميِّ لتركيا، الناشر: دار نقوشِ عَرَبِيَّةِ، تونس، الطبعة الأولى، 2010م.

• العُمق الاستراتيجي.. موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، لمهندس السياسة الخارجية التركية المعاصرة، الدكتور أحمد داوود أوغلو، من ترجمات ومطبوعات مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2010(1)، وهي دراسة تنظيرية رائدة قدم خلالها داوود أوغلو رؤيته حول الدور الإقليمي والدولي لتركيا، والمرتكزات التي يستند إليها صانع القرار التركي في حركته الخارجية، وفي هذه الدراسة لفت داوود أوغلو نظر صانع القرار التركي إلى البعد الشرق أوسطي الحيوي؛ العربي والإسلامي، للدولة التركية كعمق استراتيجي للبلاد، كما قدم مفهوم "صفر مشاكل" أو "تفسير المشكلات"، مع دول الجوار كمركز رئيس لحركة السياسة الخارجية التركية الجديدة، كما ناقش فيها داوود أوغلو مقومات القوة التركية الناعمة بقلم رشيق جعل هذا الكتاب إطار عمل لحكومة العدالة والتنمية في أنقرة لسنوات.

• القوة الناعمة في المنطقة العربية (السعودية - إيران - تركيا) دراسة في الاستراتيجيات والتأثير، لمجموعة من الباحثين، من مطبوعات مركز الفكر

1. صدرت الطبعة الأولى من كتاب "العُمق الاستراتيجي" باللغة التركية عام 2001م، قبل أن تصدر الطبعة الأولى من ترجمته العربية في العام 2010م، وهو من أهم الكتب السياسية التي انطلقت منها رؤية حزب العدالة والتنمية، ينطلق أحمد داوود أوغلو في كتابه المرجعي من اعتبار أن قيمة الدولة في العلاقات الدولية تتحدد بشكل رئيس من موقعها الجيوستراتيجي، ومن عمقها التاريخي. وعليه فإن تركيا ذات الهوية المركبة من هوية شرق أوسطية وبلقانية وآسيوية عليها أن تنهج سياسة خارجية تهدف إلى إرساء دعائم استقرار داخلي وإقليمي، لأنه بواسطتهما يتحقق الأمن القومي التركي، الأمر الذي يرتب عليه ضرورة أن توظف تركيا، موروثها التاريخي والجغرافي في سياستها الخارجية بالشكل الأمثل. وإذا كان مفهوم "العُمق الاستراتيجي" يجري تداوله عادة في الأدبيات العسكرية، إلا أن أوغلو قام بتوظيفه في ميدان العلوم السياسية، وبالتحديد في علاقات بلاده الدولية؛ من خلال رصد مظاهر هذا العمق الذي تتمتع به تركيا، ساعياً إلى إخراجها من حالة الطرفية والهامشية، التي عاشتها خلال مرحلة الحرب الباردة لتصبح بلداً مركزياً فاعلاً يضطلع بأدوار محورية ومؤثرة في مختلف القضايا الإقليمية والدولية. للمزيد يُنظر: أحمد داوود أوغلو، العُمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة: محمد جابر تلجي وطارق عبدالجليل، الدار العربية للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الثانية، 2011م.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

الاستراتيجيَّ للدراسات، إسطنبول، تركيا، 2018(1)، ويناقد الكتاب في إطار مقارن مفردات واستراتيجيات القُوَّة النَّاعِمَةُ الَّتِي تحوزها وتطبِّقها كلُّ من السُّعُودِيَّة وإيران وتركيا؛ كبرى الدول الإقليمِيَّة في منطقة الشرق الأوسط، وكيف تقوم هذه الدول الثلاث بتطبيق ما تحوزُه وتملُكُه من مفردات القُوَّة النَّاعِمَةُ في تفاعلاتها الإقليمِيَّة والدوليَّة، وما هي الثَّغْرَات ونقاط الضَّعْف التَّطْبِيقِيَّة الَّتِي تقع فيها الدول الثلاث أثناء حركتها لتوظيف مفردات القُوَّة النَّاعِمَةُ في علاقاتها الدوليَّة بشكلٍ فعَّالٍ.

• **دراسات حول حزب العدالة والتَّنْمِيَّة ودوره في نهضة تركيا:**
وتقدم هذه الدَّرَاسَات تحليلاً لِبُنْيَةِ الفِكْرِيَّة والسِّيَاسِيَّة لحزب العدالة والتَّنْمِيَّة التُّرْكِي الحَاكِم ودوره في تقدُّم ونهضة تركيا، والتَّأسِيس للتَّنْمِيَّة المستدامة في تركيا وصيغة سياساتها الخَارِجِيَّة كقطب إقليميٍّ له حضوره ووزنه على صعيد العلاقات الدوليَّة، ومن هذه الدَّرَاسَات:

• **التجربة التُّرْكِيَّة من أتاتورك إلى أردوغان، للباحث؛ محمد صادق إسماعيل، من منشورات العَرَبِيِّ للنشر والتوزيع بالقاهرة، 2013(2)، وهي دراسة مقارنة قدِّم فيها الباحث إطاراً تَقْيِيْمِيّاً لسياسات الدولة التُّرْكِيَّة منذ حِقْبَةِ مؤسِّس تركيا الحديثة مصطفى كمال أتاتورك وصولاً إلى حِقْبَةِ العدالة والتَّنْمِيَّة بزعامة رجب طيِّب أردوغان، مع التَّأكِيْد على التَّطَوُّرَات الَّتِي حدثت في السِّيَاسَةِ التُّرْكِيَّة على الصَّعِيد الدَّاخِلِيِّ، وعلى الصَّعِيد الخَارِجِيِّ، مُتَمَثِّلاً في دور تركيا الإقليمِيِّ والدوليِّ، خلال فترة حكم حزب العدالة والتَّنْمِيَّة.**

1. أحمد حسين، سعد القحطاني، مظهر الصفوي، علي جار الله، القُوَّة النَّاعِمَةُ في المنطقة العَرَبِيَّة (السُّعُودِيَّة-إيران- تركيا) دراسة في الاستراتيجيَّات والتأثير، مركز الفكر الاستراتيجيَّ للدراسات، إسطنبول، تركيا، 2018م.
2. محمد صادق إسماعيل، التجربة التُّرْكِيَّة من أتاتورك إلى أردوغان، "العربي" للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2013م.

- التجربة النهضوية التركية، للباحث محمد زاهد جول، من منشورات مركز نماء للبحوث والدراسات، ببيروت، 2013(1)، ويحلل الباحث في هذه الدراسة خبرة النهضة التركية خلال فترة العشر سنوات الأولى من حكم العدالة والتنمية، ويرصد فيها الباحث أبرز التطورات النهضوية التي شهدتها تركيا؛ داخلياً وخارجياً، خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة؛ نسبياً، في عمر الأمم والشعوب.

الدراسة محل البحث:

وسوف تستفيد دراستنا هذه من الدراسات السابقة، على تنوع مقترباتها البحثية، وتعدد مجالات اهتمامها، بما يخدم أهداف الدراسة وتصميمها البحثي ورؤيتها التحليلية الكلية، مع التأكيد على شمولية هذه الدراسة واستغراقها لتغطي كافة مستجدات الحالة التركية الراهنة بما يخدم المنطلق التحليلي للدراسة، والمعني بجوهر ومقومات وأثار تطبيق القوة التركية الناعمة، وسبل توظيفها، مع إبراز كون الخبرة التركية شاملة في استخدام القوة الناعمة بمفهومها الشامل، والذي يشمل قوى متعددة، لتشكل في النهاية قوة واحدة مؤثرة؛ لتكون الدراسة أكثر شمولاً لما تحوزه الدولة التركية تحت قيادة العدالة والتنمية والرئيس رجب طيب أردوغان من مفردات متعددة للقوة الناعمة بما يكسب استراتيجيات الصعود التركي؛ إقليمياً ودولياً، أكثر مرونة وجاهزية وقدرة على تحقيق مصالح وأهداف واستراتيجيات الدولة التركية؛ إقليمياً ودولياً.

ومع عناية دراستنا هذه بالجوانب التنظيرية المفاهيمية المتعلقة بالقوة؛ من صلبة إلى ناعمة إلى ذكية، فإنها لا تغفل الجوانب التطبيقية المتعلقة بالحالة التركية، كنموذج

1. محمد زاهد جول، التجربة النهضوية التركية، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، بيروت 2013م.

صاعد فيما يتعلّق بتطبيقات القوة الناعمة في العالم، ومن ثمّ تناقش الدراسة بتحليل معمّق كافة التطوّرات الرّاهنة التي مرّت بها الخبرة التركيبية للقوة الناعمة، وكيف أثّرت، وتأثّرت بتلك التطوّرات؛ داخلياً، وخارجياً.

فعلى الصعيد الداخلي ناقشت الدراسة عدداً من القضايا المهمّة في هذا الإطار، لعل أبرزها؛ محاولة الانقلاب الفاشلة يونيو 2016م، والاستفتاء على التعديلات الدستورية لتحويل النظام السياسي التركي إلى النظام الرئاسي، أبريل 2017م، وصولاً إلى الانتخابات الرئاسية والتشريعية المبكرة، يونيو 2018م، والتي أسفرت عن فوز كبير للرئيس أردوغان ولحزب العدالة والتنمية؛ ما يعنّي مزيداً من الرُسوخ والتجذّر للخبرة التركيبية في مجال التحوّل الديمقراطي واستدامة التنمية، وخارجياً؛ وخاصّة ما يتعلّق بتطور الأحداث السورية وتطوّرات المشهد في العراق وإيران ومنطقة الشرق الأوسط ككل.

حدود الدراسة:

تنطلق الدراسة من حدود زمنية ومكانية معيّنة، تتسق وطبيعة الدراسة وتساؤلاتها البحثية ورؤيتها التحليلية وأهدافها الكلية، فهي زمانياً تغطّي الفترة التي صعد فيها الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم في البلاد منذ مطلع الألفية الجديدة وحتى العام 2018م، وهي مكانياً تعنى بالدولة التركية محلّ البحث والتحليل والرصد، وتشريح ظاهرة صعود القوة التركيبية الناعمة؛ إقليمياً ودولياً.

ومع ذلك فإنّ الدراسة تتسم بالمرونة البحثية اللازمة لإنجاز أهداف العمل، فلا يمنعها جمود المكان من تغطية التفاعلات الخارجية التي تلقى بظلالها؛ تأثراً وتأثيراً، على النموذج التركي في القوة الناعمة، ومن ثمّ فهي تمتدّ مكانياً لتحلّل تأثير السياقات الإقليمية الرّاهنة على الدولة التركية، وخاصّة في ظلّ الحالة الصراعية المعقّدة لجوارها المباشر، والذي تمثله الأزمة السورية المُنبتة من حِقبة الربيع العربيّ الأفلة. كما لا يمنعها محدودية الزمان من أن تستفيد من التاريخ التركي المعاصر، مقارنةً واستدلالاً، لبيان تطوّرات المشهد التركي الراهن مقارنةً ومناظرةً مع نظيره التركيّ حتى قبيل شروق حِقبة العدالة والتنمية التي تزامنت مع بداية ألفية جديدة قطعاً

لن تكون مُشابهة لما سَبَقَها مِن عُقُودٍ وقرون خَلَّتْ، كما لا يَمْنَعُها المَحْدُودِيَّةُ الزمانيَّةُ كذلك من الحديث عن استشراف مآلات تركيا المستقبل، وخصَّصةً في ضوء ما رسمته القيادة التُّركيَّةُ للبلاد في اسْتِراتِيجِيَّةِ 2023م الَّتِي تُمثِّلُ حلقةً من حلقات تطوُّر الدولة التُّركيَّةِ الحديثة الَّتِي اسْتطاعت عبر نموذجهما الفريد لِلقُوَّةِ النَّاعِمةِ الجامع بين الأصالة والمعاصرة؛ استلهام روح التاريخ والخروج من أسْر البقاء فيه بما تجاوزه الزمن وتخطَّاه العصر، والمزج بين القيميِّ والبراجماتيِّ، الهويَّاتيِّ والعقدِيِّ، الأوروبِّيِّ والشرق أوسطِيِّ، الغَرْبِيِّ والشرقيِّ، وغير ذلك مما تَنفَرَّدُ به تركيا كجِسْرٍ حَضاريِّ عريقٍ يجمع بين متناقضات الجُغرافيا وتَشعُّبات التاريخ.

منهج الدراسة:

ثمَّة اقتربان رئيسان في الأدبيَّات الَّتِي تتناول بالتَّحليل والدراسة، مفهوم قُوَّة الدولة بتجليَّاتها المختلفة؛ الأول: يوازي بين قُوَّة الدولة والحجم، أي السَّيطرة على أكبر قدرٍ من الموارد (الاقتراب الكميِّ). والثاني: يرى أن قُوَّة الدولة تُترجمُ إلى القُدرة على صناعة سياسات أو قرارات مُستقلَّة أو ذات اسْتِقلاليَّة (الاقتراب الكيفيِّ).

وغالباً ما تكون الموارد المقصودة في الاقتراب الأول موارد اقتصاديَّة تختصُّ بالموارد الطَّبيعيَّة، وحجم الإنتاج، وهيكله وحجم القُوَى العاملة ونوعيتها. ولقد تَبَيَّن البعض معيار حجم القطاع العام مُعبِّراً عن حجم الدولة، وتخصيص الموارد الَّتِي تُقدَّر خلال نصيب الدولة في الناتج المحليِّ الكُلِّيِّ والاستهلاك، وذلك بالإضافة إلى الإنفاق الحكومي في مجالات مُختارة مثل الإنفاق العسْكريِّ أو على التعليم، وتستخدم هذه النُّوعيَّة من البيانات كمؤشِّر لقوة الدولة أو القُدرة السِّياسيَّة (1).

1. باكينام الشرقاوي، قُوَّة الدولة وبرامج التَّكْييف الهيكلي: دراسة مقارنة للحالتين التُّركيَّة والإيرانيَّة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّياسيَّة، 2000م، ص 32.

القوة التركيبية الناعمة

بالنظر إلى طبيعة الدراسة، وأتساقاً مع أهدافها الكلية ورؤيتها التحليلية، تستخدم الدراسة اقتراباً مركباً يتكون من مقتربين اثنين، أولهما وصفي: يتمثل في اقتراب دراسة الحالة، والذي يعرف بأنه "المنهج المعتمد على دراسة حالة معينة بهدف جمع معلومات متعمقة عنها"⁽¹⁾، وهي هنا خبرة القوة التركيبية الناعمة وتوظيفها استراتيجياً لخدمة المصالح العليا للبلاد ورؤيتها التنموية؛ حيث يكون اقتراب دراسة الحالة مناسباً للاستخدام والتوظيف المنهجي عندما يكون تركيز البحث على ظاهرة معاصرة ضمن سياق الحياة الواقعية.

وثانيهما تحليلي: يتمثل في اقتراب قياس قوة الدولة، وهو اقتراب يجمع بين مقولات المدرستين الكمية والكيفية في دراسات القوة، ويتيح التعاطي الإجرائي مع دراسات القوة بأوجهها المختلفة: الصلبة، الناعمة، والذكية⁽²⁾.

وينهض الاقترابان معاً كإطارين؛ أحدهما وصفي والآخر تحليلي للبحث في القوة الناعمة ودورها في النهضة التركيبية الاقتصادية الحديثة، والأدوات التي استخدمها حزب العدالة والتنمية في تطويع العلمانية التركيبية، وترويضها، وأيضاً وسائله في كسب تأييد الشعب التركي. وكذلك أسباب فاعلية الدبلوماسية التركية وقوتها الخارجية، وكيف أثر كل ما سبق على نهوض وتطور الاقتصاد التركي، ولماذا أصبحت تركيا جاذبة لرؤوس الأموال والمستثمرين حول العالم، ودور القوة الناعمة في تحقيق هذا النمو الاقتصادي.

1. For more details; Russell K. Schutt. Making Sense of the Social World: Methods of Investigation, University of Massachusetts, Boston. 1996.

2. جمال علي زهران، مناهج قياس قوة الدول مع التطبيق على توازن القوى بين الدول العربية وإسرائيل، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1988م.

الفصل الأول

مفهوم القوة في العلاقات الدولية..

المُقْتَرَبَاتِ وَالِاتِّجَاهَاتِ

- مقدمة
- **المبحث الأول: التَطَوُّرَاتِ الْمَفَاهِيمِيَّةِ لِلْقُوَّةِ فِي الْعِلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ**
 - أولاً: القُوَّةُ النَّاعِمَةُ والقُوَّةُ الصَّلْبَةُ
 - ثانياً: القُوَّةُ الصَّلْبَةُ
 - ثالثاً: القُوَّةُ النَّاعِمَةُ
 - رابعاً: القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ
- **المبحث الثاني: القُوَّةُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْكُمُونِ**
 - تَحَوُّلُ القُوَّةِ فِي الْعِلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ
 - مفهوم توازن القُوَى
 - القُوَّةُ وَالْعِلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ الْاِتِّجَاهَاتِ وَالْمُكُونَاتِ وَالْقِيَاسِ
 - القُوَّةُ فِي الْعِلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ الْمَحْدَدَاتِ وَمِنَاهِجِ الْقِيَاسِ

الفصل الأول

مفهوم القوة في العلاقات الدولية.. المقتربات والاتجاهات

مقدمة

يُعدُّ مفهوم القوة *The Power* من المفاهيم الجوهرية والجدلية في آن واحد، فعلى الرغم من قِدَمِ المفهوم، وتعدُّد تناوُلِهِ على مَدَى عصور مختلفة من تاريخ الإنسانية على أيدي فلاسفة وعلماء ومُفكِّرين شتَّى، باعتباره أحد المفاهيم الأساسية التي قامت عليها العلاقات البشريَّة منذ الأزل سواءً على مستوى الأفراد أو الجماعات، إلا أن ذلك لم يحقِّق اتفاقاً أو إجماعاً بشأن تعريف القوة كمفهوم "as a concept" ، إلا أنه يمكن القول: إن الاختلافات القائمة بين العلماء والمُفكِّرين لم تكن جوهرية بالقدر الكبير، وذلك من الناحية العملية على الأقل والتي تختلف كثيراً في طبيعتها عن المداولات البحثية الأكاديمية دون التقليل من أهميَّة الأخيرة.

ويُعتبر مفهوم القوة أحد المفاهيم المركزيَّة المهمَّة التي يركِّز عليها عددٌ من العلوم الإنسانية، مثل الاجتماع والفلسفة وعلم النفس، إلى جانب علم السِّياسة، ويكاد معنى المفهوم ومدلوله يكون واحداً في معظم العلوم الاجتماعيَّة؛ حيث يدور في إطار القدرة على الفعل والاستطاعة والطاقة -وهي ضدُّ الضعف- ويمتدُّ ليشمل التأثير والنُفوذ والسُّلطة (1).

1. مصطفى كامل السيد، دراسات في النظرية السِّياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السِّياسية، جامعة القاهرة، 2006م، ص 11.

والقُوَّة، كَلْفُظٍ كَثِيرًا مَا يَتِمُّ تَدَاوُلُهَا عِنْدَ وَصْفِ الْأَحْدَاثِ الْجَارِيَةِ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ؛ إِذْ تَشْمَلُ مَعَانِي كَثِيرَةً تَتَوَارَدُ فِي الْأَذْهَانِ، وَتَعْرِيفَاتٍ شَتَّى تَنْحُو مَنَاحِي التَّخْصُّصَاتِ. فَإِذَا كَانَتِ الْقُوَّةُ تُعْرَفُ فِي الْفِيْزِيَاءِ عَلَى أَنَّهَا فَاعِلٌ مُؤَثِّرٌ عَلَى الْأَجْسَامِ بِعَوَامِلِ التَّغْيِيرِ فِي الْحَالَةِ أَوْ الْإِتْجَاهِ، فِي الْمَوْضِعِ أَوْ الْحَرَكَةِ (1)، فَإِنَّ الْمَعْنَى التَّقْلِيدِيَّةَ لِلْقُوَّةِ يَلْزِمُ صُورَةَ الْبَطْشِ وَالْإِرْغَامِ أَوْ الْقَسْرِ وَسُلْطَةَ إِصْدَارِ الْأَوَامِرِ، وَأَيْضًا الْقُدْرَةَ عَلَى فِعْلِ الْأَشْيَاءِ وَتَغْيِيرِهَا. وَبِتَعْيِيرِ أَدَقِّ، فَإِنَّ الْقُوَّةَ هِيَ الْقُدْرَةُ عَلَى التَّأْثِيرِ فِي سُلُوكِ الْآخَرِينَ لِلْحَصُولِ عَلَى النَّتَائِجِ الَّتِي يَتَوَخَّأُهَا الْفَرْدُ أَوْ الْجَمَاعَةُ. وَهُوَ مَا يَتَجَلَّى فِي فَرَضِ دَوْلٍ عَلَى أُخْرَى، أَوْ فِي مَا بَيْنَهَا، ضُغُوطٌ سِيَاسِيَّةٌ وَاقْتِصَادِيَّةٌ بَلْ وَنَفْسِيَّةٌ أَيْضًا، نَاهِيكَ عَنِ الْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْحَاسِمَةِ.

وَإِذَا كَانَ التَّصْنِيفُ يَسْمَحُ لَنَا بِتَقْسِيمِ الْقُوَّةِ دَلَالِيًّا وَإِجْرَائِيًّا إِلَى قُوَى مُتَعَدِّدَةِ الْأَشْكَالِ، فَإِنَّ تَعْرِيفَ مَفْهُومِ الْقُوَّةِ اصْطِلَاحِيًّا وَلُغَوِيًّا لَا يَسْتَكِينُ لِلتَّفْسِيرِ الْوَاحِدِ، وَلَا يَسْتَقِرُّ فِي مَنْهَجٍ أَوْحَدٍ، فَالْقُوَّةُ فِي الْمَعْنَى الْمُعْجَمِيَّةِ خِلَافَ الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ وَالْإِنْهَادِ، وَتَشْمَلُ مَرَادِفَاتِهَا لِللُّغَوِيَّةِ مَعَانِي الصَّلَابَةِ وَالْبَاسِ وَالشَّدَّةِ وَالْجَبْرُوتِ وَالسُّلْطَانَ وَالْمَنَاعَةَ وَالْعُلْبَةَ وَالتَّمَكُّنَ إلخ.. وَلَهَا مَادَةٌ عَنِيَّةٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ التَّرَاثِيَّةِ (2).

كَمَا أَفْرَدَ لَهَا ابْنُ خَلْدُونَ مَادَةً خَاصَّةً فِي مُقَدِّمَتِهِ، الَّتِي تَنَاوَلُ مِنْ خِلَالِهَا بِالتَّحْلِيلِ عَصْرَ الذُّرْوَةِ أَوْ التَّمَكُّكِ فِي الْوَحْدَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الْكُبْرَى، وَتَمَكُّنَ الْعَصَبِيَّةِ الْقَبَلِيَّةِ فِيهَا،

1. Power Concept, The Physics Hypertextbook, available at: goo.gl/T0vv1g

2. ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد الحضرمي)، مقدمة كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الباب الثالث: الكتاب الأول في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الأحوال، وفيه قواعد ومتممات، الفصل الثامن عشر في أن آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أصلها، الدار التونسية للنشر، 1984م.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

يقول فيها: "والسبب في ذلك أن الآثار إنما تحدت عن القُوَّة التي بها كانت أولاً، وعلى قدرها يكون الأثر، فمن ذلك مباني الدولة وهياكلها العظيمة" (1).

وإجمالاً، فإنَّ القُوَّة مهما كان تصنيفها فهي ليست هدفاً في حد ذاتها، بخلاف مقولات المدرسة الواقعية التي تعتبر القُوَّة غايةً في حد ذاتها (2)، بل هي وسيلة وأداة تأثير ونفوذ لتحقيق أهداف الدول في ما يتعلّق بمصالحها الوطنيَّة والاقتصاديَّة أو أمنها القوميِّ وحفظ استقلالها السياسيِّ أو ردع قُوَّة مهدّدة، وغير ذلك من الأسباب، في جدليَّة ترتكز على ثنائيَّة القُوَّة وتحقيق المصالح، والتي تعني زيادة أحدهما بقدر مُعيَّن؛ تقوية للآخر تتناسب مع ما زاد في الأوَّل.

ومن ثمَّ يُعنى هذا الفصل بدراسة أقسام القُوَّة بالتفصيل، وماهيَّة خصائص ومظاهر القُوَّة بالتحديد، وأبرز التّطوّرات المفاهيميَّة للقُوَّة على صعيد العلاقات الدوليَّة، وتحليل أبرز اتّجاهات القُوَّة في العلاقات الدوليَّة، وأخيراً؛ وسائل وطريق قياسها كمياً وكيفياً.

1. انظر: لسان العرب لابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، مادة قُوَّة، وقاموس المعاني، ومعالج أخرى.
2. جوليان لايدر، حول طبيعة الحرب، مركز الدراسات العسكريَّة، دمشق، الطبعة الأولى، 1981م، ص 75.

المبحث الأول

التطورات المفاهيمية للقوة في العلاقات الدولية

في العلاقات الدولية يمكن تعريف القوة بأنها قدرة أحد الأطراف الدولية في التأثير على سلوك طرف دولي آخر ليقوم الأخير بما يرغب فيه الطرف الأول، وعليه فإن القوة باختصار هي القدرة الكامنة على التأثير في سلوك الآخرين (1). وعلى صعيد الدولة القومية، يمكن القول بأن القوة هي الإمكانية أو القدرة التي يمكن أن تستخدمها الدولة للوصول إلى أهدافها القومية في الصراع الدولي، إذن فالقوة هي الطاقة العامة للدولة لكي تسيطر وتتحكم في تصرفات وسلوك الفاعلين الدوليين الآخرين (2).

وعلى الصعيد الاستراتيجي؛ فإن قوة الدولة هي فاعليتها ووزنها في المجال الدولي الناتجين عن قدرتها على توظيف مصادر القوة المتاحة لديها في فرض إرادتها، وتحقيق أهدافها ومصالحها القومية والتأثير في إرادة الدول الأخرى ومصالحها وأهدافها (3)، ومن ثم فإن قوة الدولة بهذا المعنى تتحدد في ضوء محددين رئيسين؛ هما: حيازة مصادر القوة، والقدرة على إدارة وتوظيف تلك المصادر، الأمر الذي

-
1. مصطفى كامل السيد، دراسات في النظرية السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2006م، ص 12.
 2. بتصرف، محمد ربيع وإسماعيل صبري مقلد، موسوعة العلوم السياسية، الكويت، جامعة الكويت، 1993م، ص 174.
 3. محمد علي الحلبي، قراءة في الفكر الأمريكي، 18 يناير 2008م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/kZlYp>

يعني في الأخير أن حيازة أي من مصادر القوة لا يكتسب وزناً وتأثيراً بمجرد وجوده وامتلاكه، فحسب، وإنما يرتبط هذا الوزن والتأثير بالتدخل تأثيراً وإدارةً لذلك المصدر وتحويله إلى سلوك فعال على الصعيد الدولي. ومن المناسب هنا، أن نُقدم إطلاقةً مفاهيميةً حول أبرز المفاهيم المرتبطة والمتعلقة بالقوة في العلاقات الدولية، والتي أبرزها: القوة الناعمة والقوة الصلبة، والقوة الذكيّة، وتحوّل القوة، وتوازن القوى، والردع، ونحو ذلك من المفاهيم ذات الصلة.

أولاً: القوة الناعمة والقوة الصلبة:

كمفهوم ضمن مفاهيم قديمة وعديدة، تناولها الباحثون بالشرح والتّحليل عبر عصور التاريخ المدوّن، أفضى تطوّر النظريّات والممارسات السياسيّة الدوليّة، وكذلك تعاضّم آثار وتكلفة تطبيق القوة العسكريّة، إلى تجاوز المعنى التقليدي للقوة الصلبة، مع ظهور تطبيقات جديدة لها، في إطار التّجديد أو التطوير. تحوّل أدّى إلى ظهور مصطلح آخر يُزاوج بين "الصلابة" و"النّعومة" في بداية التسعينيات من القرن الماضي. وتعني القوة الناعمة Soft power قدرة الدولة على التأثير والنّفوذ عبر أدوات الاستقطاب والإقناع، وتتأتّى من جاذبيّة تلك الدولة الثقافيّة أو السياسيّة أو الإعلاميّة وغيرها. في حين أن القوة الصلبة أو الخشنة Hard Power تعني قدرة الدولة على التأثير أيضاً، ولكن عبر أدوات الإكراه والإجبار المتأتيّة من القوة العسكريّة للدولة أو من تفوّق قدراتها الاقتصاديّة وملاءتها الماليّة (1).

ثانياً: القوة الصلبة:

وإذا كانت القوة لدى الدول تستمدّ مسماًها من مصادرها وقدراتها، بما تتضمّنه من عوامل عدّة؛ منها: الموقع الجغرافي، تعداد السكّان، الموارد الاقتصاديّة، القدرات الصناعيّة،

1. Joseph S. Nye, Soft Power, Hard Power and Leadership, John F. Kennedy School of Government, available at: goo.gl/ggdIU

القوة التركيبية الناعمة

الإمكانات العلمية والتكنولوجية، إضافة للقيم الثقافية، وطبيعة النظام السياسي في حدود استقراره السياسي والإداري في مدى اندماجه. فإن القدرات العسكرية المسلحة ومعها الأجهزة الأمنية والاستخباراتية من جهة، والاحتياط النقدي والقوة الدبلوماسية من جهة ثانية، تمنح مفهوم القوة الصلبة مرونة وتوسعاً يتجاوز المفهوم التقليدي للقوة، والذي يعرفها على أنها القدرة على فرض السيطرة على الآخرين عن طريق الإكراه أو الحوافز المادية.

وبما أن المصادر الأساسية للقوة الصلبة تتمثل في القوة العسكرية والقوة الاقتصادية، فإن إمكانية ممارستها تعتمد ثلاثة طرق رئيسية:

- الإكراه بالتهديدات: (التلويح بالعصا) عبر نشر قوات مسلحة، التهديد بالمقاطعة أو العقوبات.
- التحفيز بالإغراءات (التلويح بالجزرة) عبر المنح والامتيازات والمساعدات الاقتصادية.
- الإخضاع باستعمال القوة عبر التدخل أو الحصار العسكري، فرض العقوبات الاقتصادية، وغيرها.

ويمكن التمييز في هذا السياق بين مكونين أساسيين للقوة الصلبة: المكون الأول، ويتمثل في القوة العسكرية التي تعد من أكثر أشكال القوة الصلبة تقليدية، واستخداماً لتحقيق أهداف الدولة؛ إذ تتعدد صور وأشكال استخدام القوات المسلحة، فمنها قوة الردع؛ وتعني إصدار دولة ما تهديدات متكررة لمنع عدو ما من الشروع في عمل غير مرغوب فيه. والذي يتفرع بدوره إلى نوعين؛ الردع التقليدي عن طريق التهديد باستخدام الأسلحة التقليدية، والردع النووي عن طريق التهديد باستخدام سلاح الدمار الشامل. وأيضاً مهاجمة أهداف في أرض دولة معادية أو تنفيذ استراتيجيات دفاع عبر سلسلة من الإجراءات الفعالة، مثل نشر بطاريات الصواريخ وأنظمة الدفاع الجوي(1).

1. يمكن أن نذكر مثالاً واحداً على ذلك يتمثل فيما قامت به قوات حلف شمال الأطلسي "الناتو" بنشر أنظمة الدفاع الجوي وبتطاريات صواريخ "باتريوت" جنوبي تركيا؛ ففي 21 يونيو 2016م بدأت قوات حلف شمال الأطلسي بنشر بطاريات نظام الدفاع الجوي "باتريوت"، في ولاية قهرمان مرعش جنوب تركيا، وذلك للتصدي للهجمات المحتملة من الأراضي السورية نحو تركيا. (للمزيد يُنظر: تركيا بوست، "الناتو" ينشر بطاريات صواريخ "باتريوت" جنوبي تركيا؛ 21 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 19- 9- 2018م، الخبر متاح على الرابط التالي: [/https://www.turkey-post.net/p-138316](https://www.turkey-post.net/p-138316))

فيما المكوّن الثاني للقوّة الصّلبة يتجلّى في القوّة الاقتصاديّة للدولة، التي تعتمد على ارتفاع الناتج المحليّ، ونصيب الفرد من الدخل، ومستوى التقدّم التكنولوجي، والموارد الطبيعيّة والبشريّة، ومؤسّسات السوق. واستخدامها يعني استخدام الدوّلَة (أ) لأدوات اقتصادها المتطوّر، بقصد جعل الدوّلَة (ب) تقوم بإجراءات لصالحها، أو تخضع في الواردات والحظر على الصادرات أو فرض القيود على الاستثمار ومنع السفر؛ كما يجري مع السودان حالياً. (1)

وينتج عن فرض العقوبات الاقتصاديّة آثارٌ جدّ سلبية على اقتصاد الدوّلَة المعرّضة للعقوبات من حيث ضعف النّمُو الاقتصاديّ وهبوط العمّلة. بل وقد يؤدّي إلى انهيار الدوّلَة، وتقسيم ترابها الوطنيّ في حالة تحوّلها إلى حصار دوليّ كامل، بواسطة قرار من مجلس الأمن الدوليّ (2)، كما وقع في حالة العراق عقب حرب الخليج الأولى (3)،

1. خلال الفترة من 1988 وحتى العام 2017م فرضت الولايات المتّحدة الأمريكيّة على السودان عقوبات ماليّة وتجاريّة؛ لاعتبارات تتعلّق بانتهاكات برعاية الإرهاب وانتهاكات تتعلّق بحقوق الإنسان، تمّ بموجبها تجميد الأصول الماليّة السودانيّة، ومنع تصدير التكنولوجيا الأمريكيّة له، والزمّت الشركات الأمريكيّة، والمواطنين الأمريكيّين، بعدم الاستثمار والتعاون الاقتصاديّ مع هذا البلد، ومع مطلع يناير 2017م، أعلن البيت الأبيض رفضاً جزئيّاً لبعض العقوبات الاقتصاديّة المفروضة على الخرطوم منذ نحو ثلاثة عقود؛ نتيجة للتقدّم الذي أحرزه السودان في بعض القضايا الحقوقية، لكن الإدارة الأمريكيّة، مع ذلك، أبقت السودان على لائحة الدول الداعمة للإرهاب. يُنظر: العقوبات الأمريكيّة على السودان.. خريطة زمنيّة، صحيفة الشرق الأوسط، الأحد 17 محرم 1439هـ - 8 أكتوبر 2017م رقم العدد 14194.
2. مجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة (UNSC)، هو أحد الأجهزة الرئيسة التابعة للأمم المتّحدة، والمسؤولة عن حفظ الأمن والسلام الدوليّ. وتتضمّن سلطاتها طبقاً لميثاق الأمم، أنشئ مجلس الأمن وفقاً للمادة 23 من ميثاق الأمم المتّحدة بغرض الحفاظ على السلام والأمن الدوليّين، وهو الجهاز الوحيد الذي له سلطة اتخاذ قرارات تلتزم بتنفيذها الدول الأعضاء. للمزيد يُنظر الرابط التالي: <http://www.un.org/ar/sc/>
3. حرب الخليج الأولى هي الحرب العراقية الإيرانيّة، صراعٌ مُسلّح نشب بين العراق وإيران؛ بدأت منذ شهر أيلول 1980م حتى شهر آب 1988م. نشبت شرارة حرب الخليج الأولى منذ بدء الخلافات الناشئة بين البلدين العراق وإيران حول ترسيم الحدود بينهما، واستمرّت هذه الخلافات معلقة غير قابلة للحلّ مما أدّى إلى توتر العلاقات الثنائيّة بين الدولتين وخاصة فيما يتعلق بمنطقة شط العرب، إذ كانت تسعى كل منهما إلى فرض السيادة الكاملة على منطقة شط العرب بعد أن تتأسّمأها على خلية اتفاقيّة الجزائر المبرمة سابقاً سنة 1975م. ازدادت العلاقات توتراً بين البلدين عندما توفقت الطرفين عن مسدّد العون كل منهما للآخر، وأعلن الرئيس العراقي الراحل صدام حسين الحرب بمجرد إنغاؤه اتفاقيّة الجزائر استعداداً لخوض المعركة وسعيّاً للمطالبة بالاعتراف التامّ بسيادة العراق على المناطق العراقية من تراب ومياه وبحار وأنهار، والحدّ من التدخل الإيراني في الشأن العراقي. (للمزيد يُنظر: إيمان الحيارى، أسباب حرب الخليج، موقع موضوع، 29 يونيو 2018م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/LJ8F9>

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وَالَّتِي تُعْتَبَرُ نموذجاً لتطبيق القُوَّةِ الصَّلْبَةِ المزدوجة: الاقْتِصَادِيَّةِ والعَسْكَرِيَّةِ، وَالَّتِي عَادَتْ بِالعِراقِ "القَوِيَّ" إِلَى حِقْبَةِ "العصرِ الحَجَرِيِّ" أو عصر ما قبل الصناعة" (1)، حسب تعبير جيمس بيكر (2) وزير خَارِجِيَّةِ أمريكا آنذاك (3).

فطبيعة التَّغْيِيرَاتِ وتشابُكِ المصالح في العلاقات الدولية فَرَضَتْ مركزِيَّةَ القُوَّةِ وَأَهْمِيَّتَهَا؛ الأمر الذي مَنَحَ أَهْمِيَّةً كَبْرَى لسيادة القانون، وهي "مبدأ للحوكمة يكون

1. وردت هذه المقولة خلال اجتماع بين جيمس بيكر وزير الخَارِجِيَّةِ الأُمْرِيكِيِّ الأَسْبِقِ وطارق عزيز وزير خَارِجِيَّةِ العِراقِ خلال حِقْبَةِ الرئِيسِ صدام حسين؛ حيث كان الاجتماع في العاصمة السويسريَّة جنيف عام 1991م، فُقِبِلَ شَنْنُ الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ وحلفائها حرب تحرير الكويت، انظر في ذلك، كمال ديب، موجز تاريخ العِراقِ من ثورة العشرين إلى الحروب الأُمْرِيكِيَّةِ والمقاومة والتحرير وقيام الجمهوريَّةِ الثَّانِيَّةِ، دار الفارابي، الطبعة الثَّانِيَّةِ، 2012، ص 215. وانظر: عبدالإله مجيد، جيمس بيكر يستذكر اجتماع الفرصة الأخيرة مع طارق عزيز، صحيفة إيلاف الإلكترونيَّة، 10 يونيو 2015م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/5PbE7>
2. جيمس أديسون بيكر الثالث 28 (James Addison Baker) أبريل 1930م، هو محامي وسياسي أمريكي. شَغَلَ منصب رئيس موظفي البيت الأبيض ووزير الخزانة في عهد الرئيس رونالد ريجان، وكان وزير الخارِجِيَّةِ ورئيس أركان البيت الأبيض مُجَدِّداً في إدارة الرئيس جورج بوش الأب، وُلِدَ بيكر في مدينة هيوستن، ودخل مدرسة هيل وجامعة برينستون قبل أن يخدم في مشاة البحرية الأُمْرِيكِيَّةِ. وبدأ مسيرته القانونيَّةِ بعد تخرُّجِه من كليَّة الحقوق بجامعة تكساس. عمل بيكر في حملة بوش غير الناجحة لنيل ترشيح الحزب الجمهوري للرئاسة عام 1980م، لكنه ترك انطباعاً إيجابياً لدى المرشح الجمهوري رونالد ريجان. وقام ريجان بتعيينه رئيساً لموظفي البيت الأبيض، وظلَّ بيكر في هذا المنصب حتى عام 1985م، عندما أصبح وزير الخزانة. وقام بيكر في منصبه الجديد بوضع اتفاق بلازا وخطة بيكر للديون. وقد استقال من منصب وزير الخزانة ليدبر حملة بوش الناجحة للرئاسة عام 1988م. عَيَّنَهُ بوش عقب الانتخابات لمنصب وزير الخارِجِيَّةِ. ساعد بيكر في منصبه على الإشراف على السياسة الخارِجِيَّةِ الأُمْرِيكِيَّةِ خلال نهاية الحرب الباردة وتَفَكُّكِ الأُتْحَادِ السُّوفِيَّيْتِي، وكذلك خلال حرب الخليج الثانية. شَغَلَ بيكر بعد الحرب منصب رئيس موظفي البيت الأبيض في الفترة من 1992 إلى 1993م. ظلَّ بيكر نَشِطاً في مجال الأعمال والشؤون العامة بعد هزيمة بوش في انتخابات الرئاسة عام 1992م. وعَمِلَ مبعوثاً للأُمَمِ المُتَّحِدَةِ في الصحراء الغربيَّةِ ومستشاراً لشركة إنرون. كما أدار الفريق القانوني للرئيس جورج دبليو بوش في ولايَّةِ فلوريدا خلال عمليَّةِ إعادة فرز الأصوات في الولاية عقب الانتخابات عام 2000م. شَغَلَ منصب الرئيس المشارك لمجموعة دراسة العِراقِ، التي شَكَّلَهَا الكونغرس لدراسة العِراقِ وغزو العِراقِ. وهو يعمل الآن في مشروع العدالة العالميَّةِ ومجلس قيادة المناخ. للمزيد يُنظَرُ الرابط التالي: <http://cutt.us/F71iV>
3. حصار شامل دام قرابة 13 سنة، والذي انتهى عملياً بسقوط نظام صدام حسين، البعثي العربي الاشتراكي، سنة 2003م؛ فترة سوداء عانى العِراقُ فيها وولايات عَزَلَتْه شديدة من معظم دول العالم، سياسيًّا ودبلوماسيًّا واقتصاديًّا، لينهار بعدها ويحتلُّ أدنى مراتب التُّمُوِّ والخدمات بين دول المنطقة. وتَأَرَّمِ الوضع خاصة بعد السنوات التي تَلَّتْ حرب الخليج الثانية؛ حيث تَمَّ تدمير بِنْيَتِهِ التَّحْتِيَّةِ من مصانع ومصافي نفط ومَحَطَّات توليد الكهرباء ومَحَطَّات التزويد بالمياه وشبكة المجاري، ناهيك عن تدمير قُوَّتِهِ العَسْكَرِيَّةِ واحتلاله وفُضِّلَ أجزاء منه لفائدة الأكراد وأيضاً زرع بذور العصيَّةِ الإثنيَّةِ والدينيَّةِ فيه (الصراع السني- الشيعي نموذجاً). تسلسل زمني لأهم الأحداث في العِراقِ، موقع بي بي سي عربي، 28 أبريل 2014م، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/pZqDU>

فيه جميع الأشخاص والمؤسّسات والكيانات، العامّة والخاصّة، بما في ذلك الدولة ذاتها، مسؤولين أمام قوانين صادرة علناً، وتُطبّق على الجميع بالتساوي، ويُحتكم في إطارها إلى قضاءٍ مُستقلّ، وتتّفق مع القواعد والمعايير الدوليّة لحقوق الإنسان".(1)

وتعمل الدول الداعية إلى جهود السلام وتغليب القانون والميثاق الأممي، بموازاة ذلك على صناعة وتطوير قوّتها بوزنها القليل أو الكثير؛ تحسّساً لأيّ ظرفٍ تغيب فيه السُلطة الدوليّة، باعتبارها الضمان الحقيقيّ وصِمَام الأمان لبقائها واستقرار نظامها ومصلحتها. وشاهد الانزلاق إلى مهاوي الهيمنة وتوسيع المجال الحيويّ لا تزال ماثلة في صفحات تاريخ الحرب العالميّة الثانية(2)، عبر النموذج الألماني والياباني.

فيما تُبرز الولايات المتّحدة الأمريكيّة قبل وبعد انهيار الاتّحاد السوفييتي، ومعه انهيار الثنائيّة القطبيّة، كأكثر دولة تستخدم القوّة الصلبة في حلّ نزاعاتها وتحقيق أهدافها، وغالباً ما تكون نهايات هذه القوّة دماراً وعدواناً، كما في أمثلة الحرب الكوريّة(3)، وحرب فيتنام(4)، بنما(5)، العراق.. ولو تحت مظلة وشعارات حماية العالم الحرّ والشرعيّة الدوليّة، وغيرها.

1. "تقرير الأمين العام للأمم المتحدة: سيادة القانون والعدالة الانتقاليّة في مجتمعات الصّراع ومجتمعات ما بعد الصّراع"، موقع منظرّة "الأمم المتحدة"، 2004م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/8BTxmR>.
2. الحرب العالميّة الثّانية هي حربٌ دوليّة بدأت في الأول من سبتمبر من عام 1939م في أوروبا وانتهت في الثاني من سبتمبر عام 1945م، شاركت فيه الغالبية العظمى من دول العالم منها الدول العظمى في جلفين عسكريّين مُتّازعين هما: قوّات الحلفاء، ودول المحور، كما أنها الحرب الأوسع في التاريخ، وشارك فيها بصورة مباشرة أكثر من 100 مليون شخص من أكثر من 30 بلداً، وقد وضعت الدول الرئيسة كافة قدراتها العسكريّة والاقتصاديّة والصنّاعيّة والعلميّة في خدمة المجهود الحربي. تميّزت الحرب العالميّة الثّانية بعدد كبير من القتلى المدنيين. (قسم الدراسات والبحوث، الحرب العالميّة الثّانية، الجزيرة نت، 3 أكتوبر 2004، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/dUIYu>
3. بدأت الحرب الكوريّة حرباً أهليّة في شبه الجزيرة الكوريّة بين عامي 1950-1953م. كانت شبه الجزيرة الكوريّة مُقسّمة إلى جزأين شمالي وجنوبي؛ الجزء الشمالي يقع تحت سيطرة الاتّحاد السوفييتي، والجزء الجنوبي خاضع لسيطرة الأمم المتّحدة بقيادة الولايات المتّحدة. كانت بداية الحرب الأهليّة في 25 يونيو 1950م عندما هاجمت كوريا الشماليّة كوريا الجنوبيّة، وتوسّع نطاق الحرب بعد ذلك عندما دخلت الأمم المتّحدة بقيادة الولايات المتّحدة، ثم الصين أطرافاً في الصّراع. انتهى الصّراع عندما تمّ التّوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار في 27 يوليو 1953م. للمزيد يُنظر موقع بي بي سي العربيّة، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/9YbcY>
4. حرب فيتنام: نزاعٌ مسلّح بين جمهوريّة فيتنام الديمقراطيّة (شمال فيتنام)، متحالفة مع جبهة التحرير الوطنيّة، ضدّ جمهوريّة فيتنام (جنوب فيتنام) مع حلفائها (وكانت الولايات المتّحدة الأمريكيّة إحداهن) بين 1 نوفمبر 1955 و30 أبريل 1975م. واستمرّ التورط الأمريكيّ في هذه الحرب حتى عام 1973م، وانتهى الغزو الأمريكيّ في 17 يونيو 1975م باتّحاد شمال فيتنام مع جنوبها. للمزيد يُنظر الرابط التالي: <http://cutt.us/ZiO79>
5. حرب بنما كانت عبارة عن غزو الولايات المتّحدة لبنّما في عهد جورج بوش الأب، في الفترة من 20 ديسمبر 1989 - 31 يناير 1990م، وكان ذلك بدعوى الحفاظ على حياة المواطنين الأمريكيّين في بنّما، ومكافحة تجارة المخدرات. للمزيد يُنظر الرابط التالي: <http://cutt.us/iWqak>

وإذا كانت القُوَّةُ العَسْكَرِيَّةُ تستند إلى التصنيع وحياسة أسلحة دمار كَمِيَّةٍ وَنَوْعِيَّةٍ؛ فَإِنَّ القُوَّةَ الاِقْتِصَادِيَّةَ تقوم على عناصر وشروط إنمائيَّةٍ مختلفة، مثل: الحكومة الجَيِّدَة، التدبير الرشيد، وتحقيق التَّنْمِيَّةِ المستدامة. وَضَعْفُهَا أو تخلفها يعني ضَعْفُ القُدْرَةِ على تمويل وتطوير الجانب العَسْكَرِيِّ، أي علاقة لازمة بِمُسْتَتَبَعَاتِهَا. بمعنى "النَّفوذ" مقابل "الرخاء"، "التَّوسُّع" يساوي "الاستثمار"، و"القُدْرَة" بموازاة مع "الإنتاج".

ثالثاً: القُوَّةُ النَّاعِمَةُ:

"القُوَّةُ النَّاعِمَةُ" مصطلح ظهر في بداية تسعينيات القرن الماضي على يد جوزيف ص. ناي Joseph S. Nye، عميد مُؤَسَّسَة كيندي للدراسات الحُكُومِيَّةِ بجامعة هارفارد، ورئيس مجلس المخابرات الوَطَنِيَّ ومساعد وزير الدَّفَاعِ أيضاً، وتعني من وجهة نظره: "قُدْرَة دولة مُعَيَّنة على التَّأثير في دول أخرى وتوجيه خياراتها العامَّة، وذلك استناداً إلى جاذبيَّة نظامها الاجْتِمَاعِيَّ والثَّقَافِيَّ ومنظومة قِيَمِهَا ومُؤَسَّساتها، بدلاً من الاعتماد على الإكراه أو التَّهْدِيد" (1).

ويُرْجَعُ ناي أَهمِّيَّةَ اعتماد القُوَّةِ النَّاعِمَةِ إلى خمسة تحوُّلات دَوَلِيَّةٍ ساهمت في تراجع دور القُوَّةِ الصَّلبَةِ أو قلَّلت من فاعليَّتِها على الأقل، وتتمثَّل في (2):

- صعوبة استخدام القُوَّةِ في صورتها القَهْرِيَّة؛ لما يمثِّله ذلك من حَظَرٍ على النُّمُوِّ الاِقْتِصَادِيَّ والمصالح المَالِيَّةِ.
- قُدْرَة الفاعلين غير النِّظَامِيَّين، الشركات مُتَعَدِّدَة الجنسيات، المُنظَّمات الدَّوَلِيَّةِ سواءً الحُكُومِيَّةِ منها أو غير الحُكُومِيَّةِ، وحتى الجماعات المُسلَّحة على ممارسة أنواع من القُوَّةِ كانت مقصورة في السابق على الدول القويَّة. ما يعني انتهاء احتكار الدَّوَلَة الرِّسْمِيَّةِ لأدوات وحق استخدام القُوَّةِ.

1. Joseph S. Nye, "Decline of America Soft Power", Foreign Affairs, New York, May/June 2004, Vol. 83, Iss.3; Pp16- 20.

2. Joseph S. Nye, "Soft Power". Foreign Policy, No.80. Autumn 1990, Pp 153- 171.

- انبعاث النَّزَعَاتِ القَوْمِيَّةِ الَّذِي صَعَّبَ كَثِيرًا مِنْ اسْتِخْدَامِ القُوَّةِ، فعلى سبيل المثال، كانت بعض المواقع العسكريَّة الصغيرة قادرة على إدارة إمبراطوريَّة مثل الإمبراطوريَّة البريطانيَّة، لكن في الوقت الحاضر، فإنَّ الولايات المتَّحدة على سبيل المثال، وجدت أنه من الصعب إخضاع العشائر الصوماليَّة أو حتى تهديئة الوضع في العراق، ولو مع زيادة عدد قُوَّاتها.
- عولمة التكنولوجيا، خاصة في مجال تطوير الأسلحة التقليديَّة وغير التقليديَّة، ساهم في تعادل قُوَّة الأطراف المتحارِّبة على أرض المعركة، بغضِّ النظر عن التفاوتات والاختلافات الحقيقيَّة في القُوَّة بينهما.
- التغيُّرات الطارئة في القضايا السياسيَّة (العلاقات الدَّوليَّة)، جعل من القُوَّة العسكريَّة أقلَّ قُدرةً وكفاءة على حلِّ المشكلات المعاصرة، فامتلاك أقوى جيش لن يحلَّ على سبيل المثال قضايا مثل الفقر والتلوث أو انتشار الأوبئة. كما أنَّ استخدام القُوَّة العسكريَّة أصبح مكلفاً جداً مقارنة بتكاليفها في القرون الماضية.

لبناء القُوَّة النَّاعمة وتدعيمها، تعتمد الدول على ثلاثة مصادر رئيسة (1):

- الثقافة: وتعني القِيم والعوائد والممارسات التي تُضفي معنى أصيلاً وحضارياً على مجتمع ما.
- القِيم السياسيَّة: ويُقصدُ بها حُرِّيَّة التعبير والصحافة والنشر والتصويت وغيره من الحُرِّيَّات الفرديَّة والجماعيَّة الأساسيَّة.
- السياسيَّات الخارجِيَّة: وتمثُلُ مكوِّناً مهمَّاً من مكوِّنات القُوَّة النَّاعمة، وتعتمد على قُدرة التخطيط المعقَّل والنَّاتج الجيِّد لجعل الدول الأخرى تأخذ بها كنموذج ناجح.
- المصدَاقِيَّة والشَّرعيَّة: ويعتبر أهم هذه العناصر، بناءً على مطابقة بين ما تقوله الدَّولة وما تفعله. فبالكاد تُقبَل الاختلافات بين الثقافات والقِيم مع المبادئ

1. Joseph S. Nye, "Decline of America Soft Power", Foreign Affairs, New York, May/June 2004, Vol. 83, Iss.3; Pp. 162.

المقبولة عالمياً، فكيف بتناقضٍ صارخٍ بين أقوال وأطروحات دولة وبين ممارساتها على أرض الواقع.

وفي هذا الإطار، يمكن قياس حجم ومقدار القُوَّةِ النَّاعِمَةِ لدولة مُعَيَّنَةٍ، وكذلك تأثيراتها على دولة أخرى، من خلال أدوات استطلاع الرأي، الَّذِي تُنَجِّزُهُ مراكز دراسات مَوْضُوعِيَّةٌ وَمُتَخَصِّصَةٌ، تنتشر غالباً في الدول المتقدِّمة. لهذا نجد أن هذه الاستطلاعات المذكورة تُشكِّلُ موضوع مُتَابَعَةٍ رَسْمِيَّةٍ دقيقة وإنفاق كبير؛ نظراً لأهميَّتها البالغة في اتِّخَاذِ القرارات، بل ورسم السِّيَاسَاتِ الدَّوْلِيَّةِ أيضاً. (1)

من جهة أخرى، تركز القُوَّةُ النَّاعِمَةُ على القُدْرَةَ على إعادة تشكيل رؤى وميول الآخرين. وترتبط باعتناق الآخرين للقيم الَّتِي تدعو لها دولة ما أو عبر ثقافة ما. وتَنَجَّلُ في تَبَيُّ رَغَبَاتِ الآخرين وتحويلها إلى رغبة داخلية في تفكير المستهدف. وتعتمد في هذا على عامل الجاذبيَّةِ الَّتِي كثيراً ما يكون لها تأثير واسع الانتشار، ويخلق أثراً عاماً أكثر مما يُنتِجُه عملٌ محددٌ يمكن ملاحظته وانتقاده بسهولة. وفي هذا السياق نكون بصدد الحديث عن آليات عمل القُوَّةِ النَّاعِمَةِ، وتظهر من خلال الجاذبيَّةِ النَّقَافِيَّةِ، والبَعَثَاتِ الأكاديميَّةِ، الدُّبُلُومَاسِيَّةِ الإنسانيَّةِ، إضافة إلى الفعل الاحتجاجي والمقاطعة الاقتصاديَّةِ (2).

ومما لا شكَّ فيه أن الجاذبيَّةِ النَّقَافِيَّةِ والعقيدة الأيديولوجيَّةِ لبلدٍ ما تُشكِّلُ نقطة استقطابٍ مثاليَّةٍ للعديد من المعجبين والمبهورين كي يَتَّبِعُوا هذا النموذج الجاذب، ويدافعوا عن أطروحاته باستعداد أكبر. فالكثير من القُوَّةِ الأُمْرِيكِيَّةِ النَّاعِمَةِ والمُهَيِّمَةِ في آنٍ واحدٍ أنتجتها مصادر معروفة في شَتَّى المجالات: أفلام هوليوود، محاضرات

1. بدون مؤلف، القُوَّةُ النَّاعِمَةُ، 5 سبتمبر 2014م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/gCh4N>

2. Joseph S. Nye, "Decline of America Soft Power", Op.Cit. p. 20.

هارفرد، برمجيات مايكروسوفت، ومشاهير الرياضات، فضلاً عن التقدّم التكنولوجي، العلامات التجارية الرائدة، المواقع الإلكترونية الرائدة، المزارات الروحية الشهيرة، المواقع السياحية المتميزة والأكلات الشعبية المعروفة... إلخ. ولعل الصورة الشهيرة المعبّرة، التي تناقلتها الوسائط ووسائل الإعلام العالمية يوم 9 نوفمبر من عام 1989م، لسقوط جدار برلين باستخدام المطارق والجرفّات (1)، بعد عقود من الفصل بين العالم الرأسمالي ونظيره الشيوعي بستار حديدي مغلق، خير مثال يدل على مدى التأثير الدعائي للتلفزيون والسينما، وما ينتج عنهما من سطوة القوة الناعمة في جانبها الثقافيّ التواصلي. وثقافة الغرب المبنية على الميل إلى الحرّية والكرامة والعيش اللائق نجدها قد اخترقت ومهدت قبلاً لهذا اليوم التاريخيّ بوسائل التواصل المذكورة. (2)

فيما تشكّل البعثات الثقافيّة والأكاديميّة مصدراً آخر من مصادر القوة الناعمة الأساسيّة. فكثيراً ما أثر خريجو البعثات المذكورة المتأثرون بالقيم الأميركيّة والحاملون لتقدير أكبر لمؤسّساتها، وخاصّة أن كثيراً من هؤلاء الطلبة السابقين، ينتهي بهم الأمر إلى احتلال مراكز مهمّة في بلادهم، يستطيعون من خلالها التأثير على نتائج السّياسة التي تصبّ في صالح أمريكا ومصالحها القوميّة.

1. أقيم جدار برلين قبل 57 عاماً، وتحديداً في العام 1961م، بعد انشقاق ألمانيا عن حلفائها نهاية الحرب العالميّة الثانية، وذلك من أجل تقسيم العاصمة الألمانيّة برلين إلى شقّين؛ برلين الشرقيّة الشيوعيّة، وبرلين الغربيّة الديمقراطيّة، مع منع المواطنين الشرقيّين الذين كانوا يعانون من الحكم الشيوعي من الفرار إلى الجانب الغربي، خاصّة بعد هروب أكثر من 2.5 مليون شخص إلى ألمانيا الغربيّة. وفي العام 1989م أُجبر رئيس الحزب الشيوعي في ألمانيا الشرقيّة على تحسين العلاقة مع الجانب الغربي، ونتيجة للضغوط المستمرة عليه بسبب الحرب الباردة، قرّر الرئيس السماح للألمان في الجانبين الشرقيّ والغربيّ بالتّقلّح بحريّة عبر الحدود، وبعد هذا الإعلان احتشد عدد كبير من المواطنين على الجانبين حاملين معهم أدوات ثقيلة لهدم الجدار، وبدأ الهدم الفعلي للجدار في 13 يونيو 1990 وانتهى العام 1992م، وتعتبر هذه الخطوة الأولى في طريق توحيد ألمانيا. للمزيد يُنظر: تعريف جدار برلين، موقع "موضوع"، 28 مارس 2018م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/VTa33v>.
2. محمد خالد، النجاح الاقتصاديّ والصروح الثقافيّة والمساعدات نماذج تأثير فاعلة، جريدة البيان الإماراتيّة، 6 مايو 2017م، تاريخ الزيارة 24/9/2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/ONTrQ>

ناهيك عن المؤسسات غير الهادفة للربح والعاملة في مجالات إنسانية شتى، تمتلك إمكانيات قوة ناعمة كبيرة خاصة بها، يمكنها من عرقلة وتعقيد أعمال أي حكومة مهما علا شأنها. ومن أمثلة هذه المؤسسات المؤثرة في القرار المحلي والأممي نجد: منظمة مراقبة حقوق الإنسان (1)، منظمة العفو الدولية (2)، منظمة الصليب الأحمر (3)، منظمة السلام الأخضر (جرين بيس) (4) وغيرها... ومن هنا تتبع أهمية مد الجسور مع مثل هذه المنظمات؛ لما لها من تأثيرات تحذر منها حتى الدول العظمى.

1. هي منظمة دولية غير حكومية تهتم بالدفاع عن حقوق الإنسان والدعوة للحفاظ عليها، يقع مقرها في مدينة نيويورك الأمريكية، وقد تأسست العام 1978م بهدف التحقق من احترام الاتحاد السوفييتي لاتفاقات هلسنكي، لذلك حملت في البداية اسم "هلسنكي ووتش".
تأسس فرع للمنظمة حمل اسم "أميركا ووتش" العام 1981م خلال الحروب الأهلية التي اجتاحت أمريكا الوسطى، وبعد نجاح هذه التجربة تم تأسيس فروع أخرى في آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط، حتى تم دمج جميع هذه الفروع لتشكّل ما يُعرف اليوم باسم "هيومن رايتس ووتش"، وينضوي تحت عضويتها أكثر من 180 شخصاً من مختلف الجنسيات لمراقبة حقوق الإنسان في شتى بقاع العالم. للمزيد يُنظر: منظمة هيومن رايتس ووتش، موقع "الجزيرة"، 31 أغسطس 2007م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/fQhw2u>.
2. منظمة غير حكومية تأسست في لندن العام 1961م، وتهتم بالقضايا التي تتعلّق بحقوق الإنسان، تؤكد المنظمة ذاتها أن لديها أكثر من 7 ملايين عضو ومؤيد حول العالم، وقد حصلت العام 1977م على جائزة نوبل للسلام؛ تكريماً لعملها الدؤوب في الدفاع عن كرامة الإنسان ضدّ التعذيب، كما نالت جائزة الأمم المتحدة في مجال حقوق الإنسان في العام 1978م. للمزيد يُنظر: ما هي منظمة العفو الدولية، موقع "موضوع"، 21 يونيو 2017م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/qe1Snj>.
3. تأسست اللجنة الدولية للصليب الأحمر منذ قرابة قرن ونصف، يقع مقرها الرئيس في جنيف، وتنتشر مراكزها الأخرى في نحو 80 بلداً، وأنشئت بهدف تقديم المساعدة لضحايا الحروب والعنف المسلح والحفاظ على المبادئ والأخلاق الإنسانية في هذه الظروف، وتستند في عملها إلى القانون الدولي الإنساني الذي تشكّل اتفاقات جنيف حجر أساسه، لذلك تتمتع بالاستقلالية والحياد التام في المهام الموكلة إليها. للمزيد يُنظر: اللجنة الدولية للصليب الأحمر، موقع "اللجنة الدولية للصليب الأحمر - icrc"، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/dZH7J6>.
4. منظمة بيئية عالمية غير حكومية، تملك فروعاً في أكثر من 40 دولة حول العالم مع هيئة تنسيق دولية في أمستردام، لديها مركز استشاري عالم في مجلس الأمم المتحدة الاقتصادي والاجتماعي، وهي عضو مؤسس في ميثاق مسألة المنظمات الدولية غير الحكومية INGO.
تأسست المنظمة بهدف حماية الأرض، وضمان استمرار قدرتها على تغذية الكائنات الحية بكافة أنواعها، فتتبنّى حملات بيئية تركز على قضايا ذات أهمية بيئية عالمية، مثل: الاحتباس الحراري، والتعدي على الغابات، والصيد الجائر، وجميع القضايا النووية، وتتبع في ذلك وسائل سلمية، مثل: التحرك المباشر للدعم والإنفاذ، والاحتجاج المباشر غير العنيف، وحشد مؤيدين حول القضايا البيئية وإجراء بحوث ودراسات علمية. للمزيد يُنظر: منظمة السلام الأخضر، موقع "dictionnaire.sensagent"، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/hXRsqX>.

ثمّة مصادر أخرى للقوّة الناعمة لدى الشُّعوب، يُمثِّلها أسلوباً "المقاطعة" و"الاحتجاجات" الشَّعبية؛ لأنها تضرب في عمق العَصَبِ الاقتصاديِّ للدول الصِّناعية، التي يُعْتَبَرُ الرواج التَّجاريُّ والمال شريان حياتها، وغالباً ما تسعى في سياساتها لتنمية اقتصاداتها والسيطرة على الموارد، حتى لو تطلَّب الأمر استخدام القوّة الصَّلبة. ومن الأمثلة على ذلك حدوث حالات مقاطعة للمنتجات الأمريكية، وهبوط حصة مهمّة من البضائع الأمريكية المصدّرة إلى الشرق الأوسط من 18% إلى 13%، في أواخر تسعينيات القرن العشرين إلى أواخر 2001م. والسبب راجع في ذلك إلى فقدان المواطن العربيّ للثقة في سياسات أمريكا الخارجيّة، وتناقضها مع شعاراتها البراقّة. نفس الأمر ينطبق على خسارة الدنمارك حصة كبيرة من مبيعاتها في الأسواق العربيّة والإسلاميّة؛ احتجاجاً على نشر الرسوم المسيئة للنبيّ محمد صلى الله عليه وسلم بإحدى منابرها الإعلاميّة.(1)

أما فيما يخصّ المظاهرات والحشود عبر المسيرات السلميّة والاعتصامات وغيرها، فنورت الربيع العربيّ تُعتبر أفضل بيان وتغني عن كلِّ مثال، لما يمكن أن تحدّثه نتائجها وتداعياتها من آثار سلبيةّ وحتى مدمّرة، ليس على المستوى المحليّ بل والعالميّ أيضاً.

1. الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم هي رسوم قامت صحيفة يولانديس بوستن الدانماركيّة بنشرها في 30 سبتمبر 2005م؛ حيث نشرت 12 صورة كاريكاتيريّة للرسول محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، وبعد أقلّ من أسبوعين، وفي 10 يناير 2006م قامت الصحيفة النرويجيّة Magazinet والصحيفة الألمانيّة دي فيلت والصحيفة الفرنسيّة France Soir وصحف أخرى في أوروبا بإعادة نشر تلك الصور الكاريكاتيريّة. فوُبل نشر هذه الصور الكاريكاتيريّة بموجة غضب عارمة بين صفوف المسلمين على الصعيدين الشعبي والسياسيّ في العالم الإسلامي، وعلى إثر ذلك بدأت في كثير من بلدان العالم الإسلامي الدعوة لمقاطعة المنتجات الدانماركيّة. وقال مسؤولون دانماركيّون: إن مقاطعة عدد من الدول الإسلاميّة للمنتجات الدانماركيّة عبّ عن قيام صحيفة بنشر الرسوم الكرتونيّة المسيئة تسببت في خسائر تُقدَّر بملايين الدولارات للاقتصاد الدانماركي. للمزيد يُنظر خسائر لصناديق الدانمارك بسبب أزمة الرسوم موقع bbc العربيّة، 9 سبتمبر 2006م، تاريخ الزيارة <http://cutt.us/ek4U1>، متاح على الرابط التالي: 24/9/2017م.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

ولا ننسى في هذا السياق، ذكر التَّحَرُّكاتِ الشَّعْبِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ الَّتِي رافقتِ العُدوانَ الإسرائيليَّ على غَزَّةَ (1)، وكيف كان لها أثرٌ بالغٌ على رفعِ مَعنَوِيَّاتِ الشَّعبِ الفلسطينيِّ، وتشويهِ صورةِ الكيانِ الصُّهْيُونِيِّ الَّذِي دَفَعَ ملايينَ الدولاراتِ لتحسينِ صورتهِ على مدى العقودِ السَّابِقةِ (2)؛ فَحُشُودُ المتظاهرينِ باتتِ تُؤثِّرُ على القراراتِ، ومواقفِ كُتَّابِ الافتتاحِيَّاتِ، وتَدخُلَاتِ البرلمانيِّينَ وغيرهمِ من ذوي النُّفُوذِ المؤثِّرِ في بلدانِ مُهمَّةٍ حولِ العالمِ. وهي في هذا خَيْرٌ من ألفِ فُوْهَةٍ ومصدرِ نارٍ. ولهذا يمكنُ القولُ: إنه وَفَقاً لِلقُوَّةِ النَّاعِمَةِ من هذا الصَّنْفِ، فالطفلُ الشَّهيدُ المُضَرَّجُ بدمائهِ اليومِ في فلسطينِ أو سورياً أو اليمنِ أصبحَ أقوى تأثيراً من عناصرِ القُوَّةِ الصُّلْبَةِ: الدَّبَابَةِ والطائرةِ المُقاتِلَةِ وغيرها، على المستوىِ المُحَلِّيِّ فحسبِ، بل وعلى المستوىِ الْعَالَمِيِّ (3).

1. شَبَّتَ قُوَّاتُ الاحتلالِ الإسرائيليُّ عُدواناً على قطاعِ غَزَّةِ الفلسطينيِّ خلالَ الفترةِ بينِ ديسمبرِ 2008 وينايرِ 2009م، وقد حصلَ أهلُ القطاعِ على تعاطُفٍ شَعْبِيٍّ كبيرٍ على المستوىِّينِ الإقليميِّ والعالميِّ، وعمَّتْ التَّظاهراتُ الشَّعْبِيَّةُ الدَّولَ العربيَّةَ وفي مقدِّمتها؛ مصرُ والأردنُ، بالإضافةِ إلى مظاهراتٍ في أوروبا وأسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينيَّة؛ للمطالبةِ بوقفِ الأعمالِ العسكريَّةِ، وتنديدِ العُدوانِ الغاشمِ على القطاعِ، واستخدامِ القواتِ الإسرائيليَّةِ أبشعِ وسائلِ العُنْفِ والقمعِ ضدَّ الأطفالِ والنساءِ والعجائزِ، خاصةً بعد أن نقلتِ وسائلُ الإعلامِ العالميَّةِ صورَ القتلِ والدمارِ الَّذِي لحقَ بالقطاعِ، وضحاياِ الجرائمِ العسكريَّةِ من المدنيِّينَ، مما كان له أكبرُ الأثرِ في حُسْهِدِ التعاطفِ الدوليِّ للفلسطينيِّينَ، وإعادةِ البُعدِ النُّضاليِّ والإنسانيِّ للقضيَّةِ الفلسطينيَّةِ.

ولم تكنِ التَّحَرُّكاتُ خارجَ فلسطينِ فقط، بل في الداخلِ أيضاً؛ إذ شهدتِ السَّاحةُ الفلسطينيَّةُ المُحتلَّةُ تظاهراً الألافِ من فلسطينيِّينَ 48، وإضراباً شاملاً عن العملِ تخلَّلَتْهُ مظاهرُ احتجاجٍ وغمْضٍ، مثل: رفعِ الراياتِ السوداءِ والأعلامِ الفلسطينيَّةِ في مختلفِ المسيراتِ. للمزيدِ يُنظَرُ: دراسةُ "العُدوانِ الإسرائيليِّ على غزة (2008/12/27 - 2009/1/18م)"، الناشرُ "مركزُ الزيتونة للدراساتِ والاستشاراتِ" ببيروتِ، تاريخُ الزيارةِ 11 أكتوبرِ 2018، متاحٌ على الرابطِ التالي: <https://goo.gl/TBz9XL>.

2. أوري بلاو، استراتيجيَّةُ إسرائيلِ لتحسينِ صورتها في العالمِ، صحيفةُ الأيَّامِ، 27 مارسِ 2017م، تاريخُ

الزيارةِ 2017/9/24م، متاحٌ على الرابطِ التالي: goo.gl/hY57vr

3. إيمانُ مصطفى، "القُوَّةُ النَّاعِمَةُ في السياسةِ الحَارِجِيَّةِ"، فكر أونلاين، 3 مارسِ 2016م، متاحٌ على الرابطِ التالي: goo.gl/G7EZxF

رابعاً: القُوَّةُ الذِّكِيَّةُ:

ومن رَحِمِ مَفْهُومَيِ القُوَّةِ الصَّلْبَةِ والقُوَّةِ النَّاعِمَةِ، ظهر مصطلح "القُوَّةُ الذِّكِيَّةُ" (1) **Smart Power**، كمفهوم ثالث يجمع بينهما، بل ويجعل من الصعب على صانعي القرار في السِّيَاسَاتِ الخَارِجِيَّةِ أن يفصلوا عَمَلِيًّا بين هذه القوي؛ لأنَّها مرتبطة بشكل كبير بالقُوَّةِ العَسْكَرِيَّةِ، ولا يمكنها فُكُّ ارتباطها معها إلا أن تكون جزءاً من عَمَلِيَّةِ القُوَّةِ النَّاعِمَةِ. وفي المقابل يصعب على الدول أن تكتفي باستخدام القُوَّةِ النَّاعِمَةِ دون استخدام أو حتى استعراض القُوَّةِ الصَّلْبَةِ عَسْكَرِيًّا واقتِصَادِيًّا لدعم مكانتها الدَّوْلِيَّةِ. وقد تأخذ مَنَحَى اسْتِرَاتِيْجِيًّا في سعيها للجمع بين القُوَّةِ الصَّلْبَةِ والقُوَّةِ النَّاعِمَةِ. فقد رُوِّجَ العديد من المفكرين الأمريكيين أمثال جوزيف ناي، زبيغنيو بريجنسكي (2)، وريتشارد أرميتاج (3)، لمفهوم القُوَّةِ الذِّكِيَّةِ **Smart Power**، في بداية فترة رئاسة باراك أوباما (4)، كسبيل لتأسيس اسْتِرَاتِيْجِيَّةِ أَمْرِيْكِيَّةِ عَالَمِيَّةِ جديدة، تهدف إلى

1. حمزة السلامات، "مصطلح القُوَّةِ الذِّكِيَّةِ نهج جديد في السياسة الخَارِجِيَّةِ الأَمْرِيْكِيَّةِ خلال رئاسة أوباما"، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجيَّة، 03 نوفمبر 2014م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/852UBI
2. زبيغنيو بريجنسكي (28 مارس 1928 - 26 مايو 2017م) مَفْكَرٌ اسْتِرَاتِيْجِيٌّ ومَسْتَشَارٌ للأمن القومي للرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر بين عامي 1977 و1981م. كما عمل مستشاراً في مركز الدراسات الاستراتيجيَّة والدَّوْلِيَّةِ، وأستاذاً (بروفسوراً) لمادة السياسة الخَارِجِيَّةِ الأَمْرِيْكِيَّةِ في كلية بول نيتز للدراسات الدَّوْلِيَّةِ المتقدمة بجامعة جون هوبكينز في واشنطن.
3. ريتشارد أرميتاج سِيَاسِيٌّ أَمْرِيْكِيٌّ من كبار المختصين في شؤون الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا، عمل مستشاراً للرئيس الأمريكي الأسبق جورج دبليو بوش أثناء حملته الانتخابيَّة، وبعد فوز الأخير عُيِّنَ ريتشارد أرميتاج نائباً لوزير خارجيَّته كولن باول. شغَلَ منصب النائب المساعد لوزير الدفاع لشرفي آسيا والمحيط الهادئ، ومنذ عام 1983 حتى 1989م كان مساعداً لوزير الدفاع لشؤون الأمن الدَّوْلِيِّ، وتولَّى أرميتاج في عهد الرئيس بوش الأب منصب نائب لوزير الدفاع في مكتب شؤون الأمن الدَّوْلِيِّ. وتولَّى عام 2001م منصب مساعد وزير الخَارِجِيَّةِ الأَمْرِيْكِيَّةِ قبل أن يُقَدِّمَ استقالته من منصبه في نوفمبر/تشرين الثاني 2004م، وكان يُعدُّ واحداً من صقُور البيت الأبيض حينها.
4. باراك أوباما (4 أغسطس 1961م) هو الرئيس الرابع والأربعون للولايات المتَّجِدَةِ الأَمْرِيْكِيَّةِ من 20 يناير 2009م وحتى 20 يناير 2017م، وأول رئيس من أصول إفريقيَّة يصل للبيت الأبيض. حقق انتصاراً ساحقاً على خصمه جون ماكين؛ وذلك بفوزه في بعض معاقل الجمهوريِّين مثل أوهايو وفيرجينيا في 4 نوفمبر 2008م. حصل على جائزة نوبل للسلام لعام 2009م نظير جهوده في تقوية الدبلوماسية الدَّوْلِيَّةِ والتعاون بين الشعوب، وذلك قبل إكماله سنة في السلطة.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

تحسين صورة الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة كدولة لها القُدرة على الإقناع، وبثَّ الأمل، والبسمة في دول العالم، بدلاً من الصورة المتداولة حول استخدامها المنفرد للقُوَّة المطلقة. (1)

وبالتالي يمكن القول: إنَّ أنجح الدول في سياساتها وتَدخُّلاتها، هي تلك التي تعتمد التوازن والذكاء في استخدام قُوَّاتها ومصادرها لحفظ مصالحها وحقوقها وأمان شعبها واستقرارها الداخلي والخارجي. فاستخدام القُوَّة الصَّلْبَة المحض لا يكفي ليردع الأعداء، ولن يُشكِّل حلاً ناجحاً ودائماً، لما تُسبِّبُه مثل هذه التَدخُّلات العسْكريَّة والحربيَّة من خسائر وردود فعل وأضرار في بنية الدَّولة التَّحتيَّة، واستنزاف لطاقات شعبها وأرضها. فالدَّولة الحكيمة هي التي تحاول حفظ حقوقها بما لديها من مدَّخرات وطاقات، وتحاول توجيهها بما يردع غيرها عن التَدخُّل فيها والمساس بسيادتها، ولكن إن لزم الأمر، فإنَّ لديها من القُدرة الصَّلْبَة الكافيَّة لجعلها تقف عند حدودها.

1. حمزة السلامات، "مصطلح القُوَّة الذكيَّة نُهج جديد في السياسة الخارجِيَّة الأمريكيَّة خلال رئاسة أوباما"، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجيَّة، 03 نوفمبر 2014م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/852UBI

المبحث الثاني

القوة بين الفعل والكمون

يُقصدُ بالقُوَّةِ الفِعْلِيَّةِ الوجهُ المُعلنُ للقُوَّةِ في حين يُقصدُ بالقُوَّةِ الكامنة أو المستبطنة الوجهُ الخفيُّ منها، ومن ثمَّ فإنَّ القُوَّةَ الفِعْلِيَّةَ هي التي تُفصحُ بها الدَّولةُ عن قُدَّراتها في العلاقاتِ السِّياسِيَّةِ وقت نشوب الصِّراعاتِ والحروبِ المُسلَّحةِ، بينما القُوَّةُ الكامنة هي قُوَّةُ الرَّدْعِ التي قد تلوِّحُ بها الدَّولةُ في تفاعلاتها الدَّوليَّةِ دون أن تستخدمها بالفعل. وفي العلاقاتِ الدَّوليَّةِ يمكن القول: إنَّ استخدام الدَّولةِ لقُوَّتِها الكامنة أو أدوات الرَّدْعِ قد يفوق بكثير لجوؤها إلى استخدام قُوَّتِها الفِعْلِيَّةِ (1).

تحوُّلُ القُوَّةِ في العلاقاتِ الدَّوليَّةِ:

يشير مفهوم تحوُّلِ القُوَّةِ إلى فقدان الدَّولةِ المهيمنةِ موقعها القيادي لصالح قادم جديد سريع التنامي، ولكي يحدث هذا التحوُّلُ فإنه يتعيَّنُ على هذا القادم الجديد أن يحصل على مصادر للقُوَّةِ أكبر مما لدى الدَّولةِ المهيمنةِ أو على الأقلَّ يُحدِثُ تعادلاً مع المُقدِّراتِ القومِيَّةِ للدولة القائد الأثلة. وهذا يعني أنه يتعيَّنُ على القادم الجديد أن يحاول اللحاق بالدَّولةِ القائد بالشكل الذي يجعل من المُقدِّراتِ القومِيَّةِ لكل منهما تقترب من حدِّ التساوي. (2)

1. بيتر تيلور، كولن فيلت، الجغرافيا السِّياسِيَّةُ لعالمنا المعاصر، ترجمة عبد السلام رضوان وإسحاق عبيد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 282، ص 73.
2. مئة الله محمد طاهر عبد الهادي، "القدرات النسبيَّة والصراع الدَّولي.. دراسة للعلاقات الصِّينيَّة الأُمريكيَّة بعد انتهاء الحرب الباردة"، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّياسِيَّةِ، 2011م.

ويُبيّن مفهوم تحوّل القوّة أن الدوّلة المسيطرة تبدأ في فقدان سيطرتها لصالح مُتحدّدٍ صاعِدٍ جديد. وهذا فقدان والتحوّل في ميزان القوّة من طرف لصالح طرف آخر يحدث بالأساس بسبب التغيّرات التي تطرأ على المكوّنات القوميّة لكل من القوّتين الأثقل والصاعدة، شريطة أن توجد حالة من عدم الرضا الشديد عن الوضع الدوّليّ القائم من قبل القوّة الصاعدة، ومن ثمّ فإن احتماليّة نشوب حرب بين القوّتين تبقى قيد الاحتمال.

وجدير بالذكر أن مفهوم تحوّل القوّة ليس قاصراً على استعلاء دولة على أخرى أو مُجرّد محاولة السيطرة عليها أو التحكّم فيها عبر أدوات القوّة الصلبة، وإنما يتّسع ليشمل أيضاً انتشار ثقافة مُعيّنة مغايرة وصعودها في مجتمع ما على حساب الثقافات والعادات والتقاليد الأصيلة في ذلك المجتمع، ومثال ذلك عولة الثقافة الأمريكيّة وانتشارها حول العالم(1).

مفهوم توازن القوّة:

يُقصد بتوازن القوّة في العلاقات الدوّليّة (2) تلك الحالة التي تتعادل أو تتكافأ عندها المُقدّرات البِنائيّة والسُّلوكيّة والقيميّة لدولة ما منفردة أو مجموعة من الدول المُتخالفّة مع غيرها من الوحدات السياسيّة المتنافسة معها، بحيث تضمن تلك الحالة للدولة

1. انظر في مفهوم تحوّل القوّة وتطبيقاته المرجعيّن الآتيين:
- أحمد عبدالله الطحلاوي، مفهوم تحوّل القوّة في نظريّات العلاقات الدوّليّة دراسة الحالة الصّينيّة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كليّة الاقتصاد والعلوم السياسيّة، 2009م، ص ص 24-29.
- Lemke, Douglas. The Continuation. of History: Power Transition Theory and The End of The Cold War. Journal of Peace Research. Vo. 34, No. 1, 1997.
2. لمزيد من التفاصيل حول مفهوم توازن القوّة انظر المرجعيّن الآتيين:
- إسماعيل صبري، العلاقات السياسيّة الدوّليّة: النّظريّة والواقع، جامعة أسيوط: مركز نشر الكتاب الجامعي، أسيوط، الطبعة الرابعة، 2004م.
- Richard Little. Balance of power in international relations. Cambridge University Press. 2007.

أو لمجموعة الدول المتحالفة معها رَدَع أو مُجَابَهة التَّهْدِيدَاتِ المُوَجَّهَة ضدها من دولة أخرى أو أكثر، وبما يُمكنها أيضاً من التَّحَرُّكِ السَّريعِ وحُرِّيَّةِ العَمَلِ في جميع المجالات للعودة إلى هذه الحالة عند حدوث أي خلل فيها بما يُحقِّقُ الاستقرار.

ويُوصَفُ توازن القوى بأنه سياسة ترمز إلى المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية⁽¹⁾، وهي المدرسة التي تُعنى بظاهرة القوة، والتي تُؤكِّدُ في تحليلها الأخير أن الدول تسعى للحفاظ على أمنها ووجودها القومي ومركزها الدولي من خلال الصِّراع على اكتساب القوة، وتحقيق توازن القوى، وإن كان الأخير ليس هدفاً في حدِّ ذاته، فالدول لا تسعى إلى التوازن بقدر ما تسعى إلى الهيمنة والتفوق، الأمر الذي يُؤدِّي في لحظة ما إلى نشوء توازن القوى، ومن ثمَّ فإن توازن القوى ليس حالة مقصودة لذاتها، بل إنها حالة يُتَوَصَّلُ إليها بشكل عَرَضِيٍّ؛ من خلال السعي نحو اكتساب القوة، فالدولة التي تسعى إلى التفوق والهيمنة قد تجد نفسها في لحظة تاريخية ما في وضع توازن القوى مع الدول المتنافسة معها.⁽²⁾

وتزيد أهمية مفهوم توازن القوى في الأطر الإقليمية التي تُلقِي بظلالها على التفاعلات الدولية في حالة سعي أحد طرفي المعادلة في إقليم ما نحو بناء قوته النووية التي قد تُخلُّ بميزان القوى في ذلك الإقليم.

1. لمزيد من التفاصيل عن مقولات المدرسة الواقعية بشأن توازن القوى، انظر المرجعين الآتيين:

- John J. Mearsheimer, "Structural Realism," in Tim Dunne, Milja Kurki, and Steve Smith, eds., International Relations Theories: Discipline and Diversity, 3rd Edition (Oxford: Oxford University Press, 2013), pp. 77- 93.

- Stephen M. Walt, "The Progressive Power of Realism", American Political Review, Vol 91, No. 4, December 1997.

- Jake Donnelly, Realism and International Relations, Cambridge University Press, 2010, pp. 6- 10.

2. علي محمد أمين الرفيعي، القوة الناعمة وأثرها في مستقبل الهيمنة الأمريكية، 2014م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/yNpzL>

وكخلاصة، يمكن القول: إنَّ ميزان القُوَى بات اليوم مختلفاً عن ذي قبل، على الأقلّ من الناحية المعرفيّة، بدخول مفهوم القُوّة النَّاعِمَة وتفرّعات أخرى إلى الحقل الاصطلاحي والتطبيق العملي في السِّيَاسَات الدَّوْلِيَّة. وباتت القُوّة النَّاعِمَة مصدرًا من مصادر التغيير على المستوى المحلّي والدَّوْلِي، تَتَفَوَّق في ذلك على نظيراتها الصَّلْبَة فوائد واقتصاد موارد وحفظ أرواح.

والجدير بالذكر أن القُوّة النَّاعِمَة لم تُعَدِّ حِكْرًا على الدول المتقدّمة، أو الدول التي تمتلك قُوّة عَسْكَرِيَّة مُهمّة، بل أصبحت نموذجاً ينتشر مداه أكثر فأكثر في العالم النَّامي، كما خرجت القُوّة النَّاعِمَة أيضاً عن السَّيْطَرَة الحُكُومِيَّة لتُصْبِحَ شأنًا شعبيًّا، كنتاج عَرَضِي لمشكلات سِيَاسِيَّة واجتِمَاعِيَّة واقتِصادِيَّة. (1)

القُوّة والعلاقات الدَّوْلِيَّة: الاتِّجَاهَات والمُكوِّنَات والقياس

على صعيد الرُّوْي الإِطَارِيَّة لتوصيف مَاهِيَّة القُوّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، ثَمَّة ثلاثة اتِّجَاهَات رَئِيسَة، وَفَقًا لِلدَّيَّات التَّحْلِيلِيَّة لِعِلْم العلاقات الدَّوْلِيَّة، تَمَثَّل في: الاتِّجَاه المُحَافِظ، والاتِّجَاه اللِّبِرَالِي، والاتِّجَاه الرَادِيكَالِي. فالاتِّجَاه المُحَافِظ، ينظر إلى القُوّة باعتبارها ليست غاية في حدِّ ذاتها، بل هي أداة لتحقيق غايات مُعَيَّنَة، ومن أنصار هذا الاتِّجَاه عَالِم السِّيَاسَة الأَمْرِيكِي تالكوت بارسونز (2) Talcott Parsons.

أما الاتِّجَاه اللِّبِرَالِي، فَيُؤَكِّد على أن القُوّة هي قُدْرَات يمارسها البعض على الآخرين للقيام بأعمال مُعَيَّنَة ما كانوا ليقوموا بها لولا ممارسة القُوّة تَجَاهَهُم من جانب المجموعة الأوّلَى، وَيُعَدُّ عَالِم السِّيَاسَة الأَمْرِيكِي الأَبْرَز روبرت دال Robert Dahl من أهم رموز هذا الاتِّجَاه (3).

1. أسس توازن القوى، بدون مؤلف، موسوعة مقال من الصحراء، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص

متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/7jFei>

2. Angus Stewart, Theories of Power and Domination, London. Sage Publication, 2003, P 12.

3. روبرت أ. دال: التحليل السِّيَاسِيّ الحديث، ترجمة: علا أبو زيد، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر،

الطبعة الأولى، 1993م، ص ص 42-44.

وأخيراً؛ الاتجاه الراديكالي، وتعبّر عنه المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية؛ حيث تنظر إلى القوة باعتبارها القدرة على التأثير في سلوك الآخرين، سواء كان ذلك التأثير باستخدام المكافآت أو العقوبات أو ما يُطلق عليه سياسة العصا والجزرة، وهنا يبرز مفهوم الهيمنة أو السيطرة Domination كمرادف لمفهوم القوة. ومن أبرز رواد هذا الاتجاه عالم السياسة الأمريكي ستيفن ليوكس (1) Steven Lukes.

القُوَّةُ فِي الْعِلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ: الْمَحَدَّدَاتُ وَمَنَاهِجُ الْقِيَاسِ

ثمة اقترابان رئيسان في الأدبيات المعالجة لقوة الدولة؛ الأول: يوازي بين قوة الدولة والحجم، أي السيطرة على أكبر قدر من الموارد (الاقتراب الكمي). والثاني: يرى أن قوة الدولة تُترجم إلى القدرة على صناعة سياسات أو قرارات مُستقلة أو ذات استقلالية (الاقتراب الكيفي).

وغالباً ما تكون الموارد المقصودة في الاقتراب الأول موارد اقتصادية تختص بالموارد الطبيعية وحجم الإنتاج، وهيكله وحجم القوى العاملة ونوعيتها. ولقد تبنى البعض معيار حجم القطاع العام مُعبّراً عن حجم الحكومة، وتخصيص الموارد والتي تُقدّر نصيب الحكومة في الناتج المحلي الكلي، والاستهلاك، وذلك بالإضافة إلى الإنفاق الحكومي في مجالات مختارة؛ مثل الإنفاق العسكري أو التعليم، وتستخدم هذه النوعية من البيانات كمؤشر لقوة الدولة أو القدرة السياسية (2).

وهناك تباينات بين علماء السياسة بشأن قياس القوة في العلاقات الدولية، بناءً على اختلافهم في ماهية العناصر أو المكونات التي تحدّد مدى قوة الدولة ومكانتها

1. Steven Lukes, Power: A Radical View. London, Macmillan, 1974, P. 25.

2. باكينام الشرقاوي، قُوَّةُ الدَّوْلَةِ وبرامج التَّكْيُفِ الهيكلي: دراسة مقارنة للحالتين التُّرْكِيَّةِ والإيرانيَّةِ، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسيَّة، 2000م، ص 32.

العالمية⁽¹⁾، وإذا كان ديفيد ويلكنسون⁽²⁾ David O. Wilkinson قد حصرها في ثلاثة مُحدِّدات؛ هي: الأساس الجيوديمغرافي، والوسائل الفاعلة، والقُدرة على العمل، فإن هانز مورجنثاو⁽³⁾ Hans Morgenthau قد وسَّعها إلى تسعة مُحدِّدات لا بُدَّ من اعتبارها عند النظر إلى قياس قُوَّة الدَّولة، وهي: العامل الجغرافي، والموارد الطبيعيَّة، والطاقة الصَّناعيَّة، والاستعداد العسْكري، والسُّكَّان، والشَّخصيَّة القوميَّة، والروح المعنويَّة، ونوعيَّة الدُّلوماسيَّة، ونوعيَّة الحكم.

وبين ويلكنسون ومورجنثاو، هناك من توسَّطَ بينهما في مُحدِّدات قُوَّة الدَّولة؛ إذ يرى الخبير السِّياسي كينيث والتز⁽⁴⁾ Kenneth Waltz صاحب نظريَّة الواقعيَّة

1. انظر في ذلك: مصطفى شفيق علام، قياس قُوَّة الدولة الإيرانيَّة وتوازن القوى في منطقة الخليج العربي 2003-2010م، رسالة ماجستير، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّياسيَّة، جامعة القاهرة، 2012م.

2. ديفيد أورموند ويلكنسون (من مواليد 1939م) هو أستاذ العلوم السِّياسيَّة في قسم العلوم السِّياسيَّة في جامعة كاليفورنيا، عمِل محرراً لمراجعة مجلة الحضارات المقارنة، ومجلة World- Systems Research، لمزيد من التفاصيل انظر:

-David Wilkinson, UCLA Department of Political Science, Los Angeles. available at: goo.gl/56qks1

-David O. Wilkinson, Comparative Foreign Relation; Framework and Methods, Comparative Foreign Relation Series, Belmont, CA: Dickenson Pub. CO.,1969.

3. هانز يواخيم مورغنثاو (17 من فبراير 1904م - 19 من يوليو 1980م) هو أحد رواد القرن العشرين في مجال دراسة السياسة الدَّوليَّة. فقد كانت له إسهامات بارزة تتعلَّق بنظريَّة العلاقات الدَّوليَّة، فضلاً عن دراسة القانون الدَّولي، إلى جانب تأليفه كتاب السياسة بين الأمم (Politics Among Nations). وقد نُشر هذا الكتاب في عام 1948م، وطُبِعَ عدة مرات؛ وكان الكتاب الدراسي الأكثر تداولاً في هذا المجال في الجامعات الأمريكيَّة لعتود عديدة.

(Hans Morgenthau, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/ksxVVd)

4. كينيث نيل والتز (8 يونيو 1924 - 12 مايو 2013) عالم سِّياسي أمريكي كان عضواً في هيئة التدريس في جامعة كاليفورنيا، بيركلي وجامعة كولومبيا، ويعتبر واحداً من أبرز العلماء في مجال العلاقات الدَّوليَّة. كان مخضرمًا في الحرب العالميَّة الثَّانيَّة والحرب الكوريَّة. ويُعتبر فالتز مؤسساً للواقعيَّة الجديدة، أو الواقعيَّة البنيويَّة في نظريَّة العلاقات الدَّوليَّة. وكان أحد "العالمقة" الذين ساعدوا في تحديد مجال العلاقات الدَّوليَّة كنظام أكاديمي. (Kenneth N. Waltz, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/BypVUW).

القوة التركيبية الناعمة

الجديدة أن هناك خمسة معايير مختلفة لقياس وتقييم قوة الدولة، يمكن حصرها في: عدد السكان، والامتداد الجغرافي، والموارد الطبيعية التي تحوزها الدولة، ووضعها الاقتصادي، واستقرار نظامها السياسي، وقوتها العسكرية. (1)

في حين يرى يري المؤرخ البريطاني بول كينيدي (2) Paul Kennedy أن عوامل القوة في القرن العشرين تكمن في: حجم السكان، ومستوى التمدن والمستوى الصناعي، واستهلاك الطاقة، وحجم الناتج الصناعي، القوة العسكرية (3).

وأيًا كانت التباينات السابقة بين علماء السياسة بشأن العناصر التي تندرج في مكونات قوة الدولة؛ فإن الأهم من مجرد حصر تلك العناصر أو المحددات هو كيفية تحويلها إلى مؤشرات يمكن قياسها كمياً للتعرف على مدى قوة الدول ومكانتها في النظام الدولي. وهذا ما فعله راي كلاين Ray S. Cline الذي جمع بين الجوانب المادية والجوانب المعنوية لمحددات القوة، وتمكن من الخروج عن منطلق التجريد النظري لتلك المحددات إلى وضع مؤشرات لها يمكن قياسها كمياً Quantitative بإعطائه أوزاناً نسبية تقديرية لكل محدد من محددات القوة والتي جمعها في خمسة

1. مناهج وأساليب قياس قوة الدولة الشاملة، موسوعة مقال من الصحراء، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/F1Br2>

2. بول مايكل كينيدي CBE FBA (وُلِدَ في 17 يونيو 1945م) هو مؤرخ بريطاني مُتَخَصِّص في تاريخ العلاقات الدولية والقوة الاقتصادية والاستراتيجية الكبرى. قام بنشر كتب بارزة عن تاريخ السياسة الخارجية البريطانية ونضالات القوة العظمى. ويُشَدِّد على قاعدة القوة الاقتصادية المتغيرة التي تدعم القوة العسكرية والبحرية، مشيراً إلى أن انخفاض القوة الاقتصادية يؤدي إلى تخفيض الوزن العسكري والدبلوماسي.

(Paul Kennedy, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/XQSLmq).

3. Michael Schiffer, The U.S. and rising powers. http://www.stanleyfdn.org/resources/US_Rising_Powers_Great_Decisions_Chapter.pdf

عناصر رئيسة هي:

- الكتلة الحيوية للدولة: الأرض - السُّكَّان Critical Mass C،
- القُوَّة الاقتصادية E Economic Capability،
- القُوَّة العسْكَريَّة Military Capability M،
- الهدف الاستراتيجي S Strategic Purpose،
- الإرادة الوطنيَّة (1) W Will to Pursue National Purpose.

1. لمزيد من التفاصيل حول نظرية راي كلاين لقياس قُوَّة الدولة انظر:
Ray S. Cline, World Power Trends and U.S. Foreign Policy for the 1980's, Boulder CO,
Westview Press, 1980.

الفصل الثاني

القوة التركيبية الناعمة

- مقدمة
- **المبحث الأول: القوة الناعمة في ميزان التحوّلات الدوليّة**
 - القوة الناعمة.. النماذج الجديدة في عصر العولمة
 - القوة الناعمة.. النسخة الروسية
- **المبحث الثاني: القوة الناعمة.. تطبيق "صفر مشاكل" التركيّ**
 - القوة الناعمة.. العمق الاستراتيجيّ
 - القوة الناعمة التركيّة في ميزان التحوّلات العربيّة
- **المبحث الثالث: التجربة التركيّة الناعمة**
 - السّياسة بتطبيقاتها الأخلاقيّة والديمقراطيّة
 - اقتصاد تنافسيّ مُتعدّد الأقطاب
 - السّياسة الخارجيّة على أُسس عقلانيّة وشراكة بناءة
 - عمق حضاريّ وهويّة ثقافيّة متنوّعة
 - التأثير التركيّ الكبير عربيّاً
 - الدراما والسينما.. قوّة ناعمة فاعلة في السّياسة الخارجيّة التركيّة
 - السّياحة التركيّة.. تجربة عريقة وعوامل جذب مثاليّة
- **المبحث الرابع: سياسة وأحداث.. تراجع السّياحة التركيّة في 2016م**

الفصل الثاني

القوة التركيبية الناعمة

مقدمة

تمتلك تركيا من مزايا القوة الناعمة ما لا تتمتع به أية دولة أخرى في المنطقة، وذلك بمزايا التنوع الطبيعي والتمازج الإثني والغنى الحضاري والتاريخي. أي مجمل مصادر وأنواع القوى غير الصلبة التي تبرز قضايا هذا الفصل وتفيد أطروحة البحث ككل.

ونعني بالقوة الناعمة مجموع المصادر، الفواعل والعوامل، التي ساهمت إلى حد كبير في تعزيز مكانة تركيا الإقليمية خلال السنوات الـ 15 الماضية، وتحديداً مع وصول حزب العدالة والتنمية AK Parti بقيادة السيد رجب طيب أردوغان إلى السلطة في العام 2002م، وذلك في شبه قطيعة منهجية مع الفترات السياسية السابقة، والتي كان الجيش التركي حارساً لعلمانييتها ولمنهج القوة الصلبة، المؤطر الأوحد لعقيدة تركيا السياسية، داخلياً وخارجياً على مدى عقود.

وتشير العديد من المؤشرات إلى تنامي الطموحات التركيبية نحو زيادة القوة، وترقية المكانة الدولية والانطلاق نحو مزيد من التأثير في النظام العالمي والإقليمي وفقاً لاستراتيجية تركيا 2023م (1).

1. "أردوغان: ستواصل تركيا المضي بخطى واثقة نحو أهدافها المنشودة لعام 2023"، ترك برس، 7 مايو 2016م، متاح على الرابط التالي: <http://goo.gl/mePw2w>

وانسجاماً مع ما سبق، وأيضاً في إطار حُسن تقدير إمكانات تركيا أولاً، والقراءة الجيدة والمتأنية لظروف الجوار والمحيط الجغرافي ثانياً، فقد تبنى حزب "العدالة والتنمية" التركي منذ وصوله للحكم مجموعة من السياسات التي من شأنها أن تساعد على تحقيق هذه الطموحات، في غير لجوء إلى الطرق الصلبة للقوة. وذلك من خلال عدة سياسات حققت نجاحاً كبيراً بعد إطلاقها. ومن بينها سياسة "تصفير المشاكل" (1)، والسياسة الخارجية المتعددة الأقطاب والدبلوماسية المتناغمة.

غير أن أهم تأثير لحزب العدالة والتنمية في المنطقة العربية هو إعادة تشكيل منظومة الكثير من الحركات الإسلامية وتوجيهها نحو العمل المدني والاعتدال، ومما ساعد "العدالة والتنمية" على ذلك نظرة الحركات الإسلامية له في العالم العربي، على أنه "حزب إسلامي" رغم تأكيد أدبياته وتصريحات قياداته على أنه حزب ديمقراطي محافظ. (2) إضافة إلى القبول الإقليمي والدولي الذي حظي به في سنوات حكمه الأولى تحديداً، وهذا هو "النموذج" الذي مثله العدالة والتنمية بالنسبة للإسلاميين العرب، أي: جمعه بين الإسلام كمرجعية والديمقراطية كآلية. (3)

وباتباع التوجه الجديد في الاهتمام بالدول العربية الإسلامية، باشرت تركيا العدالة والتنمية آنذاك، استعادة علاقاتها مع سوريا بشار الأسد، حسني مبارك في مصر، حركتي فتح وحماس في فلسطين، ومع الانفتاح اقتصادياً على العديد من الدول

1. "صفر مشاكل" استراتيجية أعلنتها أحمد داود أوغلو تتجه فيها تركيا لإنهاء الخلافات مع الدول التي لها مشاكل مع أنقرة، وتعتبر إعلاناً عن دخول الدبلوماسية التركية مرحلة جديدة تتسم بالخروج من المشاكل الإقليمية، والانتقال إلى تحسين علاقات تركيا بالدول المعنية، بعد تحقيق هدف الوصول إلى "صفر مشاكل".

2. راشد الغنوشي، الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام، (دار المجتهد، تونس، 2015م)، ط2، ص263-265.

3. Remarks By President Obama to Turkish Parliament, The White House, 6 April 2009,

(Visited on 3 September 2016) : <http://goo.gl/jcKC3U>

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

العَرَبِيَّة، إضافة إلى التَّدخُل في الصَّرَاعَاتِ الَّتِي تَواجِه المنطقة العَرَبِيَّة، وَخَاصَّةً في عام 2008م، من خلال تقديم اقتراحات تسوية سَلْمِيَّةٍ لِقَضِيَّةِ بِناءِ المِستوطنات الإِسْرَائِيلِيَّة. كما شَجَّعتِ المِحادِثات بين إِسْرَائِيل وسوريا، وكذلك العمل مع الفِصائل العِراقِيَّةِ المِخْتلِفة ومَع الطوائف اللِبنانِيَّةِ المِشْرذِمة.. إلخ.

في الواقع، كانت اسْتِراتِجِيَّة حَقِيقِيَّة تَتَبَّي دوراً مُسَهِّلاً ووسيطاً يرفع تركيا إلى وَضْعِيَّة قُوَّةٍ مِحايدة تَمُتُّ دور «الخير» و«الراعي» أو «الأخ الأكبر» لدول «صغيرة» في شرق البحر المتوسط؛ حيث يمكن لتركيا أن تستند في هذا على شبكة دُبُلُوماسِيَّة جَيِّدة وقُوَّة عَسْكَرِيَّة مُعْتَبَرة، لتعزِيز تأثيرها في كافَّة أزمات الشرق الأوسط، بما أنها قُوَّة مِحوَرِيَّة تَتَمَوَّضِعُ بين الشرق والغرب.

ومع بداية انتفاضات "الربيع العربي" تَدخَلتُ تركيا بشكلٍ مُكثَّفٍ في قلب تلك التَحَوُّلاتِ، مِحاوِلةً اقْتِراحِ سِياسَتِها الدَّاخِلِيَّة كـ«نموذج» ناجع. الشيء الَّذِي أَسَّالَ الكَثِيرَ من المِدادِ، وأثار الكَثِيرَ من التِساوُلاتِ، حول الدوافع الحَقِيقِيَّةِ والاسْتِراتِجِيَّةِ لِسِياسَةِ الحَارِجِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ في العالم العربي، وَالَّتِي تَعْتَمِدُ أدوات الإقناع والتأثير والشراكة في تطبيقاتها لِقُوَّةِ النَّاعِمَةِ، ولا تتوانى في عرض واستعمال قُوَّتِها الصَّلْبَةِ إن دعت الحاجة لذلك. تركيا الَّتِي اختارت خلال الفترة المِاضِيَّةِ تَرجيحَ أدوات القُوَّةِ النَّاعِمَةِ والدُبُلُوماسِيَّةِ الشُّعْبِيَّةِ لتطبيق تصوراتها واسْتِراتِجِيَّتها، ونجحت على إثرها في ارتقاء المرتبة العِشرِينَ ضمن تصنيف (1) "Monocole" لِقُوَّةِ النَّاعِمَةِ عام 2012م، سترى نفسها

1. Monocole Quality of Life Survey هو استطلاع سنوي تُجْرِيه مجلة Monocole اللندنيَّة منذ العام 2007م، عن جودة الحياة في المدن الكبرى حول العالم وَفُقِّ عِدَّةُ مِعايير صارمة، بعضها مِعايير مِلموسَة مثل: معدل الجريمة، البِنِيَّةُ التَحْتِيَّةُ للصحة، التعليم، البِنِيَّةُ الطِبيعيَّةُ، والوصول إلى المكتبات العامة، ومنها مِعايير غير مِلموسَة؛ ثَقافِيَّةً إجْتِمَاعِيَّةً، مثل درجة التِواصل داخل المدن، وكِيفِيَّةُ العِلاقاتِ الإِجْتِمَاعِيَّةِ فيها، ودرجة التِسامحِ لأنماطِ مِغايرةٍ من المِعيشَةِ كي تِعيش في سلام ووثام إجْتِمَاعِيٍّ بين أبناء المدن وزائريها وحتى الأَجانِبِ المِقيمين فيها، ويقيس الاستطلاع كذلك نوعِيَّةَ الحياة الثَقافِيَّةِ في المدن من مِسارِحٍ ودور سينما، وندوات وحفلات ثَقافِيَّةٍ وإِجْتِمَاعِيَّةٍ، ونحو ذلك. (Monocle Quality of Life Survey, Monocle Magazine, UK, available at: goo.gl/HxFpQH).

أيضاً مُضْطَرَّةً لتغيير توجُّهها مرَّاتٍ عدَّة؛ مخافةً حدوث مشاكل لتركيا بسبب حالة عدم الاستقرار الذي يطبع الدول المجاورة لها.

هي إذن، مخاوف عبَّرَ عنها نائب رئيس الوزراء التركيِّ محمَّد شيمشك (1) Mehmet Simsek، في معرض حديثه عن تركيا التي تصبو إلى أن تكون القُوَّة النَّاعِمَة للاتحاد الأوروبيِّ، بقوله: "إن الأحداث الجيوسياسِيَّة الجَارِيَّة في المنطقة؛ حيث تقع تركيا، يمكن أن تُقوِّض أهداف النُّموِّ في البلاد، خصوصاً إذا ما ارتفعت حدَّة التَّوتُّر وإذا ما الإصلاحات المرتقبة لم تُنفَّذ"، وذلك خلال تدشين ملتقى إسطنبول 2016م (2).

1. محمد شيمشك هو سياسيٌّ تركي من أصل كردي، شَغَلَ شيمشك منصب وزير المالية ونائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية في حكومة رئيس الوزراء رجب طيِّب أردوغان في عام 2009م، وكذا في حكومة أحمد داوود أوغلو حتى 2015م. ثم عمل مستشاراً لرئيس الوزراء في حكومة بن علي يلدرم. ودخل قائمة فورين بوليسي لأكثر 500 شخص مؤثِّر في عام 2013م، للمزيد يُنظَر الرابط التالي: <http://cutt.us/cvQnh>
2. Nur Gülsoy، تركيا ستصير "القُوَّة النَّاعِمَة" للاتِّحاد الأوروبيِّ "La Turquie deviendra la puissance douce" de l'UE وكالة 2016-05-06-Andalou، <http://aa.com.tr/fr/turquie/la-turquie-deviendra-la-puissance-douce-de-lue-567721>

المبحث الأول

القوة الناعمة في ميزان التحولات الدولية

لا أحد يُنكر أهمية القوة الناعمة في عصرنا الحالي، المتسم بعولمة المعلومات والانتشار السريع للقيم الإنسانية والاستهلاكية، بمختلف مصادرها ومشاربها. فالقوة الناعمة في اصطلاحها السياسي المعاصر، تنهل أيضاً من حقول الفلسفة والأدب والسياسة عند القدماء، بما أنها تشير إلى أفعال ومعاني التأثير والإقناع والثقافة، وإعطاء النموذج الجيد، على سبيل المثال لا الحصر. وهو ما يدعم طرح مُنظرها المعاصر جوزيف ناي Joseph Nye، الذي منحها الإطار النظري والمبرر التطبيقي(1).

القوة الناعمة.. النماذج الجديدة في عصر العولمة:

فإذا كانت الكيانات السياسية التقليدية عبر التاريخ، قد بنت مكانتها الدولية على مدى القدرة في تشكيل جيوش قوية وقادرة على القيام بمختلف المهام الدفاعية والتوسعية المنوطة بها، من جهة أولى. وبناء اقتصاد ديناميكي مُنتج للثروة وفوائض الإنتاج والرفاه الاجتماعي، من جهة ثانية، وأيضاً التوفر على نموذج وطني ذي إشعاع ثقافي وحضاري مُتميز، من جهة ثالثة. أي كل ما يُؤسس ويُفعل القوة الصلبة (Hard power)، فإن عصر القرية الكونية أو العولمة الشاملة، يتزامن مع ارتفاع التكلفة السياسية والبشرية والاقتصادية للعمل العسكري، وانفتاح الحدود أمام

1. إيمان مصطفى "القوة الناعمة في السياسة الخارجية"، فكر أونلاين، 3 مارس 2016م. متاح على الرابط التالي: goo.gl/G7EZxF

تدفق المعلومات والصور، قد قام بترجيح كفة العوامل غير المادية في حسابات القوة والهيمنة، والتي باتت أكثر تعديدية، بدل أحادية أو ثنائية الأقطاب المعروفة. (1) إنه اللجوء إذن إلى إنتاج نماذج سياسية جذابة، وإرادة تفعيل الإبداع الثقافي والفني لدى القائمين على دوائر صنع القرار ومراكز البحث. وذلك اعتماداً على فرضية تحقيق المصلحة الوطنية بوسائل غير عسكرية وأدوات تدخل غير مباشرة، في إدارة العلاقات مع الكيانات الأخرى في المحيط الإقليمي والدولي. فالتدخل أو التهديد العسكري، وتوقيع عقوبات اقتصادية أو شن حروب دبلوماسيّة، غير مجدي على المدى الطويل، كحلّ لأزمات طارئة أو التعامل مع تهديدات فورية، وفق منطري القوة الناعمة (Soft Power)، الذين يخلصونها في القدرة على التسخير الجيد لمجموعة أدوات تجعل الفاعل المستهدف يلبي المطلوب منه دون أن يشعر بالبُعد القسري الذي يضع العلاقات تحت ضغط الفعل ورد الفعل، ومُستتبعاته من حسابات التآر والاحتراس والنفور والتفوق والعداء، خصوصاً في عالم يشكّل أكثر فأكثر فضاءً تواصلياً مفتوحاً بامتياز. (2).

القوة الناعمة.. النسخة الروسية:

ولقد برزت مقدمات القوة الناعمة مباشرة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي عام 1991م (3)، كنموذج دال في هذا الباب؛ فرغم امتلاك هذا الأخير لمخزون ضخم من الأسلحة التقليدية، ومعها أسلحة الدمار الشامل، إلا أن الاحتفاظ بالتفوق في مجال القوة العسكرية بدأ مستحيلاً، بالنظر إلى التكاليف الباهظة والمخاطر المترتبة،

1. نزار الفراوي، الثقافة والقوة الناعمة، حروب الأفكار في السياسة الخارجية، مركز برق للدراسات والأبحاث، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/FsXx7>
2. المرجع السابق
3. كان تفكك الاتحاد السوفييتي إشارة لانتهاء الوجود القانوني لدولة اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية. وقد حدث ذلك التفكك في 26 ديسمبر 1991م. عقب إصدار مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتي الإعلان رقم (H- 142) والذي أعلن فيه الاعتراف باستقلال الجمهوريات السوفييتية السابقة، وإنشاء رابطة الدول المستقلة لتحل محل الاتحاد السوفييتي. (غادة الخلايقة: كيف سقط الاتحاد السوفييتي، موضوع. كوم، 7 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kgVuf2)

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

في ظلِّ تدهورِ القُدرةِ الاقتصاديَّةِ السُّوفِيَّيَّةِ نتيجة عجزِ آليَّاتِ الاقتصادِ الشيوعيِ الموجهِ، وكذلك قصورِ الأساليبِ المتَّبَعَةِ في الإدارةِ والتنظيمِ عن مسايرةِ إيقاعِ الحداثةِ والتكنولوجياِ المتلاحقةِ، الَّتِي تُؤمِّنُ بتسريعِ وتيرةِ التَّنْمِيَةِ ورفعِ الإنتاجِيةِ (1).

وعلى النقيضِ من ذلك، تَمَيَّزَ عهدُ الرئيسِ الرُّوسِيِّ فلاديميرِ بوتين (2) في بداياته بتفعيلِ القُوَّةِ النَّاعِمَةِ لروسياِ الاتِّحاديَّةِ، عبرِ عدَّةِ استراتيجيَّاتٍ متعاضدةٍ تمثلت في (3):

- تَقَمُّصُ روسياِ دورِ راعيةٍ من رعاةِ السلامِ العالميِّ، وخصَّصَ في قضايا الشرق الأوسطِ من جهة، وربطِ علاقاتِ صداقةٍ مع دولِ العالمِ، وخصَّصَ الصينَ وروسياَ وإيرانَ ومصرَ ودولَ الشرق الأوسطِ وآسيا، الشَّيءَ الَّذِي مكَّنها من استعادةِ نفوذها في العالمِ من جديد.
- إعادة إنتاجِ ثقافةٍ روسيَّةٍ جديدةٍ في احترامِ لعقائدِ وأيديولوجيَّاتِ الشُّعوبِ، كما في مثالِ الصُّلحِ الكبيرِ بينِ بطريكِ الكنيسةِ الرُّوسِيَّةِ الأرثوذكسيَّةِ (كيريل) وباباِ الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ الرومانيَّةِ (فرنسيس)، بهافانا الكوبيَّةِ في عامِ 2016م. (4)

1. "تدهور قُوَّةُ الاتِّحادِ السوفِيَّيَّيِّ وأسبابُ الانهيار"، موسوعة مقاتل، الرياض، دت، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/r9mQNV
2. فلاديمير بوتين الرئيس الحالي لجمهورية روسيا الاتِّحاديَّة. ولد في 7 تشرين الأول (أكتوبر) عام 1952م، خريج كلية الحقوق من جامعة لينينغراد في عام 1975م، ترقَّى في المناصب حتى أصبح نائباً أول مدير ديوان الرئيس الروسي. وعيَّن في يوليو 1998م مديراً لخدمة الأمن الفيدراليَّة في روسيا الاتِّحاديَّة. وفي أغسطس 1999م أصبح رئيساً لحكومة روسيا الاتِّحاديَّة وذلك باختيار من الرئيس بوريِس يلتسن. وبعد استقالة الرئيس بوريِس يلتسن انتُخب بوتين في 26 مارس 2000 رئيساً لروسيا الاتِّحاديَّة. وأعيد انتخابه للرئاسة في 14 مارس 2004م، وسُغِّل منذ 8 مايو عام 2008م منصب رئيس وزراء روسيا الاتِّحاديَّة. (Vladimir Putin, Encyclopedia Britannica, (available at: goo.gl/Ji1RBq)
3. حسني عماد حسني، "القُوَّةُ الصليبية والقُوَّةُ النَّاعِمَةُ الرُّوسِيَّيَّانِ"، مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط، 6 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bg617o
4. التقى بطريك موسكو وسائر روسيا كيريل البابا فرنسيس يوم 12/2/2016م في هافانا، في خطوة تاريخيَّة لمحاولة تسوية الخلافات القائمة بين الكنيستين الكاثوليكيَّة والأرثوذكسيَّة التي نشبت بينهما بعد تفكُّك الاتِّحاد السُّوفِيَّيَّيِّ، في عام 1991م، عندما استتولَّى أتباع الكنيسة الكاثوليكيَّة اليونانيَّة في أوكرانيا على مئات الكنائس الأرثوذكسيَّة التابعة لبطريركية موسكو وسائر روسيا. وقد اتَّهَمَت الكنيسة الأرثوذكسيَّة الرُّوسِيَّة الفاتيكان برعاية نشاط هؤلاء، ولسياسة التبشير على المناطق التابعة تقليدياً للكنيسة الأرثوذكسيَّة الرُّوسِيَّة. وكذلك لإقامة الكاثوليك أبرشياتهم في الشرق الأقصى الروسي وسيبيريا وفي كثير من المناطق الرُّوسِيَّة. وجاء هذا اللقاء في محاولة لراب الصدع بين الطرفين. (لقاء تاريخي بين البابا فرنسيس وبتريك روسيا للأرثوذكس، فرانس 24، 13 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/f69XKv).

- الاهتمام بالإعلام على غرار قناة "روسيا اليوم"، والتي استطاعت أن تفرض نفسها بين مختلف القنوات العالمية الموجهة للعالم العربي، وقدمت خطاباً إعلامياً جذاباً يُعبر عن روسيا بعدة لغات دولية واسعة الانتشار.
- ترقية الجامعات الروسية، وخاصة جامعة موسكو، التي بزغ إشعاعها من جديد، كإحدى أفضل الجامعات في العالم ومركز استقطاب للعديد من الدارسين من كافة دول العالم.
- تزايد الاهتمام بالعوامل الثقافية والمبادئ الإنسانية الكونية في المقاربة الروسية الجديدة للعلاقات الدولية، والتأكيد على رغبة روسيا في نشر السلام ومنع الأزمات والحروب.

وعموماً فإن العالم يدين للقوة الناعمة في إنهاء الحرب الباردة، بانتصار قيم الحرية والديمقراطية والليبرالية على قيم الاستبداد والتسلط. بل فسّر انتصار الولايات المتحدة والمعسكر الغربي على القطب الشيوعي، في صراع استراتيجي مريع، بكونه انعكاساً في الجوهر لانتصار ثقافي فكري باهر (1).

في حين زادت ثورة الاتصالات والتفاعلات البشرية من صعود نجم القوة الناعمة؛ حيث تراجعت الحدود بمفهومها التقليدي، واختارت كثير من المفاهيم درب الحداثة، في غير قطيعة منهجية مع التراث. مما كان له التأثير البالغ على كافة مناحي الحياة الإنسانية، والتي تتجاوز التعليم والثقافة بمفهومهما الكلاسيكي المحدود إلى بُعد لا يُعترف باختلاف اللغات والثقافات والتقاليد إلى غير ذلك.

1. نزار الفراوي، الثقافة والقوة الناعمة، حروب الأفكار في السياسة الخارجية، مركز برق للدراسات والأبحاث، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/FsXx7>

المبحث الثاني

القوة الناعمة.. تطبيق «صفر مشاكل» التركي

بالنظر إلى أن التنمية والتقدم من حيث قيمتهما الحقيقيّة، لا يمكن أن يتحققا إلا من خلال السلام المستدام في بيئة مُستقرّة، فإن تركيا وضعت نُصبَ أعينها تحقيق هدف "صفر مشاكل" الذي احتلّ مركز الرؤية المستقبلية للسياسة الخارجية التركية، وذلك منذ صعود العدالة والتنمية إلى السُلطة عبر صناديق الاقتراع في 2012م. وهذا النهج هو خلاصة المثال الذي حدّده مؤسس الجمهورية التركية العُلمانيّة أتاتورك، بمقولته: "السلام في الوطن، السلام في العالم. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا النهج هو نتيجة طبيعيّة للمسؤوليّة بصورتها المعاصرة والرؤية الإنسانيّة في السياسة الخارجيّة (1).

فالسّياسة الخارجيّة التركيّة القائمة على تقاليد مُتجذّرة تستمد قوتها من خصائص الدّولة الديمقراطيّة، العُلمانيّة والاجتماعيّة، القائمة على سيادة القانون. ففي فترتنا الرّاهنة التي تحدّث فيها تغييرات كبيرة في العالم، يتمّ تدبير السّياسة الخارجيّة التركيّة في قلب منطقة مُفعمّة بالمشاكل والتطوّرات السريعة. لذا فإن ترسيخ السلام والاستقرار والأمن على أسس صلبة، في مثل هذه البيئة الإقليميّة والعالميّة التي لا تخلو من تشبّجات وعدوانيّة، يصبح أكثر صعوبة. لكن مع كلّ هذا توجد إمكانيّات أكبر للتعاون والشراكة التي أصبحت ضرورة أيضاً (2).

1. Zero Problems in a New Era, Turkey Ministry of Foreign Affairs, available at: goo.gl/dLZsZm
2. Zero Problems in a New Era, Ibid.

وفي مواصلة الالتزام الصارم بهذه السّياسة، فإنّ تركيا لا تضع أبداً الواقعيّة جانباً، ولا تنسى أن مقارنة " صفر مشاكل " يعني هدفاً ومثاليّة في نفس الوقت. ففي الواقع، يكاد يكون من المستحيل أن نعتبر أن كلّ مشاكل الجوار والمحيط التي لها جذور عميقة في التاريخ يمكن حلّها في وقت قصيرٍ. وهو ما تبين في السنوات الأخيرة، بعد استعمال القوّة الصّلبة ضدّ روسيا (إسقاط المقاتلة الرّوسية)⁽¹⁾، كمثال واستثناء أمّلت الظروف والأحداث المرتبطة بها.

في هذا السياق، سعت الاستراتيجية التركيّة الجديدة إلى تدبير حوار معقدّ متعدّد الأبعاد مع الأطراف التالّية، والتي تُعتبر من ألد أعداء الأمس، أي إبان الحرب الباردة وما قبلها لأسباب مُتجدّرة في التاريخ، وتعود إلى حقبة الإمبراطوريّة العثمانيّة، من خلال حوارات ثنائيّة أهمّها⁽²⁾:

- تركيا وإيران، والتي أعربت الأولى عن رغبتها في تطوير علاقاتها مع بلد يجمعها في الماضي معه تاريخ طويل، كما لم تُخفِ تتبّعها عن قُرب للبرنامج النوويّ الإيرانيّ موضع انتقاد وعقوبات من الغرب.
- تركيا والعراق، والتي أعلنت الأولى أنها تبذل جهوداً مكثّفة لكي يستعيد الطرف الثاني وحدته السّياسيّة وسيادته الترابيّة والاندماج كلياً مع المجتمع الدوّليّ، مع محاولة تفعيل توصيات "مجلس التعاون الاستراتيجي"⁽³⁾ على مستوى عالٍ وصعيد متعدّد الأبعاد.

1. وقعت حادثة إسقاط المقاتلة الرّوسية عندما أُطلقت قوّة الدفاع الجويّة التركيّة في 24 نوفمبر 2015م النار على مقاتلة روسيّة من طراز سوخوي سو-24 اخترقت المجال الجوّي التركيّ فوق ولاية هاتاي، مما أدى إلى سقوطها قرب الحدود السوريّة التركيّة. (تركيا "تسقط طائرة حربيّة" روسيّة على حدود سوريا، بي بي سي عربي، 24 نوفمبر 2015م، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Z7udXt).

2. مصادر مختلفة، وكالات أُنباء.

3. إطار تعاوني ناجم عن اتفاقية ثنائيّة لتدشين المجلس الأعلى للتعاون الاستراتيجي بين تركيا والعراق تمّ توقيعها عام 2008م، بين رئيسيّ وزراء البلدين، آنذاك، العراقي نوري المالكي، والتركي رجب طيّب أردوغان، يجتمع المجلس مرة واحدة على الأقل سنويّاً برئاسة مشتركة لرئيسي وزراء البلدين، ويجتمع ثلاث مرّات سنويّاً على المستوى الوزاريّ، وتُعقد اجتماعات رسميّة رفيعة المستوى مرّة كل ثلاثة أشهر في عاصمتي البلدين، بعضوية الوزراء المعنيين بمجالات الطاقة والتجارة والاستثمار والأمن والموارد المائية، مع إمكانية أن يُقرّر رئيسا الحكومتين توسيع المجلس ليضمّ وزراء ومسؤولين في مجالات مُعيّنة مع تطور التعاون الثنائي ليشمل كافة المجالات ذات الاهتمام المشترك. (نص الإعلان السّياسيّ المشترك لتأسيس المجلس الأعلى للتعاون الاستراتيجي بين العراق وتركيا، حكومة إقليم كردستان العراق، 10 يوليو 2008، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3CwucE).

القوة التركيبية الناعمة

- تركيا وسوريا، عبر علاقات حسن الجوار، واتفاقيات للتعاون الثنائي، والتي توقفت لسوء الحظ، بسبب تداعيات رد فعل النظام العنيف على المظاهرات الشعبية في مارس 2011م، وبالتالي الانزلاق إلى هوة حرب أهلية اختلطت فيها تحديات الداخل، وأحلام الشعب في الحرية والكرامة مع قسوة النظام وأطماع الخارج.
- تركيا واليونان، منذ عام 1999م. من خلال أليات مهمة مثل الاتصالات السياسية العادية، محادثات استكشافية حول قضايا بحر إيجه، إجراءات بناء الثقة، اجتماعات مجلس التعاون على مستوى رفيع.
- تركيا والاتحاد الروسي، منذ انهيار الدب السوفييتي سنة 1990م، والتي تعززت باتفاق شراكة متعدد الأبعاد، إضافة إلى مجلس تعاون رفيع المستوى أنشئ عام 2010م لتطوير العلاقات الثنائية، مع تعميق أسس التعاون المتبادل والحوار الذي توج بالإعفاء من تأشيرات الدخول بين البلدين.
- تركيا وأوكرانيا، بإنشاء "مجلس رفيع المستوى الاستراتيجي" وزيادة حجم التجارة الثنائية بخمسة أضعاف مقارنة بالعقد الماضي، مع السعي لإبرام اتفاق للتجارة الحرة التي بدأت مفاوضاتها في ديسمبر (كانون الأول) عام 2011م، في سبيل التكامل بين هذين السوقين الرئيسيين في حوض البحر الأسود.
- تركيا وجيرانها في منطقة البلقان: بلغاريا ورومانيا، الذي أدى إلى حل جزء كبير من المشكلات الأساسية معهما.

وبما أن العالم لا يسير بانوياً الحسنة والأساليب الناعمة فقط، والأمور بدورها تحتاج بين الفينة والأخرى إلى دفعة قوة صلبة لإزاحة العوائق المرحلية عن الطريق، فقد وصل الأمر إلى وصف صحفيين متعاطفين مع وضع تركيا الحالية (التدخل العسكري في سوريا، ورفع اللهجة مع بعض دول الغرب) بترك هذه الأخيرة محل عزلة في مواجهة بيئة عدوانية، مؤلفة (حسب نعتهم) من ليف ما سموه بـ "الدول المارقة"، وهي مجموعة من الدول، يقولون بأنها دون إيمان، ولا قانون، ويقصدون بها:

روسيا وإيران والعراق وسوريا. وَصَفَ وإن كان يمتلك جزءاً من الحقيقة، فهو يُغفل وضع تركيا المُمَيِّز كعضو في حلف الناتو، والحارس المُتقدِّم أمام الجهة الجنوبيَّة من روسيا. فضلاً عن دورها كما وصفه البعض الآخر بالقاعدة الخُلفيَّة للجهاد العالَمي في الحرب السُوريَّة(1).

القُوَّة النَّاعِمَة .. العمق الاستراتيجي .. موقع تركيا ودورها في السَّاحة الدَّوليَّة:

يُسلِّطُ أحمد داود أوغلو(2) Ahmet Davutoglu الضوء في كتابه، على "العمق الاستراتيجي.. موقع تركيا ودورها في السَّاحة الدَّوليَّة"، الَّذي يَمُرُّ بالضرورة عبر "العمق التَّاريخي" و"العمق الجُغرافي". وفي هذا الاتِّجاه، يقترح داود أوغلو تدابير مُحدَّدة تسمح لبلاده بأن تصبح "قُوَّة على السَّاحة الدَّوليَّة"؛ فالإرث العُثمانيِّ باعتباره الماضي التَّاريخي لتركيا، يمكن أن يساعد هذه الأخيرة على استعادة دفء العلاقات مع جيرانها العرب، من خلال ما هو مشترك. ونعني به هنا: التراث الإسلاميِّ. في هذا السياق، نجد أيضاً التعميل على أهميَّة الموقع الجُغرافي لتركيا، كمفترق طُرُق بين عدَّة مناطق وثقافات، تتقاطع فيما بينها وتتوازي، وهو ما يُعبَّر بقيمة مضافة أخرى لهذا البلد الكبير؛ حيث تتيح له فرصة للانتشار في العديد من البلدان حولها.

1. Mehmet Ertuğ Ulusoy, Turkey: From the "Zero Problem" Policy to the "Zero Friend" Policy, Ertug Ulusoy, 03 January 2014, available at: goo.gl/yPsMiF

2. أحمد داوود أوغلو (ولد في 26 فبراير 1959م) سياسي تركي وخبير في العلاقات الدَّوليَّة وسفير ورئيس وزراء تركيا والرئيس الثاني لحزب العدالة والتَّميَّة في الفترة ما بين 2014-2016م خلفاً للرئيس أردوغان سابقاً، وقد خلفه بن علي يلدرم في رئاسة الحزب ورئاسة الحكومة. وعيِّن في الحكومة السَّتين والواحدة والسَّتين كوزير خَارِجِيَّة من قِبَل الرئيس أردوغان. وعمل كمستشار في السياسة الخَارِجِيَّة لعبدالله غل وأردوغان في الفترة من عام 2003 إلى عام 2009م. ودخل البرلمان التركيِّ كنائب عن قُوَّة وعضو في حزب العدالة والتَّميَّة في فترة 2011 و2015م. واستقال من منصب رئيس الوزراء في 22 مايو 2016م. (أحمد داوود أوغلو، الجزيرة نت، 22 سبتمبر 2014، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/TRTZv7).

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وفي هذا يعطي داود أوغلو، الأُولُوِيَّةُ لشرق المتوسط، عبر "زيادة حضورها ونفوذها في شرق البحر المتوسط، شمال إفريقيا والشرق الأوسط"، والتي من شأنها أن تكون بمثابة نقطة انطلاق نحو تنصيب تركيا "قُوَّةً إقليميَّةً ومن بعد عالميَّةً" (1).

فتركيا، وفقاً لنظريَّة العُمق الاستراتيجي، دولة مُتعدِّدة الأحواض القاريَّة بما يمنحها عمقاً استراتيجياً في الشرق الأوسط، بالتوازي مع إمكانيَّات واعدة للتأثير في كلِّ من قارتي أوروبا وآسيا، ومن ثمَّ فإن تركيا، وفقاً لهذا الاقتراب، دولة "أفروأورواسيويَّة"، فهي دولة أوروبية آسيويَّة بحُكم الجُغرافيا، لكنها قريبة من إفريقيا بحكم التاريخ والجيوبوليتيك، عبر بَوَابَةِ شرق المتوسط التي تمنحها إطلالة مُتميِّزة على شواطئ إفريقيا الشماليَّة (2).

ويتجلى هذا، من خلال حرص المسؤولين الأتراك على تطوير خطابهم الموجه للعالم الثالث، وشجَب الظلم الممارس من طرف النُظَام الدُولي الجديد، الذي تُشكِّل إسرائيل جزءاً كبيراً منه، وقد تزامنَ تنفيذُ هذا النهج الجديد مع الثورات العربيَّة. مما أعطى لتركيا وزناً كبيراً في إعادة بناء نموذج جديد للشرق الأوسط. وفي محاولة لتسليط الضوء على نقاط قُوَّتها، وجدت تركيا أردوغان نفسها تواجه العديد من المآزق التي شكَّلت تدريجياً تحدياً نظرياً قوياً لطروحات أحمد داود أوغلو، على غرار ما يُضمِّره ميزان القُوَى في العلاقات الدُوليَّة والمتضمَّن للقليل من النوايا الحسنة أو المشاعر (3).

1. أحمد داود أوغلو، العُمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدُوليَّة، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، الدار العربيَّة للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الثَّانيَّة، 2011م، ص 232-234.

2. أحمد داود أوغلو، المرجع السابق.

3. Mehmet Ertuğ Ulusoy, Turkey: From the "Zero Problem" Policy to the "Zero Friend" Policy, Op.Cit

فالحكومة في أنقرة كانت قد تعهّدت بمباشرة المساعي الحميدة، والوساطة بين الولايات المتّحدة وإيران، وبين إسرائيل وسوريا، وبين العراق وسوريا، وبين إسرائيل والفلسطينيين، وبين حماس وفتح. هذه المبادرات، حتى لو كانت موضع تقدير من قبل جميع الشركاء الدوليين، وإن لم تكن قد خلّصت في الاتجاه المطلوب، بسبب التعقيدات السياسية في الشرق الأوسط، إلا أنها أعطت تركيا الوزن الإقليمي المهم. تركيا التي ترى في الشرق الأوسط الخلفية التي لا غنى عنها. وبصورة غير علنية أيضاً، تحدّث داود أوغلو عن "التضامن الإسلامي"، من منطلق أن الإسلام والماضي العثماني، يُعتبر من الينابيع الرئيسة لـ "القوة الناعمة" التركية. لكن لا يزال الشرق الأوسط قضية جيوسياسية كبرى في القرن الحادي والعشرين، كما كان الحال عليه في القرون السابقة. فالرهانات على الموارد الحيويّة للمنطقة تزداد مع تراجع احتياطات المياه والنفط. كما تتعلّق بالزيادة المتوقّعة في عدد السكّان، بناء على الدّراسات المتعلّقة بالأفراد والجماعات المتواجدين بمنطقة الشرق الأوسط.

ويبدو أن قضية الشعب الفلسطيني ليس لديها أي حلول إضافية مُشجّعة في المستقبل القريب. وسوف يُترك الأمر للوقت والسنوات تتحكّم في ذلك، كما كان الأمر عليه دائماً، وبالأخصّ في التطبيق الطويل والممتوي لخارطة الطريق الفلسطينية / الإسرائيلية. ولو في ظلّ إبرام اتفاقات سياسية محتملة، وظهور قوتين أُخرين غير عربيتين بالشرق الأوسط بعد إسرائيل، وهما إيران وتركيا.

هاتان الأخيرتان يمكن أن تُغيّرًا من موازين القوى في المنطقة. والنتيجة يمكن أن تكون في صورة بناء قوة إقليمية عربية سُنّية حقيقية، مثل مصر والمملكة العربية السّعودية. وهذا يمكن أن يُؤدّي أيضاً إلى صراعات جديدة، ربما أكثر عنفاً. بين هذه القوى الإقليمية التي تدعمها جهات خارجيّة لها احتياجاتها المُبرّرة من الطّاقة والأعمال التجاريّة (1).

1. مصطفى شفيق علام، تحالفات القوى الإقليمية وأثارها على مستقبل المنطقة، مجلة البيان اللندنية، 23 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hWgXcF

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ فِي مِيزَانِ التَّحَوُّلَاتِ الْعَرَبِيَّةِ:

في زمن "الكماليَّة"، أدارت تركيا ظهرها للعرب بصفة كاملة، مُرَكِّزَةً في اتجاه الغرب لما يقرب من نصف قرن. لكن مع نهاية الحرب الباردة، أخذت في التَّوجُّه نحو العالم العَرَبِيَّ وبلدان حوض المتوسط. هذا المُعْطَى أو التَّطَوُّر الجديد في سياسة تركيا الخَارِجِيَّة تَمَّ تَأْكِيدُه مع وصول حزب العدالة والتَّنْمِيَّة (Adalet ve Kalkınma Partisi) إلى السُّلْطَة؛ لتكبِّ حكومة أنقرة في نُسختها المنفتحة، على:

- تسوية النزاعات القائمة في بيئتها المجاورة، وتقديم مساعيها الحميدة لمساعدة الدول العَرَبِيَّةِ المجاورة، أولاً.
- التَّدخُّل في الصَّرَاعَاتِ النَّاتِجَةِ عن الثورات العَرَبِيَّةِ لِسَنَةِ 2011م، بتقديم حُلِّ عَمَلِيٍّ لِمُخْتَلَفِ الأَطْرَافِ الفاعلة في هذه البلدان، من خلال تجربتها السِّيَاسِيَّةِ، باعتبارها "نموذجاً" يمكن الاقتداء به للخروج من الأزمة، ثانياً(1).

ومنذ ذلك الحين، هَزَّتْ العديد من الأحداث هذا الجزء من العالم (سقوط عدَّة أنظمة والحروب الأهليَّة والإرهاب وأزمات اللأجئيين)، مما أدَّى إلى انهيار عدد من الدول العَرَبِيَّةِ، وحتى اختفاء بعض مُكوِّنَاتِهَا. وباختصار، عَمَلِيَّةُ إعادة تشكيل المنطقة كما هو مطلوب من قبل الأمريكيين. والأحداث الأخيرة الَّتِي هَزَّتْ المشهد السِّيَاسِيَّ التُّرْكِيَّ، وعلى رأسها الانقلاب الفاشل الأخير(2)،

1. Mehmet Ertuğ Ulusoy, Turkey: From the "Zero Problem" Policy to the "Zero Friend" Policy, Op.Cit
2. هي محاولة انقلاب عسكري فاشلة لجموعة من ضباط القُوَّات المسلَّحة التُّرْكِيَّة، دَبَّرَهَا فضيل داخل القُوَّات المسلَّحة التُّرْكِيَّة في 15 يوليو 2016 وأعلن مدبرو الانقلاب إنشاء مجلس السُّلْم من أجل أن تكون الهيئة الحاكمة في البلد. ودعا الرئيس أردوغان في حديث له عبر مواقع التواصل الاجتماعيِّ الشعب التُّرْكِيَّ للنزول إلى الشوارع لصدِّ محاولة الانقلاب، وشهدت المدن التُّرْكِيَّة مظاهرات حاشدة دعماً للحكومة السُّرْعِيَّة وللرئيس رجب طيِّب أردوغان، ورفضاً لمحاولة الانقلاب، لاقت محاولة الانقلاب رفضاً من قيادات حزبيَّة وعسْكَرِيَّة وبرلمانيَّة تركيَّة. (كيف بدأت محاولة الانقلاب بتركيا وكيف انتهت؟، الجزيرة نت، 16 يوليو 2017، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1Ap9TN).

الاشتباك مع روسيا، والتدخّل العسكريّ التركيّ في شمال سوريا، وما إلى ذلك، تذهب بالاعتقاد إلى أن المرحلة الثالثة في استراتيجيّة تركيا تسير من جديد في اتجاه الدول العربيّة، عبر دُبُوماسيّة حزب العدالة والتّمنية، وبدءاً من سوريا.

"سَقَطَ الانقلاب فَعَلَتْ أَسْهُمُ الْقُوَّةِ النَّاعِمَةِ لتركيا في العالمين العربيّ والإسلاميّ" (1)، عنوان بليغ لمنبر إعلاميّ، تبعه في ذلك كثيرٌ من وسائل الإعلام؛ حيث فشلت القوّة العسكريّة التركيّة الحارسة لإرث "العُلَمانيّة الكَماليّة" أمام مُكوّنات القوّة النَّاعِمَة حسب الوصفة التركيّة، التي يرى الخبراء والمراقبون أنها تزواج بين عناصر الثقافة التركيّة المتغلغلة في المنطقة من جهة، وبين المواقف التركيّة "الأخلاقيّة" القائمة على المبادئ والمُثلِّ ومساندة القضايا العربيّة والإسلاميّة، من جهة أخرى. وتُعبّر نجاحات تركيا في الآونة الأخيرة، أهم تبرير لاستعمال مصادر القوّة التركيّة النَّاعِمَة؛ كونها عنصر جذب يدفع كثيرين إلى اكتشاف معالم التجربة التي دفعت حكومة حزب العدالة والتّمنية إلى الارتقاء بهذه السرعة، وتجاوز كلّ العقبات وتحقيق الأهداف بطرق هادئة.

1. وكالة الأناضول، 19 يوليو 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KpgUUY

المبحث الثالث

التجربة التُركيَّة النّاعمة

تَسْتَمِدُّ التجربة التُركيَّة النّاعمة قُوَّتَهَا من النموذج الَّذِي قَدَّمَهُ حزبُ العدالة والتَّنْمِيَّةِ خلالَ فترةِ حكمه، في السِّيَاسَةِ والاقتصادِ والخارجيَّةِ والتعاونِ، والَّذِي انتقلَ بالبلادِ إلى مصافِّ القُوَى الكُبرى، على الصعيدِ الإقليمِيِّ، والقُوَى ذاتِ الوزنِ الكبيرِ، على الصعيدِ الدَّولِيِّ، وأبرزَ معالمَ هذا المشروعِ، تَتَجَلَّى في ما يلي:

• السِّيَاسَةُ بتطبيقاتها الأخلاقيَّة والديمقراطيَّة:

من خلال تعزيز قيم الحُرِّيَّةِ والعدالة والشفافيَّة، والنزاهة والاستقامة، وانتهاج حكم المُؤَسَّسات والقانون والاحتكام إلى الشعب، وإلى صناديق الاقتراع. والاستناد كذلك إلى برنامجٍ سِيَاسِيٍّ متكاملٍ هدفه أولاً وأخيراً خدمة المواطن، والنهوض بالدَّولةِ دون تسرُّعٍ في التنفيذِ وببُعدِ نَظَرٍ ونَفْسِ طويلين.

ويكتسب هذا النموذج قُوَّتَهُ من خلال ما أثبتته من قُدْرَةٍ على مَزجِ مفاهيمٍ ظلَّ كثيرون يُصِرُّونَ على وجود تضادٍّ فيما بينها، مثل مفاهيم "الديمقراطيَّةِ والإسلام"، "الانفتاح والاستقلال"، "الإصلاح والاعتدال"، "التسامح والبرجماتيَّة"، "العُلَمَانِيَّةِ والدين".

إن الديمقراطيةَ المحافظةَ الَّتِي يَسْتندُ عليها برنامج حزب العدالة والتَّنْمِيَّةِ في تركيا، ترتكز على مفهوم التغيير على مراحل، وبشكلٍ تَدْرِيجِيٍّ في هيئَةِ عَمَلِيَّةِ طَبِيعِيَّةٍ تبتعد عن مفهوم التغيير الفوقِي الَّذِي يأتي من القِمَّةِ، وتعتمد التغيير الاجْتِمَاعِيَّ، وتَعْتَبِرُهُ شَكْلَ التغييرِ الأساسي والدائم.

كما أنّ أهم ميزة للهويّة السّياسيّة التي يعمل حزب العدالة والتّميّة على تطويرها هي بناء شخصيّة تركيا؛ من خلال تجاوز تأثير السدود النابعة من التّثانيّات التي تبدو متناقضة مثل؛ الدين - السّياسة، الأصالة - المعاصرة، الدين - الدّولة، الدّولة - المجتمع - الفرديّة (1).

• اقتصاد تنافسيّ مُتعدّد الأقطاب:

وذلك بتوظيف كافّة قدرات البلاد ومواردها الطّبيعيّة والبشريّة، والاعتماد على التصنيع والتصدير، والمزج بين الرّزاعيّ لتحقيق الاكتفاء الدّاتيّ، والصّناعيّ لتصدير تنافسيّ يحمل علامة الجودة التركيّة (سادس أكبر مُنتج للإسمنت والألبسة الجاهزة على سبيل المثال)، والخدماتيّ بقطاع سياحيّ مؤهّل ومُتطوّر يجلب ما يزيد عن الـ 20 مليار دولار (2).

ناهيك عن زيادة القُدرة الإنتاجيّة والتّجاريّة، ورفع الناتج المحلّي الإجماليّ من حوالي 470 مليار دولار عام 2003م إلى أكثر من تريليون ومئة مليار عام 2010م، وهو ما انعكس على رفع مستوى دخل الفرد في تركيا، من حوالي 3300 دولار عام 2002م إلى حوالي 13300 دولار سنة 2010م (3)؛ قبل أن يصل إلى نحو 20 ألف دولار وفقاً لتقديرات البنك الدّوليّ لعام 2017 (4)، هي إذن نموذج نهوض ببلاد كانت على حافة الانهيار الاقتصاديّ، واستطاعت تسَلّق المراتب المُتقدّمة إلى غاية المرتبة 15 عالمياً، في ظرف 9 سنوات فقط.

1. انظر البرنامج السّياسيّ لحزب العدالة والتّميّة التركي، متاح على موقع الحزب على شبكة الإنترنت، على الرابط التالي: goo.gl/MxvA3l
2. الرابط التالي: <http://goo.gl/iuJ0sK>
3. إسراء محمود، "الاقتصاد التركي: 13 عاماً من النجاح"، المرجع السابق.
4. نصيب الفرد من إجماليّ الدخل القوميّ (بالأسعار الثابتة للعملة المحليّة)، مؤشرات البنك الدّوليّ، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8EoVsJ

• **السِّيَاسَةُ الْخَارِجِيَّةُ عَلَى أُسُسٍ عَقْلَانِيَّةٍ وَشِرَاكَةِ بِنَاءَةٍ:**

وذلك بتبني سياسة خارجية عقلانية مدروسة، تقوم على رؤية واضحة وقراءة عميقة لمعطيات المنطقة ومُتَغَيِّرَاتِهَا؛ تأخذ بعين الاعتبار قُدْرَاتِ تَرْكِيَا وَمَعْطِيَاتِهَا الجيوستراتيجية، وتراعي في الآن نفسه التزاماتها الخارجية، بما يحقق مصالحها أولاً، دون وجود عقدة التعامل مع القوى الكبرى، وذلك على أساس من النُدِيَّةِ والاحترام المتبادل.

ولا يجب أن ننسى أن جدليَّةَ الإسلام والنظام الديمقراطي اكتسبت حيزاً مهماً فيما يراه الآخر (الإسلامي) عن النموذج التركي، وعن تجربة "حزب العدالة والتنمية"، والموقف أيضاً بين "الالتزام" العقائدي و"تمييز" الديني عن السياسي في الممارسة. بحيث يوجد فصل للأجندة الدينية في برنامج السياسي، ولكن هناك ثبات على القيم الإسلامية: الحرية، العدالة، الشفافية، النزاهة، الاستقامة، الأخلاق، إلخ، المتأصلة في مراحل إنجاز هذا البرنامج. (1)

• **عَمَقُ حَضَارِيٍّ وَهُويَّةٌ ثَقَافِيَّةٌ مُتَنَوِّعَةٌ:**

لا يخفى على الجميع ذلك التاريخ الثري بالأمجاد والبطولات، الذي جعل من بلاد الأناضول مهد حضارة عريقة، إضافة إلى الموقع المهم الذي تحتله تركيا، والذي يحوي الكثير من الممرات البرية والبحرية التاريخية منها والاستراتيجية. فهناك مئات من الدراسات والأبحاث التي تناولت هذا التاريخ الأثيل، لكن تجدر الإشارة إلى أن هذه الحضارة قد أنشأت إمبراطوريات عديدة خلدها سطور الكتب، وجعلت منها نموذجاً لكيفية إدارة شؤون الدول، كالدولة السلجوقية

1. القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ فِي مِيزَانِ التَّحَوُّلَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، 20 مارس 2011م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي : <https://goo.gl/EtSxA2>

القُوَّةِ الَّتِي قَامَتْ فِي إِيْرَانِ وَالْعِرَاقِ وَسُوْرِيَا وَأَسِيَا الصَّغْرَى؛ حَيْثُ كَانَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ مِنْ دَرُوعِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَحِصْنًا مِنْ حِصُونِهَا الْمُنِيْعَةِ (1).
 لِتَأْتِي بَعْدَهَا الدَّوْلَةُ الْعُثْمَانِيَّةُ، الَّتِي تُعْتَبَرُ الْأَقْوَى سُلْطَةً وَالْأَطْوَلُ عُمْرًا عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ؛ إِذْ سَاهَمَتْ بِتَوْسِيْعِ رِقْعَةِ الْأَرْضِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَوَاجَهَتْ الْغَزُوَ الصَّلِيْبِي بِشِرَاسَةِ عَلَى مَخْتَلَفِ الْجِبْهَاتِ. فَضْلًا عَنْ حِمَايَتِهَا الْعَدِيْدِ مِنَ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ خَطْرِ الْاسْتِعْمَارِ؛ حَيْثُ يُمْكِنُنَا الْقَوْلُ هُنَا: إِنَّ الْعُثْمَانِيِّيْنَ كَانَتْ لَهُمْ رُؤْيَةٌ عَمِيْقَةٌ أَهْلَتْهُمْ لِبِنَاءِ دَوْلَةٍ سَيَطُرَتْ عَلَى أَهْمِ الْمُنَاطِقِ فِي الْعَالَمِ، الْأَمْرُ الَّذِي أَدَّى لِتَأْثِيْرِهَا فِي التَّوَازِنَاتِ الدَّوْلِيَّةِ، مَا جَعَلَ مِنْ تَرْكِيَا وَرِقْعَةً رَابِعَةً لِجَمِيْعِ الْقُوَى الَّتِي تَسْعَى لِزِيَادَةِ قُوَّتِهَا فِي هَذِهِ الْمُنْطَقَةِ الْحَسَّاسَةِ. لِذَا لَا يُوْجَدُ تَحَالُفٌ إِلَّا وَكَانَتْ تَرْكِيَا فِيهِ (2).

وَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْعُمُقُ الْحَضَارِيَّ لِتَرْكِيَا ذُرُوتَهُ؛ مَعَ بَرُوزِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ (3) الَّتِي وَرِثَتْ تَرَكَامَاتِ حَضَارِيَّةً قَدِيْمَةً فِي مَنطَقَةِ الْأَنَاضُولِ، وَعَرَفَتْ كَيْفَ تُؤَظَّفُ هَذِهِ التَرَكَامَاتِ الْمَذْكُورَةَ الَّتِي تَعُودُ إِلَى فِتْرَةِ الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمُويَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ،

1. أيهم أبازيد، "تركييا بين الحضارة والاستراتيجية"، أورينت. نت، 15 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/p9kpNg
2. المرجع السابق.
3. تعود أصول الدولة العثمانية إلى "عشائر الغز" التي سكنت مناطق ما وراء النهر، وتُعرف اليوم باسم "تركستان"، فبعد هجوم جيوش التتار على هذه المناطق هاجرت القبائل التركية إلى أذربيجان، ونجح القائد عثمان بن أرطغرل الذي يرجع إليه تشكيل الدولة العثمانية، في قتالهم فاتخذ مدينة "أفيون قره حصار" عاصمةً له، وأصبحت دولته ملاذاً للمسلمين الذين هربوا من جيوش التتار، وبعد وفاته عام 727هـ، توسّعت الدولة العثمانية في أوروبا وآسيا وإفريقيا، وظهرت كدولة أكثر من ستة قرون، وتتابع على إدارتها 36 إسلامية إلا عام 923 هـ، وقد استمر حكم الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون، وتتابع على إدارتها 36 حاكمًا من آل عثمان، كان آخرهم عبدالمجيد الثاني، الذي جرّد من السلطة وظلّ الحاكم رسمياً حتى إلغاء الخلافة عام 1924، وطرد السلطان من البلاد، [للمزيد يُنظر: تاريخ الدولة العثمانية، موقع "موضوع"، 8 مارس 2018، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pb6vf9، ويُنظر: تاريخ سقوط الدولة العثمانية، موقع "موضوع"، 31 ديسمبر 2015، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LQoybN]

مروراً بالدولة السلجوقية (1)، ثم الدولة البيزنطية (2) التي قامت على أنقاضها الدولة العثمانية. ولم تعد الأخيرة إلى إلغاء هذا المزيج الحضاري التراكمي، بل نجحت في إعادة تشكيله وترسيخه داخل هوية الدولة وهوية المجتمع التركي العثماني؛ حيث كان الإسلام هو الحاضن لمختلف هذه التمازجات الحضارية بصهرها في مسار واحد، دون أن يتم إقصاء أي طرف أو إلغاء أي هوية. فكانت الحضارة العثمانية ثريةً بجملة من الثقافات وغنيةً بمختلف الفنون والعلوم والتصورات، ولقد أفرز هذا التنوع الثقافي والعربي والديني داخل الدولة العثمانية نموذجاً حضارياً عالمياً ساهم في تشكيل عمق حضاري لتركيا بالتزامن مع العمق الاستراتيجي. وأصبحت تركيا لعصور طويلة مركز العالم حضارياً واستراتيجياً (3)، الأمر الذي يعتبر أول رافد من روافد القوى الناعمة التي لا تزال ثابتة لتركيا الحديثة طالما كان التاريخ مكتوباً.

1. تعود أصول دولة السلجقة إلى قبيلة "هنق" التركمانية، والتي تُعد جزءاً من قبائل "الغز" التركية، ويُنسب اسمها إلى زعيمهم "السلجوق بن دقاق"، وضمت إمبراطوريتها الكبيرة بلاد ما بين النهرين، وسوريا، وفلسطين، ومعظم أراضي إيران ثم توسعت حتى حدود مصر، وانقسم السلجقة لفروع رئيسة، هي: السلجقة العظام، وسلجقة العراق، وسلجقة كرمان، وسلجقة الشام، وسلجقة الروم، وكان سقوطها عام 485هـ. [للمزيد يُنظر: دولة السلجقة، موقع "قصة الإسلام"، 15 يوليو 2008، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BrfypT - دولة السلجقة، موقع "موضوع"، 3 أكتوبر 2016، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YRWP4.
2. تأسست الإمبراطورية البيزنطية في عهد "هرقل" الذي حكمها طوال ثلاثة عقود تقريباً، وعمل على تأسيس أركان الدولة الجديدة، وقد امتدت هذه الدولة لأكثر من ألف عام، فكانت تُعتبر بذلك واحدة من أقوى الإمبراطوريات في أوروبا، ومن جميع النواحي العسكرية والاقتصادية والثقافية رغم تعرضها للكثير من الهزائم خلال فترة الحروب العربية والرومانية الفارسية، حتى أتت الحرب مع الدولة العثمانية على بقاياها فاستولى العثمانيون على العاصمة القسطنطينية وما تبقى من أراضي الإمبراطورية في القرن الخامس عشر للميلاد، معلنةً بهذا سقوط الإمبراطورية البيزنطية. [للمزيد يُنظر: الدولة البيزنطية، موقع "موضوع"، 25 فبراير 2016، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RoK5g5].
3. الزبير خلف الله، "تركيا من العمق الاستراتيجي إلى العمق الحضاري"، ترك برس، 24 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YXIQHw

ويمكن القول هنا: إن هذا العمق والثقل الحضاري لتركيا - على سبيل المثال - هو ما أعاد إليها نهضتها من جديد، بعد ذبولها وانكفائها إبان الحكم العسكري والتاريخ الطويل من الانقلابات التي بدأت منذ 1960م، وظلت ظاهرة مُسيطرة إلى عام 2007م⁽¹⁾، حتى استعادت تركيا دورها ومكانتها داخلياً وخارجياً مع وصول حزب العدالة والتنمية للحكم في عام 2002م، عندما اعتمد مؤسسوه على استحضار العمق التاريخي لشخصية الدولة التركية، الضاربة جذورها في الحضارة الإسلامية، وهو النجاح الذي مهدت له تجارب أخرى سابقة، سعت نحو إعادة إحياء تركيا بواسطة عمقها الاستراتيجي والحضاري.

• التأثير التركي الكبير عربياً:

هذا النجاح في حل كل المعادلات الصعبة، يعطي اللاعب التركي مصداقية وأهلية للتحديث عن تبادل الآراء والخبرات. فالتأثير الذي تركته القوة التركية الناعمة في الوسط العربي بدأ واضحاً قبل وأثناء وبعد الانتفاضات الشعبية العربية.

وعلى سبيل المقارنة، ففي بداية العام 2002م، وقبل استلام حزب العدالة والتنمية الحكم في تركيا، أظهر استطلاع للرأي أجرته مؤسسة "زغبي إنترناشونال" في كل من مصر والأردن والسعودية والمغرب ولبنان والكويت والإمارات العربية المتحدة، حلول تركيا في المرتبة الثالثة للدول الأكثر سلبية بعد إسرائيل وأمريكا من المنظور العربي، بناءً على سؤال حول نظرة العرب إلى 13 بلداً غير عربي.⁽²⁾

1. "تركيا.. تاريخ من الانقلابات"، روسيا اليوم، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QlDeZx

2. القوة التركية الناعمة في ميزان التحولات العربية، 20 مارس 2011م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/lxtUY>

وبعد سبع سنوات من حكم العدالة والتَّسْمِيَّةِ في تركيا، أظهر استطلاع للرأي أجرته "المؤسَّسة التُّرْكِيَّةُ للدراسات الاقتصادية والاجتماعية" (TESEV) في يوليو 2009م، بكل من مصر والأردن والأراضي الفلسطينية ولبنان والسُّعُودِيَّةِ وسوريا، والعراق نظرة إيجابية إلى تركيا، وكان من نتائجه (1):

- احتلال تركيا المرتبة الثانية إقليمياً، مع تسجيل نسبة 75% من المستجوبين الذين ينظرون إليها بإيجابية كبيرة أو بإيجابية فقط.
- اعتبار تركيا فاعلاً أساسياً يمارس تأثيراً قوياً في العالم.
- تأييد قيام تركيا بلعب "دور أكبر في العالم العربي".
- موافقة 61% من المستجوبين على كون تركيا نموذجاً للدول العربيَّة، يُحتدَى به من حيث الانسجام بين الإسلام والديمقراطية.

وقد بدا هذا التأثير الإيجابي واضحاً أيضاً أثناء ثورة 25 يناير 2011م (2) الشبابية في مصر؛ من خلال الطريقة التي استقبل بها المتفضون في ميدان التحرير، من مختلف التوجُّهات والانتماءات، كلمة رئيس الحكومة التُّرْكِيَّةِ السَّيِّدِ رجب طيِّب أردوغان التي تضمَّنت نصيحة للقيادة المصرية. وذلك مقارنة بالردِّ

1. احتجاجات شعبية ذات طابع اجتماعي سياسي انطلقت في 25 يناير 2011م للاحتجاج على سلوك الشرطة العنيف ضد فئات المجتمع، والأوضاع المعيشية والسياسية والاقتصادية السيئة، وتنامي الفساد خلال فترة حكم الرئيس محمد حسني مبارك، وانطلقت المظاهرات بدعوة من بعض الحركات الاحتجاجية القوى الشبابية، وتساعدت الأحداث حتى أجبر الرئيس مبارك على التَّسْجِي عن الحكم في 11 فبراير 2011، وتكليف المجلس الأعلى للقوات المسلَّحة بإدارة شؤون البلاد لحين تنظيم انتخابات رئاسية وبرلمانية. (تاريخ الثورة المصرية، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، د. ت، تاريخ الزيارة: 19 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xLuxgc).

2. العلاقات الإيرانية - التُّرْكِيَّةُ في ظلِّ الثورات العربيَّة، علي حسين باكير، الراصد نت، 3 يوليو 2011م، تاريخ الزيارة 16 نوفمبر 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/af1w3>

العنيف الذي قاموا به عقب كلمة المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي، على سبيل المثال، أو على كلمة أمين عام حزب الله اللبناني حسن نصر الله التي وجهها إلى الثوار. (1)

وما يفسر الاختلاف في الردود على هذه التوجهات بين النموذج الإيراني والتركي، هو أن تركيا منسجمة مع نفسها فيما يتعلق بالديمقراطية، والتداول السلمي للسلطة، والشفافية والتعددية الحزبية، وعمل المؤسسات، وحكم القانون. وما يفضي إلى رفض الديكتاتورية وقمع الحريات وعمليات التزوير، وهي كلها قيم كان ينادي بها شباب الربيع العربي أيضاً. ومن مؤشرات التأثير بالنموذج التركي أيضاً: تعامل بعض الإسلاميين مع الانتفاضات الشعبية بمسؤولية عالية وبوعي كامل، والسعي إلى إقامة أحزاب على شاكله حزب العدالة والتنمية التركي، كما في النموذج المغربي وحكومة الإسلامي المعتدل عبدالإله بن كيران (2) السابقة. (3)

لقد كان هذا النموذج ركناً من أركان القوة التركية الناعمة التي أسهمت في إعادة تشكيل المنظومة الفكرية - المفاهيمية للحركات الإسلامية العربية، خصوصاً

1. العلاقات الإيرانية- التركية في ظل الثورات العربية، علي حسين باكير، الراصد نت، 3 يوليو 2011م، تاريخ الزيارة 16 نوفمبر 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/af1w3>
2. عبدالإله بن كيران (1954م) رئيس الحكومة للمملكة المغربية السابع عشر بين 29 نوفمبر 2011- 5 أبريل 2017م والأمين العام لحزب العدالة والتنمية المغربي منذ 20 يوليو 2008م وعضو مجلس النواب المغربي عن سلا (المدينة) منذ 14 نوفمبر 1997م، ثلاث ولايات. عُيّن رئيساً للحكومة بعد فوز حزبه الانتخابات المغربية سنة 2011م خلال الربيع العربي. وفاز أيضاً في الانتخابات المغربية سنة 2016م ليكون أول رئيس مغربي يقود الحكومة لولايتين متتاليتين. (بن كيران.. "إسلامي" أعفي من تشكيل حكومته الثانية، الجزيرة نت، 16 مارس 2017م، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bv1ksD).
3. القوة التركية الناعمة في ميزان التحولات العربية، 20 مارس 2011م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/EtSxA2>

في بلاد الثورات العَرَبِيَّةِ وفي مقدمتها تونس ومصر والمغرب التي كانت تخضع لمراجعات فِكْرِيَّة مُسْتَمِرَّة، أولاً على مستوى تعريف الذات والهويَّة، وثانياً على مستوى بعض الأطروحات الإشكاليَّة في تاريخها، مثل: الديمُقْرَاطِيَّة والعِلْمَانِيَّة، والمواطنة والدَّوْلَةُ المَدَنِيَّة، والعلاقة بين الدين والدَّوْلَةُ أو بين الدين والسِّيَاسَة. (1)

وعليه يمكن القول بأنَّ النموذج التُّرْكِيَّ قد تَرَكَ تأثيراً إيجابياً كبيراً في العالم العَرَبِيَّ والإسْلَامِيَّ، وخلق نقاشاً إيجابياً على الأقلَّ حول عدد من القضايا المُتعلِّقَة بالديمُقْرَاطِيَّة والإسْلَام في النموذج السِّيَاسِي، الاعتدال الإسْلَامِيَّ في النموذج الديني، تعايش الحضارات والأديان في النموذج التَّقْافِي، الإصلاح والعمل في النموذج الاقْتِصَادِيَّ، علماً بأنَّ الدول العَرَبِيَّةَ تمتلك من المَقْوَمَاتِ والموارد والخبرة التَّارِيخِيَّة ما يحوِّلها أن تكون نموذجاً لغيرها، شرط أن تُحَسِّنَ استغلال فرصة التَّحوُّل الديمقراطيِّ الحاصل (2)، والاستفادة من النماذج المشرفة في هذا السياق، ومن ثمَّ تقديم خبرتها الخاصَّة في هذا الإطار.

• الدَّرَامَا والسِّيَاسَة.. قُوَّة ناعمة فاعلة في السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة:

على السَّاحَة السِّيَاسِيَّة الخَارِجِيَّة هناك وسيلتان لإقناع الآخرين - سواءً كانوا دُولاً أم أفراداً - بمواقفك وآرائك؛ هما القُوَّة القاسية، ويُقصد بها القُوَّة العسكريَّة

1. سعيد الحاج، تأثيرات النموذج التُّرْكِيَّ على تحوُّلات الحركات الإسْلَامِيَّة العَرَبِيَّة، موقع الجزيرة نت، 21 سبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/GwqUck>

2. علي حسين باكير، "القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة في ميزان التحوُّلات العَرَبِيَّة"، إسلام أونلاين، 18 مارس 2011م، متاحة على صفحة الباحث الشخصيَّة، لوجود إشكاليَّة في مصدر النشر الرئيس، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/OTjA1C

والقوة الاقتصادية، والنوع الثاني هو القوة الناعمة، وهي طريقة غير مباشرة للجذب والإقناع والبرهنة، وتؤتي نفعها فتفوز بالتأثير على الآخرين ورضوخهم إليك، فهي قوة الإغراء والجذب عبر الصورة المبهجة وأنماط الحياة الراقية والموسيقى الرومانسية، وغالباً ما تتوافر جميع هذه العناصر في المجالات الفنية، لا سيما الدراما والسينما.

لقد أدركت تركيا في العقد الأخير أهمية هذا البعد في الوصول إلى مكانة لائقة بها بين مختلف الدول، ليس على المستوى الرسمي فقط بل وعلى المستوى المدني؛ إذ أظهرت الكثير من المؤسسات التركية المجتمعية - ذات النشاطات المحلية والخارجية - اهتماماً كبيراً بما ينتجه المجتمع التركي المحلي للترويج للبلاد وقيمها وثقافتها وتاريخها ومستقبلها.

واتضح ذلك فيما شهدته السياسة الخارجية التركية - على الساحتين الإقليميتين والدولية - من جهود مؤسسات تركية عريقة عكست مدى التقدم والرقي الحضاري، الذي جعل البلاد نموذجاً إيجابياً يحتذى به، ومن هذه المؤسسات؛ منظمة Tika للتسمية الإنسانية، ومراكز الشينك ثانكس Seta، وبرامج المنح الطلابية وتبادل الطلاب والباحثين (Bursları Türkiye)، وحتى المساجد العثمانية والمتاحف القديمة، ومتاجر الملابس التركية التي باتت من العلامات التجارية الشهيرة، مثل: ألسي واكيكي LC Waikiki، وكوتون Koton، وما في Mavi.

لكن رغم أهمية ما سبق، تعتبر الدراما من أهم مصادر القوة الناعمة، ومن أبرز السبل لتصدير القيم والثقافات، لذا ليس من الغريب أن تولي تركيا قدراً كبيراً من الاهتمام والدعم للأعمال الدرامية والسينمائية التي تقدمها وتنقل عبر السماوات المفتوحة إلى أرجاء العالم كافة، حتى صارت السينما والدراما التركية في مقدمة الأعمال الأكثر شعبية عالمياً، وعلى المستوى العربي بشكل خاص؛ فقد وجد المشاهد العربي في هذه الأعمال متنفساً مشروعاً عن أحلامه وطموحاته دون التخلي عن قيمه الدينية المحافظة، فأدرك إمكانية أن يكون مسلماً وفي الوقت ذاته معتدلاً يعيش حياة متفتحة، وبنمط حديث مبتكر يعتمد

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

على التكنولوجيا ولغة العصر(1).

وفي لقاء موقع أورو نيوز Euro News الإخباري (2) مع عدد من السُّيَّاح العرب في إسطنبول، لاستطلاع رأيهم حول الأعمال التلفزيونية التُّرْكِيَّة، تقول سائحة عراقية: "في هذه المسلسلات نشاهد إمكانية أن تكون مسلماً ومعتدلاً. مع عرض لما حُرِّم منه بعض العرب من: التكنولوجيا والحياة الجميلة والحديثة. نشاهد ما لا يوجد في بعض الدول"، بينما تشير سائحة مصرية إلى أنه "في هذه المسلسلات نشاهد بأن المسلمين لهم القُدرة على أن يكونوا متفتحين، وأن يعيشوا حياة متفتحة وبنمط حياة حديثة".

وقبلهم، يُؤكِّد السائح أحمد من الأردن: "أشاهد المسلسلات التُّرْكِيَّة: صكاريا فرات، وأبطال كمراد علمدار في مسلسل رائع عن فلسطين. بالنسبة لي، إنه بطل". (3).

وهي شهادات لا تحتاج إلى شرح أو تأويل لتبيان مدى الأثر العميق الذي تخلّفه الأعمال التُّرْكِيَّة في نفوس المتتبعين العرب، على عدّة مستويات، منها الحضاري والجمالي والبطولي وأيضاً التاريخي.

وهنا، لا ينبغي الخلط في هذا المستوى بين الإنتاج التُّرْكِي المرتبط بخطّ العدالة والتنمية السياسي - القيمي، وبين الإنتاج الآخر المرتبط بجهات تنبئ التحرُّر بمفهومه العربي المنطلق والمتّمل في مسلسلات العشق والغرام (على شاكلة العشق

1. جلال خشيب، السنيما.. قوة ناعمة فاعلة في السياسة الخارجية التركية، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hnC6fC.
2. تأثير المسلسلات التُّرْكِيَّة في الشرق الأوسط، موقع أورو نيوز عربي، 29 يونيو 2012م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Rh57Va.
3. تأثير المسلسلات التُّرْكِيَّة في الشرق الأوسط، موقع أورو نيوز عربي، المرجع السابق.

الممنوع (1)، والدَّرَامَا الاجْتِمَاعِيَّةُ القديمة، كسلعة استهلاكية رائجة في تلفزيونات العالم العربيّ منذ سنوات. لكن يمكن الاستدلال بأحد عناصرها، على اعتبار أن السينما والمسلسلات التُّرْكِيَّةُ بشكل عام، تُشكِّلُ أحد أهم أدوات القُوَّةِ النَّاعِمَةِ وتأثيرها الأَكْبَدُ في العالم العربيّ تحديداً.

ذلك أنه في سنة 2008م تابع حوالي 85 مليون مشاهد عربي الحلقة الأخيرة من المسلسل التُّرْكِيَّ الشهير "نور"، والذي عرضته قناة MBC التي كانت السَّبَّاقَةَ إلى عرض الإنتاج التُّرْكِيَّ (2). ولا تزال المسلسلات التُّرْكِيَّةُ تحتلُّ أوقات الذروة في جدول برامج المحطات العربيَّة، في إطار من التنافس الشديد لجذب عدد أكبر من المتابعين من خلال بثّ المزيد من الدَّرَامَا التُّرْكِيَّةِ.

وفي المقابل عرَفَ الاتجاه الأوَّل ما يشبه «الثورة» على القديم والمتداوُل والمُبْتَدَل في السينما التُّرْكِيَّة. ففي كلِّ عام يتمُّ طرح أعمال فنيَّة جديدة ذات دلالة سياسيَّة أو قيمِيَّة واضحة جداً، نُسْتَدَلُّ عليها بثلاثة عناوين، تمرُّ من خلالها تركيا العدالة والنَّمِيَّة خطاباتهما الضمنيَّة للعالم. ويتعلَّق الأمر هنا، بكل من مسلسل: قيامة أرطغرل Diriliş، مسلسل ردة فعل Reaksiyon، وفيلم Kod Adı K.O.Z الذي يُسَوِّق فيه سيناريو مُتَخَيَّلٍ حول محاولة لاغتيال الرئيس السَّيِّد رجب طيِّب أردوغان. (3)

1. العشق الممنوع (باللغة التركية: Aşk- i Memnu) هو مسلسل تلفزيوني تُّرْكِيّ ميلودرامي رومانسي اجتماعي مُقْتَبَسٌ من رواية تركيَّة شهيرة بنفس الاسم للكاتب هاليد زيا اوشاكليجيل كُتِبَتْ ما بين عامي 1899 و1900م، وقد تمَّ تصوير الرواية كمسلسل لأول مرة عام 1970م بالأبيض والأسود في 6 حلقات فقط. لتتم إعادة تصويرها عام 2008م بميزانية ضخمة، وقد حقَّق المسلسل نجاحاً جماهيرياً ونقدياً ساحقاً حاصداً عشرات الجوائز، أبرزها أفضل مسلسل دراميّ في العالم لعام 2009م، وأرباحاً ضخمة من خلال توزيعه ودبلجته لأكثر من 12 لغة. يُعتبر المسلسل أشهر مسلسلات العام 2010م في العالم العربي بسبب الضجَّة الكبيرة التي أحدثتها. للمزيد يُنظَر الرابط التالي: <http://cutt.us/3DS3z>
2. آيَّة عبدالواحد، "بينها نور ومهند.. 5 مسلسلات تركيَّة فشلت في بلدها وحققت نجاحاً هائلاً في الوطن العربي"، هافنجتون بوست عربي، 28 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/dZB3Qi
3. سوف نأتي للحديث حول كلِّ منها بشيءٍ من التفصيل في فصول مُتقدِّمة من هذا الكتاب.

وإضافة إلى العناصر الاجتماعيَّة المأساويَّة، الجماليَّة الحضاريَّة، والبطوليَّة التاريخيَّة في المسلسلات والأفلام التُّركيَّة، فإنَّ فحوى العلاقات والقيم الأُسريَّة التي تجمع الأفراد في عمل فنِّي ما، يشبه إلى حدِّ كبير واقع المجتمعات العربيَّة، بدليل النَّجاح الَّذي حقَّقته المسلسلات التُّركيَّة مقارنةً بالمسلسلات المكسيكيَّة التي اجتاحت القنوات العربيَّة في تسعينيات من القرن الماضي مثل "كساندرا" و"روزاليندا" وغيرهما.

فقد تمَّت دبلجة المسلسلات المكسيكيَّة باستخدام العربيَّة الفُصحى، وحافظت فيها الشخصيَّات على أسمائها الأصليَّة. إلا أنَّ اختلاف العادات والتقاليد المكسيكيَّة تماماً عن نظيراتها العربيَّة، لم يجعل المشاهد العربيَّ يتعلَّق طويلاً بهذا النوع من الدراما. فيما شكَّل تاريخ الدولة العُثمانيَّة والدين الإسلاميَّ، مادةً خصبةً للتخييل وإعادة إنتاج الأمجاد السابقة، على غرار مسلسل "القرن العظيم"، أو "حريم السلطان" سليمان القانونيِّ. فالعمل الفنِّي يُعتَبَر أداةً رئيسةً من أدوات القوة التُّركيَّة النَّاعِمَة، بحُكم النَّجاح والانتشار اللامحدود في أرجاء الوطن العربي، بما أنه يعكس للشعوب العربيَّة حزمة من الأفكار والعادات والتقاليد التي تتشابه في غالبها مع طبيعة المجتمع العربيِّ (1).

• السَّيَّاحَة التُّركيَّة .. تجربة عريقة وعوامل جذبٍ مثاليَّة:

تُعتَبَر صناعة السَّيَّاحَة، وعوامل الجذب السياحي، أحد مَقوِّمات القوة النَّاعِمَة؛ لكونها مجالاً أُمَميًّا يربط بين الشُّعوب ويُضرب ما بين الثقافات، يختزل الأزمنة ويُقرب بين المسافات المختلفة. وبسبب دورها المُهمِّ في تعزيز قُدَّرات الدولة معنويًّا وماديًّا، بدأت حتى تلك الدول التي توصف بالمتعلِّقة على نفسها في

1. تالا حلاوة، "المسلسلات التُّركيَّة وفقاعة الاختراق والتأثير في الوطن العربيِّ"، موقع جدليَّة، 26 يونيو 2013م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/K9mWxR

الاهتمام بالمقاصد السَّيَّاحِيَّة، كإيران الَّتِي بدأت على سبيل المثال في استثمار بُعْدِهَا الثَّقَافِيَّ والتَّارِيخِيَّ لدعم السَّيَّاحَةِ وجذب 20 مليون سائح بحلول عام 2025م، بموازاة مع تشجيع انتشار الفنون والاحتفالات والمسرحيات والأفلام السينمائيَّة، لنشر الثقافة الفارسيَّة (1).

وفي تجربة تركيا السَّيَّاحِيَّة، حتى نهاية عام 2015م، ظلَّت واحدة من أهم أكبر عشر وُجُهَاتِ سِيَّاحِيَّة على مستوى العالم. وهذا ما تُسَطِّرُهُ إحصاءات مُنظَّمة السَّيَّاحَةِ العَالَمِيَّة. ففي أحدث إصدارات المُنظَّمة تحت عنوان "الملاح العامَّة للسياحة عام 2016م" رصدت نصيب تركيا من السَّيَّاحَةِ الوافدة بنهاية 2015م، نحو 39.8 مليون سائح، وعائدات تقدر بنحو 26.6 مليار دولار (2).

ويأتي ارتفاع نسبة الإشغال السَّيَّاحِيَّ بتركيا إلى عددٍ من العوامل تعتمد عليها أنقرة، منها تطوُّر أنماط سياحيَّة غير تقليديَّة، واتباع سياسات تشجيعيَّة للزُّوَّار، وعامل تعثر السَّيَّاحَةِ في الدول المجاورة لأسباب عدم الاستقرار والحروب؛ إذ إن هناك ثلاثة عوامل رئيسة تجعل السَّيَّاحَةِ التُّرْكِيَّة مزدهرة، وهي (3):

أ- تسويق أنماط مختلفة:

فكثير من زوَّار تركيا باتوا يقصدونها على وجه الخصوص لأهداف تجاريَّة وثقافيَّة وعلاجيَّة، وللمشاركة في لقاءات ومؤتمرات ومنتديات تُعقد على

1. فواز العلمي، مفهومنا الخاصُّ للقوَّة النَّاعِمَة، العربيَّة نت، 20 أكتوبر 2015م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PKpMMB
2. عبدالحافظ الصاوي، "السياحة التُّرْكِيَّة وسهام السياسة"، الجزيرة نت، 9 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/vgsUf
3. خليل مبروك، "عوامل داخلية وخارجية وراء صعود السياحة التُّرْكِيَّة"، الجزيرة نت، 17 أغسطس 2014م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/CSmG2b

القوة التركيبية الناعمة

مدار العام؛ الأمر الذي يجعل هذه الزيارات تجاؤزُ النظرة للسياحة على أنها بحار ورمال ومناظر طبيعِيَّة. وكانت التقارير الحُكوميَّة قد أوردت أن ما يفوق عشرة ملايين و967 ألف سائح زاروا تركيا في الربع الثاني من عام 2014م، وبلغ متوسط ما صرفه كلُّ سائح منهم نحو 818 دولاراً. (1)

ب- دعم السِّيَاسَات الحُكوميَّة:

ساهمت السِّيَاسَات الحُكوميَّة في دفع تركيا قدماً لِتَحْتَلَّ المرتبة السادسة عالمياً في استقطاب السُّيَاح، إذ تسمح قوانينها للزوار من 67 جنسيَّة بدخول البلاد دون تأشيرة، وتمنح أنقرة تأشيرتها على بوابات الموانئ الجويَّة والبريَّة والبحريَّة لِحَمَلَة العشرات من الجنسيَّات الأخرى، فضلاً عن تفعيلها نظام التأشيرات الإلكترونيَّة لرجال الأعمال والسُّيَاح، وأيضاً تَطوَّر قطاع الخدمات في الموانئ والقطارات وال فنادق والأسواق شجَّع كثيراً من الزوَّار على تفضيل تركيا، فضلاً عن الامتيازات التي بات قطاع الخدمات التَّخصُّصِيَّة كالمستشفيات والمراكز الطبيَّة يقدمها لزوَّاره من طالبي العلاج. (2)

ت- الإقبال العربي:

بات الوجه العربيّ من أكثر الوجوه حضوراً في المناطق السِّيَاحِيَّة التُّركِيَّة، بعدَ السائح الألمانيّ والرُّوسِيّ والبريطانيّ، ومن بين أسباب زيادة السِّيَاحَة العربيَّة إلى تركيا: وسائل الدعاية، وانتشار الدراما التُّركِيَّة في الإعلام العربيّ، ما شجَّع كثيراً من العائلات العربيَّة والخليجيَّة بالتحديد على الاحتكاك بالثقافة التُّركِيَّة من خلال الرحلات السِّيَاحِيَّة. (3)

1. خليل مبروك، "عوامل داخلية وخارجية وراء صعود السياحة التُّركِيَّة"، الجزيرة نت، 17 أغسطس 2014م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/CSmG2b
2. خليل مبروك، "عوامل داخلية وخارجية وراء صعود السياحة التُّركِيَّة"، المرجع السابق.
3. المرجع السابق.

المبحث الرابع

سياسة وأحداث..

تراجع السيّاحة التُّركيَّة في ٢٠١٦م

جاء عام 2016م بمعطياتٍ أخرى بشأن السيّاحة في تركيا؛ حيث تواترت مجموعة من العوامل الدّاخلية والخارجية، أدت إلى تراجع أداء هذا القطاع الحيوي في تركيا. فأرقام معهد الإحصاء التُّركي رصدت تراجع السيّاحة في الشهور الـ9 الأولى من عام 2016م، ليصل عائدها إلى 17.2 مليار دولار مقارنة بـ24.8 مليار دولار في الفترة نفسها من عام 2015م(1)، أي أن نسبة التراجع في الإيرادات السيّاحية تصل إلى 44.1%.(2)

وبلا شكّ فإنّ تراجع عائدات قطاع السيّاحة مُرتبطٌ بعدة أزمات عانت منها السيّاحة التُّركيَّة بدءاً من منتصف 2015م وحتى نهايته مع حادث إسقاط المقاتلة الروسيَّة. بالإضافة إلى عوامل أخرى، ألقت بظلال سلبية على الأزمة التي تعيشها تركيا (حتى توقيت كتابة هذه الدراسة) بشأن انخفاض قيمة عملتها المحليَّة(3).

1. Tourism- Tourism expenditures (Thousand \$) (Quarterly), Turkish Statistical Institute, available at: goo.gl/mYgT2A
2. عبدالحافظ الصاوي، "السياحة التُّركيَّة وسهام السياسة"، الجزيرة نت، 9 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/vgsUf
3. سجّلت الليرة التُّركيَّة انخفاضاً قياسياً لتصل 3.8950 ليرة للدولار قبل أن تتعش قليلاً إلى 3.8691 ليرة، كما هبطت إلى مستوى قياسي عند 4.1089 ليرة مقابل اليورو، وفقدت الليرة ربع قيمتها تقريباً أمام الدولار، منذ محاولة الانقلاب الفاشلة في يوليو/ تموز 2016م؛ وذلك بسبب قلق المستثمرين وتخوفهم من المستقبل السياسي والاضطرابات الأمنية في البلاد. وفي المقابل دعا الرئيس أردوغان الشعب التُّركي إلى تحويل العملات الأجنبية التي يملكونها إلى ذهب أو إلى الليرة التُّركيَّة لتحفيز اقتصاد البلاد، مع استمرار انخفاض سعر الليرة أمام الدولار. وقد استجاب الشعب التُّركي لطلب الرئيس رجب طيّب أردوغان تحويل العملات الأجنبية التي بحوزتهم إلى ليرة تركية، لإنقاذ عملة بلادهم من انخفاض قيمتها. (تفاعل تركي واسع مع نداء أردوغان بخصوص استبدال العملات الأجنبية بالليرة التُّركيَّة، ترك برس، 7 ديسمبر 2016، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fE5sws).

من جانبٍ آخر؛ فقد استُخدمتِ السِّياحةُ الوافدةُ التُّركيَّةُ كورقةِ ضغطٍ من قِبَلِ قُوَى خَارِجِيَّةٍ عدةٍ، على رأسها روسيا، وكذلك الاتِّحادُ الأوروپيُّ. فمعَ حادثةِ إسقاطِ الطائرةِ الرُّوسِيَّةِ في 24 نوفمبر 2015م، فَرَضَتْ روسيا مجموعةً من العقوبات الاقتصاديةِ على تركيا، كان من بينها وَقْفُ الرحلاتِ السِّياحِيَّةِ الرُّوسِيَّةِ لتركيا، وإن كان هذا الحَظْرُ قد رُفِعَ مُؤَخَّراً بعد عودة العلاقاتِ السِّياسِيَّةِ والاقتصاديَّةِ بين البلدين في شهر يوليو 2016م (1).

وكخلاصة لكل ما سبق، يمكن القول: إن اتِّجاه تركيا الأخير نحو تفعيل قُوَاهَا الصِّلْبَةِ مُجَدِّداً، سواءً في ما يَتعلَّقُ بأزمةِ الطائرةِ الرُّوسِيَّةِ، أو الأحداثِ الدَّاخِلِيَّةِ الَّتِي مَيَّزَتْهَا التَّطَوُّرَاتُ السِّلْبِيَّةُ لعلاقاتِ الحزبِ الكُرْدِيِّ بالدَّوْلَةِ، وتزايد أعمالِ العُنْفِ على الحدودِ السُّورِيَّةِ والعِرَاقِيَّةِ من قِبَلِ الفصائلِ الكُرْدِيَّةِ، واندلاع أعمالِ العُنْفِ والإرهابِ داخل تركيا، وبخاصَّةٍ في إسطنبول، وخصَّصَةً في القلبِ منها عبر مطار أتاتورك الدَّوْلِيِّ، الَّذِي أثَّرَ وقوعُ التفجيرِ (2) فيه على سُمْعَةِ الأَمْنِ والاستقرارِ بالبلادِ ككُلِّ، وكذلك نَفَّذَتْ جماعاتُ العنفِ الكُرْدِيَّةِ، بالإضافة إلى عناصرٍ من تنظيم "داعش"، مجموعةً من التفجيراتِ في أماكنٍ سياحِيَّةٍ أخرى خارجِ إسطنبول، كَرَدُّ على موقفِ أنقرة من الأزماتِ السُّورِيَّةِ. كُلُّ هذه الأمور، الَّتِي ابتعدت من خلالها أنقرة عن القُوَّةِ النَّاعِمَةِ في إدارة الأزمات، تركت بصماتها السِّلْبِيَّةَ على تدفُّقاتِ السِّياحةِ الوافدة لتركيا (3)؛ الأمر

1. عبدالحافظ الصاوي، "السياحة التُّركيَّةُ وسهام السياسة"، الجزيرة نت، 9 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/vgslUf
2. أسفَرَ هجومٌ استُخدمت فيه مُتفجِّراتٌ وأسلحة ناريَّةٌ عن مقتل 41 شخصاً في مطار أتاتورك الدَّوْلِيِّ في مدينة إسطنبول التُّركيَّةِ يوم 29 يونيو/ حزيران 2016م. وقد نَفَّذَ هذا الهجوم ثلاثة انتحاريِّين، باثروا بإطلاق النار قُرْبَ مدخلِ مبنى المسافرين الدَّوْلِيِّينَ في المطار، ثم فَجَّرُوا أنفسهم بعد أن تصدَّت لهم الشرطة، وأطلقت النار عليهم. "41 قتيلًا في تفجيرات مطار أتاتورك في إسطنبول، بي بي سي عربي، 29 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ZbpZL7
3. عبدالحافظ الصاوي، "السياحة التُّركيَّةُ وسهام السياسة"، مرجع سابق.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

الَّذِي يُقَوِّي وَيُعَزِّزُ مِنْ أَهَمِّيَّةِ اسْتِخْدَامِ الْقُوَّةِ النَّاعِمَةِ فِي تَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ، وَالْبُعْدِ كَمَا أَمَكْنَ عَنْ مَثِيلَاتِهَا الصَّلْبَةِ ذَاتِ التَّدَاعِيَّاتِ غَيْرِ مَأْمُونَةِ الْمَخَاطِرِ. وَبِنَاءٍ عَلَيْهِ، يَمَكْنَ الْقَوْلُ: إِنَّ الدَّوْلَةَ التُّرْكِيَّةَ، تَحْتَ حَكْمِ حِزْبِ "الْعَدَالَةِ وَالتَّنْمِيَّةِ"، لَا يَمَكْنَ أَنْ تَتَخَلَّى عَنْ قُوَّاهَا النَّاعِمَةِ تَمَاماً لِصَالِحِ نَظِيرَاتِهَا الصَّلْبَةِ؛ إِذْ إِنَّ الْخَلْفِيَّةَ التَّارِيخِيَّةَ وَالْحَضَارِيَّةَ لِتُرْكِيَا، الَّتِي تُمَثِّلُ أَحَدَ أَهَمِّ مَصَادِرِ الْقُوَّةِ النَّاعِمَةِ لِأَحْفَادِ الْعُثْمَانِيِّينَ، تَمَّ تَصْدِيرُهَا مَعَ بَزْوِغِ نَجْمِ الرَّئِيسِ التُّرْكِيِّ السَّيِّدِ رَجَبِ طَيْبِ أَرْدُوغَانَ، لِتَكُونَ هِيَ مَسْتَقْبَلُ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ فِي الْمُنْطَقَةِ. لَكِنْ، وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ فَإِنَّ طَبِيعَةَ النُّوْتُرَاتِ وَالتَّجَاذِبَاتِ الْإِقْلِيمِيَّةِ بِالْمُنْطَقَةِ، الَّتِي تَكَادُ تَخْلُو تَمَاماً مِنْ أَيِّ مَشْرُوعِ عَرَبِيٍّ - سُنِّيٍّ حَقِيقِيٍّ فِي مَوَاجَهَةِ الْمَشْرُوعِ التَّوَسُّعِيِّ الْإِيرَانِيِّ - الشَّيْعِيِّ، الَّذِي تَرَفُّضُهُ دَوْلُ الْمُنْطَقَةِ، تَجْعَلُ مِنَ التَّمَدُّدِ الْإِقْلِيمِيِّ لِتُرْكِيَا ضَرُورَةً فِي الْوَقْتِ الْحَالِيِّ عَلَى نَحْوِ مَا تَوْضَّحَهُ بَعْضُ أَجْزَاءِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ.

وَلِلتَّذْكِيرِ، فَالْعُثْمَانِيُّونَ هَيَمُوا لِعِدَّةِ قُرُونٍ (قَبْلَ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ) عَلَى مَنطَقَةِ شَاسِعَةَ، مِنْ شَرْقِ أَوْرُوبَا إِلَى مَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْجَزَائِرِ (كَمَا سَكََّلَهَا الْاسْتِعْمَارُ الْفَرَنْسِيَّ) عَلَى حُدُودِ الْمَمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ، وَجَعَلُوا مِنَ الْمُنْطَقَةِ (الْحَوْضِ الْمَتَوَسُّطِيِّ) فِضَاءً لِلتَّعَايِشِ وَالتَّمَازُجِ؛ وَهُوَ إِرْثٌ لَا يَزَالُ حَاضِراً الْيَوْمَ فِي عَادَاتِ الدُّوَلِ الْمَجَاوِرَةِ. لَكِنَّ الْوَضْعِيَّةَ سَتَتَغَيَّرُ فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ وَبَدَايَاتِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ، وَالَّتِي سَيَتَلَقَّى فِيهَا الْعُثْمَانِيُّونَ الْهَزِيمَةَ تِلْوَ الْآخَرَى، وَسَيَعَانُونَ تَبَعَاتِ الْهَيْمَةِ الْأَوْرُوبِيَّةِ، وَسَيَتَجَلَّى ذَلِكَ عِبْرَ مَعَاهِدَةِ سَيْفَرِ (1) سَنَةِ 1920 م (عَقَبَ هَزِيمَةَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ

1. مَعَاهِدَةُ سَيْفَرِ [وَتَسْمَى أَيْضاً مَعَاهِدَةَ الصَّلْحِ] تَمَّتْ بَيْنَ تُرْكِيَا الْعُثْمَانِيَّةِ فِي 10 أَوْغُسْطُسِ/أَبِ عَامِ 1920 م عَقَبَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى بَيْنَ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَقُوَّاتِ الْحَلْفَاءِ، وَتَمَثَّلَ بِنُودِهَا ظُلْماً وَإِجْحَافاً بِالدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا أُجْبِرَتْ عَلَى التَّنَازُلِ عَنْ مَسَاحَاتِ شَاسِعَةَ مِنَ الْأَرَاضِي الَّتِي كَانَتْ وَاقِعَةً تَحْتَ نَفُوذِهَا، وَقَدْ نَصَّتْ هَذِهِ الْمَعَاهِدَةُ عَلَى: مَنْعِ تَرَاقِبِ الْجَزْرِ التُّرْكِيَّةِ الْوَاقِعَةِ فِي بَحْرِ إِيجِهَ لِلْيُونَانِ. الْاعْتِرَافِ بِكُلِّ مَنْ سُوْرِيَا وَالْعِرَاقِ كَمِنَاطِقِ خَاضِعَةٍ لِلانْتِدَابِ. الْاعْتِرَافِ بِاسْتِقْلَالِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ. الْاعْتِرَافِ بِاسْتِقْلَالِ أَرْمِينِيَا. اعْتِبَارِ مَضَاقِقِ الْبِسْفُورِ وَالدَّرْدَنِيلِ مَنَاطِقَ مُجَرَّدَةً مِنَ السَّلَاحِ وَتَحْتَ إِدَارَةِ عَصَبَةِ الْأُمَمِ. لِلْمَزِيدِ يُنظَرُ: سَيْفَرِ، مَعَاهِدَةُ، مَوْسُوعَةُ السِّيَاسَةِ، عَبْدِ الْوَهَّابِ الْكِيَالِيِّ، ص 403، الْمَجْلَدُ 3، الْمَوْسُوعَةُ الْعَرَبِيَّةُ لِلدِّرَاسَاتِ وَالنَّشْرِ، بِيْرُوتِ ط 2 سَنَةِ 1993 م.

الأولى)، التي سستعمل على إضعاف تركيا وتفكيك إمبراطوريتها، وبت صورة سلبية عن الأتراك بين حوض البحر الأبيض المتوسط والعالم العربي، للانتقال بعيداً عنها، والبحث عن بديل آخر قريب، ألا وهي أوروبا، كمكان للتقدم والتطور. فيما منحت تركيا العضوية في منظمة حلف شمال الأطلسي (1) بتاريخ أكتوبر 1951م، يراها البعض غير كاملة، بما أنها لا تمنح لإدوراً تكملياً في إطار الاستراتيجية الشاملة للحلف الأطلسي، الذي جعلها حارس البوابة الجنوبية لمنع انتشار النظام السوفيتي. ولكن على الرغم من انتهاء الحرب الباردة، بقيت تركيا لفترة حبيسة التقسيم المتجاوز والقديم للعالم، في انتظار سياسيين أكفاء وذوي نظرة استراتيجية ثابتة مثل أحمد داود أوغلو لكي تتحرك المواقف، بل لتتغير وتتطور. ورغم كونها عضواً في مجموعة العشرين، فقد عانت تركيا من تجاهل أعضاء الاتحاد الأوروبي لطلباتها في الاندماج ضمن المنظومة الأوروبية، بعد أن بذلت جهوداً هائلة للانضمام إليها، ما جعلها تتحول إلى منطقة آسيا الوسطى والعالم العربي والإسلامي، وأيضاً إفريقيا كقارة تتوقر فيها تركيا هناك على 30 قنصلية وسفارة. فتركيا التي دعمت بسرعة الربيع العربي، واندفع رئيس وزرائها إلى تونس وليبيا ومصر لتقديم المشورة بشأن السياسات المتبعة، وكذلك المساعدات المالية. سافر كذلك إلى الصومال؛ حيث لا أحد يجرو على الذهاب إلى هناك. أدار ظهره لإسرائيل بعد 60 عاماً من علاقات وُصفت بما يقرب الكمال، استقبل قادة حماس، ودعا إلى رحيل الرئيس السوري بشار الأسد عن السلطة.

1. منظمة حلف شمال الأطلسي: هي منظمة تأسست عام 1949م بناءً على معاهدة شمال الأطلسي التي تم التوقيع عليها في واشنطن في 4 أبريل سنة 1949م. يُشكل الناتو نظاماً للدفاع الجماعي تتفق فيه الدول الأعضاء على الدفاع المتبادل رداً على أي هجوم من قبل أطراف خارجية. ويقع المقر الرئيس للناتو في هارين، بروكسل، بلجيكا. ويضم الناتو 29 بلداً من أمريكا الشمالية وأوروبا. وتشارك 21 دولة أخرى في برنامج الشراكة من أجل السلام التابع لمنظمة حلف شمال الأطلسي، مع مشاركة 15 بلداً آخر في برامج الحوار المؤسسي. (حلف شمال الأطلسي، الجزيرة نت، 13 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RgdF8k).

يبقى إذن، الانتقاد المُسْتَمِرُّ من بعض المُحلِّلين السِّيَاسِيِّينَ العَرَبِيِّينَ لموقفِ الحكومة التُّرْكِيَّةِ إِزاءَ قَضِيَّةِ كُردِستانِ من جانبٍ، وتعاطِها مع أصواتِ المعارضةِ السِّيَاسِيَّةِ في الشَّارِعِ التُّرْكِيِّ من جانبٍ آخر؛ إذ يصفونه بـ"السُّلْطَوِيِّ"، مُؤكِّدينَ أَنَّهُ ليسَ بالشَّيءِ الجَدِيدِ؛ وذلكَ رجوعاً لمسيرةِ مصطفى كمال أتاتورك الَّذِي حَكَمَ البلادَ بِقَبْضَةِ حَدِيدِيَّةٍ عَبرَ إِسْكَاتِ أصواتِ المعارضةِ في سنواتِ العَشْرِينِيَّاتِ والثلاثينِيَّاتِ من القرنِ الماضي، وفَرَضَ مسيرَةً إجبارِيَّةً لِلتَّحْدِيثِ والتَّطَوُّرِ، ويتساءلونَ إنْ كانتُ تركيا تُشْهَدُ اليومَ وَضْعاً مُمَاطِلاً لذلكَ أم لا.

وتمثَّلُ هذه الاتِّهَاماتُ المُوَجَّهَةُ للحكومةِ التُّرْكِيَّةِ وَرَقَّةَ ضَعْفٍ كُبْرَى عليها لِتَحْجِيمِ دَوْرِها في منطقةِ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ، وبِخَاصَّةٍ فيما يَتَعَلَّقُ بالقَضِيَّةِ الفِلسطِينِيَّةِ، ومَنعِها مِن أنْ تكونَ رُمانةَ المِيزانِ بينَ القُوَى العَرَبِيَّةِ الدَّاعِمَةِ لِلِكَيانِ الصُّهْبُونِيِّ وبينَ الدُولِ العَرَبِيَّةِ، وفي الوقتِ ذاتِهِ تَضَعُها هذه الأَقاويلُ في موقِفٍ حَرَجٍ لِلغاِيَةِ بدَعوى أَنها تَكِيلُ بِمِكْيالَيْنِ في قِضاياِ تَقْرِيرِ المِصيرِ.

وبعيداً عمَّا تمثَّلَهُ قَضِيَّةُ كُردِستانِ لِلأَمْنِ القَوْمِيِّ التُّرْكِيِّ، فإنَّها واحِدَةٌ مِنَ القِضاياِ الإقْلِيمِيَّةِ المُوْرُوْتَةِ عن قِرااتِ تَقْسيمِ عَرَبِيَّةٍ مِنْذِ أوائلِ القرنِ العَشْرينِ، والمُغلَفةِ بِالْمَاسِيِ وَالدُّخَانِ، وَستكونُ لها وَلا شَكَّ مَزِيدٌ مِنَ العَوَاقِبِ وَالتَّدْهُورِ الأَمْنِيِّ لا يَمْكنُ إِغْفالُها عَلى المِنطِقَةِ وَالعَالَمِ بِأَسْرِهِ. وَهو ما يَضَعُ القُوَّةَ النَّاعِمَةَ لِتُركِيا أَمامَ مَحَكِّ تَارِيخِيٍّ وَسِياسِيٍّ صَعْبٍ، يَسْتَلْزِمُ أَيْضاً الاسْتِفاَدَةَ مِنَ مِساخاتِ القُوَّةِ الذَّكِيَّةِ، كاتِّجاءٍ جَدِيدٍ لِتَحْقِيقِ المِصالِحِ وَحَلِّ المِشاكِلِ المَطْرُوْحَةِ أَمامَ الأَمْنِ القَوْمِيِّ.

الفصل الثالث

القوة الذكيّة وسياساتها

- مقدمة
- المبحث الأول: مفهوم القوة الذكيّة
 - القوة الذكيّة.. نماذج وتطبيقات
 - القوة الذكيّة.. مظهرات وخلاصات
 - تطوّر مفهوم القوة الذكيّة في العلاقات الدوليّة
- المبحث الثاني: الدول التي تتبّع سياسة القوة الذكيّة
 - أولاً: الولايات المتّحدة
 - « عوامل نجاح القوة الذكيّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة
 - ثانياً: روسيا
 - ثالثاً: الاتّحاد الأوروبيّ
 - رابعاً: الصين
 - خامساً: إيران
 - سادساً: تركيا
 - سابعاً: قطر
 - ثامناً الإمارات العربيّة المتّحدة
- المبحث الثالث: تحديات استخدام القوة الذكيّة
 - أولاً: التّحدّي المؤسّساتي
 - ثانياً: التّحدّي السّياسيّ

الفصل الثالث

القُوَّةُ الذِّكِّيَّةُ وسياساتها

مقدمة

القُوَّةُ الذِّكِّيَّةُ Smart Power كوافد نظري جديد على حقل العلوم السياسيَّة والأستراتيجيَّة، تُمثِّله تطبيقات إدارة الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما في تعاملها، وتدخلها في أزمات العالم.

وهي بمثابة ذلك الزواج المثمر من جهة، بين المفاهيم المعروفة عن القُوَّة الصَّلبة، في صورة السُّلطة القسريَّة بالقُوَّة أو التَّهديد الذي يتجسَّد في البنتاجون (أيقونة رمزيَّة وفعليَّة لقُوَّة أمريكا)، والقُوَّة النَّاعمة من جهة أخرى، في صورة جَذابة ومُضنعة تُجسِّدها مؤسستا هوليود وهارفارد، الفنِّيَّة والأكاديميَّة على التوالي. وبالتالي فإن نتيجة هذه الإضافة، تُفرز مزيجاً من المهارة والخبرة التي تُبنى عليها قُوَّة الذكاء، أو القُوَّة الذِّكِّيَّة.

وتُعتبر القُوَّة بأنواعها: سياسيَّة كانت، أم اقتصاديَّة، ثقافيَّة أو عسكريَّة.. إلخ، من أهم عناصر الدَّولة ومُكوِّناتها، فالقُوَّة في إطار جدليَّة "العصا والجزرة"، إمَّا أن تكون صلبة تُجيز استعراض القُوَّة على سبيل التَّهديد أو استعمالها. وإمَّا ناعمة تعتمد الإقناع والجاذبيَّة أو المكافأة، كما وردَ في الفصلين السابقين.

وفي هذا تَعَمَّد كلُّ دولةٍ من الدول العظمى في العالم أو حتى النامية منها، التي تسعى إلى إيجاد مكان لها بين الكبار، إلى استعراض واستعمال القُوَّة حسب الظروف والمستجدَّات، مع التَّوجُّه الواضح في عصرنا الحالي نحو سياسات مُعتدلة في أغلب جوانبها، وابتكار أساليب جديدة في هذا السياق، مما أدَّى إلى ظهور مفهوم "القُوَّة الذِّكِّيَّة".

وفي مبحث الدراسة الثالث هذا سنتطرق لمفهوم القُوَّة الذكِيَّة؛ مظاهرها الخاصَّة، وتطوُّرها في العلاقات الدَّولِيَّة، إضافة إلى بعض النماذج الَّتِي تَتَّبِعُهَا جملةٌ من الدول في تدبير علاقاتها الخَارِجِيَّة؛ الإقليمِيَّة والدَّولِيَّة، وكذلك التَّحدِّيَّات المطروحة أمام استخدام هذا النوع من القُوَّة، وذلك بُغْيَةَ فَهْمٍ أَكْثَرَ واستيعابٍ أَفْضَلَ لِمُقَوِّمَاتِ قُوَّةِ تَرْكِيَا النَّاعِمَةِ، الَّتِي هِيَ أَساسُ أَطْرُوحَتِنَا فِي هَذَا البَحْثِ.

المبحث الأول

مفهوم القُوَّة الذَّكِيَّة

تُعرَّفُ القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ على أنها القُوَّةُ الَّتِي تَجْمَعُ ما بَيْنَ نَظِيرَتَيْهَا: النَاعِمَةِ وَالصَّلْبَةِ، أي: الرِّبْطُ بَيْنَ السَّلَاسَةِ وَالشَّدَّةِ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافٍ مُعَيَّنَةٍ فِي إِطَارِ تَوَازُنٍ مُحَدَّدٍ لِلقُوَّتَيْنِ مَعاً. فَبِوِاسِطَةِ القُوَّةِ النَاعِمَةِ يُمْكِنُ تَحْقِيقُ الأَهْدَافِ المَرْجُوَّةِ عَنِ طَرِيقِ التَّرغِيبِ وَالجَذْبِ وَالقُدْرَةَ عَلَى الاسْتِطْطَابِ وَالإقْنَاعِ، مِنْ خِلالِ جاذِبِيَّةِ الدَّوْلَةِ الثَّقَافِيَّةِ أَوْ السِّيَاسِيَّةِ أَوْ الإِعْلَامِيَّةِ.. إلخ، فِي تَدْبِيرِ عِلاَقَاتِهَا مَعَ الحِلفاءِ أَوْ غَيْرِهِم، وَأيضاً تَقْدِيمِ المِسانَعاتِ الإِقْتِصادِيَّةِ، وَالاسْتِثْمَارِ فِي التَّبادُلِ الثَّقَافِيِّ مَعَ الدَّوْلِ الأُخْرَى، وَخَلْقِ رَأْيٍ عَامٍّ مُوَالٍ.

في حين تجد القُوَّةُ الصَّلْبَةُ ترجمتها في ما يلي من مظاهرها (1):

- العَسْكَرِيَّةُ، عِبْرَ لُغَةِ الحَرْبِ وَالقُوَّةِ المِباشِرَةِ، وَمَا يَرْتَبِطُ بِهَا مِنْ أَفْعَالِ التَّدخُّلِ وَالتَّهْدِيدِ عَلَى العَمومِ.
- السِّيَاسِيَّةُ، بِوِاسِطَةِ لُغَةِ المِضايِقَةِ وَالتَّعَرُّضِ لِلْمِصالِحِ عِبْرَ الهِئآتِ الدَّوْلِيَّةِ وَالإِقْلِيمِيَّةِ.
- الإِقْتِصادِيَّةُ، مِنْ خِلالِ لُغَةِ الضَّغْطِ وَالْمِقاطَعَةِ وَالْحِصارِ، مَعَ التَّلويحِ الدائمِ بِإِمكانِيَّةِ اسْتِخدامِ القُوَّةِ.

1. إيمان مصطفى "القُوَّةُ النَاعِمَةُ فِي السِّيَاسَةِ الخَارِجِيَّةِ"، فِكر أونلاين، 3 مارس 2016م. متاح على الرابط التالي: goo.gl/G7EZxF

القُوَّة الذَّكِيَّة كمفهوم تعرَّضَ له ضَمَنٌ آخَرِينَ، بالشرح والتوضيح أيضاً، عالمُ السِّيَاسَةِ الأمريكيِّ الشهير جوزيف ناي Joseph Nye، مُعرِّفاً إيَّاهَا بأنَّهَا القُوَّة الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ القُوَّتَيْنِ: النَّاعِمَةِ والصَّلْبَةِ فِي اسْتِراتِيجِيَّةٍ وَاحِدَةٍ نَاجِحَةٍ؛ إذ يُمْكِنُ تَحْقِيقُ الأَهْدَافِ المَرْجُوَّةِ عَنِ طَرِيقِ التَّرغِيبِ والجَذْبِ، والقُدْرَةَ عَلَى الاستِقْطَابِ والإقْنَاعِ، لَاعْنِ طَرِيقِ الشَّرَاءِ (الفَسَادِ) أَوْ الإكْرَاهِ والإجْبَارِ(1).

ما طَرَحَهُ جوزيف ناي عَنِ مَفْهُومِ "القُوَّةِ الذَّكِيَّةِ" يَصِبُّ فِي فِكْرَةٍ أَنْ تَحْقِيقَ الأَهْدَافِ عَلَى صَعِيدِ السِّيَاسَةِ الخَارِجِيَّةِ، لَا يَتَأَتَّى مِنْ خِلَالِ تَبَيُّنِ أَدَاةِ القُوَّةِ النَّاعِمَةِ وَحِدهَا؛ إذ لَا بُدَّ مِنْ ضَرُورَةِ الانْتِقَالِ إِلَى مَفْهُومٍ أَوْسَعٍ لِلإسْتِراتِيجِيَّاتِ المُتَبَعَةِ فِي سِيَّاسَاتِ الدُّوَلِ، فِي ارْتِبَاطِ وَثِيقٍ مَعَ مَفْهُومِ القُوَّةِ الصَّلْبَةِ الَّتِي لَهَا دَوْرُهَا الحَاسِمُ أَيْضاً فِي السِّيَاسَاتِ الدَّوْلِيَّةِ.

فِي حِينِ، يُعرِّفُ إرنست ويلسون Ernest Wilson القُوَّةَ الذَّكِيَّةَ عَلَى أَنَّهَا "قُدْرَةُ الفَاعِلِ الدَّوْلِيِّ عَلَى مَرْجُوعِ عَنَاصِرِ القُوَّةِ الصَّلْبَةِ والقُوَّةِ النَّاعِمَةِ بِطَرِيقَةٍ تَضْمَنُ تَدْعِيمَ تَحْقِيقِ الأَهْدَافِ بِكِفَاءَةٍ وَفَاعِلِيَّةٍ"(2).

وخلال القرن العشرين تمَّ الترويج لجملة مفاهيم تنضوي تحتها دلالات ترتبط بفلسفة مُنظِّريها لها علاقة بعناصر وتطبيقات القُوَّةِ الصَّلْبَةِ ونظيرتها النَّاعِمَةِ، فِي تَطَوُّرِ زَمَنِيٍّ وَمُنْهَجِيٍّ مَوْضُوعِيٍّ إِلَى غَايَةِ ظُهُورِ الحَاجَةِ إِلَى قُوَّةٍ جَدِيدَةٍ تَعْتَمِدُ الذِّكَاةَ

1. شريف علي محمد، القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ فِي الفِكرِ الأمريكيِّ "جوزيف ناي: القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ"، مجلة كَلِيَّةِ المَلِكِ خَالِدِ العَسْكَرِيَّةِ الإِلِكْتروْنِيَّةِ، الرِّياض، 1 أكتوبر 2009م.
2. يَمْنَى سَلِيمَانَ، "القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ: المَفْهُومُ والأَبْعَادُ دَرَاةً تَأْصِيلِيَّةً"، المَعْهَدُ المِصْرِيَّ لِلدِّرَاسَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالإسْتِراتِيجِيَّةِ، 12 يَنَايِرَ 2016م، مَتَاحٌ عَلَى الرِّابِطِ التَّالِي: goo.gl/gyr2dw

القوة التُّركيَّة النَّاعمة

في المَزجِ بين هذين المكوِّنَيْنِ الأساسِيَيْنِ المذكَورَيْنِ، والمُسْتَهلَكَيْنِ في إطار مفاهيم مُنقَلَّة، شكَّلت مادةً للاستعمال الانتقائي في إطار ما يمكن تسميته بالمدِّ والجَزْرِ في العلاقات الدَّوليَّة، على غرار عناوين: الحرب الباردة (1)، وحرب النجوم (2)، وحرب التحالف لأجل إعادة الشَّرعيَّة (3)، والحرب على الإرهاب (4)، وغيرها.

1. أول من استخدَم هذا المصطلح الكاتب الإنجليزي جورج أورويل في مقال نشره العام 1945م، ويُقصد به مواجهة سياسيَّة وأيدولوجيَّة مُستترة حدثت بعد انتهاء الحرب العالميَّة الثَّانية خلال الفترة بين العامين 1947-1991م، وانقسمت القُوَى العُظمَى إلى قِسْمَيْنِ؛ الليبراليِّ بقيادة الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة وحلفائها، والشُّيوعيِّ بزعمارة الاتحاد السوفييتيِّ وحلفائه، بحيث يقود كلُّ طرف حرباً غير مباشرة للسيطرة على الطرف الآخر، باستخدام القُوَّة الناعمة مثل: وسائل الإعلام والفنِّ. للمزيد يُنظر: ما هي الحرب الباردة؟، موقع "موضوع"، 21 يناير 2018م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/euapzd>.

2. ظهر هذا المصطلح في الثمانينيَّات خلال فترة الحرب الباردة بين الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة والاتِّحاد السوفييتيِّ، ويُقصد به مبادرة الدفاع الاستراتيجيَّة التي تمَّ تدشينها بمبادرة من الرئيس الأمريكي رونالد ريجان؛ لاستخدام الأرض والنُّظُم الفضائيَّة لحماية بلاده من هجوم الصواريخ الباليستيَّة النوويَّة الاستراتيجيَّة، وصدت واشنطن لهذه المبادرة موازنةً ضخمةً وأحاطتها بأقصى درجات السَّرِّيَّة، لكنها سمحت لحلفائها، مثل: بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإسرائيل، بالاشتراك معها. للمزيد: ينظر: حرب النجوم، موقع "شبكة الأخبار العربيَّة"، 5 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/UwPhJ1>.

3. هي الحرب التي شَنَّتها دولٌ عربيَّة بقيادة المملكة العربيَّة السعوديَّة في اليمن؛ حيث شملت (السعوديَّة ومصر والمغرب والأردن والسودان والإمارات العربيَّة المتَّحدة والكويت وقطر والبحرين) انتحافاً عسكرياً ضدَّ القوات الحوثيَّة المعارضة للرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي، استجابةً لطلب الأخير بعد هجوم الحوثيِّين على العاصمة المؤقتة عدن، وقد بدأت الحرب بتنفيذ هجمات جويَّة على الحوثيِّين في مارس 2015م، تحت مسمى "عملية عاصفة الحزم". للمزيد يُنظر: القوى العسكريَّة المشاركة في "عاصفة الحزم"، موقع "دويتشه فيله"، 26 مارس 2015م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/hjNmry>.

4. أطلقت الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة هذا المصطلح عقب هجمات 11 سبتمبر 2001م، بهدف القضاء على الإرهاب ومحاربة الدول التي تدعمه، وقد شَنَّت واشنطن - في إطار هذه الحرب - حملة عسكريَّة واقتصاديَّة وإعلاميَّة مع حلفائها الأوروبيِّين، وشكَّلت هذه الحرب انعطافة غير مسبوقة وبالغة الخطورة في التاريخ العالميِّ بأسره؛ كونها غير واضحة المعالم وتختلف عن الحروب التقليديَّة بتعدُّد أبعادها وأهدافها. للمزيد يُنظر: الحرب على الإرهاب، موقع "المعرفة"، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/hmDHYW>.

إجمالاً، تركز القُوَّة الصَّلْبَة Hard power إذن، على مفهوم الضغط بمعناه المادي. فعندما نكون في موقع قُوَّةٍ مثلاً، يمكن إكراه وإجبار الآخرين على الخضوع لأوامرنا ورَغَبَاتِنَا، وذلك عبر كَمِّ مُنْتَوَعٍ من الأسلحة؛ النارية منها والماليَّة، والسَّيْطَرَة على التَّدْفُقات المادِّيَّة، وأيضاً إخضاع القادة إلى غير ذلك من تلك الوسائل، وفي المقابل تستند القُوَّة النَّاعِمَة Soft power على أسس التكييف والتَّحْكُم في المعلومة، وباقي أساليب التَّأثير. وذلك في حال الوجود في وَضْعِيَّة سلطة مَعْنَوِيَّة مُعْتَرَفٍ بها ضَمْنِيًّا، حتى ولو كانت محل تنديد صريح. أي كَيْفِيَّة إدخال الآخرين دون وعي منهم بالخَلْفِيَّات الحقيقية، إلى ترتيباتك وخططك وفق الأهداف المُسَطَّرَة لحماية وتنمية مصالحك. وتحتمل القُوَّة المُؤَثَّرَة والفاعلة في هذا الصدد، عدَّة رموز أُمْرِيكِيَّة كلاسيكِيَّة على سبيل المثال: هوليوود، هارفارد، مارلبورو، شوينغ غام chewing - gum، جينز.

القُوَّة الذَّكِيَّة.. نماذج وتطبيقات:

"القُوَّة الذَّكِيَّة" كمفهوم قديم حديث، إذن، توطَّر مبادرة حركة الرؤساء الديمقراطيين في الولايات المُتَّحِدَة ما بعد الحرب العالَمِيَّة، ابتداءً من هاري ترومان (1) Harry Truman من خلال توفير المساعدات الأُمْرِيكِيَّة لإعادة بناء الديمقراطيات على أنقاض الدمار الهائل في أوروبا، إلى غاية توجُّهات بيل كلينتون (2) Bill Clinton في البوسنة وكوسوفو

1. هاري ترومان (8 مايو 1884 - 26 ديسمبر 1972)، هو الرئيس الثالث والثلاثون للولايات المُتَّحِدَة الأُمْرِيكِيَّة، تولى المنصب من 12 أبريل 1945 حتى 20 يناير 1953م، كان ترومان يشغل منصب نائب الرئيس الأُمْرِيكِي لمدة 82 يوماً ثم تولى الرئاسة خلفاً للرئيس فرانكلين روزفلت الذي تُوْفِّي في المنصب، أشرف ترومان على إنهاء الحرب العالَمِيَّة الثَّانِيَّة واستسلام كل من ألمانيا النازية واليابان، كما أمر بإطلاق قُنْبُلَيْتي هيروشيما وناجازاكي في أغسطس 1945م، وعمل على إنشاء مُنظَمة حلف شمال الأطلسي في عام 1949م، كذلك بدأت في عهده الحرب الباردة بين الولايات المُتَّحِدَة والاتِّحاد السُّوفِييَّتي، كما ساهم في التَّدخُّل العَسْكَرِي في الحرب الكوريَّة عام 1950م. (Harry S. Truman, Encyclopaedia Britannica, available at: goo.gl/GKaiun)
2. بيل جيفرسون كلينتون (19 أغسطس 1946م)، رئيس الولايات المُتَّحِدَة الأُمْرِيكِيَّة الثاني والأربعون، انتخب لفترتين رئاسيَّتين متتاليتين بين عامي 1993 و2001م، يُعدُّ ثالث أصغر رئيس للولايات المُتَّحِدَة بعد ثيودور روزفلت وجون كينيدي. تولى الرئاسة بعد نهاية الحرب الباردة. (Bill Clinton, Encyclopaedia Britannica, available at: goo.gl/fxbbsF).

والشرق الأوسط، ومروراً بجون كينيدي (1) John Kennedy مع هيئات السلام Peace Corps. علماً بأنه عبر خلق فضاء للاتحاد الأوروبي، تمَّ ابتكار القُوَّةِ الذِّكِّيَّةِ عَمَلِيًّا دون تسميتها. وبالتالي تمَّ وضعها موضع التنفيذ في حِقْبَةِ الخمسينيات إلى غاية السبعينيات من القرن الماضي، قبل العودة القويَّةِ للدول المُعَيَّنَةِ للحديث عن أوروبا قُوَّةٍ موحَّدة بعمليتها وجيوشها وسياساتها ورؤيتها الجيوسياسية الخاصَّة.

وفي سياق القطيعة مع السِّيَاسَاتِ الَّتِي ينادي بها المحافظون الجُدُّ، فإن مفهوم القُوَّةِ الذِّكِّيَّةِ الَّذِي ابتكرته سوزان نوسيل (2) Suzanne Nossel بعقلية "الأمميَّة الليبرالية" كوصفة لإعادة تأهيل الأحاديَّة والتحالفات، والحذر في قلب الفعل الدبلوماسي، قد توفَّرت له عوامل التجريب الحقيقي عبر النُّزاع الأخير في غزَّة. وشكَّل ذلك فرصة للرئيس باراك أوباما Barack Obama لتنفيذ هذه العقيدة السِّيَاسِيَّة الجديدة؛ نداءً لاستعادة مُناخ الثقة والاحترام المتبادل بين العرب والإسرائيليين، والعمل على إقامة شراكة جديدة بين الولايات المُتَّحِدة والعالم العربي، وكذلك الإعلان عن عودة وشيكة لمفاوضات السلام (3). أما هيلاري كلينتون (4) Hillary Clinton، سكرتيرة الدوَّة، وزيرة الخارِجِيَّة (2009 - 2013م) المُعَيَّنَةُ من طرف أوباما في بيانها الافتتاحي خلال جلسة استماع أمام لجنة العلاقات الخارِجِيَّة بمجلس الشيوخ، فقد قالت بوجود استخدام ما يُسمَّى القُوَّةِ

1. جون فيتزجيرالد "جاك" كينيدي (29 مايو 1917 - 22 نوفمبر 1963)، سِيَاسِيٌّ أمريكيٌّ تَوَلَّى منصب الرئيس الخامس والثلاثين للولايات المُتَّحِدة من 20 يناير 1961م حتى اغتياله في 22 نوفمبر 1963م. (John F. Kennedy, Encyclopaedia Britannica, available at: goo.gl/4zRJRz).

2. المدير التنفيذي لمنظمة مركز «القلم الأدبيَّة» الأمريكيَّة، وشغلت منصب مديرة منظمة العفو الدوليَّة في الولايات المُتَّحِدة الأمريكيَّة. (SUZANNE NOSSEL, PEN America, available at: goo.gl/8SXEtj).

3. Hendrik Hertzberg, "SMART POWER", The New Yorker, JANUARY 26, 2009, available at: goo.gl/CBj12F

4. هيلاري كلينتون (26 أكتوبر 1947م) سِيَاسِيَّةٌ أمريكيَّة، تَوَلَّتْ منصب وزير الخارِجِيَّة الأمريكيَّة السابع والستين، وذلك في عهد الرئيس باراك أوباما في الفترة منذ عام 2009 وحتى عام 2013م. وهي زوجة بيل كلينتون، رئيس الولايات المُتَّحِدة الثاني والأربعين، عَمَلَتْ كلينتون في مجلس الشيوخ الأمريكي بمدينة نيويورك في الفترة من عام 2001 وحتى عام 2009م. وكانت مرشحة الحزب الديمقراطي للانتخابات الرئاسيَّة الأمريكيَّة 2016م، والتي خسرتها لصالح دونالد ترامب. (Hillary Rodham Clinton, Encyclopaedia Britannica, available at: goo.gl/w7usrx).

الذكيّة، كمجموعة أدوات كاملة في متناول الإدارة الأمريكيّة، سواءً الدبلوماسية، الاقتصادية، العسكريّة، السياسيّة، القانونيّة أو الثقافيّة منها. (1)

وبالتالي اختيار الأداة المناسبة، أو مجموعة الأدوات الملائمة، حسب ما تملّيه كلّ حالة أو ظرفيّة، فالقوة الذكيّة بمعنيّة الدبلوماسية إذن (دائماً حسب السيدة كلينتون)، ستكون طليعة سياسة واشنطن الخارجيّة. وهي ليست فكرة راديكاليّة بحسبها؛ حيث تضيف كلينتون في موضع آخر: "إنّ التّهديدات الأمريكيّة اليوم لا يمكن معالجتها بمعزّلٍ عن غيرها، فالقوة الذكيّة تتطلّب الوصول إلى كلّ من الأصدقاء والأعداء، وتعزيز التحالفات القديمة وإنشاء تحالفات جديدة. وهذا يعني تعزيز التحالفات التي صمّدت أمام اختبار الزمن - خاصة مع شركائنا في حلف الناتو وحلفائنا في آسيا". (2)

القوة الذكيّة.. مظهرات وخصائص:

القوة الذكيّة التي أعلنت عنها إدارة الرئيس الأمريكيّ السابق باراك أوباما، كعقيدة جديدة لتدخّلات الولايات المتّحدة في الخارج وتديبر علاقاتها مع دول العالم، اعتبرت قطيعة وانفصلاً جوهرياً عن الأحاديّة العدوانيّة التي تميّزت بها فترة رئاسة جورج بوش الابن. أما بالنسبة لأوروبا، فقد مثّلت بالنسبة إليها فرصة جديدة للتفاعل والتعاون مع هذا البلد الذي لا يزال الفاعل المهيمن في العلاقات الدوليّة، وخاصّة في المنطقة الأكثر اضطراباً في العالم؛ الشرق الأوسط.

1. مصطلح "القوة الذكيّة" نهج جديد في السياسة الخارجيّة الأمريكيّة خلال رئاسة أوباما، مركز الروابط للبحوث الاستراتيجيّة، 3 نوفمبر 2014م، تاريخ الزيارة 16 نوفمبر 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://rawabetcenter.com/archives/977>

2. "القوة الناعمة" وحدود التغيير، 28 يناير 2009م، السير سيريل تاونسيند، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/5Vsmx>

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وقد كان المؤتمر السنويّ حول الأمن المنعقد في ميونيخ (1) خلال شهر فبراير 2009م، أول فرصة للأمريكيين لتقديم رؤيتهم الجديدة في هذا الموضوع، وبالنسبة للأوروبيين فرصة للردّ عليهم. كما شكّلت قِمة حلف شمال الأطلسي في أبريل من نفس السنة، موعداً أساسياً لإعادة بناء العلاقات بين ضفّتي الأطلسي (2).

إجمالاً، إذن، تأخذ القُوَّةُ الذكيَّةُ في حسابها أن المستقبل لا ينتمي بالضرورة إلى الدول ذات النماذج الاقتصادية، الثقافيَّة والاجتماعيَّة الأكثر جاذبيَّة، بل تملكه أيضاً الإدارات المتسلَّحة بروح التعاون والبراجماتيَّة؛ حيث الاعتقاد في سلطة الشجاعة والذكاء أكبر. فإذا كان الكثير من الناس في زوايا العالم الأربع، قد سمّوا الجانب البلاغيّ في الخطاب الواصف لعبارة "القُوَّةُ النَّاعِمَةُ" المُفرَّغة من محتواها في كثيرٍ من تطبيقات القُوَّة لدى واشنطن أو باقي القُوَى الكبرى في العالم، من حيث تكراره كمصطلح في جميع الصور النمطيَّة إلى حدِّ السُّليبيَّة، والتي لها كمٌّ كبير من الاستياء والسُّخَط لدى الجمهور الأمريكي، حول أداء الديمقراطيين والأمن القوميّ أيضاً، فقد جاءت "القُوَّةُ الذكيَّة" للتخفيف والتعويض بإيجابيّة (بتحفُّظ) عن ما سبق من استخدام سيئٍ للقُوَى السابقة.

وفي مقابل الانتقادات الكثيرة لتطبيقات القُوَّتَيْنِ الصَّلبة والنَّاعِمَة معاً (خصوصاً فيما يتعلَّقُ بفاعليَّة الخيار الثاني)، يُبلورُ جوزيف ناي تقبيماً خاصاً به حول مستقبل القُوَّة / السُّلطة كَرَدٍ عمليّ على تقهُّرِ النُّمُوذ الأمريكيّ دون المساس بثوابت القُوَّة في صيغتها

1. مؤتمر سنويّ يُعقدُ في فندق بايريشر هوف في مدينة ميونخ الألمانية، ويناقش تحديات السياسة الخارجية والأمنيَّة العالميَّة، خاصة فيما يتعلَّقُ بالعلاقات الأوروبيَّة والأمريكيَّة، بحضور نحو 250 مشاركاً من 40 بلداً حول العالم، تمَّ إطلاقه للمرَّة الأولى في العام 1963م، وكان يُطلق عليه آنذاك "اجتماع العلوم العسكريَّة الدولي"، ثم تحوَّل إلى "مؤتمر الدبَّابات والصواريخ المضادَّة"، وأخيراً "مؤتمر ميونيخ للأمن". للمزيد يُنظر: مؤتمر ميونخ الأمني، موقع "المعرفة"، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/dSyHsD>.

2. Steve Benen, "Smart Power", washington monthly, January 13, 2009, available at: goo.gl/4ENSPp

الرَدْعِيَّة الداعمة. نظرياً: فالدولة المعتمِدة على قُوَّة ناعمة تمَّ تطويرها دون قُدرةٍ دِفَاعِيَّة عَسْكَرِيَّة عند الحاجة مثلاً، لا يمكن اعتبارها قُوَّة كبرى. وعلى النقيض، فالدولة التي تمتلك مؤهلات مُهمَّة في مجال القُوَّة الصَّلْبَة يمكن أن تنجح في تدخُّلاتها العَسْكَرِيَّة، تفادي نزاعات مُعيَّنة أو فِرْض وُجْهات نظرها على الواجهة الدُولِيَّة لمدَّة محدَّدة فقط، وستجد صعوبةً كبيرةً في تحويل انتصاراتها إلى "رأسمال" سِيَّاسِيٍّ مثمر!

والأمثل في هذه الحالة، حسب ناي دائماً، هو المزج بين الصلب والناعم بصورة واعية في استثمار لُقُوَّة الذكاء غير المحدودة كبديل مستقبلي جدِّ إيجابي. ففي كتابه "The Future of Power مستقبل القُوَّة"، لا يثور ناي على الأساليب المكتسبة في السِّيَاسَة والعلاقات الدُولِيَّة، في هذا السياق، بل يقتصر فقط على تلخيص واستخلاص المفيد في نماذج ممارسات القُوَّة بأنواعها المعروفة، وبالتالي الانخراط في تمرين استشرافي مستقبلي.

فالكثير من القُوَّة، من ناحية الموارد، يمكن أن تصبح نقمة أكثر منها نعمة، إذا كان هذا يُؤدِّي إلى الثقة المفرطة في اسْتِراتِجِيَّات التحويل في قُوَّة غير ملائمة. فبداية القرن الحادي والعشرين، الذي تميَّزَ بتوزيع غير متكافئ لموارد القُوَّة، كان بطبيعة الحال يصبُّ في مصالح الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، لكن ليس في صالحها إلى الأبد. وبالتأكيد، لا تزال القُوَّات المُسلَّحة والاقتصاد ضرورة لتثبيت تطبيقات القُوَّة الصَّلْبَة، ولكنَّ العصر الحالي هو للتأثير. وهذا التأثير، إذا كان في جزء منه ثقافيٍّ، وفي آخر سِيَّاسِيٍّ ومتعدِّد الأطراف؛ فالقُوَّة النَّاعِمَة تستغرق وقتاً طويلاً في مراحل تنفيذها، وخصوصاً عندما تمسُّ جانب القِيَم السِّيَاسِيَّة الأساسِيَّة، على غرار الديمُقْرَاطِيَّة. وهذا الوقت الطويل هو ضمانة النجاح وفقاً لجوزيف ناي، خلافاً لمحاولات الفِرْض القَسْرِي التي انتهجتها إدارة جورج بوش الابن (1)، التي لم تستوعب أن القضايا النبيلة يمكن أن يكون لها عواقب وخيمة.

1. ولد جورج ووكر بوش في 6 يوليو 1946م، بنيو هافن، ولايَّة كونيتيكت، الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، هو الرئيس رقم 43 للولايات المتَّحدة خلال الفترة من 2001-2009م، قاد سلسلة حروب أُمْرِيكِيَّة رداً على هجمات 11 سبتمبر 2001م، تمثلت في الحرب على أفغانستان 2001م، والحرب على العراق في عام 2003م، قبل انتخابه رئيساً كان بوش رجل أعمال، وعمل حاكماً لولايَّة تكساس خلال الفترة (1995-2000م)، George W. Bush،

Encyclopaedia Britannica, available at: goo.gl/D7vE39

تَطَوُّرُ مَفْهُومِ الْقُوَّةِ الذِّكِّيَّةِ فِي الْعِلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ:

ظهر فشل الاعتماد على سياسات القُوَّةِ الصَّلْبَةِ والنَّاعِمَةِ جلياً فيما سُمي بالحرب ضدَّ الإرهاب. وكان لا بدَّ من التَّوجُّه إلى مفهوم "القُوَّةِ الذِّكِّيَّةِ" لمواجهة خطر هذا الوافد الجديد، جماعات متطرفة وذئاباً منفردة.

وترتكز القُوَّةُ الذِّكِّيَّةُ على سياسات الإدماج والدعم، سواءً في بناء العلاقات مع كلِّ من الأصدقاء والأعداء، التحالفات القديمة والشراكات الجديدة، حتى لو كان الاختلاف قائماً مع توجُّهات بعض الحكومات في هذه الدول. في ظلِّ تراجع القُوَّةِ العسْكَرِيَّةِ، وعدم نجاعة الفصل بين القُوَّةِ الصَّلْبَةِ ونظيرتها النَّاعِمَةُ في السياق الدَّوْلِيِّ الحالي، لا سيَّما مع ظهور "فواعل" غير دَوْلِيَّةٍ عرَفَتْ كيف تدمج بين القُوَّتَيْنِ النَّاعِمَةِ والصَّلْبَةِ. من جانب آخر، أصبح عصر العولمة يفرض قيوداً على استخدام القُوَّةِ، ومعها الاستراتيجية المتَّبَعَةُ لتحقيق المصالح والأهداف المنشودة في السِّيَاسَةِ الدَّوْلِيَّةِ. ويرجع ذلك إلى التغيير الذي طال طبيعة النُّظَامِ الدَّوْلِيِّ، قضايا وموضوعات، كما مسَّ طبيعة الأمم والشُّعُوب، دون إغفال كثافة وسرعة تنقل المعلومات ما أدَّى إلى خَلْقِ مُنَاخٍ مختلف على صعيد العلاقات الدَّوْلِيَّةِ، وأصبحت المعلومات هي مركز القُوَّةِ لمن يملكها، ويحسن توظيفها، وقد ظهر ذلك جلياً فيما عُرِفَ بالحروب الإلكترونيَّة ومثيلاتها الخاصَّة بشبكات الاتِّصَالَات (1).

وبناءً عليه، أصبح هناك اقتناع عامٌّ في أوساط "الثمانيَّة الكبار" إلى عدم اعتماد القُوَّةِ العسْكَرِيَّةِ كحلٍّ وحيد لإنفاذ سياساتها الخَارِجِيَّةِ، وأصبح التَّوجُّه نحو السِّيَاسَةِ الاقتصاديَّةِ أكثر من أيِّ وقت مضى مُلْهِماً لحلول جديدة وبدائل مقبولة، تُبْرِزُ قُدْرَةَ الدول العظمى على تسخير وخلق المعرفة والمعلومات حول العالم لزيادة قُوَّتِهَا.

1. سماح عبدالصبور، القُوَّةُ الذِّكِّيَّةُ فِي السِّيَاسَةِ الخَارِجِيَّةِ: دراسة في أدوات السِّيَاسَةِ الخَارِجِيَّةِ الإيرانيَّةِ تَجَاهَ لِبْنَانَ منذ 2005م، رسالة مُقَدِّمَةٌ لنيل درجة الماجستير، كَلِيَّةُ الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّةِ، جامعة القاهرة، 2013م.

كما أن امتلاك المصادر الصلبة والناعمة، مع المزج بينهما، لا يكفي لإنتاج قوة ذكية فاعلة، بل هناك القدرة على التوظيف الجيد، مع اختيار الطرفية الزمنية الصحيحة والنوعية المحددة في هذا الموقف أو ذلك، مع الوعي بتوقيت وكيفية الدمج بين عناصر القوة الصلبة والناعمة في اتجاه مركب، نُمثل لها بجميع المبادرات السياسية التي أُطلقت خلال ولايتي أوباما، التي اتخذت شكل "التحركات الذكية" تجاه روسيا، إيران، وكذلك مع الحكومة الإسرائيلية، لاستعادة المصادقية الأمريكية المفقودة في ميزان الصراع العربي الإسرائيلي.

ويمكن القول: إنَّ ثمة بضعة شروط واجبة لتحقيق مفهوم "القوة الذكية" بطريقة صحيحة، لعل أهمها(1):

1. إدارة الأدوات القابلة للاستخدام، بالإضافة إلى وقت وكيفية توظيفها، سواءً منفصلة أم مشتركة مع غيرها.
2. تحديد الهدف من ممارسة القوة، فالقوة لا يمكن أن تكون ذكية دون أن يعرف ممارسوها الهدف من استخدامها والشعوب والمناطق المستهدفة بهذه القوة.
3. تحديد السياق الإقليمي والدولي الذي سيتم فيه تحقيق الهدف المرسوم.
4. الفهم الذاتي والإدراك الشامل للأهداف، في انسجام مع القدرات والإمكانيات المتاحة داخل الدولة. فلا يمكن للقوة الذكية أن تعتمد على الأهداف دون التحديد لعنصري الإرادة والقدرة على الإنجاز.

أما جملة الأسباب التي ربما أدت إلى نشأة مفهوم "القوة الذكية" وسياستها الدولية المختلفة على الصعيد التطبيقي، فيمكن تلخيصها في(2):

1. يمنى سليمان، "القوة الذكية - المفهوم والأبعاد: دراسة تأصيلية"، مرجع سابق.
2. إيمان مصطفى "القوة الناعمة في السياسة الخارجية"، فكر أونلاين، 3 مارس 2016م. متاح على الرابط التالي: goo.gl/G7EZxF

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

- القُدْرَةُ على تحقيق مردود في الشؤُون الدَّوْلِيَّةِ من خلال الاستقطاب، أكثر مما يمكن تحقيقه عبر الإكراه.
- الحاجة لاستقطاب الدول النامية من طرف الدول المتقدِّمة، للعمل معها كشريك دولي، لمواجهة التَّحْدِيَّات العَالَمِيَّة المشتركة، الَّتِي لا تستطيع أيَّة دولة التصدي لها بمفردها مثل التَّغْيِرَات المناخيَّة، وانتشار الأمراض المستعصِيَّة، وتصاعد خطورة "الدول الفاشلة" على الأمن العالمي، وغيرها.
- الإرهاق السائد بعد مرحلة الحرب الباردة بين الدولتين العُظْمَيَّين؛ نتيجة الدخول في سباق للتسلُّح جدِّ مُكَلَّف، ولا نهاية له.
- ظهور تهديدات أخرى من قِبَلِ دولٍ لها قُوَّة نوويَّة وغير خاضعة للهيمنة الغربيَّة، مثل كوريا الشماليَّة وإيران.
- إدراك الغرب أيضاً، عبثيَّة الدخول في المواجهة العسْكَريَّة مع قُوَى تحريريَّة غير رَسْمِيَّة، خصوصاً بعد التجارب العسْكَريَّة المريرة، ولعل آخرها ما حدث في العراق (1) وأفغانستان (2).

1. بدأت عمليَّة غزو العراق في شهر مارس من عام 2003م، بقيادة الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة على رأس تحالف دولي ضمَّ بريطانيا ودولاً أخرى بهدف الإطاحة بنظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين بدعوى حيازة بغداد لأسلحة دمار شامل، وفقاً لمعلومات الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة، وهي الحرب التي كَلَّفَتْ مئآت الآلاف من الضحايا، وأوقعت الشرق الأوسط في حالة من الفوضى، قبل أن يتبين لاحقاً أنها بُنِيَتْ على مجموعة من الأكاذيب والمعلومات المضلَّة. (حرب العراق - بدأت بكذبة وألت إلى فوضى، دويتش فيله، 9 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Ysci4c).
2. في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001م، أقدمت الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة على غزو أفغانستان للإطاحة بحُكْم حركة طالبان والقضاء على معاقل تنظيم القاعدة الذي اتَّهَمَتْه واشنطن بالمسؤوليَّة عن هجمات سبتمبر الشهيرة. وتعتبر عمليَّة غزو أفغانستان أول عمليَّة عسْكَريَّة في إطار استراتيجيَّة الحرب على الإرهاب التي تَبَنَّتها واشنطن عقب هجمات 11 سبتمبر، وشاركت فيها قُوَات الولايات المتَّحدة والمملكة المتَّحدة وقُوَات التحالف الأفغاني الشمالي التي كانت عبارة عن مجموعة من القُوَات الأفغانيَّة المختلفة المعارِضة لحكومة طالبان، ثم انضمت فيما بعد قُوَات حلف الناتو وبعض الدول الأخرى الحليفة للولايات المتَّحدة. (حقيقة الغزو الأمريكي لأفغانستان، الجزيرة نت، 19 مارس 2016م، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9VaSNP).

- التحويل على ثورة المعلومات والنظام الإعلامي الجديد لاختراق، ونقل المنظومة القيميّة الغربيّة إلى كل أرجاء العالم، بعد أن كانت محصورة إلى حدّ كبير في الغرب.(1)

لقد أضرتّ القوّة الصّلبة مثلاً أيّما ضرر بصورة الولايات المتّحدة، وقبلها الاتّحاد السّوفييتيّ، في حالتيّ التّدخل العسكريّ في أفغانستان والعراق على التوالي. ولم تستطع القوّة النّاعمة الممثّلة في سطوة الإعلام الغربيّ تحديداً في تمرير خطاباته المشرّعة لسلوك القوّة المحتلة، ولو تحت غطاء الشّرعيّة الدّوليّة، أو القضاء على أسلحة الدمار الشامل أو غيره، مما أدّى إلى تنامي شعور الرفض للازدواجيّة التي تتعامل بها القوّة الكبرى مع بقيّة العالم، من شعارات السلام وحقوق الإنسان وغيرها، وتأليب القوّة المناهضة للغرب ضدّ هذه السّيّاسات الصّلبة الغاشمة.

ويبدو أن إدارة الرئيس الأمريكيّ السابق باراك أوباما استوعبت جيّداً درس القوّة بأنواعها، بما يفيد تغيير توجّهها في السّيّاسة الأمريكيّة (تدارك جورج بوش الابن)؛ حيث واجه أوباما وفريقه الرئاسيّ تحديّات كبيرة في السّيّاسة الخارجيّة بسبب الصّراعات الدّوليّة المُستمرّة، وتقلّب الاقتصاد الأمريكيّ بسبب الأزمة الاقتصاديّة العالميّة، وتفاوت أسعار العملات، وانهيار أسعار النفط في العالم، إضافة إلى إشكاليّات تغير المناخ وتفشّي الفقر والأمراض الوبائيّة والتّهديدات المُحدّقة بالأمن الغذائيّ.

1. للمزيد يُنظر المرجعين الآتيين :

أ- أميّة محسن عمر أحمد الزيّات، السّيّاسة الخارجيّة الصّينيّة تجاه إفريقيا 1991-2015م، المركز الديمقراطي العربي، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النصّ متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/rs7NT>
ب- كريم أبو حلاوة، سياسات القوّة الذكيّة ودورها في العلاقات الدّوليّة، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النصّ متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/yMZTnU>

القوة التركيبية الناعمة

وبالنسبة لجوزيف ناي، إذن، فمن وراء هذه العلامة (القوة الذكّية)، تستطيع الولايات المتّحدة أن تدفع بسياسة استثمار في الممتلكات العالميّة؛ تطوير بُنيّات الصّحة العامّة، البيئية والمُنَاخ وغيرها، التي من شأنها أن تعود بالفائدة على الجميع.

وبهذا تستعيد الزعامة الأمريكيّة جاذبيّتها في عقول الدول والشُّعُوب الذين ليس لديهم وسيلة للحصول على هذه البنيّات. ففي بيئة دَولِيّة صعبة، يجب أن يكون هناك ما هو أكثر من مُجرّد سُلطة للرئيس الأمريكيّ قصد استعادة زعامة أمريكا على الصعيد الدَولِيّ⁽¹⁾.

1. Limits of American Power, Joseph S. Nye, Jr. الناشر "The Academy of Political Science"، 2016، تاريخ: <https://goo.gl/hXzuac>: الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي

المبحث الثاني

الدول التي تتبّع سياسة القوّة الذكيّة

إذا كان مفهوم "القوّة الذكيّة" قد وجد صداه في عدد من الدول الكبرى والعظمى حول العالم، ذات الدور المحوريّ المهمّ في العديد من الأزمات والتضاهات السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة وغيرها. فإنّ تنزيل "القوّة الذكيّة" عبر تطبيقات مقبولة وفاعلة، يُعدّ من أولويات الدول المُعنيّة وإدارتها الحاليّة أو حتى القادمة. بل أصبح من أساسيات البقاء والتفاعل مع الداخل والدول الأخرى على حدّ سواء.

وسنعرض في هذا المبحث لعدد من التجارب والخبرات لبعض الدول التي اتبعت سياسة القوّة الذكيّة في إدارة أمورها الداخليّة وسياساتها الخارجيّة، لتعميق دراسة المفهوم وتجليّاته التّطبيقيّة على صعيد العلاقات الدّوليّة بشكل ملموس، بالتركيز على كلّ من؛ الولايات المتّحدة، روسيا، الصين، الاتّحاد الأوروبيّ، قطر، تركيا.

أولاً: الولايات المتّحدة:

تُعتبر الولايات المتّحدة الأمريكيّة من أولى دول العالم في تبنّي المفهوم الجديد للقوّة عالمياً والمعروف بـ "القوّة الذكيّة"، ويأتي هذا الاعتماد - كما أسلفنا - بعد الإفلاس الأخلاقيّ والعسكريّ الذي أحاط بالقوّات العسكريّة الأمريكيّة في كلّ من أفغانستان والعراق، تحت شعار "الحرب ضدّ الإرهاب".

ويأتي هذا أيضاً بعد دراسة الجدوى في ظلّ الظروف الإقليميّة، وخاصّة في المنطقة العربيّة، والدور الأمريكيّ فيها. وقد وصلت الإدارة الأمريكيّة في عصر "إدارة أوباما" - بعد شرح جوزيف ناي لهذا المفهوم الجديد وغيره من كبار المسؤولين مثل هيلاري كلينتون - للاقتناع بالجمع بين القوّة العسكريّة والقوّة الثقافيّة الأمريكيّة. إذ يؤكّد ميشيل كوكس، أستاذ العلاقات الدّوليّة والمحلل السياسيّ، على صحة الاختيار والدمج

بين القوتين "الصلبة" و"الناعمة"، بعد تبني باراك أوباما وإدارته نظرية جوزيف ناي، التي أصبحت أساس "مبادرة القوة الذكية" التي رعاها مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن لتطويرها والترويج لها.(1)

وذلك مع افتراض "إدارة أوباما" أن الولايات المتحدة لا تزال قادرة ومؤهلة لقيادة العالم ووضع بصمتها في كل صراع أو مشكلة حول العالم، فكان لا بد من هذا التوجه لتحقيق الصدارة الأمريكية في العالم (كما ترى إدارة أوباما ووزارة خارجيته)، والتي وجدت أن أفكار ناي واقعية، ولاقت صدى كبيراً في المجتمع السياسي الأمريكي.

وحسب تصريح هيلاري كلينتون - الذي ذكرناه آنفاً - أن "إدارة أوباما" قادرة على السيطرة واستخدام هذه السياسة الجديدة على الوجه الصحيح، وبالطريقة المناسبة. وفي هذا، تختلف "إدارة أوباما" ذات الأقطاب المتعددة في علاقاتها وسياساتها عن سابقتها، إدارة بوش الابن، أحادية القطب، في مفردات العمل على فرض السيطرة والهيمنة الأمريكية في العالم بالطرق العسكرية والقوة الصلبة (الخشنة) فقط، والتفرد بالقرار لوحدها، وفرض اتباع الدول الأخرى لها.

وهذا ما أكد عليه خطاب أوباما (2) للتنصيب كرئيس للولايات المتحدة، بأنه "عبر التاريخ كانت قيم العمل الجاد والتفاني والأمانة والإخلاص والشجاعة، والأداء

1. عادل عامر، استعمال القوة في العلاقات الدولية بين قوة القانون وهيمنة القوة، 2015/7/8م، تاريخ الزيارة 16 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي:

www.adelamer.com/vb/archive/index.php/t-19037.html

2. الرئيس الرابع والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية 2009-2017م، أول أمريكي من أصول إفريقية يصل إلى رئاسة الولايات المتحدة، وهو من مواليد عام 1961م في ولاية هاواي الأمريكية من أب كيني وأم أمريكية بيضاء، درس العلوم السياسية بجامعة كولومبيا في نيويورك ثم انتقل إلى جامعة هارفارد المرموقة لدراسة القانون، تدرّس في مهنة المحاماة بشيكاغو، وتخصّص في مجال الدفاع عن الحقوق المدنية، شغل منصب سيناتور في مجلس ولاية إلينوي ما بين 1996 و2004م. (من هو باراك أوباما؟، صحيفة الحياة اللندنية، 16 نوفمبر 2016، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/n7G8Wc).

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

النزیه، والتسامح وحبُّ الفُضُولِ والولاءِ والبطولةِ والوَطَنِيَّةِ، هي القُوَّةُ الكامنةُ بهدوءٍ وراءَ تقدُّمنا. إنَّ ما هو مطلوبٌ منَّا الآن هو العودةُ إلى تلك الحقائقِ والقيَمِ، والبدءُ بعهدٍ جديدٍ من الشعورِ والإحساسِ بالمسؤوليَّةِ، والاعترافِ بالفضلِ وتقديرِ الجهودِ، وذلك على مستوى وصعيدِ كُلِّ أمريكيٍّ (1). إدراكُ الإدارةِ الأمريكيَّةِ، آنذاك، بأنَّ القُوَّةَ العسْكَريَّةَ وحدها لا تفرضُ هيمنةً دَوْلِيَّةَ، خصوصاً في عصرنا الحالي، فبعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001م على سبيل المثال، أصبحت الولاياتُ المتَّحدةُ مصدرًا للخوفِ والغضبِ والعنفِ بعيداً عن التفاؤلِ ونشرِ السلامِ (2)، كما تراجعتِ الهيمنةُ الأمريكيَّةُ أمامَ المجتمعِ الدَّوليِّ خطواتٍ لا بأسَ بها إلى الوراءِ (3).

وبما أن الولاياتِ المتَّحدةُ كانت تتنادي، وعلى كافَّةِ الأصعدةِ وفي جميعِ المحافلِ الدَّوليَّةِ، أنها تسعى إلى تحقيقِ الديمُقْراطيَّةِ والأمنِ والسُّلمِ المجتمعيِّ، عن طريقِ نشرِ مفاهيمِ عدَّةٍ؛ كحقوقِ الإنسانِ وتنميةِ المجتمعاتِ المدنيَّةِ في مختلفِ دولِ العالمِ، وهذا لن يتحققَ لها إلَّا عن طريقِ القُوَّةِ العسْكَريَّةِ وفرضِ الهيمنةِ. فالحربُ على العراقِ مثلاً، جاءت لفرضِ الديمُقْراطيَّةِ والقضاءِ على نظامِ صدامِ حسينِ، ولكن المفاجأةُ كانت أن الديمُقْراطيَّةَ اندثرتْ أكثرَ فأكثرَ ودَمَّرتْ العراقِ، ولم تستطعِ الهيمنةُ الأمريكيَّةُ السَّيطرةَ عليها كما تريد، على الرَّغْمِ من تحقيقِ هدفها بإنهاءِ النِّظامِ العراقيِّ.

1. خطاب الرئيس أوباما لدى تنصيبه، بي بي سي عربي، 20 يناير 2009، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QeAgAV
2. من دلائل هذا التحوُّلِ في الصورةِ المُدرَكةِ عن الولاياتِ المتَّحدةِ الأمريكيَّةِ، خطاب الرئيس الأمريكيِّ الأسبقِ جورج دبليو بوش عَقِبَ هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001م. يُنظَرُ: خطاب الرئيس بوش عقب هجمات 11 سبتمبر، الجزيرة نت، مكتبة التقارير، 31 مايو 2016، متاح على الرابط التالي: goo.gl/W2spoK
3. أيمن الدسوقي، "القُوَّةُ الذَّكيَّةُ وسياسةُ أوباما الحَارِجِيَّةُ"، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 15 فبراير 2009م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fU9Svn

فقد خسرت الولايات المتحدة في حربها على العراق الذي سُمي لاحقاً (الحرب ضد الإرهاب)، ترسانة عسكرية كبيرة من عتاد وأعداد من جنودها سقطوا قتلى في هذه الحرب (1)، وقد كُلفت هذه الحرب الولايات المتحدة قوتها الناعمة؛ حيث إنها خسرت سمعتها وقيمتها تقريباً أمام المجتمع الدوليّ.

وزارة الدفاع الأمريكية و"إدارة أوباما" سعياً، إذن، إلى تفهّم الوضع الذي آلت إليه آلة السياسة العالمية للعمل نحو طرق مبتكرة لفرض الهيمنة والسيطرة الأمريكية، من خلال لجنة القوة الذكية التي أوصت بالتركيز على أهم خمس نقاط يجب الالتزام والعمل عليها ضمن إطار السياسة الخارجية لواشنطن: (2)

- استعادة دور التحالفات، والشراكات، والمؤسسات التعددية التي انزلت أغلبها إلى الفوضى في الأعوام الأخيرة بسبب التوجهات الأحادية.
- إعلاء دور التنمية الاقتصادية لمساعدة الولايات المتحدة في التوفيق بين مصالحها ومصالح الشعوب الأخرى في كل أنحاء العالم، بدايةً بمبادرة كبرى خاصة بتنمية الصحة العامة على مستوى العالم.
- الاستثمار في الدبلوماسية العامة التي تُركّز بصورة أقل على الأضواء الإعلامية، وتهتمّ بالاتصالات المباشرة، والتعليم، وأشكال التبادل المختلفة التي تضمّ المجتمع المدني وتستهدف الشباب بصورة خاصة.
- مقاومة النزوع إلى فرض إجراءات الحماية، ودعم المشاركة المستمرة في الاقتصاد العالمي، وهو الأمر الذي يُشكّل أهميّة كبرى للنمو والرخاء في الداخل والخارج.

1. حرب العراق بالأرقام، بي بي سي عربي، 15 ديسمبر 2011م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iQGRZQ

2. كريم أبو حلاوة، سياسات القوة الذكية ودورها في العلاقات الدوليّة، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016م، ص ص 10 - 11.

- الحرص على إشراك أولئك الذين تُركوا وراء الرُّكْبِ بسبب التَّغْيِرَاتِ الَّتِي أَحْدَثَهَا الاقتصادُ الدَّوْلِيُّ المَفْتُوح.
- العمل على إيجاد وتشكيل الإجماع العالمي، وتنمية التَّقْنِيَّاتِ الإِبْدَاعِيَّةِ اللّازِمَةِ لِلتَّعَامُلِ مَعَ التَّحْدِيَّاتِ العَالَمِيَّةِ المُنْتَصَعِدَةِ الأَهْمِيَّةِ فِي مَجَالِي أَمْنِ الطَّاقَةِ وَتَغْيِيرِ المُنَاخِ.

ومن الأسباب الرئيسية الَّتِي وَجَّهَتْ دَفَّةً سِيَّاسَةَ الوَلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ نحو تَبَنِّي اسْتِرَاطِيَجِيَّةِ "القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ" أيضاً:

- حالة من التراجع الملحوظ للسياسة الخَارِجِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ فِي الآوْنَةِ الأَخِيرَةِ، على المَسْتَوَى الدَّوْلِيِّ، كَتَأزَمِ الوَضْعِ الأَمْرِيكِيِّ فِي العِرَاقِ؛ حيث تَزَايَدَتِ الخَسَائِرُ الأَمْرِيكِيَّةُ البَشَرِيَّةُ وَالمَالِيَّةُ هُنَاكَ (1)، فضلاً عن تدهور العَمَلِيَّةِ السِّيَّاسِيَّةِ. بِالإِضَافَةِ لِلإِخْفَاقِ الأَمْرِيكِيِّ فِي أفغانسْتان، وَالَّذِي يَشْبُههُ الإِخْفَاقُ وَالخَسَائِرُ فِي العِرَاقِ مِنْ حَيْثُ تَزَايَدَ حَجْمُ الخَسَائِرِ وَنوعيتها (2).

1. خلال الفترة من بدء عمليات عزو العراق في مارس عام 2003م وحتى انسحاب القُوَّاتِ الأَمْرِيكِيَّةِ مِنْ بَغْدَادِ فِي أَغسُطُسِ عام 2010م، مع تطبيق اسْتِرَاطِيَجِيَّةِ أوباما لِلانْسِحَابِ مِنَ العِرَاقِ، بَلَغَ عِدَدُ القَتْلِ فِي صَفُوفِ القُوَّاتِ الأَمْرِيكِيَّةِ 4421 عَسْكَرِيًّا، قَضَى 3492 مِنْهُمُ خِلالَ مَشَارَكَتِهِمْ فِي الأَعْمَالِ القِتَالِيَّةِ، بَيْنَمَا بَلَغَ عِدَدُ الذِّينِ أُصِيبُوا جِرَاءَ العَمَلِيَّاتِ 32000 شَخْصًا. لِمَزِيدٍ مِنَ التَّفْصِيلِ، يُنظَرُ: حَرْبُ العِرَاقِ بِالأَرْقَامِ، بي بي سي عربي، 15 ديسمبر 2011م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iQGRZQ

2. حَتَّى عام 2017م، بَلَغَ عِدَدُ قَتْلِ القُوَّاتِ الأَمْرِيكِيَّةِ فِي أفغانسْتان 2350 جُنْدِيًّا إِلَى جَانِبِ 20092 مِنْ المَصَابِينِ، فِي حِينِ بَلَغَتِ الكَلْفَةُ المَبَاشِرَةَ للحَرْبِ فِي أفغانسْتان بِمَا فِي ذَلِكَ المَبْلَغِ المَخْصُصِ لَهَا لِعَامِ 2018م نَحْوَ 841 مِلْيَارِ دُولَارٍ. كَمَا يَعْانِي 320 أَلْفَ جُنْدِيٍّ أَمْرِيكِيِّ سَابِقٍ خَدَمُوا فِي العِرَاقِ وَأفغانسْتان مِنْ آثَارِ الإِصَابَةِ فِي الرُّأْسِ مِنْ بَيْنِهِمْ، 8237 جُنْدِيًّا سَابِقًا يَعْانُونَ مِنْ إِصَابَاتٍ شَدِيدَةٍ فِي الدِّمَاقِ، إِضَافَةً إِلَى 1645 جُنْدِيًّا فَقِدُوا جَمِيعًا مِنْ أَحَدِ الأَطْرَافِ. (الكَلْفَةُ الفَلَكِيَّةُ للحَرْبِ الأَمْرِيكِيَّةِ فِي أفغانسْتان، بي بي سي عربي، 22 أَغسُطُسِ 2017م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1Tfimb).

- عدم تحقيق الأهداف من تلك الحربين المتمثلة في نشر الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط، والقضاء على تنظيم القاعدة (1) والمنظمات الإرهابية؛ بل زاد عددها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ بمقارنتها بتلك التي كانت قبل هذا الحدث المفصلي في التاريخ الأمريكي، وهذا يدحض مقولة أمريكية مفادها أن العالم بعد الحادي عشر من سبتمبر سوف يكون أكثر أمناً عن مثيله قبل تلك الأحداث (2).
- عدم وجود سياسات أمريكية للتعامل مع صعود قوى جديدة على الساحة الدولية (الصين والهند)، وقوى أخرى تستعيد قوتها من جديد بعد فترة من التراجع (روسيا).
- هناك العديد من التحديات التي تواجه الولايات المتحدة الأمريكية، وهي ليست ذات طبيعة عسكرية مثل تحديات حماية البيئة وفتح أسواق جديدة أمام الصناعات الأمريكية التي باتت مهددة بفعل الآلة الصناعية الصينية المتدفقة (3).

1. تأسس تنظيم القاعدة عام 1987م، على يد عبدالله عزام وتلميذه أسامة بن لادن، لكنه أصبح ذائع الصيت عقب اضطراره بتفجيرات السفارة الأمريكية في كينيا وتنزانيا في عام 1998م، والتي راح ضحيتها أكثر من ثلاثمائة شخص، نفذ التنظيم العديد من أشهر التفجيرات والعمليات الإرهابية حول العالم، أبرزها إلى جانب هجمات 11 سبتمبر 2001م بالولايات المتحدة الأمريكية، تفجيرات الدار البيضاء في المغرب 2003م، تفجيرات مدريد 2004م، تفجيرات لندن 2005م، هجوم شارلي إبدو بباريس 2015م. وبعد هجوم الحادي عشر من سبتمبر 2001م أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على أفغانستان للقضاء على تنظيم القاعدة. (تنظيم القاعدة إلى أين؟، يورونيوز، 9 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/EHVTa8).
2. وردت هذه المقولة بهذا المعنى في طيات تقرير برينستون للأمن القومي الأمريكي الذي اضطلع بإعداده 40 خبيراً أمريكياً مرموقاً لرسم معالم الرؤية الاستراتيجية للولايات المتحدة عقب هجمات 11 سبتمبر 2001م. للمزيد حول التقرير يُنظر: Princeton University, The Princeton Project on National Security, available at: goo.gl/AdswP4
3. كريم أبو حلاوة، سياسات القوة الذكية ودورها في العلاقات الدولية، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/yMZTnU>، وينظر أيضاً: يحيى اليحياوي، أوباما وأطروحة "القوة الذكية"، الجزيرة نت، 18 نوفمبر 2013م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Y24c6m

عوامل نجاح القُوَّةُ الذِّكِيَّةُ في الولاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ:

رأى كُلُّ من جوزيف ناي وريتشارد أرميتاج في مقال نشر لهما بصحيفة "واشنطن بوست" Washington Post "في التاسع من سبتمبر عام 2007م والمُعَوَّنَةُ بـ"تَوَقَّفْ عن الجنون، أمريكا أصبحت ذكيَّةٌ"" "Stop Getting Mad. America. Get Smart"، أنه يجب على الولاياتِ المُتَّحِدَةِ وإداراتها أن تُرَكِّزَ على عوامل نجاح هذه السِّيَاسَةِ، والتي حدَّدها في النقاطِ التَّالِيَةِ(1):

- إعادة تقوية التحالفات والشراكات التي تتيح للولاياتِ المُتَّحِدَةِ مواجهة مصادر الخطر المُتَّعِدَّة، وعدم الحاجة إلى بناء تحالف جديد عند مواجهة كُلِّ تحدٍّ جديد.
- أن يكون هناك اهتمام على مستوى الإدارات الأَمْرِيكِيَّةِ المتعاقبة بالتَّسْمِيَةِ على المستوى الدَّوْلِيِّ، مما يساعد واشنطن على تطوير برامج المساعدات، بحيث تكون أكثر تكاملاً وتوحداً، والذي يربط المصالح الأَمْرِيكِيَّةِ مع تطلعات الأفراد في كافة أنحاء العالم، والتي تبدأ بالاهتمام بالصِّحَّةِ العَالَمِيَّةِ.
- إعادة استثمار الدُّبْلُومَاسِيَّةِ الشَّعْبِيَّةِ، وإنشاء مُؤَسَّسات لا تسعى إلى الربح في الخارج؛ بهدف خلق روابط بين الأفراد، والتي تتضمَّن مضاغفة الاعتماد السنوي لبرنامج "فولبرايت" (2) "Fulbright Program"، الذي ترعاه الولاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ لتعزيز التفاهم والتبادل العلمي والثقافي بين شعبيها وشعوب دول العالم.

1. Richard L, Armitage and Joseph S. Nye Jr., "Stop Getting Mad, America. Get Smart.", Washington Post, December 9, 2007, available at: goo.gl/1GCczL

2. برنامج ثقافي للمُعْدَةِ الدَّرَاسِيَّةِ والتبادل الطلابي تأسس في الولاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ عام 1947م، تحت إشراف مكتب الشؤون التعليمية والثقافية (ECA) التابع لوزارة الحَارِجِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ، ويعمل برنامج فولبرايت للطلَّابِ الأَجَانِبِ في أكثر من 155 بلداً في جميع أنحاء العالم، ويقبل البرنامج ما يقرب من 4000 طالب أجنبي كل عام. ويتكفَّل البرنامج للطلاب بالرسوم الدَّرَاسِيَّةِ، وبالكتب الدَّرَاسِيَّةِ، وبمصاريف السفر وبالتأمين الصحي، وبالراتب، وبكالتيف المعيشة خلال فترة الدورة الدَّرَاسِيَّةِ. (About CIES, Fulbright Scholar Program) (available at: goo.gl/KcYCRo)

- الارتباط بالاقتصاد العالمي بالتفاوض حول مناطق التجارة الحرة مع دول منظمة التجارة العالمية الراغبة في التحرك تجاه تحرير التجارة، استناداً إلى القاعدة الدولية، وتوسيع مناطق التجارة الحرة لتشمل الدول التي لم تلحق بركب العولمة.
- أخذ موقع الصدارة في قضايا التغييرات المناخية، وغياب الأمن لمصادر الطاقة، من خلال الاستثمار أكثر في مجالات التقنية والإبداع.

ويمكن تقييم السياسة الخارجية للرئيس باراك أوباما، الذي تميّز بمجموعة من الأعمال خلال فترة ولايته الأولى والثانية، وأهمها:

- ضمّ الولايات المتحدة لاتفاقية الأمم المتحدة المبدئية بشأن التغييرات المناخية (كيوتو) (1).
- إصدار قانون الضمان الصحي في الولايات المتحدة. (2)

1. يقوم بروتوكول كيوتو على أساس اتفاقية قمة الأرض التي انعقدت في مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية عام 1992م. وكان المجتمع الدولي قد أجمع في تلك الاتفاقية على الحد من انبعاث الغازات الضارة بالبيئة لكي تتيح بذلك للنظام البيئي التكيف وبشكل طبيعي مع التغييرات التي تطرأ على المناخ، وتضمن عدم تعرض إنتاج الأغذية للخطر. وفي 11 كانون الثاني عام 1997م تمّ اعتماد هذه الاتفاقية والتزمت الدول الصناعية في مدينة كيوتو اليابانية بخفض انبعاث الغازات الضارة بالبيئة في الفترة ما بين عامي 2008 و 2012م بمعدّل لا يقل عن 5 بالمئة مقارنة بمستويات عام 1990م. ودخلت الاتفاقية حيز التنفيذ في 16 شباط 2005م، وفي تشرين الثاني 2009م وقّعت 187 دولة وصدّقت على البروتوكول. تاريخ الزيارة 19 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://kawngroup.com/kyoto-protocol/>

2. قانون الرعاية الصحية الأمريكي «أوباما كير Obamacare» هو اسم تمّ إطلاقه في الولايات المتحدة الأمريكية على قانون وضعه الرئيس باراك أوباما، وذلك لإصلاح نظام الرعاية الصحية، هدفه أن يوفر تأميناً صحياً شاملاً لكل أمريكي بتكاليف منخفضة، وتمّ إطلاقه عام 2010م، وافقت عليه الحكومة العليا في الولايات المتحدة في 2012م، وهو أهم إنجاز من إنجازات رئيس الولايات المتحدة باراك أوباما، وهو أول قرار له بعد استلام رئاسة أمريكا والاسم المطلق عليه عالمياً هو "أوباما كير"، ومعناه هو: الرعاية الصحية وحماية جميع المرضى وبأسعار معقولة. تاريخ الزيارة 19 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/Hw3C8> يذكر أن الرئيس دونالد ترامب استهل ولايته بمرسوم ألغى فيه قانون الرعاية الصحية الذي أقره الرئيس السابق باراك أوباما، لمزيد من التفصيل يُنظر: مجلس النواب يلغي "أوباما كير" ويقر مشروع ترمب، الجزيرة نت، 5 مايو 2017م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kPXTz5

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

- تطبيق حُرْمَةِ من سياسات التحفيز الاقتصاديَّة على المستوى الداخلي والخارجي كمحاولة لمواجهة تداعيات الأزمة الاقتصاديَّة العالميَّة.
- الانخراط في فعاليَّات مجموعة العشرين (1) لتصبح أعرش وأوسع بُنية مؤسسيَّة تشمل قُوَى اقتصاديَّة ناشئة، وبهذا تحقِّق مطلباً عالمياً كَثُرَت المطالبة به منذ زمن طويل.
- استئناف المفاوضات مع روسيا لإتاحة الفرصة لإعادة إحياء معاهدة الحدِّ من الأسلحة الاستراتيجيَّة (2)، وتوسيع إطار الاجتماعات الاقتصاديَّة مع الصين إلى حدِّ وصلت فيه لحوار استراتيجيِّ حول قضايا عدَّة منها التغيُّرات المناخيَّة، كما سعى لإقامة علاقات طيِّبة مع كلِّ من الهند واليابان وأستراليا.
- زيادة عدد القُوَّات العسكريَّة في أفغانستان إلى 100 ألف جندي، على أن تُسحب القُوَّات العسكريَّة منها بعد زيادة القُوَّات بـ 18 شهراً.

1. مجموعة العشرين G20، منتدى اقتصاديِّ تأسس في العام 1999م على خلفيَّة الأزمات الماليَّة في تسعينيات القرن الماضي، وذلك على هامش قمة مجموعة الثمانيَّة في 25 سبتمبر 1999م في واشنطن، بهدف تعزيز الاستقرار الماليِّ الدوليِّ وإيجاد فُرص للحوار ما بين البلدان الصُّناعيَّة والبلدان الناشئة. (إنفوغرافيك.. من G7 إلى G20، سكاى نيوز عربيَّة، 4 سبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qJCy6y).

2. وقَّعت اتفاقية الحدِّ من الأسلحة الاستراتيجيةَّة المعروفة باسم "ستارت 1" في يوليو 1991م، بين الرئيس الأمريكيِّ الأسبق جورج بوش الأب ورئيس الاتحاد السوفييتيِّ السابق ميخائيل جورباتشوف، بعد نحو عشر سنوات من المحادثات المتقطعة بين واشنطن وموسكو في السنوات الأخيرة من الحرب الباردة. وتنص الاتفاقية على أنه لا يمكن لأي من الدولتين نشر أكثر من سبَّعة آلاف رأس نووي، وما لا يزيد عن 1600 من مركبات الإطلاق الاستراتيجيةَّة بما فيها الصواريخ ذاتيَّة الدَّفْع العابرة للقارَّات والغواصات والقاذفات. ولكن تطبيق المعاهدة تعقَّد جرَّاء انهيار الاتحاد السوفييتيِّ نهاية عام 1991م، كما أن الولايات المتَّحدة لم تُصدِّق على الاتفاقية في ذلك الحين. (حقائق رئيسيَّة عن معاهدة ستارت 1 للأسلحة بين أمريكا وروسيا، رويترز، 2 يوليو 2009م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ZFBTZ).

فمن خلال تلك الأعمال التي أنجزها أوباما يتَّضح لنا إلى أيِّ مدى يمضي في اتِّباع سياسة خَارِجِيَّة ذكِيَّة (خشنة - ناعمة). بالرَّغم من أن البعض يعتبر أوباما رجلاً كثير الكلام قليل الأفعال، هذا بمقارنتهم بين ما وعدَّ به وبين ما حقَّقه من تلك الوعود. (1)

وبناءً على ما سبق نستطيع الحُكْم على سياسة باراك أوباما الخَارِجِيَّة من ناحيتين:

- الأوَّلَى: عند فوزه بالانتخابات الرئاسِيَّة للولايات المتَّحدة، وعدَّ بشكلٍ جادٍّ بالعمل على تفعيل سياسة "القُوَّة الذكِيَّة"، واحتاج لوقتٍ بعد فوزه لتحقيق شيءٍ واضح المعالم ضمن هذه السِّياسة الجديدة، بسبب ما كانت فيه الولايات المتَّحدة من وقوع في دوَّامة الأزمَة الاقْتِصادِيَّة العَالَمِيَّة، والعمل عَسْكَرِيًّا خِصِيصاً في أفغانستان والعراق، اللَّتَيْنِ وُصِفتا بأنهما حالتان مُعَقَّدتان في السِّياسة الخَارِجِيَّة. كذلك الإخفاق في منع انتشار السِّلاح النَّوَوِيِّ في إيران وكوريا السَّمَالِيَّة، والعمل على فَرَض عقوبات عليهما طوال الاجتماعات والتصريحات الرِّسْمِيَّة من الإدارة الأَمْرِيكِيَّة، بالإضافة لتدهور عَمَلِيَّة السلام في الشرق الأوسط، تَتَطَلَّب الوقت الطويل لِحَلِّهَا (2).

- الثَّانِيَّة: إذا كانت سياسة القُوَّة الذكِيَّة مُجَرَّد وسيلة لتلميع صورة الولايات المتَّحدة الأَمْرِيكِيَّة الَّتِي سُوِّهت في عهد الرئيس الأسبق جورج بوش الابن، وكانت غطاءً للاستمرار في رسم سياسات تحقق المصالح القَوْمِيَّة للولايات المتَّحدة (بالإضافة للدول الكبرى في العالم) على حساب مصالح شعوب العالم الثالث، هنا تكون سياسة أوباما تسير في طريق النجاح؛ حيث صورة أمريكا تحسَّنت لدى العديد

1. كريم أبو حلاوة، سياسات القُوَّة الذكِيَّة ودورها في العلاقات الدُولِيَّة، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/yMZTnU>

2. جوزيف ناي، "اختبار سياسة أوباما الخَارِجِيَّة"، بروجيكت سنديك، 14 ديسمبر 2009م.

من بلدان العالم وَفَقَّ اسْتَطْلَاعَ للرأي أجرتهُ مُؤَسَّسَةُ "بيو" (1) بعد تَوَلَّى أوباما للرئاسة الأَمْرِيكِيَّة. (2)

وقد اكتسبت الولايات المتَّحِدةُ لِمُسْتَقْبَلِها عدداً من المصالح الدَّوْلِيَّةِ، نتيجة استخدامِها لـ "القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ"، وهي (3):

- الحفاظ على الحَيَوِيَّةِ الاقْتِصَادِيَّةِ؛ وهو ما يَتَطَلَّبُ جهوداً جادَةً من طرف الحزبين؛ الجمهوريِّ والديمقراطيِّ، لخفض الدَّيْنِ الوطنيِّ؛ والاستثمار في الإنتاجية والقُدرة التَّنَافُسيَّةِ، وتوسيع التَّجَارَةِ الحُرَّةِ في جميع أنحاء العالم.
- دعم الحلفاء والشركاء؛ فإنَّ أوروبا وحلف شمال الأطلسي لهما الدور الحاسم هنا. ولكن في منطقة آسيا والباسيفيك أو في الشرق الأوسط، يدعو المخطَّط إلى استمرار الجهود من أجل شراكة أمنيَّة أفضل، وهو ما يدعو كذلك إلى رفع مستوى علاقات التعاون مع البلدان الديمُقْراطِيَّةِ الصاعدة مثل: تركيا والبرازيل وإندونيسيا والهند.
- استخدام المساعدات الخَارِجِيَّةِ كوسائل سِيَاسِيَّةِ وأداة للضغط؛ وذلك بطريقة تُعزِّز وتوثِّق الارتباط مع أهدافٍ واستراتيجيَّاتٍ أوسع للولايات المتَّحِدة.

1. مركز بحثي أمريكي، مستقلٌّ، أنشئَ عام 1990م، يقوم باستطلاعات رأي ودراسات معمَّقة حول القضايا السِّيَاسِيَّةِ والاقتِصَادِيَّةِ والديمقراطيَّةِ، وتحليل المحتوى والبيحوث العلميَّةِ الاجتماعيَّةِ الأخرى التي تعتمد على البيانات، التي تُهمُّ صانع القرار الأمريكي، ويؤكِّد المركز على عدم تبنيهِ أيِّ مواقف سِيَاسِيَّةِ مسبقة، ويُقدِّمُ بُحُوثَ رأيٍ مستقلة حول المواقف الأَمْرِيكِيَّةِ في قضايا السياسة الرئيسة ودراسة توجَّهات الناخبين الأمريكيين من خلال قياس الاتجاهات طويلة الأجل لفهم القِيمِ السِّيَاسِيَّةِ وأولويات السياسة العامة في الولايات المتَّحِدة الأَمْرِيكِيَّة. (About Pew Research Center, Pew Research Center, available at: goo.gl/HhSEjp).
2. "صورة أمريكا تتحسن مع أوباما"، الجزيرة نت، 24 يوليو 2009م، تاريخ الزيارة 1 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jdSxx4
3. سيد العزَّازي، الفهم الصَّحِيح للبلوَمَاسِيَّةِ ما بين القُوَّةِ الصلبة والنَّاعِمَةِ والذَّكِيَّةِ "رؤية تطبيقية"، مرجع سابق.

- الحفاظ على تفوق الولايات المتحدة العسكري عالمياً؛ وهو ما يتطلب عدم التناقص أبداً عن المصالح الأمنية طويلة الأمد عندما تُفرض تخفيضات على ميزانية الدفاع؛ أي: لا بد من الحفاظ على قدرة التدخل بكفاءة وسرعة في أي وقت وأي مكان في العالم.
- الاستثمار في "الأدوات اللازمة لممارسة النفوذ"، وذلك ضمن نطاق مشاركة عالمية واسعة.
- إدارة بعض الأزمات والصراعات وأهمها ما سُمي بـ "الربيع العربي" (1)؛ حيث فاقت حركة النشطاء في تونس ومصر وليبيا في غضون ثلاث سنوات فقط كل ما فعلته الحكومات في الشرق الأوسط خلال خمسين سنة من تغيير.

بيد أن ثمة مخاوف من حقبة الرئيس الأمريكي الجديد، الجمهوري دونالد ترامب (2)، من أنه سيسير بمفهوم "القوة الذكّية"، ولكن من خلال نظرة الحزب الجمهوري (3) الذي ينتمي له، والتي تزيد عنده صبغة القوة الصلبة (الخشنة)، على قرينتها الناعمة؛ الأمر الذي قد ربما يعطي رؤية مغايرة لتطبيقات الإدارة الأمريكية السابقة في هذا المضمار.

1. تعود جذور مصطلح "الربيع العربي" إلى الصحفي الفرنسي بينوا ميشان Benoist Méchin. في الخمسينيات من القرن العشرين، حيث نشر كتاباً بعنوان "ربيع عربي" كان خلاصة جولة قاده لبلدان الشرق الأوسط وحوارات مع قاداته وأصحاب الرأي فيه، ثم عاد المصطلح من جديد، في خضم الحراك الشعبي والهبات الاجتماعية بالمنطقة العربية خلال العامين 2010-2011م. (حسن أوريد، هل يُوع الربيع العربي؟، الجزيرة نت، 30 يناير 2018م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oK1hFB).
2. دونالد جون ترامب (ولد في 14 يونيو 1946م) هو الرئيس الخامس والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية، منذ 20 يناير 2017م. وهو أيضاً رجل أعمال وملياردير أمريكي، وشخصية تلفزيونية ومؤلف أمريكي ورئيس مجلس إدارة منظمة ترامب، والتي يقع مقرها في الولايات المتحدة. أسس مجموعة شركات، ويدير عدة مشاريع وشركات مثل منتجات ترامب الترفيهية، التي تدير العديد من الكازينوهات، الفنادق، ملاعب الغولف، والمنشآت الأخرى في جميع أنحاء العالم. ساعد نمط حياته ونشر علامته التجارية وطريقته الصريحة بالتعامل مع السياسة في الحديث؛ على جفله من المشاهير في كل من الولايات المتحدة والعالم. للمزيد يُنظر الرابط التالي: <http://cutt.us/uwZ4>
3. أحد أكبر حزبين سياسيين في الولايات المتحدة الأمريكية، تأسس في 20 فبراير 1854م، ويُصنّف ضمن أحزاب يمين الوسط، لكنه في الحقيقة ليس له توجه فكري واضح أو عقيدة مذهبية سياسية ثابتة، وتخرقه العديد من التيارات الداخلية المختلفة لدرجة التناقض؛ حيث يضم المحافظين المائليين والمحافظين الاجتماعيين و"المحافظين الجدد"، والمعتدلين والمدافعين عن الحريات. (الحزب الجمهوري، الجزيرة نت، 17 سبتمبر 2014م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iqrsqg).

ثانياً: روسيا:

تسعى روسيا لأخذ دور لها على الساحة الدولية عبر المشاركة في مباحثات عملية السلام في الشرق الأوسط، ولعب دور الوسيط في التفاوض مع إيران حول ملفها النووي، ومكافحة المخدرات، وتقليص الأسلحة الاستراتيجية بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية، مع التأكيد على القوة العسكرية، وهذا ما نلاحظه من خلال تدخلها في الأزمة السورية، ومن قبلها الأزمة الأوكرانية والعقوبات التي تم فرضها على روسيا من خلال الاتحاد الأوروبي.

ودور الدولة الروسية يسير حالياً إلى الالتزام بـ "القوة الذكية"، وذلك من خلال سياسات الشد والإرخاء، الذي يتضح من خلال بناء العلاقات وتطويرها مع تركيا مثلاً، للوصول إلى تفاهم مشترك للتهدئة العسكرية والعمل على حلول سياسية للأزمة السورية (1).

فمثلاً، على الرغم من اضطراب العلاقات بعد عملية اغتيال السفير الروسي في إسطنبول (2) خلال حفل افتتاح معرض ثقافي في شهر كانون أول (ديسمبر) عام 2016م، تم الاتفاق بعدها بأيام قليلة بين القوتين الروسيّة والتركيّة، وبمباركة دولية، على إعلان التهدئة في سوريا، بعيداً عن الالتزام بها والخروقات التي لحقت هذا الإعلان من قبل الأطراف المقاتلة على الأرض. ويصف العسكريون الروس أن هذه العملية صعبة ومعقدة على الأرض، ويربطون نجاحها بالالتزام الأطراف المختلفة لتحقيقها والعمل عليها، والتأكيد على الدعم التركي لها.

1. وكالات أنباء.

2. تم اغتيال السفير الروسي لدى تركيا في هجوم مسلح، 19 ديسمبر 2016م، عندما أطلق شرطي تركي النار على السفير الروسي في أنقرة، أندريه كارلوف، وأرداه قتيلاً فيما يبدو أنه احتجاج على الدور الروسي في الصراع السوري. للمزيد يُنظر الرابط التالي: <http://www.bbc.com/arabic/middleeast-38369682>

وتعمل روسيا حالياً عبر الخط الدولي السياسي والعسكري، مع بعض التبعات الاقتصادية والثقافية والإعلامية، التي تمثل دور القوة الناعمة، وطريقة تفاعل كل هذه السياسات مع بعضها البعض.

ثالثاً: الاتحاد الأوروبي (1):

يَتَّخِذُ الاتحاد الأوروبي في معظم الأحيان دوراً ناعماً - أي: يُطبِّقُ القُوَّةَ النَّاعِمَةَ - ، وذلك عبر ما هو معروف عن أوروبا في مجال الآداب والفنون، والعلوم، والموضة... كما تتَمَنَّعُ هذه الثقافات الأوروبية بجاذبيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ واسعة. ويأتي الدور "الناعم" للاتحاد الأوروبي سياسياً، بمواجهة المدد القادم من اللّاجئين السُّوريِّين (2) نتيجة الأزمة في بلادهم، وتوجُّههم إلى بلاد الاتحاد الأوروبي، وعمل سياسة توزيع اللّاجئين على الدول الأوروبية، وتعديل قوانين الهجرة المعمول بها قديماً بنسبة مختلفة، ودعم هذه البلاد مادياً وتمويلها لاستقبال اللّاجئين (3).

1. تَكَثَّلَ سِيَّاسِيٌّ واقتصاديُّ أوروبي، تعود بداياته الأولى إلى عام 1951م، عندما اتَّفَقَت سِتُّ دول أوروبية: فرنسا، وألمانيا، وبلجيكا، ولوكسمبورغ، وهولندا، وإيطاليا، على تشكيل المجموعة الأوروبية للفحم والصلب، وشكَّلت نواة قيام المجموعة الاقتصادية الأوروبية ثم الاتحاد الأوروبي الذي مرَّ بعدة مراحل توسع خلالها ليشمل 28 دولة أوروبية، قبل خروج بريطانيا عام 2016م. وتتَلَخَّصُ أهداف الاتحاد الاستراتيجية في التأسيس لمواطنة تضمن الحقوق الأساسية، ودعم التقدم الاقتصادي والاجتماعي، وتقوية دور أوروبا في العالم. (لمزيد من التفصيل: يُنظَر: "تاريخ الاتحاد الأوروبي"، الاتحاد الأوروبي بالعربية، د. ت، تاريخ الزيارة 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Lkojd7).
2. وفقاً لتقرير مُنظَّمة هيومان رايتس ووتش، يونيو 2017م، فقد بلغ عدد القتلى جرَّاء الصِّراع في سوريا أكثر من 400 ألف شخص منذ عام 2011م، وفقاً لـ "البنك الدولي"، إضافة إلى 5 ملايين طالب لجوء، وأكثر من 6 ملايين نازح، في حين أشارت تقديرات الأمم المتحدة إلى وجود 540 ألف شخص ما زالوا يعيشون في المناطق المحاصرة. (انظر: سوريا.. أحداث عام 2017م، مُنظَّمة هيومان رايتس ووتش، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SN2x8A).
3. في أبريل 2017م، اعتمد وزراء خارجية الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي استراتيجية الاتحاد الأوروبي لسوريا، وتشمل إجراءات سياسية وإنسانية، وتوفير الجهود لتعزيز المساءلة عن جرائم الحرب والانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان. في مايو 2017م، رحَّب البرلمان الأوروبي باعتماد الاستراتيجية وشدد على ضرورة المساءلة على الصعيدين الدولي والمحلي. في أبريل 2017م، استضاف الاتحاد الأوروبي "مؤتمر بروكسل بشأن دعم مستقبل سوريا والمنطقة" الذي تعهَّد فيه المانحون بمبلغ 5,6 مليار يورو لعام 2017م و3,5 مليار يورو للفترة 2018-2020م. في يونيو 2017م، أعلنت المفوضية الأوروبية عن مبلغ 1,5 مليون يورو لدعم الآلية الدولية. (انظر: سوريا.. أحداث عام 2017م، مُنظَّمة هيومان رايتس ووتش، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SN2x8A).

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

ويُنْتَقَلُ الاتِّحَادُ الأوروْبِيُّ إلى العَمَلِ العَسْكَرِيِّ، وتطْبِيقِ القُوَّةِ الصَّلْبَةِ (الخَشْنَةُ) إذا لَزِمَ الأمرُ، من خِلالِ ما يَسْمَى بِقُوَّاتِ حَلْفِ النَاتُو أَلْتِي شَارِكْتِ مِثْلًا فِي الأَزْمَةِ اللَّيْبِيَّةِ، وَقَبْلَهَا فِي أفْغانِسْتانِ.

كَمَا بَدَأَ الاتِّحَادُ الأوروْبِيُّ الاتِّفَاقَ مَعَ الدُولِ المِجَاوِرَةِ لِسُورِيَا، وَأَوَّلُهَا تُرْكِيَا، عَنِ طَرِيقِ الاتِّفَاقِ الَّذِي أَمْرَمْتَهُ تُرْكِيَا مَعَ الاتِّحَادِ عَلَى حَصُولِهَا عَلَى 3 مِلياراتِ يُوْرُو مِقابِلِ تحسِينِها لَوْضَعِ اللّاجِئِينَ داخِلَ البِلادِ (1)، إلى جَانِبِ اسْتِثْنافِ المِحادِثاتِ بِشَأْنِ عَضُوبِئِها فِي الاتِّحَادِ الأوروْبِيِّ، وَتَسْمَعِي المِفُوضِيَّةِ الأوروْبِيَّةِ إلى ضَبْطِ عَمَلِيَّةِ تَدْفُقِ اللّاجِئِينَ وَالسِّيْطَرَةَ عَلَيْهِمِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ دَعْوَةِ الجَانِبِ التُّرْكِيِّ إلى ضَبْطِ أَكْثَرِ عَلَى حُدُودِها مَعَ الدُولِ الأوروْبِيَّةِ القَرِيبَةِ مِنْها. (2)

مَعَ هَذِهِ السِّيَاسَةِ النَّاعِمَةِ يَسْتَهْدَفُ الاتِّحَادُ الأوروْبِيُّ زِيادَةَ الإِجْراءاتِ الأَمْنِيَّةِ وَالعَسْكَرِيَّةِ كَحَلِّ مِواجِهةِ تَدْفُقِ الهِجْرَةِ (3) وَتَضْيِئِ الإِرْهابِ عَنِ طَرِيقِ القِيامِ بِعِدَّةِ إِجْراءاتِ:

1. "الاتِّحَادُ الأوروْبِيُّ يَقْرَأُ 3 مِلياراتِ يُوْرُو لِلاجِئِينَ فِي تُرْكِيَا"، دُوَيْتِشْ فِيهِ، 3 فِبرايِرِ 2016م، تارِيخُ الزِيارَةِ: 29 يُوليو 2018م، مِتاحُ عَلَى الرابِطِ التالِي: goo.gl/GfhCWE
2. الشِيعاءُ عَرِفاتُ، فِي مِواجِهةِ اللّاجِئِينَ: هَلْ تُفَضَّلُ أوروْبَا الأَمْنُ عَلَى الإِنسانِ؟، إِضاءاتُ، 21 يَنايِرِ 2016م، تارِيخُ الزِيارَةِ 6 أِبريلِ 2017م، مِتاحُ عَلَى الرابِطِ التالِي: goo.gl/P9lYu3
3. أَدَّتِ الحُرُوبُ وَأَعْمالُ العَنفِ وَالْفَقْرُ إلى هِجْرَةِ المِلايِينِ مِنَ البِشَرِ فِي جَمِيعِ أَنْحاءِ العالِمِ، وَبالتالِي اسْتِمْرارُ مِواجِاتِ الهِجْرَةِ، لا سِيمًا إلى أوروْبَا. وَبِينما كانَ العَدَدُ الأَكْبَرُ مِنَ طالِبِي اللِجُوءِ فِي أوروْبَا فِي عامِ 2016م مِنَ السُّورِيِيِّينَ وَالأَفْغانِ وَالعِراقِيِّينَ، كانَ العَدَدُ الأَكْبَرُ فِي عامِ 2017م مِنَ السُّورِيِيِّينَ وَالأَفْغانِ وَالنِيجِيريِيِّينَ. وَبِلاغِ عَدَدِ طالِبِي اللِجُوءِ إلى أوروْبَا ذرُوتَهُ فِي عامِ 2015م بِـ 1.26 مِليونِ طالِبِ لِجُوءِ. (الهِجْرَةُ إلى أوروْبَا .. أَرْقامُ وإِحصاءاتُ، دُوَيْتِشْ فِيهِ، 22 دِيسِمْبَرِ 2017م، تارِيخُ الزِيارَةِ: 29 يُوليو 2018م، مِتاحُ عَلَى الرابِطِ التالِي: goo.gl/YKfjt4).

- اقتراح المفوضية الأوروبية مراقبة الحدود الأوروبية والسَّيْطَرَة عليها بشكل كامل بواسطة إنشاء قُوَّة لحرس الحدود تُوزَّع على حدود منطقة شنغن (1) لحراسة الحدود البرية والبحرية الأوروبية، وللحفاظ على مكتسب حُرِّيَّة التنقل داخل منطقة شنغن. هذا المشروع سيمنح صلاحيات التَّدخُّل لضبط الحدود الأوروبية الخَارِجِيَّة البرية والبحرية بالتنسيق مع السلطات الأَمْنِيَّة للدول الأعضاء، وكذلك دعم فرونتكس (2) وزيادة تمويلها وأعداد أفرادها كَحَلٍّ أُنِيٍّ للسيطرة على الحدود لحين إنشاء تلك القُوَّات.
- الحصول على موافقة الأمم المتَّحدة أنه يَحِقُّ للسفن الحربية التابعة للاتِّحاد الأوروبي التَّرسُّد في المياه القريبة من السواحل الليبية للمراكب التي يستخدمها مَهْرَبُو المهاجرين خارج الأطر القانونيَّة إلى أوروبا، واستخدام القُوَّة ضدها والاستيلاء عليها وتدميرها، وهذا ما أقرته الدول الأعضاء في الاتِّحاد الأوروبي.
- الموافقة بداخل لجنة الحُرِّيَّات المدنيَّة في البرلمان الأوروبي على مبدأ العمل بسجل البيانات الشَّخصيَّة للمسافرين، والذي يَفَرُّ بأنَّ أيَّ تحرُّك وتقلُّل للمسافرين جَوًّا من وإلى و عبر دول الاتِّحاد الأوروبي سيصبح قريباً مُدَوَّنًا في سِجَلٍ يُوضَع بتصرُّف الشرطة. (3)

1. منطقة شنغن (Schengen Area) نسبة إلى مدينة شنغن بلوكسمبورج والتي شهدت توقيع اتفاقية إلغاء الحدود الداخليَّة للاتِّحاد الأوروبي، عام 1985م، ممَّا يسمح بالحركة بدون جواز سفر في معظم أنحاء الاتِّحاد. ودخلت الاتفاقية حيز التنفيذ عام 1995م، وكان أول أعضائها بلجيكا وفرنسا وألمانيا ولوكسمبورغ وهولندا والبرتغال وإسبانيا، والآن تُضمُّ الاتفاقية 26 دولة، منها 22 عضواً في الاتِّحاد الأوروبي وأربعة من خارج الاتِّحاد الأوروبي هي آيسلندا والنرويج (منذ عام 2001م) وسويسرا (منذ عام 2008م)، وليختشتاين (منذ عام 2011م). للمزيد يُنظَر: حقائق قد لا تعرفها عن اتفاقية شنغن، بي بي سي عربي، 7 مارس 2016م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UWhDBK
2. فرونتكس Frontex: وكالة أوروبية تأسَّست في 26 أكتوبر عام 2004م لمراقبة وحماية الحدود الخَارِجِيَّة للاتِّحاد الأوروبي، يقع مقرُّها بمدينة وارسو البولنديَّة، تركَّز عملها على مكافحة الهجرة السريَّة، ومنع تجارة البشر، ووقَّف تسلُّل الإرهابيين المفترضين إلى أوروبا. إضافة إلى هدفها الرئيس بإدارة مكافحة تدفُّق المهاجرين السوريين، تهدف فرونتكس كذلك إلى تدريب قُوَّات حرس حدود الدول الأوروبية، ومثيلاتها بدول شمال إفريقيا، وإصدار تحليلات حول تقديرات المخاطر بمناطق حدود أوروبا الخَارِجِيَّة، ودعم عمليات ترحيل الدول الأوروبية للاجئين. للمزيد يُنظَر: "فرونتكس"، الجزيرة نت، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/h4xrYS
3. الشيماء عرفات، في مواجهة اللأجئيين: هل تُفضِّل أوروبا الأمن على الإنسان؟، إضاءات، 21 يناير 2016م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/P9lYu3

رابعاً: الصين:

في عام 2013م بلغت الموازنة العسكرية عند الحكومة الصينية 115 مليار دولار وهو الرقم الذي أقره البرلمان بانعقاده في الربع الأول من 2013م، كثاني أكبر موازنة عسكرية بعد الولايات المتحدة الأمريكية (1)، وهذه الموازنة تأتي كقوة دافعة لرفع ثقة جنود جيش التحرير الشعبي الصيني بأنفسهم؛ حيث إنه من أضخم الجيوش في العالم عددياً، ومن أكبر خمس قوى عسكرية واقتصادية عالمياً. وتشير الدراسات والتحليلات السياسية والاقتصادية أن الإنفاق الحقيقي عسكرياً لدى الصين قد يكون أضعاف الأرقام المعلنة كموازنة عسكرية؛ وذلك لأن الصين تسعى دوماً للتطور عسكرياً؛ لوجود بعض التوترات والمضايقات العسكرية على المستوى العالمي البعيد (مع أمريكا مثلاً) (2)، وعلى المستوى القريب (مع جارتها اليابان (3) على سبيل المثال).

أما الجانب الذي يدعم تطبيق القوة الناعمة، فيعتبر الاقتصاد الصيني من أضخم اقتصادات العالم، وجاءت بهذه الرسالة عبر استعمال النظريات الناعمة - عبر

1. عزت شحرو، "الصين ثاني أعلى ميزانية عسكرية بالعالم"، الجزيرة نت، 06 مارس 2013م، تاريخ الزيارة، 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ML3YEK
2. لعل أحدث حلقة من حلقات الممارسات الأمريكية المناهضة للصين في هذا الإطار إقدام وزارة الدفاع الأمريكية البنتاغون، في 23 مايو 2018م، على سحب دعوتها للصين للمشاركة في المناورات العسكرية السنوية في المحيط الهادئ بسبب "استمرار عسكريتها" لبحر الصين الجنوبي؛ حيث أشار بيان البنتاغون إلى أن استمرار الصين في عسكرية مناطق مُتنازع عليها في بحر الصين الجنوبي يؤدي إلى تصعيد التوتر وزعزعة استقرار المنطقة. انظر في ذلك: واشنطن تسحب دعوة بكين إلى مناورات عسكرية في المحيط الهادئ، صحيفة الحياة اللندنية، 23 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tuj1kH
3. توجد سلسلة من الخلافات بين الصين واليابان والتي يرجع بعضها إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية. وكثيراً ما تنشأ خلافات بين الصين واليابان بسبب تاريخهما الأليم واتهام بكين طوكيو بعدم التكفير بشكل مناسب عن غزوها للصين قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية، كما توجد خلافات بين البلدين بسبب نزاع على مجموعة من الجزر في بحر الصين الشرقي. لمزيد المن التفصيل يُنظر: الصين تُبدي اعتزامها تحسين العلاقات مع اليابان، سبوتنيك موسكو، 28 يناير 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/29U5P9

وسائل إعلامها - ، بأن هذا الإنفاق العسكريّ وحتى الاقتصاديّ على الخدمات - في أكبر دول العالم من حيث عدد السكّان - ، ما هو إلا لرفع مكانتها على خريطة الاقتصاد العالميّ من حيث الإنتاج والصناعة.

ما أدّى إلى التوسّع نحو مفهوم "القوّة الذكيّة"، بدمج هذه الجوانب مع بعضها البعض لتشكيل نسيج سياسيّ خاص بالجمهورية الصّينيّة الشّعبيّة، وإدخال الجانب الثقافيّ ونشر القيم الصّينيّة المتعاقبة من عصور قديمة حتى وقتنا الحالي، ودعم الإبداع وزيادة التنافس والقوّة الثقافيّة والمعلوماتيّة، عبر التوجّه لاستخدام وسائل الإعلام الجديدة ونظم الاتّصال المختلفة.

خامساً: إيران:

على الرّغم مما تواجهه السّيّاسة الإيرانيّة من عقوبات دوليّة (1)، سواءً عسكريّة أو اقتصاديّة، وصراعها الداخليّ بين الإصلاحيين والمحافظين، فقد استطاعت الإدارة الإيرانيّة السعي والوصول نحو مفهوم "القوّة الذكيّة".

1. كانت الولايات المتّحدة قد فرضت أول حصة من العقوبات الاقتصاديّة على النّظام في إيران عام 1979م، وفي العام 1995م وسّعت واشنطن من هذه العقوبات لتُدْرَج عدداً من الشركات المرتبطة بالنّظام الإيراني على قائمة المقاطعة، وفي العام 2006م توسّعت العقوبات المفروضة على إيران عندما أيدت الأمم المتّحدة هذه العقوبات، وفرضت مزيداً منها على إيران. ومنذ تدويل العقوبات على إيران تعرّضت طهران لسلسلة عقوبات متتالية في 2007، 2008، 2010، 2011، 2012، 2013، 2015م، وأخيراً في 2018م، مع إعلان الرئيس دونالد ترمب الانسحاب من الاتفاق النوويّ مع إيران، وبموجب ذلك الانسحاب ستميد الولايات المتّحدة العقوبات المشدّدة المفروضة على المؤسّسات الإيرانيّة، بما في ذلك تجميد الأصول والحسابات الماليّة التابعة لإيران، وتشديد الرقابة على حركة الأموال والنقل. لمزيد من التفصيل يُنظر: أهم 10 محطات بتاريخ العقوبات الدوليّة على إيران، العربيّة، نت، 9 مايو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4TDvbV2

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وتتمثَّلُ القُوَّةُ الذِّكِّيَّةُ الإِيرانِيَّةُ، بدورها الكبير في لبنان، بعد اغتيال رفيق الحريري (1)، وخروج الجيش السوري من الأراضي اللبنانية، ف جاء دور إيران بدعم موقف حزب الله (2) وخصوصاً بعد تجاوز الحزب للدولة اللبنانية سياسياً، واشتعال حرب 2006م مع "إسرائيل" (3).

وفي الوقت نفسه، تُعلن إيران أنها تدعم المقاومة اللبنانية، وليس حزب الله فقط ضدَّ إسرائيل، بما يستهدف باقي الطوائف عن طريق القُوَّة النَّاعِمَةُ، وكما تدعم المقاومة الفلسطينية ضدَّ الاحتلال الإسرائيليِّ.

ومن أهم عوامل نجاح القُوَّة الذِّكِّيَّة الإِيرانِيَّة، وقدرتها على توظيف الأبعاد المختلفة للقُوَّة هو الجانب المؤسَّسيِّ على المستويين الرَّسْمِيِّ وغير الرَّسْمِيِّ؛ حيث تعمل المؤسَّسات الرَّسْمِيَّة في إيران في ضوء الخطط الحُكُومِيَّة على تحقيق أهداف السِّياسة

1. يوم 14 فبراير 2005م اغتيل رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري مع 21 شخصاً، عندما انفجر ما يعادل 1000 كيلو جرام من مادة التي إن تي أثناء مرور موكبه بالقرب من فندق سان جورج في بيروت. وعقب اغتيال الحريري حصلت عدَّة انفجارات واغتيالات ضدَّ شخصيات مناهضة للوجود السوري في لبنان. انظر في ذلك: رفيق الحريري، الجزيرة نت، 9 ديسمبر 2014، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/vtmq3A
2. حزب الله هو جماعة شيعية مُسلَّحة وحزب سياسيٍّ مقرُّه جنوب لبنان. تأسَّسَ حزب الله في أوائل الثمانينيَّات كجزء من جهد إيراني لتجميع مجموعة متنوِّعة من الجماعات الشيعية اللبنانية المُسلَّحة تحت سقف واحد. والجناح العسكري لحزب الله هو مجلس الجهاد، وجناحه السياسي هو حزب كتلة الوفاء للمقاومة في البرلمان اللبناني. وبعد وفاة عباس الموسوي في عام 1992م، ترأَّس الجماعة حسن نصر الله، أمينها العام. يُنظر: حزب الله.. النشأة والتطور، الجزيرة نت، 3 أكتوبر 2014، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QmQM4f
3. هي مواجهة عسكريَّة وسلسلة من العمليَّات القتاليَّة بدأت في 12 يوليو 2006م بين قُوَّات من حزب الله اللبناني والقُوَّات الإسرائيليَّة واستمرَّت 34 يوماً في مناطق مختلفة من لبنان. يُنظر: أمين محمد حطيط، حرب 2006م على لبنان.. خلفيَّة وأداء ونتائج، الجزيرة نت، 15 أغسطس 2008، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/2d4hVr

الخارجية لإيران، وبجانب ذلك تتبع مُؤَسَّسة المرشد الأعلى للثورة الإيرانية (1) عدد من المؤسسات غير الرسمية، ولكنها تتفق والأهداف العامة للدولة. (2)

ويتمثل الدور الأبرز لإيران على الساحة الإقليمية، بتدخل الجيش الثوري الإيراني بالأزمة السورية على الأرض ودعم حزب الله اللبناني بتدخله أيضاً، بالإضافة لدعم بعض الأطراف في دول النزاع العربي كالعراق سابقاً، واليمن وسوريا حديثاً.

وتعتبر الدولة الإيرانية ناجحة في التجربة عبر الشارع اللبناني، من حيث تسويق نفسها بأنها من المدافعين عن حقوق اللبنانيين ضد إسرائيل. كما وصلت إيران إلى كافة الفصائل والفرقاء على الساحة السياسية اللبنانية، وكسبت الحكومة اللبنانية التي يسيطر عليها حزب الله إلى جانبها كحليف عبر إدخاله إلى شبكة المصالح الإيرانية السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية (3).

1. يتميز النظام السياسي الإيراني عن سائر النظم الأخرى بوجود مؤسَّسة اسمها "الولي الفقيه" أو "المرشد الأعلى" ترتب على قمة هرم السلطة، ويحولها الدستور الإيراني صلاحيات واسعة. وهما لفظان مترادفان مرتبطان بالنظرية السياسية الدينية التي أتى بها الإمام الخميني، وهي "ولاية الفقيه"، التي نشأت على يد الشيخ أحمد النراقي، المتوفى عام 1829م، والتي طبَّقها الإمام الخميني لأول مرة عام 1979م. وقد نصت المادة الخامسة من الدستور الإيراني على أن ولاية الأمة في "ظل استتار الإمام" تؤول إلى أعدل وأعلم وأتقى رجل في الأمة، وهو المرشد الأعلى، ليدر شؤون البلاد وفق ما جاء في المادة (107) من الدستور. ينظر في ذلك: الولي الفقيه.. الدور والصلاحيات، الجزيرة نت، 27 مايو 2013م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/uSrPfn
2. سماح عبدالصبور، "القوة الذكوية: أدوات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه لبنان"، السياسة الدولية، 13 مارس 2014م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: 77ExGf/lg.oog
3. المرجع السابق.

سادساً: تركيا:

الدَّوْلَةُ التُّرْكِيَّةُ وسياساتها تلعب دوراً مُهِمّاً في عصرنا الحالي على السَّاحَتَيْنِ الإقليمِيَّةِ والعَالَمِيَّةِ، لما لها من موقع جغرافي مُهِمٍّ يربط القَارَةَ الأوروپِيَّةَ بجارتها الأسيويَّةِ، وتحديدًا المناطق العَرَبِيَّةَ منها.

إن الدور الَّتِي تتخذه تركيا حالياً، هو سِيَّاسِيٌّ واقتصاديٌّ، ولكنه مدروس بطريقة تتوافق ومصطلح "القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ"، من حيث التَّدخُلُ العَسْكَرِيُّ بالدِّفَاعِ عن النفس مثلاً على حدودها مع سوريا خلال أزمته القائمة منذ 2011م (1)، وحدودها الجنوبيَّةَ العراقيَّةَ والصَّرَاعِ مع الأكراد (كردستان العراق) (2)، بالإضافة لما تواجهه من خطر الإرهاب على أراضيها بين الحين والآخر.

كما أنها تلعب دوراً مُهِمّاً في استقبال اللّاجئين السُّوريِّينَ، وتأمينهم، والعمل على حماية حدودها من هذا التَّدفُّقِ، كذلك خروج اللّاجئين من الأراضي التُّرْكِيَّةِ إلى دول الجوار من دول الاتِّحاد الأوروپيِّ.

1. أدت الأزمة السوريَّة إلى تزايد مخاوف تركيا بشأن استغلال الأكراد الاضطرابات الحاصلة في جارتها الجنوبيَّة لفرض أمر واقع وإقامة دولة تركيَّة على الحدود التُّرْكِيَّة السوريَّة، وهو ما تعتبره أنقرة مساساً بأمنها القومي، وعليه فقد بدأت القُوَّات التُّرْكِيَّة في يناير 2018م عملية عَسْكَرِيَّة جديدة بريَّة وجويَّة في سوريا تحت مسمى "غصن الزيتون" تستهدف فيها مواقع تابعة لوحدة حماية الشعب الكرديَّة في منطقة عفرين التي يسيطر عليها الأكراد. يُنظر: سوريا: الجيش التُّرْكِيُّ يُوَكِّدُ بدء عملية "غصن الزيتون" في عفرين وروسيا تدعو إلى ضبط النفس، فرانس 24، 21 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DLEi4H
2. يُذَكِّرُ أنَّ تركيا لديها نحو ألفي جندي في معسكر بعشيقه شمالي العراق، جاؤوا في 2015م بناءً على طلب رئيس إقليم كردستان العراق مسعود بارزاني لتدريب القُوَّات المحليَّة، وفي يناير 2018م توغَّلَ الجيش التُّرْكِيُّ بعمق 30 كيلو متراً داخل الأراضي العراقيَّة خلال ملاحظته مسلحي حزب العمال الكردستاني في جبال قنديل بإقليم كردستان شمال العراق. لمزيد من التفصيل يُنظر: تهديدات أصبحت واقعاً.. الجيش التُّرْكِيُّ يدخل العراق، الحرة، متاح على الرابط التالي: goo.gl/x799mi

وَتَمَثَّلُ الْقُوَّةُ النَّاعِمَةُ الَّتِي تَتَّبَعُهَا تَرْكِيَا بِتَطْوِيرِ تحالفاتها وعلاقاتها مع روسيا وإسرائيل مثلاً، بالمقابل دورها في إطلاق السلام، والعمل على دعم حقوق الإنسان، وحقّ أبناء الأرض بأرضهم في مناطق النزاع والاحتلال كسوريا وفلسطين المحتلة، وهو ما يُؤكِّد عليه دائماً الرئيس التركي السَّيِّدُ رجب طَيِّبُ أَرْدُوغان (عبر وسائل الإعلام المختلفة).

سابعاً: قطر:

قطر من الدول العربيَّة ذات الأهمِّيَّة السِّيَاسِيَّة في المنطقة والعالم، والتي ركَّزت في سياساتها على القُوَّة النَّاعِمَة، وتطورت لاحقاً إلى قُوَّة ذكيَّة، فظهرت تلك السِّيَاسَات عند اندلاع "الربيع العربي"، فكانت قطر من الدول الداعمة لحريات الشُّعُوب وإرادتها، وعملت في هذا الأمر كفاعل اقتِصاديٍّ داعم لبعض الأطراف في دول النزاع العربي، وفاعل اقتِصاديٍّ إنساني عبر دعم اللاجئيين والمتضرِّرين من هذه الصِّراعات. ولقد نوَّعت دولة قطر قنوات الدُّبُلُوماسِيَّة العامَّة، وأدوات القُوَّة النَّاعِمَة، ووزَّعتها على واجهات عدة، في إطار عمليٍّ مُنَّسَجِمٍ يُترجمُ كلَّ الأهداف التي وردت في رؤية قطر 2030م؛ فعلى الواجهة الإعلامِيَّة، كانت "شبكة الجزيرة الفضائيَّة"⁽¹⁾ التي شكَّلتُ ومنذ انطلاقتها في عام 1996م حالة فريدة في الفضاء الإعلامِي العربي. ولم يقتصر حضور "شبكة الجزيرة" على الهواء وشاشات المشاهدين فقط، بل تجاوز ذلك، عندما انتقلت الجزيرة من مُجرَّد قناة إعلامِيَّة ناقلة للأخبار والأحداث إلى صانع أو على الأقلِّ مشارك في صناعة الأحداث.

1. شبكة إعلامِيَّة، مقرُّها الدوحة، بقطر، بدأت بالقناة العربيَّة الأمَّ عام 1996م التي حقَّقت نجاحاً عربياً وعالمياً، بما مكَّنها من توسيع دائرتها لتشمل قنوات أخرى مُتخصِّصَة، إلى جانب مراكز بحثِيَّة ومواقع إخبارِيَّة، في مُقدِّمتها الجزيرة نت. يُنظَر: شبكة الجزيرة الإعلامِيَّة، الجزيرة نت، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/k8XpiF

وخلال سنوات قليلة، باتت "شبكة الجزيرة" تَبَوُّأ مكانةً لا تُقَلُّ شأنًا عن شبكات "سي أن أن" (1) أو "سكاي نيوز" (2) أو "بي بي سي" (3) العالَميَّة. وتزايد نفوذ هذه العلامة التُّجاريَّة والشبكة الإعلانيَّة بعد إطلاق قناة الجزيرة الإنكليزيَّة، و"قنوات الجزيرة الرياضيَّة"، والتي تغيَّر اسمها بعد ذلك إلى قنوات بين سبورتس و"Bein Sports و"الجزيرة أطفال"، و"الجزيرة مباشر"، و"الجزيرة الوثائقيَّة" (4). أضف إلى ذلك أن الجزيرة وسَّعت من نطاق أنشطتها؛ فلم تُعدَّ كأيِّ قناة تلفزيونيَّة تقليديَّة، بل أوجدت لنفسها أذرعاً طويلة ومُؤثِّرة من قبيل "المهرجانات السنويَّة"، و"مركز الجزيرة للتدريب"، و"مركز الجزيرة لحقوق الإنسان"، و"مركز الجزيرة للدراسات"، و"الجزيرة نت" وغيرها.

1. إحدى أشهر القنوات الأمريكيَّة والعالَميَّة المتخصصة في البث المتواصل للأخبار والأحداث الدوليَّة، تأسَّست في الأول من يونيو 1980م من قبل نيد تيرنر، رجل الأعمال الأمريكيِّ ومالك مُوسَّسات إعلاميَّة، الذي غامر حينها باستثمار مبلغ عشرين مليون دولار لإطلاق القناة بفكرة جديدة تركز على بث إخباري متواصل لمدة 24 ساعة، حيث بدأ بـ25 مستخدماً فيها وبعض المكاتب في عدد من المدن الأمريكيَّة. أطلقت الشبكة عدداً من القنوات التابعة لها بلغات أجنبيَّة ومحليَّة، إلى جانب قنوات متخصصة وشبكتين إذاعيتين، و12 موقعاً إخبارياً على الإنترنت. ينظر في ذلك: سي أن أن، الجزيرة نت، 1 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rm7ibm
2. سكاي نيوز "مُوسَّسة إخباريَّة دُوليَّة مُتعدِّدة الوسائط على مدار الساعة، مقرُّها في المملكة المتَّحدة، انطلقت في العام 1989م، وهي أول قناة إخباريَّة في أوروبا تبث على مدار اليوم. يُنظَر: شبكة "سكاي" البريطانيَّة تُطلِّق قناة إخباريَّة عربيَّة بالتعاون مع "أدمك"، أرابيان بيزنيس، 30 نوفمبر 2010م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QKJXCb
3. هيئة الإذاعة البريطانيَّة مُوسَّسة إعلاميَّة بريطانيَّة ذات توجُّه عالميٍّ تُوصَف بالمستقلَّة، وتعرف باسمها الرسمي بالإنكليزيَّة (British Broadcasting Corporation). تأسَّست هيئة الإذاعة البريطانيَّة في 18 من أكتوبر 1922م من قبل جون رايب، وكانت تسمى قبل ذلك شركة الإذاعة البريطانيَّة، وانطلق بث إذاعة "بي بي سي العالميَّة" في 19 من ديسمبر 1932م كهيئة مُستقلَّة عن الحكومة البريطانيَّة. يُنظَر: بي بي سي.. هنا لندن، الجزيرة نت، 2 مايو 2016م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/W6zud4
4. هذه القنوات جزء من شبكة الجزيرة الإعلامية، لمزيد من التفصيل يُنظَر: شبكة الجزيرة الإعلامية، الجزيرة نت، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/k8XpiF

وباتت شبكة الجزيرة التلفزيونية وشبكة مؤسّساتها تُشكّل أداةً مهمّةً في "ترسانة الدّفاع" عن وجود الدّولة القطريّة في مواجهة القوى الكبرى المتصارعة في منطقة الخليج. وعلى جانب آخر اعتمدت قطر "الرياضة" كَبُعدٍ أساسيٍّ لاسْتِراتيجيّة بناء الصورة الذهنيّة التي تَتَبَّأها كواحدةٍ من اسْتِراتيجيّات سياستها الخارجيّة للتعريف بها ولتعزير مكانتها في المحافل الدّوليّة. فكانت القيادة السّياسيّة في الدّولة المُسيّر الرئيس لإدارة الرياضة وهي التي تحدّد توجّهاتها العريضة لا سيّما ما يتعلّق بالترشّح للمنافسات الرياضيّة الدّوليّة.

لقد استثمرت دولة قطر في الدّبْلوماسيّة الرياضيّة من خلال رعايتها المنافسات والأنديّة الرياضيّة المحليّة والدّوليّة، إيماناً منها بأن الاستثمارات الرياضيّة تُلبّي حاجات عقلانيّة بعيدة المدى؛ كالحاجة إلى التنوع الاقتصاديّ.

كما سَعَت الاستثمارات القطريّة في المجال الرياضي إلى تحقيق بعض الأهداف التي تتعلّق بالمجتمع القطري أيضاً، لا سيّما إبراز دور المرأة في مجتمع محافظ وتنمية سياسة الصّحّة العامّة في واحد من المجتمعات التي تسودها الوفرة من جهة أخرى. إن استثمار قطر في الرياضة كانت بحقّ بالغة الفائدة على مستوى السُّمعة، وستكون أيضاً، على المدى الطويل، عزيمة المردوديّة على المستوى الاقتصاديّ للدولة. لقد كان أحد أكبر النجاحات التي أحرزتها الدّبْلوماسيّة الرياضيّة القطريّة هو الفوز باستضافة بطولة كأس العالم لكرة القدم لعام 2022 (1)؛ فهذه البطولة العالميّة هي أكثر الأحداث الرياضيّة جذباً لاهتمام الإعلام في العالم؛ حيث تُعبّر كرة القدم أكثر الألعاب شعبيّة في العالم.

1. فازت قطر بتنظيم نهائيات كأس العالم لكرة القدم عام 2022م، عندما اختيرت في التصويت الذي جرى في ديسمبر 2010م، بمقرّ الاتحاد الدّولي لكرة القدم (فييفا) بمدينة زيورخ السويسريّة، وشارك فيه أعضاء اللجنة التنفيذيّة للاتحاد. وقد أعلن رئيس فييفا آنذاك، جوزيف بلاتر، عن نتيجة التصويت لتصبح قطر أول دولة عربيّة وشرق أوسطيّة تنال هذا الشرف، وذلك بعد منافسة شرسة مع 5 ملفات تنافست على الفوز باستضافة وتنظيم هذه النهائيات، وهي قطر واليابان وكوريا الجنوبيّة وأستراليا والولايات المتّحدة الأمريكيّة. يُنظَر: قطر تفوز باستضافة مونديال 2022، الجزيرة نت، 3 ديسمبر 2010م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iiroSG

ويعمّنح الاتّحاد الدّولّي لكرة القدم "فيفا" في ديسمبر / كانون الأوّل 2010 دولة قطر حقّق استضافة هذه البطولة، تكون قطر بذلك أول دولة عربيّة في التاريخ تحتضن إحدى أضخم تظاهرات رياضيّين عالميّاً (كأس العالم والألعاب الأولمبيّة). وأكثر من ذلك سيُعهد إلى قطر بحمل الراية الإقليميّة؛ ولها أن تفخر إذن بأنّها ستكون ممثلاً للوطن العربيّ لدى بقيّة دول العالم.

ثامناً: الإمارات العربيّة المتّحدة:

برزت دولة الإمارات العربيّة المتّحدة كدولة محوريّة ومؤثّرة على السّاحة الدّوليّة، وازداد تأثيرها بعد اندلاع أحداث الربيع العربي، وصار لها دور ملموس في المناطق الساخنة حول العالم، ولا يُنكر دورها في اليمن وفي ليبيا ومصر، وسوريا، وغيرها من الدول العربيّة. وتقدّم دولة الإمارات نموذجاً في استخدام القُوَّة النَّاعِمَة بما تقدّمه من نموذج القدوة في العديد من تجلّياتها؛ كالتسامح والإنسانيّة ورشادة نظام الحُكم فيها، وقيم التعدديّة الثقافيّة والحريّة الدنيّة الملتزمة والمنضبطة، والمبادرات المتنوّعة في مجال الدعم الإنساني، وفي تبنّي قيم السعادة والتسامح وتخصيص وزارات لها، وفي احتضان مئات الآلاف من الوافدين وعدم التمييز بينهم. (1)

إنها دولة تُقدّم نموذجاً في المواطنة العالميّة والإنسانيّة المشتركة، ووحدانيّة الأديان. والأمر لا يتوقّف عند حدود القُوَّة الصّلبة والنّاعمة بل بدأنا نسمع عن القُوَّة الذكيّة وهي التي تجمع بين الصّلبة والنّاعمة، أو ما يمكن القول إنه مفهوم إنتاج القُوَّة الشّاملة، وهدفها تحقيق مزيد من الاستقطاب للدول المؤيّدَة، وتحقيق مردودات أكبر

1. د. ناجي شلاب، القُوَّة النَّاعِمَة.. الإمارات نموذجاً، تاريخ الزيارة 2017/6/19م متاح على الرابط التالي:
<http://cutt.us/Ko3T>

تخدم مصالح الدولة، وتحفظ مكانتها ودورها وتردع غيرها من دول القوة. وهنا أيضاً تقدم الإمارات نموذجاً ثلاثياً للقوة الصلبة والقوة الناعمة والقوة الذكيفة. (1) ونظراً لتأثير القوة الناعمة وأهميتها، فقد أعلن الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم (2) نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي عن تشكيل "مجلس القوة الناعمة لدولة الإمارات العربية المتحدة" والذي يهدف إلى تطوير أدوات جديدة لإيصال قصة دولة الإمارات وتفردتها لكل شعوب العالم.

ويتبع مجلس القوة الناعمة بشكل مباشر مجلس الوزراء، ويعمل على صياغة منظومة وطنية متكاملة تشمل الجهات الحكومية والخاصة والأهلية لنقل قصة الإمارات للعالم بطريقة جديدة.

1. د. ناجي شلاب، القوة الناعمة.. الإمارات نموذجاً، تاريخ الزيارة 2017/6/19م متاح على الرابط التالي:

<http://cutt.us/Ko3T>

2. محمد بن راشد آل مكتوم (15 يوليو 1949م)، نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة ورئيس مجلس الوزراء بدولة الإمارات العربية المتحدة وحاكم إمارة دبي. منذ تولي الشيخ محمد الحكم في إمارة دبي في 4 يناير 2006م، قام بإصلاحات رئيسية على صعيد حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، بما في ذلك إطلاق استراتيجية الحكومة الاتحادية في العام 2008م ورؤية الإمارات 2021م، وكذلك عدد من المبادرات كمهرجان دبي للتسوق، وحكومة دبي الإلكترونية، وبرنامج دبي للأداء الحكومي المتميز، ومدينة دبي الطبية، وقرية المعرفة، ومشروع دبي لاند، وغيرها. للمزيد يُنظر: صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، د. ت، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي:

goo.gl/ExMs8N

المبحث الثالث

تحدّيات استخدام القوّة الذكيّة

كل مفهوم أو مصطلح سياسي جديد في هذا العالم، لا بُدَّ أن يُواجه عدداً من التحدّيات والصّعاب التي تحدُّ من قُدرة الدول والحكومات على تبنّيه، ومن هذه المفاهيم "القوّة الذكيّة"، أولى التحدّيات التي واجهت بعض إدارات السّيّاسات حول العالم والتي منعتها من تحقيق مفهوم القوّة الذكيّة بالشكل المطلوب، هو عدم الفهم الواضح والصحيح لهذا المفهوم، ويمثّل هذا التحدّي ربما بعدم قُدرة دولة ما على السير بنهج الدول الكبرى التي قدّمت الكثير في بدايات القوّة الذكيّة، وربما كان لها دور في تطوير هذا المفهوم، تنظيراً وتطبيقاً.

كما أن الأدوات الدبلوماسية والمساعدات الماليّة وقفت عائقاً أمام تحقيق القوّة الذكيّة كما تريد الإدارة الأمريكيّة مثلاً؛ لصعوبة إظهار نتائجها على المدى القصير، خاصةً أن استخدام أدوات القوّة التّاعمة - كما وصفها ناي وأرميتاج في الحالة الأمريكيّة - عمليّة معقّدة وصعبة؛ لأن أغلب هذه الأدوات ومصادرها تكمن في العلاقات والتحالفات بين الولايات المتّحدة ودول العالم.

وفي التجربة الأمريكيّة باستخدام هذا المصطلح، واجهت واشنطن صعوبة في استخدام أدوات القوّة التّاعمة في منطقة الشرق الأوسط؛ لأسباب تتعلّق بالنزعة العدائيّة لدى الطرف الأمريكيّ تجاه العرب، والتي كانت نتيجةً للصراع العربيّ الإسرائيلي في المنطقة، والسبب الآخر والذي يتمركز حول الفروقات الثقافيّة والعلميّة، إضافة إلى الفجوة التكنولوجيّة بين الولايات المتّحدة ودول الشرق الأوسط.

ولتقليل هذه الفروقات الثقافية والعلمية، لجأت الإدارة الأمريكية إلى نقل بعض من ثقافتها وعلومها إلى الشرق الأوسط، عبر تأسيس المكتبات والمراكز العلمية وإطلاق المبادرات الشبابية التي تدعم الأفكار الإبداعية والمواهب في هذه الدول، والعمل على إعلان الشراكات مع الحكومات والمراكز ذات البداية الخصبة بهذه الثقافات والعلوم، واستهداف وسائل الإعلام الموجّهة للمشاهدين والمتابعين في دول الشرق الأوسط، لخلق رأي عام عربي جديد تجاه بعض القضايا والأفكار التي تواجههم.

ومن أبرز التحدّيات التي واجهت استخدام مفهوم القوّة الذكيّة وتطبيقاتها المختلفة حول العالم (1):

أولاً: التحدّي المؤسّساتي:

يشغل التحدّي المؤسّساتي للقوّة الذكيّة ذلك الفراغ القائم بين مؤسّسات القوّة الصلبة: المؤسّسة العسكريّة ومؤسّسات الأمن، التي تعتمد على استخدام القوّة، الإكراه والإجبار من جهة، وبين مؤسّسات القوّة الناعمة من جهة أخرى، والتي قد تشغل حيزاً ليس بالمهم من ميزانيات الدول مقارنة بحجم مائة مؤسّسات القوّة الصلبة؛ فالتباين المؤسّسي بين القوّتين يُنتج تعقيدات تتعلّق بحجم المؤسّسات ومكانتها وثقافتها المؤسّسية، وكل هذا بالطبع يؤثّر في أدائها، وبالتالي أداء القوّة الذكيّة". بل إن مؤسّسات القوّة الناعمة قد تكون خاضعة إلى حدّ ما لمؤسّسات القوّة الصلبة، ممثلة في المؤسّسة العسكريّة والاستخبارات، التي قد تُحدّد خط سير القوّة الناعمة. وهو ما يؤثّر سلباً وبشدة على تنزيل مُنمّر وبنّاء للقوّة الذكيّة. وبالتالي فإن إيجاد ترتيبات مؤسّسية متوازنة يتوقف على إرادة القيادة السياسيّة للدولة.

1. يمني سليمان، "القوّة الذكيّة المفهوم والأبعاد: دراسة تأصيليّة"، مرجع سابق.

ثانياً: التَّحَدِّي السِّيَاسِيّ:

القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ لا تحتاج فقط إلى ترتيبات مُؤَسَّسَاتِيَّة داعمة وفاعلة فقط، بل هي في حاجة إلى إرادة وقُوَّة سِيَاسِيَّة لتحقيقها على أرض الواقع. فالعامل المُؤَسَّسَاتِيّ في أمس الحاجة إلى مثل هذه القيادة الراغبة في الإصلاح (willingnes)، لتحقيق عنصر التوازن السِّيَاسِيّ الغائب بين القُوَّة الصَّلْبَة والقُوَّة النَّاعِمَة، كتحدٍّ آخر من ضمن تحديات القُوَّة الذَّكِيَّة. ولا أدلّ على ذلك من كَثْرَة وقُوَّة أنصار القُوَّة الصَّلْبَة حجماً وتمثيلاً، مقارنةً بأنصار القُوَّة النَّاعِمَة. وهذا لا يقف عند حدود النخب السِّيَاسِيَّة للدول، بل يمتدّ للدوائر الجماهيرية ومعامل التأييد الشعبي.

فكتلة الناخبين السِّيَاسِيّين، عندما يُفَرِّقُونَ اختيار مُمَثِّلٍ لهم عبر الانتخاب فهم أكثر ميلاً لتوجه القُوَّة الصَّلْبَة المرئيَّة والمموسسة، التي يأخذونها في الاعتبار ويعتبرونها رمزاً لقُوَّة الدَّوْلَة وتأثيرها وقدرتها على حماية مصالحها. فأنصار القُوَّة النَّاعِمَة بين فئات المواطنين أقلّ بكثير من هؤلاء المُؤَيِّدِينَ للقُوَّة الصَّلْبَة، ويقتصر التأييد والدعوة لهذا التَّوجُّه على فئات الأكاديميِّين والدبلوماسيِّين السابقين فلا يوجد قُوَّة شَعْبِيَّة توازن تلك التي تمتلكها القُوَّة الصَّلْبَة.

خلاصة:

في ختام هذا الفصل نستخلص أن القُوَّة الذَّكِيَّة Smart power كروية مُتجدِّدة للسلطة بمفهوم القُوَّة والنُّفُوز، إذا كانت قد وَجَدَتْ مصداقيَّتها العمليَّة التَّطْبِيقِيَّة في إدارة الرئيس الأمريكيِّ السابق باراك أوباما لأزمات القُوَّة الصَّلْبَة ومازق نظيرتها النَّاعِمَة في الاقتصاد والثقافة، ودَفَعَتْهَا النَّظَرِيَّة القُصُوى من خلال ترويح هيلاري كلينتون إلى حدِّ الاعتناق والتبشير، فإنها (أي القُوَّة الذَّكِيَّة) تشير إلى التَّبَنِّي الذَّكِيّ لسياسات بديلة وفاعلة، يمازج

1. Joseph Nye, "Smart Power", Huffington Post. May 25, 2011, available at: goo.gl/ZPzQC

بين مجموع متجانس وبطريقة ضمنية عناصر القوة الصلبة (Hard Power) مع إجراءات نموذجية من القوة الناعمة، تسمح بالحصول على نتائج أكثر كفاءة ونجاحاً (1). وفي إطار القوة الذكّية، دائماً، ومن خلال ما تمّ تناوله وتحليله من مفاهيمها ومظاهرها، فإن الاستثمار في تطوير الشراكات والعلاقات لا يمكن مقاربتها فقط من زاوية الدول أو المؤسسات الرسمية، بل أيضاً من جانب الفاعل الاجتماعي ومؤسسات المجتمع المدني، ما دام التأثير المنشود يمرُّ في جزئه الأكبر عبر المعايير الثقافية، الحساسيات العقائدية، وما يمكن أن نسميه بزعامات الرأي. أي: كل ما يمكن أن يملأ ثغرات القوة الناعمة كوسيلة، والقوة الصلبة المعيارية كمفاهيم غير مكتملة، التي ليس لها قيمة عملية وُضعت ضمن استمرارية منطقية، وفي تنفيذ سياقي وظيفي للغاية. والباقي يبقى وصفة لأصحاب النوايا الحسنة والتمني!

فيما الدبلوماسية الرقمية أو الافتراضية E - Diplomacy تقدم أمل ذلك التأثير الاحتمالي الكبير والمُنْتَظَر من خلال تعبئة الفضاءات الافتراضية. وبالعودة إلى مثال الولايات المتحدة مرة أخرى، نجد أنه في عام 2003م، تأسست بمكاتب وزارة الخارجية، أقسام كتابة خاصة بالدبلوماسية الإلكترونية أو الرقمية (2). وقد استثمر هذا القسم في مجموعة واسعة من بوابات شبكة الإنترنت التفاعلية، والمبصّات الإلكترونية، وبرامج التدريب على الإنترنت، مما يجعل الاستخدام المبتكر للتكنولوجيا في سبيل تعزيز مصالح السياسة الخارجية للولايات المتحدة، أسلوباً ناجحاً وناجحاً في تطبيق القوة الذكّية.

1. رشا عبد الوهاب، "ثورة الدبلوماسية الرقمية.. 3 تحديات تواجه الحكومات"، صحيفة الأهرام المصرية، 20 يوليو 2015م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9vz23Z
2. برنامج علمي يقوم على استراتيجيات الدبلوماسية العامة يتبع مكتب برامج الإعلام الدولي (إيب) في وزارة الخارجية الأمريكية، بمشاركة الخبراء والتقنيين حول العالم، ومنذ العام 2010م أجرى البرنامج أكثر من 50 مؤتمراً علمياً، ويتكون كل مؤتمر من يومي عمل يتضمننا تدريباً عملياً وورش عمل تضم المشاركين من خبراء التكنولوجيا والصحفيين والمنظمّات غير الحكومية ودعاة المجتمع المدني، بهدف استكشاف وتطبيق حلول التكنولوجيا المبتكرة للقضايا العالمية. (About TechCamp, TechCamp, available at: goo.gl/eBRCGT)

القوة التكنولوجية الناعمة

بل إنه في غضون سنوات قليلة أدى ذلك إلى تغيير مهم في الطريقة التي يتواصل بها عملاء أمريكيون مع بعضهم البعض في الخارج، وتبادل المعلومات والمعرفة، وتعبئة الناس خارج حدود الولايات المتحدة. و(1) TechCamp يعطي مثلاً ساطعاً على ذلك، من خلال سلسلة مؤتمرات، يقوم فيها خبراء تكنولوجيا جنوباً إلى جنب مع الجهات الفاعلة في المجتمع المدني، ونشطاء من أجل التغيير، بمحاولة تحديد وتطبيق تكنولوجيات، منخفضة التكلفة وسهلة التنفيذ، تصب في تغيير أكثر مرونة وكفاءة. القوة الذكية إذن، استراتيجية تُرجم العودة بشكل من الأشكال إلى الواقعية في السياسة الخارجية الأمريكية، في قطيعة منهجية مع نظريات المحافظين الجدد الذين ألهموا الولاية الأولى لجورج بوش الابن، والتي جاءت كتطبيق عملي مع إدارة أوباما؛ حيث القوة "الصلبة" و"الناعمة" كخيارات قوى موجودة كانت تتواجد على مفترق طرق الأزمة. والدليل أن القوة الناعمة لم تنجح في إنشاء زعيم كوريا الشمالية عن المضي في مشروعه النووي (2)، حتى وإن عُرف بحبه لأفلام هوليوود، ولم تمنع حكومة طالبان عن مساندة تنظيم القاعدة (3)، وهلمَّ جرّاً.

1. برنامج علمي يقوم على استراتيجية الدبلوماسية العامة يتبع مكتب برامج الإعلام الدولي (إيب) في وزارة الخارجية الأمريكية، بمشاركة الخبراء والتقنيين حول العالم، ومنذ العام 2010م أجرى البرنامج أكثر من 50 مؤتمراً علمياً، ويتكون كل مؤتمر من يومي عمل يتضمنان تدريباً عملياً وورش عمل تضم المشاركين من خبراء التكنولوجيا والصحفيين والمنظمات غير الحكومية ودعاة المجتمع المدني، بهدف استكشاف وتطبيق حلول التكنولوجيا المبتكرة للقضايا العالمية. (About TechCamp, TechCamp, available at: goo.gl/eBRCGT)
2. في أكتوبر 2002م، أقرت كوريا الشمالية لأول مرة بأنها تمتلك برنامجاً نووياً عسكرياً، ومنذ ذلك الإعلان دأبت بيونج يانج على إجراء سلسلة من التجارب النووية بشكل مستمر، خلال الأعوام: 2006، 2009، 2013، 2015، 2016م، وفي يناير 2017م، أعلن رئيس كوريا الشمالية أن بلاده ستختبر صاروخاً قادراً على استهداف الولايات المتحدة الأمريكية. وفي نوفمبر 2017م، أعلنت كوريا الشمالية نفسها قوة نووية كاملة النطاق، وذلك بعد اختبار صاروخ باليستي عابر للقارات حديث يستطيع استهداف أي منطقة قارية في الولايات المتحدة. وفي يونيو 2016م شهدت سنغافورة لقاء قيّم تاريخياً بين ترامب وكيم جونج أون أفزر بياناً مشتركاً جاء بمثابة إعلان نوايا، خاصة فيما يتعلق بنزع السلاح النووي من الكورينيين. انظر: التسلسل الزمني لبرنامج كوريا الشمالية النووي، روسيا اليوم، 9 مارس 2018م، تاريخ الزيارة: goo.gl/w54WDg، وانظر أيضاً: لقاء ترامب وكيم؛ أي صفحات وراء المصافحات؟، فرانس 24، 12 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/crh6Rk
3. دخلت حركة طالبان التي حكمت أفغانستان منذ منتصف التسعينيات من القرن الماضي وحتى العام 2001م، بؤرة اهتمام العالم عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001م الشهيرة على الولايات المتحدة الأمريكية، حيث اتهمت الحركة بتوفير ملاذ آمن لزعيم تنظيم القاعدة الراحل أسامة بن لادن وأعضاء التنظيم الذين اتهموا بالمسؤولية عن هذه الهجمات. وبعد فترة قصيرة من هجمات سبتمبر، أطاح غزو التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة بطالبان من السلطة في أفغانستان نهاية العام 2001م. يُنظر: نبذة عن حركة طالبان، بي بي سي عربي، 16 ديسمبر 2014م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/L8hS1V

منذ خمسمائة سنة، كتب نيكولا ميكافيلي (1) أن "الأمير يجب أن يُخشى جانبه إذا كان لا يفوز بالحب، وعلى أي حال فإنه ينجب الكراهية". في حين أن الإدارة القادمة في الولايات المتحدة تستعد لمواجهة سياسة متعددة الأقطاب على نحو متزايد؛ حيث التحديات هائلة، تلك التي تواجه السلام، والاقتصاد، والبيئة في العالم. والنصائح من هذا القبيل تبدو ذات أهمية خاصة. لذا فإن ممارسة القوة والضغط وحدها، عبر القوة العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة، لن توفر السلام والرخاء. وسيكون على الرئيس الجديد تقديم أفكار جذابة، وتقديم بلاده كنسخة مثالية منها. وهو ما يبقى أمراً يحتمل أكثر من علامة استفهام، ما دام ترامب قد ملأ الدنيا ضجيجاً أثناء حملته الانتخابية، بندايات القوة الصلبة والحسم، فهل سيقدم على تنفيذها وهو على كرسي المكتب البيضاوي بالبيت الأبيض؟ (2) وبالتالي إلغاء عمل استراتيجي شاق وتراكم إيجابي مهم للقوة الذكوية في عهد سلفه؟ ذلك ما ستجيب عنه امتحانات الأيام القادمة للسياسة الخارجية، في مادتي القوة والسلام!

1. نيكولا دي برناردو دي ماكيفيلي (3 مايو 1469 - 21 يونيو 1527م) مفكر وفيلسوف سياسي إيطالي إبان عصر النهضة، حتى أصبح مكيفيلي الشخصية الرئيسية والمؤسس للتنظير السياسي الواقعي، والذي أصبحت فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي. أشهر كتبه على الإطلاق، كتاب الأمير، والذي كان عملاً هدف مكيفيلي منه أن يكتب تعليمات للحكام، نُشر الكتاب بعد موته، وأيد فيه فكرة أن ما هو مفيد فهو ضروري، والتي كان عبارة عن صورة مبكرة للنفعية والواقعية السياسية. ولقد فصلت نظريات مكيفيلي في القرن العشرين. للمزيد يُنظر: محمود خاطر، الفكر السياسي لميكافيلي، مجلة مصر المدنية، د. ت، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/86gx3Z
2. نفذ ترامب بعض الوعود الحشنة التي اضطلع بها أثناء حملته الانتخابية، لعل أبرزها؛ الانسحاب من الاتفاق النووي الإيراني، والانسحاب من اتفاقية باريس للمناخ، وتوقيعه قراراً تنفيذياً يحظر دخول اللاجئين السوريين إلى الأراضي الأمريكية، إضافة إلى منع إصدار تأشيرات دخول لمواطني ست دول إسلامية أخرى، وهي إيران والعراق وليبيا والصومال والسودان واليمن. في حين لم يتم بتنفيذ البعض الآخر منها، لعل أبرزها بناء جدار عازل بين الولايات المتحدة والمكسيك لمنع تدفق اللاجئين على الأراضي الأمريكية. يُنظر: وعود أطلقها ترامب في حملته الانتخابية ونفذها، موقع عنب بلدي، 7 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nDTCf9

الفصل الرابع

تَطَوُّرُ مَفْهُومِ الْقُوَّةِ فِي العلاقات الدَّوْلِيَّةِ

- مقدمة
- المبحث الأول: العصا والجزرة.. المساومة على رأس تطبيقات القوة
 - القُوَّةُ كقُدْرَةٌ على التَّحَكُّمِ في الموارد
 - القُوَّةُ كقُدْرَةٌ في التَّحَكُّمِ في الفواعل
 - القُوَّةُ كقُدْرَةٌ على التَّحَكُّمِ في الأحداث والمُخْرَجَات
- المبحث الثاني: الأمن القومي.. ملاحقة التَّغْيِرَاتِ واستباق التَّطَوُّرَات
 - استخدام القُوَّةِ العَسْكَرِيَّةِ.. التكلفة الاقتصادية والبشريَّة الباهظة
- المبحث الثالث: تَغْيِيرُ مَصَادِرِ الْقُوَّةِ.. بين التَّصْنِيفِ والتَّطْوِير
 - أولاً: الأرض
 - ثانياً: الشعب
 - ثالثاً: النُّظَامُ السِّيَاسِي
 - تَغْيِيرُ الفواعل في السِّيَاسَةِ العَالَمِيَّةِ

الفصل الرابع

تَطَوُّرُ مَفْهُومِ الْقُوَّةِ فِي الْعَلَاqَاتِ الدَّوْلِيَّةِ

مقدمة

منذ القَدَم، شكَّل مفهوم القُوَّة أحد المفاهيم المَرْكَزِيَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، والذي واكب التَّطَوُّر الحاصل بين فترة زمنيَّة وأخرى، وَفَقاً لِّلسِّيَاق المُحِيط والعوامل الدَّوْلِيَّة المؤثِّرة. وإذا كانت القُوَّة تُعرف على أنها القُدرة على تحقيق الأهداف والنتائج المَرْجُوَّة، فروبرت دال (1) Robert Dahl يُفسِّرُهَا بالقُدرة على جعل الآخرين يفعلون ما لا يَنوون القيام به. فيما جوزيف ناي (2) Joseph Nye يتعمَّق في هذا التعريف، مشيراً إلى أن إدراك مفهوم القُوَّة وقياسه يحتاج إلى معرفة تفضيلات الآخرين، وكذلك سُلوكياتهم في حالة عدم ممارسة القُوَّة عليهم، وهو ما لا يمكن التَّوَصُّل إليه في حقيقة الأمر.

ومن هذا المنطلق اعتَبَرَ القادة السِّيَاسِيون، أن مثل هذا التعريف غير عمليّ، عكس واقعيَّة التعريف التَّقْلِيدِيّ للقُوَّة، كمحدّد ومقياس في آن واحد، والذي يُخْتَزَلُ في امتلاك مصادرها الرئيسيَّة، والتي تشمل: السُّكَّان، الأرض، الموارد الطَّبيعيَّة، حجم الاقتصاد،

1. روبرت آلان دال Robert Alan Dahl من أصحاب النُّظَرِيَّات السِّيَاسِيَّة وأستاذ العلوم السِّيَاسِيَّة في جامعة ييل. أسَّس نظريَّة التعدديَّة الديمقراطيَّة، بالإضافة إلى كونه صاحب النُّظَرِيَّة التجريبيَّة. وقد ركزت أبحاث دال على طبيعة صنع القرار في المؤسَّسات الفعليَّة، مثل المدن الأمريكيَّة. يُعْتَبَر داهال واحداً من علماء الاجتماع السِّيَاسِي الأكثر تأثيراً في القرن العشرين، ووُصِفَ بلقب "عميد علماء السياسة الأمريكيين". (Robert A. Dahl, Encyclopedia Britannica). (available at: goo.gl/4muJMV)

2. Joseph S. Nye, Soft Power, Foreign Policy, No. 80, Twentieth Anniversary, Autumn, 1990, Washingtonpost. Newsweek Interactive. LLC pp. 153- 171.

القُوَّات العَسْكَرِيَّة وعامل الاستقرار السِّيَاسِي المِهْم (اتجاه كينيث والتز (1) Kenneth N. Waltz لتعريف القُوَّة). لكن تبقى جدليَّة: أيّ المصادر تكون أولى بالاستخدام وفقاً للظروف والسياق والمواقف، وهي مسألة تحتاج إلى أكثر من إجابة وتحليل.

هنا، تتجلى المشكلة الأساسيَّة المُتَلَخَّصَةُ في عمليَّة تحويل القُوَّة، كما أشار لها ناي، وتعني كَيْفِيَّة تحويل المصادر المذكورة سابقاً إلى قُوَّة فِعْلِيَّة. لا سيَّما أن التَّفُوق في القُوَّة يعتمد على القُدرة في تحويل هذه الموارد لخدمة المصالح، وليس فقط امتلاكها ومراكمتها. وبذلك أصبح مُحدَّد القُوَّة، هو امتلاك الموارد أولاً، والقُدرة على تحويلها إلى قُوَّة فِعْلِيَّة تالياً. ويجدر الإشارة إلى أنه مع تَطوُّر التكنولوجيا الصِّنَاعِيَّة، وأثرها في تغيير طبيعة القُوَّة العَسْكَرِيَّة، أصبحت القُوَّة النَّوَوِيَّة مصدراً جديداً للقُوَّة يتَّسِمُ بالأهمِّيَّة، وذلك في إطار توازن الرُّعبِ، الَّذِي سُرْعَانَ ما تلاشى عندما أصبح استخدامها غير منطقي ولا تلجأ الدول إليه في إطار حروبها (2).

1. كينيث والتز 8 Kenneth N. Waltz يونيو 1928 - 13 مايو 2013م) ، مُنظَّر اتجاه الواقعيَّة الجديدة، عبر توازن القوى كإحدى الركائز الأساسيَّة في الواقعيَّة الكلاسيكيَّة ونظريَّة العلاقات الدُولِيَّة. (Kenneth N. Waltz, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/aULS4s)

2. Joseph S. Nye, The Changing Nature of World Power, Political Science Quarterly, Vol. 105, No. 2 (Summer, 1990), pp. 177- 192.

المبحث الأول

العصا والجزرة..

المساومة على رأس تطبيقات القوة

تجدد الإشارة إلى أن الباحثين في شؤون المجتمع البشري، يقولون بأن الأفراد والجماعات يلجأون لاستعمال كثير من التَّقْنِيَّات الأساسية للتأثير على توجُّهات وقرارات بعضهم البعض. وفي النُّظَام السِّياسِيِّ الدَّوْلِيِّ؛ حيث تنعدم مَرَكزِيَّة القُوَّة المِهْمِيَّة والسُّلْطَة الشَّرْعِيَّة، فإن الدول تلجأ إلى أدوات المساومة. وقد نظر لها كلُّ من كوينسي رايت (1) Quincy Wright وأورغانسكي (2) A. Organski، عبر أربع تَقْنِيَّات للمساومة، تُطبَّق في مجال السِّياسَة الدَّوْلِيَّة، ولها أهميَّة كبيرة كوسيلة فَهَم ممارسات التَّأثير في النُّظَام الدَّوْلِيِّ، حسب المتسلسلة التالية(3):

فالدَّوْلَة (ألف) في انتظار سُلوكِيَّات ثلاثة تقوم بها نظيرتها (باء):

1. ستقوم (ب) بالعمل المطلوب منها في المستقبل.
2. لن تقوم (ب) بالعمل المطلوب منها في المستقبل.
3. ستواصل (ب) القيام بالعمل المطلوب منها في المستقبل.

1. فيليب كوينسي رايت Philip Quincy Wright عالم سِياسِيٍّ أُمْرِيكِيٍّ شهير (28 من ديسمبر 1890 - 17 من أكتوبر 1970م) من ميدفورد، ماساشوستس. عُرِفَ بأعماله الرائدة وخبرته الكبيرة في القانون الدَّوْلِيِّ والعلاقات الدَّوْلِيَّة. وكان واحداً من مُؤَسِّسي لجنة شيكاغو للعلاقات الدَّوْلِيَّة في عام 1928م، وأيضاً برنامج الدراسات العليا الأول في العلاقات الدَّوْلِيَّة الذي أنشئ في الولايات المتَّحدة. وإضافة إلى عمله الأكاديمي، عمِل رايت مستشاراً للقاضي روبرت جاكسون في محاكمات نورمبرغ الشهيرة، وكثيراً ما قَدَّم المشورة إلى وزارة الخَارجِيَّة الأَمْرِيكِيَّة. (Quincy Wright, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/3MU2Aa)
2. أبرامو فيمو كينيث أورغانسكي (12 مايو 1923 - 6 مارس 1998م) Abramo Fimo Kenneth Organski، أستاذ علوم سِياسِيَّة إيطالي في جامعة ميشيغان، ومُؤَسِّس نظريَّة انتقال السُّلْطَة، وشريك مُؤَسِّس ل ديسيسيون إنزيتس، عمله الرائد امتد لعدة عقود مُركَّزاً على جوانب محدَّدة من السِّياسَة العالميَّة، بما في ذلك: الديموغرافيا السِّياسِيَّة؛ التَّهْمِيَّة السِّياسِيَّة؛ والاستراتيجيَّة الكبرى. (AFK "Ken" Organski, The Center for Political Studies (CPS), available at: goo.gl/T2gyZv)
3. جهاد عودة، مقدمة في العلاقات الدَّوْلِيَّة المتقدِّمة، المكتب العربي للمعارف، 2014م، ص 78.

وأمام هذه الوضعيات، سوف يكون أمام الدولة (أ) خيار اللجوء إلى مجموعة من التفتيات:

1. الإقناع، عبر التهديد الضمني، المكافأة أو العقوبات. لكن على أرض الواقع لا نستطيع الجزم بأن ممارسة التأثير تحدث ضد رغبة الآخرين دائماً، المثال: دولة تقترح مؤتمراً دولياً حول الجريمة والدولة الثانية توافق على المشاركة دون تحفظ.

2. اقتراح مكافأة، في حالة إعطاء الطرف (أ) وعداً (ب) بتقديم مكافآت بناءً على موافقة الأخيرة على مقترحات (أ)، والمكافآت في هذا الباب كثيرة ومتنوعة. وكمثال على ذلك: تنظيم ندوة دولية حول المخدرات، قد تقترح (أ) على (ب) دعمها مالياً، أو تخفيض الضرائب الجمركية على سلعها، أو دعمها في ندوات مماثلة من تنظيمها، أو تعدها برفع العقوبات السابقة الموقعة عليها.

3. تقديم مكافأة، ففي بعض الأحيان تطلب (ب) المكافأة قبل قيامها بالعمل المطلوب منها من قبل (أ). مثلاً: مفاوضات إيقاف الحرب غالباً ما تشهد رفض كل من الطرفين التخلي عن أسلحته، حتى يرى التزام الطرف الآخر يطبق واقعياً في احترام الاتفاق.

4. التهديد بالعقاب؛ وينقسم إلى نوعين:

- التهديد الإيجابي، في حالة التلويح من طرف (أ) بزيادة الضرائب الجمركية، قطع العلاقات الدبلوماسية، شن حصار اقتصادي ضد (ب) أو حرب مباشرة.
- التهديد بالحرمان، عبر تهديد (أ) بقطع المساعدات الخارجية عن (ب)، وإيقاف المكافآت والامتيازات الأخرى الممنوحة لها من طرف (أ) في السابق.

5. إيقاع عقوبة طفيفة أو محدودة، عبر تهديدات ما تقوم بها (أ) تجاه (ب) لدفعها في اتجاه تغيير سلوكها مع استبعاد الوسائل الأخرى لإحداث التغيير المنشود، لكن الإشكال في هذه الحالة، هو استعمال نفس الوسيلة المذكورة من طرف (ب) مما يؤدي مثلاً إلى التصعيد وزيادة النفقات العسكرية الذي قد يصل إلى مستوى المواجهة العنيفة، في غياب حل للمشكلة القائمة.

6. استعمال القُوَّة مع غياب تعدُّد الخيارات المتاحة اليوم أمام السِّيَاسَةَ الخَارِجِيَّة. على سبيل المثال: كانت فكرة نزع السلاح سابقاً معناها التَّخْلِي عن أهم وسيلة في السِّيَاسَةَ الخَارِجِيَّة".

وعلى هذا المستوى، يمكن الاستعانة بما قدّمه جيفري هارت (1) Jeffrey Peter Hart في مجال التنظير للقُوَّة؛ حيث اقترح ثلاثة توجُّهات لقياس القُوَّة؛ أولها السَّيْطَرَةُ على الموارد، وثانيها السَّيْطَرَةُ على الفواعل، وثالثها السَّيْطَرَةُ على الأحداث والمُخْرَجَات.

القُوَّةُ كقُدْرَةَ على التَّحَكُّم في الموارد:

هذا الاتجاه لقياس القُوَّة يركِّز على الموارد وامتلاكها وتوظيفها لإنتاج القُوَّة، بالتركيز على حجم النفقات العسكريَّة، القُوَّات المُسلَّحة، والإنتاج القوميّ وتعداد السُّكَّان، وما يتبعها من موارد تمتلكها الدول. وتُعتبر مؤشّرات لقُوَّة الدَّوْلَة تُستخدَم في الدَّرَاسَات الإمبريقية (2)؛ وذلك لأنها تمكّن الدارسين من ترتيب الدول بشكل مقبول، وعلى أساس مؤشّرات وعوامل مُحدّدة.

1. جيفري بيتر هارت Jeffrey Peter Hart ولد في (22 أبريل 1930م) كاتب أمريكيّ وناقد ثقافي، وأستاذ فخري في اللغة الإنجليزيَّة في كليَّة دارتموث. له العديد من المؤلَّفات. (Guide to the Papers of Jeffrey P. Hart, Dartmouth Library, available at: goo.gl/iEQL3d 1982- 2005).

2. الفلسفة التجريبيَّة أو الإمبريقية توجَّه فلسفي يؤمن بأن كامل المعرفة الإنسانيَّة تأتي بشكل رئيسي عن طريق الحواس والخبرة. تُنكر التجريبيَّة وجود أيَّة أفكار فطريَّة عند الإنسان أو أي معرفة سابقة للخبرة العمليَّة. أما مصطلح إمبريقية فيعبر عن الخبرة، والخبرة مصدرها الحواس، وبالتالي فإن المعرفة الإنسانيَّة تستمد شرعيَّتها من مرورها بهذه الحواس حتى تصبح بذلك قابلة للتحقُّق من صِحَّتها، ومفهوم الإمبريقية يدل عن كلِّ ما يتعلق بدراسة المجتمع الإنساني بالاحتكام إلى الواقع المحسوس، سواءً في اختيار المشكلة وجمع الحقائق أو تصنيف البيانات وتحليلها. انظر في ذلك: عقيل أمير، الفلسفة التجريبيَّة (الإمبريقية)، المشروع العراقي للترجمة، د. ت، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8zVBv2

ولذلك يمكن القول بأن أصحاب هذا الاتجاه يفترضون أن التَّحَكُّم في الموارد يُفْضِي بالضرورة إلى تحويلها لمصادر قُورَة فِعْلِيَّة تَتَحَكَّم في الفواعل والأحداث. مع الأخذ بالاعتبار إمكانية تضمين المصادر المَعْنَوِيَّة غير الملموسة: المهارات العَسْكَرِيَّة والقيادة، وتشكيل القُورَات العَسْكَرِيَّة إلى المصادر السالفة. وهذا يعطي صورة أشمل لقُورَة الدَّوْلَة وإمكانياتها؛ حيث إن دراسة رد فعل الدَّوْلَة في إطار هذه المصادر النُوعِيَّة، يعطي تصوُّراً أفضل لعمليَّة تحويل تلك المصادر وكَيْفِيَّة توجيها لخدمة المصالح القُومِيَّة. وينتقد هارت هذا الاتجاه، من جانب أنه لا يمكن الإقرار بقُدْرَة الدَّوْلَة على استخدام الموارد التي تقع تحت سيطرتها. كما أنه لا يمكن استخدام ذلك في فهم علاقات القُورَة في التحالفات والعمل الجماعي. فلا يمكن توصيف قُورَتِهِم بأنها تساوي مجموع المصادر الخاصَّة بالفواعل الدَّاخِلَة في تكوينه. مع الإشارة إلى اختلاف آراء المنظرين في هذا الصَّدَد. (1)

القُورَة كقُدْرَة في التَّحَكُّم في الفواعل:

يرتكز محور هذا الاتجاه في الفواعل، وكَيْفِيَّة التَّحَكُّم فيها، وفقاً لتعريف روبرت دال، وهو قُدْرَة الفاعل (أ) على التَّحَكُّم في الفاعل (ب)، وجعله يتصرَّف حسب ما يريد (2). وبالرَّغم من إمكانية تضمين الفواعل من غير الدول في هذا الاتجاه، إلا أنه يصعب وفقاً لهذا الاتجاه تفسير مدى استقلاليَّة هذه الفواعل عن الحكومات القُومِيَّة على مستوى ممارسة القُورَة.

وكذلك ينتقد هارت هذا الاتجاه، لقصوره عن التعامل مع العمل الجماعي أو التحالفات الجماعيَّة، بما أنه يُركِّز على القُورَة الشُّائِيَّة بين قطبين كمحور لدراسته. وهذا يتناقض

1. يَمْنَى سليمان، "القُورَة الذَّكِيَّة: المفهوم والأبعاد دراسة تأصيليَّة"، المعهد المصري للدراسات السِّيَاسِيَّة والاستراتيجيَّة، 12 يناير 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gyr2dw
2. حكيم غريب، طبيعة التَّحَوُّل في مفهوم القُورَة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، لينكدان، 24 سبتمبر 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xXZBT6

القُوَّةُ التَّرْكِيْبِيَّةُ النَّاعِمَةُ

مع طبيعة الوضع في السَّاحَةِ الدَّوْلِيَّةِ، وَالتِّي تَمِيلُ بِشَكْلِ كَبِيرٍ نَحْوَ التَّحَالُفَاتِ، الْعَمَلُ الْجَمَاعِي وَتَعَدُّدُ الْأَقْطَابِ. (1)

وِيرَى الْبَعْضُ أَنَّ مَفْهُومَ الْقُوَّةِ مَرْتَبِطٌ بِالْأَسَاسِ بِطَبِيعَةِ الْفَوَاعِلِ الْمُسْتَعْدَمَةِ لَهَا، أَوْ كَمَا قَالَ رِيْمُونُ أَرُونُ (2): إِنَّ الْخَاصِيَّةَ الْمُمَيِّزَةَ لِلْعَلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ هِيَ مَدَى قَانُونِيَّةٍ وَشَرْعِيَّةٍ اسْتِخْدَامِ الْقُوَّةِ مِنْ قَبْلِ الْفَاعِلِينَ.

لَقَدْ أَصْبَحَتِ الْفَوَاعِلُ الدَّوْلِيَّةُ إِذْنًا، تَتَمَتَّعُ بِالْقُوَّةِ وَالنُّفُوزِ بِمَقْدَارِ تَصَوُّرِهَا الْذَاتِي لَهَا، عَكْسُ مَا كَانَ حَاصِلًا فِي حِقَبِ تَارِيخِيَّةٍ مَاضِيَّةٍ، عِنْدَمَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ تُدْرِكُ حَجْمَ قُوَّتِهَا بِشَكْلِ انْعِكَاسِيٍّ بِمَقْدَارِ قُوَّةِ الْآخَرِينَ. وَمَرَدُّ هَذَا التَّحَوُّلِ هُوَ عَامِلُ الْمُتَغْيِرَاتِ وَالطَّبِيعَةِ الْجَدِيدَةِ لِلنِّزَاعَاتِ الدَّوْلِيَّةِ. فَمِنذُ النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، بَدَأَ الْعَالَمُ يَشْهَدُ تَرَاجُعًا فِي عِدَدِ النِّزَاعَاتِ بَيْنَ الدُّوَلِ، وَانْتَقَلَ التَّوَتُّرُ فِي الْمَقَابِلِ (النِّزَاعَاتِ) إِلَى دَاخِلِ الدُّوَلِ، وَهُوَ مَا قَلَّ مِنْ فُرْصِ مَعْرِفَةِ الدُّوَلِ لِبَعْضِهَا الْبَعْضَ، وَاخْتِبَارِ قُوَّتِهَا مِنْ خِلَالِ الْمَوَاجَهَةِ الْمُبَاشِرَةِ أَوْ النِّزَاعِ الْمُسَلَّحِ (3).

1. يَمْنَى سَلِيمَانَ، "الْقُوَّةُ الذَّكِيَّةُ: الْمَفْهُومُ وَالْأَبْعَادُ دَرَاْسَةُ تَأْصِيْلِيَّةٌ"، الْمَعْهَدُ الْمِصْرِيُّ لِلدَّرَاْسَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِسْتِرَاطِيَّةِ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ.
2. رِيْمُونُ أَرُونُ Raymond Aron فِيلْسُوفٌ وَعَالِمُ اجْتِمَاعٍ فَرَنْسِيٌّ، وُلِدَ فِي 14 أَدَارِ سَنَةِ 1905 مَ بِمَدِينَةِ بَارِيْسِ وَتُوفِيَ فِي سَنَةِ 1983 م. رَكَزَ فِي فِكْرِهِ عَلَى نَفْيِ مَا هُوَ خَارِجُ الْوُجُودِ الْمَادِيِّ وَمَا يَقَعُ خَارِجَ نِطَاقِ الْخَبْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَاهْتَمَّ كَذَلِكَ بِالْمَجْتَمَعِ الصَّنَاعِيِّ الْحَدِيثِ، وَرَأَى أَنَّ الْعَامِلَ الْأَسَاسِيَّ فِي حَرَكَةِ الْمَجْتَمَعَاتِ لَيْسَ هُوَ الصِّرَاعُ الطَّبِيعِيُّ فَحَسْبُ، بَلْ هُنَاكَ صِرَاعُ النِّظَمِ السِّيَاسِيَّةِ الَّذِي رَأَى أَنَّ تَأْثِيرَهُ أَكْثَرُ مِنْ الصِّرَاعِ الطَّبِيعِيِّ. كَمَا تَطَرَّقَ كَذَلِكَ فِي كِتَابَاتِهِ إِلَى الْعَلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ وَالتَّنَاقُضَاتِ الْفَلْسُفِيَّةِ وَالنِّوَاقِصِ فِي الدِيمُقْرَاطِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ. (Raymond Aron, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/).
3. جَدَلِيَّةُ الْقُوَّةِ فِي الْعَلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ، الْمَوْسُوعَةُ الْجَزَائِرِيَّةُ لِلدَّرَاْسَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِسْتِرَاطِيَّةِ، 4 مَارَسِ 2015 م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ: 30 يُولْيُو 2018 م، مَتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ التَّالِي: goo.gl/Wu53P6

القوة كقدرة على التحكم في الأحداث والمخرجات:

يعتمد هذا الاتجاه على نظرية الاختيار العقلاني لتفسير القوة، والتي تجعل من السيطرة على الموارد والسيطرة على الفواعل سبيلاً للوصول إلى مخرج معين. وتعرف المخرجات بنتاج الفعل الفردي أو الجماعي بشكل منفصل غير متداخل. ولكن الربط بين الأفعال والمخرجات يتم عن طريق خط وسيط بينهما. فكل فعل يؤدي إلى حدث، وكل حدث يفضي بالضرورة لمخرج واحد على الأقل، والمخرجات تؤثر على المنفعة العامة.

فالمنطق وراء هذا الاتجاه هو أنه لا يمكن فقط الاعتماد على المصادر كوسيلة لقياس القوة، فقد تتوافر المصادر ولا تستخدم ولا يمكن قياسها بالقدرة على السيطرة على الفواعل فقط؛ حيث إنها قد تشكل سيطرة لا تضيف شيئاً من ناحية المنفعة. ولكن هذا لا يعني الاستغناء عن الاتجاهين السابقين، ولكن الاستفادة منهما، عبر تضمينهما كخطوات ثانوية، تأتي في الإطار الأشمل، ألا وهو التحكم في المخرجات والوصول للمخرجات المطلوبة.

لذا نستخدم في خطة هذه الدراسة مقاربات الاتجاهات الثلاث معاً، بحيث ندرس المصادر المتاحة للفواعل المختلفة، يليها الانتقال للسياسات (الأفعال) التي قامت بها الفواعل، ثم تقييم أثرهم على المخرجات والنتائج.

المبحث الثاني

الأمن القومي..

ملاحقة التغيرات واستباق التطورات

مر مفهوم الأمن القومي بمرحلتين مهمتين نتيجة التطورات العالمية. ففي المرحلة الأولى، كان يُنظر إليه بالنظرة الاستراتيجية الضيقة المنحصرة في صد هجوم عسكري مُعاد، حماية الحدود من الغزو الخارجي، والمحافظة على الاستقلال الوطني. أما في المرحلة الثانية، فقد أُضيفت مهام جديدة أُلقيت على عاتق الدولة، التي صار لزاماً عليها تأمين مواطنيها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، ضد أخطار مُتعددة فرَضتها طبيعة العولمة والانفتاح اللامحدود على العصر الحديث.

وفي ظلّ انتهاء عصر العزلة، وشيوع فكر العولمة، تراجعت سيادة الدولة، وتناقصت استقلالية القرار الوطني لصالح قوى إقليمية أو دولية. إذ أضحت صناعة القرارات مثلاً، مسألة مشتركة بين السلطة الوطنية، وغيرها من السلطات الخارجية على غرار المنظمات الدولية. نفس الأمر ينطبق على القرارات الاقتصادية التي لم تعد حكراً على المسؤولين في الدولة. وخارج نطاق التأميم والسيادة والمؤسسات الوطنية؛ حيث تأثير وتدخل المؤسسات الخارجية كالبنك الدولي (1) ومُنظمة التجارة العالمية (2) وغيرها أضحى كبيراً، مما يُعدُّ انقاصاً من القرار السيادي، ومعه الأمن القومي أيضاً.

1. أنشئ البنك الدولي للإنشاء والتعمير سنة 1944م، في سياق الجهود الدولية المبذولة لإعادة بناء أوروبا المدمرة بفعل ويلات الحرب العالمية الثانية، ونمّ ضمه إلى المؤسسة الدولية للتنمية، وهي الصندوق المُختص بمساعدة أشد البلدان فقراً، ليشكلاً معاً البنك الدولي الحالي بأعضائه المساهمين البالغ عددهم 189 بلداً. ويعمل البنك الدولي للإنشاء والتعمير والمؤسسة الدولية للتنمية، مساهمين فيها بالتعاون مع جميع مؤسسات مجموعة البنك الدولي والقطاعين العام والخاص في البلدان النامية لإنهاء الفقر، وبناء الرخاء المشترك. للمزيد يُنظر: البنك الدولي، الموقع الرسمي للمؤسسة على شبكة الإنترنت، د. ت، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nnCXX9

2. مُنظمة عالمية مقرها مدينة جنيف بسويسرا، مهمتها الأساسية ضمان انسياب التجارة بأكثر قدر من السلاسة واليسر والحريّة. وهي المنظمة العالمية الوحيدة المختصة بالقوانين الدولية المعنية بالتجارة ما بين الدول. تضم منظمة التجارة العالمية 164 دولة عضو، إضافة إلى 200 دولة مراقبة حتى 1 أغسطس 2016م. (What is the WTO?, WTO, available at: goo.gl/iqZi75)

هكذا أصبحت مساحة التَّدخُّل الأجنبي في كثير من شؤون الدَّولة أكبر من أيِّ عصر مضى. واتَّخَذَتْ، في ظلِّ العولمة، صوراً مُتغيِّرةً وأساليب مُتجدِّدة. كما وفَّرت هامشَ تحرُّكٍ كبيرٍ بأدوار مُتعدِّدة لبعض التَّيارات الاجتماعيَّة والفكرية الجديدة، بما فيها مُنظَّمات المجتمع المدنيِّ المختلفة. ومع ظاهرة العنف والإرهاب اللتين برزتتا بأشكال جديدة خلال العقدين الأخيرين، تغيَّرت بدورها مفاهيم الأمن القوميِّ، بل وتجاوزت الحدود المرسومة للدول، فأصبح الأمن بالنسبة للولايات المتَّحدة مثلاً يمتدُّ إلى كُلِّ بقعة في العالم (1). ومن الجدير بالذكر أن موضوع الأمن القوميِّ يشغل جزءاً كبيراً من اهتمامات وأجندات حكومات الدول المتقدِّمة، والواعية سياسياً وأمنياً بمخاطر الحِقبة. يشاركها بالبحوث والمناقشات، الدارسون والخبراء في معاهد الدِّراسات الاستراتيجيَّة وغيرها، والداعون إلى إدخال عناصر جديدة، ضمن مفهوم الأمن القوميِّ، لمواكبة طبيعة العصر الذي يتغيَّر باستمرار، ومن ثمَّ يصبح التَّمسُّك بمفاهيم الأمن القوميِّ التَّقليديَّة، من دون إعادة نظر دقيقة فيها، بمثابة تجميد لقُدِّرات الدَّولة، وفرض حصار ذاتي على مستقبلها. وعلى سبيل المثال؛ فإن من الموضوعات ذات الأوَّلويَّة في المناقشات الدائرة حالياً في الولايات المتَّحدة، دراسة إمكانية اعتبار تغيُّر المناخ في العالم، ضمن تحديَّات الأمن القوميِّ (2)، لما يمكن أن تحمله هذه الظاهرة من تأثيرات سلبية على أمور كثيرة، كالاقتصاد، الزراعة، المياه والبيئة وغيرها. أي كُلِّ ما يمكن أن يمسَّ استمرار حياة الإنسان والحيوان والنبات (3).

1. عبدالمعطي زكي، "الأمن القومي قراءة في المفهوم والأبعاد"، المعهد المصري للدراسات السياسيَّة والاستراتيجيَّة، 9 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 8 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/66ZoWB
2. للمزيد حول هذا النقاش ينظر؛ نهاد محمود، جيل ترامب: لماذا انقسم الأمريكيون حول الانسحاب من اتفاقية المناخ؟، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدِّمة، أبوظبي، 5 يونيو 2017م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YytQMJ
3. يذكر أنه في أغسطس 2017م أبلغت وزارة الخارجة الأمريكيَّة الأمم المتَّحدة رسمياً أنها ستسحب من اتفاقية باريس للمناخ، لكنها تركت الباب مفتوحاً أمام إعادة الاشتراك إذا تحسَّنت الشروط بالنسبة للولايات المتَّحدة. يأتي هذا الانسحاب وفقاً لرؤية الرئيس الأمريكيِّ دونالد ترامب الذي يعتقد أن هذه الاتفاقية ستكُلف بلاده تريليونات الدولارات، وستتقضي على وظائف وتعرِّقل صناعات النفط والغاز والفحم والصناعات التحويليَّة. للمزيد يُنظر: الولايات المتَّحدة تنسحب رسمياً من اتفاقية باريس للمناخ، مونت كارلو الدوليَّة، 5 أغسطس 2017م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Bw7NwD

وبناءً عليه، فكل المناقشات التي تدور في نطاق الأمن القومي، تتمحور حول كيفية تعظيم قدرات الدولة، بعد أن تنوعت وتفاوتت درجات خطورة مصادر تهديد الأمن القومي، والتي استقرَّ التفكير عليها مباشرة بعد انتهاء الحرب الباردة، والتي تشمل الإرهاب، والجريمة المنظمة، والأوبئة، والكوارث الطبيعية، مع ملاحظة تفاقم الإرهاب على وجه الخصوص، وانتشاره كالعُدوى على المستوى العالمي، في إطار شبكات مُتَّصِلة أو منفصلة عن بعضها البعض في تهديد حقيقيٍّ لأمن المجتمعات والدول.

هذه التطورات المتلاحقة والمتفاقمة عجلت بالإسراع في حشد خبراء مُتَخَصِّصين في الأمن القومي، يُكوِّنون رصيماً فكرياً يعزِّزُ قُدرةَ الدولة على مواجهة مختلف التحدّيات في هذا الشأن. مع الإشارة إلى أن التقسيمات القديمة التي تفصل بين الأمن القومي والأمن الداخلي لم تُعدَّ صالحة لمواجهة تحديات عالم اليوم، بعد أن تشكلت مُنظَّمات مُتربِّصة في داخل الدولة تحمل لها شعارات العداة، أو تستهدفها بالسلاح وبجميع وسائل الدمار ونشر الفوضى، وبالتالي يصبح من المُهمِّ صياغة استراتيجيَّة للأمن القومي تجمع بين المعادلتين الاليتين.

وأمام تنوع وتطوُّر مصادر تهديد الأمن القومي، وبعد أن ثبت لدى كثير من الدول، أن قُدرةَ الدولة الاقتصادية، التي تملك مقوِّمات التَّنَافُسِ الإنتاجيِّ والإبداعيِّ والتكنولوجيِّ.. إلخ، قد صعدت إلى قِمَّةٍ مُتطلِّبات الأمن القومي للدولة، فإن هناك إعادة ترتيب لأولويات إدارة الدول - تحت ما يسمى كفاءة الحكومة - بالتركيِّز على ما يُعزِّز من أسباب التَّنَافُسِ، والقُدرة الاقتصادية، وتعبئة العناصر الوطنيَّة المُتخصِّصة والمتفوقَّة، في مجالات البحوث والكشوف العلميَّة، والتعليم المتطوُّر الذي يُبعث طاقات الإبداع لدى الدارسين، ويدفع بالدولة إلى صدارة أعضاء المجتمع الدوليِّ، كطَرَفٍ مؤثِّرٍ وفاعِلٍ.

وارتباطاً بهذه التوجُّهات، ظهر ما يوصف اليوم بالأمن القومي الاقتصاديِّ، وقيام الدول بربط أمنها القوميِّ بالأمن الاقتصاديِّ. وتلك نتيجة مستخلصة من رصد وتشخيص تجارب صعود دول صغيرة، تحوَّلت في أقلَّ من عشر سنوات إلى دول صاحبة اقتصادات قويَّة مُتقدِّمة؛ حيث أصبح الأمن القوميِّ الاقتصاديِّ البداية لنجاح أيِّ نظام حُكْمٍ.

خلاصة نجاح الدول الصاعدة في آسيا وأمريكا اللاتينية، نبّهت القوى الكبرى إلى خطورة هذا النهج في التفكير، بشأن الأمن القومي الاقتصادي. وهو ما ظهر على سبيل المثال قبل عامين في إعلان ما سُمي بـ "استراتيجية أوباما لتجديد أمريكا، ببناء الداخل" (1) والاعتراف بأن نجاح السياسة الخارجية، وشيوع نفوذ الدولة عالمياً، يتأسسان على متانة بنائها الداخلي.

لقد كانت مواجهة تحديات الأمن القومي للدولة تلقى على عاتق القدرة العسكرية في عصور سابقة. ولهذا كان من الطبيعي التركيز على القدرات العسكرية أكثر من غيرها. لكن في عصر المتغيرات المتلاحقة هذا، والذي أصبحت فيه المعرفة من أهم مقومات القوة، اعتماداً على توافر المعلومات، وكيفية استخدامها في الارتقاء بمقومات الدولة في الداخل والخارج، فإن التركيز لم يعد قائماً على القدرة العسكرية وحدها، كوسيلة لحماية الدولة، بل أولاً، بلورة رؤية استراتيجية شاملة، قادرة على تحريك الدماء في مختلف شرايين المجتمع بشكل متناسق في التعليم، والبحث العلمي، وترقية مهارات المواطنين، ورعايتهم صحياً، وتطوير مختلف المجالات الإنتاجية صناعية وزراعية.

إن العالم العربي ليس بمُعزّل عما يجري في العالم من تغيير وتطور وتجديد لمفهوم الأمن القومي، خاصة أن بعض مصادر التهديد أصبحت عابرة للحدود. ففي المجالات الأمنية، كان العالم العربي - ولا يزال - مُستهدفاً من أطراف خارجية، لتضاف إليها تيارات وتنظيمات الإرهاب التي ينعدم لديها معنى الوطن وحسّ الولاء له، بعد أن نفذ إلى داخل هذه المجتمعات العربية واستلب عقول الآلاف من شبابها (2).

أما الأمن القومي العربي في جانبه الاقتصادي كذلك، فيمكن أن يُحقّق قفزات أكبر وأوسع، في المجالات الإنتاجية التنافسية بمعاييرها المعاصرة.

1. عاطف العمري، "أولوية الأمن القومي الاقتصادي"، صحيفة الخليج الإماراتية، 18 يوليو 2012م، تاريخ الزيارة 21 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/1LCTg>
2. عاطف العمري، تغيّر مفهوم الأمن القومي، صحيفة الخليج الإماراتية، 13 أغسطس 2014م، تاريخ الزيارة 8 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/D9HN9L

إن مسألة حسابات الأمن والقوة إذن، باتت شاملة وموحدة لعناصر الجغرافيا والمعطيات البشرية والعسكرية، والاقتصادية والاجتماعية... إلخ، وبالتالي إخضاع قوة الدولة بشكل كامل للقياس والمقارنة بقوى نظيراتها الصديقة منها والعدوة، مع استخلاص النتائج المتوقعة إذا ما خاضت الدولة صراعاً مسلحاً أو حرباً شاملة ضد أعدائها، والتحسب لكل بعدٍ من أبعاد هذا الصراع، والذي يمكن أن يؤثر في قدرات الدولة كل على حدة، ثم بشكل شمولي، وبما يؤثر في النتائج النهائية للصراع (1).

استخدام القوة العسكرية.. التكلفة الاقتصادية والبشرية الباهظة:

لا يمكن إنكار أن لاستخدام القوة العسكرية العديد من الجوانب السلبية. ولعل ما يمكن الإشارة إليه هنا، هو زيادة التكلفة الاقتصادية والبشرية. فقبل أن تُفكر أي دولة في استخدام قوتها العسكرية ضد دولة أخرى، يجب أن تضع في اعتبارها ارتفاع التكاليف، سواء من حيث الناحية الاقتصادية أو البشرية. وقد اتفقت آراء العلماء والباحثين في قوة الدولة الشاملة والتوازنات الاستراتيجية على قياس التوازن العسكري منفرداً أو في إطار التوازن الاستراتيجي للقوى الشاملة، وذلك بعدة أساليب، لكل منها مزاياها وعيوبها.

وتنحصر هذه الأساليب في الآتي:

1. قياس حجم القوة البشرية العسكرية في القوات المسلحة: سواء العاملة أو بعد تعبئة الاحتياط.
2. قياس التوازن اعتماداً على مقارنة أعداد الأسلحة ومعدات القتال الرئيسة: سواء البرية منها (الدبابات، العربات المدرعة، المدفعية)، أو البحرية (سفن القتال والغواصات)، أو الجوية (طائرات القتال، والمروحيات الهجومية).

1. حسام الدين سويلم، "القوة الشاملة للدولة وكيفية حسابها"، مجلة البرية، القوات المسلحة السعودية، الرياض، دت، تاريخ الزيارة 8 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KK2XIT

3. قياس التوازن بمقارنة الإنفاق العسكريّ الذي تنفقه الدولة من دخلها القومي، بالإضافة إلى ذلك حجم المعونات العسكريّة الخارجيّة، والتي تُؤثّر بصورة مباشرة في حجم الإنفاق العسكريّ.

وهناك بعض مراكز الدّراسات والبحوث الاستراتيجيّة، مثل مركز جافي (1) للدراسات الاستراتيجيّة التابع لجامعة تل أبيب في إسرائيل، يُعالج الطريقة الثانية لقياس التوازن الاستراتيجيّ العسكريّ بمقارنة أسلحة ومعدّات القتال الرئيسيّة، بتقييم هذه الأسلحة إلى عدّة نوعيّات على النحو التالي:

1. أسلحة المواجهة المباشرة: وتشمل الأسلحة البريّة من دبّابات القتال الرئيسيّة، وعربات نقل الجند والقتال المدرّعة، وأسلحة المدفعية، وأسلحة الدّفاع الجويّ. والأسلحة البحريّة والجويّة القتاليّة المختلفة.
2. أسلحة ومعدّات الاستخدام والإسناد: وتشمل جميع أنواع الأسلحة والمعدّات التي يكون لها تأثير في التوازن العسكريّ، منها في الأسلحة البريّة، الأسلحة المضادّة للدبابات، خاصة الصواريخ المضادّة للدبابات الموجهة بحكّم فاعليّة تأثيرها في الحدّ من تأثير قوّة الصّدمة عند المدرّعات في الهجوم. ويدخل أيضاً أنواع الذخائر التي تُؤثّر في فاعليّة أسلحة المواجهة المباشرة مثل الذخائر الذكيّة دقيقة الإصابة، والموجهة بالليزر أو حراريّاً أو بأقمار صناعيّة، كما تشمل أيضاً المعدّات التي تعطي للسلاح ثقلًا في التوازن النوعي، وتأثيراً

1. مركز بحثي إسرائيلي يتبع جامعة تل أبيب، تأسّس في عام 1977م، بهدف إجراء البحوث الأساسيّة التي تلبّي أعلى المعايير الأكاديميّة في المسائل المتعلّقة بالأمن القومي الإسرائيلي والشؤون الأمنيّة الإقليميّة والدوليّة في الشرق الأوسط. إضافة إلى المساهمة في النقاش العام والمداوات الحكوميّة حول القضايا التي تهّم مباشرة أجندة الأمن القومي لإسرائيل. ويُعتبّر المركز مخزن المعلومات الأكاديمي الرئيس لدى إسرائيل، ويحتلّ المركز الأول بين مختلف مؤسّسات البحوث من حيث حجم اهتمامه بالشؤون الاستراتيجية المتعلّقة بإسرائيل. Jaffee Center for Strategic Studies (JCSS), NIRA's World Directory of Think Tanks, available at: goo.gl/udjntz

القوة التركيبية الناعمة

على التوازن الكمّي، مثل أنظمة إدارة النيران المتطورة، ومعدات تقدير المسافة بالليزر، وأنظمة الملاحة والتوجيه عبر الأقمار الصناعية GPS. أما بالنسبة للأسلحة البحرية، فيدخل ضمن أسلحة الاستخدام والمعاونة أنظمة الرادار والدفاع الجوي والصاروخي المزودة بها السفن الحربية، وسرعة ومدى عمل وتسليح هذه السفن، خاصة الصواريخ أرض / أرض. وبالنسبة للأسلحة الجوية، فهناك طائرات الإنذار المبكر والقيادة والسيطرة مثل طائرات أو اكس، E2C، وأضيفت لها الاستخبارات والكمبيوتر تحت اختصار C-4E. 3. أسلحة ذات قدرة مميزة، وتشمل الصواريخ الباليستية متوسطة وبعيدة المدى التي تطلق من منصات ثابتة أو متحركة، والمصممة لتصف أهداف في العمق الاستراتيجي للدول المعادية، وتطلق من الأرض أو من الجو أو من البحر. وغالبها موجه إما عبر الأقمار الصناعية، أو بالليزر أو أشعة تحت الحمراء، أو أي وسائل توجيه أخرى.

وعند إجراء المقارنة بين أسلحة ومعدات القتال ينبغي ألا يقتصر ذلك على المستوى الكمّي في المقارنة بين الدول، بل يجب أن يوضع في الاعتبار الفروق النوعية بين الأسلحة ومعدات القتال ومدى حداتها، وكذلك الثقل النيرانى للشكيلات الميدانية (الفرق المدرعة والميكانيكية والمشاة)، ومدى ما تتمتع به من خفة حركة ومعاونة نيرانية جوية. (1)

في عصرنا الحالي، وبعد تزايد القوة التدميرية للأسلحة عالية التكنولوجيا، بل وتزايد خطر الأسلحة الكيماوية والنووية، زيادة على آثارها السلبية، دفع ذلك الدول لتجسّب استخدام القوة العسكرية لحل النزاعات، وأصبحت تمثل آخر حل للدول. ليس هذا فحسب، بل إن زيادة نفقات القوة العسكرية وتكلفتها المادية على عاتق الدول قلل من

1. حسام الدين سويلم، "القوة الشاملة للدولة وكيفية حسابها"، مجلة البرية، القوات المسلحة السعودية، مرجع سابق.

اعتماد الدول عليها. بالإضافة إلى أن الرأي العام أصبح يرفض بشدة استخدام القوة العسكرية، وأصبح الحصول على موافقة الشعب والتأييد الجماهيري صعب المنال. ويرجع هذا التوجه للرأي العام إلى التكلفة البشرية التي يتكبدها هؤلاء جرأاً استخدام القوة العسكرية بالإضافة للخسائر الاقتصادية التي تؤثر على حياتهم اليومية.

كما أن الاعتماد المتبادل بين الدول في شؤون الاقتصاد والتجارة جعل من الصعب على الدول أن تلجأ للحروب التي تؤثر عليها اقتصادياً، ولعل هذا أحد أهم الأسباب التي تفسر التوجه الأوروبي والأمريكي تجاه الأزمة الأوكرانية (1)

علاوة على ذلك لم تصبح الهيمنة الدولية في عصر العولمة متمثلة في احتلال إقليم بالاعتماد على القوة العسكرية، وإنما احتلاله بالسيطرة على سياساته المالية والتجارية والاقتصادية، والهيمنة الثقافية والفكرية، وخلق التبعية الفكرية لا الإقليمية (2).

1. في نهاية عام 2013م بدأت احتجاجات شعبية في كييف للمطالبة بدخول أوكرانيا إلى الاتحاد الأوروبي بعد تعليق حكومة الرئيس فيكتور يانوكوفيتش، الموالي لروسيا، التوقيع على اتفاقية الشراكة مع الاتحاد. وقد ازدادت وتيرة هذه الاحتجاجات مع بداية 2014م، وأدت إلى مقتل العديد من المحتجين والقوى الحكومية، وفي ظل تلك الظروف صوت مجلس النواب الأوكراني على عزل الرئيس يانوكوفيتش في فبراير 2014م، قبل أن يلغي المجلس قانون اللغة للأقليات (والذي يشمل الروسية)، وتم إعلان اللغة الأوكرانية لغة رسمية وحيدة للبلاد. وقد رأت الأقلية الروسية التي تشكل غالبية سكان شبه جزيرة القرم أن خطوة إلغاء قانون اللغات هي دليل على أن المحتجين في كييف يحملون أجندة معادية لروسيا ولهم توجه عنصري. ومن ثم نظموا، خلال شهر مارس 2014م، استفتاء في القرم للانفصال عن أوكرانيا والانضمام لروسيا الاتحادية، جاءت نتيجة الاستفتاء لصالح الانضمام لروسيا بنسبة 95%. وتبدو أزمة أوكرانيا عام 2014م تجلياً تطبيقياً لمفهوم الردع الاستراتيجي الروسي؛ حيث عمدت موسكو إلى حشد جميع أدواتها الاستراتيجية بما فيها التدخل العسكري لمنع وقوع أوكرانيا في فلك حلف الناتو، والذي فشل في ردع روسيا عن ضم شبه جزيرة القرم وزعزعة الاستقرار في شرق أوكرانيا، ومن ثم نجحت روسيا في منع التكامل الأوكراني مع الغرب؛ من خلال تطبيق مفهوم الردع الاستراتيجي، في حين أن الولايات المتحدة الأمريكية ومن ورائها الناتو لم يكونا على استعداد للمخاطرة بتصعيد عسكري نيابة عن بلد لا ينتمي إلى حلف شمال الأطلسي حتى وإن كان هذا البلد مهماً لمد مظلة الحلف إلى حدود روسيا الغربية. للمزيد يُنظر: الثورة الأوكرانية 2014م، السياسي. كوم، 16 مارس 2015م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MY4X1r
 2. وانظر كذلك: مصطفى شفيق علام، الردع الاستراتيجي في العقيدة العسكرية الروسية، مجلة اتجاهات الأحداث، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبوظبي، عدد 19، يناير- فبراير 2017م.
2. Joseph S. Nye, Jr., "The Changing Nature of World Power", Political Science Quarterly, Vol. 105, No. 2 (Summer, 1990), pp. 177- 192, Published by: The Academy of Political Science, Stable URL: <http://www.jstor.org/stable/2151022>, P. 177- 180

المبحث الثالث

تغيرُ مصادر القوة..

بين التّصنيف والتّطوير

قبل أن نتحدث عن تغيّر مصادر القوة، وجب علينا في البداية التّطرّق لمصادر القوة نفسها، وهي التي يمكن تعريفها بالعناصر الممتلئة بالموارد العامّة للدولة، والتي يمكن أن تستخدمها الدّولة على المدى الطويل لامتلاك أو تطوير قدرات مُعيّنة تُستخدم في التّأثير، على غرار الموقع الجغرافي، عدد السّكان، الموارد الاقتصاديّة، القاعدة الصناعيّة، الإمكانيات العلميّة والتّكنولوجيّة، والقيم النّفافيّة (1).

وهناك أيضاً مصطلح قدرات القوة، وهي عناصر القوة التي تُمثّل قدرات محدّدة يمكن أن تستخدمها الدّولة مباشرة في عمليّة ممارسة التّأثير على المدى القصير؛ كالقوّات المسلّحة، والاحتياطيات النقديّة، والأدوات الدبلوماسية، وأجهزة الاستخبارات. فالجيوش عادةً ما تكون في وضع استعداد لاستخدام القوة المسلّحة في أيّ وقت تتعرّض فيه الدول للتهديد. وتمثّل هذه القدرات عموماً أدوات لقوّة الدّولة (2). فعلى الرّغم من صعوبة استخدامها كقاعدة في ممارسة التّأثير بشكل مباشر على المدى القصير، توجد بعض الاستثناءات بشأنها، إلّا أنها تُعتبر ذات أهميّة قصوى لقوّة الدّولة بصفة عامّة، لعدّة اعتبارات، أهمّها ما يلي:

1. تمثيل العامل الأساس في تحديد وزن الدّولة ضمن هيكل القوّة العالمي. فعلى الرّغم من الدور الحيويّ الذي تلعبه القدرات المُحدّدة (العسكريّة، الماليّة.. إلخ)

1. كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدّوليّة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كليّة العلوم

السّياسيّة، 1987م، ص 165.

2. كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدّوليّة، المرجع السابق.

- في تشكيل موقع الدولة على خريطة النظام السياسي الدولي، وعدم استناد تلك القدرات على موارد كبيرة يحد من تأثيراتها على هذا المستوى.
2. فتصنيف دول العالم إذن، إلى قوى عظمى، وقوى كبرى، ودول متوسطة القوة (قوى إقليمية كبيرة)، ودول صغيرة، يركز عادةً على أسس القوة ذات الطبيعة الثابتة نسبياً. فانهيار أسس قوة الاتحاد السوفيتي هبط بالدولة الوريثة (روسيا الاتحادية) من مصاف القوى العظمى إلى موقع الدول الكبرى، رغم امتلاكها قوة قتالية تزيد عن القوة القتالية الأمريكية⁽¹⁾. وامتلاك كل من الهند وباكستان لأسلحة نووية⁽²⁾، لم يحولهما من دول متوسطة القوة إلى قوى كبرى. وكذلك حيازة بعض دول جنوب شرق آسيا، أو الخليج العربي لقدرات اقتصادية أو مالية كبيرة لم يؤد إلى تعديل ترتيبها في هيكل القوة العالمي⁽³⁾.
3. طبيعة الموارد المتوافرة (الكم والكيف) لأي دولة هي التي تحدد طبيعة القدرات التي يمكنها امتلاكها، أو بعبارة أخرى نوعية أدوات القوة المتاحة لها، لكي تستخدمها في إدارة علاقاتها مع الآخرين، فدول مثل السلفادور أو موريتانيا، التي تمتلك إمكانيات محدودة، أو غير متطورة بدرجة معينة، لا يمكنها حتى لو أرادت أن تنتج أسلحة نووية تؤثر بها في الآخرين، أو أن تكون لديها شبكة إعلامية تغطي العالم، أو أن تبعثر عدة ملايين من الدولارات سنوياً كمعونات خارجية لسبب أو آخر. بعكس دول

1. يبلغ عدد قوات الولايات المتحدة الأمريكية (العامة والاحتياط) نحو 2.083.100 فرد، في حين يبلغ عدد قوات روسيا الاتحادية (العامة والاحتياط) نحو 3.586.128 فرد، وفقاً لتقديرات العام 2018م. للمزيد يُنظر: Global Firepower 2018
2. وفقاً لتقديرات تقريبية، فإن باكستان تمتلك 140 رأساً نووياً، في حين تمتلك الهند 130 رأساً نووياً. للمزيد يُنظر: "9 دول تمتلك أسلحة نووية في العالم.. تعرّف عليها"، بي بي سي عربي، 4 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/dwyJix
3. وفقاً لتقديرات العام 2018م، تحتل قطر، وهي دول عربية خليجية، المرتبة الأولى من حيث إجمالي الناتج المحلي لكل فرد، والذي يبلغ نحو 98.814 دولاراً سنوياً، في حين تحتل سنغافورة، وهي دولة صغيرة المساحة تقع في جنوب شرق آسيا، المرتبة الثالثة عالمياً من حيث إجمالي الناتج المحلي لكل فرد، والذي يبلغ 64.584 دولاراً سنوياً. للمزيد يُنظر: قطر الأولى.. الشعوب الـ10 الأكثر ثراءً في العالم، الخليج أونلاين، 12 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SCErH2

أخرى كفرنسا أو بريطانيا اللتين تمتلكان إمكانيات كبيرة تتيح لها بناء جيوش قُوَّة، وقواعد عسكريَّة خارج أراضيها، وامتلاك وسائل إعلام وبرامج معونات خَارِجِيَّة ذات تأثير. وإن كان توافر الموارد لا يتيح أوتوماتيكياً امتلاك القدرات، وهناك مُحدِّدات مختلفة تحيط بذلك، فالعلاقة هنا غير مباشرة، لكنها واضحة (1).

4. تأثيرات أُسس القُوَّة على علاقات القُوَّة بين أيِّ طرفين قد تكون حاسمة على المدى الطويل، بشروط مُعيَّنة ترتبط بالكَيْفِيَّة التي يَتِمُّ توظيفها بها. فقد تَمَكَّنَت القُوَّات الألمانية عام 1942م خلال الحرب العالميَّة الثانية من إلحاق الهزيمة بالقُوَّات الرُّوسِيَّة (2)، والتَّوَعَّلُ في أراضي روسيا، إلا أن اتَّسَاعَ وعمق مساحة روسيا ومُنَاخها قارس البرودة أدَّى إلى إرهاق القُوَّات الألمانية التي اضْطُرَّت للانسحاب تحت وطأة الضَّرَبَات غير النَّظَامِيَّة للقُوَّات الرُّوسِيَّة، كما كانت اليابان قد قامت بعمليَّة مفاجئة ضدَّ الولايات المتَّحدة عام 1941م، حطَّمت فيها الأسطول الأمريكيَّ في بيرل هاربور (3)؛ بحيث تَمَكَّنَت من السَّيْطَرَةِ الكاملة في منطقة

1. في هذا الإطار يُدكَر أن فرنسا وبريطانيا من الدول الكبرى دائمة العضويَّة في مجلس الأمن، وهما دولتان لهما تاريخ استعماري طويل خلال الحقبة الكولونياليَّة، وكان لكلِّ منهما مستعمرات واسعة فيما وراء البحار؛ في إفريقيا وآسيا والأمريكتين وحتى المناطق الجُزْريَّة بالمحيطات الكبرى، وهما حالياً من الاقتصاديات الدُولِيَّة الكبرى في العالم، وذلك بخلاف دول فقيرة أو أقلُّ ثراءً كموريتانيا والسلفادور، ليس لهما سابقة نفوذ على الصعيدين الإقليميّ والدُوليّ، وهما محدودتا الموارد والقدرات على صعيد مفردات القُوَّة بمفهومها الاستراتيجيّ الشامل.

2. كان ذلك قبل أن تتوَعَّلَ القُوَّات الألمانية صَوَّبَ مدينة ستالينجراد، لرمزيتها التاريخيَّة والأيديولوجيَّة، فتحوَّلت إلى إحدى المعارك الكبرى في التاريخ ونقطة تحوُّلٍ مفصليَّة في الحرب العالميَّة الثانية؛ دارت رحاها بين صيف 1942 وفتبرابر 1943م. انتهت المعركة باستسلام الجيش السادس الألماني، وشكَّلت بداية النهاية لتقدُّم ألمانيا في هذه الحرب العالميَّة الثانية، وفضت على تطلَّعات هتلر التوسعيَّة للسيطرة على كامل أوروبا. للمزيد يُنظر: "ستالينغراد.. معركة حاسمة بددت أحلام الرايخ الألماني"، الجزيرة نت، 27 سبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FD2r6N

3. الهجوم على بيرل هاربور هي غارة جويَّة مُباغتة نفَّذتها البحريَّة الإمبراطوريَّة اليابانيَّة في 7 ديسمبر 1941م على الأسطول الأمريكيَّ القابع في المحيط الهادي في قاعدته البحريَّة في ميناء بيرل هاربور بجزر هاواي، غيَّرَ هذا الحدث مجرى التاريخ وأرغم الولايات المتَّحدة على دخول الحرب العالميَّة الثانية. كانت تلك الضربة بمثابة ضربة وفائيَّة لإبعاد الأسطول الأمريكيَّ في المحيط الهادي عن الحرب التي كانت تخطُّط اليابان لشنَّها في جنوب شرق آسيا ضد بريطانيا وهولندا والولايات المتَّحدة.

Stetson Conn, Rose C. Engelman. Byron Fairchild, GUARDING THE UNITED STATES AND ITS OUTPOSTS. CENTER OF MILITARY HISTORY UNITED STATES ARMY, WASHINGTON, D.C., 2000, pp. 174- 196.

الهادي، واضطرت القوّات الأمرِيكيّة إلى إخلاء الظلمين، لكن خلال سنوات قليلة تمكّنت الولايات المتّحدة من إعادة بناء قوّتها العسكريّة، لتقوم باجتياح القوّات اليابانيّة، وهزيمة اليابان واحتلالها عام 1945م. (1)

إضافة إلى كلّ ذلك فإن بعض موارد القوّة يمكن أن تُستخدم مباشرة في التّأثير على سلوك الأطراف الأخرى كقُدّرات قوّة، والمثال الشهير على ذلك هو استخدام الدول العربيّة للبترول كسلاح، يُحظر تصديره إلى الدول الداعمة لإسرائيل خلال حرب أكتوبر 1973م (2)، في ظلّ ملامح معيّنة لأسواق البترول ومصادر الطّاقة خلال السبعينيّات، كما أن الدول يمكن أن تستخدم إمكانيّاتها الماليّة مباشرة في منح المساعدات الاقتصاديّة للدول الأخرى، فبعض الموارد الاقتصاديّة والماليّة تمثّل أسس قوّة وأدوات قوّة في الوقت نفسه. (3)

في هذا السّياق، فإنّ محاولة الحصر الدقيق للعناصر التي تُشكّل أسس القوّة لأية دولة تبدو أحياناً وكأنها مهمّة مستحيلة. فالدول تتكوّن من أرضٍ وشعبٍ وحكومة، ثم عنصر السّيادة التي يفترض على أساسه قُدرة الدوّلة على السّيطرة على ثرواتها ومواردها، وتعبئتها في الاتّجاهات التي تُحقّق مصالحها دون مؤثّرات خارجيّة هيكلية.

1. د. خليل حسين، القوّة وأثرها في الأحلاف الدوّليّة وصراعاتها، مجلة الدفاع الوطني اللبّانيّ، العدد 65، تموز 2008م، تاريخ الزيارة 17 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/feG4yr
2. رابع مواجهة عسكريّة بين الدول العربيّة وإسرائيل، بدأت الحرب في الساعة الثّانية من بعد ظهر يوم 6 أكتوبر 1973م، بتسقيق بين مصر وسوريا، وضغط مصري على الاتّحاد السّوفييتي لتعويض الأسلحة والمعدّات التي فقّدت في حرب 1967م، وكان من تبعاتها استعادة مصر لشبه جزيرة سيناء، وإقدام الرّئيس المصري أنور السادات على إبرام اتفاق سلام مع إسرائيل في العام 1979م، وخلال تلك الحرب وكورقة ضغط على الولايات المتّحدة الأمرِيكيّة والدول الداعمة لإسرائيل قرّرت الدول العربيّة المُصدّرة للنفط حَظر تصدير النفط لتلك الدول، وتخفيض الإنتاج الكليّ العربيّ من النفط بنسبة 5%. للمزيد يُنظر: حرب أكتوبر 1973، ذاكرة مصر المعاصرة، مكتبة الإسكندريّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7G7Muy
3. إيان رتلدج، العطش إلى النفط، الدار العربيّة للعلوم، بيروت، 2006م، ص ص 21- 23.

تَشَكُّلُ أُسُسِ القُوَّةِ القَوْمِيَّةِ للدولة استناداً على تفاعل العناصر الرئيسة الثلاثة؛ (الأرض، الشعب، الحكومة)، وهي العناصر التي تُحدِّد، مبدئياً، حجم الدولة من حيث الصَّغَر والكِبَر. فهناك دول صغيرة الحجم كغانا وسويسرا، ودول كبيرة الحجم كالولايات المتَّحدة والهند، بصرف النظر عن مستوى تقدُّم كلِّ دولة، إلا أن لكلِّ عنصر تعقيداته الخاصَّة، والتي يمكن الإشارة إليها كالآتي:

أولاً: الأرض:

ويُعبَّرُ عنها عادةً بالعامل الجُغرافي الذي اعتُبر من جانب الاستراتيجيين الأوائل أهم عوامل قُوَّة الدول، في ظلِّ ظروف عصورهم بالطبع، ويشتمل العامل الجُغرافي على عدَّة عناصر أساسية ذات أهميَّة واضحة بين كلِّ عناصر (أو موارد) قُوَّة أيِّ دولة، منها:

1. الموقع الجُغرافي:

فهناك دول تحتلُّ مواقع استراتيجيَّة مُتميِّزة على خريطة العالم مثل مصر (1)، بينما تقع دول أخرى في مناطق متطرفة معزولة كآيسلندا (2)، أو حبيسة كتشاد (3).

1. تقع جمهورية مصر العربيَّة في أقصى الشمال الشرقي من القارة الإفريقيَّة، ويحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الشرق البحر الأحمر، وتتبع معظم أراضيها قارة إفريقيا غير أن جزءاً من أراضيها وهي شبه جزيرة سيناء يقع في قارة آسيا. وهي نقطة التقاء قارات العالم القديم: آسيا وإفريقيا وأوروبا، وتتمتع بسواحل طويلة على البحرين الأبيض والأحمر، وتمتلك نحو 32 ميناءً بحرياً تمثل ثقلًا كبيراً في حركة التجارة العالميَّة، ومن خلال قناة السويس تمثل مصر همزة الوصل بين الشرق والغرب؛ حيث تقوم القناة بدور كبير في الحركة التجاريَّة الدوليَّة. للمزيد يُنظر: أهميَّة مصر الجيو- استراتيجيَّة، الجزيرة نت، 11 فبراير 2011م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/q4BUv4
2. آيسلندا هي جزيرة منعزلة في شمال المحيط الأطلسي، على حافة الدائرة القطبيَّة الشماليَّة، تقع في أقصى شمال القارة الأوروبيَّة، بين الجزر البريطانيَّة جزر جرينلاند. Iceland, CIA World Factbook, available at: goo.gl/rCMjWz
3. تقع تشاد في قلب الصحراء الكبرى الإفريقيَّة، وهي دولة حبيسة لا تتمتع بأيِّ سواحل بحريَّة، ومن ثمَّ تفتقر إلى الموقع الاستراتيجي والموانئ البحريَّة، يحدها السودان شرقاً، وليبيا شمالاً، والنيجر ونيجيريا والكاميرون غرباً، وإفريقيا الوسطى جنوباً. Chad, CIA World Factbook, available at: goo.gl/mxfxQb

وتبعاً للمقولات السائدة فإن مواقع الدول (مثل مواقع العقارات أو الشقق) تمثل عنصر قوة أساسية في تقييم وزنها (ثمنها)، خاصة إذا كانت تسيطر على ممرات مائية دولية رئيسة كقناة السويس، أو باب المندب، أو الدردنيل. ويرتبط بذلك أيضاً موقع الدولة بالنسبة للبحار والمحيطات، والذي يحدد طول سواحلها ومناظرها البحرية التي تتيح لها انفتاحاً على العالم وثروات بحرية إضافية، وكذلك موقعها الفلكي على خطوط الطول والعرض الذي يؤثر على مناخ الدولة الذي سادت بشأنه نظرية مثيرة في الماضي تربط بين المناخ الحار والتخلف، وبين المناخ البارد والتقدم. يُضاف إلى ذلك شكل وطبيعة حدود الدولة، وعدد وخصائص الدول المجاورة لها، وهو عنصر يؤثر بشدة في سياساتها وأمنها.

2. المساحة الجغرافية:

فهناك دول مترامية المساحة كروسيا الاتحادية (1) والبرازيل (2)، ودول صغيرة المساحة كالبجرين (3) وبلجيكا (4). وتفترض التحليلات التقليدية أن اتساع المساحة يعني قدرة الدولة على استيعاب أعداد أكبر من السكان، مع تزايد احتمالات وجود الثروات الطبيعية، وتمتع الدولة بعمق استراتيجي طبيعي، بما يدعم قوتها،

1. تبلغ مساحة روسيا الاتحادية أكثر من 17 مليون كيلو متراً مربعاً وتحديداً، 17.098.242 كم²، وهي تحتل المرتبة الأولى بين دول العالم من حيث المساحة.

(Russia, CIA World Factbook, available at: goo.gl/yiVeDN)

2. تبلغ مساحة البرازيل 8.515.770 كم²، وهي أكبر دول أمريكا اللاتينية، وسادس دولة في العالم من حيث المساحة. (Brazil. CIA World Factbook, available at: goo.gl/SJKzSF)

3. مملكة البحرين من أصغر دول العالم مساحة، بنحو 760 كم²، تحتل بها المرتبة 188 بين دول العالم. (Bahrain, CIA World Factbook, available at: goo.gl/uwvtsM)

4. تبلغ مساحة بلجيكا 30.528 كم²، تحتل بها المرتبة 141 على مستوى دول العالم. (Belgium, CIA World Factbook, available at: goo.gl/FtwQh3)

لكن ذلك ليس حتمياً في كل الأحوال؛ ففوق كندا في مناطق باردة يقلص من أهمية مساحتها (1)، وقد تتمتع دول صغيرة بموارد كبيرة كالكويت (2). كما أن شكل الدولة من حيث التضاريس الطبيعية (جبلية، سهلية)، أو الحدود الخارجية، أو كونها جزراً أو أقاليم قارية، يؤثر بشدة على أهمية المساحة، وي طرح تداعيات مُعقَّدة بالنسبة لقوة الدولة.

3. الموارد الاقتصادية:

فإقليم (أرض) الدولة يشمل ما تحت الأرض من موارد اقتصادية طبيعية، كمصادر الطاقة (البترو، الفحم، الغاز، المواد النووية)، أو ثروات معدنية (الحديد، والقصدير، والذهب)، إضافة إلى ما يوجد على سطح الأرض من تربة (ومصادر مياه) تتيح إنتاج الموارد الغذائية (كالقمح) أو الموارد الزراعية (كالقطن). ويشمل إقليم الدولة كذلك ما حول الأرض من مياه إقليمية في البحار والمحيطات، وامتداداتها تحت البحر (الجروف القارية) (3)، وتتمثل أهمية الموارد الاقتصادية فيما تتيحها للدولة من قدرات مالية تمثل عنصر قوة مزدوجاً (مورد + قدرة)، كما

1. على الرغم من احتلال كندا للمرتبة الثالثة بين دول العالم من حيث المساحة، بنحو 9.984.670 كم²، إلا أن الكثير من تلك المساحة الهائلة يقع في أجواء المنطقة المتجمدة المتاخمة للقطب الشمالي. (Canada, CIA World Factbook, available at: goo.gl/9VHBHc)
2. تحلّل الكويت المرتبة السادسة على مستوى العالم من حيث احتياطات النفط المؤكدة والتي تصل إلى 101.5 مليار برميل، في حين وصل إنتاج الكويت من النفط إلى 3.15 ملايين برميل يومياً، ووصلت قيمة صادرات الخام إلى 46.26 مليار دولار، وفقاً لتقديرات العام 2016م. للمزيد يُنظر: احتياطي النفط الكويتي السادس عالمياً، صحيفة القبس الكويتية، 13 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/T2yiFS
3. الجرف القاري هو الامتداد الفعلي والطبيعي، لقاع الأرض القارية داخل البحار والمحيطات، (الجزء الأرضي الغارق تحت سطح البحر). وقد حدّدت اتفاقية جنيف، المتعلقة بقانون البحار الجرف القاري، بمسافة 200 ميل عمق، فيما بعد البحر الإقليمي. وقد قرّرت الاتفاقية، كذلك أحقية الجزر في الجرف القاري. للمزيد يُنظر: ما هو الجرف القاري، الجزيرة نت، 15 نوفمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UgUPTA

أنها تُمثِّل الأساس المادِّي للنموِّ الاقتصاديِّ، والتبادل التجاريِّ في إطار الاقتصاد الدَّوْلِيِّ. وتتفاوت الدول بِشِدَّةٍ من حيث امتلاك أو عدم امتلاك مثل هذه الثروات، وتأثيراتها على قُوَّتِها في حالة وجودها أو عدم وجودها.

ثانياً: الشعب:

ويُعَبَّرُ عنه عادةً بالعامل الديموغرافي (أو البشريِّ) أو السُّكَّان، الَّذِي يُمثِّلُ وزناً جَوْهَرِيًّا بين أسس قُوَّةِ الدَّوْلَةِ؛ إذ إنه يُتيح لها قُوَّةَ العمل اللازمة لإدارة شؤونها، وتطوير اقتصادها، كما يتيح لها القُوَّةَ البَشَرِيَّةَ اللازمة لإمداد القُوَّات المُسلَّحة باحتياجاتها من الأفراد، وقد يمارس نمط القِيَمِ والثقافة السائدة فيه، وإرادته القَوْمِيَّةَ، أدواراً مباشرة كأدوات قُوَّةٍ تُؤثِّرُ في الشُّعُوب الأخرى. لكن ذلك كُلُّهُ يَتِمُّ في ظلِّ تبايناتٍ شديدةٍ في تَقْيِيمِ العلاقة بين العامل البَشَرِيِّ وقُوَّةِ الدَّوْلَةِ، بفعل المتغيِّرات الوسيطة لتلك العلاقة. ويشتمل هذا العامل على عناصر فرعيَّةٍ عديدة، أهمُّها:

1. عدد السُّكَّان:

وهو العامل الأكثر بروزاً ضمن عناصر القُوَّةِ البَشَرِيَّةِ، فهناك دول يزيد تعدادها عن مليار نسمة كالصين والهند(1)، ودول تعاني من نقصٍ حادٍّ في عدد السُّكَّان كدولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة(2)، مع تفاوتٍ نَسَبٍ نموِّ هذا العدد من دولة

1. يبلغ عدد سُكَّان الصين 1,379,302,771 نسمةً وفقاً لتقديرات منتصف العام 2017م تحلَّل بها المرتبة الأولى بين دول العالم من حيث عدد السُّكَّان، في حين يبلغ عدد سُكَّان الهند 1,281,935,911 نسمةً في المرتبة الثَّانية عالمياً. للمزيد يُنظر: CIA World Factbook, 2018.

2. وفقاً لتقديرات الأمم المتَّحدة والبنك الدَّوْلِيِّ فإن عدد سُكَّان دولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة قد بلغ نحو 9,440,045 نسمةً حتى منتصف عام 2017م؛ حيث يُشكِّل الوافدون أكثر من 88% من إجمالي السُّكَّان، وتأتي الإمارات في المرتبة 110 على مستوى دول العالم من حيث عدد السكان. للمزيد يُنظر:

United Arab Emirates, CIA World Factbook, Available at: goo.gl/bWxMHK

لأخرى، بين حالات ينمو سُكَّانُها بأسرع من قدرتها على الاستيعاب، وأخرى تتوازي فيها أعداد المواليد مع مُعدَّلات الوفيات، وفي بعض الحالات المثيرة يَبْجِه عدد السُّكَّان إلى النقصان.

وتتَّضح معالم هذا المؤشر أكثر بإضافة كثافة السُّكَّان إليه، أي نسبة عدد السُّكَّان إلى مساحة الدَّوْلَة القابلة للحياة فيها، وتكمن أهميَّة ذلك في أنه يُوضِّح حَجْم الضغط على الموارد، وشكل (نمط) الحياة في الدَّوْلَة، وتُشكِّل دول مثل بنجلاديش والهند والسويد والدانمارك (1) حالات صارخة لتفاوتات الكثافة، وإشكاليَّاتها المختلفة. وتبعا للمقولات التَّقْلِيدِيَّة الَّتِي تَقَلَّصَتْ أَهْمِيَّتُهَا في العصر الحديث؛ فإنه كلما زاد حجم السُّكَّان (وقَلَّتْ كثافتهم) كلما كان ذلك يدعم قُوَّة الدَّوْلَة عموماً.

2. توزيع السُّكَّان:

وهو عنصر رئيس تتحدَّد بناءً عليه (بمفهومه الواسع) القيمة الحقيقية لعدد السُّكَّان كمورد قُوَّة أساسي للدولة، ويتضمَّن عدداً لا حصر له من المؤشَّرات، منها التوزيع العمري للسكان، الذي يبيِّن قُوَّة العمل والوعاء التجنيدي في الدَّوْلَة، ومُعدَّلات الإعالة الاقتصادية في المجتمع، ويشير إلى بعض المشكلات السياسيَّة المحتملة. ومؤشَّر التوزيع الجغرافي للسُّكَّان على أقاليم أو مدن وأرياف الدَّوْلَة الذي يبيِّن مستويات التَّحَضُّر، وأوضاع المدن، وتحرُّكات السُّكَّان. ومؤشَّر التَّنوع العرقيِّ الدينيِّ لسكان الدَّوْلَة، فوجود مشكلات عرقيَّة أو حساسيات دينيَّة يُؤثِّر بشدَّة على التجانس الاجتماعيِّ، وقد يُعرِّض الدول لمشكلاتٍ حادَّة كما هو قائم في العراق، أو الجزائر،

1. يبلغ عدد سُكَّان بنجلاديش 157.826.578 نسمة في المرتبة الثامنة عالمياً، في حين يبلغ عدد سُكَّان الهند كما ذكرنا آنفاً 1.281.935.911 نسمة في المرتبة الثامنة عالمياً. أما سُكَّان السويد والدانمارك فيبلغ 9.960.487 نسمة للأولى، و5.605.948 نسمة للثانية، في المرتبتين الـ91 والـ116 عالمياً على الترتيب. للمزيد يُنظر: CIA World Factbook, 2018.

أو السودان، أو رواندا وبوروندي، أو منطقة البلقان، أو إندونيسيا، أو بريطانيا وكندا (1)، يضاف إلى ذلك التوزيعات الأخرى المتصلة بمؤشرات التنمية البشرية المختلفة من تعليم، وصحة، وخدمات، فهي التي توضح حالة السكان في الدولة. إن الربط بين عدد السكان وقوة الدولة ربط مجرد، كما هو واضح لا يفيد الكثير، والتأثير المحتمل للعامل السكاني كمورد قوة فعال يرتبط باعتبارات معقدة (أهمها مستوى التنمية البشرية) إلى درجة يصعب معها إصدار أحكام محددة، بعيداً عن ظروف كل دولة أو مجموعة من الدول المتشابهة على حدة. (2)

ثالثاً: النظام السياسي:

ويرتبط هذا العامل بالإطار السياسي المؤسسي الذي تتفاعل فيه أسس (موارد) القوة الأخرى للدولة، على نحو يمكن أن يُفْرَزَ أو لا يُفْرَزَ قُدْرَاتُ (أدوات) قُوَّةٍ مُؤَثَّرَةٍ؛ إذ إنه هو الذي يخلق النظام الذي يمكن في إطاره تحويل الموارد إلى قدرات، أو إهدار الموارد، المادية والبشرية وتبديدها. فدولة مثل روسيا الاتحادية تمتلك أسس قُوَّةٍ هائلة (مساحة،

1. تتنوع التركيبة السكانية في العراق على الصعيد العرقي، ما بين عرب بنسبة 75%، وكرد بنسبة 15%، والباقيون من عرقيات مختلفة أبرزها التركمان والفرس. أما الجزائر فإن غالبية سكانها من العرب والأمازيغ بنحو 99%، ولكن من دون وجود تقديرات دقيقة لنسبة الأمازيغ في التركيبة السكانية للبلاد لاعتبارات سياسية. في حين تتكون التركيبة السكانية للشعب السوداني من نحو 70% من العرب، والباقيون عرقيات أخرى أبرزها: الفور والباجا والنوبة والفلاته. أما رواندا وبوروندي فهما خليط عرقي من الهوتو والتوتسي والتوا. أما منطقة البلقان التي تضمّ دول: صربيا، وكرواتيا، والبوسنة والهرسك، ومقدونيا، والجبل الأسود، التي كانت تُكوّن جمهورية يوغوسلافيا السابقة، إلى جانب ألبانيا، فهي خليط من عرقيات مختلفة: كروات وصرب وألبان ويونانيون، وديانات مختلفة، كاثوليك وأرثوذكس ومسلمون، وغير ذلك. في حين أن إندونيسيا خليط من عرقيات مختلفة أبرزها: الجاويون والسنديون والمديريون والملايو، وغيرها من العرقيات الأخرى. وأخيراً بريطانيا المنقسمة عرقياً ما بين بيض وأفارقة وآسيويين من الهند وباكستان وبنجلاديش وغيرهم، وحتى البيض الأوروبيين فإنهم منقسمون إلى سكوتلاند وويلزيين وأيرلنديين وإنجليز. للمزيد من التفصيل حول التركيبة السكانية لتلك الدول يُنظر: CIA World Factbook, 2018.

2. مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، عوامل قُوَّة الدولة، 7 نوفمبر 2007م، تاريخ الزيارة 17 يوليو 2017م،

النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/iiUC3>

سكان، موارد، خبرات، ثقافة) تمكّنها من أن تكون قوّة عظمى متكاملة، إلا أن سلبيات النظام السياسي قد أدت إلى تحوّلها لدولة تعاني من مشكلات واختلالات مزمنة، إضافة إلى ما يمثّله جهاز الدولة ذاته (بمؤسّساته الدبلوماسية، والثقافية، والأمنية) من أدوات قوّة تُمارس تأثيراتها مباشرة على الساحات الإقليمية والدولية لتحقيق مصالح الدولة (1). وقد قدّمت دراسات تحليل القوّة مؤشّرات مختلفة بشأن العناصر المرتبطة بقدرّة النظام السياسي، سواء أكان يتمّ النظر إليها، كمُتغيّرات وسيطة تحكّم عملية تحويل الموارد إلى أشكال وأنماط جديدة لعناصر قوّة الدولة، أو كعناصر قدرّة مستقلّة تُضاف (كأدوات) إلى إمكانيّات الدولة. لكن يمكن الاقتصار على رصد ما يلي:

1. استقرار النظم السياسيّة:

فهنالك نظم سياسيّة غير مُستقرّة، بمستويات أدت إلى انهيار هيكل السُلطة المركزيّة، وتفكّك الدولة في بعض الأحيان (يوغوسلافيا (2)، الصومال (3))، أو

1. كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدوليّة، مرجع سابق، ص ص 168-173.
2. تفكّكت يوغوسلافيا الاتّحادية عقب انهيار الاتّحاد السوفيتي مطلع تسعينيات القرن الماضي، بعد سلسلة من الحروب بين مكوّناتها العرقية؛ حيث انفصلت سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة ومقدونيا، في حين بقيت صربيا والجبل الأسود ضمن جمهورية يوغسلافيا الفدرالية التي أعلنت 1992م. وفي عام 1998م بدأت جمهورية الجبل الأسود تضع عينها على الاستقلال، وسرعان ما نأت بنفسها عن صربيا، غير أن الضغوط التي مارسها بلجراد والاتّحاد الأوروبي أجبرتها على الموافقة عام 2003م على الدخول في تجربة للمصالحة أُطلق عليها اسم اتّحاد صربيا والجبل الأسود. بيّد أن هذه التجربة انتهت باستفتاء شعبي لسكان الجبل الأسود أعطاهم الاستقلال في يونيو حزيران 2006م. للمزيد يُنظر: يوغسلافيا البلد الذي غير اسمه سبع مرّات، الجزيرة نت، 29 يناير 2008م، تاريخ الزيارة: 31 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jqVBdV
3. شهدت الصومال حرباً أهليّة في العام 1991م، أسفرت عن تفكّك الدولة المركزيّة بشكل شبه كامل؛ إذ أعلن شمال الصومال انفصاله باسم دولة أرض الصومال سنة 1992م، وانفصل إقليم آخر تحت اسم دولة بونت صومال، في حين حوّلت الحرب القبليّة جنوب الصومال إلى مجموعة من إمارات الحرب التي تتنازعها قوى قبليّة وإسلاميّة، التي بصنّف بعضها تحت خانة الإرهاب كحركة الشباب المجاهدين. للمزيد يُنظر: علي عبيد، الصومال من الدولة إلى القبيلة، البيان الإماراتيّة، 30 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Nem1sl

تَجَرُّ العُنْفُ المُسَلَّحَ داخل الدَّوْلَةَ لفترة طويلة (أفغانستان(1))، ونُظْمُ سِيَّاسِيَّةٍ تملك مُؤَسَّسات مُسْتَمِرَّةً تَكْفُلُ إدارة العَمَلِيَّةِ السِّيَّاسِيَّةِ داخل الدَّوْلَةَ دون مشكلات قائمة أو محتملة، وتتيح اتِّخَاذَ القرارات على أُسُسٍ تَتَّسِمُ بالعقلانيَّةِ وَفُقُ قواعِدٍ مُحدَّدة، كمعظم النُّظُمِ السِّيَّاسِيَّةِ في أوروبا العَرَبِيَّةِ.

2. أداء النُّظُمِ السِّيَّاسِيَّةِ:

ويرتبط هذا العنصر بكفاءة النُّظَامِ السِّيَّاسِيِّ في إدارة شؤون الدَّوْلَةَ، وامتلاكه الكوادر التنظيمية والمهارة الفنيَّة اللازمة لتعبئة واستخدام الموارد الأساسيَّة لصالح المجتمع، بدءاً بجمع الضرائب، مروراً بتطوير الاقتصاد، وتحديث القُوَّات المُسلَّحة، وصولاً إلى إدارة السِّيَّاسَةِ الخَارِجِيَّةِ، فهناك دولٌ تفتقر إلى الموارد كاليابان(2) التي تَمَكَّنَتْ من تعويض النقص عبر تطوير المهارات التنظيمية والفنية، والحالات العكسيَّة تشمل معظم دول جنوب العالم.

وتركِّز تحليلات عديدة على عنصر تَعَبْرُهُ شديد الأهميَّة، وهو التأييد السَّعْبِيُّ للنظام الذي يُمَثِّلُ سبباً ونتيجة (مع اختلاف النَّسَب) في علاقته بالاستقرار والأداء السِّيَّاسِيِّينَ،

1. منذ نهاية السبعينيَّات من القرن الماضي تعيش أفغانستان في سلسلة لا نهائية من الحروب والصراعات المُسلَّحة، بدأت مع غزو الاتحاد السُوفِيَّيِّ لكابول حتى خروجه منها نهاية ثمانينيَّات القرن الماضي، ثم دخول البلاد في مرحلة الحرب الأهلية منذ نهاية حُكْمِ نجيب الله وحتى ظهور حركة طالبان، ثم فترة حُكْمِ طالبان التي استمرَّت منذ منتصف التسعينيَّات وحتى الغزو الأمريكي لأفغانستان في عام 2001م، ولا يزال الصِّراعُ مُسْتَمِرّاً في أفغانستان حتَّى الآن بين حركة طالبان والحكومة المدعومة من الولايات المتَّحدة وحلف الناتو. للمزيد يُنظَر: حقائق عن أفغانستان، بي بي سي عربي، 24 يوليو 2017م، تاريخ الزيارة: 31 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/2CTGTL

2. على الرَّعْمِ من كون اليابان ثالث أكبر اقتصاد في العالم، وثالث أكبر اقتصاد "صناعي"، بعد الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة والصين، إلا أنها تفتقر إلى الموارد الطبيعيَّة اللازمة لتأمين استمراريَّة إنتاجها الصناعي والتكنولوجي؛ حيث تُعدُّ اليابان أكبر مستورد للغاز الطبيعي المسال في العالم، وثاني أكبر مستورد للفحم، وثالث أكبر مستورد للمنتجات النفطية والنفط الخام في العالم. للمزيد يُنظَر: جمال عبدالله وناصر التميمي، العلاقات الخليجية- اليابانية: ماذا بعد الطاقة؟، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 26 أكتوبر 2015، تاريخ الزيارة: 31 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/B5hE8r

القوة التركيبية الناعمة

ويمثل كذلك مورد قوة في الوقت نفسه، فالنظم السياسية بدون غطاء شعبي تصبح في مهب الريح (1).

وهكذا، فإن موارد القوة تمثل عنصراً رئيساً للقوة الوطنية، لكن مشكلتها هي أن تأثيراتها لا تسير في اتجاه واحد، كما أن تحويلها إلى أدوات قوة يتوقف على عوامل مختلفة، وبالتالي فإنها تمثل في الغالب قاعدة لقوة الدولة؛ حيث يتم النظر إليها كأساس يمكن استناداً عليه تحويل القوة الكامنة بدرجة أكبر أو أقل إلى قوة فعلية، إضافة إلى ما تقدمه أحياناً من تفسيرات جزئية لعملية التأثير في حالات عديدة. (2)

وفي هذا الشأن نجد أن جوزيف ناي قد أشار لتغير مصادر القوة؛ حيث أصبحت التكنولوجيا والعلوم والتعليم مصادر جديدة للقوة. بالإضافة إلى أن القوة الاقتصادية والدبلوماسية للدولة أصبحت ذات أهمية كبيرة لتحديد قوة الدولة وقدرتها على التأثير في الساحة الدولية. بل إن الاعتماد على هذه المصادر الجديدة أصبح أقل تكلفة من الاعتماد على القوة العسكرية من عدة نواحي؛ كما سبق ذكرها.

وكنتيجة لذلك تغيرت الاستراتيجيات الدولية وحسابات كل دولة فتحوّل الوضع من رغبة كل دولة في زيادة قوتها على حساب غيرها إلى التعاون مع غيرها لزيادة قوتها

1. من الأمثلة الجلية في هذا الإطار دور الشعب التركي في إجهاد المحاولة الانقلابية التي جرت في منتصف العام 2016م، من مؤيدين للرئيس أردوغان تأكيداً لشعبيته الكبيرة وسياسات ونجاحات حكومة العدالة والتنمية، وكذلك من معارضين له لكنهم مع التنمية والاستقرار ويرفضون تدخل الجيش من جديد في تحديد مصير الحياة السياسية في تركيا. ويأتي هذا التأييد الشعبي للرئيس أردوغان وحكومته، لما لمسّه الشعب التركي من إنجازات سياسية واقتصادية أسفرت عن نهضة حقيقية في مجالات الاستقرار والأمن السياسي والاقتصادي والاجتماعي في تركيا، إضافة إلى الدور والمكانة الإقليمية والدولية التي وصلت إليها تركيا خلال العقدين الماضيين.

2. مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، عوامل قوة الدولة، 7 نوفمبر 2007م، تاريخ الزيارة 17 يوليو 2017م،

النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/iiUC3>

وتعظيم منفعتها، والاستفادة من هذا التعاون في التغلّب على التّحدّيات التي تواجهها، والتي لا تستطيع أن تواجهها منفردة. (1)

تغيّر الفواعل في السّياسة العالميّة

ظهرت فواعل جديدة إلى جانب الدّولة الوطنيّة، وهي التي أصبح لها قوّة اقتصاديّة وسياسيّة وثقافيّة، بل وعسكريّة أحياناً. وأصبحت هذه الفواعل لها القُدرة على التأثير على الحكومات وعلى السّياسة الدّوليّة بشكلٍ عامّ. فهي تمارس ضغطاً على الحكومات من الناحية الاقتصاديّة، بسحب البسّاط من الدّولة القوميّة، وامتلاك الكلمة العليا في تحديد مجريات الأمور في الشؤون الاقتصاديّة والماليّة والتّجاريّة. بل إنها استطاعت أن تلعب دوراً كبيراً في الضغط على الحكومات والبرلمانات لتمرير سياسات معيّنة تخدم مصالحها. ولعلّ ما استدلّ به مانفريد ستيجر (2) للإشارة إلى أن هذه الفواعل أصبحت لها القُدرة الأكبر على منافسة الدّولة القوميّة بشدّة، في الشؤون الاقتصاديّة والسّياسيّة، هو معطى أنّه من بين 100 إجمالي ناتج قومي أو ربح تُحقّقه الفواعل، نجد أن نسبة 42% تستحوذ عليها فواعل غير دّوليّة من شركات مُتعدّدة الجنسيّات وغيرها. (3)

ولم يقتصر هذا على البُعدين الاقتصاديّ والسّياسيّ، بل شَمَلَ البُعد الثقافيّ، وقد كان للإعلام العالميّ أثره الكبير في ذلك. إذ استطاع أن يُغيّر موازين القوى في عددٍ من الأمور. فهؤلاء الذين يَنحَكِّمون في مجريات الأمور بالنسبة للإعلام العالميّ هم فواعل من غير الدول.

1. Joseph S. Nye, Jr., "The Changing Nature of World Power", Political Science Quarterly, Vol. 105, No. 2 (Summer, 1990), pp. 177- 192, Published by: The Academy of Political Science, Stable URL: <http://www.jstor.org/stable/2151022>, P. 179- 180

2. مانفريد ستيجر ولد في عام 1961م وهو أستاذ بجامعة هاواي في مانوا. وكان أيضاً أستاذاً للدراسات العالميّة ومدير مركز أبحاث العولمة في جامعة RMIT في أستراليا حتى عام 2013م.

Professor Manfred B. Steger, The Institute for Culture and Society researches transformations, Western Sydney University, available at: goo.gl/b2p2kH

3. Manfred Steger, Globalization: A very short introduction, Oxford University Press, 2009, pp. 49- 53

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وامتدَّ كذلك هذا التأثير إلى الجماعات المُسلَّحة الَّتِي امتلكت القُوَّة العسْكَرِيَّة هي الأخرى، وأقرب مثال على ما ورد، تنامي دور ما عُرِفَ اختصاراً بداعش أو ما يسمَّى الدَّوْلَةُ الإِسْلَامِيَّةُ فِي العِراق والشام (1)، وسابقتها تنظيم القاعدة، وغيرها من المُنظَّمات الَّتِي امتلكت القُوَّة العسْكَرِيَّة. (2)

وبالطبع أدَّى هذا كله إلى التأثير على دور القُوَّة العسْكَرِيَّة للدول كمحدد لِقُوَّتِهَا وتأثيرها الدَّوْلِي. وأبرز مثال على ذلك هو صعود قُوَى كبرى، لم تكن عسْكَرِيَّة بالأساس. ونقصد بها اليابان وألمانيا والصين (3). فكان اعتمادها الجانب الإقْتِصَادِيَّ بالأساس، للصعود إلى مصافِّ الدول الكبرى (4).

وختاماً، فإنه بالرغم من وجود كلِّ هذه العوامل الَّتِي أدَّت إلى تراجُع دور القُوَّة العسْكَرِيَّة، إلَّا أنه لا يمكن إغناء أهمِّيَّة القُوَّة العسْكَرِيَّة، ولا القول بتلاشي دورها أو عدم وجود فائدة منها كمحدد للقُوَّة. فلا تزال القُوَّة العسْكَرِيَّة حتى يومنا هذا أحد أهم مُحدِّدات القُوَى الدَّوْلِيَّة، ولكن كلُّ ما في الأمر هو أنها لم تُعدَّ هي المصدر الوحيد للقُوَّة كما كان الأمر في السابق. بل تحوَّلت إلى أحد العناصر والمصادر المُهمَّة للقُوَّة إلى جانب أخريات. فلا يمكن لأداء الدول إقْتِصَادِيَّاً وسياسِيَّاً أن يكون جيِّداً، دون توفير بيئة أمنيَّة مُستقرَّة. ولكنها تحتاج إلى المزج بينها وبين المصادر الجديدة للقُوَّة.

1. خرج تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، "داعش"، من رحم جماعة جهاديَّة عراقية، هي الدولة الإسلامية في العراق، التي انتقلت إلى سوريا خلال المراحل الأولى للأزمة السوريَّة عام 2011م، وفي 9 مايو 2013م أُعلن عن اندماج تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق" وفرع القاعدة في سوريا؛ "جبهة النصرة"، بزعامة أبي محمد الجولاني، لتشكيل تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام". للمزيد يُنظر: تنظيم "الدولة الإسلامية": كيف بدأ وإلى أين انتهى، بي بي سي عربي، 29 يونيو 2017م، تاريخ الزيارة: 31 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LWBw5C
2. Manfred Steger, "Globalization: A very short introduction", Op.Cit, pp. 78- 79
3. وفقاً لتقديرات العام 2017م، يحتلُّ الاقتصاد الأمريكيَّ المركز الأول عالمياً، يليه اقتصادات: الصين واليابان وألمانيا على الترتيب. للمزيد: الاقتصادات الأقوى عالمياً في 2030، صحيفة العربي الجديد، 10 فبراير 2017م، تاريخ الزيارة: 31 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GbD6zF
4. سماح عبدالصبور، القُوَّة الذكيَّة في السياسة الخارجِيَّة: دراسة في أدوات السياسة الخارجِيَّة الإيرانيَّة تجاه لبنان منذ 2005م، رسالة مُقدِّمة لتبليغ درجة الماجستير، كليَّة الاقتصاد والعلوم السياسيَّة، جامعة القاهرة، 2013م.

الفصل الخامس

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

- مقدمة
 - نظرية العثمانية الجديدة
 - ”العُثمانيَّةُ الجديدة“ .. ما لها وما عليها
 - كيف هُوِجِمَت ”العُثمانيَّةُ الجديدة“؟
- المبحث الأول: **القُوَّةُ الصَّلْبَةُ التُّرْكِيَّةُ.. الأبعاد والتداعيات**
 - عوامل التحوُّل التُّرْكِيَّ من القُوَّةِ الناعمة إلى القُوَّةِ الصلبة
 - القواعد العسكرية التُّرْكِيَّةُ في الخارج
 - العمليات العسكرية التُّرْكِيَّةُ في الخارج
 - انتشار وحدات من الجيش التُّرْكِيَّ خارج الحدود التُّرْكِيَّةُ
 - إدارة تركيا للملف الكردي
 - تركيا في القرن الإفريقي
- **القُوَّةُ النَّاعِمَةُ التُّرْكِيَّةُ.. تَحَوُّلَاتٌ عَرَبِيَّةٌ فِي الْمِيزَانِ**
 - العلاقات التُّرْكِيَّةُ - السُّورِيَّةُ، إرهابات الحرب بين تركيا وسوريا في العام 1999م
 - العلاقات التُّرْكِيَّةُ - السُّورِيَّةُ إبَّان أزمة عبد الله أوجلان
 - تفسير المشكلات مع سوريا بعد العام 2002م
 - أسباب وصور التَّدخُّلِ التُّرْكِيَّ في سوريا بعد العام 2011م
- المبحث الثاني: **القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ حَوْلَ الْعَالَمِ**
 - أولاً: تركيا في الشرق الأوسط

- ثانياً: تركيا في العالم العربي
- ثالثاً: تركيا في العالم الإسلامي
- رابعاً: تركيا في إفريقيا
- « القوة الناعمة والدبلوماسية التركية في إفريقيا
- « أدوات القوة التركية الناعمة في الصومال
- خامساً: تركيا في القوقاز وآسيا الوسطى
- سادساً: تركيا في دول البلقان
- سابعاً: تركيا في أمريكا اللاتينية

• **المبحث الثالث: أحمد داود أوغلو مهندس القوة التركية الناعمة**

- السياسي القادم من خارج البرلمان
- تأثير داود أوغلو في قوة تركيا الناعمة
- مهندس السياسة الخارجية التركية
- أوغلو ونظرية العمق الاستراتيجي
- أبرز أفكار أوغلو ورؤاه
- الملامح السياسية لتركيا في عهد أوغلو
- عوامل ساعدت أوغلو على تنفيذ رؤاه

الفصل الخامس

القوة التركيبية الناعمة

مقدمة

إذا كان أحمد داود أوغلو (1) Ahmet Davutoglu وزير شؤون خارجية تركيا السابق، قد تمسك إلى أبعد مدى ممكن بدبلوماسية "صفر مشاكل" مع الجوار والمحيط، فإن السياسة الخارجية لبلده وجدت نفسها منذ عام 2011م، معنية بالهزات العنيفة التي ضربت المنطقة، والبدائية كانت مع تفجر الأزمة السورية، التي تجاوزت تركيا بشريط حدودي يفوق الـ 800 كلم. وزاد التناقض الذي يطبع دبلوماسية تركيا

1. وُلِدَ أحمد داود أوغلو في 26 شباط (فبراير) 1959م في قونيا وَسَط تركيا. أكملَ دراسته الثانوية في المدرسة الألمانية الدولية في إسطنبول، ثم تخرَّج سنة 1983م من كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية من جامعة البوسفور في تخصصي الاقتصاد والعلوم السياسية. نال شهادة الماجستير في الإدارة العامة، والدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من الجامعة ذاتها. عمل بدايةً من العام 1990م، أستاذاً مساعداً في الجامعة الإسلامية الدولية في ماليزيا، التي أسس فيها وترأس قسم العلوم السياسية إلى العام 1993م، وعمل من بعدها أستاذاً مشاركاً. وبين العام 1995م والعام 1999م، قام بالتدريس في معاهد ومؤسسات تابعة لجامعة مرمره، وهي معهد دراسات الشرق الأوسط، ومعهد البنوك والتأمينات، وبرنامج الدكتوراه في قسم الإدارة المحلية والعلوم السياسية، وسُغِّل في الفترة ما بين العام 1998م والعام 2002م منصب متحدث زائر في الأكاديمية العسكرية وأكاديمية الحرب. بعد انتخابات 2002م، عُيِّن كبير مستشاري رئيس الوزراء آنذاك والرئيس الحالي رجب طيب أردوغان، ثم أُسند إليه منصب سفير متجول في العام 2003م. تولى في الأول من أيار (مايو) 2009م منصب وزير الخارجية في الحكومة الستين لجمهورية تركيا. كان واحداً من أبرز من ناب عن الحكومة التركية خلال الدبلوماسية الموكببة للتسوية بين إسرائيل وقطاع غزة في العام 2008م، وتدرج في مناصب مرموقة حتى شغل منصب رئيس الوزراء ورئيس حزب العدالة والتنمية في العام 2014م. نشر داود أوغلو، العديد من الكتب والمقالات في السياسة الخارجية باللغتين التركية والإنكليزية، وترجمت مؤلفاته إلى العديد من اللغات كالعربية واليابانية والبرتغالية والروسية والفارسية والألمانية. اختارته مجلة "فورين بوليسي" في العام 2010م ضمن أهم مائة مفكر في العالم، باعتباره أحد أهم العقول التي تقف وراء نهضة تركيا الحديثة. ابتكر أحمد داود أوغلو استراتيجية تركية لخصها بعبارة "صفر مشاكل" مع الدول التي لها مشاكل مع أنقرة، وهي بمثابة إعلان عن دخول الدبلوماسية التركية مرحلة جديدة تعمل على الخروج من المشاكل الإقليمية، والانتقال إلى تحسين علاقات تركيا بالدول المعوية، بعد تحقيق هدف الوصول إلى "صفر مشاكل". وفي العام 2011م، اختارته المجلة أيضاً ضمن القائمة لدوره في التفكير في دور جديد لتركيا في العالم والعمل على تحقيقه. للمزيد من التفاصيل انظر: "من هو داود أوغلو رئيس وزراء تركيا الجديد؟"، صحيفة الحياة اللندنية، 21 أغسطس 2014م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wX04OS

هناك، من حيث تقوية وإضعاف دورها في بلد وريث الأسد، من حدة الأزمة. وبالفضل عملت دُبُلوماسيَّة أنقرة على التَّدخُل في وقت مبكر، وعلى جميع الأصعدة، حتى العسْكرِيَّة منها. مُعلِنَةً بذلك نهاية "صفر مشاكل" مع جيرانها، والتي ميَّزَتْ تطبيقات تركيا لمفهوم القُوَّة النَّاعِمَة، وتفضيلها زمناً على القُوَّة الصَّلبَة.

وقبل الإسهاب في شرح القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة، مظاهرها وحدود تأثيرها على المستويات العرَبِيَّة والإسلاميَّة والإفريقيَّة، لا بدَّ أن نعود إلى الاستراتيجيَّة العامَّة لتركيا منذ وصول حزب العدالة والتَّنميَّة AK Parti إلى السُّلطة في عام 2002م؛ حيث وضعت تركيا نُصبَ أعينها لِعَب دور القُوَّة المُؤثِّرة في الشرق الأوسط إلى غاية شمال إفريقيا (من المغرب إلى العراق)، وتريد أن تَفْرِض ذلك بواسطة القُوَّة النَّاعِمَة كأداة أساسيَّة من أدوات إخراج خطة "العُثمانيَّة الجديدة" إلى حَيِّز التطبيق. وهي في هذا ترتكز على نقطتين أساسيَّتين؛ الروابط التَّاريخيَّة مع الإمبراطوريَّة العُثمانيَّة، وأيضاً القُوَّة التعبويَّة باسم الإسلام. وإرادة الظهور بمظهر النموذج الديمقراطي الناجح بالنسبة لكامل الدول التي مرَّت بامتحان الربيع العرَبِيِّ العسير منذ 2011م.

نظرية العُثمانيَّة الجديدة:

بدأ التغيُّر الكبير في السياسة الخَارِجِيَّة التُّركِيَّة منذ العام 1980م، حينما فتحت الدولة أبوابها للنظام الاقتصادي العالمي، فأطلقت حركة السوق، وحرَّرت نظام التجارة الخَارِجِيَّة، ومعه بدأ التحوُّل في النشاط السياسيِّ نحو توثيق الروابط الاقتصاديَّة والسياسيَّة مع دول العالم العربي والإسلامي، وتكريس "التوليف التركي-الإسلامي" كسياسة رسميَّة ترفع من شأن التجربة العُثمانيَّة، وتضع الأُسُس لتأكيد مكانة تركيا كقُوَّة إقليميَّة كبرى. ومع مطلع العام 1992م أوجبت التغيُّرات السياسيَّة في تلك المرحلة التي شهدت أُفول الحرب الباردة، على تركيا أن تَطوِّر توجُّهاتها الخَارِجِيَّة وصياغة مقاربة جيو-ثقافيَّة تُحيي تاريخها الإمبراطوري العثماني، وتستفيد من ميزات موقعها الجيوسياسيِّ

المحوريّ، حتى صارت بمثابة القطب الجاذب في مجال جيوسياسي واسع، يمتدّ من البلقان غرباً إلى حدود الصين شرقاً، واكتسبت السياسة الخارجيّة التركيّة أبعاداً جديدة، تفرض على القيادة الاندفاع إلى حضن النظام العالمي، لكن مع تقديم نفسها كطرف إسلام ليبرالي فاعل ومؤثّر ومشارك وصاحب رؤية ومشروع. وتفترض رؤية "العُثمانيّة الجديدة" استحضار إرث القوة العظمى العُثمانيّة، والتي تنهل من مقاربة الرئيس التركي الراحل تورغوت أوزال، ومع وصول حزب "العدالة والتنمية" إلى الحكم تعمّقت هذه الرؤية بتغيّرات عدّة في السياسة الخارجيّة التركيّة تجاه منطقة الشرق الأوسط، لا سيّما مع مقاربة السياسي التركي البارز ورئيس الوزراء الأسبق أحمد داود أوغلو، والذي يوصّف بـ "منظر العُثمانيّة الجديدة" أو "المفكر الأول لها" (1).

ورغم أن هذه النظرية لم يسمّها أوغلو بهذا الاسم في كتبه، إلا أنها تبرز في تحليلاته العميقة للتاريخ العثماني الذي يمتدّ لأكثر من أربعة قرون، وتأييده لحركة المراجعة التي قادها الرئيس تورجوت أوزال منتصف الثمانينيات؛ حيث ظهر مفهوم العُثمانيّة الجديدة آنذاك لوصف سياسته التجديديّة، وإفساحه المجال لنموّ التيار الإسلامي بدرجة ملحوظة.

ويؤكد أحمد داود أوغلو دائماً أن السبب في تراجع الدور التركي خلال الحقبة الماضية يعود إلى سياسة القطيعة التي تبنتها القيادة آنذاك لفصل ماضي البلاد العثمانيّ وعمّقها الاستراتيجي عن حاضر الجمهوريّة الكماليّة ومُحيطها الإقليمي، لذلك كان يرى أن الحلّ في تبني "عثمانية جديدة"، ولكن ليس بمفهوم بعث السياسات التوسعيّة للدولة العُثمانيّة، وإنما تصالح تركيا مع ذاتها الحضاريّة الإسلاميّة، والاعتزاز بماضيها العثماني متعدّد الثقافات والأعراق، واستعادة حسّ الكبرياء العثماني في السياسة

1. ميشال نوفل، كتاب "عودة تركيا إلى الشرق"، الناشر: الدار العربية للعلوم، 2010، تاريخ الزيارة 3 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/RsQBY5>.

الخارجية، والتوازن بين الاستمرار في الانفتاح على الغرب، وبين إقامة علاقات متوازنة مع الشرق الإسلامي. في كتابات داود أوغلو نجد بذور نظرية "العثمانية الجديدة"، والتي تتسع دوائرها تدريجياً في أوساط النخبة التركية بأطيافها السياسية والفكرية، لكن لا تزال ملامحها تتشكل كأحد أفرع نظريتي "التحول الحضاري" و"العمق الاستراتيجي"، وهما النظريتان اللتان وضعهما أحمد داود أوغلو قبل أكثر من عشر سنوات، وستظل هذه النظريات مرتبطة باسمه، ويعرف بها، وتُعرف به، كإسهام أصيل في حقل العلاقات الدولية والدراسات الاستراتيجية خارج "المركزية الأوروبية- الأمريكية" المهيمنة على هذا المجال منذ أكثر من قرن من الزمان (1).

"العثمانية الجديدة" .. ما لها وما عليها

يُجمع الكثير من الباحثين والمفكرين على أن نظرية "العثمانية الجديدة" أكسبت السياسة الخارجية التركية- لا سيما في الشرق الأوسط- نشاطاً واسعاً ودوراً مؤثراً كفاعل قوي في الشؤون الإقليمية والدولية. ومن هذا المنطلق، فإن السياسة التركية شهدت تحولاً جذرياً ليس فقط في المضمون، بل في آليات إدارة ومعالجة الملفات السياسية الحيوية أيضاً، وتركز الاهتمام الخارجي على مختلف القضايا التي تقع ضمن مجالها الحيوي. ويعكس تغيير ممارسات السياسة الخارجية التركية الجديدة فهماً أكثر توسعاً وانفتاحاً للعلاقات الدولية، وكذا يعكس ملخصاً شاملاً لمبادئ هذه السياسة برؤيتها الجديدة القائمة على نظرية "العثمانية الجديدة"، والتي تتمثل في اعتماد الدبلوماسية المتعددة الأطراف، والتعاون الإقليمي، وتصنيف المشكلات مع دول الجوار، والمطالبة بنظام دولي جديد.

1. د. إبراهيم البيومي غانم، تحليل سياسي بعنوان "أحمد داود أوغلو" وليس "كيسنجر تركيا"، موقع "أرشيف إسلام أون لاين"، تاريخ الزيارة 5 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/4BsrwE>.

القوة التركية الناعمة

وقد كان لهذه المبادئ الجديدة التي استندت عليها السياسة التركية في تعاملاتها الإقليمية والدولية، ارتدادات إيجابية مؤثرة على الداخل التركي؛ سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وهو ما حفز القيادة التركية على الاستمرار في ممارسة أدوار خارجية تتجاوز الحدود التقليدية وإمكاناتها الذاتية، فأصبح الحديث اليوم عن "تركيا الجديدة" تلك القوى الإقليمية المؤثرة والمحورية التي لا يمكن تجاهلها أو تجاهل مصالحها السياسية في أية ترتيبات إقليمية شرق أوسطية. ورغم أن المتغيرات الإقليمية الحالية تمثل تحدياً كبيراً أمام التوجهات التركية برؤيتها العثمانية الجديدة، إلا أنه من المتوقع أن تستمر القيادة التركية في طريقها بنفس الفاعلية والتأثير (1).

وعلى الجانب الآخر، فإن هناك بعض المآخذ التي أخذت على نظرية "العثمانية الجديدة"، في مقدمتها أن تركيا وانطلاقاً من تبنيها لهذه السياسة الانفتاحية على دول الجوار والمحيط الإقليمي باتت مقيّدة بالكثير من الالتزامات المادية والسياسية والاجتماعية، ما يزيد من تآكل قدراتها واستنزاف مواردها الاقتصادية. كذلك اصطدمت رغبة تركيا في أن تكون أحد الأطراف الفاعلة سياسياً على المستوى الإقليمي والدولي، بالكثير من القوى الدولية، مثل: الولايات المتحدة الأمريكية، فترغب أنقرة في التحرر النسبي من هذه الضغوط والتضييق على دورها في الشرق الأوسط، والتحول من مجرد أداة في يد السياسة الخارجية الأمريكية إلى شريك رئيس له نفس المصالح والأهداف. وقد اتضح ذلك في رفض أنقرة السماح للقوات الأمريكية بالدخول إلى العراق عبر أراضيها العام 2003م، وكذلك استقبالها بعض الأطراف غير المرغوبة دولياً، مثل:

1. فراس محمد إلياس، كتاب "تحليل السياسة الخارجية التركية وفق منظور المدرسة العثمانية الجديدة"، الناشر: دار المنهل، ص224، تاريخ الزيارة 6 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/dNPcCf>.

الرئيس السوداني عمر البشير في إطار القمة الإفريقية التركية، وكانت تلك أول زيارة رسمية دولية للبشير بعد صدور مذكرة توقيف بحقه من المحكمة الجنائية الدولية، على خلفية اتهامه بارتكاب جرائم حرب وإبادة في إقليم دارفور. (1)

من جهة ثالثة، فإن سعي تركيا لتغيير صورتها النمطية إقليمياً ودولياً، وسعيها الدؤوب نحو الشرق الأوسط، يُشكّل جهودها الخارجية ما بين ذلك وبين حرصها على الاندماج في الاتحاد الأوروبي، فباتت سياستها الخارجية مقسّمة بين قضايا دول الجوار والشرق الأوسط وبين القضايا الأوروبية المختلفة اقتصادياً وسياسياً (2).

كيف هُجمت "العُثمانيّة الجديدة"؟

تعرّضت نظرية "العُثمانيّة الجديدة" للكثير من الانتقادات، مثل أنها تُعدُّ مجرد وسيلة أو أداة جديدة في يد القيادة التركية للعودة إلى النفوذ العثماني السابق في المنطقة العربية ومنطقة الهلال الخصيب؛ من خلال الاستفادة من الثروات الهائلة التي تزخر بها وإقامة شراكات قويّة مع دولها.

كذلك الدور القوي الذي لعبته تركيا إبّان ثورات الربيع العربي العام 2011م، لا سيّما في سوريا، استناداً إلى النظرية ذاتها، كلّفها الكثير بدءاً من استنزاف مواردها الاقتصادية باستقبال الملايين من اللاجئين السوريين على أراضيها حتى اليوم، ومروراً بخسارة حلفاء إقليميين أقوياء، مثل: مصر وسوريا وإيران، وحتى اتهامها من قبل هذه الأنظمة بأنها تتصرّف وكأنها طرف رئيس في الأزمة من حقّه التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية، وهو ما جلب لها الكثير من الانتقادات والصور النمطية السلبية على المستوى الدولي.

1. فراس محمد إلياس، كتاب "تحليل السياسة الخارجية التركية وفق منظور المدرسة العثمانية الجديدة"، المرجع السابق.

2. فراس محمد إلياس، "تحليل السياسة الخارجية التركية"، المرجع السابق، ص 229.

القوة التركيبية الناعمة

هُوجِمَت تركيا أيضاً في تبنيها لـ "العُمَانِيَّة الجديدة" بأنها تسعى إلى الضغط غير المباشر على القوى الأوروبية للموافقة على طلبها المُحَلِّ للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، فهي تتجّه نحو الشرق وتحاول تصدير صورة نمطيّة بأنها قوّة إقليمية لها ثقلها في حَسْم الكثير من القضايا السياسيّة والاقتصاديّة في تلك المنطقة الحيويّة من العالم، والتي ترتبط بمصالح عدّة مع القارّة العجوز ولا يمكن التغاضي عنها (1).

عودة تركيا إذن إلى الاهتمام بأراضي الإمبراطوريّة العُمَانِيَّة السابقة، تصبُّ في إرادة تركيا الانتقال من حالة دولة تتقاطع حولها السِّيَاسَات والاسْتِراتِيجِيَّات إلى دولة مَرَكِزِيَّة، مُؤَثَّرَة وفاعلة في لعبة العلاقات الدُولِيَّة. وذلك في إطار سيادي يفرض إيقاعه ووجهة نظره إقليمياً ودولياً. وهي في هذا تنتقل من مرحلة الانعزاليّة إلى التّدخُل بفاعليّة.

وقبل التّوسُّع في تناول القوّة الصّلبة التي اعتمدها أنقرة، لا بدّ من توضيح معنى هذه القوّة التي تتألّف من عناصر القوّة المادّيّة عَسْكَرِيَّة كانت أو اِقْتِصَادِيَّة. وقد التصق هذا الشكل من القوّة بالعامل العَسْكَرِيّ الحاسم في فكر المدرسة الواقعيّة خاصة. لكن جوزيف ناي Joseph Nye أعطى للقوّة الصّلبة تعريفاً أوسع، لا يقف عند حدود القوّة العَسْكَرِيَّة فقط. إذ يرى أنها تُضَمُّ القُدرة على استخدام الجَزرة أيضاً، إلى جانب العصا، وذلك عن طريق الاستخدام الجيّد للأدوات الاقْتِصَادِيَّة، في سبيل الإخضاع والتأثير على سلوك الآخرين (2).

1. مصطفى محمد صلاح، دراسة "الدور التركي الجديد في الشرق الأوسط في ظل مفهوم العثمانية الجديدة" الخليج، العراق وفلسطين، الناشر: المركز الديمقراطي العربي، 26 مايو 2017م، تاريخ الزيارة 7 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/8HFduq>

2. Joseph Nye, Power in the Global Information Age: From Realists to Global, NewYork, Routledge, 2004, p. 5.

وترتكز القُوَّة الاقتصادية للدولة، كما أسلفنا، على الناتج المحليّ، ونصيب الفرد من الدخل، ومستوى التَّقَدُّم التكنولوجي، والموارد الطَّبيعيَّة والبشريَّة، ومُؤَسَّسات السوق. وقد أضافت إلين فروست (1) Ellen L. Frost عناصر أخرى للقُوَّة الاقتصادية، تشمل الحكومة الرشيدة، وتحقيق التَّنْمِيَّة المستدامة. (2)

1. كبير المستشارين بمعهد شرق غرق بواشنطن، زميل زائر باحث مُتممِّر، بمعهد الدراسات الاستراتيجية الوطنيَّة، وجامعة الدفاع الوطني، حاصلة على درجة الدكتوراه من كليَّة فليتشر للقانون والدبلوماسية بجامعة هارفارد، مُتَخَصِّصَة في دراسة الاتجاهات الاقتصادية الآسيوية وأثارها الأمنيَّة؛ الإقليمِيَّة الآسيوية؛ أفاق استراتيجِيَّة إعادة التوازن الأمريكيَّة. وأدوار الآسيان والصين واليابان والهند في المنطقة.

Ellen L. Frost, EWC in Washington, available at: goo.gl/SzGdcd

2. محمد وائل القيسي، الأداء الاستراتيجي الأمريكي بعد العام 2008م: إدارة باراك أوباما أنموذجاً، 2016م، ص190.

المبحث الأول

القُوَّة الصَّلْبَةُ التُّرْكِيَّةُ..

الأبعاد والتداعيات

اعتمدت تركيا في العقود الأخيرة أسلوب الابتعاد عن المشاكل السِّياسِيَّة والعَسْكَرِيَّة مع جميع الدول، وحاولت الانفتاح على جوارها ومحيطها، عبر بناء علاقات اِقْتِصَادِيَّة وثقافية وسياسية وثيقة. ولكنَّ الوضع بدأ بالتغيُّر منذ منتصف عام 2012م، بسبب استمرار تدهور أوضاع البلدان العربيَّة، وخاصَّة تلك التي شهدت قيام ثورات عاصفة، وعلى رأسهم الجارة السُّوريَّة، وما تبع ذلك من زيادة التَّدخُّلات والتحالفات العَسْكَرِيَّة في المنطقة. لهذا كان من الصعب عملياً، على تركيا تحقيق أهدافها بالاعتماد فقط على أدوات القُوَّة النَّاعِمَة دون تفعيل خيارات القُوَّة الصَّلْبَة. (1)

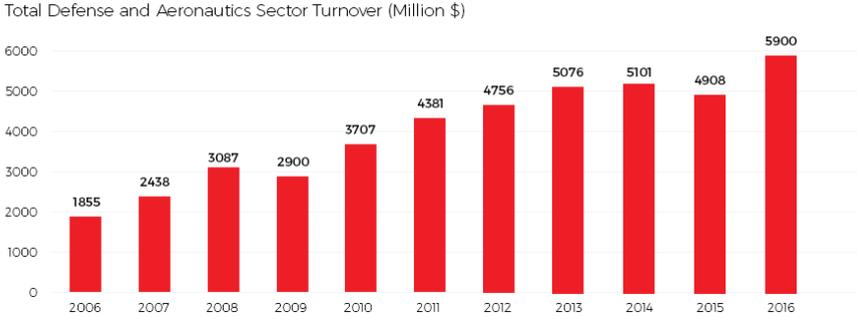
وقد ظهرت بوادر هذه الانعطافة في توجُّه تركيا لتفعيل قُوَّتِهَا الصَّلْبَة منذ منتصف عام 2013م؛ إذ استهلَّت أنقرة تطبيقاتها بتسليح المعارضة السُّوريَّة بأسلحة خفيفة بمعيَّة دول أخرى، كما قامت بعد جولة طويلة من المباحثات، وبعد اتِّفاق سابق مع واشنطن في فبراير / شباط 2015م بتدريب وتسليح أكثر من 15 ألفاً من مقاتلي المعارضة "المعتدلة" على الأراضي التُّرْكِيَّة، نهاية مايو 2015م. وذلك تمهيداً لانخراطهم في القتال ضدَّ تنظيم الدَّوْلَة الإسلاميَّة" (2) .

1. محمود سمير الرنتيسي، "تركيا وتفعيل القُوَّة الصلبة: الأبعاد والتداعيات"، المعهد المصري للدراسات السِّياسِيَّة والاستراتيجيَّة، 3 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tAYAg6

2. تركيا وأمريكا تبدأن تدريب المعارضة السُّوريَّة "المعتدلة"، الجزيرة نت، 26 مايو 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jw2sbz

ويمكن التدليل على تفعيل تركيا للقوة الصلبة بعدة أوجه؛ منها الانفتاح على مجال الصناعات الدفاعية، والبحث عن أسواق جديدة، وتعزيز التعاون العسكري، والعمل على الاستفادة من الخبرة الطويلة التي اكتسبتها تركيا في حلف الناتو، وأيضاً استثمار ذلك في مجالات التدريب العسكري. حيث تم تسجيل ارتفاع منتج الصناعة الحربية التركية من الأسلحة بقيمة 5.9 مليار دولار، سنة 2016م، منها ما قيمته 1.677 مليار دولار عائدات تصدير الأسلحة، بارتفاع قدره 33 مليون دولار مقارنة بسنة 2014م (1).

تطور قطاع الصناعات الدفاعية في تركيا خلال الفترة 2006 - 2016م (2)



وبناءً على هذه النتائج المشجعة، حطّطت تركيا لرفع سقف صادراتها العسكرية إلى ملياري دولار خلال السنوات القليلة المقبلة، لتحتل بذلك المرتبة العاشرة بدل

1. 2016 TURKISH DEFENSE INDUSTRY PERFORMANCE, The Undersecretariat for Defence Industries (SSM), Presidency of the Republic of Turkey, available at: goo.gl/46FVCJ
2. Source: 2016 TURKISH DEFENSE INDUSTRY PERFORMANCE, The Undersecretariat for Defence Industries (SSM), Presidency of the Republic of Turkey, available at: goo.gl/46FVCJ

القوة التركيبية الناعمة

الخامسة عشرة، على صعيد التصدير العسكري. وتعمل تركيا فيما يتعلق بالصناعات الدفاعية، على تحقيق الاكتفاء الذاتي فيها بشكل كامل، وذلك تزامناً مع مؤوية تأسيس الجمهورية التركية عام 2023 م (1).

تطور الصادرات الدفاعية التركية خلال الفترة 2003 - 2016 م (2)



كما قامت تركيا بتوقيع اتفاق لتعزيز التعاون الدفاعي مع قطر، وتنص الاتفاقية: "على أن البلد المضيف يسمح للبلد الآخر باستخدام موانئه البحرية وطائراته ومجاله الجوي، وبمركز قواته العسكرية على أراضيه، وباستفادته من المنشآت والمخيمات والوحدات والمؤسسات والمنشآت العسكرية"، وقد أعلن السفير التركي في قطر، في منتصف ديسمبر 2015م أن بلاده ستنشئ قاعدة عسكرية في قطر في إطار اتفاقية دفاعية تهدف إلى مساعدة البلدين على مواجهة الأعداء المشتركين"، وأن ثلاثة آلاف جندي من القوات البرية التركية سيتمركزون في القاعدة المذكورة (3).

1. محمود سمير الرنتيسي، "تركيا وتفعيل القوة الصلبة: الأبعاد والتداعيات"، مرجع سابق.
2. Source: 2016 TURKISH DEFENSE INDUSTRY PERFORMANCE, The Undersecretariat for Defence Industries (SSM), Presidency of the Republic of Turkey, available at: goo.gl/46FVCJ
3. قاعدة عسكرية تركية في قطر، "صحيفة السفير اللبنانية"، 16 ديسمبر 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DzCihy

وقد باتت تلك الاتفاقية سارية المفعول في يونيو 2015م، وبدأ العمل في تنفيذها في أكتوبر 2015م، ووفقاً لقيادة الأركان العامة التركية فقد شهد شهر أبريل 2016م التوقيع على اتفاق لبدء العمل في نشر القوات التركية في قطر كما صادق البرلمان التركي على تلك الاتفاقية في 7 يونيو 2017م، وفي 20 يونيو من العام ذاته أعلنت وزارة الدفاع القطرية انتهاء الجانب التركي من نقل جميع القوات المتفق عليها إلى القاعدة الجديدة (1).

كما عززت تركيا من التعاون العسكري مع أذربيجان؛ إذ شهدت الفترة الممتدة من 31 مايو إلى 10 يونيو 2015م تصاعد الاهتمام بالتعاون العسكري بين تركيا وجورجيا وأذربيجان؛ حيث قامت قوات عسكرية مشتركة بسلسلة من المناورات العسكرية في غرب تركيا، أطلق عليها اسم "نسر القوقاز"، ويأتي استعراض القوة هذا في سياق تدخل موسكو في النزاع الأوكراني (2).

وفي إطار الأزمة السورية وتداعياتها، تعرضت تركيا هذه المرة، لامتحان قوة في صيغة صدام مباشر في أجواء المنطقة مع روسيا، عندما قامت مقاتلة تركية في 24 نوفمبر 2015م باعتراض وإسقاط طائرة سوخوي روسية، كانت قد اخترقت المجال الجوي التركي (3).

1. "انتهاء نقل القوات إلى القاعدة التركية في قطر"، روسيا اليوم، 20 يونيو 2017، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/HQkXno
2. النشاط العسكري التركي المتزايد وتحفيز التحركات العسكرية الروسية، (TRT) العربية، 12 يوليو 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oUMw9U
3. في 24 نوفمبر 2015 أسقطت طائرات تركية من طراز "إف 16"، طائرة حربية روسية من طراز سوخوي 24، قرب الحدود التركية السورية، على اعتبار أن الطائرة قد انتهكت المجال الجوي التركي، مع تأكيد المسؤولين الأتراك أنه جرى تحذير الطائرة قبل إسقاطها. للمزيد: تركيا تسقط طائرة روسية قرب حدودها مع سوريا، سكاى نيوز عربية، 24 نوفمبر 2015، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/p4jGmW

ولم تَسَلِّمْ تركيا أيضاً، من أتونِ الحربِ العراقيَّةِ، رغم أن تواجدها العَسْكَرِيَّ في الأراضي العراقيَّةِ يعود إلى عام 1994م، عبر اتِّفَاقِيَّةٍ تسمَحُ بِحَقِّ المِلاحَظَةِ وضرب معاقل حزب العمال الكردستاني داخل الحدود العراقيَّةِ، في مسافة مُحدَّدة بـ 25 كيلو متراً. وهي الاتِّفَاقِيَّةُ الَّتِي تَمَّ تمديدُها في سنة 2007م. في حين طُفِت إلى السطح قضِيَّةُ معسكر بعشيقه (1)، الَّذِي أثير حوله الخلاف (2). وفي هذا الصدد، نشبت أزمة بين الحكومتين العراقيَّةِ والتُّرْكِيَّةِ في ديسمبر 2015م؛ بسبب إمداد تركيا قواتها العَسْكَرِيَّةَ المتمركزة بـ "بعشيقه" (3) قرب الموصل، بـ 150 جندياً. واستقدام ما بين 20 و25 دَبَّابَةً إلى المنطقة المذكورة خلال نفس العمليَّةِ (4).

ويمكن التَّأكِيد على أن ما دفع تركيا إلى نهج السِّيَاسَةِ في صورتها الصَّلْبَةِ، هو وجود لاعبين منافسين مثل روسيا وإيران، اعتمدوا أسلوب القُوَّةِ الصَّلْبَةِ لتحقيق مصالحهم في المنطقة، بالإضافة إلى شعور أنقرة باقتراب الخطر من حدودها، في ظلِّ وجود

1. معسكر أُنْشِئَ في مارس/آذار 2015م بطلب من رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي، وبهدف تدريب قُوَّات البشمرجة والعشائر السنيَّةِ لمواجهة تنظيم الدولة (داعش)، والذي سيطر على الموصل في يوليو/تموز 2014م. للمزيد يُنظَر: معسكر "بعشيقه" بالعراق.. عنصر هام في استراتيجيَّة تركيا لمكافحة "داعش"، تركيا بوست، 31 مارس 2016، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/67AtLt
2. أسباب الأزمة التُّرْكِيَّةِ العراقيَّةِ وأبعادها، صحيفة دايلي صباح التُّرْكِيَّةِ، د. ت، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6LDJyc
3. بعشيقه هي ناحية تابعة لقضاء الموصل بمحافظة نينوى شمال العراق، وتقع شمال شرق مدينة الموصل على بُعْد 12 كم منها في سهل نينوى، وتعتبر من المناطق الزراعيَّةِ، وتشتهر بزراعة الزيتون. أغلب سُكَّان منطقة بعشيقه هم من البيزيديون أو الإيزيديون، ويسكنها أيضاً نسبة من ذوي الديانات الأخرى من مسلمين ومسيحيين والشبك، ومعظم سُكَّان البلدة يتكلمون اللغة العَرَبِيَّةِ، بالإضافة إلى السريانيَّةِ والكرديَّةِ والتركمانيَّةِ. للمزيد يُنظَر: "بعشيقه.. بؤرة توتر بين العراق وتركيا"، الجزيرة نت، 24 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/S3gWsU
4. بعشيقه.. بؤرة توتر بين العراق وتركيا"، الجزيرة نت، 24 ديسمبر 2015م، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/S3gWsU

عِدَّة مجموعات عَسْكَرِيَّة تُهَدِّد أراضِها، مثل حزب العمال الكردستاني (1)، وتنظيم الدَّوْلَة الَّذِي يُعْرَف اختصاراً بـ"داعش"، كهاجس أَمْنِيَّيْ بِيْرُرُه حَدُوْثُ عِدَدٍ مِنَ الأَعْمَالِ الإِرْهَابِيَّةِ داخِل أَرْضِها.

عوامل التحوُّل التُّرْكِيِّ مِنَ القُوَّةِ الناعمةِ إِلَى القُوَّةِ الصلبةِ

خلال العقود الأخيرة تَبَيَّنَت القِيادة التُّرْكِيَّةُ أدوات القُوَّةِ الناعمة كأحد أبرز الوسائل الدبلوماسية في علاقاتها مع مختلف الدول، لا سيَّما دول الجوار وإفريقيا، لكن مع الطفرة الكبرى التي حَقَّقَتْها على الصعيدين الاقتصادي والتموي- بالتوازي مع صعود حزب العدالة والتنمية إلى سُدَّة الحُكْم- انتقلت تدريجياً إلى الاهتمام بتفعيل أدوات القُوَّةِ الصلبة المتمثلة في تطوير قدراتها العسكرية والردع الاستراتيجي، وما عَزَزَ ذلك أيضاً ثورات الربيع العربي العام 2011م وتدهور الأوضاع الاجتماعية والسياسية في تلك البلدان، وظهور التحالفات العسكرية وتزايد التدخلات الأجنبية في المنطقة، وخاصةً التدخل العسكري الروسي المباشر في سوريا، وتزايد الاحتقان بين السعودية وإيران. لذلك ظهرت بوادر تفعيل خيارات القُوَّةِ الصلبة التُّرْكِيَّةِ منذ منتصف العام 2013م. (2)

وظهر هذا في عدد من المحاور، وفي مقدمتها تطوير قطاع الصناعات الدفاعية والتكنولوجية، فتجاوزت القُوَّةُ الإِنْتاجِيَّةُ لهذه الصناعات الـ5 مليار دولار العام

1. تنظيم سياسي عسكري كردي يساري التوجُّه، تأسس في نوفمبر 1978، على يد مجموعة من الطُّلَّابِ الأكراد أبرزهم عبدالله أوجلان الذي أصبح بعد ذلك رئيساً للحزب، يَبْنِي الحزب الفكر الماركسي اللينيني، ويدعو إلى إقامة دولة كردية مستقلة في المناطق ذات الأغلبية الكردية في كل من تركيا والعراق وسوريا وإيران. للمزيد يُنظَر: "ماذا تعرف عن حزب العمال الكردستاني؟"، بي بي سي عربي، 11 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zMkrVF
2. عماد يوسف، دراسة "تركيا استراتيجية طموحة وسياسة مقيدة"، الناشر: مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2015، ص 133، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019.

القوة التركيبية الناعمة

2015م، وأنتجت المنشآت الصناعية العسكرية التركية أسلحة بقيمة 4.3 مليار دولار صَدَّرت منها بما تصل قيمته إلى 1.3 مليار دولار، وذلك بارتفاع نسبته 35% مقارنة بالعام 2014م، ثم بلغت قيمتها نحو مليار و700 مليون دولار خلال العام 2017م (1) وتطمح أنقرة لوقف استيراد هذه الصناعات تماماً بحلول العام 2023م، والقفز إلى المرتبة العاشرة عالمياً في مَوْشُر التصدير العسكري في العام ذاته، وما يدعم ذلك أنها نجحت بالفعل في تصنيع 65% من احتياجاتها العسكرية، وهو ما يُعدُّ بمثابة قفزة صناعية تطويرية منذ العام 2002م (2).

وتجاوز عدد الشركات التركية العاملة في المجال العسكري حاجز الـ500 شركة، وتُعدُّ الولايات المتحدة الأمريكية على رأس قائمة الدول المستوردة للأسلحة التركيّ بنسبة 39%. ومن نماذج الأسلحة التقليدية التي تنتجها تركيا الطائرة المروحية "تي 129 أتاك"، والطائرة العنقاء "بلوك بي" بدون طيار، وطائرة التدريب "Hürkuş" بأنواعها B وC، بالإضافة إلى مشروع إنتاج طائرة "Fx1" واشتراتها في تصنيع أحدث طائرة مقاتلة في العالم وهي "طائرة F35". وفي الصناعات الدفاعية البحرية تُنتج تركيا الكورفيت التركيّ "ميلجيم"، وطرادات شبح من طراز "أدا"، والسفينة البرمائية "بيرقدار"، وصنعت كذلك أول غوّاصة تركية محلية الصنع باسم "مراد رئيس"، وحاملة طائرات تركية محلية الصنع باسم "Sedef"، وفي أسلحة القوّات البرية تُنتج الهاوترز التركيّ "فيرتينا"، والمدرعة البرمائية "أرما"، والدبابة "الطاي"، والراجمة T-22، والمدرعة "Kirpi"، وعربة الدفع الرباعي "Ejder Yalçın" (3).

1. طارق القزم، دراسة "القوة الصلبة التركيبية الرؤي والتطبيقات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، تاريخ النشر: 15 سبتمبر 2018، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/D8jnpH>.
2. طارق القزم، دراسة "القوة الصلبة التركيبية الرؤي والتطبيقات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، المرجع السابق.
3. طارق القزم، دراسة "القوة الصلبة التركيبية الرؤي والتطبيقات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، مرجع سابق.

وتمتلك تركيا الآن أنظمة S400 الروسية والتي تُصنّف كأفضل نظام للدفاع الجوي في العالم، بالإضافة إلى أنظمة صواريخ بالتعاون مع إيطاليا وفرنسا⁽¹⁾، وصواريخ للدفاع الجويّ محلية الصنع مثل: الصاروخ الباليستي "بورا" ويبلغ مداه 280 كيلومتراً، والصاروخ "خان" قصير المدى، وتم إنتاجهما من قبل الشركة التركيّة "روكستان"⁽²⁾. وتستعد أنقرة لبدء العمل في المفاعل النووي الأول داخل محطة "أق قويو" النووية في ولاية مرسين بحلول العام 2023م، بالتزامن مع الذكرى المئوية لتأسيس الجمهوريّة التركيّة، من أجل تنويع مصادر الطاقة الكهربائيّة وتوسيع بنيتها التحتيّة التركيّة، وتطوير استخدام الطاقة النووية في الأغراض السلميّة داخل البلاد في الكثير من المجالات، والتصديّ للتهديدات السياسيّة والأمنيّة الخارجيّة بكافّة أشكالها⁽³⁾. وفي مجال الحرب الإلكترونيّة تمتلك أنقرة نظام "كورال" الخاص بالحرب الإلكترونيّة والتشويش الراداري، وهو من إنتاج شركة "أسليسلان" المملوكة للدولة، ويُعتبر نموذجاً مماثلاً لمنظومة الحرب الإلكترونيّة الروسية "كراسنوخا"⁽⁴⁾.

وإلى جانب ذلك تتمتع تركيا بإدارة قمرين صناعيين للأغراض العسكريّة والاستخباراتيّة سيرتقيان بقدرتها في مجال الأعمال الفضائيّة، ويحملان اسم "غوك تورك 1-" والذي ينقل صوراً عالية الجودة متفوقاً على نظرائه في العالم، ويؤدي مهام مراقبة الأبنية الحكوميّة ومحيطها، ورصد المحاصيل الزراعيّة، والأغراض

1. "3 دول تتعاون لإنتاج منظومة دفاع جوي بينها دولة بالشرق الأوسط"، موقع "arabic.sputniknews"، تاريخ النشر: 5 يناير 2018، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/Ye4dbe>.
2. "تركيا تختبر الصاروخ الباليستي بورا المحلي الصنع"، موقع "الدفاع العربي"، تاريخ النشر: 13 مايو 2017، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/swUZHX>.
3. "محطة "أق قويو" النووية تُوفّر آلاف من فرص العمل في تركيا"، موقع "تركيا بوست"، تاريخ النشر: 11 ديسمبر 2017، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/p6NSnx>.
4. هل يوسع منظومة "كورال" التركيّة للحرب الإلكترونيّة إسكات "إس - 400 الروسية؟"، موقع "Arabic rt"، تاريخ النشر: 2 ديسمبر 2015، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/ye8kwX>.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

والتطبيقات البلدية، والاستشعار عن بُعد لمهام مثل: أنشطة المسح، ومراقبة الحدود، كما أنه قابل للمناورة، وتتولى كتيبة الاستطلاع الفضائية التابعة لقيادة القوات الجوية التُّرْكِيَّةُ مهام التحكم فيه وقيادته (1).

أما القمر الثاني فيُدعى "غوك تورك-2"، ويوفّر للقُوَّات المسلَّحة التُّرْكِيَّةُ، وخاصةً قيادة القوى الجوية، معطيات استخباريَّة قيِّمة، وبيانات رقميَّة وجغرافيَّة، ولديه قدرة عالية على الاتصال بالبيانات وتحميل صورة لشريط بطول نحو 650 كيلو متر في مسار واحد، كما يمكنه تصوير أيَّة بقعة في الكرة الأرضيَّة وإرسالها إلى المحطة الأرضية، كما أنه يُلبى احتياجات البلاد من الرقابة والبحوث العامة والعمليَّة. وتهدف تركيا مستقبلاً لتدشين أقمار صناعيَّة محليَّة الصُّنع، وهي الأجيال الجديدة من القمر الصناعي (تركسات "5 إيه-5 بي) وإدخالها الخدمة العام 2019م، كما يتوقع إطلاق القمر (تركسات إيه 6) إلى مداره وإدخاله الخدمة العام 2020م. (2)

بالإضافة إلى تصنيع الأسلحة واقتحام الفضاء الإلكتروني، تُولي تركيا اهتماماً كبيراً بتطوير تقنيات المعالجة العسكريَّة، ولذلك عقدت اللجنة التنفيذية للصناعات الدفاعيَّة التُّرْكِيَّةُ اجتماعاً ترأسه للمرة الأولى الرئيس أردوغان، من أجل مناقشة 55 مشروعاً جديداً بقيمة 9,4 مليار دولار تهدف إلى تطوير الأنظمة العسكريَّة الوطنيَّة والارتقاء بقُدْرَات الجيش والقُوَّات المسلَّحة التُّرْكِيَّةُ في عمليَّاته العسكريَّة الحَارَجِيَّة، وبحث فُرْص الاستثمار المتاحة لتطوير الصناعات الدفاعيَّة التُّرْكِيَّة. (3)

1. "قمر صناعي تركي يرسل أكثر من ألف صورة ومشهد منذ انطلاقه"، موقع "تركيا بوست"، تاريخ النشر: 11 مايو 2017، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/gyd2sd>.
2. "في 2020.. الأقمار الصناعية التُّرْكِيَّةُ تخدم 91% من سكان الأرض"، موقع "تركيا بوست"، تاريخ النشر: 7 ديسمبر 2016، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/j2FdNo>.
3. "أردوغان يرأس اجتماعاً لدراسة 55 مشروعاً دفاعياً بقيمة 9.4 مليار دولار"، موقع "تركيا بوست"، تاريخ النشر: 1 فبراير 2018، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/fL31EF>.

كما أطلقت شركة "أسليسان" التُّركيَّة للصناعات العسكريَّة والإلكترونيَّة مشروعاً لتطوير دروع فولاذية تحمل اسم "بولات" لحماية العربات المدرَّعة والدبَّابات من الهجمات الصاروخيَّة، وكذلك تسعى الشركة من خلال المشروع ذاته إلى تطوير نظام "أكور" للحماية، والذي تميَّز به دبابة "ألطاي" التُّركيَّة القادرة على تدمير الصواريخ المضادَّة للدروع وحماية نفسها (1).

وطوَّرت تركيا أيضاً مدرَّعات وجرَّافات آليَّة أطلقت عليها "مدرعة طوسون"، والتي أنتجتها شركة "Best Grup" للصناعات الدفاعيَّة، وتتميَّز هذه الآليَّات بتقليل الخسائر الناتجة عن الألغام الأرضيَّة وبأنظمة تحكُّم عن بُعد، وتعتمز الشركة تصدير هذه العربات إلى الإمارات العربيَّة المتَّحدة، والولايات المتَّحدة (2).

كذلك اهتمَّت تركيا بتوقيع المزيد من اتفاقيَّات التعاون العسكري مع الدول الحليفة، مثل: اتفاقيَّة الدفاع المشترك مع إثيوبيا العام 2013م، والتي تهدف لدعم التعاون بين البلدين في مجال الصناعات الدفاعيَّة، وتنصُّ على تقديم أنقرة دعم فني ولوجستي لإثيوبيا (3)، كما صادقت لجنة الشؤون الخارجيَّة في البرلمان التركي، في مارس 2015م على مشروع "اتفاق تعاون عسكري" مع قطر، تم توقيعها في ديسمبر 2014م في مجالات التدريب العسكري والصناعة الدفاعيَّة، ويتيح الاتفاق لكلِّ دولة نشر قوَّات على أراضي الأخرى. وقد أعلنت تركيا، في يونيو 2015م بدء سريان اتفاقيَّة التعاون العسكري مع قطر (4).

1. أسليسان " التُّركيَّة تطوَّر نظام حماية فولاذي للدبَّابات والمدرَّعات"، موقع "هيئة الإذاعة والتلفزيون التُّركيَّة TRT"، تاريخ النشر: 9 فبراير 2018، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/ZhC9s6>.
2. طارق القزم، دراسة "القوة الصلبة التُّركيَّة الرؤي والتطبيقات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، مرجع سابق.
3. عادل عامر، "دلالة اتفاقيَّة الدفاع المشترك بين إثيوبيا وتركيا"، موقع "وكالة أنباء أوننا ONA"، تاريخ النشر: 7 أبريل 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/pDGsLa>.
4. Galip Dalay, Türkiye neden Katar'da askeri üs kuruyor?, Aljazeera Türk, 17 Haz 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/PkQocF>.

وفي العام 2015م تصاعد الاهتمام التُّرْكِيَّ بالتعاون العسكريّ مع جورجيا وأذربيجان؛ حيث أُجرت قُوَّاتٌ عسكريَّةٌ تركيَّةٌ وجورجيَّةٌ، سلسلة من المناورات العسكريَّة المشتركة غرب تركيا، أطلق عليها "نسر القوقاز" (1).

القواعد العسكريَّة التُّرْكِيَّةُ في الخارج

من مظاهر القُوَّة الصلبة لتركيا أيضاً حرصها على تدشين قواعد عسكرية خارج البلاد، فتمتلك قاعدتين عسكريَّتين؛ إحداهما في قطر "قاعدة الريان" والتي دُشِّنت بموجب اتفاقية ثنائية بين البلدين تهدف إلى تطوير تعاونهما في مجال "مكافحة الإرهاب"، والتعاون في التعليم العسكري والصناعات الدفاعية، والمناورات العسكريَّة، وتُعدُّ هذه المنشأة العسكريَّة الأولى في الشرق الأوسط ويتمركز فيها نحو ثلاثة آلاف جندي من القوات البرية إلى جانب وحدات جوية، وبحرية، ومدربين عسكريين (2). أما القاعدة الثانية فهي أكبر قاعدة تركية خارج البلاد، وتوجد في الصومال، وقد دُشِّنتها أنقرة في سبتمبر 2017م، وتقع على ساحل المحيط الهندي، وتحديدًا على بُعد 13 كيلو متر تقريباً جنوب مقديشو على مساحة أربعة كيلو مترات مربعة، واستغرق بناؤها عامين بتكلفة قدرت بنحو 50 مليون دولار، وتضمُّ ثلاث مدارس عسكريَّة إلى جانب منشآت أخرى، تعمل بطاقة تدريبيَّة تصل إلى 1500 عسكري صومالي، ويتمركز فيها نحو 200 ضابط في الجيش التركي، يشاركون في تدريب نحو 10 آلاف جندي وضابط في الجيش الصومالي، على أن تتحمَّل تركيا تكاليف التدريب والسكن والطعام ورواتب الجنود والضباط بعد التخرُّج، وتجهيزهم بالمستلزمات العسكريَّة وغيرها؛ إذ سلمت تركيا الحكومة الصومالية نحو 450 قطعة من السلاح "mpt_76" المحلي الصنع (3).

1. النشاط العسكري التركي المتزايد وتحفيز التحركات العسكريَّة الروسيَّة، (TRT) العربية، 12 يوليو 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/4wzDBx>.
2. قاعدة عسكريَّة تركيَّة في قطر: تحالفات جديدة واتفاقيات متعدِّدة، موقع "تركيا بوسنت"، 24 ديسمبر 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/hrC9zj>.
3. "تركيا تفتتح في الصومال أكبر قواعدها العسكريَّة الخارجيّة للتدريب"، موقع "BBC عربي"، تاريخ النشر: 30 سبتمبر 2017م، تاريخ الاطلاع 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/qTdKLF>.

كما تسعى أنقرة إلى حماية أمنها القومي ومصالحها الخارجيّة في ظلّ الأزمات السياسيّة والعسكريّة التي تمرّ بها دول الجوار، لذلك أنشأت في مارس 2015م قاعدة تركيّة في العراق تُسمّى قاعدة "بعشيقه"، بطلب من رئيس الوزراء العراقي آنذاك، وبهدف تدريب قوات البشمركة والعشائر السنيّة لمواجهة تنظيم (داعش). لكنّ هذه القاعدة أحدثت أزمة بين حكومتي العراق وتركيا بسبب إرسال تركيا 150 جندياً إلى القوات العسكريّة التركيّة الموجودة في بعشيقه القريبة من مدينة الموصل في ديسمبر 2015م لاستبدال الوحدة التركيّة المتمركزة هناك منذ عامين ونصف، كما تمّ استخدام ما بين 20 و25 دبابة إلى المنطقة المذكورة خلال عمليّة التبديل (1). وفي سوريا أقامت تركيا أربع قواعد من أصل 8 قواعد عسكريّة في البلاد، في مناطق جبل بركات في مدينة حلب، والتي تطلّ على منطقتي عفرين وإدلب، بالإضافة إلى قاعدة التفتناز وقاعدة أبو الضهور، وتستخدمهما تركيا لإدارة عمليّة "درع الفرات" في إدلب، وفي إطار اتفاق خفض التوتر بين تركيا وروسيا وإيران، أسّس الجيش التركيّ نحو خمس نقاط للمراقبة، وبعد دخول القوات التركيّة إلى إدلب ازدادت إلى ستّ نقاط (2).

بالإضافة إلى ما سبق، فإن تركيا كانت تملك في السابق قاعدة عسكريّة جويّة شمال قبرص، باسم "قاعدة غيتشيتكالا"، كان يستخدمها الطيران العسكري التركيّ إبّان تقسيم قبرص إلى جزأين العام 1974م؛ حيث دخلت القوّات المسلّحة التركيّة شمال قبرص ليلة 21 تموز / يوليو وسيطرت على 37% من الأراضي (3).

1. "تركيا وتفعيل القوّة الصلبة: الأبعاد والتداعيات"، موقع "المعهد المصري للدراسات"، تاريخ النشر: 3 أبريل 2016م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/2iizax>.
2. "تركيا تقيم نقطة المراقبة قبل الأخيرة في سوريا"، موقع صحيفة "الشرق الأوسط"، تاريخ النشر: 15 مايو 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/1TPfP4>.
3. "تركيا تسارع إلى بناء قاعدة عسكريّة جديدة"، موقع "arabic.sputniknews"، تاريخ النشر: 28 أغسطس 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/YnhZxu>.

العمليات العسكرية التُّرْكِيَّةُ فِي الخَارِجِ

مع التغيُّرات الإقليمِيَّة الكبرى التي شهدتها بعض دول الجوار التركي، كان من الضروري على أنقرة اتِّخَاذُ بعض الإجراءات العسكريَّة لحماية حدودها، والمشاركة في عمليَّات عسكريَّة دفاعيَّة ذات نطاق جغرافي محدود، وكان ذلك في العراق وسوريا، ومن مثل هذه العمليَّات "درع الفرات" ضد تنظيم "داعش" في سوريا العام 2016م، والتي كانت تهدف إلى طرد مسلحي التنظيم من مدينة جرابلس، ودفعهم بعيداً عن الحدود التُّرْكِيَّة باتجاه الجنوب، وقد انتهت العمليَّة بالسيطرة على جبهة تمتد لمسافة 2015م كيلو متر مربع و243 مركزاً سكنياً بين إزاز وجرابلس، وتم تحييد 3598 متطرفاً من تنظيم "داعش" و538 آخرين من تنظيم "بي بي كي"، ومقتل أكثر من 60 فرداً من الجيش التركي (1).

كذلك شاركت تركيا مع الجيش السوري الحرِّ في عملية "غصن الزيتون"، والتي تُعدُّ امتداداً للعمليات السابقة خارج حدودها، وتم الإعلان عنها في يناير 2018م، وتهدف إلى تطهير المناطق الحدوديَّة من عفرين حتى منبج، من مسلحي الحركات الكرديَّة الانفصاليَّة المتطرفة، ومنعهم من تحقيق تواصل جغرافي بين الأراضي التي تسيطر عليها شمال سوريا.

وفي العراق، أطلقت تركيا في مارس 2018م عملية عسكريَّة في قضاء سنجار- شمال البلاد، تهدف إلى التصديِّ لمسلحي حزب "العمال" الكردستاني، وتدمير معسكراتهم، وأدخلت وحدات من قواتها البريَّة إلى البلاد تعمل بالتزامن مع الغارات الجويَّة من الطيران الحربي التركي (2).

1. طارق القزم، دراسة "القُوَّةُ الصلبة التُّرْكِيَّةُ الرُّوِي والتطبيقات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، مرجع سابق.

2. "أردوغان يعلن بدء عمليَّة عسكريَّة في سنجار شمال العراق"، موقع "arabic.rt"، تاريخ النشر: 25 مارس 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/GqB3pX>.

انتشار وحدات من الجيش التركي خارج الحدود التركية

قررت تركيا العام 2015م إرسال قوات عسكرية إلى مدينة الموصل العراقية، والمسيطر عليها من قبل تنظيم داعش آنذاك، يبلغ عددها 150 جندياً و25 دبابة، كما أعلنت القوات المسلحة التركية بأنها تتولى منذ أكثر من عام تدريب قوات البشمركة في أربع مناطق مختلفة في إقليم كردستان.(1)

وتملك تركيا عدداً من السفن البحرية التابعة لقواتها البحرية في منطقة خليج عدن بهدف تأمينها وتأمين المياه الإقليمية الصومالية وبحر العرب والمناطق المجاورة، وتأمين السفن التجارية التركية من أعمال القرصنة. وقد تم تجديد مهام القوات البحرية التركية المتمركزة هناك مرة أخرى العام 2017م بتصديق من البرلمان التركي.(2)

وفي أكتوبر 2017م قررت أنقرة نشر قوة عسكرية تركية في محافظة إدلب، وذلك في إطار اتفاق "مناطق خفض التصعيد" في سوريا الذي تقرر خلال محادثات الأستانة(3). هذا وتشارك القوات التركية في العمليات التي يخوضها حلف شمال الأطلسي "الناطو" في أفغانستان، وجاء قرار أنقرة بالمشاركة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001م، وبعد تولي حزب "العدالة والتنمية" الحكم ظلت قيادته على التزاماتها تجاه الناطو، وتولت تركيا لمرتين قيادة قوة المساعدة الأمنية الدولية (ISAF) في أفغانستان.

1. "وجود القوات التركية في الموصل: الدوافع والتداعيات.. وردود الفعل"، موقع "تركيا بوست"، تاريخ النشر: 9 ديسمبر 2015م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/t3GfHW>

2. تركيا تمدد مهمة قواتها البحرية في خليج عدن، موقع "arabic.rt" تاريخ النشر: 8 فبراير 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/e2gxhm>

3. دراسة "السياسة التركية" الخشنة" لرسم خرائط النفوذ بالإقليم"، موقع "مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة"، تاريخ النشر: 22 فبراير 2018م، تاريخ الاطلاع: 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/yDzHa7>

وقد اهتمت أنقرة كثيراً بعدم مشاركة جنودها في العمليات القتالية، وبدلاً من ذلك شاركت بالقُوَّة الناعمة المتمثلة في تقديم المساعدات التنموية والاقتصادية والطبية، فدوماً ما كانت تركيا تؤطر عملها في أفغانستان ضمن إطار تاريخي بين البلدين وتحاول التأكيد على ما لها من قواسم مشتركة مع الشعب الأفغاني (1).

إدارة تركيا للملف الكردي

تعتبر الأزمة الكردية من القضايا التي تُهدد استقرار النظام الاجتماعي للبلاد؛ إذ تتمحور حول مطالبة بعض الفئات الكردية بالانفصال عن تركيا وتكوين دولة مستقلة بهم، ولطالما اعتادت أنظمة الحكم السابقة في تركيا على رفض وتجاهل تلك المطالبات وقمع أصحابها، لكن بعد صعود حزب "العدالة والتنمية" إلى الحكم العام 2002م، اختلفت طرق معالجة تلك القضية ونال الأكراد المزيد من الحريات في مجالات التعليم والإعلام والاندماج الاجتماعي والسياسي بعد أن كان ذلك ممنوعاً في السابق، فأصبح لديهم أحزاب تُعبر عن هويتهم، مثل: حزب الدعوة الحرة (2) وحزب الشعوب الديمقراطي (3)، والذي شارك في الانتخابات الرئاسية العام 2014م، وتولى الكثير من الأكراد مناصب عسكرية وإدارية عليا، وكل ذلك داخل نطاق الدولة القومية.

1. "الدور التركي في أفغانستان: سياسة "القُوَّة الناعمة" لإحلال السلام في أفغانستان"، موقع "قنطرة"، تاريخ النشر: 26 يوليو 2010م، تاريخ الاطلاع: 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/41hcng>.
2. حزب الدعوة الحرة أحد الأحزاب التُّرْكِيَّة، أسسه أنصار من حزب الله الكردي فرع «منزل» عقب انتهاء الصراع المسلح سنة 2002م.
3. حزب تركي تأسس عام 2012م، يُؤكِّد زعماءه أنه يُمثِّل كل الأتراك غير أن الكثيرين يعتبرونه حزباً كُردياً. ينص القانون الداخلي للحزب على أنه يُمثِّل المضطهدين والمهمشين وكل مكونات المجتمع التركي. للمزيد يُنظر: "حزب الشعوب الديمقراطي"، الجزيرة نت، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FVDV4B.

لكن عادت الأزمة الكرديّة تطفو مجدداً على السطح في تركيا لا سيّما بعد محاولة حزب الشعوب الديمقراطي إعلان الفيدراليّة ومساندة بعض البرلمانين لحزب العمال الكردستاني.

وفي أعقاب الأزمة السورية العام 2011م، زادت التهديدات المركزيّة في تركيا من قِبَل المنظمات الكرديّة الانفصاليّة المتطرّفة التي كانت تتوسّع شمال سوريا، وتستولي على الأراضي التي يُطرَد منها تنظيم "داعش". ومن هنا قررت تركيا خوض عملية "غصن الزيتون" العسكريّة في مدينة عفرين السورية؛ لمقاومة التهديدات الخارجيّة والداخليّة لقوات سوريا الديمقراطيّة التي تُهيمن عليها وحدات "حماية الشعب" الكرديّة المتهمة بتهديد الشريط الحدودي الجنوبي لتركيا، والتي تعتبرها أنقرة الذراع العسكريّ السوريّ لحزب "العمال" الكردستانيّ والذي تصنّفه تركيا والولايات المتّحدة الأمريكيّة على أنه منظمة متطرّفة (1).

تركيا في القرن الإفريقي

توصّف منطقة "القرن الإفريقي" التي تمتدّ من الصومال إلى إريتريا مروراً بإثيوبيا وجيبوتي، بأنها منطقة ثريّة للغاية كانت ولا تزال تحظى بمزايا هائلة، في مقدّماتها الموقع الجيو-استراتيجي المميز عند الطرف الشمالي-الشرقي للقارة السمراء، وتموضعه بين ثلاثة مجسّمات مائيّة حيويّة، هي: المحيط الهندي وخليج عدن والبحر الأحمر، بما يجعله يحظى بهيمنة كبرى على مضيق باب المندب وصولاً إلى قناة السويس الحيويّة، بكل ما يعنيه ذلك من سيطرة مباشرة على حركة الملاحة البحريّة الدوليّة، التجاريّة والنفطيّة والعسكريّة، بين دول الشرق والغرب، وثانياً ما يخترنه من موارد طبيعيّة جمّة مكتشفة ومخبأة، وثالثاً علاقات التأثير التاريخي المتبادلة مع الدول العربيّة والإسلاميّة.

1. طارق القزم، دراسة "القوّة الصلبة التركيّة الرؤي والتطبيقات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، مرجع سابق.

القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة

وقد التفت تركيا مبكراً إلى تلك المنطقة الحيويَّة من العالم، وتبَّنت تكوين علاقات استراتيجية معها وفي مختلف الجوانب، بحيث يرتكز مخططها على الدَّمج بين القُوَّة الناعمة والصلبة في أربعة دول رئيسة في القرن الإفريقي، وكان للصومال النصيب الأكبر من أدوات القُوَّة التُّرْكِيَّة الخشنة، التي تبرز في قرار أنقرة بناء قاعدة عسكرية هي الأكبر لتركيا خارج حدودها.

وتُعتبر هذه القاعدة الثانية لتركيا خارج أراضيها بعد قاعدتها في قطر، وقد أنشأتها شركة (إسطنبول - مقديشو) تحت إشراف وكالة "تيكا" التُّرْكِيَّة وحماية القوات الجوية التُّرْكِيَّة، وتقع على مساحة 400 ألف متر مربع، بحيث تبعد عن المطار كيلو متراً واحداً، ويمكن الوصول إليها براً وبحراً وجواً، وساهم في إنشائها نحو 100 عامل تركي، و450 عاملاً صومالياً، وبتكلفة تبلغ نحو 50 مليون دولار، على الطراز السلجوقي. وتضم 3 مدارس عسكرية، مخصَّصة لاستقبال الجنود من دول إفريقيَّة أخرى. وسيعمل فيها نحو 200 جندي تركي، يتم رفعهم لاحقاً إلى 600 جندي، وتستطيع تدريب 500 شخص في آن واحد، ومن المقرر الارتقاء بهذا العدد ليصل لاحقاً إلى 3000 عنصر، ويقتصر العمل فيها على تدريب الجنود الصوماليين فقط.

تركيا تفتتح منشأة عسكرية للتدريب في الصومال مطلع 2017



هذا بالإضافة إلى المساهمة التُّركيَّة في دعم أجهزة الأمن والجيش والشرطة في الصومال، بتقديم أحدث مواد التدريب العسكري لعناصرها داخل أنقرة، والمساهمة في إعادة تشكيل الجيش الصومالي والأجهزة الأمنيَّة التابعة له، وتدريب عناصرهما، وتوفير التجهيزات اللازمة لها؛ إذ سلَّمت تركيا الحكومة الصومالية نحو 450 قطعة من السلاح "MPT_76" المحلي الصنع، ثم توسَّع التعاون العسكري بتوقيع اتفاقية بين وكالة "تيكا"، التابعة لرئاسة الوزراء التُّركيَّة وبين مديريةية السجون الصوماليَّة، لإمدادها بنحو 650 زياً موحداً للسجناء الصوماليين(1).

وفي الإطار ذاته، تُقدِّم أنقرة إلى الصومال 2 مليون دولار شهرياً منذ العام 2016م لمساعدة حكومتها على دفع رواتب عناصر الشرطة، كما تتولَّى تدريب الآلاف من القوات الحكوميَّة من خلال مركز تدريب عسكري في ضواحي مقديشو، وكذلك تدشين مشروع لمصنع إنتاج الملابس العسكريَّة، يُعدُّ الأول من نوعه في البلاد، بما يضمن توفير الزي العسكري لجميع أقسام القُوَّات الصوماليَّة، والوصول إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي من إنتاجية الزي العسكري(2).

وفي إثيوبيا، تبرز القُوَّة التُّركيَّة الصلبة في توقيع اتفاقية دفاع مشترك في مايو 2013م مع حكومة إثيوبيا، وتصديق البرلمان الإثيوبي عليها في مارس 2015م، بهدف تدعيم التعاون في مجال الصناعات الدفاعيَّة، وتقديم تركيا الدعم الفني واللوجستي لزيادة قُدَّرات إثيوبيا العسكريَّة، ونقل التكنولوجيا الدفاعيَّة، وتحديث الموجودات العسكريَّة فيها، وتعزيز التعاون المتبادل بين شركات الصناعات الدفاعيَّة في البلدين، بالإضافة إلى توقيع صفقة أخرى بشأن تسليم أسلحة إلى إثيوبيا بقيمة

1. طارق القزم، دراسة "الحضور التركي في القارة الإفريقيَّة جزء 2"، مركز "مقديشو للبحوث والدراسات"، مرجع سابق.

2. سفير أنقرة بمقديشو: تركيا "دولة رائدة" في الاستثمار والدعم الإنساني بالصومال، الموقع الرسمي لوكالة "الأناضول" التُّركيَّة، تاريخ النشر 4 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/9KTMQC>.

مليار دولار العام 2015م، والمشاركة في تدريب قُوَّات الشرطة والجيش الإثيوبي، والتعاون المشترك في مجال مكافحة التطرُّف (1).

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ.. تَحَوُّلاتٌ عَرَبِيَّةٌ فِي الْمِيزَانِ:

تُعْتَبَرُ مفاهيم "القُوَّةُ النَّاعِمَةُ" من المفاهيم المتجدِّرة في ثقافات العالم بالماضي والحاضر. وقد دَعَتِ النُّخبُ العِلْمِيَّةُ والفِكْرِيَّةُ والثَّقَافِيَّةُ في أرجاء العالم منذ انتهاء الحرب العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ، وما تزال تدعو حتى يومنا هذا إلى التعايش السلمي، والتَّخَلِّي عن لغة القُوَّة، وتغليب ما يعرف اليوم بـ "القُوَّةُ النَّاعِمَةُ" على "القُوَّةُ الصَّلْبَةُ" في العلاقات الدَّوْلِيَّةِ. فيما سَعَتُ تركيا أيضاً للالتزام بهذا التوجه، ولطالما رُوِّجَ لمصطلح "تفسير المشكلات" أو "صفر مشاكل". وهي سياسة اعتمدها تركيا مع الجميع، وخاصَّةً دول الجوار. ويُوَكِّدُ هذا ارتقاء تركيا للمرتبة العشرين في تصنيف (2) "Monocole" لمقياس القُوَّةِ النَّاعِمَةِ للدول عام 2012م. واللَّذِي حذَّرَ أيضاً من إمكانية حدوث مشاكل لتركيا بسبب حالة عدم الاستقرار المُسَيِّطِرَةِ في جوارها (3)، وهو ما حدث فعلاً كما أوردنا سابقاً.

وفي غياب عامل الحَسْمِ، بعد موجات الربيع العَرَبِيِّ، سواءً في البلدان التي لم تنجرَّ إلى العنف الشامل (نموذج تونس ومصر)، أو تلك البلدان التي لا تزال تعيش حالةً من الفوضى والانظام (نموذج ليبيا واليمن)، وأيضاً في الدول العَرَبِيَّةِ الأخرى التي نجحت في حفظ استقرارها أو نظيراتها التي تعيش حالة انتظار وترقُّب، يبدو اللاعب التُّرْكِيُّ أكثرَ ارتياحاً في خططه وحساباته الاستراتيجيَّةِ ضمن تطبيقاته

1. دراسة "التغلغل التركي والقطري في دول القرن الإفريقي"، موقع "مركز المزملة للدراسات والبحوث"، تاريخ النشر 5 مارس 2017م، تاريخ الزيارة 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/udkkrN>.
2. مجلة بريطانيَّة تجري استطلاعاً سنوياً حول جودة الحياة حول العالم Quality of Life Survey سبق الإشارة إليها سابقاً.
3. "Soft Power Survey- 2012", monocle. November 2012, available at: goo.gl/p6115v

لأدوات القُوَّة النَّاعِمَة، والتي يَتَقَدَّم فيها على كُلِّ من اللاعبين الأَسَاسِيِّينَ في منطقة الشرق الأوسط: إسرائيل وإيران. في ظلِّ السباق المحموم لإعادة التَّمَوُّع التي تقوم بها القُوَى الإقليمِيَّة والدَّولِيَّة، بما يُمْكِنُهَا من الاستعداد لمواجهة الانعكاسات التي ستركها الانتفاضات العَرَبِيَّة (1).

فإذا كانت الحسابات التُّركِيَّة في هذا المجال، تعتمد على استشراف المسار الذي سيأخذه التغيير في البلدان التي شهدت انتفاضات شَعْبِيَّة، وعلى النتيجة النهائيَّة التي ستفرزها رياح التغيير بالمنطقة العَرَبِيَّة، والأشكال السِّيَاسِيَّة التي ستنشأ عنها. فإن انتشار المدِّ الديمقراطيِّ في العالم العَرَبِيِّ ستجني تركيا من ورائه الكثير ولا شك؛ إذ إنَّ الدول العَرَبِيَّة ستكون في وَضْعِيَّة ملائمة للالتقاء مع أجنداث أنقرة السِّيَاسِيَّة والاقتصاديَّة والعسْكَرِيَّة، مع إضفاء المزيد من الضغوط على إسرائيل. خصوصاً إذا ما أثبتت مصداقيَّتها فيما يَتَعَلَّقُ بمواجهة المدِّ الإيراني، وتداعيات الأزمة السُّوريَّة. لكن عدم نجاح التغيير الحالي في كُلِّ من مصر وتونس وليبيا، وذهابه أحياناً بعيداً باتجاه الفوضى، بدلاً من التغيير الإيجابيِّ والاستقرار البتَّاء. ومثل هذه الحقائق كانت ذا أثر سلبيِّ على مُخطَّطات أنقرة، والتي اعتمدت ما يلي في إطار القُوَّة النَّاعِمَة:

- السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة: عبر مشروع تركيا الخَارِجِيِّ في منطقة الشرق الأوسط، والقائم على تحقيق الاستقرار في محيطها، والانفتاح باتجاه الشرق، مع تفعيل سياسة تفسير نزاعات تركيا التي ستساعد على اسْتِثْبَاب نفوذها الإقليمِيِّ.
- السِّيَاسَة الاقتصاديَّة: زيادة قُدْرَة تركيا الاقتصاديَّة، وبالتالي مواصلة مضاعفة نِسْب التَّمَوُّ الاقتصاديِّ فيها، ورفع قيمة الصادرات. مع أَهْمِيَّة ما استثمرته تركيا

1. علي حسين باكير، "القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة في ميزان التَّحوُّلات العَرَبِيَّة"، إسلام أونلاين نت، 20 مارس 2011، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي لعدم إتاحتها على مصدره الأصلي حالياً، goo.gl/waZXRl

طيلة السنوات الأربع الماضية، وتحديدًا عبر الشراكات الاقتصادية مع الدول العربية، إنشاء أسواق مشتركة ومناطق تجارة حرة أيضاً. دون إغفال تضاعف حجم التبادل التجاري بين تركيا وعدد من الدول العربية (1).

- **السِّيَاسَةُ الدَّاخِلِيَّةُ:** سيُودِي تراجع الوضع الاقتصادي وعرقلة السِّيَاسَةُ الدَّاخِلِيَّةُ إلى مضاعفات على الصعيد الداخلي في تركيا، وقد يعزّز هذا الوضع من جهود خصوم حزب العدالة والتنمية في التَّيْلُ منه، ويرفع من أسهمهم إذا ما أحسنوا استغلال الفرصة خاصة في الاستحقاقات الانتخابية القادمة، وهكذا ينعكس في التَّطَوُّر السُّلْبِي العَرَبِيَّ على تركيا بحيث تَضَطَّرُّ إلى العودة للتقوقع والانغلاق حمايةً لنفسها، وبما يُودِّي إلى انعكاس الأدوار الإقليمية وإعادة تظهير الدور الإسرائيلي والإيراني (2).

العلاقات التُّرْكِيَّةُ - السُّورِيَّةُ، إرهابات الحرب بين تركيا وسوريا في العام 1999 م

مع بداية شهر أكتوبر العام 1998 م تصاعدت حِدَّةُ التوتر في العلاقات بين سوريا وتركيا إلى حدِّ نشوب صراع مسلَّح بين الدولتين؛ حيث دفعت القيادة السياسية التُّرْكِيَّةُ بقواتها المسلَّحة إلى الحدود المشتركة مع سوريا، واستمرَّت في تعزيز قُوَّاتها في المنطقة

1. اكتسب حجم التبادل التجاري بين تركيا والدول العربية زخماً كبيراً ووصل إلى 65 مليار دولار بنهاية عام 2012 م، ممَّا يعكس زيادة سبعة أضعاف مقارنة بعام 2003. وازدادت صادرات تركيا إلى المنطقة من 4.8 مليار دولار في عام 2003 إلى 38.6 مليار دولار في عام 2012 تجاوزت القيمة الإجمالية للمشاريع التي قام بها المقاولون الأتراك في دول الشرق الأوسط 65.8 مليار دولار بنهاية عام 2012. Middle East, Republic of Turkey Ministry of Trade, July 2013, available at: goo.gl/hNaJwC
2. علي حسين باكير، "القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ في ميزان التَّحَوُّلات العَرَبِيَّةُ"، إسلام أونلاين نت، 20 مارس 2011، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017 م، متاح على الرابط التالي لعدم إتاحتها على مصدره الأصلي حالياً، goo.gl/waZXrL

الحدودية، بينما تلقى أعضاء البعثة الدبلوماسية التُّركيَّة في دمشق تعليمات بترحيل عائلاتهم إلى أنقرة خلال أسبوع واحد اعتباراً من 4 أكتوبر 1998م لاحتلال اندلاع أعمال حربيَّة، واشتدَّت لهجة الخطاب السياسي للرئيس التركي سليمان ديميريل محذراً سوريا وتهديده صراحةً من عواقب الأزمة، بل وشكَّلت القيادة التُّركيَّة فريقاً من الخبراء السياسيِّين والعسكريِّين لإدارة الموقف المتصاعد مع سوريا (1).

ويرجع هذا التوتُّر إلى أسباب عدَّة (2)، منها: اتُّهام تركيا القيادة السُّوريَّة بتقديم الدعم للانفصاليِّين الأكراد، وحماية زعيم حزب العمال الكردستاني التركي عبدالله أوجلان على أراضيها طوال سنوات تجاوزت العشر، ووجَّه رئيس الحكومة التُّركيَّة آنذاك إبَّان زيارته لواء الإسكندرونة في أبريل 1996م تهديدات مباشرة لسوريا بذريعة دعمها الحزب، وأن أنقرة ستردُّ على أيِّ اعتداء، لأنها غير مُستعدَّة للتنازل عن أيِّ جزء من أراضيها. لتتردَّد في البلاد أحاديث عدة عن احتمال استعداد تركيا لشنِّ عمل عسكري محدود ضدَّ سوريا (3).

ومن أسباب التوتُّر بين البلدين أيضاً: إقدام أنقرة على توقيع اتفاق عسكري مع إسرائيل في فبراير 1996م، وما يتضمَّنُه من تعاون في مجال التصنيع الحربي المشترك وتبادل التكنولوجيا الحربيَّة، ويقضي الاتفاق أيضاً بأن تُقدِّم تركيا تسهيلات لإسرائيل تستطيع بموجبها استخدام القواعد والمطارات الجويَّة على أراضيها مقابل أن تساعد إسرائيل في إنشاء شبكة تجسُّس وزرع أجهزة تنصُّت وإنذار مبكَّر على حدود تركيا مع سوريا والعراق، بهدف الكشف المبكَّر عن أيَّة تحرُّكات للقوات السُّوريَّة أو العراقيَّة (4).

1. د. زكريا حسين، "الأزمة السُّوريَّة - التُّركيَّة .. إلى أين؟"، موقع أرشيف صحيفة "البيان"، تاريخ النشر: 9 أكتوبر 1998م، تاريخ الاطلاع 20 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/43f31s>.

2. د. زكريا حسين، "الأزمة السُّوريَّة - التُّركيَّة .. إلى أين؟"، موقع أرشيف صحيفة "البيان"، مرجع سابق.

3. علي صالح حمدان حامد، "الأزمة التُّركيَّة . السُّوريَّة العام 1998، وأثرها على العلاقات الأمريكيَّة- السُّوريَّة"، مجلة "آفاق فكرية"، العدد الخامس 2016م، نسخة إلكترونيَّة متاحة على الرابط التالي: <https://goo.gl/cGKlkb>.

4. جريدة "الأهرام" المصرية، العدد 39935، تاريخ النشر: 8 أبريل 1996م، تاريخ الزيارة 20 يناير 2019م، نسخة إلكترونيَّة متاحة على الرابط التالي: <https://goo.gl/cGKlkb>.

وتزايد الجدل والنقاش في الدوائر العربية آنذاك بشأن أهداف الاتفاق العسكري التركي الإسرائيلي، خاصة في ظل قيام الجانبين بمناورات مشتركة شرق البحر المتوسط، وبمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية نهاية مايو العام 1998م، والاتفاق على مناورات أخرى بحرية في نهاية نوفمبر العام ذاته.

وقد ردت سوريا على هذا الاتفاق بتحذير تركيا من خطورة الأمر على مصالح الدول العربية والإسلامية، ووصفت صحيفة "تشرين" السورية الاتفاقية التركية الإسرائيلية بـ"العذر الجديد لتوتر المنطقة وعدم الاستقرار"، وأن تلك الخطوة التي أقدمت عليها أنقرة لا تساعد على حدوث انفراجة العلاقات السورية التركية (1).

كما تعتبر مشكلة المياه من أبرز عوامل توتر الأجواء التركية- السورية؛ حيث أقرت القيادة التركية حقوق سوريا في مياه نهر دجلة وفقاً لمعاهدة لوزان واتفاقية مياه الفرات المبرمة بين سوريا وتركيا والعراق العام 1987م، والتي أقرت حقوق المياه لسوريا مقابل تعهد الأخيرة بضمان أمن الحدود التركية من هجمات حزب العمال الكردستاني، لكن بعض الأطراف السياسية في تركيا استغلت الأمر لتحويل مشكلة المياه إلى أزمة سياسية فأصرّوا على اعتبار حوض نهري دجلة والفرات حوضاً واحداً، وأن النهرين ينبعان من تركيا وليس من نهرين دوليين، وبالتالي يحق لتركيا التصرف في مياههما دون الأخذ في الاعتبار الأضرار الناجمة عن ذلك على سوريا والعراق.

وبشكل عام، رفضت أنقرة في أكتوبر 1998م إجراء أيّ مباحثات مع دمشق لتهدئة الأجواء قبل تسليم عبدالله أوجلان؛ حيث حاولت تركيا فرض قضية حزب العمال الكردستاني على أنها القضية الأولى مع سوريا، وعمدت السلطات التركية إلى تصعيد مفاجئ للتوتر بإطلاق كبار المسؤولين والعسكريين الأتراك تصريحات عدائية ضد سوريا.

1. جريدة "الأهرام" المصرية، العدد 39935، تاريخ النشر: 8 أبريل 1996م، تاريخ الزيارة 20 يناير 2019م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: <https://goo.gl/cGKLkb>.

وفي محاولة لنزع فتيل الأزمة المتصاعدة بين الطرفين، تَبَّتَ مصر وإيران مَهْمَةً الوساطة بينهما لإنهاء التوتر، فأجرى الرئيس المصري آنذاك محمد حسني مبارك زيارة إلى دمشق وأنقرة على رأس وفد كبير، لاستعراض مبادرة خاصة لاحتواء النزاع تلخَّصت شروطها في وقف الحملات الإعلامية المتصاعدة بين البلدين، واستضافة اجتماع لوزيري خَارجية سوريا وتركيا في القاهرة، وحال نجاح هذا الاجتماع يجري الترتيب لقمّة رئاسية بين حافظ الأسد وسليمان ديميريل لبحث المشاكل العالقة، مثل: أزمة المياه، وقضية حزب العمال، وعقد اجتماعات أمنية بين الجانبين لتبادل المعلومات، وتأمين الحدود البرية، وبحث أوجه التعاون الأمني، والحفاظ على الحد الأدنى من العلاقة بين البلدين بما يسمح بوقف التصعيد وعدم نشوب حرب بينهما، وعودة الأوضاع على الحدود إلى ما كانت عليه قبل التصعيد العسكري الجديد، والبدء الفوري بإجراءات بناء الثقة بين سوريا وتركيا ومناقشة الملفات بينهما بشكل مفتوح من دون تصوّرات مسبقة، وعدم تدخّل أي دولة منهما في شؤون الأخرى مستقبلاً(1).

وفي 19 أكتوبر 1998م أُجريت مباحثات بين وفدي البلدين على مستوى الخبراء الفنيين في المجال الأمني وخبراء السياسة الخَارجية، وسط تأكيد كلا الطرفين على أهمية التوصل إلى حلّ سَلْمِيٍّ للنزاع، وذكرت الصحف التُّركية آنذاك أن الوفد السوري قدّم لنظيره التركي قائمة بأسماء المعتقلين في سجون سوريا من عناصر حزب العمال، وأن السوريين رحبوا بزيارة محقِّقين أتراك إلى هذه السجون لاستجواب معتقلي الحزب، كما أعلن عبدالله أوجلان أنه لم يُعدّ يقيم في سوريا، وأنه نقل نشاطه السياسي إلى المناطق الكردية(2).

1. جريدة "الأهرام" المصرية، العدد 40850، تاريخ النشر: 10 أكتوبر 1998م، تاريخ الزيارة: 20 يناير 2019م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: <https://goo.gl/cGKLkb>.
2. جريدة "الأهرام" المصرية، العدد 40851، تاريخ النشر: 11 أكتوبر 1998م، تاريخ الزيارة: 20 يناير 2019م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: <https://goo.gl/cGKLkb>.

وبذلك نجحت جهود الوساطة المصرية والإيرانية في إنهاء التوتر بين سوريا وتركيا، وبرز ذلك في عقد اجتماع أمني سوري- تركي في منطقة أضنة التركية، وتمّ التوصل فيه إلى توقيع اتفاق أمني في 21 تشرين الأول 1998م، والذي عُرف بـ"اتفاق أضنة"، وتعدت فيه سوريا بإغلاق معسكرات حزب العمال الكردستاني على أراضيها وفي وادي البقاع اللبناني الخاضع لسيطرتها، ووقف مختلف أشكال الدعم للقضية الكردية التركية في سوريا ولبنان، بل وتنازلت سوريا عن مطالبها السابقة بعودة لواء الإسكندرونة تحت سيطرتها، وفي المقابل تعهدت تركيا بعدم السماح بانطلاق أي نشاط من أراضيها يهدد استقرار سوريا(1).

العلاقات التركيبية- السورية إبان أزمة عبد الله أوجلان

كان زعيم حزب العمال الكردستاني التركي عبد الله أوجلان محور الخلافات السياسية والدبلوماسية بين أنقرة ودمشق؛ حيث آوت الأخيرة الزعيم الكردي على أراضيها طوال سنوات تجاوزت العشر، فكان يقيم ويمارس نشاطه السياسي من هناك. لكن مع بداية شهر أكتوبر العام 1998م، بدأ الجيش التركي بشكل غير متوقع في حشد قواته على الحدود مع سوريا، بهدف فرض ضغط كبير على دمشق. وأعطت الولايات المتحدة الأمريكية الضوء الأخضر لأنقرة للضغط على دمشق من أجل إنهاء وجود عبد الله أوجلان ومعسكرات مقاتليه في سوريا والبقاع اللبناني، رغم أن دمشق وبيروت طالمتا نفيتا هذه الاتهامات، وقبلتا قدوم فريق من المفتشين الأتراك إلى أراضيها وإجراء جولات مكثفة من التفتيش في الأماكن التي يُزعم وجود حزب العمال الكردستاني فيها.(2)

1. "القاهرة تسعى إلى تسوية الحد الأدنى بين القاهرة ودمشق"، مجلة "المشاهد السياسي"، العدد 137 ص15، تاريخ النشر: 31 أكتوبر 1998م، تاريخ الزيارة: 20 يناير 2019م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: <https://goo.gl/cGKLkb>

2. جريدة الأهرام، العدد 40873، تاريخ النشر: 2 نوفمبر 1998م، تاريخ الزيارة: 21 يناير 2019م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: <https://goo.gl/cGKLkb>

وبذلك أدت تلك الأزمة في نوفمبر 1998م إلى سقوط أوجلان في فخّ اللجوء السياسي في روما بعدما تم توقيفه في مطار روما، ومع توالي ردود الفعل الكرديّة "العاصفة" التي شهدتها روما وأنقرة وبِضْع عواصم أوروبيةٍ أخرى، بدا واضحاً أنه فقدَ بذلك موقعاً يمكن اللجوء إليه بعد أن تخلّت عنه دمشق وموسكو وروما، رغم وعود الأخيرة باستقباله لاجئاً، لكن تراجعت عن قرارها بسبب انتقادات تركيّة وُجّهت إليها لسماحها له بمغادرة إيطاليا. (1)

وقد ذكر الكاتب والصحافي الإيطالي ماركو أنسالدو (Marco Ansaldo)، في كتابه الصادر العام 2002م، بعنوان "سِرِّي للغاية: قضية أوجلان"، أن جهاز الاستخبارات الأمريكيّة CIA، كانت ترصد عبر الأقمار الصناعيّة ولفترة طويلة بيانات خاصة بشأن محلّ إقامة أوجلان في سوريا، ومتابعة أنشطته العسكريّة وحركته في معسكرات تدريب الحزب، وأن هذه البيانات وصلت إلى القيادة السُوريّة بطريقة غير مباشرة، فتأكدت أنه لم يُعد ممكناً الدفاع عن هذا الوضع، ووُجّهت إلى أوجلان دعوة حادّة لمغادرة ملجئه (2).

في النهاية اتّجه عبدالله أوجلان إلى كينيا؛ حيث اعتُقِل هناك في 15 فبراير العام 1999م، بعد ملاحقة استمرّت سنوات طويلة من قِبَل الأجهزة الأمنيّة التركيّة، ووصل إلى أنقرة في اليوم التالي من اعتقاله مكبلاً بالأغلال، وبعد محاكمة لم تدم طويلاً صدَرَ الحكم بإعدامه، لكن مع الضغوط الأوروبيّة على السلطات التركيّة خُفّف الحكم إلى السجن المؤبّد والمشدّد داخل جزيرة إيمرلي- جنوب بحر مرمرة (3).

1. يُنظر نص بيان وراء خارجية دول إعلان دمشق في 12 نوفمبر 1998، مجلة "الدراسات الفلسطينية"، المجلد 10، العدد 37 (شتاء 1999)، 29 نوفمبر - 5 ديسمبر 1998، ص 18 و 21، تاريخ الزيارة: 21 يناير 2019م.
2. "طرد أوجلان من دمشق إلى روما بعد 13 سنة في ضيافة حافظ الأسد"، موقع صحيفة "الحياة"، تاريخ النشر: 18 يناير 2018م، تاريخ الاطلاع 20 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/a2Ep3V>.
3. "مرور 12 عاماً على اعتقال عبدالله أوجلان"، موقع "BBC عربي"، تاريخ النشر: 14 فبراير 2011م، تاريخ الاطلاع 20 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/iEWMta>.

تصنيف المشكلات مع سوريا بعد العام 2002م:

مع صعود حزب "العدالة والتنمية" إلى الحكم في تركيا، تبنت أنقرة دبلوماسية جديدة مع دول الجوار تقوم على "تصنيف المشاكل" اعتماداً على تعزيز موقعها الإقليمي، وبناء علاقات سياسية واقتصادية قوية مع هذه البلدان، وفي مقدمتها سوريا، التي تمتعت بعلاقات ممتازة مع جارتها التركية، وتمثل ذلك في الكثير من البرامج وخطط التعاون؛ حيث وقّعت الدولتان اتفاقات عدة أبرزها "اتفاقية التجارة الحرة" العام 2004م، والتي تسمح بتدفق البضائع في الاتجاهين وتنفيذ المشاريع المشتركة، مثل: السوق الاقتصادية المندمجة، والمكتب المشترك للتجارة الثنائية الذي دُشن العام 2007م، فشكّلت سوريا ممراً للبضائع التركية إلى كل من الأسواق اللبنانية والأردنية والمصرية وأسواق الخليج العربي. (1) وقد أدت هذه الخطوة إلى انتعاش اقتصادي تدريجي في البلدين، فارتفعت معدلات المشاريع التركية في سوريا بنسبة 100%، وخاصة في العاصمة الاقتصادية "حلب"، وبلغ حجم المستثمرين الأتراك نحو 40% من إجمالي المستثمرين الأجانب في المدينة، كما بلغ حجم التبادل التجاري بينهما نحو مليارين و200 مليون دولار العام 2010م، بينما كان في العام 2004 نحو 400 مليون دولار فقط. (2)

نجاح التعاون التركي- السوري شجّع الكثير من دول الجوار التركي على اتخاذ خطوات مماثلة نحو توثيق العلاقات مع أنقرة، مثل: لبنان والأردن، اللتين حرصتا على الانضمام إلى اتفاقية الاتحاد الجمركي بين سوريا وتركيا، ليتشكّل اتحاد رباعي (تركي- سوري- لبناني- أردني). (3).

1. بيرم بالسي، مقال تحليلي "المعضلة السورية: ردّ تركيا على الأزمة"، موقع "مركز كارنيجي للشرق الأوسط"، تاريخ النشر: 10 فبراير 2012م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/nphAEV>.
2. "العلاقات الاقتصادية السورية- التركية"، موقع "عنب بلدي"، تاريخ النشر: 17 ديسمبر 2017م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/21HoJX>.
3. د. محمد نور الدين، "تركيا في عام 2010.. بين إنجازات تحققت وتحديات قائمة"، موقع هيئة الإذاعة والتلفزيون السويسرية "swissinfo"، تاريخ النشر: 28 ديسمبر 2010م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/6cVHT4>.

وفي ديسمبر العام 2009م توثق التعاون بين تركيا وسوريا بفتح الحدود بين البلدين وإلغاء متطلبات تأشيرات السفر للمواطنين السوريين والأتراك، وذلك خلال الاجتماع الأول لمجلس التعاون الاستراتيجي عالي المستوى بين البلدين في دمشق، بحضور رئيسي الوزراء السوري والتركي آنذاك، محمد ناجي عطري (1)، ورجب طيب أردوغان. وقد وصف وزير الخارجية التركي آنذاك أحمد داوود أوغلو قرار إلغاء التأشيرة بأنه "حدث تاريخي واستراتيجي لمصلحة الشعبين؛ السوري والتركي" (2). بينما صرح وزير الخارجية السوري وليد المعلم أن "مجلس التعاون الاستراتيجي المشترك يشكل حدثاً تاريخياً مع الاحتفال بعبور الحدود المشتركة إيداناً بالتوقيع الرسمي لإلغاء سِمات الدخول بين البلدين" (3).

وقد أعلن عن تأسيس مجلس التعاون عالي المستوى بين سوريا وتركيا خلال زيارة الرئيس السوري بشار الأسد إلى تركيا في سبتمبر 2009م، وتضمن إعلان التأسيس تشكيل مجلس أعلى على مستوى القيادات السياسية وآخر على مستوى الوزراء في كلا البلدين (4).

1. محمد ناجي العطري، مهندس وسياسي سوري، وكِد في مدينة حلب السوريّة في العام 1944م، شَغَلَ منصب رئيس وزراء سوريا في الفترة ما بين العام 2003 إلى العام 2011م. للمزيد ينظر الرابط التالي: <http://cutt.us/5hp6e>
2. رنا عبدالعزيز خماس، كتاب "العلاقات التُّركيَّة-الإسرائيليَّة وتأثيرها على المنطقة العربيَّة"، الناشر: مركز "دراسات الشرق الأوسط-الأردن"، الطبعة الثانية- 2010، ص 127، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/AXs2ov>.
3. "سوريا وتركيا: انقلاب تاريخي؟"، موقع هيئة الإذاعة والتلفزيون السويسريّة "swissinfo"، تاريخ النشر: 23 أكتوبر 2009م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/6wYEBZ>
4. "توقيع 50 اتفاقية خلال اجتماعات مجلس التعاون السوري-التركي"، موقع "BBC عربي"، تاريخ النشر: 23 ديسمبر 2009م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/9BLeKo>.

واشتمل التعاون الاستراتيجي بينهما على توقيع أكثر من 30 اتفاقية و10 بروتوكولات ثنائية ومذكرة تفاهم في مجالات الدفاع والأمن والاقتصاد والصحة والزراعة والرِّيِّ والبيئة والكهرباء والنفط والنقل، فعلى سبيل المثال أجرت سوريا وتركيا مناورات عسكرية مشتركة ومباحثات أخرى لتنسيق جهودهما على الحدود، وتنظيم لقاءات دورية للقادة العسكريين لتبادل الرأي والخبرة والتجربة، والتعاون في مجال الصناعات الدفاعية، وامتلاك وتطوير العتاد ونقل تقنيات كل طرف إلى الطرف الآخر(1).

أسباب وصور التدخل التركي في سوريا بعد العام 2011م

منذ اللحظة الأولى لانطلاق شرارة ثورات الربيع العربي العام 2011، اتخذت تركيا نهجاً واضحاً ومغايراً عن الكثير من دول العالم، فقد أيدتها أنقرة سريعاً، وتغذّلت في قيم الديمقراطية والتغيير، لكن الأمر اختلف كلياً مع الثورة السورية؛ إذ بدأت تركيا باتباع استراتيجية داعمة للثورة السورية في البداية، وصولاً إلى دعم وتسليح المعارضة السورية، وحتى مرحلة احتواء النظام السوري.

ويرجع ذلك لاعتبارات عدة(2)، منها: الجوار التركي- السوري وطول الحدود بين البلدين؛ ما يُفسّر تأثر أنقرة المباشر بمجريات الأزمة، وأن أيّ تطوّر غير متناغم مع طموحها في سوريا سينعكس بالسلب على استقرارها وأمنها القومي.

كما أن العلاقات التركية - السورية قد شهدت تحسناً جذرياً مع دخول العقد الأول من الألفية الثالثة وولوج بشار الأسد إلى رأس السلطة في سوريا وبلوغ حزب "العدالة والتنمية" الحكم في تركيا، والذي تبنى في سياسته مع دول الجوار "تصفير المشاكل"،

1. "دمشق توقع اتفاقيات أمنية وعسكرية مع أنقرة"، موقع "france24"، تاريخ النشر: 15 أكتوبر 2010م، تاريخ الاطلاع: 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/Xh1VJq>.
2. جلال سلمي، دراسة "السياسة التركية حيال الأزمة السورية 2011 - 2017"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، تاريخ النشر: 23 يونيو 2017م، تاريخ الاطلاع: 21 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/jYmsRB>.

حتى بلغت العلاقة بين سوريا وتركيا الذروة وأصبح الزعيمان، الأسد وأردوغان، صديقين على المستوى الشخصي، لكن أنقرة رغبت في تصدير صورة ذهنية إيجابية عن نفسها بأنها راعية الديمقراطية والحُرِّيَّة، وأنها لن تتخلى عن تلك المبادئ، سواءً لاعتبارات المصالح السياسيَّة أو غيرها، لا سيَّما مع ما اتخذته النظام السوري مع المعارضة من أليآت قمع عنيفة بزغت بوضوح للمجتمع الدولي.

كذلك لا يمكن إغفال رغبة تركيا في دخول المعترك السياسي الدولي بقوة، وأن تحلَّ مكانها الرائدة السابقة إبَّان الحكم العثماني، وكانت ثورات الربيع العربي بمثابة بوابة عبورها إلى منطقة الشرق الأوسط، والترويج السريع والفعل لمشروعها المستقبلي في الحصول على موقع القوة الإقليمية الرائدة كدولة لها ثقلها ووزنها السياسي.

ومن الأسباب الأخرى وراء دعم السياسة الخارجيّة التركيَّة للأزمة السوريَّة، رغبة أنقرة في الحصول على التأييد الدولي، لا سيَّما من قِبَل أوروبا والولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، التي أيَّدت ثورات الربيع العربي رغم تردُّدها في إعلان مواقفها منذ البداية، فحرصت الدبلوماسية التركيَّة على مسايرة الرغبة الدوليَّة في إطار سياسة كَسْب المواقف واغتنام الفوائد السياسيَّة والدبلوماسيَّة الهائلة.

وضعت تركيا في حسابها أيضاً التواجد القوي لإيران وروسيا في سوريا، وباعتبار أن الأولى المنافس الإقليميَّ التاريخيَّ الأول لها في منطقة الشرق الأوسط، والثانية منافسها الإقليميَّ التاريخيَّ الأول على صعيد منطقتي البلقان وآسيا الوسطى، فإن تمدُّ نفوذهما في سوريا ودعمهما اللامحدود للنظام السوري، سيقلِّص بالضرورة النفوذ التركي في المنطقة ويهدِّده بقوة، وهو ما دفع أنقرة لرؤية الأزمة السوريَّة فرصة ذهبيَّة للقضاء على نفوذ منافسيها التاريخيين في المنطقة.

وبذلك، انطلقت المواقف التركيَّة حيال الثورة السوريَّة من هذه الرؤى، وأظهرت السنوات اللاحقة بعض التغيرات في المواقف التركيَّة ونوعيتها، فقد دشَّنت سياستها الخارجيّة إزاء الأحداث في سوريا أولاً على أساس اتباع قنوات الوساطة الدبلوماسيَّة والدعوة إلى حلِّ الأمور بالطرق السلميَّة، وبما يكفل للشعب السوري مبتغاه من

الحُرِّيَّة. وتجلَّى ذلك في إرسال برقيات إعلامية ودبلوماسية على مستوى رفيع إلى النظام السوري تطالبه بالإصغاء لشعبه، وزيارات وزير الخارجية التركي آنذاك أحمد داوود أوغلو إلى دمشق، وكان آخرها في 9 أغسطس 2011م، لكن كان في استقباله مساعد وزير الخارجية السوري عبد الفتاح عمورة، وليس نظيره السوري، الأمر الذي أعطى صورة سلبية عن تعنت النظام السوريّ وبدء تدهور العلاقات بين الطرفين. (1) ومع استخدام نظام الأسد القوة المفرطة تجاه المتظاهرين، أعربت تركيا عن استنكارها الشديد، ودعت المنظمات الدولية إلى التعامل بحزم مع ما وصفته بـ"جرائم النظام السوري"، وفي 11 أغسطس 2011م خاطب الرئيس أردوغان النظام السوري بقوله "الدم المسكوب يقطع الرابط بينكم وبين شعبكم. كل قطرة دم تدفع المجتمع الدولي لاتخاذ إجراءات احترازية ضدكم"، لكن الأسد لم يرد قول أو فعل إيجابي، فجاء التصريح التركي الرسمي التالي من داوود أوغلو بتاريخ 15 أغسطس 2011م بأن "الحديث مع النظام السوري انتهى"، أي أن تركيا تخفّض مستوى علاقاتها الدبلوماسية مع دمشق (2).

وردت تركيا فيما بعد بالجوء إلى سياسة "الدعم المفتوح" للمعارضة السياسية والمسلحة، والترحيب باللجئين السوريين واتباع مبدأ "الأبواب المفتوحة" معهم وتأسيس مخيمات الإيواء على ضفتي الحدود مع سوريا، وتقديم المساعدات الإنسانية لهم، وانتقاد النظام السوري إعلامياً وفي مقدمته بشار الأسد، وتجلّى هذا في خطابات رئيس الوزراء آنذاك السيد رجب طيب أردوغان، كما اكتست سياستها الخارجية بثوب المساند عسكرياً ولوجستياً للمعارضة، فقد تمّ السماح لها بتأسيس مكتبها السياسي

1. "العلاقات التركيبية السورية: ما بين الهبوط والصعود"، موقع "الجزيرة" التركيبية، تاريخ النشر: 6 يناير/ كانون الثاني 2014، تاريخ الاطلاع 21 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/H47V7q>

2. "العلاقات التركيبية السورية: ما بين الهبوط والصعود"، موقع "الجزيرة" التركيبية، تاريخ النشر: 6 يناير/ كانون الثاني 2014، المرجع السابق.

وأذرعته في مدينة إسطنبول، ليس هذا فقط بل وقررت حظر استخدام أجوائها السيادية أمام الطيران الذي ينقل مساعدات عسكرية ولوجستية للنظام السوري، مثل: الطائرات السورية الميدانية التي كانت في طريقها من موسكو إلى دمشق، في 11 أكتوبر/تشرين الأول 2012، وأكدت أنقرة حينها أنها تنقل أسلحة إلى النظام السوري(1).

ومن جملة القرارات التي اتخذتها أنقرة لمعاينة النظام السوري؛ وقف التعاون الاستراتيجي رفيع المستوى مع دمشق حتى يتسلم السلطة نظام شرعي يختاره الشعب، وتجميد ممتلكات الأشخاص المقربين من بشار الأسد، والذين ثبت عليهم ضلوعهم في الأعمال الإجرامية ضد الشعب، ومنعهم من دخول تركيا، وإدراج رجال الأعمال المقربين والداعمين لنظام الأسد في ذات القائمة، وقف بيع ونقل جميع أنواع المواد العسكرية إلى نظام الأسد، ومنع أي عملية دولية لنقل الأسلحة إلى النظام السوري عبر الجو والمياه الإقليمية والأرض التركية، على أن يتم مراعاة القانون الدولي في عملية المنع، وإيقاف الأنشطة التداولية والتجارية مع البنك المركزي السوري، وتجميد الممتلكات المالية للحكومة السورية في تركيا، وإيقاف عمليات الاقتراض المتبادل بين تركيا وسوريا، وتعليق العمل باتفاقية تمويل مصرف "إيكسيم بنك" التركي الحكومي لمشاريع البنية التحتية في سوريا(2).

وجاء أكثر هذه القرارات حسماً في 30 مايو 2012م بقطع أنقرة العلاقات الدبلوماسية كاملة مع النظام السوري، وطرد ممثلين النظام الدبلوماسيين العاملين على الأراضي التركية، لا سيما مع ارتكاب النظام السوري "مجزرة الحولة" بتاريخ 25 مايو العام

1. دويجو غوفانج، محمد نايبير، جودت أوزدامير، "إجبار طائرة سورية على الهبوط في مدينة أنقرة"، صحيفة "الصباح" التركية، تاريخ النشر: 11 أكتوبر/تشرين الأول 2012م، تاريخ الاطلاع 21 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/ZoQ57A>.
2. عمر توغاي كيناليتوبوك، رسالة ماجستير بعنوان العلاقات التركية السورية ما بين عامي 2002 و2014، المشرف: بروفيسور دكتور سيبال طوران، قسم العلاقات الدولية، جامعة تراكيا، تاريخ النشر: 2014، تاريخ الاطلاع 21 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/hQy3hH>.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

ذاته (1)، الأمر الذي ساهم في توسيع الفجوة بين الطرفين، بعدما رفضت دمشق تحمُّلُ المسؤولية، واتَّهمت قُوَّات المعارضة المسلَّحة بارتكابها. (2)

ومع توالي الأحداث السياسيَّة والعسكريَّة، ارتأت الحكومة التُّرْكِيَّة أنها بحاجة أكبر لتشكيل قُوَّة رادعة للنظام السوريِّ، فاتَّجَّهت لتوسيع نطاق قواعد الاشتباك العسكري ضدَّ سوريا، والتي قضت بالردِّ الفوري على أيِّ هجوم يكون مصدره سوريا، وزادت من حجم قُوَّاتها العسكريَّة الموجودة على الحدود، وردَّ النظام السوري على ذلك في 14 أكتوبر 2012م، بإغلاق أجوائه أمام الطيران المدني التركي (3)، وحينما فقدت أنقرة الأمل في تراجع النظام السوري عن عمليَّاته العسكريَّة في البلاد، أعلنت في 15 نوفمبر 2012م، اعترافها بالائتلاف الوطني لقوى الثورة السُّوريَّة (4) باعتباره الممثل الوحيد والشعري للشعب السوري. (5)

1. "الخارجية السُّوريَّة تنفي مسؤوليَّة جيش النظام عن "مجزرة الحولة"، موقع صحيفة "المصري اليوم"، تاريخ النشر: 27 مايو/أيار 2012م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/td1s7w>
2. مجزرة الحولة: مجزرة وقعت يوم الجمعة 25 مايو 2012م في قرية الحولة، ووافقت جمعة «دمشق موعدا القريب» من جَمْع الثورة السُّوريَّة. راح ضحيتها عشرات الأشخاص منهم أطفال ونسوة وشيوخ من أهالي بلدة الحولة الواقعة في ريف حمص. وتشير بعض التقديرات إلى أن دوافع المجزرة طائفية وتمت بمشاركة الشيحة وعناصر أمنية وبعض سكان القرى العلوية المحيطة بالقرية، وقد اقتحم المنفذون البلدة السنية تحت غطاء ناري من قذائف دبابات الجيش السوري، وقُتِل 92 شخصاً في الحولة من بينهم أكثر من 30 طفلاً. للمزيد ينظر الرابط التالي: <http://cutt.us/2iONx>
3. "العلاقات التُّرْكِيَّة السُّوريَّة: نقاط الصعود والهبوط"، موقع "الجزيرة" باللغة التُّرْكِيَّة، تاريخ النشر: 6 يناير/كانون الثاني 2014م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/H47V7q>
4. الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية هو ائتلاف لمجموعات معارضة سورية في الثورة السورية. تشكَّل الائتلاف في الدوحة، قطر في نوفمبر 2012م. انتُخب الداعية معاذ الخطيب، إمام المسجد الأموي في دمشق سابقاً رئيساً للائتلاف، كما انتُخب كل من رياض سيف وسهير الأتاسي نائبين للرئيس، ومصطفى صباغ أميناً عاماً. يتكون الائتلاف من 63 مقعداً، ويمثل أعضاؤه معظم قوى المعارضة، فمن أعضاء الائتلاف: المجلس الوطني السوري، والهيئة العامة للثورة السورية ولجان التنسيق المحلية والمجلس الثوري لعشائر سوريا، ورابطة العلماء السوريين، واتحادات الكتاب، والمنتدى السوري للأعمال، ونيار مواطنة، وهيئة أمناء الثورة، وتحالف معاً، والكتلة الوطنية الديمقراطية السورية، والمكون التركماني، والمكون السرياني الأثوري، والمجلس الوطني الكردي، والمبشر الديمقراطي، والمجالس المحلية لكافة المحافظات، إضافة إلى بعض الشخصيات الوطنية وممثل عن المنشقين السياسيين. للمزيد ينظر الرابط التالي: <http://cutt.us/vJPC6>
5. "تركياً تقرُّ "الائتلاف السوري" ممثلاً شرعياً" موقع "سكاي نيوز"، تاريخ النشر: 15 نوفمبر/تشرين الثاني 2012م، تاريخ الاطلاع 27 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/uGMYqv>

ومع مطلع العام 2015م، تحوّل التدخّل التركي في الأزمة السُّوريّة من الأسلوب غير المباشر إلى الأسلوب المباشر، والذي برز في إرسال قوات بريّة داخل الحدود السُّوريّة، واستدعاء قادة الفصائل الفاعلة في سوريا إلى أنقرة، والتنسيق معها مسار المعارك بشكل مباشر، كما قرّرت رفع مستوى تعاونها مع قطر والمملكة العربيّة السعوديّة، مشكلةً من خلال ذلك التعاون "جيش الفتح" في 24 مارس 2015م، والذي تشكّل من فصائل سورية عدّة، أبرزها: جبهة النصرة، وأحرار الشام، وجند الأقصى، وفيلق الشام، وأجناد الشام، والذي استطاع في 28 مايو 2015م، تحرير مدينة إدلب السُّوريّة بالكامل. (1)

كما استقدمت الحكومة التُّركيّة مطلع العام 2016م بعض الطائرات السعوديّة العسكريّة إلى قاعدة "إنجيرليك" في مدينة أضنة؛ اعتزاماً لإطلاق حملة بريّة مشتركة مع القوّات السعوديّة في الداخل السوري، من أجل إعاقة تحرك قوات الحماية الكرديّة على الحدود التُّركيّة مع سوريا (2)، حتى أن النظام السوري طالب مجلس الأمن الدولي رسمياً، في 14 فبراير 2016، بالتدخّل الفوريّ لوقف القصف التركي على مواقع الأكراد، معتبراً ذلك "انتهاكاً سافراً لسيادة سوريا على أراضيها". (3)

لكن ما لبثت أنقرة أن بدأت في إرسال إشارات للنظام والمجتمع الدوليّ من خلال قبول التفاوض السلمي مع النظام السوري، ففي خِصَمّ احتدام الخطابات المتبادلة بين الطرفين، فاجأ وزير الخارجيّة التركي آنذاك تشاوش أوغلو العالم في 22 فبراير 2016م، بتصريحاته أن تنفيذ عملية عسكرية بريّة في سوريا ليس مطروحاً. (4)

1. "صحيفة تركية: جيش الفتح تقوده أنقرة وتموّله السعوديّة"، موقع "قناة الميادين"، تاريخ النشر: 2 حزيران/يونيو 2015م، تاريخ الاطلاع 24 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/GERJEn>.
2. "وصول طلائع القوّات الجويّة السعوديّة لتركيا لبدء ضربات جويّة في سوريا"، موقع "رام الله الإخباري"، تاريخ النشر: 13 فبراير/شباط 2016م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/3r4Ac4>.
3. "العلاقات بين سوريا وتركيا منذ اندلاع الحرب"، موقع "قناة BBC" باللغة العربيّة، تاريخ النشر: 12 يوليو/تموز 2016م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/7ZqTt6>.
4. "بن علي يلديريم: تركيا تسعى إلى تطوير علاقات جيدة مع سوريا"، موقع "قناة BBC" باللغة العربيّة، تاريخ النشر: 12 يوليو/تموز 2016م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/L18NkU>.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وفي أوائل شهر يوليو العام ذاته، شعرت تركيا بأنها غير مؤثرة في مسار حلّ الأزمة، فأخذت تدعو روسيا لإعادة الاتصالات العسكرية بين البلدين، والاتّجاه صوب إيجاد حلّ سياسي للأزمة السُّوريَّة، وفي 13 يوليو أكّد رئيس الوزراء التركي بن علي يلديريم أن بلاده تسعى إلى تطوير علاقات جيّدة مع سوريا، في إطار هدفها الرامي إلى تحسين العلاقات مع دول الجوار، فصنّف هذا التصريح على أنه منعطف تاريخي للسياسة التُّركيَّة إزاء سوريا، والتي كانت تضغط على كافّة القُوَى من أجل الإطاحة بنظام الأسد. (1)

وقد سارت العملية بالتعاون بين الجيش التركي وبعض فصائل الجيش السوري الحرّ، مثل: "فيلق الشام" و"لواء السلطان مراد" و"حركة أحرار الشام"، وأعلنت الحكومة التُّركيَّة أنها ترغب من ذلك في تأمين حدودها مع سوريا من مسلحي "داعش" وتدايعات الحرب في البلاد، ومنع قوات سوريا الديمقراطية، التي تعتبر قوات الحماية الكردية أحد عناصرها الرئيسيَّة، من الاستيلاء على المناطق الحدودية وبناء ممر يربط بين قواتها في حلب وتلك الرابضة شرق الفرات، ووقف موجة نزوح جديدة، وإيصال المساعدات إلى المدنيين السوريين باليَّات أكثر يسراً. (2)

ولم يكن وراء تحوُّل تركيا إلى احتواء النظام السوري بالآليَّات السياسيَّة، رغبتها في الاصطدام بالولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، بل على العكس يمكن القول: إن واشنطن سعت إلى تحفيز أنقرة لهذه الخطوة بصورة غير مباشرة، فلطالما ماطلت أمريكا والقوى الأوروبيَّة في اتّخاذ إجراءات حاسمة لإسقاط النظام السوري، وفي الوقت ذاته رغبت في احتواء النفوذ الروسي والإيراني في سوريا، لتثبيت أقدامها في الشرق الأوسط.

1. "الكردمليين: موسكو ترغب في عودة العلاقات مع تركيا"، صحيفة العرب، تاريخ النشر: 15 يونيو/حزيران 2016م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/T4mLBY>.
2. عملية درع الفرات في 5 أسئلة، موقع قناة "دويتشه فيله" باللغة العربية، تاريخ النشر: 1 ديسمبر/كانون الأول 2016م، تاريخ الاطلاع 24 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/PCYJML>.

كما أن واشنطن كانت بصدد التوصل إلى اتفاق مع إيران بشأن برنامجها النووي، والذي يُمهد لها تفكيك التكتل الروسي الصيني الإيراني الذي يُصيبها بالذعر، لا سيَّما في ظلِّ اقتناعها أنه من الصعب تنحية نظام الأسد في ظلِّ الدعم الروسي والإيراني المكثَّف، لذا رأت الولايات المتَّحدة أن التقارب مع إيران قد يُبقي على نفوذها في سوريا ويوسِّعه، وفي المقابل يضعف النفوذ الروسي، وهو ما يمكنها من توسيع النفوذ دون خسائر عسكرية جمة (1).

1. جلال سلمي، دراسة "السياسة التُّركيَّة حيال الأزمة السُّوريَّة 2011 - 2017"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، تاريخ النشر: 23 يونيو 2017 م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019 م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/jYmsRB>.

المبحث الثاني

القوة التركيبية الناعمة حول العالم

أولاً: تركيا في الشرق الأوسط:

منذ إعلان الجمهورية التركية في عشرينيات القرن الماضي (1)، عاشت تركيا علاقات حذرة مع دول الجوار في الشرق الأوسط، وقررت التوجه نحو أوروبا والغرب عامة، وخلق عباءة الماضي وبناء شخصية جديدة وتوجه آخر، لكن الأحداث المحيطة وبطء التعامل الغربي مع ملف تركيا دفعها لإعادة النظر في سياستها والانفتاح على تلك الدول القريبة، فتركيا أصلاً هي دولة شرق أوسطية. ومع انتهاء الحرب الباردة وأزمة الخليج الثانية أصبح أمن واستقرار تركيا مرتبطاً بشكل وثيق بالتطورات في منطقة الشرق الأوسط إلى حد القول: "إن الأمن التركي لم يعد منفصلاً عن الأمن في منطقة الشرق الأوسط" (2).

وقد أدرك قادة حزب العدالة والتنمية أهمية هذه المنطقة بوصفها مجالاً جغرافياً يقع في جوار تركيا، ويمكن لها أن تلعب دوراً إقليمياً محورياً من دون الاصطدام بقوى عالمية ممانعة؛ حيث يمكن القول: إن الدور التركي في منطقة الشرق الأوسط

1. تأسست الجمهورية التركية في العام 1923م على يد مصطفى كمال أتاتورك، أول رئيس لتركيا الحديثة، وذلك بعد قرون من كونها حاضرة الخلافة العثمانية، حيث تحولت تركيا إلى دولة قومية عصرية، وشهدت تحولات اجتماعية وسياسية ولغوية واقتصادية كبيرة، من كونها دولة إسلامية إلى دولة علمانية على النمط الفرنسي. للمزيد يُنظر: محمد سلمان القضاة، "تركيا.. مسار تاريخي"، الجزيرة نت، 3 أكتوبر 2004، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/HHsw9k
2. نظير محمد أمين، "موقف تركيا من أحداث التغيير في المنطقة العربية"، مجلة العلوم القانونية والسياسية، جامعة ديالى، العراق، العدد الثاني 2013م، ص 9.

لا يجد معارضةً من طرف الولايات المتحدة الأمريكية؛ نظراً لأنها تعتبره يُسْكَلِّ ثَقَلًا موازياً للدور الإيراني في المنطقة الذي يلقى معارضة الولايات المتحدة. كما أن تركيا تحظى بصورة إيجابية لدى شرائح عريضة واسعة تُبدي إعجابها بالنموذج التركي الذي نجح في حل إشكالية الدين والدولة، وإشكالية التداول السلمي للسلطة إلى جانب إصلاحات تركيا الاقتصادية⁽¹⁾.

في البداية سعت تركيا الجديدة، إلى تثبيت استقرار المنطقة المحيطة بها ليصبح الوضع ملائماً لممارستها دوراً كاملاً بوصفها لاعباً إقليمياً ذا مشروعية عالمية في نظام دولي جديد، واقتنع السيد عبد الله غول⁽²⁾ والسيد رجب طيب أردوغان بضرورة فك العزلة عن سوريا، "معاندين إصرار إدارة جورج بوش الابن في واشنطن على عزل نظام الرئيس بشار الأسد كمثال جديد على استقلالية القرار التركي عن كل شيء، إلا عن المصالح الوطنية.

وهذا أيضاً لدى السيد أحمد داود أوغلو ما يبرره، إذ يقول: «إن عزل سوريا وحصارها غير ممكن؛ لأن فيه عزلاً لتركيا تجاه مجالها الحيوي الشرق الأوسطي، بما أن الحدود التركية - السورية هي الأطول جغرافياً (نحو 800 كيلومتراً)»⁽³⁾ مما ساهم لاحقاً

1. فادي عبدالله، "تركيا في القرن الحادي والعشرين الوظيفة والدور المستجدان في ظل التغييرات الجيوسياسية على صعيد العالم والمنطقة وفي ظل مشروع أمريكا للشرق الأوسط الجديد"، الحزب الشيعي اللبناني، 16 أكتوبر 2012م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/j90cHE

2. الرئيس التركي السابق، خبير اقتصادي وسياسي محكّ قاد أنقرة للبدء في محادثات الانضمام للاتحاد الأوروبي عام 2005م، تولى رئاسة تركيا في 2007م. ولد عبد الله غول في 29 أكتوبر 1950م في محافظة قيصريّة من عائلة متواضعة. تخرّج من كلية الاقتصاد بجامعة إسطنبول عام 1972م، ثم حصل على الماجستير ثم الدكتوراه من بريطانيا في موضوع تطوّر العلاقات الاقتصادية بين تركيا والعالم الإسلامي عام 1978م.

3. جهاد الزين، "التقدم المدهش في العلاقة التركية- السورية وضيق الأفق اللبناني"، ناو ميديا، 18 سبتمبر 2003م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7eQdJO

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

في تعزيز قابليَّة القيادة السُّوريَّة لنقل هذه العلاقة إلى مستوى أكثر استراتيجيَّة: علاقة حسن جوار وتعاون إثر تذويب الخلاف على المسألة الكرديَّة مع توقيع اتِّفاق أضنة عام 1998م (1) الَّذِي عَجَّلَ بنهاية ما يمكن وَصْفُهُ بحربٍ باردةٍ بين البلدين. (2)

وقد حَقَّقَت السِّيَاسَةُ التُّرْكِيَّةُ في هذا نتائجٍ مُهمَّةٍ وإيجابيَّةٍ كبيرة، تُمثِّلُ بالنجاح في التَّوَصُّلِ إلى اتِّفاقٍ يسهم في تسوية الملف التُّوويِّ الإيرانيِّ من خلال الوساطة التُّرْكِيَّةُ البرازيليَّة لتبادل الوقود التُّوويِّ الإيرانيِّ على الأراضي التُّرْكِيَّة (3)، كما لعبت أنقرة دور الوسيط بين سوريا وإسرائيل (4) في مفاوضات مباشرة تَوَقَّفتُ لاحقاً بسبب

1. بروتوكول أضنة الأمني Adana Protokolü Sonrası (في 20 تشرين الأول 1998م) بين سوريا وتركيا، ويُنصُّ على التعاون في مواجهة الإرهاب ومنع تواجد عناصر حزب العمال الكردستانيِّ على الأراضي السُّوريَّة. جاء ذلك بعد التهديدات التُّرْكِيَّةُ بالقيام بعمل عسكريٍّ ضد سوريا لإبوابها مقاتلي حزب العمال الكردستانيِّ ورئيسه عبدالله أوجلان. وقد ظلَّ البلدان يعملان بالاتفاق الأمنيِّ حتى عام 2012م. للمزيد يُنظر: "اتِّفاق أضنة التُّرْكِيِّ السوري.. بروتوكول أمنيِّ حمَّالٍ أوجه"، الجزيرة نت، 8 نوفمبر 2016، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4ddKUM
2. فادي عبدالله، "تركيا في القرن الحادي والعشرين الوظيفة والدور المُستجَدَّان في ظلِّ التَّغْيُرَاتِ الجيوستراتيجيَّة على صعيد العالم والمنطقة، وفي ظلِّ مشروع أمريكا للشرق الأوسط الجديد"، الحزب الشيوعيِّ اللبنانيِّ، 16 أكتوبر 2012م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/j90cHE
3. في مايو 2010م، أعلنت كلٌّ من إيران وتركيا والبرازيل توقيع اتفاق بينها يقضي بتبادل اليورانيوم الإيرانيِّ الضَّعِيفِ التخصيب بوقود نوويِّ عالي التخصيب في تركيا. ينصُّ الاتِّفاق على قيام إيران بإرسال 1200 كيلو جرام من اليورانيوم الضَّعِيفِ التخصيب (3.5%) إلى تركيا لمبادلتها في مهلة أقصاها سنة ب 120 كيلو جرام من الوقود العالي التخصيب (20%) اللازم لمفاعل الأبحاث في طهران. للمزيد يُنظر: "اتِّفاق تركي إيرانيِّ برازيليِّ بتبادل اليورانيوم بالوقود التُّوويِّ"، فرانس 24، 17 مايو 2010، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jSnT6n
4. في أبريل 2008م أكد رئيس الحكومة التُّرْكِيَّةُ، آنذاك، السيد رجب طيِّب أردوغان أن بلاده تلعب دور الوسيط بين سوريا وإسرائيل بهدف التَّوَصُّلِ إلى سلام في المنطقة، مُضِيفاً أن تركيا ستحاول إعادة إطلاق المفاوضات على مستوى منخفض، من ثَمَّ الوصول إلى مستوى الزعماء، مُنَوِّهاً أن جهود الوساطة التُّرْكِيَّةُ جاءت بطلبٍ من كلِّ من سوريا وإسرائيل. للمزيد يُنظر: "أردوغان يُوكِّد الوساطة التُّرْكِيَّةُ بين سوريَّة وإسرائيل"، بي بي سي عربي، 27 أبريل 2008، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/a9P4SU

العدوان الإسرائيلي على غزة نهاية عام 2008م (1)، كما تحركت الدبلوماسية التركية لاحتواء الأزمة التي نشأت بين بغداد ودمشق بعد تفجيرات الأربعاء الدامي (2)، في شهر أيلول عام 2009م على خلفية اتهامات وجهتها الحكومة العراقية ضد دمشق. أما إذا نظرنا إلى زيارة وزير الخارجية التركي إلى العراق أوائل نوفمبر 2009م (3)، نرى تقاطع المصالح بين تركيا وأمريكا في إعادة رسم المنطقة على أسس جديدة، فقد قال يومها: "إن العرب والأكراد والشبيعة والسنة سيعيدون معاً بناء الشرق الأوسط، يجب على الجميع أن يتخذوا خطوات جريئة، لكن الإرهاب هو التهديد الأكثر خطورة أمام هذه الرؤية" (4).

ولم يكن الوضع الاقتصادي بعيداً عن هذه النتائج الإيجابية للتقارب؛ إذ كانت تركيا تريد جعل سوريا بواباتها العربية إلى دول الخليج ومصر، لذلك جرى التوقيع عام 2004م على اتفاقية التجارة الحرة (5)، وتمّ الشروع بتطبيقه، وفي ذات السياق جاء

1. تعرّض قطاع غزة لعدوان إسرائيلي سافر في العام 2008م، عُرف باسم عملية الرصاص المصبوب، استمرت خلال الفترة من 27 ديسمبر 2008 إلى 18 يناير 2009م، على مدى 22 يوماً. للمزيد يُنظر: "العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد غزة، 2001-2008"، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 20، العدد 80-81، 2009، ص 108.
2. كانت بغداد قد شهدت في أغسطس 2009م سلسلة تفجيرات مترامنة شملت مَقَارَ وزارات الخارجية والمال والدفاع ومبنى محافظة بغداد، وبعض المنشآت الحيوية بالمنطقة الخضراء بالعاصمة العراقية، وقد اتهمت بغداد جماعات تتخذ من دمشق مقراً لها بالمسؤولية عن التفجيرات، وطالبت الحكومة السورية بتسليم هؤلاء الأشخاص وطردها من المنطقتين الإرهابية التي تتخذ سوريا مقراً ومنطلقاً لها بهدف التخطيط للعمليات الإرهابية ضد الشعب العراقي، وقد تطوّرت الأزمة إلى استدعاء بغداد سفيرها لدى دمشق للتشاور وهو ما ردّت عليه الأخيرة بالمثل. للمزيد عن تلك الأزمة يُنظر: "القاعدة" تتبني عملية الأربعاء الدموية.. وبغداد ودمشق تتبادلان استدعاء السفير. تجدد أزمة العلاقات بين العراق وسوريا بعد أسبوع على توقيعهما "اتفاقاً استراتيجياً". صحيفة الحياة اللندنية، 26 أغسطس 2009، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WM4E9j
3. تركيا للعراق: نحن بوابكم لأوروبا وأنتم بوابتنا للخليج، صحيفة الاتحاد الإماراتية، 1 نوفمبر 2009، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/VCTbWd
4. "البارزاني يُنمّن انتفاح تركيا تجاه الأكراد"، الجزيرة نت، 31 أكتوبر 2009، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/mtiSEp
5. "تركيا تعلن التصديق على اتفاقية التجارة الحرة مع سورية خلال انعقاد اللجنة الجمركية العليا المشتركة بين البلدين"، وزارة المالية - الجمهورية العربية السورية، د. ت، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/unymNn

فتح الحدود بين البلدين من دون تأشيرة دخول؛ فضلاً عن عشرات الاتفاقيات الاقتصادية الأخرى وأبرزها؛ تعزيز العلاقات القائمة وتوسيع دائرة الاستثمار الاقتصادي بين البلدين والاعمال المتعلقة بإقامة منطقة حرة تجارية بينهما إضافة إلى التعاون في مجال النقل والملاحة البحرية والجوية والبرية (1).

ثانياً: تركيا في العالم العربي:

لم يكن الوضع التركي مع بقية الدول العربية أفضل من الذي كان سائداً في الشرق الأوسط؛ إذ بقيت العلاقات، ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى رهينة القلق والسلبية والشك، وكانت الرؤية المتبادلة والنظرة المسبقة بين الأتراك والعرب من أهم العوامل التي أدت إلى انغلاق كل طرف عن الآخر، وأيضاً إلى جهل كل طرف بالآخر، ولم تتغير الظروف إلا بعد وصول حزب العدالة والتنمية للحكم في 2002م، وإعلانه تدشين سياسة تركية جديدة تجاه المنطقة قوامها تأكيد حضور بلاده ومكانتها كقوة مركزية للاستقرار وطرف فاعل في معالجة مختلف القضايا والصراعات في المنطقة، وأدركت تركيا أن قيمتها الاستراتيجية للشرق الأوسط ليس بسبب أنها دولة ذات أغلبية إسلامية، فالمنطقة بها العديد من مثل تلك الدول، ولكن لأنها قوة مسلمة بعلاقات قوية مع الولايات المتحدة، ولديها قدرة على الوصول إلى حلف شمال الأطلسي "الناطو"، وهذا الإدراك كان حافزاً لإحداث تحول في سياسة أنقرة الخارجية.

ولعل أحد الأمثلة على ذلك التحول هو القرار الاستراتيجي التركي للانضمام إلى مشروع الدرع الصاروخي الخاص بالناطو في سبتمبر 2011م (2)، وبالمثل فإن ما يهتم به العرب ليس تركيا الدولة المسلمة، بل تركيا الديمقراطية، فطبقاً لاستطلاع رأي عام

1. "سوريا وتركيا تؤكدان الرغبة في تعزيز علاقات التعاون والعمل المشترك"، وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، 6 مارس 2004، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3PTgES

2. تركيا توافق على نشر الدرع الصاروخي لـ«الناطو» على أراضيها، صحيفة المصري اليوم، القاهرة، 2 سبتمبر 2011م، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3g21ry

عربي، أجراه معهد بروكنجز، ظهرت تركيا الفائز الأكبر من الربيع العربي، واختارها العرب لتكون الدولة التي لعبت الدور «البناء الأكبر» في المنطقة كدولة ديمقراطية" (1). وقد بدأ الحديث في الأوساط العربية "عن" النموذج التركي"، وضرورة الاستفادة من الدروس التي يقدمها، مثل التناوب السلمي على السلطة، وإدماج التيارات الإسلامية في العملية الديمقراطية، والفصل بين الحزب والدولة، وتوسيع هامش المناورة تحت سقف التحالف مع القطب العالمي الأوحده" (2).

وهنا يمكن الإشارة إلى دراسة أجرتها مؤسسه "زغبي إنترناشونال" في كل من مصر والأردن والسعودية والمغرب ولبنان والكويت والإمارات العربية المتحدة، في بداية العام 2002م (3)، أي: قبل استلام حزب العدالة والتنمية الحكم في تركيا، وتضمنت الدراسة سؤالاً حول نظرة العرب إلى 13 بلداً غير عربي، وحلّت يومها تركيا في المرتبة الثالثة للدول الأكثر سلبية بعد إسرائيل وأمريكا من المنظور العربي، لكن الموقف تغير بالمثل بعد 7 سنوات من حكم الحزب؛ إذ أظهر استطلاع للرأي في تموز 2009م أجرته "المؤسسة التركية للدراسات الاقتصادية والاجتماعية" (TESEV) في مصر والأردن والأراضي الفلسطينية ولبنان والسعودية وسوريا، والعراق نظرة إيجابية جداً إلى تركيا، وكان من نتائجه (4):

- احتلال تركيا المرتبة الثانية إقليمياً مع تسجيل نسبة 75% من المجيبين الذين ينظرون إليها بإيجابية كبيرة أو بإيجابية.

1. شبلي تلحمي، "تقرير استطلاع الرأي العام العربي لعام 2011م"، معهد بروكنجز، 21 نوفمبر 2011، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8uShZT

2. رائيه طاهر، "الدور الإقليمي التركي في ظل ثورات الربيع العربي"، مجلة رؤية تركية، شتاء 2013م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/AguHLZ

3. James J. Zogby, "What Arabs Think Values, Beliefs and Concerns", Zogby International/The Arab Thought Foundation. 2002.

4. Gökçe Perçinoğlu, Mensur Akgün, Sabiha Senyücel Gündoğar, "The Perception of Turkey in Middle East", Turkish Economic and Social Studies Foundation – TESEV, 19 November 2009.

القوة التركيبية الناعمة

- إن الرأي العام في هذه البلدان السبعة يُعْتَبَرُ تركيا فاعلاً أساسياً ويمارس تأثيراً قوياً.
- تأييد الرأي العام لقيام تركيا بلعب "دور أكبر في العالم العربي".
- موافقة 61% على كون تركيا نموذجاً للدول العربية من حيث الانسجام بين الإسلام والديمقراطية".

ويمكن إرجاع تطوّر النظرة العربية إلى تركيا، إلى مجموعة من العوامل؛ أهمها:

- العوامل المتعلقة بتركيا؛ حيث ساهمت تطوُّرات عديدة تتعلّق بتركيا في تحسين صورتها في العالم العربي، منها: وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم في 2003م، وقرار البرلمان التركي في عام 2003م بالامتناع عن التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية في حربها على العراق (1)، كذلك تحسين علاقات تركيا بالاتحاد الأوروبي، وبالتحديد بدء محادثات انضمام تركيا إليه في كانون الأوّل 2004م (2)، كذلك موقف تركيا حيال الحرب على غزة (3)، والموقف التركي الصلب

1. كان البرلمان التركي قد رفض بأغلبية ضئيلة السماح بفتح القواعد العسكرية التركية للقوات الأمريكية أو السماح لها باستخدام تلك القواعد في حربها ضد العراق بأيّ صورة من الصور. إلا أن البرلمان قد وافق بعد ذلك على استخدام الولايات المتحدة للمجال الجوي التركي فقط بعد بدء الحرب. وقد شهدت تركيا خلال تلك الفترة معارضة شعبية للحرب الأمريكية على العراق، مع تصاعد المخاوف الشعبية من أن تؤدي تلك الحرب إلى تأخير وتيرة الإصلاحات الاقتصادية في البلاد وزعزعة استقرار المنطقة، وقد تسبّب الموقف التركي من الحرب في أزمة بين أنقرة وواشنطن. للمزيد يُنظر: أردوغان يرفض انتقادات وولفو يتز لموقف تركيا من الحرب على العراق، بي بي سي عربي، 5 يوليو 2003، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ETnxYv
2. يرجع تاريخ المساعي التركية للانضمام إلى كيان أوروبي جامع إلى عام 1959، وقد تمّ توثيق ذلك في اتفاقية أنقرة عام 1963، والتي أقرت العضوية التدريجية لتركيا في الاتحاد الجمركي الأوروبي. وفي عام 1987، وبالتوازي مع التطورات الأوروبية نحو الوحدة، تقدّمت تركيا بطلب للانضمام إلى ما كان يسمى بالاتحاد الاقتصادي الأوروبي. وفي عام 1997 تمّ تصنيف أنقرة من قبل الأوروبيين على أنها مؤهلة للانضمام إلى الاتحاد. ويعتبر العام 2004-2005 البداية الفعلية للمفاوضات التركية للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، ومنذ ذلك الحين لم يحدث تقدّم يُذكر في تلك المفاوضات التي تتوقّف حيناً وتتجدّد حيناً آخر، ويبدو أن الاعتبارات الدينية والتاريخية لها دور حاسم في عرقلة انضمام أنقرة لعضوية النادي الأوروبي الأبرز. للمزيد يُنظر: هل تتبدّد حلم تركيا في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي؟، بي بي سي عربي، 5 سبتمبر 2017، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/TkjhRY
3. في الحرب الإسرائيلية على غزة (2008-2009) أعلنت تركيا رفضها لتلك الحرب، ووصفتها بالعدوان. وقد حمل الرئيس رجب طيّب أردوغان؛ رئيس الحكومة التركية آنذاك، إسرائيل المسؤولية الكاملة عن ذلك العدوان، معتبراً إياه إهانة يجب أن تعذر عنه لتركيا، التي كانت تبذل جهوداً لتجديد التهدة في غزة، مع اضطلاعها بالوساطة بين سوريا وإسرائيل. وشدّد الرئيس أردوغان على أن الشعب التركي لن يغفر لإسرائيل عدوانها على غزة، واصفاً إياه بأنه جريمة ضد الإنسانية. للمزيد يُنظر: 3 حروب إسرائيلية على غزة (انفوجرافيك) رفضت تركيا الحرب الإسرائيلية، ووصفتها بالعدوان على قطاع غزة، وكالة الأناضول للأخبار، 29 ديسمبر 2016، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hXG1CJ

من اعتداء إسرائيل على أسطول الحُرِّيَّة (1)، وتجميد العلاقات مع إسرائيل والذي اعتُبر أنه أقوى موقف مُهم من دولة إقليميَّة يتخذ ضد إسرائيل، بالإضافة إلى ما يُعرَف بحادثة دافوس عام 2009م (2)؛ فلقد ارتبطت كل هذه التطورات، بتطورات أخرى بالعالم العربي، وبالتالي كانت لها دلالات في المناقشات الدائرة في المنطقة، وهذا أدى إلى أن النتيجة النهائية كانت تغيُّراً في تصوُّر دور تركيا على مستوى كل من الجماهير والحكومات العربيَّة، إضافة إلى تحولات جوهريَّة في كل من الاقتصاد والسياسة الخارجيّة لتركيا؛ حيث نجحت في إيجاد اهتمام بهذا البلد يمكن ترجمته إلى صورة إيجابيّة. وعليه فإن مرونة الاقتصاد التركي مع الإصلاحات السياسيَّة كانتا سبباً في تصاعد القوَّة التركيَّة التاعمة في المنطقة، بحيث أصبحت تركيا نموذجاً جذاباً لتيار الإصلاحيين في العالم العربي (3).

1. أسطول الحرية: هو مجموعة سُفن انطلقت لرفع الحصار عن غزّة، كانت تحمل على متنها مواد إغاثة ومساعدات إنسانيَّة، بالإضافة إلى نحو 750 ناشطاً حقوقيّاً وسياسياً، بينهم صحفيون يُمثلون وسائل إعلام دوليَّة. جُهزت القافلة وتمّ تسييرها من قبل جمعيات وأشخاص معارضين للحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة منذ العام 2007م ومتعاطفين مع شعبه. وفي مُقدِّمة المنظمين لرحلة أسطول الحرية مؤسَّسة الإغاثة الإنسانيَّة التركيَّة IHH. انطلق الأسطول باتجاه قطاع غزة في 29 مايو 2010م، محملاً بعشرة آلاف طن من التجهيزات والمساعدات، والمئات من الناشطين الساعين لكسر الحصار، الذي قد بلغ عامه الثالث على التوالي. لكنَّ القوَّات الإسرائيليَّة تصدَّت للأسطول بعنف وقتلت عدداً كبيراً من الشطاء وممَّعت السُفن من الوصول لسواحل غزّة. للمزيد يُنظر: إسرائيل تحتجز "روح الإنسانية".. وحماس تندد: "قرصنة دوليَّة"، سي أن أن عربيَّة، 31 يوليو 2009م، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3kVzSg
2. تتمتلك تلك الحادثة في انسحاب رئيس الوزراء التركيّ رجب طيَّب أردوغان في يناير 2009م من منصَّة إحدى ندوات منتدى "دافوس" الاقتصاديّ في سويسرا؛ احتجاجاً على منعه من التعليق على مداخلة مطوّلة للرئيس الصهيوني شمعون بيريز بشأن الحرب الصهيونيَّة على غزّة. ووضع أردوغان الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز في موقفٍ مُحرج وقد اتَّهمه بقتل الأطفال الفلسطينيين في غزّة، وترك أردوغان مقعده غاضباً، وغادر المنصَّة بعدما احتجَّ على منعه من الكلام. للمزيد يُنظر: أردوغان يغادر دافوس غاضباً بعد مُشادة كلاميَّة مع الرئيس الإسرائيلي، دويتش فيله، 30 مارس 2009م، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/m8tM2G
3. مليحة ألت ونيشيك، "تركيا بعيون عربيَّة"، القاهرة، مصر: مركز الشرق للدراسات الإقليميَّة والاستراتيجيَّة، 2010م، ص 8.

- **العوامل المتعلقة بالمنطقة؛** حيث غيرت التطورات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية في الشرق الأوسط من نظرة العرب أيضاً إلى تركيا، فقد أوجدت مجموعة من التطورات الأخيرة في المنطقة إحساساً بوجود أزمة، مثل انهيار عملية السلام العربي الإسرائيلي في عام 2000م (1)، وتدهور النزاع الفلسطيني والغزو الأمريكي للعراق عام 2003م (2)، وصعود إيران كقوة إقليمية، والانقسامات الداخلية العربية، وثورات الربيع العربي، وبخاصة الموقف من سوريا بعد الانتفاضة الشعبية المستمرة منذ العام 2011م (3).

ثالثاً: تركيا في العالم الإسلامي:

قدّمت تركيا في ظلّ حكم العدالة والتنمية نموذجاً طيباً مقبولاً لدى الدول الإسلامية والعربية مثل عنصر جذب لهم، وغير نظرتهم لتركيا، كان من أبرز سمات هذا

1. خلال أواخر عهد الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون، وتحديداً في عام 2000م، قادت الولايات المتحدة الأمريكية جولة مفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين للوصول إلى اتفاقية سلام دائمة يتم فيها معالجة جميع الملفات بما فيها مشكلة الحدود ووضع القدس والأجئين، وفي يوليو من العام 2000م جرت مفاوضات بين رئيس الوزراء الإسرائيلي، آنذاك، إيهود باراك، ورئيس السلطة الفلسطينية، الراحل ياسر عرفات، في كامب ديفيد، لكنها لم تنته إلى اتفاق على الرغم من جرأتها في تناول قضايا أكثر تفصيلاً من سابقاتها، وقد أدى فشل محادثات تلك الجولة إلى استئناف الانتفاضة الفلسطينية للمزيد يُنظر: "تاريخ محادثات السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين"، بي بي سي عربي، 29 يوليو 2013م، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Tjvg3b
2. نفّذت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا عملية غزو وسيطرة عسكرية شاملة على العراق بدأت في 20 مارس 2003م، وامتدّت آثارها لسنوات، وذلك بدعوى امتلاك بغداد للأسلحة دمار شامل؛ الأمر الذي أسفر عن سقوط نظام الرئيس الراحل صدام حسين، ثم محاكمته وإعدامه، إلى جانب خسائر بشرية فُدرت، حتى النصف الأول من العام 2018م، بمليون قتيل ومصاب وملايين المُشرّدين، إضافة إلى خسائر مادية للطرفين تُقدّر بتريليونات الدولارات، وقد انزلت البلاد منذ ذلك الحين في دوامة من العنف الطائفي بلغ ذروته خلال العام 2006-2007م، للمزيد يُنظر: "الغزو الأمريكي للعراق.. مُبرّرات واهية ونتائج كارثية"، الجزيرة نت، 9 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zW91SM
3. مليحة ألت ونيشيك، "تركيا بعيون عربية"، المرجع السابق، ص 8.

النموذج بحسب دراسة أعدّها جَمْعٌ من الباحثين بمركز الجزيرة للدراسات بعنوان "تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج"⁽¹⁾:

1. التناوب على السُلطة، وإدماج النِّيَّار الإسلامي في العمليَّة الديمقراطيَّة.
2. النموذج الاقتصاديّ الَّذِي تُقدِّمه تركيا باعتبارها أكبر اقتصاد في الشرق الأوسط، في الوقت الَّذِي لا تملك فيه موارد الطَّاقة على العكس من غالبية الدول العربيَّة.
3. التوفيق بين المعاصرة وبين الحفاظ على الهويَّة بجذرها الثقافيِّ والدينيِّ والتاريخيِّ في إطار مقبول دولياً وإقليمياً.
4. الفصل بين الحزب والدَّولة في المجال العام عبر الفصل الواضح بين حدود ومهام جهاز الدَّولة والحزب الحاكم.
5. تكوين مجموعات الضغط (اللوبي) في أمريكا، وليس بالاعتماد على شركات العلاقات العامَّة موسميَّة الطابع.
6. تحقيق التوازن في التعامل مع الولايات المتَّحدة بما يحقق المصالح الوطنيَّة والاستقلاليَّة معاً.

رابعاً: تركيا في إفريقيا:

أبدت تركيا اهتماماً كبيراً بتطوير علاقاتها مع الفارة السمرات لتصبح لاعباً نشطاً هناك مُستغلةً الجهود الحكوميَّة وغير الحكوميَّة، من خلال المساعدات التَّمويَّة والإنسانيَّة، بالإضافة إلى تنشيط العلاقات التَّجاريَّة والاقتصاديَّة، فتركيا لديها إمكانات لزيادة الاستثمار وقُدَّرات صناعيَّة كبيرة، بالإضافة إلى القوى البشريَّة المؤهَّلة الَّتِي تمتلكها، وبالمقابل تُعدُّ السُّوق الإفريقيَّة سوقاً واسعة لتصريف المنتجات التُّركيَّة. كما أن دول إفريقيا تستطيع المساهمة في تأمين واردات تركيا، وخصوصاً في قطاعي الزراعة والمعادن، في مقابل استفادتها من الخبرات والتجارب الَّتِي تمتلكها تركيا، وتقاسمها على أساس النفع المشترك للطرفين.⁽²⁾

1. مجموعة من الباحثين، تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج، الدار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، الطبعه الأولى، 2009م.
2. باسل الحاج جاسم، أبعاد الحرك التُّركي في الفارة السمرات وتوقيتها، 13 مارس 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/8bwGpt>

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

بشكل عام فإن العلاقات التُّرْكِيَّةُ الإفريقيَّةُ ليست بالجديدة، وهي ترجع "إلى عصر الدَّوْلَةُ العُثمانيَّةُ عندما أرسلت تركيا إلى إفريقيا الجنوبيَّة في عام 1862م العالم الإسلامي المعروف أبا بكر أفندي (1) مبعوثاً من السلطان العُثماني عبد العزيز الأوَّل (2)، بهدف تعليم الفقه والشريعة وفَضَّ بعض النزاعات الدينيَّة التي قَسَمَت المجتمع. وألَّف كتاباً قيماً في الإرشاد الديني في الإسلام كتَّبه باللهجة الهولنديَّة المحليَّة لشعب الملايو، وقد استهدف الكتاب المجتمع المسلم في جنوب إفريقيا" (3).

لكنَّ هذه العلاقات أخذت بُعْداً جديداً منذ عام 1998م حينما أعدت أنقرة "خطة الانفتاح على إفريقيا من أجل تحقيق نقلة نوعيَّة على صعيد العلاقات السياسيَّة والعسكريَّة والثقافيَّة والاقتصاديَّة بين تركيا والدول الإفريقيَّة.

وفي هذا السياق، أعدت مستشاريَّة التَّجَارَةِ الخَارِجِيَّة في الجُمهوريَّة التُّرْكِيَّة في بداية عام 2003م "استراتيجيَّة تطوير العلاقات الاقتصاديَّة مع الدول الإفريقيَّة"، وأعلنت حكومة الجُمهوريَّة التُّرْكِيَّة عام 2005م "عام إفريقيا" (4)، "نالت تركيا بتاريخ 12 نيسان 2005م صِفَةَ مُرَاقِب في الاتِّحاد الإفريقي (5)، وكلفت سفارتها

1. أبو بكر أفندي عالم كُرْدِيّ، من سهول شهرزور في شمال العراق، مبعوث الخلافة العُثمانيَّة إلى جنوب إفريقيا، وذلك بعدما طلب مسلمو كيب تاون من المتمد البريطاني أن يستدعي لهم عالماً شافعي المذهب، وهذا بدوره كتب لرئيس وزراء بريطانيا، الذي طلب من الصدر الأعظم العُثماني (رئيس الوزراء) أن يبعث عالماً لجنوب إفريقيا يكون شافعيًا. فوافق أبو بكر أفندي على السفر إلى جنوب إفريقيا، فعاش هناك ودَرَسَ العلوم الشَّرعيَّة والفقه. للمزيد يُنظر الرابط التالي: <http://www.alukah.net/culture/0/19821/#ixzz4kXZTleSj>
2. عبدالعزيز الأوَّل (1830-1876) ابن السلطان محمود الثاني، سلطان العُثمانيين الثاني والثلاثين، والرابع والعشرين من آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة، تولى الخلافة خلال الفترة من 1861-1876م. للمزيد يُنظر: محمد علي الصلابي، الدولة العُثمانيَّة: عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلاميَّة، مصر، 2001، ص ص 391-394.
3. "العلاقات التُّرْكِيَّة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb
4. "العلاقات التُّرْكِيَّة مع الدول الإفريقيَّة"، المرجع السابق.
5. أعلنت الحكومة التُّرْكِيَّة أن عام 2005 هو "عام إفريقيا"، وقام الرئيس التُّرْكِيّ رجب طيِّب أردوغان بجولته الإفريقيَّة الأولى والتي شملت العديد من دول القارة السمراء، وفي ذلك العام منح الاتِّحاد الإفريقي تركيا صفة مراقب داخل الاتِّحاد. للمزيد يُنظر: "تركيا تنتشر في إفريقيا اقتصادياً وسياسياً"، ترك برس، 29 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 3 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xdjC7a

لدى أديس أبابا بتاريخ 5 مايو 2005م لتكون سفارة الجمهورية التركية المعتمدة لدى الاتحاد الإفريقي. كما قام الاتحاد الإفريقي بالقرار الذي اتخذته في اجتماع القمة العاشر الذي عقد في أديس أبابا في شهر كانون الثاني 2008م بإعلان تركيا شريكاً استراتيجياً له. (1)

واعتمدت تركيا سفارتها في أبوجا بنيجيريا لدى المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا (2) ECOWAS اعتباراً من شهر مايو 2005م. كما أن تركيا التي انضمت إلى منتدى الشركاء الدولي التابع للهيئة الحكومية الدولية للتنمية (3) IGAD في شهر يونيو 2008م، قامت باعتماد سفارتها في دار السلام بتنزانيا لدى مجموعة دول إفريقيا الشرقية (4) EAC.

1. "العلاقات التركية مع الدول الإفريقية"، وزارة الخارجية التركية، مرجع سابق.
2. المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا (ECOWAS) هي منظمة اقتصادية دولية تهتم بتطوير الاقتصاد في منطقة الغرب الإفريقي. تم تأسيس المنظمة في 25 مايو 1975م، ورئيسها هو عمر يارادوا، يقع مقر المنظمة في أبوجا، بنيجيريا. وتضم المنظمة في عضويتها 14 دولة؛ وهي "كوت ديفوار، وبنين، ومالي، وبوركينا فاسو، والسنغال، وتوجو، وغينيا بيساو، والنيجر، ونيجيريا، وليبيريا، وسيراليون، وغامبيا، وغانا، والرأس الأخضر. للمزيد يُنظر: المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، د. ت، تاريخ الزيارة: 3 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/T5ALYC
3. الهيئة الحكومية للتنمية (IGAD) هي منظمة شبه إقليمية في إفريقيا مقرها دولة جيبوتي، حلت محل السلطة الحكومية الدولية للإنماء والتّصحر (IGADD) التي أنشئت عام 1986م، وفي عام 1996م اجتمع الدول الأعضاء في نيروبي واتفقوا على تعديل ميثاق المنظمة وتغيير اسمها إلى الهيئة الحكومية للتنمية. للمزيد يُنظر: (About us. IGAD, available at: goo.gl/VXZhLq)
4. مجموعة شرق إفريقيا East African Community هي منظمة دولية تضم خمس دول من شرق إفريقيا وهم بوروندي وكينيا وأوغندا ورواندا وتانزانيا. تأسست هذه المنظمة سنة 1967م ثم حلت في 1977م، ثم أعيد تأسيسها سنة 7 يوليو 2000م. وتعتبر المجموعة من ركائز المجموعة الاقتصادية الإفريقية. يقع مقر المجموعة في مدينة أروشا في تنزانيا. يهدف التّجمّع إلى توسيع التعاون بين دول شرق القارة الإفريقية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإقامة كتلة اقتصادية إقليمية كبيرة ذات تأثير في المنطقة. للمزيد يُنظر: فهد ياسين، تجمّع دول شرق إفريقيا بين احتمالية البقاء والتفكك، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 6 أكتوبر 2016، تاريخ الزيارة: 3 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jFtgSH

القوة التركية الناعمة

وتَمَّتْ المصادقة أثناء اجتماع المانحين الذي عُقدَ يومي 14 - 15 مايو 2008م على الطلب الذي تقدّمت به تركيا في شهر فبراير 2008م من أجل نيل عضوية بنك التنمية الإفريقي (1)، وصندوق التنمية الإفريقي (2). وبذلك أصبحت تركيا العضو الخامس والعشرين في بنك التنمية الإفريقي من خارج إفريقيا.

ومن أجل تقييم المرحلة التي وصلت إليها العلاقات بين تركيا والدول الإفريقية، وتحديد الطُرق والوسائل الكفيلة بتعزيز هذه العلاقات، عُقدت في إسطنبول قمة التعاون التركية الإفريقية الأولى في الفترة ما بين 18 - 21 أغسطس 2008م بمشاركة 49 دولة إفريقية وممثلي 11 منظمة إقليمية ودولية من ضمنها الاتحاد الإفريقي (3)، وقد تم في هذه القمة اعتماد الوثائق التالية بالإجماع: "إعلان إسطنبول للتعاون التركي الإفريقي: التعاون والتضامن من أجل مستقبل مشترك"، و"إطار التعاون للشراكة التركية الإفريقية". ووفقاً للآلية المتابعة التي تضمّنتها وثيقة "إطار التعاون للشراكة

1. بنك التنمية الإفريقي هي مؤسسة تمويل تنموية متعدّدة الأطراف تم إنشاؤها للمساهمة في التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي في البلدان الإفريقية. تأسس مصرف التنمية الإفريقي في عام 1964م، ويتألف من ثلاثة كيانات: البنك الإفريقي للتنمية، وصندوق التنمية الإفريقي والصندوق الاستئماني النيجيري. هدف البنك الإفريقي للتنمية هو محاربة الفقر وتحسين ظروف المعيشة في القارة من خلال تشجيع استثمار رأس المال العام والخاص في المشاريع والبرامج التي من المحتمل أن تساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة. للمزيد يُنظر:

What is the African Development Bank Group?, The African Development Bank Group, available at: goo.gl/nu9fiK

2. صندوق التنمية الإفريقي (ADF) أحد مكونات مجموعة بنك التنمية الإفريقي (AfDB). تأسس الصندوق عام 1972م، وبدأ العمل به في عام 1974م، ويديره بنك التنمية الإفريقي، ويضم 29 دولة مساهمة ويفيد 38 دولة. وقد استثمر الصندوق 45 مليار دولار أمريكي على مدار 40 عاماً من التشغيل في القارة الإفريقية. (About the ADF, The African Development Bank Group, available at: goo.gl/cUgojB)

3. "العلاقات التركية مع الدول الإفريقية"، وزارة الخارجية التركية، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb

التُرْكِيَّةُ الإفريقيَّةُ "عُقد في تركيا بتاريخ 15 ديسمبر 2010م اجتماع كبار المسؤولين" (1)، كما تُنظَّم تركيا سنوياً فعَّالِيَّةً "يوم إفريقيا" بتاريخ 25 مايو من كلِّ عام (2). بشكل عام اعتمدت تركيا السِّيَاسَةَ النَّاعِمَةَ مع هذه القارة، والابتعاد عن العنف والمصالح الفردية، وسَعَتْ لتكون المصالح متبادلة، وفي سبيل ذلك "سَعَتْ تركيا إلى إنشاء قواعد اِقْتِصَادِيَّةٍ في جيبوتي (3)، بدلاً من القواعد العَسْكَرِيَّةِ؛ حيث تُعْتَبَر جيبوتي من أكثر الدول الإفريقيَّةِ أهُمِّيَّةٍ من الناحية الأستراتيجيَّةِ الجُغرافيَّةِ، لهذا تَجِدُ فيها قواعد عَسْكَرِيَّةٍ لدول عدة، على رأسها فرنسا واليابان" (4).

كما اعتمدت أنقرة في انفتاحها على هذه القارة على عنصر الدين، حتى باتت تلعب دوراً مُهمّاً في الإدارة الدِّيَنِيَّةِ هناك، وتُعدُّ استضافة تركيا لقاء رجال الدين الأفارقة في إسطنبول عام 2006م، والذي ضمَّ ممثلين عن 21 دولة، خير مثال على هذا الدور (5).

1. "العلاقات التُّركيَّةُ مع الدول الإفريقيَّةُ"، وزارة الخَارجِيَّةِ التُّركيَّةِ ، د.ت. تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb
2. يَمِّمُ الاحتفال بيوم إفريقيا في كافَّة أنحاء العالم بتاريخ 25 مايو من كل عام، ذكرى تأسيس مُنظَّمة الأتِّحاد الإفريقي عام 1963. وفي تركيا يَمِّمُ تنظيم العديد من الفعَّاليَّات في إطار يوم إفريقيا. وفي 25 مايو 2018م، أعلنت الخَارجِيَّةُ التُّركيَّةُ في بيان لها أن تركيا ستواصل جهودها من أجل تطوير صور التعاون مع الدول الإفريقيَّةِ، والتضامن معها على الساحة الدُولِيَّةِ والإقليميَّةِ، وتعزيز التعاون الفعَّال مع مُنظَّمة الأتِّحاد الإفريقي على أساس شراكة استراتيجيَّةٍ. للمزيد يُنظَر: الرقم: 146، التاريخ: 25 أيار/مايو 2018م، بيان صحفي حول يوم إفريقيا، وزارة الخَارجِيَّةِ التُّركيَّةِ ، 25 مايو 2018م، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ZtYQmu
3. في ديسمبر 2017، أعلن وزير الاقتصاد الجيبوتي، إلياس موسى دواله، أن دراسة الجدوى الخاصَّة بالمنطقة الاقتصادية التُّركيَّة أصبحت جاهزة، وأن أعمال البناء والتشييد ستبدأ في القريب العاجل، مُؤكِّداً أن المنطقة الاقتصادية ستكون مُستعدة لاستقبال الاستثمارات التُّركيَّة في إفريقيا خلال 18 عشر شهراً، حيث ستساهم تركيا في إثراء الموقع الأستراتيجي للقارة ورُفد جهود النُمُو الاقتصاديَّة بها، إضافة إلى تعزيز العلاقات التُّركيَّة الجيبوتيَّة، وتطوير العلاقات بين تركيا والقارة السمراء. للمزيد يُنظَر: المنطقة الاقتصادية التُّركيَّة في جيبوتي.. بوابة نحو القارة السمراء (تقرير)، وكالة الأناضول للأبنا، 27 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/s3nd5n
4. باسل الحاج جاسم، "الاقتصاد والدين طريقاً تركيا إلى القارة السمراء"، صحيفة الحياة اللندنيَّة، 13 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UDMIk6
5. علماء الدين في القارة الإفريقيَّة يدعون تركيا لإنشاء مدارس ومساجد في بلادهم، وكالة الأنباء الكويتيَّة، 4 نوفمبر 2006م، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MLpM8j

القوة التُركِيَّة النَّاعِمَة

وبسبب الظروف الاقتصادية الخاصَّة لهذه القارَّة سَعَت تركيا دائماً لتكون مصدر دعم وعون لها، فخلال المؤتمر الدَّوليِّ للمانحين من أجل إعادة إعمار دارفور وتنميته الَّذِي عُقد في القاهرة بتاريخ 21 مارس 2010م، برئاسة مشتركة من تركيا ومصر (1)، أعلنت تركيا أنها سَتُقدِّمُ في الفترة ما بين 2010 - 2015م ما يقارب 70 مليون دولار كمساعدات لدارفور تُخصَّصُ غالبيتها للمجالات الصحيَّة والزراعيَّة والتعليميَّة (2)، كما سَعَت لتقديم يد المساعدة إلى الصومال، واستضافت تركيا مؤتمراً خاصاً بهذه الدَّولة عقدته الأمم المتَّحدة في إسطنبول في الفترة ما بين 21 - 23 مايو 2010م (3).

وتُعْتَبَرُ زيارة رئيس الوزراء التُّركيِّ السابق للصومال، بتاريخ 19 أغسطس / آب 2011م (4)، "نقطة انعطاف حيوي جيواستراتيجي نحو إفريقيا؛ إذ هبطت في مطار مقديشو الطائرة التي تقلُّ رئيس الوزراء وقتها؛ الرئيس أردوغان، وعائلته مع وفد كبير مكوَّن من العديد من الشرائح المختلفة في الجُمهوريَّة التُّركيَّة. كانت هذه واحدة من أولى الرحلات الدَّوليَّة نحو الصومال بعد انقطاع طويل جداً. وقد حوَّلت هذه الزيارة مجرى الأمور في الصومال الَّذِي عانى لفترات طويلة من الاضطرابات تَمثَّلت في عدم الاستقرار المزمع والصِّراع الاجتماعيِّ، والتي بدورها أدَّت إلى أزمة إنسانيَّة خطيرة متزامنة مع جفاف شديد ومجاعة. في ذلك اليوم وُكِّدَت شراكة جديدة من رماد الحرب الأهليَّة والكارثة الإنسانيَّة".

1. "المؤتمر الدَّوليِّ للمانحين يُخصَّصُ 850 مليون دولار من أجل التَّنمِيَّة في دارفور"، دويتش فيله، 22 مارس 2010، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Hp1ocS
2. "العلاقات التُّركيَّة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخارِجيَّة التُّركيَّة، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb (مرجع سابق).
3. الأمم المتَّحدة تشارك في استضافة مؤتمر رفيع المستوى في تركيا لدعم الصومال، أخبار الأمم المتَّحدة، مُنظَّمة الأمم المتَّحدة، 21 مايو 2010م، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xfbQr8
4. "مجاعة الصومال: أردوغان يزور مقديشو"، بي بي سي عربي، 19 أغسطس 2011، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FCKSr5

كما عمّدت تركيا إلى ضَخّ الاستثمارات في هذا البلد الفقير، بالإضافة إلى المساعدات الإغاثيَّة؛ نظراً لأهميَّة موقعها الجُغرافيِّ الَّذِي يربط بين القارات، وباعتبارها ممرّاً مُهمّاً للطاقة في العالم، إضافة إلى الثروات الكثيرة الَّتِي تمتلكها الصومال ومخزونها من البترول.(1)

العلاقات الجيِّدة مع إفريقيا انعكست على الأرقام الاقتصاديَّة، فقد ارتفع حجم التبادل التِّجاريِّ بين تركيا والدول الواقعة في جنوب الصحراء الإفريقيَّة من 742 مليون دولار في عام 2000م إلى 3 مليار دولار في عام 2005م، ثم إلى 5.7 مليار دولار في عام 2008م. بينما بلغ حجم التبادل التِّجاريِّ 4.88 مليار دولار في عام 2009م و4.36 مليار دولار في عام 2010م، وذلك نتيجة التَّأثيرات الَّتِي ولَّدتها الأزمة الاقتصاديَّة العالميَّة. (بلغ حجم التبادل التِّجاريِّ مع كافَّة الدول الإفريقيَّة 9 مليارات دولار في عام 2005م و15.876 مليار دولار في عام 2009م و15.710 مليار دولار في عام 2010م)(2).

وفي فبراير 2018م، أعلن وزير الاقتصاد التُّركيِّ نهاد زيبيكجي، أن حجم التبادل التِّجاريِّ بين بلاده والقارة الإفريقيَّة يبلغ نحو 25 مليار دولار أمريكي، مشيراً إلى أنه على الرَّغم من التَّقدُّم المُتحقِّق في هذا الأمر إلا أنه غير كافٍ بالمطلق، مؤكداً أن هدف تركيا هو زيادة حجم التبادل التِّجاريِّ مع القارة الإفريقيَّة إلى ضِعْفَيْن أو ثلاثة أضعاف في أقصر وقت ممكن(3).

1. بوحنيَّة قوي، "إفريقيا في الاستراتيجيَّة التُّركيَّة الجديدة"، مركز القرن العربي للدراسات، 6 أكتوبر 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/huPCr1
2. "العلاقات التُّركيَّة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخارجِية التُّركيَّة، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb
3. وزير الاقتصاد التركي: حجم التبادل التجاري مع إفريقيا بلغ 25 مليار دولار، وكالة الأناضول للأخبار، 22 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/c5yJZf

القوة التُركيَّة النَّاعِمَة

ولا يقتصر طموح تركيا على ذلك، فهي تهدف إلى أن يصل حجم التبادل التُّجاريِّ بينها وبين القارة الإفريقيَّة عتبة الـ 50 مليار دولار بحلول سنة 2023م؛ وذلك بفعل الاستثمارات الكبيرة التي قامت أنقرة بتعبئتها في الداخل الإفريقي، ومن خلال الاعتماد على العمالة الإفريقيَّة المحليَّة" (1).

وبعيداً عن العلاقات الاقتصاديَّة والمعونات، تُولي أنقرة - في إطار رغبتها في أن تصبح لاعباً سياسياً في إفريقيا -، حلَّ المشكلات المزمنة في القارة الإفريقيَّة اهتماماً كبيراً، واستدعى التوجُّه التُّركيَّ الجديد نحو إفريقيا توسُّعاً في الحضور الدبلوماسيِّ التُّركيِّ، فتَمَّت زيادة عدد السفارات التُّركيَّة في القارة من 12 سفارة عام 2002م إلى 39 سفارة عام 2017م. (2)

من ناحية أخرى، لَفَت الاهتمام التُّركيِّ بالجانب الإفريقي، انتباه لاعبين دوليين، أبدوا رغبتهم في التعاون مع تركيا في هذا الصدد، إذ عقد مسؤولون أترك مشاروات مع مسؤولين من الولايات المتَّحدة وإسبانيا وبريطانيا والسويد والاتِّحاد الأوروبيِّ حول التعاون في القارة الإفريقيَّة، وقد اقترحت بعض الدول مثل فرنسا، أن تنفذ تركيا بالتعاون مع الاتِّحاد الأوروبيِّ، بعثات تجاريَّة مشتركة في إفريقيا لمواجهة نجاح الصين في الاستحواذ على جانب كبير من الصفقات التُّجاريَّة مع الدول الإفريقيَّة" (3). وفي النهاية، وبعد قرابة 11 عاماً من هذه الشراكة، أعلن أردوغان بوضوح "نحن نفتخر بأننا أصبحنا، بعد عقْدٍ من إطلاق المبادرة، رابع أكثر دولة تنشط في القارة الإفريقيَّة". (4)

1. بوحنيَّة قوي، "إفريقيا في الاستراتيجيَّة التُّركيَّة الجديدة"، مرجع سابق.
2. "العلاقات التُّركيَّة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخارجيَّة التُّركيَّة، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb
3. باسل الحاج جاسم، "الاقتصاد والدِّين طريقا تركيا إلى القارة السمراء"، مرجع سابق.
4. "العلاقات التُّركيَّة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخارجيَّة التُّركيَّة، مرجع سابق.

القوة الناعمة والدبلوماسية التركية في إفريقيا:

بعد انهيار الخلافة العثمانية التزمت القيادة التركية آنذاك ولعقود عدة بسياسة الانغلاق على الذات، والنأي عن تاريخها العثماني وخلفيتها الإسلامية، ولكن منذ العام 1998م اتخذت توجهاً مغايراً لذلك، فعادت من جديد إلى محيطها الإقليمي، وازداد اهتمامها بالقارة السمراء، باعتبار إفريقيا عمقاً استراتيجياً للدولة التركية المحورية، وبالنظر إلى القرب التاريخي بينهما بحكم التاريخ والجيوبولوتيك، عبر بوابة الشرق الأوسط.

وتعمق التوجه التركي نحو إفريقيا بقوة مع تبني القيادة الجديدة للعدالة والتنمية نظرية "العمق الاستراتيجي Strategic Depth"، والتي تُعدُّ المحرك الأبرز للسياسة التركية الخارجية منذ العام 2002م، فأعدت أنقرة خطة متعددة الأبعاد للانفتاح على دول القارة السمراء وتحقيق نقلة نوعية على جميع المستويات؛ الاقتصادية والثقافية والصحية والإنسانية (1). وفي العام 2003م تبنت أنقرة استراتيجية تطوير العلاقات الاقتصادية مع الدول الإفريقية، وازدادت الزيارات المتبادلة رفيعة المستوى من المسؤولين الأتراك إلى إفريقيا، وتوقيع الاتفاقات الاقتصادية والتجارية الجديدة، وإنشاء آليات التعاون الثنائي؛ الاقتصادي والسياسي.

أما العام 2005م فكان زاخراً بسبب توطيد العلاقات، فأعلنت الحكومة التركية هذا العام "عام إفريقيا"، وكلفت سفارتها لدى أديس أبابا لتكون سفارة الجمهورية التركية المعتمدة لدى الاتحاد الإفريقي، وأجرى الرئيس رجب طيب أردوغان في العام ذاته زيارة إلى كل من إثيوبيا وجنوب إفريقيا، لتتال بعدها تركيا صفة مراقب في الاتحاد

1. مصطفى شفيق علام، دراسة "التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجية التركية.. المحددات والسياقات والتحديات"، موقع مجلة "قراءات إفريقية"، 8 يونيو 2017م، تاريخ الاطلاع 7 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/QxMD7s>.

القوة التُركيَّة النَّاعِمَة

الإفريقي، كما شارك الرئيس أردوغان في ديسمبر/كانون الأول 2007م، في قمة الاتحاد الإفريقي- الأوروبي في مدريد، وأصبحت تركيا بذلك فاعلاً في علاقات الاتحاد الإفريقي- الأوروبي.

وفي المقابل، أجمع الاتحاد الإفريقي على إعلان تركيا شريكاً استراتيجياً له العام 2008م، وفي العام ذاته تمّت المصادقة على الطلب التركي للحصول على عضوية بنك التنمية الإفريقي وصندوق التنمية الإفريقي، وبذلك أصبحت العضو الخامس والعشرين في البنك من خارج القارة السمراء(1). ومن أجل تقييم متانة العلاقات بين تركيا والدول الإفريقيَّة، وتحديد سُبل تعزيزها وسدّ فجواتها، تُنظّم أنقرة سنوياً فعالية "يوم إفريقيا" بتاريخ 25 مايو من كل عام. وعُقدت في إسطنبول "قمة التعاون التُركيَّة الإفريقيَّة" الأولى في الفترة ما بين 18 - 21 أغسطس 2008م، بمشاركة 49 دولة إفريقيَّة وممثلي 11 منظمة إقليمية ودولية من ضمنها الاتحاد الإفريقي، وتمّ فيها وبالإجماع المصادقة على "إعلان إسطنبول للتعاون التركي الإفريقي: التعاون والتضامن من أجل مستقبل مشترك"، و"إطار التعاون للشراكة التُركيَّة الإفريقيَّة"، وفي إطار هذه القمة عقد رئيس الوزراء التركي آنذاك السيد رجب طيب أردوغان لقاءات ثنائية على أعلى مستوى مع المشاركين من 42 دولة إفريقيَّة، واستطاعت تركيا بعدها الحصول على دعم كامل من كافة الدول الإفريقيَّة خلال انتخابات أكتوبر 2008م لمقعد العضو غير الدائم بمجلس الأمن الدولي(2). وفي نوفمبر 2014م عُقدت قمة التعاون التُركيَّة - الإفريقيَّة الثانية في مالابو عاصمة غينيا الاستوائية، وكان ذلك تحت شعار "نموذج جديد للشراكة من أجل تعزيز التنمية

1. العلاقات التُركيَّة مع الدول الإفريقيَّة، موقع وزارة "الخارجية التُركيَّة"، تاريخ الاطلاع 7 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/xxeFww>.
2. العلاقات التُركيَّة مع الدول الإفريقيَّة، موقع وزارة "الخارجية التُركيَّة"، مرجع سابق.

المستدامة والتكامل"، وتم في إطارها الاتفاق على عقد القمة الثالثة للشراكة بين تركيا وإفريقيا في تركيا العام 2019م، كما أسفرت هذه القمة عن الاتفاق على مجموعة من المحاور المهمة، وفي مختلف الميادين والمجالات العالقة المتبادلة بينهما، مثل: إدارة وحل الصراعات من خلال استمرار التعاون في مجال السلم والأمن، وتبادل الخبراء والمعلومات والبرامج التدريبية، وتعزيز التنسيق في الأطر الاقتصادية والتجارية، من أجل تحقيق المصالح المشتركة للطرفين وبدون التحيز للاتفاقيات والمعاهدات الدولية، وتعزيز تبادل الاستثمارات وتشجيع إقامة علاقات تجارية مباشرة بين تركيا وإفريقيا، عن طريق فتح أسواق جديدة، ورفع مستوى التبادل التجاري المتبادل بين الطرفين (1). ويمكن القول أيضاً: إنه منذ تولي حزب العدالة والتنمية الحكم في البلاد العام 2002م، تحرص أنقرة على تعزيز تأثير أدواتها الدبلوماسية الناعمة في القارة السمراء، عن طريق تدشين المزيد من القنصليات والسفارات التي تغطي نحو 47 بلداً إفريقياً، حتى أنها افتتحت خلال الفترة بين العامين 2008 و2009م، نحو 15 سفارة وقنصلية عامة (2)، كما تم افتتاح 27 سفارة جديدة بعد العام 2009م، منها 19 سفارة في دول جنوب الساحل والصحراء، بينما لم يتجاوز عدد سفارات أنقرة في إفريقيا قبل العام 2002م السبع سفارات (3). وفي المقابل، توجد الآن 39 سفارة وأربع قنصليات عامة لدول إفريقية في أنقرة، في حين كان العدد في عام 2002م نحو 12 سفارة فقط (4).

1. محمود زكريا محمود إبراهيم، دراسة "العلاقات السياسية الإفريقية- التركية.. المحددات والقضايا، الناشر: مركز البحوث والدراسات الإفريقية - جامعة إفريقيا العالمية، 2015، ص 13 و14، تاريخ الاطلاع 10 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/YQ8WVb>.
2. العلاقات التركية مع الدول الإفريقية، موقع وزارة الخارجية التركية، تاريخ الاطلاع 11 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/CfJPVh>.
3. مصطفى شفيق علام، دراسة "التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجية التركية.. المحددات والسياقات والتحديات"، موقع مجلة "قراءات إفريقية"، 8 يونيو 2017، تاريخ الاطلاع 7 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/QxMD7s>.
4. محمود زكريا محمود إبراهيم، دراسة "العلاقات السياسية الإفريقية- التركية.. المحددات والقضايا، الناشر: مركز البحوث والدراسات الإفريقية - جامعة إفريقيا العالمية، 2015، ص 13 و14، تاريخ الاطلاع 10 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/YQ8WVb>.

القوة التُركيَّة النَّاعِمة

ليس هذا فقط، بل تسير هذه السفارات والقُنصليات تبعاً لخطط عمل دبلوماسية دؤوبة ومثمرة على المستوى الدولي، ففي العام 2012م صارت السفارة التُركيَّة في أديس أبابا معتمدة لدى الهيئة الحكوميَّة الدوليَّة في منتدى شركاء التنمية (إيقاد)، والسفارة التُركيَّة في دار السلام معتمدة لدى مجموعة شرق إفريقيا العام 2010م، والسفارة التُركيَّة في لوساكا معتمدة لدى السوق المشتركة لشرقي وجنوبي إفريقيا (الكوميسا) العام 2012م، والسفارة التُركيَّة في ليرفيل معتمدة للجماعة الاقتصادية لدول وسط إفريقيا العام 2013م.

جدول يوضح توزيع افتتاح السفارات بحسب الأعوام

عدد السفارات	العام
2	2009م
6	2010م
4	2011م
8	2012م
4	2013م

ومن جانب آخر، لم يُغفل كبار المسؤولين الأتراك عن تكرار الزيارات الرسميَّة إلى إفريقيا وعقد اتفاقات معها بشكل ثنائي في مختلف المجالات، وفي مقدمتهم رئيس الدولة ورئيس الوزراء ووزير الخارجِيَّة ورئيس البرلمان؛ حيث استضافت تركيا نحو 16 رئيساً لدول إفريقيا جنوب الصحراء خلال القمة التُركيَّة- الإفريقيَّة الأولى العام 2008م، فضلاً عن استضافتها عدد من رؤساء الدول الإفريقيَّة خلال أعمال المؤتمر الرابع للأمم المتَّحدة للدول الأقلَّ نُموّاً 2011م. وعلى الجانب الآخر قام الرئيس التركي بزيارات لكل من السنغال العام 2008م، وكينيا وتنزانيا العام 2009م،

وجُمْهُورِيَّةِ الكِنغو الديمقراطية والكاميرون ونيجيريا العام 2010م، وغانا والجبون العام 2011م. (1)

وعلى المستوى الوزاري، أجرى نحو ستَّة رؤساء وزراء و26 وزيراً للخارجية من المنتمين إلى الدول الإفريقية زيارات رسمية إلى تركيا منذ العام 2003م، وقد كانت تلك الزيارات في إطار القمة التُّركيَّة- الإفريقيَّة الأولى العام 2008م، والمؤتمر الرابع للأمم المتَّحدة للدول الأقلَّ نموًّا العام 2011م، فضلاً عن الزيارات الاعتياديَّة الأخرى. وعلى الجانب التركي أجرى رئيس الوزراء التركي زيارات رسمية إلى جنوب إفريقيا وإثيوبيا العام 2005م والسودان العام 2006م، وإثيوبيا مرة أخرى العام 2007م، والسنغال والنيجر والجبون العام 2013م، كما قام وزير الخارجية التركي بزيارات رسمية لكل من إثيوبيا وجُمْهُورِيَّةِ جنوب إفريقيا والصومال العام 2011م. (2)

ويُعَدُّ الرئيس السابق عبدالله جول أول رئيس تركي يلقي خطاباً في دولة إفريقيَّة، وكان ذلك أمام البرلمان الغاني العام 2011م، وخلال الفترة بين 2008-2011م تمَّ عقد نحو 75 مؤتمراً وزارياً بين تركيا ودول إفريقيا، وقد وصل عددها نحو 84 مؤتمراً بحلول العام 2013م. أما الرئيس التركي رجب طيب أردوغان فيعتبر بمثابة أول رئيس وزراء تركي يلقي خطاباً أمام جمعيَّة الاتحاد الإفريقي (3) خلال زيارته إلى إثيوبيا العام 2007م. (4)

1. محمود زكريا محمود إبراهيم، دراسة "العلاقات السياسيَّة الإفريقيَّة- التُّركيَّة.. المحددات والقضايا"، الناشر: مركز البحوث والدراسات الإفريقيَّة- جامعة إفريقيا العالميَّة، 2015، ص 22، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/YQ8WVb>.

2. محمود زكريا محمود إبراهيم، دراسة "العلاقات السياسيَّة الإفريقيَّة- التُّركيَّة.. المحددات والقضايا"، ص 23، مرجع سابق.

3. الاتحاد الإفريقي (AU) هو منظمة دوليَّة تتألف من 55 دولة إفريقيَّة. تأسس الاتحاد في 9 يوليو 2002م، متشكلاً خلفاً لمنظمة الوحدة الإفريقيَّة. تتخذ أهم قرارات الاتحاد في اجتماع رؤساء الدول وممثلي حكومات الدول الأعضاء من خلال ما يسمى بالجمعية العامة للاتحاد الإفريقي. يقع مقر الأمانة العامة ولجنة الاتحاد الإفريقي في أديس أبابا، إثيوبيا. للمزيد ينظر الرابط التالي: <http://cutt.us/qOB6d>

4. محمود زكريا محمود إبراهيم، دراسة "العلاقات السياسيَّة الإفريقيَّة- التُّركيَّة.. المحددات والقضايا"، ص 23، المرجع السابق

جدول يوضِّح أعداد الزيارات الرسميَّة الخارجِيَّة التُّركيَّة إلى إفريقيا

السنوات	زيارات الرئيس	زيارات رؤساء الوزراء	زيارات وزير الخارجية
1923-1998م	2	1	1
2003-2014م	8	7	3

ويبلغ عدد زيارات الرئيس أردوغان الرسميَّة إلى إفريقيا نحو 28 زيارة، بما يجعله أكثر رؤساء العالم زيارة للقارة السمراء منذ العام 2004م (1)، وقد أجرى زيارة شهيرة مع وفد رسمي موسَّع في فبراير 2016م، إلى بعض الدول الإفريقيَّة، مثل: ساحل العاج وغانا، حيث عبَّر أردوغان خلال الزيارة عن رغبة بلاده في تعزيز العلاقات مع ساحل العاج، والعمل على رفع التبادل التجاري بين البلدين ليصل إلى مليار دولار بحلول عام 2020م، بعد أن زادت الاستثمارات التُّركيَّة في البلاد من 150 مليون دولار العام 2008 إلى 390 مليون دولار في 2015م. (2)

أما بشأن غانا فقد وقَّع أردوغان خلال الجولة ذاتها، مذكرات تفاهم مع نظيره الغاني، جون دراماني ماهاما، في مجالات عدَّة، بينها: تكنولوجيا المعلومات وتعزيز الاستثمارات المتبادلة، وقطاعا الرياضة والشباب.

1. دراسة "الحُضور التركي في القارة الإفريقيَّة- جزء 2"، موقع مركز "الدراسات الاستراتيجية والدبلوماسية"، 3 مايو 2018، تاريخ الاطلاع 8 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/gZCzeh>.
2. بوحنية قوي، تقرير "إفريقيا في الاستراتيجية التُّركيَّة الجديدة"، موقع مركز "الجزيرة للدراسات"، 25 أكتوبر 2016، تاريخ الزيارة 9 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/co1DjV>.

وإذا كانت جولات الرئيس أردوغان الدؤوبة في إفريقيا خلال العام 2016م قد جاءت بهدف تعميق "الشراكة الاستراتيجية" مع دول القارة لتطوير العلاقات مع الدول الأعضاء في الجماعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا (1) (ECOWAS)؛ فإنه قام بزيارة إفريقية أخرى ذات مغزى عميق، شملت إثيوبيا، وجيبوتي، والصومال، في سياق استراتيجية ممنهجة لتوسيع النفوذ التركي في القارة بما يتجاوز استراتيجية الانفتاح "الناعم" على العواصم الإفريقية، وصولاً إلى الانتقال لسياسة الانفتاح "الخشن"، وذلك بعد إعلان أنقرة مطلع العام 2016م توقيع اتفاقية جديدة مع الصومال لإقامة قاعدة عسكرية كبيرة، تحجز مساحة للجيش التركي في خليج عدن الاستراتيجي، ومنطقة القرن الإفريقي الحيوية (2).

وعلى صعيد القوة الناعمة في المجال الاقتصادي، فبرز في اهتمام تركيا بتطوير العلاقات مع دول إفريقيا، خاصة إثيوبيا، فيبلغ حجم التعاون الاقتصادي بين أنقرة وأديس أبابا أعلى مستوياته الآن؛ حيث تؤكد إثيوبيا أنها تقتنص النصيب الأكبر من الاستثمارات التركية في القارة، وهو 3 مليارات دولار من إجمالي 6 مليارات دولار تستثمرها تركيا في إفريقيا، متفوقة بذلك على الصين والهند، ويوجد بها نحو 350 شركة تركية، دخلت منها 120 شركة العام 2014، ويعمل بها أكثر من 500 ألف مواطن إثيوبي (3).

1. المجتمع الاقتصادي لدول غرب إفريقيا (CEDEAO) هي منظمة اقتصادية دولية تهتم بتطوير الاقتصاد في منطقة الغرب الإفريقي. تم تأسيس المنظمة في 25 مايو 1975م، ويقع مقرها في أبوجا، بنيجيريا. للمزيد ينظر الرابط التالي: <http://cutt.us/ofG0o>
2. مصطفى شفيق علام، دراسة "التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجية التركية.. المحددات والسياقات والتحديات"، مرجع سابق.
3. بوحنية قوي، تقرير "إفريقيا في الاستراتيجية التركية الجديدة"، موقع مركز "الجزيرة للدراسات"، مرجع سابق.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

كما ارتفع حجم التبادل التجاري بين تركيا ودول جنوب الصحراء الإفريقية في غضون السنوات الأخيرة من 742 مليون دولار العام 2000 إلى 3 مليار دولار العام 2005 وإلى 5.7 مليار دولار العام 2008، ومع التأثيرات السلبية التي خلفتها الأزمة الاقتصادية العالمية، تراجع المؤشرات لتبلغ 4.88 مليار دولار العام 2009 و4.36 مليار دولار العام 2010، لكنها ارتفعت مجدداً لتسجل العام 2017، نحو 18.8 مليار دولار، وهو ثلاثة أضعاف الحجم العام 2003 م⁽¹⁾، وتهدف تركيا في المرحلة المقبلة لرفع إجمالي حجم التبادل التجاري مع هذه الدول إلى 50 مليار دولار خلال السنوات المقبلة⁽²⁾. وقد وقّع الرئيس أردوغان خلال إحدى جولاته، والتي شملت أبيدجان، تسع اتفاقات اقتصادية؛ لزيادة التبادلات التجارية بين البلدين؛ لتصل إلى مليار دولار بحلول العام 2020 م. كما تناولت الاتفاقيات تعزيز حماية الاستثمارات والمجالات الضريبية في الإطار القانوني؛ لتنمية الأعمال بين الأتراك والإيفواريين⁽³⁾.

أما بشأن حجم التبادل التجاري بين تركيا والدول الإفريقية عامةً فبلغ 9 مليارات دولار العام 2005 م ليرتفع العام 2010 م إلى 15.710 مليار دولار⁽⁴⁾، ووصل العام 2016 م نحو 25 مليار دولار، وتستهدف تركيا مضاعفته هذا الرقم خلال السنوات العشر المقبلة⁽⁵⁾.

هذا وسجّلت الصادرات التُّرْكِيَّةُ إلى إفريقيا نحو 159.7 مليار دولار العام 2016 م بزيادة 4% عن العام 2014 م، وفي المقابل ارتفعت الصادرات الإفريقية إلى تركيا

1. ازدهار العلاقات التُّرْكِيَّةُ الإفريقية، موقع صحيفة "ديلي صباح"، 10 فبراير 2018 م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018 م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/hkRb9K>.
2. العلاقات التُّرْكِيَّةُ مع الدول الإفريقية، موقع وزارة الخارجية التُّرْكِيَّةُ، مرجع سابق.
3. بوحنية قوي، تقرير "إفريقيا في الاستراتيجية التُّرْكِيَّةُ الجديدة"، موقع مركز "الجزيرة للدراسات"، مرجع سابق.
4. العلاقات التُّرْكِيَّةُ مع الدول الإفريقية، موقع وزارة الخارجية التُّرْكِيَّةُ، مرجع سابق.
5. حسن العاصي، قراءة أولية في العلاقات التُّرْكِيَّةُ- الإفريقية، موقع الحوار المتمدن، 5 مارس 2018 م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018 م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/waL3ag>.

من 3.3 مليار دولار العام 2003م إلى 9.7 مليار دولار العام 2016م، كما يبلغ عدد المشاريع الاستثمارية التركيبة في القارة أكثر من 357 مشروعاً بقيمة تتجاوز 400 مليار دولار(1).

وأخذت تركيا على عاتقها المشاركة في عمليات التنمية المختلفة في إفريقيا، فافتتحت رئاسة إدارة التعاون والتنسيق التركيبة مكاتب لها في أديس أبابا والخرطوم ودكار، ونفذت هذه الإدارة مشاريع شملت نحو 37 دولة إفريقية، هذا إلى جانب المساعدات التنموية التي قدمتها المؤسسات العامة التركية لدول جنوب الصحراء الإفريقية البالغ قيمتها 43.729 مليون دولار العام 2009م، و52.608 مليون دولار من منظمات المجتمع المدني التركية(2)، وخلال العامين 2013 و2014م قدمت أنقرة مساعدات إغاثية للقارة السمراء بقيمة 3.3 مليار دولار، مما جعلها ثالث أكبر مانح دولي لإفريقيا(3). وتحرص تركيا سنوياً على دعم موازنة الاتحاد الإفريقي بنحو مليون دولار، وذلك منذ العام 2009م، هذا بخلاف الدعم التركي الرسمي لدول إفريقيا جنوب الصحراء وفي الذي بلغ العام 2015، 395.77 مليون دولار.

كما عقد مجلس العلاقات الاقتصادية الخارجية التركي مجالس عمل مع 35 دولة إفريقية، وذلك لدعم الجهود التركية الرامية إلى تطوير العلاقات التجارية والاقتصادية مع القارة السمراء، كذلك يوجد لدى وكالة التنسيق والتعاون التركية (تيكا) نحو 21 مكتباً لتنسيق البرامج في دول إفريقيا، تدير من خلالها مشاريع تركز على التنمية المستدامة طويلة الأجل.

وفي العام 2016م احتضنت إسطنبول "منتدى الاقتصاد والأعمال" الأول بين تركيا وإفريقيا، و"القمة العالمية التركية الإفريقية" بمبادرة من جمعية "رجال الأعمال

1. حسن العاصي، قراءة أولية في العلاقات التركية- الإفريقية، موقع الحوار المتمدن، مرجع سابق.
2. العلاقات التركية مع الدول الإفريقية، موقع وزارة الخارجية التركية، مرجع سابق.
3. حسن العاصي، قراءة أولية في العلاقات التركية- الإفريقية، موقع الحوار المتمدن، مرجع سابق.

الأفرو-تركية"، ومشاركة نحو 48 دولة إفريقيَّة وأكثر من خمسة آلاف من رجال الأعمال الأتراك والإفريقيين، بينما احتضنت مدينة أنطاليا الاجتماع الأول لوزراء الزراعة بين الجانبين في أبريل 2017م.

أدوات القُوَّة التُّرْكِيَّة الناعمة في الصومال

تتميّز دولة الصومال بموقع استراتيجيٍّ مهمٍّ في منطقة القرن الإفريقي؛ فتتحكّم في أهمّ الممرّات المائية الدولية، مثل: مضيق باب المندب وخليج عدن، ما يمنحها أهمية كبرى التفتت إليها تركيا مبكراً، وحرصت على إقامة علاقات مثمرة معها، وعلى مختلف الأصعدة. وقد بدأ التقارب التركي الصومالي منذ العام 2010م حينما استضافت تركيا "المؤتمر الصومالي الأول" بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة، وتم خلال ذلك توقيع "إعلان إسطنبول"، والذي يُعتبَر بمثابة خارطة طريق لتسوية الوضع في الصومال، وقامت تركيا خلال ذلك بدور رائد في التوسُّط بين الصومال ومنطقة صوماليلاند وتمهيد الطريق لصياغة دستور للبلاد من أجل انتخاب أول رئيس غير انتقالي(1). وفور حدوث "أزمة المجاعة" العام 2011م(2) أسرع رئيس الوزراء التركي آنذاك السيد رجب طيب أردوغان بإجراء زيارة رسميَّة إلى الصومال وتوجيه الأنظار الدوليَّة إلى هذه الدولة الإفريقيَّة، مما أدَّى إلى اكتسابها قاعدة عريضة من التأييد الدولي، كما قرَّر الرئيس أردوغان تعيين سفير جديد للبلاد لأول مرَّة منذ 20 عاماً(3)، ثم

1. محمد سليمان الزواوي، "أبعاد الدور التركي في إفريقيا وآفاقه"، مجلة "قراءات إفريقيَّة"، (العدد 9، سبتمبر 2011م)، ص 78، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019م.

2. أودت المجاعة التي ضربت الصومال بين عامي 2010 و 2012 بحياة 260 ألف شخص، أكثر من نصفهم أطفال تحت سن الخامسة، ونجمت المجاعة عن موجة جفاف قوية وساهم في تفاقمها النزاع المسلح بين جماعات مختلفة في الصومال. وكانت الأمم المتحدة قد أعلنت تعرض أجزاء في الصومال للمجاعة للمرة الأولى في شهر يوليو/تموز عام 2011م، ثم انتشرت المجاعة لاحقاً إلى مناطق أخرى بينها شابيل الوسطى ومخيمات النازحين في العاصمة مقديشو. للمزيد ينظر الرابط التالي: <http://cutt.us/CXZ2T>

3. Ali Abdirahman, "Turkey's Foray into Africa: A New Humanitarian Power?," (Insight Turkey) تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019م p.67, (2011), Vol. 13, Issue. 4, Ankara.

استضافت تركيا "المؤتمر الصومالي الثاني" خلال العام 2012م تحت عنوان "تحديد المستقبل الصومالي.. أهداف عام 2015م"، بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة أيضاً وبمشاركة 57 دولة و11 مؤسسة إقليمية ودولية⁽¹⁾.

وتتمركز الاستثمارات التركيبة في الصومال على ثلاثة قطاعات حيوية مهمة، هي: الميناء والمطار والصحة، والتي بدأت تُدرّ عائدات تزيد عن 100 مليون دولار سنوياً تغطي نسبة كبيرة من موازنة الدولة الإفريقية التي تُقدّر بأكثر من 200 مليون دولار سنوياً⁽²⁾.

وبرز أيضاً اهتمام تركيا بدعم الحكومة الصومالية وجهودها في إعادة بناء المؤسسات الوطنية وتعزيز الأمن والاستقرار هناك، في دعوة أنقرة في فبراير 2016م لعقد مؤتمر دولي في إسطنبول يهتم بالشأن الصومالي، وقد حضره الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، ورئيس الصومال السابق "حسن شيخ محمود"، وعدد من وزراء الخارجية وبعض المنظمات الإقليمية والدولية⁽³⁾.

وتهدف أنقرة من ذلك المساعدة في إنجاح الانتخابات الرئاسية والبرلمانية بغرفتيه الأولى (الشيوخ) والثانية (البرلمان)، التي شهدتها الصومال نهاية سبتمبر 2016م، فلعبت دوراً مهماً في إنجاحها بما يمهد لانتخابات شعبية ومباشرة العام 2020م⁽⁴⁾.

1. جهاد عمر الخطيب، "ماذا ينتظر النظام السياسي الصومالي بقيادة فرماجو: دراسة في بيئة النظام ومعضلاته"، مجلة "قراءات إفريقية"، تاريخ النشر: 22 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/HzQVgx>.

2. حسن محمد علي، "الصومال وتركيا... نحو بناء علاقة شراكة طويلة الأمد"، مركز "مقديشو للبحوث والدراسات"، تاريخ النشر: 26 يناير 2015م، تاريخ الاطلاع 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/1aPFg2>.

3. "مؤتمر دولي حول الصومال في تركيا"، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، تاريخ النشر: 21 فبراير 2016م، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/JZe4vt>.

4. سفير أنقرة بمقديشو: تركيا "دولة رائدة" في الاستثمار والدعم الإنساني بالصومال، الموقع الرسمي لوكالة "الأناضول" التركية، تاريخ النشر 4 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/9KTMQC>.

تركيا.. ومشروعات البنية التحتية وإنشاء المطارات في الصومال

تشتمل العلاقات الثنائية الناجحة بين تركيا والصومال على توقيع اتفاقات بشأن تدشين مشاريع بنية تحتية تُشكّل لمقديشو أهمية اقتصادية ملحّة، ومن مثل هذه الاتفاقات تولّي شركة "Favori" التركية مسؤولية تجديد وإدارة مطار مقديشو الدولي منذ العام 2013م، بتكلفة تصل إلى 20 مليون دولار، وقد نجحت خلال أقلّ من عام في بناء المطار الجديد على نمط دولي مميز، وتمّ افتتاحه العام 2015م. وقد جاءت هذه الشراكة بنتائج طيبة للغاية؛ إذ نجح المطار الجديد في استقطاب شركات الطيران العالمية ودفعها لتسيير رحلات منتظمة إلى الصومال، في نقلة نوعية أدت إلى انفتاح الصومال على العالم للمرّة الأولى منذ 25 عاماً(1).

وفي الإطار ذاته، ساهمت شركة "إل بيرك" التركية في إدارة ميناء مقديشو منذ العام 2014م ولمدة 20 عاماً، قامت خلالها بعدة مشاريع تهدف إلى تطوير خدمات الميناء الدولي وتحويله إلى واحد من أهمّ الموانئ في منطقة شرق إفريقيا. ومن هذه المشاريع: مشروع تنظيف الميناء الدولي للمرّة الأولى منذ عقدين وزيادة الطاقة الاستيعابية له من نحو أربع سفن إلى ثماني سفن تجارية كبيرة، واستقبال السفن المحمّلة بألاف الأطنان من البضائع، والتعامل مع مختلف أحجام السفن وأنواعها دون التأثر بالتقلبات المناخية المختلفة، فأحدثت بذلك تغييراً جذرياً في نظام العمل داخل الميناء لمواكبة الموانئ الحديثة، حتى قدّرت أرباحه في الفترة ما بين سبتمبر العام 2014 إلى يناير العام 2015م بنحو 11 مليون دولار، وذلك بحسب بيان للشركة التركية التي تدير الميناء(2).

1. طارق القزم، دراسة "الحضور التركي في القارة الإفريقية جزء 2"، مركز "مقديشو للبحوث والدراسات"، تاريخ النشر: 3 مايو 2018م، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/Tj651d>

2. طارق القزم، دراسة "الحضور التركي في القارة الإفريقية جزء 2"، مركز "مقديشو للبحوث والدراسات"، مرجع سابق.

كما أنفقت الهيئات التُركيَّة الحكوميَّة والمستقلَّة نحو 400 مليون دولار لدعم الصومال في المجال الإنساني والبنية التحتيَّة، بما فيها تشييد شوارع على مسافة أكبر من 23 كم، داخل العاصمة، فضلاً عن بناء مدارس ومستشفيات تُعدُّ الأحداث في منطقة شرق إفريقيا، وترميم أكبر مصنع سكر في مدينة جوهر (شمال)، المُطلَّة على نهر شيبيلي، والمدمَّر منذ 25 عاماً، بغية الارتقاء بالإنتاج المحلي، وإعادة تشغيل المصانع التي دُمِّرت بفعل الحروب الأهليَّة، إلى جانب إعادة ترميم سدود نهر شيبيلي، لمنع الفيضانات، وضمن استغلال مياهه طوال العام ودون انقطاع(1).

مجالات الدعم التركي للصومال (إغاثي، تنموي، اقتصادي...)

قدَّمت أنقرة مساعدات ماليَّة وتنمويَّة بقيمة 21 مليار دولار إلى 170 بلداً خلال 7 أعوام، كان نصيب إفريقيا منها 54.9%، واحتلَّت الصومال المرتبة الثالثة من قيمة المساعدات التُركيَّة في العام 2016م فقط، بقيمة تبلغ نحو 750 مليون دولار(2). وتتمحور المساعدات التُركيَّة للصومال في دعم مختلف المجالات التنمويَّة؛ حيث أكَّد السفير التركي لدى مقديشو "أولغن بيكر"، أن أنقرة رائدة في مجالي الاستثمار والدعم الإنساني في الصومال، بنحو 500 مليون دولار(3)، ففي الشؤون الصحيَّة، ساهمت وكالة تيكا في تدشين مستشفى "رجب طيب أردوغان" العام 2015م، بطاقم طبِّي مكون من 90 كادراً تركيا و200 صومالي، بينهم 18 طبيباً مُختصاً، وكذلك

1. سفير أنقرة بمقديشو: تركيا "دولة رائدة" في الاستثمار والدعم الإنساني بالصومال، الموقع الرسمي لوكالة "الأناضول" التُركيَّة، تاريخ النشر 4 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/9KTMQC>.
2. تركيا تقدم مساعدات ماليَّة تنمويَّة بقيمة 21 مليار دولار إلى 170 بلداً خلال 7 أعوام، الموقع الرسمي لمؤسسة الإذاعة والتلفزيون التُركيَّة TRT، تاريخ النشر 6 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/tNFYAz>.
3. سفير أنقرة بمقديشو: تركيا "دولة رائدة" في الاستثمار والدعم الإنساني بالصومال، الموقع الرسمي لوكالة "الأناضول" التُركيَّة، مرجع سابق.

تجهيزها بكافة المعدّات وأحدث الأجهزة الطبيَّة، بما يجعلها مُؤهَّلةً لاستقبال من 200 - 400 مريضٍ يوميًّا، و132 ألفاً من الحالات الحرجة بدون تكلفة تُذكر، حتى باتت مقصداً للمرضى من دول الجوار، وسُتدار المستشفى لمدة 5 سنوات بشكل مشترك بين الجانبين التركي والصومالي، على أن تنتقل إدارته إلى الصومال فيما بعد(1).

وأطلقت الهيئة الإغاثية التُّركيَّة (IHH) العام 2007 مشروعاً مطوَّلاً لمدة عشر سنوات بعنوان "إن أبصرتم فإنهم سيبصرون"، يستهدف إجراء 100 ألف عمليَّة لمكافحة مرض "الساد" في إفريقيا(2).

وفي شؤون التعليم، دشَّنت الهيئة الإغاثية التُّركيَّة "IHH" العام 2014م أول كليَّة زراعة في الصومال داخل جامعة زمزم، تحت اسم "كليَّة الأناضول"، بحيث تساهم في تحسين الإنتاج الزراعي، وزيادة الخبرة الزراعيَّة للصوماليين بشأن ما تواجهه من مجاعات وأزمات غذائيَّة، فتتبنَّى الكلية تعليم 40 طالباً بالمانح، بالإضافة إلى اشتغالها على مكتبة كبيرة تحتوي على مختلف الكتب باللغات الإنجليزيَّة والعربيَّة والتُّركيَّة، ومختبر تحليل للماء والتربة(3).

كما قامت وكالة "تيكا" التُّركيَّة العام 2016م بترميم مدرسة "صوناد" لضعاف السمع، وتجهيزها بأحدث الأجهزة التعليميَّة التكنولوجيَّة(4)، بالإضافة إلى تدشين مركز لتعليم الطيران العام ذاته وتسليمه فيما بعد لوزارة النقل؛ حيث ذكر وزير النقل

1. مستشفى "أردوغان" الأكبر في الصومال وشرق إفريقيا، الموقع الرسمي لمؤسَّسة الإذاعة والتلفزيون التُّركيَّة TRT، تاريخ النشر 29 سبتمبر 2015، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/DC2qPf>.
2. "ihh" التُّركيَّة تجري 100 ألف عمليَّة "كتاراكت" في إفريقيا، موقع وكالة haberler، تاريخ النشر 16 نوفمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/f2uuht>.
3. كليَّة "الأناضول" بمقديشو.. تزرع في الشباب ليحصد الصومال، موقع وكالة "الأناضول" التُّركيَّة، تاريخ النشر 27 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/6dTKBS>.
4. دعم مدرسة ضعاف السمع في الصومال، موقع وكالة "تيكا" التُّركيَّة للتعاون والتنسيق، تاريخ النشر 19 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/rfGAAR>.

والطيران الصومالي آنذاك محمد عبدالله صلاّد أن هذا المركز يساهم في تطوير الطيران المدني الصومالي، وسيشكّل نقلة كبرى لعودة مؤسسة الطيران والأرصاد الجويّة، التي تمّ نقلها إلى العاصمة الكينيّة "نيروبي" عقب انهيار الحكومة المركزيّة في الصومال(1).

ولتركيا نصيب كبير من المساعدات الزراعيّة المقدّمة إلى دول إفريقيا عامة والصومال خاصّة، نتيجة لأزمات الجفاف التي تعاني منها البلاد بصورة متكرّرة، لذلك فليس من المستغرب أن تساعد هيئة الإغاثة التركيّة (IHH) بالتعاون مع "البنك الإسلاميّ للتنميّة"، في حفر 36 بئراً عميقة بعمق يتراوح بين 300 و500 متر، وتكلفة 6 ملايين و120 ألف دولار، وتزويدها بمولّدات وأجهزة طاقة شمسيّة لتأمينها بالطاقة بشكل مستمرّ، وتقديم التدريب المتطوّر للشعب الصومالي على كيفية استخدام مثل هذه الآبار، بالإضافة إلى إنشاء مخازن على عمق 15 - 20 متراً تساعد على ضخّ المياه حتى مسافة 2 كيلو متر، وبذلك يكون إجماليّ الآبار التي حفرتها الهيئة نحو 1100 بئر طوال الأربع سنوات الماضية (2).

ومنحت وكالة "تيكا" أيضاً العام 2016م تسعة جرّارات زراعية إلى تسعة مزارعين من مناطق مختلفة في الصومال، وفق مشروع تعاون ثنائيّ بعنوان "تيكا تنقل الجرّارات إلى إفريقيا"، بهدف دعم التنمية الزراعيّة في البلاد(3).

1. "تيكا" التركيّة تسلّم الصومال مركزاً لتعليم الطيران المدني، موقع "تركيا بوسنت"، تاريخ النشر 26 سبتمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/dYYgmi>.
2. "الصومال.. هيئة الإغاثة التركيّة تعتزم حفر 36 بئراً للماء"، موقع "هيئة الإذاعة والتلفزيون التركيّة TRT"، تاريخ النشر 5 مارس 2016، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/5hHVxY>.
3. طارق القزم، دراسة "الحضور التركي في القارة الإفريقيّة جزء 2"، مركز "مقديشو للبحوث والدراسات"، مرجع سابق.

وفي الجانب الإغاثي، لم تتأخَّر تركيا أيضاً عن دعم الصومال، فعلى سبيل المثال؛ أرسلت جمعية الهلال الأحمر التُّرْكِيَّةُ العام 2016م وبالتعاون مع إدارة الكوارث والطوارئ التُّرْكِيَّةُ "أفاد" (1) مساعدات إنسانية بقيمة 23 مليون ليرة تركي، وساهمت أيضاً في نقل 57 جريحاً صومالياً مع 46 من مرافقيهم العام 2011م بغرض معالجتهم، وكذلك تكلفت إدارة الكوارث التُّرْكِيَّةُ نحو 6 ملايين ليرة لنقل مساعدات تُقدَّر بـ 5 آلاف طن من السكر و6 آلاف طن من الطحين إلى الصومال (2).

كما قدّمت هيئة الإغاثة التُّرْكِيَّةُ (IHH) العام 2011م مساعدات للبلاد تُقدَّر بـ 6000 طن بالتعاون مع "جمعية العون المباشر"، كما قدّمت مساعدات إغاثية تصل إلى نحو 9 آلاف صومالي من متضرري الجفاف (3)، كما أنشأ الهلال الأحمر التركي معسكراً للنازحين ومستشفى ومخيماً للمساعدات يستوعب نحو 250 شخصاً (4).

وبالإضافة إلى هذا نظّمت (IHH) عدداً من حملات التبرعات للعام 2017م في محافظة سكاريا التُّرْكِيَّةُ بغرض إنشاء مركز لرعاية الأيتام في الصومال يتسع لـ 24 طفلة يتيمة (5)، كما افتتحت وكالة "تيكا" مركز "كدري" لرعاية الأيتام وأطفال

1. هي إدارة الكوارث والطوارئ التركية "أفاد" (AFAD)، وهي منظمة إنسانية تعنى بإيصال المساعدات الإغاثية إلى كل محتاج في العالم، وتتبع للحكومة التركية. حصلت أفاد على المرتبة الرابعة في مستوى المساعدات الإغاثية الدولية لعام 2012، بين كل من أمريكا وإنجلترا والأمم المتحدة، ودخلت بذلك إلى مستوى العالمية في الإغاثة. للمزيد ينظر الرابط التالي: <http://cutt.us/KuOUE>
2. 450 مليون ليرة مساعدات إنسانية تركية للصومال، موقع "تركيا الآن"، مارس 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/w1auM2>
3. "مساعدات إغاثية تركية تصل 9 آلاف صومالي من متضرري الجفاف"، موقع "بني شفق"، 26 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/oWYpsj>
4. "أردوغان يصل الصومال في زيارة تاريخية"، موقع "هيبريس"، 2011، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/JvMNre>
5. "بناء مركز لرعاية الأيتام في الصومال"، موقع "هيئة الإغاثة الإنسانية IHH"، 11 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/DGcGeV>

الشوارع في الصومال وتوفير التعليم والحياة السوية لأكثر من 100 طفل، فيضمُّ سكناً ومدرسة إعدادية لتعليم وتأهيل أطفال الشوارع(1).

التدريب العسكري لقوات الشرطة الصومالية

تُولي تركيا اهتماماً كبيراً للمجال العسكري ضمن علاقاتها المثمرة مع الصومال، ولذلك وقَّعت معها اتفاقية للتدريب والدفاع المشترك، وبموجبها قرَّرت أنقرة في سبتمبر 2017م تدشين أكبر قاعدة عسكرية ومعسكر تدريبي في البلاد بما يساعد الجيش الصومالي على تطوير قُدْرته العسكرية ومواجهة حركة الشباب الإسلامية المتشدِّدة وغيرها من الجماعات المتطرِّفة المسلَّحة، وتسلم مهامَّ الأمن في البلاد من القوَّات الإفريقيَّة والدوليَّة.

وفي الإطار ذاته، أعلن سفير تركيا لدى الصومال "أولغن بيكر" العام 2016م، أن أنقرة تقدِّم إلى الصومال 2 مليون دولار شهرياً لدعم موازنة الحكومة الصومالية، من أجل مساعدتها على دفع رواتب عناصر الشرطة، إلى جانب تدريب الآلاف من القوات الحكوميَّة وآلاف غيرهم، من خلال مركز تدريب عسكري في ضواحي مقديشو، وأن كل دفعة عسكريَّة ستخضع لأربع سنوات من التدريب(2).

زيارات ثنائيَّة على مستوى القمة

يُعتبر الرئيس رجب طيب أردوغان أول رئيس وزراء غير عربي يزور مقديشو خلال عقدين من الزمان، بعدما أجرى زيارته الشهيرة إلى الصومال العام 2011م بهدف

1. "تيكا التُّركيَّة" تفتتح مركزاً لرعاية أيتام وأطفال الشوارع بالصومال"، موقع وكالة "haberler" التُّركيَّة، 19 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/rXEvCn>.
2. سفير أنقرة بمقديشو: تركيا "دولة رائدة" في الاستثمار والدعم الإنساني بالصومال، الموقع الرسمي لوكالة "الأناضول" التُّركيَّة، مرجع سابق.

تفقد ضحايا أسوأ مجاعة تمرّ بها البلاد منذ تلك الفترة، ولفت أنظار المجتمع الدولي لحجم هذه المجاعة (1)، ولم تتوقف هذه الجولات الدؤوبة لأردوغان إلى إفريقيا حتى بعد تولّيه منصب الرئاسة، فقد أجرى مطلع العام 2015م زيارة رسمية إلى العاصمة الصومالية "مقديشو"، في زيارة هي الأولى لرئيس دولة غير إفريقية إلى البلاد منذ أكثر من عشرين عاماً (2).

وخلال العام 2016م قام الرئيس أردوغان بزيارة إفريقية ذات مغزى عميق ضمت إثيوبيا، وجيبوتي، والصومال، وذلك من أجل افتتاح مقرّ السفارة التركية الجديدة في الصومال، والتي توصف بأنها أكبر سفارة في إفريقيا للدولة التركية، وتوجت هذه الزيارة بتوقيع عدد من البروتوكولات التعاونية في مجالات التعاون الضريبي والطب البيطري والطاقة والتعدين ومجال التعليم، وأشار الرئيس أردوغان خلال الزيارة إلى أن بلاده فرغت من المشروع التخطيطي لبناء مبنى جديد للبرلمان الصومالي، والذي يستغرق تنفيذه عامين، مؤكداً أن هذا المشروع سيكون بمثابة هدية من الشعب والجُمهورية التركية إلى الصومال (3).

كما أثمرت تلك الزيارة إعلان أنقرة توقيع اتفاقية جديدة مع الصومال لإقامة أكبر قاعدة عسكرية خارج تركيا، تحجز مساحة للجيش التركي في خليج عدن الاستراتيجي، ومنطقة القرن الإفريقي الحيوية (4).

1. محمود سمير الرنتيسي، دراسة "الدور التركي بشرق إفريقيا في ظلّ التنافس الإقليمي"، موقع "الجزيرة"، 27 يناير 2015، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/g65Jai>.
2. "الرئيس التركي يصل إلى مقديشو في زيارة رسمية للصومال"، موقع "BBC عربي"، 25 يناير 2015، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/K99zv8>.
3. محمد سعيد مري، "لماذا تهتمّ تركيا بالصومال؟"، موقع "مركز مقديشو للبحوث والدراسات"، 7 يونيو 2016، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/bMMzxA>.
4. مصطفى شفيق علام، دراسة "التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجية التركية.. المحددات والسياقات والتحديات"، موقع مجلة "قراءات إفريقية"، 8 يونيو 2017، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/QxMD7s>.

كما أشرف الرئيس أردوغان ونظيره الصومالي "حسن شيخ محمود(1)"- خلال الزيارة ذاتها- على توقيع تسع اتفاقيات مشتركة بين أنقرة ومقديشو، شملت المجالات الاقتصادية والأمنية والعسكرية والصحية؛ إذ وقّع وزير المال التركي "ناجي إقبال" ونظيره الصومالي "محمد إبراهيم فرغيتي" على عدد من المشاريع الاستثمارية في الصومال، شملت مجالات المياه المعدنية والزراعة والنظام الضريبي، وكذلك وقّع وزير الخارجية التركي "مولود جاويش أوغلو" ونظيره الصومالي "عبد السلام هدلية" على اتفاقية للتعاون الثنائي في المجالين الصحي والعسكري(2).

وفي المقابل، اختار الرئيس الصومالي "محمد عبد الله فرماجو"، تركيا لتكون محطته الخارجية الأولى منذ توليه منصبه في فبراير/ شباط 2017م؛ حيث أجرى زيارة رسمية إلى أنقرة في أبريل من العام ذاته، تلبيةً لدعوة الرئيس التركي أردوغان، بهدف إجراء مناقشات بشأن توطيد العلاقات الثنائية بين البلدين، وسُبل تعزيز الدعم التركي للشعب الصومالي(3).

وقد استقبلت الرئيس الصومالي فرقة الخيالة التابعة لحرس القصر الرئاسي التركي، وراففته إلى مكان إجراء مراسم الاستقبال، كما عزف النشيدان الوطنيان؛ التركي والصومالي، وذلك بحضور وزير الأغذية والزراعة والثروة الحيوانية التركي، فاروق

1. حسن شيخ محمود (29 نوفمبر 1955)، رئيس الصومال الثامن، ورئيس حزب السلام والتنمية. يتحدر من قبيلة هوية. انتخبه البرلمان الصومالي رئيساً للجمهورية في 10 سبتمبر 2012م بعد أن حصل على 190 صوتاً في الدورة الثانية من الانتخابات، متغلباً على الرئيس المنتهية ولايته شريف شيخ أحمد والذي حصل على 79 صوتاً. صُفّته مجلة تايم من بين الشخصيات المائة الأكثر تأثيراً في العالم. للمزيد ينظر الرابط التالي: <http://cutt.us/N3IB1>
2. "أردوغان ونظيره الصومالي يشرفان على حفل توقيع عدد من الاتفاقيات بين بلديهما"، موقع "ترك برس"، 4 يونيو 2016، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/qMG5Vb>.
3. "الرئيس الصومالي يزور تركيا لبحث سبل تعزيز العلاقات الثنائية"، موقع "تركيابوست"، 25 أبريل 2017، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/g4gicp>.

جليك، ووزير التنمية لطفى ألوان، والسكرتير العام لرئاسة الجمهورية فخري كاصرغا، ونائب السكرتير العام لرئاسة الجمهورية والناطق باسمها إبراهيم قالن(1).

خامساً: تركيا في القوقاز وآسيا الوسطى:

تُعرَّفُ آسيا الوسطى عند العرب تاريخياً بمنطقة "تركستان الكبرى"، وأيضاً "بلاد ما وراء النهر"(2)، وقد دخلها الإسلام فعلياً عام 86هـ، واستمرت الفتوحات بها إلى سنة 97هـ(3)، وهي تتمتع بموقع استراتيجي وحيوي مهم، نظراً لوقوعها بين روسيا والصين، وأفغانستان وإيران، وقربها من تركيا، وتعتبر اللغة التركية اللغة الأم لخمسة دول من دول آسيا الوسطى، وهي: كازاخستان، أذربيجان، وأوزباكستان، قيرغيزستان، تركمانستان(4)، وتتشابه العادات والتقاليد في هذه الدول مع تركيا، نظراً لوجود رابط الدين بينها.

أما القوقاز فتتألف من منطقتين؛ منطقة تضم ثلاث دول مُستقلة نالت استقلالها بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وهي جورجيا وأرمينيا وأذربيجان، ومنطقة أخرى

1. "أردوغان يستقبل الرئيس الصومالي بمراسم رسمية"، موقع وكالة "الأناضول" التركية، 26 أبريل 2017، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/yN2ANv>.
2. تحلّت منطقة آسيا الوسطى مكانة كبيرة في التاريخ الإسلامي؛ فهي مهد علم وموطن علماء بحواضرها الإسلامية الكبرى مثل: سمرقند، وبخارى، وخوارزم، وترمذ، وغيرها. وقد أطلق عليها المسلمون في القرن الأول الهجري "بلاد ما وراء النهر"، والتي تضم منطقة شاسعة وغنيّة بالثروات الطبيعية، تمتد من تركيا غرباً حتى حدود الصين شرقاً. للمزيد يُنظر: التعريف بمنطقة وسط آسيا وبلاد القوقاز، موقع قصة الإسلام، 19 يوليو 2008، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WsvZre
3. طه عبدالمقصود، فتح بلاد ما وراء النهر، موقع قصة الإسلام، 21 سبتمبر 2014، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/31dKLM
4. محمد الأمين مقرابي الوغليسي، "الصعود التركي في آسيا الوسطى الواقع والأمل"، مجلة البيان اللندنية، 28 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kfmMfq

تُسَمَّى بالقوقاز الروسيّ، وهي تتألّف من كراسنودار كراي، ستافروبول كراي، أدغييا، قراتشاي - تشيركيسيا، قبردينو - بلقاريا، الشيشان، إنغوشيا، أوسيتيا الشماليّة وداغستان. كما يَضُمّ القوقاز ثلاث دول أعلنت استقلالها وغير معترف بها دولياً، وهي: أبخازيا، أوسيتيا الجنوبيّة، وقرّة باغ.

انفصلت هذه المنطقة مُبَكِّراً عن الخلافة العُثمانيّة، ما جعلها تَرزُحُ طويلاً تحت السَّيْطَرَة الرُّوسِيَّة (1)، الَّتِي أزاحت الإسلام من المشهد الحياتي في هذه الدول، ونشرت الشيوعيّة بين السكان، وحرّبت كُلّ الحركات الَّتِي حاولت استرجاع هُويّة المنطقة؛ الأمر الّذي جعل الأتراك يبتعدون عن الاقتراب من تركستان الكبرى - آسيا الوسطى -؛ تفادياً للصدام مع الروس، الّذين يعتبرونها حديقة خَلْفِيَّة كبرى لهم، ومنطقة حيويّة لمصالحهم، بعد تفكُّك الاتِّحاد السُّوفييتي، وإعلان دول آسيا الوسطى استقلالها رسمياً. حاول الأتراك إعادة الارتباط بهذه المنطقة، فظهرت الكثير من المبادرات والمشاريع (2).

1. تعود أطماع روسيا في القوقاز إلى عام 1556م، حيث بدأ التَّحَرُّك الروسيّ نحو القوقاز، من خلال بناء المستعمرات، والقلاع والتحاليف مع قبائل القوزاق المسيحيين لحماية هذه القلاع، إضافةً إلى إرسال البعثات التنصيريّة هناك. بيد أن سياسة التنصير فشلت ولم تُؤت ثمارها، فقررت روسيا استخدام القوّة العسكريّة فشنت 120 حرباً ضد العُثمانيين الأتراك، استغرقت 150 عاماً. إضافةً إلى 60 حرباً ضد الصفويين الفرس، استغرقت 94 عاماً. وهكذا أضعفت روسيا كلاً من العُثمانيين والإيرانيين مُسْتَعْلَةً الصراع التاريخي الإيراني العُثماني، لتثبيت أقدامها في القوقاز. ما أدّى في الأخير إلى إرغام إيران على عقد معاهدة "تركمانكي" عام 1828، والتي اعترفت إيران، بموجبها، للقيصر الروسي بالسيادة على القوقاز. كما أرغمت العُثمانيين على التوقيع على سلسلة من المعاهدات مثل معاهدة "فينارجه" عام 1774، ومعاهدة أدنة عام 1829، والتي اعترفت فيها الأتراك بسيطرة الروس على شمال القوقاز. للمزيد يُنظر: "دخول الإسلام بلاد القوقاز، والاستعمار الروسي حتى القرن الثامن عشر"، موسوعة مقاتل من الصحراء، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hLbs5Q

2. محمد الأمين مقرّاي الوغليسي، "الصعود التُّركي في آسيا الوسطى الواقع والأمال"، مرجع سابق.

القوة التركيبية الناعمة

وتقوم السياسة العامة لأنقرة تجاه آسيا الوسطى على دعم دول هذه المنطقة فيما يخص مواصلتها لوجودها كدول مُستقلة، ومُستقرة سياسياً واقتصادياً، ومتعاونة فيما بينها ومع جوارها، ومتكاملة مع المجتمع الدولي، ومُتمسكة بالقيم الديمقراطية. وبفضل هذه السياسة أصبحت تركيا أحد الشركاء المهتمين لدول المنطقة. وتعتبر اتفاقية الشراكة الاستراتيجية المُوقعة بين تركيا وكازاخستان في عام 2009م نموذجاً للتعاون الوثيق بين تركيا ودول المنطقة. (1)

كما أصبحت تركيا رائدة لـ "قمة قادة الدول الناطقة بالتركية" (2) التي بدأت بالانعقاد منذ عام 1992م (3)، وذلك من أجل زيادة التضامن بين الدول الناطقة بالتركية، وخلق فرص تعاون جديدة فيما بينها. وقد اكتسبت عملية تنظيم هذه القمة بنية مؤسسية بالتوقيع على اتفاقية ناهتشفان (4).

وقد تأسس المجلس المذكور في القمة العاشرة لقادة الدول الناطقة بالتركية التي عُقدت في إسطنبول في شهر أيلول 2010م؛ حيث أُقيم مقرر الأمانة العامة للمجلس في إسطنبول، وتولى سفير تركي سابق منصب الأمين العام للمجلس. (5)

1. سمير صالحه، "ماذا فعل أردوغان في كازاخستان؟"، ترك برس، 17 أبريل 2015م، تاريخ الزيارة 1 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/TA24XM
2. وقَّعت تركيا وأذربيجان وكازاخستان وقرغيزيا في 3 أكتوبر 2009م في مدينة نخجوان الأذربيجانية، على وثيقة تأسيس "مجلس التعاون للدول الناطقة باللغة التركية"، ثم انضمت أوزبكستان إلى المجلس في أبريل 2018م. للمزيد يُنظر: أوزبكستان تنضم إلى مجلس التعاون للدول الناطقة باللغة التركية، تي آر تي العربية، 30 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/CxUw8t
3. "بيان حول يوم التعاون بين الدول الناطقة بالتركية"، وزارة الخارجية التركية، 3 أكتوبر 2016م، تاريخ الزيارة 1 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Z68BT
4. هي اتفاقية مُتعلّقة بتأسيس مجلس تعاون بين الدول الناطقة بالتركية تسمّ التوقيع عليها بتاريخ 3 تشرين الأول 2009م بجمهورية ناهتشفان، وهي جمهورية ذاتية الحكم، تابعة لجمهورية أذربيجان. للمزيد يُنظر: "العلاقات التركية مع دول آسيا الوسطى"، وزارة الخارجية التركية، د.ت، تاريخ الزيارة 20 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4RFn8i
5. "العلاقات التركية مع دول آسيا الوسطى"، وزارة الخارجية التركية، د.ت، تاريخ الزيارة 20 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4RFn8i

ويتابع موقع الخَارجِيَّة التُّرْكِيَّة بأن العلاقات التُّرْكِيَّة مع جمهوريَّات آسيا الوسطى قفزت بشكل سريع، وقطعت أشواطاً مُتقدِّمة على صعيد العلاقات التَّجَارِيَّة والنقل والاتِّصَالَات. وقد بلغت قيمة القرض الَّذِي منحتَه تركيا لدول المنطقة عبر مصرف أكسيم بنك Exim bank حوالي مليار دولار أمريكي. كما تمَّ إنشاء رئاسة الوكالة التُّرْكِيَّة للتعاون والتنسيق (1) TiKA من أجل تقديم المساعدات التُّقْنِيَّة لجمهوريات آسيا الوسطى.

ومن ناحية أخرى، وصل حجم التبادل التَّجَارِيَّ بين تركيا ودول المنطقة إلى حدود 6.5 مليار دولار أمريكي، وتجاوز مجموع استثمارات الشركات التُّرْكِيَّة في المنطقة 4.7 مليار دولار أمريكي في عام 2010م. أما قيمة المشاريع التِّي نفذتها شركات التعهدات التُّرْكِيَّة في المنطقة فقد وصلت إلى حدود 30 مليار دولار أمريكي، وهناك حوالي 2000 شركة تُّرْكِيَّة تعمل في المنطقة.(2)

ولم تقتصر جهود تركيا على القضايا السِّيَاسِيَّة والاقتِصَادِيَّة؛ إذ سَعَت لنشر ثقافتها هناك أيضاً، وفي عام 1992م أنشأت تركيا وكالة أخرى كانت مسؤولة عن ترويج الفن والثقافة التُّرْكِيَّة، ويقع مقرُّها الرئيس في أنقرة. دعت تركيا دول آسيا الوسطى (كازاخستان وتركمناستان، وأوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان، وكذلك أذربيجان) للانضمام إلى هذه المُنظَّمة" (3).

1. وكالة التعاون والتنسيق التُّرْكِيَّة (تيكا) تأسَّست بتاريخ 24 يناير/كانون الثاني 1992م لتنسيق علاقات تركيا المُنوَّعة مع الدول التُّرْكِيَّة الموجودة في وسط آسيا، وكان الهدف الأساسي من تأسيسها هو مساعدة الجمهوريات التُّرْكِيَّة الموجودة في وسط آسيا على إعادة تأسيس وتطوير وتأهيل نفسها، وبالتالي جعلها قريبة لتركيا أكثر من غيرها من الدول، ومع الوقت توسعت (تيكا) لتنتشر أنشطتها عبر 56 مكتب برنامج تنسيق في 54 دولة شريكة في التَّعْمِيَّة. للمزيد يُنظَر: حول تيكا، رئاسة الوكالة التُّرْكِيَّة للتعاون والتنسيق، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fjaFgZ
2. "العلاقات التُّرْكِيَّة مع دول آسيا الوسطى"، وزارة الخَارجِيَّة التُّرْكِيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة 20 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4RFn8i (مرجع السابق).
3. "روسيا.. بوابة تركيا إلى آسيا الوسطى"، مركز دراسات كاتبخون، 22 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jXaNfo

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وَرَعَمَ الاهتمام التُّرْكِيَّ بالمنطقة إلا أن طريقها لم يكن مُعَبِّدًا أبداً، إذ برزت المخاوف من التَّفُؤذِ التُّرْكِيَّ في أواخر التسعينيات وبداية القرن الجديد حول قضية الإرهاب. وتَمَّ ربط الهجمات الإرهابية التي وقعت في أوزبكستان، وطاجيكستان، وقيرغيزستان بالإسلام الراديكالي، وكان يُنظَرُ إلى تركيا على نحو متزايد على أنها ذات تأثير ضار. وقد بدأ النظر لتركيا باعتبارها الأكثر نفوذاً في الأمة الإسلامية وأنها مَرُوجَةٌ للأفكار الإسلامية الراديكالية، وعليه تَوَلَّتْ أوزبكستان موقفاً أكثر صرامة تجاه تركيا بعد هجمات إرهابية في طشقند (1) في العام 1999م (2).

واتَّهَمَتِ النُّخْبَةُ الحَاكِمَةُ المُعَارِضَةَ بالهجمات، وحصلت المُعَارِضَةُ في المقابل على حُقِّ اللجوء السِّيَاسِيِّ إلى تركيا. كما لاقَتِ النُّزَعَةُ القَوْمِيَّةُ التُّرْكِيَّةُ في وقتٍ لاحقٍ انتقادات شديدة في أوزبكستان. واستمرَّتْ علاقات هذا البلد بتركيا فقط في المجال الاقتصادي. ولكن في عام 2011م وُضِعَتِ الحكومة التُّرْكِيَّةُ مَرَّةً أُخْرَى تحت ضغط من الحكومة الأوزبكية. بعدما اتَّهَمَتِ طشقند الشركات التُّرْكِيَّةُ بدعم المتطرفين الدينيين، الَّذِينَ كانوا ينشرون الأفكار الإسلامية الراديكالية. وتَمَّ طرد معظم المصانع ومراكز الأسواق المُتَّصِلَةَ بالاستثمارات التُّرْكِيَّةُ من أوزبكستان، وأيضاً تَمَّتْ ممارسة ضغط من قِبَلِ المواطنين على الأتراك المقيمين في أوزبكستان. وكان من هذه الضغوط عمليَّةُ الطرد لمُجَرِّدِ الهويَّةِ التُّرْكِيَّةِ (3).

وحيثما قَدَّمَتْ كازاخستان عام 2009م دعوة لتأسيس اتِّحَادٍ للدول الناطقة بالتركية "يشمل أذربيجان وكازاخستان وقيرغيزستان وتركيا تجد نفسها قائدة فيه. رفضت

1. في فبراير 1999م، شهدت العاصمة الأوزبكية طشقند عدَّة تفجيرات إرهابية، أدت إلى مقتل عشرات الأشخاص وإصابة المئات، وقد اتَّهَمَتِ الحكومة حركة أوزبكستان الإسلامية وفصائل مُنَشَّقَةٌ عنها بتنفيذ العمليات. للمزيد يُنظَرُ: أوزبكستان على عتبة مرحلة جديدة، صحيفة الحياة اللندنية، 8 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/w6mtpm
2. "روسيا.. بوابة تركيا إلى آسيا الوسطى"، مركز دراسات كاتيخون، مرجع سابق.
3. المرجع السابق.

أوزبكستان وتركمانستان هذه الدعوة. لم يعترض المسؤولون الأتراك على هذا، مدركين أن جمهوريات آسيا الوسطى لا تريد استراتيجيّة الأخ الأكبر" (1).

وقد غيرت تركيا منذ مجيء حزب العدالة والتّميّة إلى السّلطة عام 2002م من أسلوب تعاملها مع منطقة القوقاز وآسيا الوسطى، واتّبعّت فلسفة التعاون والشراكة وقدمت نفسها على أنها الدوّلة الحريضة على الأمن والاستقرار، أخذت بعين الاعتبار مُعطيات الجوار الجغرافيّ والقوميّ والاقتصاديّ وارتباط المصالح، "ولتكتمل دائرة تحسين العلاقات بين تركيا والقوقاز سَعَت الدبلوماسية التركيّة من أجل استئناف علاقاتها مع أرمينيا، وتجاوز العُدّة التّاريخيّة التي تحوّل دون ذلك، ولتحقيق هذا الهدف التقى بعض مسؤولي البلدين وبحثوا في إمكانيّة استئناف العلاقات بينهما، فضلاً عن الزيارات المتبادلة على أعلى المستويات بين البلدين، حتى توصل الجانبان إلى التوقيع على اتّفاق التطبيع بينهما في 10 تشرين الأوّل / أكتوبر 2009م، لكن قضيّة ناجورنو كارباخ (2) حالت دون مصادقة برلمانيّ البلدين عليه. (3)

إنّ تطبيع العلاقات بين تركيا وأرمينيا يكتسب أهميّة كبيرة من زاوية علاقات تركيا بأذربيجان، وكذلك علاقات أذربيجان بأرمينيا، وتبقى مسألة تطبيع العلاقات بين تركيا وأرمينيا تراوح مكانها إذا لم تُحلّ المشاكل العالقة في العلاقات بين أذربيجان

1. روسيا.. بوابة تركيا إلى آسيا الوسطى"، مركز دراسات كاتيخون، المرجع السابق.
2. هو إقليم خُصّب التربة، ويمتاز بجماله الطبيعيّ، شهد أحداثاً دمويّة بسبب كونه إقليماً متنازعاً عليه بين أرمينيا وأذربيجان بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، وهذا الإقليم هو السبب الرئيس في تجدد الصراع العرقي والمناوشات العسكريّة بين أذربيجان وأرمينيا بين الحين والآخر. للمزيد يُنظر الرابط التالي: <http://cutt.us/bNTzj>
3. "روسيا.. بوابة تركيا إلى آسيا الوسطى"، مركز دراسات كاتيخون، 22 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jXaNfo

وأرمينيا، وذلك بسبب مشكلة ناجورنو كراباخ المتنازع عليها بين الطرفين (1). وفي هذا السياق فإن تطبيع العلاقات بين تركيا وأرمينيا يجب أن يتحقق بالتوازي مع مسار أذربيجان وأرمينيا، بل إن الشروع في تحريك المسار التركي الأرميني ينبغي أن يشمل أذربيجان، لتحسين الأجواء الإقليمية وتجاوز النزاعات القائمة.

كما طرحت تركيا إقامة "منتدى الاستقرار والتعاون في القوقاز" في أعقاب الحرب الروسية الجورجية في أغسطس 2008م على خلفية الاجتياح الجورجي لأوسيتيا الجنوبية، في محاولة منها لجمع دول القوقاز وحل المشاكل القائمة بينها، وإعادة الأمن والاستقرار إلى هذه المنطقة الحيوية والاستراتيجية بالنسبة لتركيا التي تحرص على تأمين استمرار تدفق إمدادات الطاقة من منطقة القوقاز وآسيا الوسطى عبر أراضيها إلى أوروبا وبقية الأسواق العالمية.

وفي هذا الإطار، فإن حط أنابيب باكو - تبليسي - جيهان (2) الهادف إلى نقل بترول أذربيجان وربما كذلك بترول آسيا الوسطى وبشكل خاص كازاخستان عبر جورجيا إلى ميناء جيهان التركي الواقع على البحر الأبيض المتوسط بطول 1776 كلم (3)

1. يُعْتَبَر إقليم ناجورنو كراباخ منطقة تفصل بين كل من إيران وروسيا وتركيا، تعيش فيها غالبية أرمينية ترفض الاعتراف بسلطة أذربيجان عليها، وقد أعلن الإقليم استقلاله عن أذربيجان نهاية العام 1991م، لكنه لم يحطّ باعتراف أي دولة حتى أرمينيا، وبالنسبة إلى المجتمع الدولي لا يزال تابعا إلى أذربيجان.
2. شهدت الفترة بين العامين 1988 و1994م حرباً شرسة بين أرمينيا وأذربيجان أوقعت نحو 30 ألف قتيل، وأدت إلى نزوح مئات الآلاف من الأشخاص غالبيتهم من الأذربيجانيين. للمزيد يُنظر: ما هي أسباب النزاع بين أرمينيا وأذربيجان على منطقة ناغورني كراباخ؟، موقع "sputniknews" العربية، 3 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/7C1AQw>
3. (باكو - تبليسي - جيهان) خط أنابيب يربط أذربيجان بتركيا عبر جورجيا، من خلاله يتم نقل نفط بحر قزوين إلى الأسواق العالمية من دون المرور بالأراضي الروسية، ويعتبر واحداً من أطول خطوط الأنابيب في العالم. للمزيد يُنظر: تدشين خط أنابيب «باكو - تبليسي - جيهان» الخميس المقبل، صحيفة البيان الإماراتية، 11 يوليو 2006م، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9dGnLH

يشكل أهمية بالغة بالنسبة لتركيا والغرب على السواء، ذلك أن المشروع المذكور يُشكّل أول مرحلة من مراحل تحوّل تركيا إلى أن تكون جسراً للطاقة وممرّاً لها بين الشرق والغرب. وهذا الخط سوف يزيد من الأهمية الجيوسياسية والجيوسراتيجية لتركيا، كما أنه في الوقت نفسه يكتسب أهمية بالغة في الحفاظ على الاستقرار السياسي في مناطق القوقاز⁽¹⁾.

سادساً: تركيا في دول البلقان:

البلقان Balkans كلمة تُركيَّة الجذور تعني الجبل أو المرتفع من الأرض، والبلقان منطقة تاريخية جغرافية عبارة عن شبه جزيرة تقع في الجزء الجنوبي الشرقي لقارة أوروبا تصل مساحتها لحوالي 550,000 كلم² (2)، واشتُق اسم المنطقة من سلسلة جبال البلقان الممتدة من أواسط بلغاريا حتى شرقي جمهورية صربيا، وتتمتع تركيا بروابط تاريخية وثقافية ومجتمعية مشتركة مع البوسنة والهرسك، كما أنه يوجد أكثر من مليون من الأقليات التركية يعيشون في دول البلقان. (3)

وبالإضافة إلى ذلك، فإن المجتمعات المسلمة الأخرى في المنطقة تُعد في غاية الأهمية بالنسبة لتركيا؛ فبعد قرون من الهجرة نشأ ارتباط وثيق بين المجتمع التركي وبين المجتمعات المسلمة التي تعيش في البلقان، كما أن المواطنين الأتراك من ذوي الأصول البلقانية يُشكّلون الآن جماعات ضغط إثنية طبيعية (لوبي) داخل تركيا، واندمجوا

1. أورهان توربدار، "النشاط التركي الجديد في غرب البلقان: الطموحات والعوائق"، رؤية تركية، صيف 2013، نسخة رقمية متاحة على الرابط التالي: goo.gl/NaHhA2
2. البلقان، الجزيرة نت، 16 مارس 2016م، تاريخ الزيارة 16 نوفمبر 2017م، النصّ متاح على الرابط التالي: goo.gl/L3WgP4
3. أورهان توربدار، "النشاط التركي الجديد في غرب البلقان: الطموحات والعوائق"، رؤية تركية، مرجع سابق.

بصورة طَبِيعِيَّةٍ داخل نظام الدَّوْلَةِ، وهذا اللوبي يتكون من مُؤَسَّسات وجمعيَّات وصحفيِّين وأكاديميِّين وبرلمانيِّين ووزراء ودبلوماسيِّين وعسكريِّين وغيرهم.(1)

كما تُعدُّ الجُغرافيا كذلك من مُحفِّزات انخراط تركيا في منطقة البلقان، وفي هذا السياق يقول الرئيس التُّرْكِي السَّيِّد رجب طيِّب أردوغان: "إن التاريخ أظهر أنه من غير الممكن إحلال السلام والاستقرار العالَميِّ والحفاظ عليهما بدون السلام والاستقرار في البلقان والشرق الأوسط. ولأن تركيا في قلب تلك المنطقة، فإنها لا تستطيع أن تتجاهل التَطوُّرات هناك"(2).

وقد أبَدت تركيا اهتماماً كبيراً بهذه المنطقة بعد حوالي نصف قرن من الحياد، بعد نهاية الحرب الباردة، وتفكُّك الكتلة الشيوعيَّة، وظهور دول جديدة أحدثت تغيُّرات سريعة وجذريَّة في النُظُم الدَّوْلِيَّة والإقليمِيَّة، وخالقت تحدِّيات وفرصاً جديدة بالنسبة لتركيا، فقد رأى صنَّاع السِّيَاسة في أنقرة ضرورة وجود رؤية جديدة تجاه تلك المنطقة. ونظراً إلى أجواء المرحلة الانتقاليَّة والريبة، رأت تركيا ضرورة التَّحرُّك الاستباقي لمنع التَّهدِيدات الأُمْنِيَّة، والمساهمة في نَشْر السلام والاستقرار في المنطقة، وتعزيز أواصر الروابط الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة مع دول البلقان، ومناطق أخرى محيطة، بالإضافة إلى المخاوف الجيوستراتيحيَّة، دفعت المُحفِّزات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة، صنَّاع السِّيَاسة التُّرْكِيَّة في أعقاب الحرب الباردة إلى وضع سياسة جديدة وأكثر نشاطاً في البلقان(3).

1. رجب طيِّب أردوغان، "Nema Svetskog Mira Bez Stabilnog Balkana, Danas. December 23", 2010.

2. رجب طيِّب أردوغان، المرجع السابق.

3. عصر ذهبي للعلاقات: تركيا وغرب البلقان خلال عهد حزب العدالة والتَّنْمِيَّة"، رؤية تركيَّة، مرجع سابق.

ولأن تركيا تعلم جيداً أن التَطَوُّرَات في البوسنة والهرسك تُعَدُّ في غاية الأهميَّة لاستقرار منطقة غرب البلقان بأكملها، فإنها أوَّلَتْ قضايا تلك البلدان أهميَّة كبرى. وقد كانت قِمةُ البلقان التي عُقِدَتْ في إسطنبول واحدةً من أكبر نجاحات تركيا في غرب البلقان (1)، ودوماً أنتهزت تركيا كُلَّ فُرْصَة من أجل توضيح أن الهدف الرئيس لتركيا هو أن تكون مُجَرَّدَ صديق لكافة دول البلقان.

لكن بعض الجماعات السياسيَّة في البلقان رأَت أن السياسيِّين الأتراك يحاولون أن يمهِّدوا الطريق لبِسْطِ نفوذِ عثمانيٍّ جديدٍ في المنطقة.

منذ إنشاء الجُمهوريَّة التركيَّة، يدافع داود أوغلو عن سياسة بلاده ويقول في "خطبة في سراييفو في 16 أكتوبر 2009م، أعلن فيها أن أهداف السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة لتركيا هو وَضْعُ البلقان والشرق الأوسط والقوقاز مع تركيا في قلب السِّيَاسَاتِ العَالَمِيَّةِ في المستقبل (2)، وأيضاً أعاد الرئيس التركيُّ السابق عبدالله غول التأكيد على دعم تركيا لذلك البلد، في سياق زيارته للبوسنة والهرسك في سبتمبر 2010م، وأوضح أن "تركيا مدعوَّة لضمّان استقلال وسيادة البوسنة ونشر الاستقرار في منطقة البلقان" (3).

اهتمام تركيا لم ينصبَّ على البوسنة والهرسك وحدها بل شمل كُلَّ دول المنطقة، فمن أهم نتائج التَّدخُلِ التركيِّ الفاعل في البلقان هو تحسين العلاقات الثنائيَّة بين تركيا وصربيا. ففي السنوات الماضية ازدادت الزيارات المتبادلة الرفيعة المستوى بين تركيا وصربيا، فإلى جانب عشرات الزيارات على مستوى الوزراء، شَهِدَ شهر أكتوبر من

1. العلاقات التركيَّة مع دول البلقان"، وزارة الخَارِجِيَّة التركيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ndPCxD
2. أحمد داود أوغلو، خطبة مُقدِّمة في المراسم الافتتاحيَّة لمؤتمر: Ottoman Legacy and Balkan Muslim Communities Today, Sarajevo, October 16, 2009، على الرابط التالي: http://www.ius.edu.ba/dzsusko/Davutoglu_transcript_dzs.doc
3. غول يُوكِّد التزام بلاده بضمّان استقلال وسيادة البوسنة"، صحيفة إيلاف الإلكترونيَّة، 2 سبتمبر 2010، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gPDrJf

العام 2017م زيارة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان إلى صربيا على رأس وفد رفيع المستوى؛ حيث وقّع الجانبان 16 اتفاقية تعاون مشترك (1)، كما قام الرئيس الصربي ألكسندر فوسيتش بزيارة إلى تركيا في مايو 2018م، شدّد فيها على مدى تأثير التعاون التركيّ الصربي على السلام في منطقة البلقان، مؤكداً أن "تركيا أكبر قوة في البلقان، وأقوى بلد فيها، ورأيها مهم" (2).

و"بالرغم من ذلك، لا تزال كوسوفو شوكة كبرى في حلق بلجراد وأنقرة؛ فبعد إعلان كوسوفو استقلالها، تصرّفت تركيا في البداية بحذر؛ لأنها لم ترغب أن تظهر على أنها من أقوى داعمي كوسوفو. فعلى سبيل المثال، لم تدلّ برأيها (لصالح كوسوفو) في محكمة العدل الدوليّة، عندما قدّمت صربيا استفساراً في 2009م بشأن إذا ما كان إعلان كوسوفو لاستقلالها يتوافق مع القانون الدوليّ أم لا. ولكن، بعدما اعترفت محكمة العدل الدوليّة بشرعيّة استقلال كوسوفو في 22 يوليو 2010م (3)، تغيّر الموقف التركيّ الرّسميّ لصالح كوسوفو، كما أكّد رئيس الوزراء التركيّ، آنذاك، السيّد رجب طيب أردوغان، أثناء زيارته في 3 و4 نوفمبر 2010م على الدعم التركيّ لاستقلال كوسوفو وتنميتها الاقتصاديّة ووحدة أراضيها (4). ورفع رئيس وزراء كوسوفو هاشم

1. "زيارة السيد تشاوش أوغلو وزير الخارجيّة لصربيا برفقة السيد رجب طيب أردوغان رئيس الجمهوريّة التركيّة"، 9-11 تشرين الأول/أكتوبر 2017، وزارة الخارجيّة التركيّة، 11 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DmgSd7
2. "الرئيس الصربي: تركيا أكبر قوة في البلقان ورأيها مهم"، تي آر تي العربيّة، 7 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KNnKPJ
3. في فبراير 2008، اعتمدت جمعيّة كوسوفو (البرلمان الوطني) إعلاناً للاستقلال رغم اعتراضات قويّة أبدتها صربيا بشأن اعتبار كوسوفو جزءاً من أراضيها غير القابلة للتصرّف. وفي يوليو 2010م، أصدرت محكمة العدل الدوليّة فتوى بشأن الإعلان أكّدت أنه لا ينتهك القانون الدوليّ. للمزيد يُنظر: معلومات أساسيّة عن البعثة، بعثة الأمم المتّحدة للإدارة المؤقتة في كوسوفو، موقع الأمم المتّحدة، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3SNeGM
4. "أردوغان.. تركيا تدعم كوسوفو في العالم الإسلامي"، وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، 3 نوفمبر 2010، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yBy7Kk

طاشي(1) (الذي أصبح رئيس كوسوفو في عام 2016)، في حملته الانتخابية في ديسمبر 2010م صورة تظهره إلى جانب أردوغان(2).

سابعاً: تركيا في أمريكا اللاتينية:

مع استمرار تأزم دول الجوار وعدم توقُّف الحروب في كلِّ من سوريا والعراق، وخروج هاتين الدولتين وغيرهما من الواجهات العربيَّة من الحسابات الاقتصاديَّة التركيَّة، كان لا بُدَّ لها من البحث عن أسواق جديدة وبناء تحالفات جديدة أيضاً، فكان الاتجاه نحو أمريكا اللاتينية، لهذا اعتَبَرَ الرئيس التركيُّ السَّيِّد رجب طيِّب أردوغان العام 2016م "سنة التركيز على علاقات بلاده مع الدول اللاتينية"، ولأجل هذا زار كلا من تشيلي والأكوادور وبيرو(3)، وكان أردوغان قد استبق تلك الجولة بجولة مشابهة في فبراير 2015، شملت كوبا وكولومبيا والمكسيك(4).

ولا تُعْتَبَر العلاقة جديدة بين تركيا وهذه الدول إذ تعود إلى القرن التاسع عشر؛ حيث حصلت موجات هجرة مُتعدِّدة من الإمبراطوريَّة العُثمانيَّة إلى أمريكا اللاتينية

1. وُلِدَ هاشم طاشي Hashim Thaçi في 24 أبريل 1968م، انْتُخِبَ رئيساً لجمهورية كوسوفو في 26 فبراير 2016م من قِبَلِ جمعيَّة جمهوريَّة كوسوفو. شَغَلَ منصب النائب الأول لرئيس الوزراء ووزير للخارجيَّة خلال الفترة (2014-2015م)، وعَمَلَ فترتين كرئيس وزراء لكوسوفو (2007-2014م). أول رئيس للحزب الديمقراطي في كوسوفو، وتمَّ إعادة انتخابه بِصِفَةِ مُسْتَمِرَّة كرئيس للحزب حتى استقالته في 26 فبراير 2016م، قيل أن يُنْتخَبَ رئيساً لكوسوفو. هو صاحب الإعلان عن كوسوفو دولة مُستقلَّة في 17 فبراير 2008، وكان الرئيس السِّيَاسِيَّ لجيش تحرير كوسوفو خلال فترة الحرب في 1997-1999. للمزيد يُنظر: Hashim Thaçi- Biography, President of the Republic of Kosovo, available at: goo.gl/K1xHjh.
2. أحمد داود أوغلو، حُطْبَةٌ مُقدِّمة في المراسم الافتتاحيَّة لمؤتمر: Ottoman Legacy and Balkan Muslim Communities Today, Sarajevo, October 16, 2009، على الرابط التالي: http://www.ius.edu.ba/dzsusko/Davutoglu_transcript_dzs.doc. (مراجع سابق).
3. أردوغان يبدأ جولة في أمريكا اللاتينية، صحيفة الحياة اللندنيَّة، 30 يناير 2016، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JtsazV.
4. الرئيس أردوغان يتوجَّه إلى كولومبيا في مُستهلَّ جولته اللاتينيَّة، تي آر تي العربيَّة، 9 فبراير 2015، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jrrUa2.

ابتداءً من ستينيات القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد أُطلق على هؤلاء المهاجرين الذين كانوا في أغلبيتهم عرباً تسمية "الأتراك" بسبب حملهم لجوازات سفر عثمانية(1).

فيما بدأت العلاقات القنصلية بين الإمبراطورية العثمانية وأمريكا اللاتينية في نهايات القرن التاسع عشر، ومع انهيار الإمبراطورية العثمانية وقيام الجمهورية التركية، بدأت إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الجمهورية التركية ودول أمريكا اللاتينية، وكانت تشيلي أول دولة اعترفت بالجمهورية التركية بتوقيعها على اتفاقية الصداقة والتعاون عام 1926م، واليوم توجد لتركيا سفارات في الأرجنتين والبرازيل وتشيلي، وكوبا والمكسيك، وكولومبيا وبيرو وفنزويلا والأكوادور وقنصلية عامة في مدينة سان باولو البرازيلية(2). وقد تميّزت العلاقات بين تركيا ودول المنطقة دائماً بأنها علاقات صداقة، ولكنها كانت مُستقرّة لغاية تسعينيات القرن الماضي، ولم تبلغ العلاقات بين الجانبين المستوى المطلوب بسبب البُعد الجغرافي وقلة الاتصالات، ومع ذلك فإن الزيارة الرسمية التي أجراها الرئيس الأسبق للجمهورية التركية "سليمان ديميرل" (3) عام 1995م، والتي

1. "السياسة التركية حيال أمريكا اللاتينية والكاربيبي وعلاقتها مع دول المنطقة"، وزارة الخارجية التركية، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wW6b8h
2. "السياسة التركية حيال أمريكا اللاتينية والكاربيبي وعلاقتها مع دول المنطقة"، وزارة الخارجية التركية، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wW6b8h (المرجع السابق).
3. سليمان غون دوغودو ديميرل سياسي تركي مخضرم، وُلد في نوفمبر من العام 1924م بقرية إسلام كوي في مدينة إسبرطة الصغيرة الواقعة غربي الأناضول، حصل على بكالوريوس الهندسة المدنية بجامعة إسطنبول التقنية عام 1949م، قبل عام واحد من الانتخابات الحرة الأولى في تاريخ تركيا والتي اكتسح فيها عدنان مندريس آنذاك. اتّجه ديميرل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليكمل الدراسات العليا في مجال الرّي وبناء السدود، ليعود إلى تركيا ويجذب انتباه رئيس الوزراء آنذاك مندريس ويصبح مديراً لمشروع سد سيهان، ورئيساً لقسم السدود منذ عام 1954م، ثم المدير العام لهيئة المشاريع المائية التابعة للدولة عام 1955م، لينتهي دوره مع الانقلاب العسكري الأول عام 1960م، ويدخل الجيش التركي لتأدية الخدمة العسكرية، ويتّجه للعمل الخاص كمهندس حرّ تابع لشركة موريسون الأمريكية والقاء محاضرات الهندسة الهيدروليكية في جامعة الشرق الأوسط التقنية بأنقرة، تولى رئاسة الوزراء في بلاده 7 مرات خلال الفترة من 1965م وحتى العام 1993م، حيث أصبح رئيساً لتركيا حتى عام 2000م. للمزيد يُنظر: سليمان ديميرل، الجزيرة نت، 19 يونيو 2015، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zxkTcQ

شملت كلاً من الأرجنتين والبرازيل وتشيلي، كانت أول زيارة في التاريخ يجريها رئيس الجمهورية التركية لأمريكا اللاتينية، وشكّلت نقطة انعطاف في العلاقات بين تركيا وأمريكا اللاتينية" (1).

ولاحقاً عقدت سلسلة اجتماعات في وزارة خارجية الجمهورية التركية في شهر سبتمبر / أيلول من عام 1998م بمشاركة السفارات التركية لدى دول أمريكا اللاتينية وممثلي القطاعين العام والخاص التركي والقنصليات الفخرية لدول أمريكا اللاتينية والكاربيبي لدى تركيا، وذلك من أجل تحديد كيفية تطوير العلاقات التركية مع دول أمريكا اللاتينية والكاربيبي والمجالات التي يجب أن تشملها هذه العلاقات، ونتيجة لهذه الاجتماعات تم إعداد "خطة العمل المتعلقة بأمريكا اللاتينية والكاربيبي" التي تعتبر بمثابة خارطة طريق للانفتاح السياسي والاقتصادي تجاه المنطقة.

وفي هذا الإطار، تم إعلان عام 2006م "عام أمريكا اللاتينية والكاربيبي" في تركيا؛ حيث نظمت في تركيا في الفترة ما بين 5 - 11 يونيو 2006م في سياق خطة العمل المتعلقة بأمريكا اللاتينية والكاربيبي، "أسبوع أمريكا اللاتينية" (2)، وتم توجيه الدعوة للمشاركة في فعاليات هذا الأسبوع إلى وزارات الخارجية والتجارة والاقتصاد وممثلي من أوساط الجامعات والعمل في دول أمريكا اللاتينية، وتم تأمين عقد مباحثات ولقاءات بينهم وبين ممثلي المؤسسات العامة والقطاع الخاص التركي، وتم دعوة القنصليات العامة التركية الفخرية الموجودة في نفس هذه البلدان إلى تركيا واطلاعهم على توجهات السياسة الخارجية التركية (3).

1. "السياسة التركية حيال أمريكا اللاتينية والكاربيبي وعلاقتها مع دول المنطقة"، وزارة الخارجية التركية، دت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wW6b8h
2. "السياسة التركية حيال أمريكا اللاتينية والكاربيبي وعلاقتها مع دول المنطقة"، وزارة الخارجية التركية، دت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wW6b8h (المرجع السابق).
3. "السياسة التركية حيال أمريكا اللاتينية والكاربيبي وعلاقتها مع دول المنطقة"، وزارة الخارجية التركية، المرجع السابق.

القوة التُركِيَّةُ النَّاعِمَة

وقد طرأت زيادة كبيرة على عدد الزيارات المتبادلة رفيعة المستوى بين تركيا والبلدان الرئيسيَّة في المنطقة. ففي الفترة ما بين 2009 - 2012م زار تركيا كُُلُّ من رؤساء الأرجنتين والبرازيل وكولومبيا وكوستاريكا وسانت فينسنت والجرينادين، ورئيسي وزراء كُُلِّ من الباهاما والبربادوس، ووزراء خَارجِيَّة كُُلِّ من الأرجنتين والبرازيل وكولومبيا والمكسيك والبارغواي وفنزويلا. كما أجرى رئيس وزراء الجُمهوريَّة التُركِيَّة السَيِّد رجب طيِّب أردوغان زيارة رَسْمِيَّة لكل من المكسيك والبرازيل، وأجرى وزير خَارجِيَّة الجُمهوريَّة التُركِيَّة السَيِّد أحمد داوود أوغلو زيارة رَسْمِيَّة إلى البرازيل. كما أجرى كُُلُّ من رئيس الوزراء السَيِّد رجب طيِّب أردوغان ووزير الخَارجِيَّة السَيِّد أحمد داوود أوغلو ونائب رئيس الوزراء السَيِّد علي باباجان ووزير الاقتصاد السَيِّد ظافر تشاغلايان زيارة إلى المكسيك في عام 2012م للمشاركة في اجتماعات مجموعة العشرين. ومن جهة أخرى، عَقَدَت تركيا خلال هذه الفترة مشاورات سياسيَّة مع كُُلِّ من الأرجنتين وبوليفيا والبرازيل والإكوادور، وكولومبيا وكوبا والبيرو وفنزويلا، واجتماعات للجنة الاقتصاديَّة المشتركة مع كُُلِّ من الأرجنتين والبرازيل وكوبا. (1)

كما اكتمل الجزء الأكبر من الأرضيَّة القانونيَّة للعلاقات بين تركيا والدول الرئيسيَّة في المنطقة. فأنشأت تركيا في هذا الإطار آليَّة المشاورات السياسيَّة مع 14 دولة (الأرجنتين وبوليفيا والبرازيل والإكوادور وغواتيمالا، وكولومبيا وكوستاريكا وكوبا، والمكسيك والبيرو وتشيلي، والبارغواي والأورغواي وفنزويلا). وتمَّ التوقيع أثناء الزيارة التي أجراها رئيس وزراء الجُمهوريَّة التُركِيَّة السَيِّد رجب طيِّب أردوغان إلى البرازيل في الفترة ما بين 25 - 29 مايو 2009م على "خُطَّة الشراكة الاستراتيجيَّة" بين تركيا والبرازيل التي تَطَوَّرَت العلاقات التُركِيَّة معها بشكل كبير. (2).

1. "السياسة التُركِيَّة حيال أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي وعلاقتها مع دول المنطقة"، وزارة الخَارجِيَّة التُركِيَّة المرجع السابق.
2. المرجع السابق.

كما حصل تقدُّم ملحوظ بخصوص التمثيل الدبلوماسي المتبادل مع دول المنطقة. ففي هذا الإطار بدأت السفارة التُّركيَّة أعمالها لدى بوجوتا (كولومبيا) في شهر فبراير 2010م ولدى ليما (بيرو) في شهر مارس 2010م، ولدى كيتو (الإكوادور) في شهر يناير 2012م، وبذلك ارتفع عدد السفارات التُّركيَّة في دول المنطقة إلى 9 سفارات. أما القنصليَّة العامَّة التُّركيَّة لدى سان باولو (البرازيل) فقد بدأت نشاطاتها في شهر نوفمبر 2009م. وتتواصل الأعمال لافتتاح سفارات جديدة في دول المنطقة في المرحلة القادمة. وبافتتاح بيرو سفارة لها في تركيا في عام 2010م وكولومبيا في عام 2011م ارتفع عدد سفارات دول أمريكا اللاتينيَّة والكاربيبي في تركيا إلى تسع سفارات (1)، قبل أن يصل في العام 2018م إلى 20 سفارة وقنصليَّة مختلفة في الحواضر اللاتينية (2).

وقد أدَّى الانفتاح التُّركيَّ على هذه الدول إلى تحقيق نتائج إيجابِيَّة، وإن لم تكن بالقدر المطلوب بعد، إذ تشير الأرقام الرِّسْمِيَّة إلى أن حجم التبادل التُّجاري مع أمريكا اللاتينيَّة بلغ أكثر من 7 مليارات دولار في 2016م (3) مقارنة بمليار دولار فقط عام 2000م، لكن هذا الرقم لا يزال يُمثِّل هامشاً ضئيلاً في الميزان التُّجاري التُّركيَّ. ووفقاً لبيانات الحكومة، فإن الصادرات التُّركيَّة لأمريكا الوسطى والجنوبيَّة ومنطقة البحر الكاريبي، مثلت 0.6% من مجمل الصادرات التُّركيَّة في عام 2016م، بقيمة إجماليَّة بلغت 846 مليون دولار أمريكي (4).

1. "السياسة التُّركيَّة حيال أمريكا اللاتينيَّة والكاربيبي وعلاقتها مع دول المنطقة"، وزارة الخارِجِيَّة التُّركيَّة، المرجع السابق.
2. انظر في ذلك: "المُثليَّات في الخارج"، وزارة الخارِجِيَّة التُّركيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hr39ug
3. "السياسة التُّركيَّة حيال أمريكا اللاتينيَّة والكاربيبي وعلاقتها مع دول المنطقة"، وزارة الخارِجِيَّة التُّركيَّة، مرجع سابق.
4. "إحصاءات التجارة الخارِجِيَّة"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار بالجمهورية التُّركيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QJvJkC

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وتتصدَّرُ البرازيل قائمة الدول اللاتينية الأكثر تعاوناً مع تركيا اقتصادياً، وتليها المكسيك ثم كولومبيا، كما تعمل شركة النفط "تبك (1) TPIC التركية العالمية بالتنقيب عن البترول في كلِّ من كولومبيا والإكوادور، وهي تسعى لتوقيع نفس الاتفاق مع فنزويلا (2).

وقد استخدمت تركيا سياسة أخرى للتقرب من هذه الدول، ووجدت في الفن والدراما وسيلة لذلك، فبعد دبلجة المسلسل التركي "ما ذنب فاطمة عل" إلى اللغتين الإسبانية والبرتغالية، أحدث ذلك المسلسل الرومانسي صدئاً واسعاً في أمريكا الجنوبية؛ ففي الأرجنتين وحدها، شاهد حلقات ذلك المسلسل أكثر من 12 مليون شخص (3). وليس هذا هو المسلسل التركي الوحيد هناك، إذ تتزايد أعداد المسلسلات التلفزيونية التركية التي تُعْتَبَر من بين أكثر البرامج مشاهدة في قارة أمريكا الجنوبية. ففي تشيلي على سبيل المثال، حاز المسلسل التركي "ألف ليلة وليلة" على لقب أكثر البرامج التلفزيونية مشاهدةً في عام 2014م (4).

وقد أضاف مركز أمريكا اللاتينية للأبحاث والتطبيقات التابع لجامعة أنقرة والذي افتتحه أحمد داوود أوغلو وزير الخارجية، عام 2009م، بُعداً مهماً للعلاقات الثقافية والأكاديمية بين تركيا وأمريكا اللاتينية، ومن جهة أخرى وفي إطار التعاون بين

1. شركة نفطية تركية عالمية تأسست عام 1988م، تعمل في مجال حفر آبار النفط، واستكمال الآبار، وتطوير حقول النفط، ومرافق سطح حقول النفط، والنقل، والتكرير، وتجارة وتوزيع النفط الخام. ولها العديد من المشروعات النفطية في العراق وسوريا وأذربيجان وتركمانستان وكازاخستان والإكوادور وكولومبيا وفنزويلا. للمزيد يُنظر:

Corporate, Turkish Petroleum International Company (TPIC), available at: goo.gl/k9SLCV

2. تركيا تبحث في أمريكا اللاتينية عن بديل لأسواق الجوار المتعثرة". إرم نيوز، 29 يناير 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KtnaDR

3. ديديم تالي، ما سرُّ شعبية المسلسلات التركية في أمريكا الجنوبية؟، بي بي سي عربي، 20 سبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/5tf9tc

4. ديديم تالي، ما سرُّ شعبية المسلسلات التركية في أمريكا الجنوبية؟، بي بي سي عربي، المرجع السابق.

جَامِعَتِي أَنْقَرَةَ وَهَافَانَا وَصَلَتِ الْأَعْمَالُ الْجَارِيَةَ لِافْتِتَاحِ مَرَكْزِ التَّارِيخِ وَالثَّقَافَةِ التُّرْكِيَّةِ فِي جَامِعَةِ هَافَانَا إِلَى مَرَاكِلِهَا الْأَخِيرَةِ. (1)

وَمِنذُ بَدَايَةِ عَامِ 2000م، أَزْدَادَ الْإِنْفِتَاحُ الثَّقَافِي فِي دَوْلِ أَمْرِيكََا الْجَنُوبِيَّةِ عَلَى تَرْكِيَا وَشَعْبِهَا وَثَقَافَتِهَا، بِفِعْلِ الْمَسْلَسَلَاتِ التُّرْكِيَّةِ الَّتِي أَخَذَتْ بِالْإِنْتِشَارِ فِي مَعْظَمِ دَوْلِ الْعَالَمِ، مُكْتَسِبَةً شَعْبِيَّةً كَبِيرَةً، جَعَلَهَا تُنَافِسُ الْمَسْلَسَلَاتِ الْمَحَلِّيَّةِ فِي تِلْكَ الْبِلْدَانِ، وَتَتَّصَدَّرُ شَاشَاتِ عَرْضِهَا" (2).

وَفِي الْخِتَامِ لَا بُدَّ مِنَ التَّذْكِيرِ هُنَا بِالمَسَاعِدَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالتَّمَوِّيَّةِ وَالفَيْئَةِ الَّتِي تُقَدِّمُهَا تَرْكِيَا لِدَوْلِ أَمْرِيكََا اللَّاتِينِيَّةِ، بَدَأً مِنَ الْمَسَاعِدَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِدَوْلِ الْكَارِيْبِيِّ وَأَمْرِيكََا الْوَسْطَى وَأَمْرِيكََا الْجَنُوبِيَّةِ مِثْلَ هَايِيْتِي وَتَشِيلِي بِسَبَبِ الْأَعَاصِيرِ وَالزَّلَازِلِ الَّتِي شَهِدْتِهَا، كَمَا تَقُومُ وَكَالَةُ التَّعَاوُنِ وَالتَّنْسِيقِ التُّرْكِيَّةِ TiKA، بِتَنْفِيزِ مَشَارِيعِ بَقِيْمَةِ مِلْيُونِ دَوْلَارِ أَمْرِيكِي، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ إِنْشَاءِ مَرَكْزَيْنِ صَحِيَيْنِ وَتَرْمِيمِ 15 مَرَكْزاً صَحِيّاً آخَرَ فِي عِدَدِ مَن دَوْلِ الْقَارَةِ. (3)

1. "تَرْكِيَا وَأَمْرِيكََا اللَّاتِينِيَّةِ.. عِلَاقَاتُ تَارِيخِيَّةِ تُحْيِيهَا مَسَاعِي النُّهْضَةِ الْمَشْرُوكَةِ"، مَرْصَدُ أَمْرِيكََا اللَّاتِينِيَّةِ، 3 فَبْرَايِرِ 2016م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 2 يُولْيُو 2017م، مَتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ التَّالِي: goo.gl/gJhTJH
2. "تَرْكِيَا وَأَمْرِيكََا اللَّاتِينِيَّةِ.. عِلَاقَاتُ تَارِيخِيَّةِ تُحْيِيهَا مَسَاعِي النُّهْضَةِ الْمَشْرُوكَةِ"، مَرْصَدُ أَمْرِيكََا اللَّاتِينِيَّةِ، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ.
3. تَرْكِيَا وَأَمْرِيكََا اللَّاتِينِيَّةِ.. عِلَاقَاتُ تَارِيخِيَّةِ تُحْيِيهَا مَسَاعِي النُّهْضَةِ الْمَشْرُوكَةِ، شِبْكَةُ TRT الْعَرَبِيَّةِ، 3 فَبْرَايِرِ 2016م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 21 يُولْيُو 2017م، النِّصُّ مَتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ التَّالِي: goo.gl/dEQ4te

القوة التركيبية الناعمة

من مجمل ما سبق، يمكن الخروج بخلاصة مفادها، أن تركيا التي كانت تُعتبر مثلاً أعلى بالنسبة للدول العربية وبعض الدول من المنظومات السياسية والإثنية حول العالم، بفضل تطبيقات قوتها الناعمة الاقتصادية والثقافية المقنعة والقوية التأثير، لم تُعد تُختزل في ذاكرة الآخر إلا بواسطة صور القوة الصلبة، من تدخلات عسكرية خارجية وحملات أمنية داخلية، وشنان دبلوماسي متزايد مع المنظومة الأوروبية. الشيء الذي أثار كثيراً على تلك الصورة الزاهية لدولة علمانية يحكمها بكل ديمقراطية حزب إسلامي قاد البلاد إلى انتصارات اقتصادية وثقافية باهرة في أوج عنفوان قوتها الناعمة. ومع التراجع الذي عرفته تطبيقات القوة الناعمة في نسختها التركية، الذي أملتُه اعتبارات جيوسياسية مفروضة وتغيرات طارئة على السياسات الخارجية، كمحك حقيقي لاختبار مدى صلابة النموذج التركي في هذا السياق، تبين أن الخطابات المبشرة بهذا النوع من القوى لا تعكس ولا تستوعب كامل قدرات القوة التركية الحقيقية، والتي كانت قريبة جداً من فرض زعامتها الإقليمية أو دورها المنتظر ك"أمم" في الشرق الأوسط، لولا العوامل المعاكسة التي تعرضنا لها بالشرح سابقاً، والتي تستوجب المرور إلى درجة أخرى متطورة من القوة الفاعلة، ألا وهي الذكبة.

في الختام يمكن القول: إن لتركيا غايات أخرى تُضاف إلى كل ما سبق تفسر جهودها للتقرب من هذه الدول، وهو السعي لوجود حلفاء في تلك الدول لدعم انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي في المستقبل. ومن ثم فإن ما فعله داوود أوغلو إذن لم يكن ثورة راديكالية أزالَت تماماً أسس السياسة الخارجية لتركيا على مدى عشرات السنين، وإنما تغيير الإطار الناظم لهذه السياسة وجعلها سياسة مُتعددة الأبعاد تتعامل مع جميع الأطراف وتبني الجسور مع الجميع؛ بما يقوي من دور أنقرة، ويُخفف من إمكانية الضغط عليها باعتبار تحررها من العلاقة الأحادية مع الغرب. (1)

1. سعيد الحاج، اتجاهات السياسة الخارجية التركية بعد رحيل داود أوغلو، إضاءات، 23 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/MmNSi2

الفصل السادس

القوة التركية الناعمة

منابع القوة والتأثير

- مقدمة
- **المبحث الأول: الوسائل الاستراتيجية والسياسات الإقليمية**
 - أولاً: أوراق تركيا في لعبة القيادة الإقليمية
 - ثانياً: السياسة التركية الجديدة
 - ثالثاً: السياسة الخارجية التركية والتأثير الإقليمي والدولي
 - رابعاً: الخارجية التركية - نظرة سياسية
- **المبحث الثاني: الدعم التركي لقضايا المنكوبين والمستضعفين**
 - أولاً: نماذج إنسانية تركية
 - ثانياً: الدافع الاستراتيجي والبعد الاقتصادي لتركيا في جوانب الدعم
 - ثالثاً: الدافع الإنساني للسياسة التركية
 - رابعاً: دعم الشعب الفلسطيني / حادث مرمرة
 - خامساً: الدعم التركي الإنساني في اليمن
 - سادساً: الدعم التركي الإنساني للشعب السوري
- **المبحث الثالث: الاستقرار السياسي وجذب الاستثمار**
 - عوائق عدم الاستقرار السياسي للاستثمار
 - العنف والإرهاب
 - الملف السوري، والخلافات مع روسيا
 - الصراع السياسي الداخلي والأزمات السياسية
 - أثر عدم الاستقرار السياسي على جذب الاستثمار
 - دور الحكومة في التغلب على عوائق الاستثمار

الفصل السادس

القوة التركيبية الناعمة

منابع القوة والتأثير

مقدمة

"القوة الدائمة هي القوة الناعمة، اليوم، تركيا هي البلد الذي يستخدم أكثر فاعلية للقوة الناعمة في العالم!" هكذا صرّح وزير الخارجية التركي مولود تشاوش أوغلو في مايو 2018(1).

والأمر حتماً لا يقف عند هذا الحدّ، أي حصر هذه القوة في تأثيرها الفكري والديني، بما يفيد اختيارات التلاحق الثقافي والتسامح الديني، بل يعبّأه إلى شقّه الاستراتيجي الشامل لكل المجالات التي تخلق قوة أو ضعف الأمم والشعوب. ونظرية "العمق الاستراتيجي" هنا، تنفيذ عودة تركيا إلى مجالها الحيوي، عبر بوابة الاتحاد الأوروبي ومعه حوض المتوسط، ما قبل الربيع العربي وما بعده، للارتقاء تدريجياً نحو تبوء مكانتها الطبيعية كقوة إقليمية، ومن ثمّ الحصول بعد ذلك على موقع لها ضمن القوى العالمية الكبرى(2).

1. Turkey makes best use of soft power: Cavusoglu, Andalou Agency, 06.05.2016, available at: goo.gl/859ZXXN

2. حوض المتوسط لم يعد عقيدة صراع وهيمنة واستنزاف متوارثة تعود جذورها إلى أمجاد الإمبراطورية العثمانية ونكسة الحرب العالمية الأولى، بل أضحت فضاءً ذا فائدة وظيفية يجب استثماره لبلوغ أهداف القوة والتطور، حسب توجه المخططين الاستراتيجيين لسياسات تركيا في عهد أردوغان. أي: وسيلة ضرورية لفرض نفسها كقوة إقليمية، ومن ثمّ بلوغ مصافّ القوى الكبرى في العالم. للمزيد عن أهمية حوض المتوسط في الاستراتيجية التركية والعالمية، يُنظر: "ماذا يحدث في شرق المتوسط؟"، ترك برس، 27 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hzXRAE

وبناءً عليه، تختزل نظرية "العمق الاستراتيجي" مسألة التوافق الاجتماعي التركي وعلاقة ذلك بالطوائف العرقية والمجموعات السياسية والحزبية، كما تتضمن النظرية المذكورة ترتيبات الاستقرار السياسي والتعامل مع القوى الداخلية المؤثرة، التي كان لها الأثر المهم في تحديد ودعم شكل السياسات الخارجية لتركيا وملاح مستقبها، وعلاقة ذلك بزيادة معدلات التنمية الاقتصادية والاستثمار.

إضافة إلى التسلح برؤية سياسية شاملة ومُتَبَصِّرة إزاء الخارج، ومعه مشكلات وتمايزات الشرق الأوسط والبلقان ومنطقة القوقاز، بما يضمن نجاح تدبيرها، وكَسَب أنقرة مواقع جديدة تمكّنها من لعب أدوار فعّالة وهادفة في المحافل الإقليمية والدولية على السواء. ومعنى "العمق" هنا، إخراج تركيا من دور "ردّ الفعل" أي بلد "طرف"، أو "هامش" يقتصر دوره في الانضمام إلى محاور أو الانخراط في عداوات، إلى بلد "مركز" يمسك بخيوط مختلف علاقاته الخارجية المتعددة ويُنَاغِم بينها من جهة أولى، وفي نفس الوقت، بلد "فاعل"، و"مبادر" له وزنه المؤثر في كل القضايا الإقليمية والدولية. مُستعينين أيضاً بنظريتي "التحوّل الحضاري" و"العثمانية الجديدة" من خلال أفكار أحمد داود أوغلو.

بتموقعها إذن على ملتقى الطرق بين أوروبا وآسيا، لم تُعدّ تركيا بتاريخها العظيم ومضيقها الأسطوري البوسفور وثقافتها المتميّزة قبلة سياحية من جهات العالم الأربع فقط؛ إذ تمثّل اليوم نموذجاً استثنائياً للنمو الاقتصادي المتعدّد الأقطاب، وبراعة في الاستثمار السياسي والدبلوماسي لأدوات الثقافة والفنون لتشكيل قوّة ناعمة لها وزنها وخصائصها. فأين تكمن إذن منابع القوّة والتأثير عند تركيا؟

المبحث الأول

الوسائل الاستراتيجية والسياسات الإقليمية

تعدُّ تركيا بلداً مُتفرداً له خصائصه وميزاته التاريخية والجغرافية. وهذا ما ينعكس بشكل إيجابي على إمكانيات امتلاك القوة في التخطيط الاستراتيجي، بما يتيح استغلال العوامل المواتية والموارد المتاحة، وبما يخدم أهدافها على المستويات المحلية والدولية في نفس الوقت.

وذلك من خلال المعايير التالية:

1. العنصر البشري، وتأثيره البالغ في صناعة استراتيجية ناجحة.
2. الإرث التاريخي والبيئة التحتية المؤطرة للثقافة السياسية التركية، وتطوراتها الإيجابية بعد انتهاء الحرب الباردة.
3. العامل المكاني، واستيعاب المحددات الجغرافية في ملء مساحات الفراغ على الصعيد الجيوسياسي.
4. الضغوط التاريخية، وتحليل جيد لعناصر الاستراتيجيات البرية والبحرية، فيما يتعلق بالمناطق البرية القريبة، مثل: البلقان، الشرق الأوسط، القوقاز، والأحواض البحرية القريبة مثل البحر الأسود، شرق المتوسط.

لذا أصبح لتركيا ارتباطات دولية وإقليمية واسعة ووثيقة تُترجم فاعلية سياستها الخارجية وإمكانياتها الاستراتيجية. وعلى أساسها أفردت سياسة تركيا الخارجية مساحة مهمة من اهتمامها بالمحور الأطلسي والمتوسطي، ضمن المهام الجديدة لحلف

شمال الأطلسي، ومُنظَّمات؛ الأمن والتعاون الأوروبّي⁽¹⁾، والتعاون الإسلامي⁽²⁾. دون إغفال ما يُمثِّله التأثير الجيوسياسي والجيوثقافي من أهميّة على الخط الرابط بين إفريقيا وآسيا، عبر مُنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية⁽³⁾ التي تُتيح النفاذ إلى العمق الآسيوي، وأيضاً مُنظمة التعاون الاقتصادي لحوض البحر الأسود⁽⁴⁾ التي تضمّ مناطق آسيا الوسطى والبحر الأسود، إضافة إلى مجموعة الدول النامية الثمانية⁽⁵⁾، وغيى العلاقات الآسيوية الإفريقية الواحدة، ومجموعة العشرين.

1. تأسست مُنظمة الأمن والتعاون في أوروبا OECD في عام 1961. وتضمّ بلدان أوروبا وروسيا، وتتخذ من باريس مقراً لها. وتعمل على تشجيع التطور الاقتصادي وخلق فرص العمل وتحسين مستويات المعيشة في الدول الأعضاء، إضافة إلى دفع الاقتصاد العالمي نحو مزيد من النمو والتوسع. للمزيد يُنظر: مُنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، دويتش فيله، 29 يوليو 2017، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DFcxj1
2. أنشئت مُنظمة التعاون الإسلامي بقرار صادر عن القمة التاريخية التي عُقدت في الرباط بالمملكة المغربية في 25 من سبتمبر 1969م ردّاً على جريمة إحراق الكيان الصهيوني للمسجد الأقصى. وتعدّ ثاني أكبر مُنظمة دُوليّة بعد الأمم المتحدة؛ حيث تضمّ في عضويتها سبعة وخمسين دولة مؤرّعة على أربع قارات. ("تاريخ المُنظمة"، مُنظمة التعاون الإسلامي، د. ت، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nRZNA3)
3. تأسست مُنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) رسمياً في 30 سبتمبر 1961م، وتضمّ 35 دولة حول العالم، وتعمل المُنظمة على تعزيز السياسات التي تُؤدّي إلى تحسين الرفاه الاقتصادي والاجتماعي للشعوب في سائر أنحاء العالم، وتعمل المُنظمة على مسائل تتعلّق بالتغيير الاقتصادي والاجتماعي والبيئي الذي يشمل موضوعات مثل الإصلاح التنظيمي، والتنمية، والتجارة الدُوليّة. للمزيد يُنظر:

About the OECD, History, The Organisation for Economic Co- operation and Development (OECD), available at: goo.gl/bUKaVi

4. تأسست في 25 يونيو 1992م، من أجل تشجيع الاستقرار والعلاقات الاقتصادية بين دول كانت في معسكرات متصارعة خلال حقبة الحرب الباردة، وتضمّ في عضويتها ست دول مُطلّة على البحر الأسود هي: تركيا، وبلغاريا، ورومانيا، وأوكرانيا، وجورجيا، وروسيا، كما تضمّ أيضاً ألبانيا وأرمينيا وأذربيجان واليونان ومولدافيا وصربيا. وتهدف المُنظمة إلى تعزيز التعاون الاقتصادي بين الدول الأعضاء، وتحقيق الاستقرار والسلام في حوض البحر الأسود، وتشجيع العلاقات الودية وحسن الجوار في المنطقة. للمزيد يُنظر: "تعرّف على مُنظمة تعاون البحر الأسود"، الجزيرة نت، 1 سبتمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yhc2QE
5. أنشئت مجموعة الدول الثماني بمبادرة فرنسيّة في عام 1975م، وتكوّنت أولاً من ست دول هي: فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة واليابان وإيطاليا وألمانيا، ثم انضمت كندا للمجموعة في عام 1976م، ثم أصبحت مجموعة الثماني مع انضمام روسيا التدريجي ابتداءً من عام 1998م. وهي ليست مؤسّسة دُوليّة ولا تتمتع بشخصية قانونيّة، ولا تتخذ تدابير ذات طابع إلزامي، كما أنه ليس لديها أمانة عامة. ويسعى أعضاء المجموعة إلى تحديد التدابير الواجب اتّخاذها في القضايا العالمية الكبرى الاقتصادية والسياسية والأمنية. للمزيد يُنظر: "مجموعة الدول الثماني"، الدبلوماسية الفرنسية، د. ت، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/cmcHih

وقد أكد أحمد داود أوغلو من خلال النُظَرِيَّاتِ الثلاث: "العُثمانيَّةُ الجديدة"، "التَّحوُّلُ الحَضَارِيَّ" و"العُمُقُ الأَسْتَرَاتِيْجِيَّ"، على ضرورة إِبْلَاءِ تَرْكِيبِ العُنَايَةِ أَوَّلًا بِتَطْوِيرِ قَدْرَتِهَا عَلَى جَسِّ النَّبْضِ الْمُسْتَمِرِّ لِلْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ، وَالْإِنْصَاتِ لِإِيقَاعِ التَّغْيِرَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، النَّقَافِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ الْجَارِيَّةِ دَاخِلَ مَجْتَمَعَاتِهِ؛ وَذَلِكَ بِاعْتِبَارِهَا مَرْحَلَةً إِعْدَادِ أَوْلِيٍّ لِدُبُلُومَاسِيَّةٍ تُرْكِيَّةٍ فَاعِلَةٍ، لَا تَسْتَدْعِي اسْتِعْمَالَ كُلِّ قَدْرَاتِهَا فِي الْمَرْحَلَةِ الْآتِيَّةِ (1).

ففي ظِلِّ "جغرافيا العولمة" تَحَرَّرَتْ تَرْكِيَا إِذْنًا، مِنْ أَثَارِ الصَّرَاحِ الْجِيُوسِيَّاسِيِّ لِلْحَرْبِ الْبَارِدَةِ بَيْنَ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ، وَبَدَأَتْ فِي إِثْبَاتِ وَجُودِهَا، وَاعْتَمَدَتْ فِي سِيَاسَتِهَا عَلَى عَوَامِلٍ مُسَاعِدَةٍ وَأُخْرَى مُؤَثِّرَةٍ، وَبِالْتَّالِيِ لَمْ يُعَدَّ مِنَ الْمُمْكِنِ اعْتِبَارَهَا طَرَفًا مَقْصِيًّا وَهَامِشِيًّا فِي قِضَايَا الْخَلِيْجِ، بَحْرِ قَرْوِيْنِ وَالْمَنَاطِقِ الْقَارِيَّةِ الْمُحِيْطَةِ، مِثْلَ: أُوْرُوْبَا، شِمَالِ إِفْرِيْقِيَا، جَنُوبِ آسِيَا وَوَسْطِ وَشَرْقِ آسِيَا. (2)

أَوَّلًا: أَوْرَاقُ تَرْكِيَا فِي لُعبَةِ الْقِيَادَةِ الْإِقْلِيمِيَّةِ:

تتواجد تَرْكِيَا فِي مَرْكَزِ الصَّرَاحِ عَلَى مِصَالِحِ حَيُويَّةٍ بَيْنَ قُوَى دَوْلِيَّةٍ كَبْرَى، مِثْلَ التَّدْخُلِ الْأَمْرِيْكِِّيِّ فِي أَفْغَانِسْتَانِ وَالْعِرَاقِ. نَاهِيْكَ عَنِ صَّرَاحِ أَمْرِيْكََا وَرُوسِيَا فِي الْقَوْقَازِ (3)،

1. يَخْلُصُ أَوْغْلُو إِلَى أَنَّ تَرْكِيَا لَمْ تَتَّصِرَفْ بِمَكَانَتِهَا كُلِّهَا أَوْ بِأَعْلَى إِمْكَانِيَّاتِهَا فِي سِيَاسَاتِهَا الْإِقْلِيمِيَّةِ وَالْعَالَمِيَّةِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ قِرَاءَتِهِ الْمُتَقَصِّصِيَّةِ لِلتَّارِيْخِ الْعُثْمَانِيِّ عَلَى مَدَى أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ قُرُونٍ، وَلِتَارِيْخِ الْجُمْهُورِيَّةِ الْكَمَالِيَّةِ خِلَالِ الْعُقُودِ الثَّمَانِيَّةِ الْمَاضِيَّةِ مِنَ الْقَرْنِ الْعَشْرِيْنِ.

2. لِمَزِيْدٍ مِنَ التَّفَاصِيْلِ، انظُر:

- أَحْمَدُ دَاوُدُ أَوْغْلُو، الْعُمُقُ الْأَسْتَرَاتِيْجِيَّ.. مَوْقِعُ تَرْكِيَا وَدَوْرُهَا فِي السَّاحَةِ الدَوْلِيَّةِ، تَرْجَمَةُ: مُحَمَّدُ جَابِرُ ثَلْجِي وَطَارِقُ عَبْدِ الْجَلِيْلِ، (مَرْكَزُ الْجَزِيْرَةِ لِلدَّرَاسَاتِ، الدَّوْحَةُ، 2010م).

- أَحْمَدُ دَاوُدُ أَوْغْلُو، الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ فِي مَهَبِّ التَّحَوُّلَاتِ الْحَضَارِيَّةِ، تَرْجَمَةُ: إِبْرَاهِيْمُ الْبِيُومِي غَانِمٌ، الْقَاهِرَةُ، مَكْتَبَةُ الشُّرُوقِ الدَوْلِيَّةِ، 2006م.

3. يَرْتَكِزُ الصَّرَاحُ الرُّوسِيُّ الْأَمْرِيْكِِّيُّ فِي مَنطَقَةِ الْقَوْقَازِ، عَلَى الْمَوَارِدِ النَّفْطِيَّةِ الضَّخْمَةِ فِي بَحْرِ قَرْوِيْنِ، وَخَطُوطِ الْأَنْبِيْبِ النَّفْطِيَّةِ وَالْغَازِيَّةِ الَّتِي تَمُرُّ بِالمَنْطَقَةِ؛ حَيْثُ تَعْتَبَرُ رُوسِيَا مَنطَقَةَ الْقَوْقَازِ بِمَثَابَةِ الْفَنَاءِ الْخَلْفِيِّ لَهَا وَبِوَابَةِ أَمْنِهَا الْقَوْمِيِّ بِعَمَانِهِ الْوَاسِعِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهِيَ تُعَارِضُ انْتِمَاءَ هَذِهِ الدَّوْلِ لِحُفِّ النَّاتُو أَوْ أَيِّ مِظَلَّةٍ أَمْنِيَّةٍ أَوْ سِيَاسِيَّةٍ غَرِبِيَّةٍ، كَمَا تَرْفُضُ إِقَامَةَ قَوَاعِدِ عَسْكَرِيَّةٍ لِلْحَلْفِ فِي الْقَوْقَازِ، وَتُعَارِضُ أَيَّ مُحَاوَلَاتٍ لِلوُجُودِ الْعَسْكَرِيِّ الْأَمْرِيْكِِّيِّ فِي الْمَنطَقَةِ. لِمَزِيْدٍ يُنظَرُ: بَثِيْنَةُ اشْتِيُوي، "رُوسِيَا وَأَمْرِيْكََا مِنْ سِيَحْصَمِ الصَّرَاحِ؟"، سَاسَةُ بُوْسْتِ، 12 أْبْرِيْلِ 2014م، تَارِيْخُ الزِّيَارَةِ: 6 أَوْغُسْطُسِ 2018م، مَتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ التَّالِيِ: goo.gl/Fbb4Xu

أمريكا وإيران، وسباق النفوذ بين الغرب والصين في منطقة الخليج، إلى غير ذلك من الصراعات المُتعدِّمة بالمنطقة، والتي لا يمكن لأية قُوَّة أن تتجاهل الدور التُّركيَّ في أيِّ ترتيبٍ تريد فَرَضُه على المنطقة. فلا يمكن لأمريكا مثلاً أن تنسحب من العراق دون ترتيبات توافق عليها تركيا. ولا يمكن لروسيا أن تتحرَّك في القوقاز دون تفاهم مع تركيا. ولا يمكن لأوروبا أن تُؤمِّن ظهرها من الشرق، وتحصل على تدفُّق الطَّاقة إلى أسواقها وبيوتها دون دور تركي. (1)

علماً بأنَّ تركيا كانت تُقدِّمُ مبدأ التعاون على الصِّراع، والبحث عن المشترك بدل المفرق مع الأطراف الأخرى. وهنا يأتي دور الإسلام في تثبيت هذه الرؤية السَّديدة، كونه ميراثاً مشتركاً مع الدول العربيَّة والإسلاميَّة، ولا يعتبره أوغلو شرعيَّة جديدة من أجل استرداد هيمنة السلطنة العُثمانيَّة. فتركيا لا تزال تراهن في المقام الأوَّل على الحلف الغربي، وتريد الارتقاء من قُوَّة إقليميَّة تتحكَّم في جوارها إلى قُوَّة عالميَّة تقسم نفوذ القرار الدُّوليِّ مع الكبار (2). ولما كانت هذه المنطقة مُهمَّة للعالم، وتتعرَّض في نفس الوقت لعوامل مُستمرَّة تهزُّ استقرارها، فإنَّ تركيا وجدت أنَّ أهم دورٍ يمكن أن تقوم به في المرحلة القادمة هو ترسيَّة أسس الاستقرار والتعاون، وهذه السِّياسة يُعبَّر عنها أوغلو بسياسة "صفر مشاكل"، سواءً على صعيد الداخل التُّركيِّ أو بالجوار القريب، خاصةً تجاه العالم العربيِّ ومنطقة القوقاز. (3)

بعد ذلك يأتي دور الجوار البعيد فالأبعد، وهكذا دواليك، وهي جزءٌ من سياسة القُوَّة النَّاعمة التي تُقدِّمها أنقرة على "القُوَّة الصَّلبة"، أو القُوَّة العسكريَّة.

1. الحواس تقية، الصادق الفقيه، قراءتان في كتاب "العُمق الاستراتيجيِّ" لأحمد داوود أوغلو، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 5 أكتوبر 2010م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/yXwg5q>
2. يُعبَّر أوغلو أن مواصلة تركيا نهج كمال أتاتورك في التحالف مع الغرب في توافق مع اتجاه تركيا نحو الشرق، شبيه بحركة القوس التي كلما شدَّ الوتر للوراء نحو الشرق، كلما ذهب السهم بعيداً إلى الأمام، أي نحو الغرب. للمزيد يُنظر: أحمد داود أوغلو، العُمق الاستراتيجيِّ.. موقع تركيا ودورها في الساحة الدُّوليَّة، ترجمة: محمد جابر ثجي وطارق عبدالجليل، (مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2010م).
3. الحواس تقية، الصادق الفقيه، قراءتان في كتاب "العُمق الاستراتيجيِّ" لأحمد داوود أوغلو، مركز الجزيرة للدراسات، مرجع سابق.

وهو في هذا لا يُعْرَضُ رُؤْيَتُهُ كَانْقِطَاعٍ فِي مَسَارِ تَرْكِيَا، بَلْ كَاسْتِمْرَارٍ لِنَفْسِ الْخَطِّ الْأَسْتِرَاتِيْجِيِّ الْأَسْبِقِ الَّذِي سَطَّرَهُ أَتَاتُورْكَ؛ إِذْ مِنْ الْخَطِّ الْبَحْثِ فِي كِتَابِهِ (1) عَنِ إِدَانَةِ كَلِيَّةٍ لِلْفَتْرَاتِ السَّابِقَةِ، أَوْ الْقِيَامِ بِانْقِلَابٍ عَلَى اتِّجَاهِهَا الرَّئِيْسِي. فَالْهَدَفُ أَنْ تَسْتَفِيْدَ تَرْكِيَا، فِي سَعِيْهَا الْمُسْتَمِرِّ نَحْوَ الْمَشَارَكَةِ فِي الْقِيَادَةِ الْعَالَمِيَّةِ، مِنْ الْوَضْعِ الْحَالِي لِرَفْعِ مَرْدُودِ مَوَارِدِهَا؛ وَأَوْغْلُو قَوْمِي مِثْلَ مَوْسَسِ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ يَثْرِي قَوْمِيَّةً بِأَبْعَادٍ أُخْرَى تَرْفَعُ مِنْ فُرْصِ تَرْكِيَا فِي تَحْقِيْقِ مَصَالِحِهَا. وَمَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ أُمَمِيٌّ إِسْلَامِيٌّ يُقَدِّمُ مَصَالِحَ أُخْرَى عَلَى مَصَالِحِ بَلَدِهِ، فَلَنْ يَجِدَ فِي مَوْلَفِهِ مَا يُسَعِّفُ فَرْضِيَّاتِهِ.

ثَانِيًا: السِّيَاسَةُ التُّرْكِيَّةُ الْجَدِيْدَةُ:

يُعَدُّ أَوْغْلُو نَجَاحَاتِ هَذِهِ السِّيَاسَةِ الْجَدِيْدَةِ، فَيَتَحَدَّثُ عَنِ التَّدَخُّلِ فِي الْعِرَاقِ لِمَلَاْحَقَةِ الْمُتَمَرِّدِيْنَ الْأَكْرَادِ، وَيَقُولُ بِأَنَّهُ وَجَدَ الْقَبُولَ مِنْ جَمِيْعِ الْأَطْرَافِ الْمَعْنِيَّةِ؛ وَأَنَّ تَرْكِيَا حَصَلَتْ مِنَ الْمَكَاسِبِ وَالْإِهْتِمَامِ مِنْ أَوْرُوبَا فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيْرَةِ مَا لَمْ تَحْصَلْ عَلَيْهِ فِي الْعُقُودِ السَّابِقَةِ. وَبِالطَّبْعِ، يُمْكِنُنَا أَنْ نُعَدِّدَ الْمَكَاسِبَ النَّاجِمَةَ عَنِ هَذِهِ السِّيَاسَةِ مِنْ خِلَالِ اعْتِرَاضِ تَرْكِيَا عَلَى تَعْيِيْنِ الدَّنِمَارْكِي، أَنْدَرَسْ فَوْغْ رَاسْمُوسَنْ (2) Anders Fogh Rasmussen، عَلَى

1. لمزيد من التفاصيل، انظر:
- أحمد داود أوغلو، العُمُقُ الْأَسْتِرَاتِيْجِيُّ.. مَوْقِعُ تَرْكِيَا وَدَوْرُهَا فِي السَّاحَةِ الدَّوْلِيَّةِ، تَرْجَمَةٌ: مُحَمَّدُ جَابِرُ ثَلْجِي وَطَارِقُ عَبْدِ الْجَلِيلِ، (مَرْكَزُ الْجَزِيْرَةِ لِلدَّرَاسَاتِ، الدَّوْحَةُ، 2010م).
- أحمد داود أوغلو، الْعَالَمُ الْإِسْلَامِي فِي مَهَبِ التَّحَوُّلَاتِ الْحَضَارِيَّةِ، تَرْجَمَةٌ: إِبْرَاهِيْمُ الْبِيَوْمِي غَانَمِ، الْقَاهِرَةُ، مَكْتَبَةُ الشُّرُوقِ الدَّوْلِيَّةِ، 2006م.
2. سِيَاسِيٌّ دَانِمَارْكِي، تَوَلَّى مَنَصِبَ الْأَمِيْنِ الْعَامِ لِحَلْفِ شِمَالِ الْأَطْلَسِي (النَاتُو) عَامَ 2009م، عَرَفَهُ الْعَالَمُ الْإِسْلَامِي أَثْنَاءَ أَزْمَةِ الرَّسُومِ الْمَسِيئَةِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ 2006م؛ إِذْ دَافَعُ عَنِ نَشْرِهَا بِحُجَّةٍ "حَرِيَّةِ التَّبْعِيْرِ". وَوُلِدَ أَنْدَرَسْ فَوْغْ رَاسْمُوسَنْ يَوْمَ 26 يَنَآيِرِ 1953م فِي مَدِيْنَةِ صَغِيْرَةٍ وَسَطِ شِبْهِ جَزِيْرَةِ يُولَانْدِ بِالْدَانِمَارْكِ، لِأَسْرَةِ مِزَارَعَةٍ. حَصَلَ عَلَى مَاجِسْتِرِ فِي عِلْمِ الْاِقْتِصَادِ مِنْ جَامِعَةِ أُوْرُوسِ الدَانِمَارْكِيَّةِ. شَغَلَ خِلَالِ مَسِيْرَتِهِ الْمِهْنِيَّةِ مَنَاصِبَ عَدِيْدَةٍ، فَقَدْ تَقَلَّدَ عَامَ 1988م مَنَصِبَ وَزِيْرِ الضَّرَائِبِ، وَجَمَعَ مَعَهُ وَزِيْفَةً وَزِيْرَ الْاِقْتِصَادِ خِلَالِ 1990م وَ1992م. وَتَوَلَّى رِئَاسَةَ وَزَرَاءِ الدَانِمَارْكِ مِنْ 27 نَوْفَمْبِرٍ/تَشْرِيْنِ الثَّانِي 2001م إِلَى 5 أِبْرِيْلِ/نَيْسَانَ 2009م؛ حَيْثُ أَصْبَحَ الْأَمِيْنُ الْعَامِ لِحَلْفِ شِمَالِ الْأَطْلَسِي. لِلْمَزِيْدِ يُنْظَرُ:

Biography: NATO Secretary General Anders Fogh Rasmussen", NATO , 01 Oct. 2014. available at: goo.gl/QMF7Qo

رأس قيادة الحلف الأطلسي، لموقفه المدافع عن الرسومات المسيئة (1) للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ونجاحها الكبير في تمكُّنها من غلق محطة إعلامية للمتمردين الأكراد تُبثّ من الدنمارك، إضافة إلى منصب قيادي مُهمّ في الحلف الأطلسي، وتنازلات أخرى مقدّمة من الإدارة الأمريكية (2). فوق هذا، لم تُجرّد هذه الاستقلالية تركيا من احترام أمريكا، بل إن الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما جعل من تركيا أول منبر يخاطب منه العالم الإسلامي مباشرة (3).

وعلى صعيد مستقبل السياسة الخارجية التركية، من خلال المنطلقات الكبرى المحددة لها، نجد أن أوغلو يتعرّض مثلاً للخلاف مع أمريكا بخصوص إيران. إذ يقول في هذا الصدد، بأن تركيا بلد يزدهر اقتصادياً، وبحاجة إلى الطاقة التي توجد في إيران، وليس من مصلحة بلاده أن تكون جزءاً من صراع يهزُّ استقرار إيران، ويضرّ بمصالح تركيا الحيوية وطويلة الأمد. فالرفض لسياسة القوى الغربية بالمنطقة سيتزايد دون الإخلال بمبدأ التعاون معها، كما حدث في أفغانستان، حين كانت تركيا أول من دعا إلى حلّ سياسي للصراع؛ لأن الخيار العسكري لن يزيد الأوضاع إلا اضطراباً.

1. في سبتمبر 2005م قامت صحيفة يولاندس بوستن الدانماركية القريبة من توجّهات اليمين الحاكم بعرض رسوم كاريكاتورية مسيئة إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. وعلى إثر ذلك اندلعت احتجاجات واسعة في العالم العربي والإسلامي رفضاً لهذا الأمر الذي يمسُّ شخص الرسول الكريم. وقد انطلقت على إثر رفض الحكومة الدانماركية الاعتذار عن تلك الرسوم المسيئة حملات شعبية في الدول العربية والإسلامية لمقاطعة البضائع الدانماركية. للمزيد يُنظر: تسلسل زمني للأحداث في أزمة الرسوم المسيئة، الجزيرة نت، 19 فبراير 2008، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RvoHgb
2. العواس تقيه، الصادق فقيه، قراءتان في كتاب "العُمق الاستراتيجي" لأحمد داوود أوغلو، مركز الجزيرة للدراسات، 5 أكتوبر 2010م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/yXwg5q (مرجع سابق).
3. في أبريل 2009م، وفي مُستهلّ فترة حكم الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما، اختار أوباما تركيا كمُنبر لمخاطبة العالم الإسلامي والإعلان عن سياساته الجديدة التي تختلف عن استراتيجية جورج بوش الابن الصدامية التي أجمعت الحروب والصراعات في الكثير من دول المنطقة، وقد توجه أوباما إلى إسطنبول لمخاطبة العالم الإسلامي عبر كلمته الشهيرة أمام منتدى تحالف الحضارات. للمزيد يُنظر: "أوباما يلتقي القادة الأتراك ويخاطب العالم الإسلامي"، الجزيرة نت، 6 أبريل 2009، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/AtfUcx

علماً بأنَّ تركيا تُواجه نفس المشكلة التي تواجهها أوروبا في المراهنة على القُوَّة النَّاعِمَةُ، وتَتعلَّقُ بالاتِّفاق مع القُوَى الأخرى على أن الاستقرار يصبُّ في مصلحة الجميع. وهو ما يصطدم بواقع وجود قُوَى أخرى ترى أن من مصلحتها تغيير الأوضاع بالقُوَّة؛ لأن الوضع الراهن ضارٌّ بها ولا يمكن تغييره بالطرق السلميَّة. ولا تزال السِّيَاسَةُ التُّرْكِيَّةُ الجديدة لا تجد تَفَهُماً وقبولاً عند القُوَى الغرْبِيَّة، فهناك سوء فهم كبير بين الجانبين، ناتج عن سنوات طويلة سابقة كانت تركيا فيها دائمة الإجابة بـ "نعم" كبيرة على الطلبات الغرْبِيَّة (1).

ثالثاً: السِّيَاسَةُ الخَارِجِيَّةُ التُّرْكِيَّةُ والتَّأثيرُ الإقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ:

انتهجت تركيا في سبيل تمكين ذاتها من التَّأثير في سياستها الخَارِجِيَّة، بناء شبكات من التحالفات الدَّوْلِيَّة مع الدول الغرْبِيَّة والعديد من الجمهوريَّات في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينيَّة وأوروبا، مما ساعد على إظهار الصورة الكاملة لتركيا المستقبل. تركيا التي تربطها علاقات واسعة ومُتعدِّدة المستويات بكلِّ من إسرائيل وإيران وأوروبا والحركات الإسلاميَّة، لكنها بمُجْمَلِهَا علاقات تُمثِّل دعامة لهذه الدَّوْلَةِ التي هي بالأساس عضو في الناتو، ولديها مكتسبات كبيرة.

هكذا مهَّد الحلم التُّرْكِيّ طريقه إلى منطقة الشرق الأوسط، وذلك بهدف واحد هو السعي لتحقيق المقدِّرة على التَّأثير، ومن ثمَّ ربط دول الشرق أوسطيَّة بتركيا عن طريق وسائل عديدة، منها: التغلغل الديني، الاقتصاديّ أو الثَّقَافِيّ. أي بالوسائل النَّاعِمَةُ. خاصة في مرحلة حرجة كهذه التي تمرُّ بها العلاقات الدَّوْلِيَّة؛ إذ زادت الحاجة لإيجاد الحلول للمشاكل على أساس القوانين الدَّوْلِيَّة والتعددية التوافقية المشتركة.

1. لمزيد من التفاصيل، انظر:

- أحمد داود أوغلو، العُمق الاستراتيجي.. موقع تركيا ودورها في الساحة الدَّوْلِيَّة، ترجمة: محمد جابر ثلجي

وطارق عبد الجليل، (مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2010م).

- أحمد داود أوغلو، العالم الإسلامي في مَهَبِ التَّحوُّلات الحضاريَّة، ترجمة إبراهيم البيومي غانم، القاهرة،

مكتبة الشروق الدَّوْلِيَّة، 2006م.

رابعاً: الخارِجِيَّةُ التُّرْكِيَّةُ - نظرةٌ سياسيَّةٌ:

في هذا الإطار تعتمد تركيا سياسةً خارِجِيَّةً متأنِيَّةً، هادفةً ومُتَعَدِّدَةً الأبعاد، وذلك في سياق تأسيس السلام العالَمِيِّ عامة، وفي المجال الإقْلِيْمِيِّ القريب منها على وجه الخصوص. إذ تُولِي تركيا أهمِّيَّةً خاصةً لروابطها العابرة للمحيط، وتشارك بفاعليَّةٍ في عمل حلف شمال الأطلسي لحماية الأمن والاستقرار العالَمِيَّين.

إضافةً إلى استمرارها في تعزيز علاقاتها بدول الجوار، وسعيها الدؤوب لإزالة الخلافات والتَّدخُّل في نقاط التَّوتُّر. راسمةً بذلك صورةً قويَّةً وفاعلةً في السِّياسة الخارِجِيَّة، عبر طُرُقٍ ووسائلٍ تُمكِّنُها من الانفتاح أكثر على العالم، وبأشكالٍ تَواصَّل وتَدخُّلٍ مُتَعَدِّدَةٍ. فمن جهةٍ مثلاً، فإن تركيا لديها عوامل مساعدة تمنحها مزايا جعل علاقات تركيا أكثر تأثيراً في أزمت القرن الإفريقي، وتتلخَّص في (1):

- وجود علاقات ثقافيَّة ودينيَّة تَجْمَعُ تركيا بَعْدَ كبيرٍ من دول إفريقيا.
- قُرْب تركيا إلى إفريقيا أكثر من روسيا والصين والبرازيل تاريخياً وجغرافياً.
- تمركز تركيا في المرتبة الثالثة ضمن الدول المانحة للمساعدات الإنسانيَّة غير المشروطة في إفريقيا.
- تصاعد القلق العَرَبِيِّ من تعاظم الدور الصِّينيِّ في إفريقيا.
- تمتع تركيا بحُرِّيَّةٍ أكثر من دولٍ مُعيَّنة؛ مثل إسرائيل وإيران، بسبب البيئة المعاديَّة نسبياً أو المقاطعة والعقوبات.
- توفُّر تركيا على خبرة عمليَّة أكثر في مجالات التَّئمِيَّة والبنية التحتيَّة.
- حيازة تركيا على خبرة أمنيَّة وعسكريَّة أكبر بواقع وجودها في الناتو.

1. محمود سمير الرنتيسي، "الدور التُّرْكِيُّ في شرق إفريقيا: الدوافع والمكاسب"، مركز الجزيرة للدراسات، 15 مارس 2015م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://goo.gl/7bGXS4>

القوة التركيبية الناعمة

من جهة أخرى، هناك نقطة أخرى تتعلّق بدور تركيا كعضو فعّال ومسؤول في المجتمع الدوليّ، تعمل جاهدةً من خلال دورها الحيويّ والاستراتيجيّ، على مصالحة الغرب مع الشرق والشمال بالجنوب، وذلك بما يتناسب أولاً، ومكانتها القويّة لتعزيز أواصر التقارب بين الثقافات. ولموقعها الجغرافيّ ثانياً، وسط المجال الأفرو - آسيوي وارتباطاتها به. ويمكن القول أيضاً: إنّ مساحة التأثير التركيّ برزت من ناحية العلاقات المؤسّساتيّة لتركيا، سواءً على شكل عضويّة أو مراقبة، أو تنسيق وشراكة مع العديد من المنظّمات الإقليميّة والدوليّة. مما يعني عزم تركيا على الاستمرار في سياسة خارجيّة بناءة ومسؤولة، تُشبع الثقة حولها لدواعي المصلحة الوطنيّة في عالم تكتسب فيه المجريات والتطوّرات الدوليّة، أبعاداً مترامية.

ومن خلال كلّ ذلك، برزت دوافع تغيير جديدة في استراتيجيّة التأثير الدوليّ لتركيا، كقوةٍ محوريّة، وهذا ما توضحه النقاط التالية (1):

- احتواء الصّعود الصينيّ في منطقة جنوب شرق آسيا.
- مواجهة التحالف الصينيّ الروسيّ، إضافة إلى تحويل منطقة شنغهاي للتعاون والذّي أُسس عام 1996م، كتحالفٍ مُضادٍّ لحلف الناتو.
- أمن وحريّة الملاحة في بحر الصين، خاصة مضيق ملقا (2)، والذّي تَعْتَبِرُهُ الولايات المتّحدة الأمريكيّة أمراً حيويّاً لا يمكن التخلّي عنه.

1. عصام فاعور مكاي. "تركيا والخيارات الاستراتيجية المتاحة"، اللقاء العلمي حول الرؤى المستقبلية العربيّة والشراكات الدوليّة، الخرطوم/السودان، مايو 2013م، ص ص 12-15.

2. يُعْتَبَرُ مَضِيقُ مَلَقَا من أهم الممرّات الاستراتيجية المائيّة في العالم إلى جانب مَضِيقِ هُرْمُز، وهو أطول مَضِيقٍ للملاحة البحريّة في العالم. يبلغ طول المضيق حوالي 800 كلم، وعرضه بين 50 و320 كلم (أضيق مكان فيه بعرض 2.5 كلم)، وعمقه ما يقارب 23 متراً أي حوالي 70 قدماً. ويقع المَضِيقُ بين كلّ من ماليزيا وإندونيسيا كما تقع سنغافورة على طرفه، وهو يربط بين المحيط الهندي وبحر الصين الجنوبيّ والمحيط الهادئ؛ الأمر الذي يجعله مركزاً تقاطع تجاري بين أوروبا وآسيا في المحيط الهادي. ومن خلاله يتمّ نقل حوالي 40% من تجارة العالم، ويمرّ عبْرَه سنويّاً أكثر من 50 ألف سفينة تجاريّة مَحْمَلَةٌ بمختلف المواد والبضائع من جميع أنحاء العالم، كما يشهد مرور ما بين 80 إلى 90% من الواردات النفطية لدول مثل الصين واليابان، وكوريا الجنوبيّة، وتايوان. (Strait of Malacca, Encyclopædia Britannica, available at: goo.gl/5kbs5m)

- استكمال حربها على الإرهاب، وتفكيك بُنيته في مناطق جنوب شرق آسيا، وضبط الانتشار النووي، خاصة في ما يتعلّق بسعي كوريا الشماليّة إلى خرق معاهدة حظر الانتشار النووي.

هكذا بدأت تركيا تستشعر أبعاد قوّتها الإقليميّة، وشرعت في البحث لنفسها عن دور إقليميّ يليق بمكانتها، عقب وصول حزب العدالة والتنمية للسلطة عام 2002م. وذلك في إطار العمل بمفهوم البدائل الممكنة، والذي توضع بموجبه الاستراتيجيّات الجديدة أو المُستجدّة لتحديد الدور التركيّ الإقليميّ الجديد، ويتميّزُ بخصائص نستعرضها في ما يلي:

- الموقع الجُغرافيّ والثنائيّة القاريّة (آسيا وأوروبا):

بعد انهيار الاتّحاد السوفييتيّ، واختفاء الخطر المُحدّق بها، فقدت تركيا أحد أهمّ وظائفها الأساسيّة باعتبارها خطّ الدفاع المُتقدّم لحلف شمال الأطلسي أثناء حقبة الحرب الباردة. إلا أنها بقيت محتفظة بأهمّيّتها الاستراتيجيّة، نظراً لموقعها الجُغرافيّ المُتميّز الواقع على مفترق الطرق بين القوقاز والبلقان والشرق الأوسط والمصطلح على تسميته بأوارسيا (نقطة تقاطع قارات العالم الثلاث: آسيا، أوروبا وإفريقيا)، إلى جانب كونها دولة مُطلّة على البحر الأسود وبحر قزوين والبحر الأبيض المتوسط، وتحكّمها كذلك بمضيقيّ البسفور والدردينيل، ولها ارتباط بمياه البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط. كما تتميّز تركيا بمساحة مُعتبرة تبلغ نحو 783,562 كم²، إذ تحتلّ المركز الثامن والثلاثون عالميّاً من حيث المساحة، وهي محاطة بالبحر من ثلاثة جوانب: بحر إيجه إلى الغرب، والبحر الأسود في الشمال، والبحر الأبيض المتوسط إلى الجنوب، إضافةً إلى بحر مرمرة في الشمال الغربيّ من تركيا(1).

1. Turkey CIA World Factbook, available at: goo.gl/mwG8YR

وبناءً على هذه المعطيات، تستغل تركيا مركز ثقلها الجيوبوليتيكي في منطقة الشرق الأوسط، إضافةً إلى عضويتها في منظمات إقليمية ودولية وازنة للعب دور كبير في السياسة العالمية ككل. دون إغفال دورها في ملء الفراغ الطارئ في المنظومة الإقليمية، بعد احتلال العراق (1) وتوتر علاقاتها بإسرائيل، ولعب دور القوة الموازية لطموح إيران الإقليمي. أيضاً قيامها بدور الوسيط في الإقليم، والسعي عبر ذلك لأن تكون القوة الإقليمية الأولى في المنطقة. (2)

وعليه، يمكن القول بأن الموقع الجيوستراتيجي الذي تتمتع به تركيا يؤهلها للعب دور محوري بالمنطقة، ويفرض عليها الاهتمام بالمجريات الإقليمية، لإبعاد أي شكل من أشكال التهديد الأمني لأراضيها من ناحية، وتحصيل منافع اقتصادية عديدة، سواءً في إطار علاقاتها التجارية أو من خلال عبور موارد الطاقة عبر أراضيها من ناحية ثانية. مما يمنحها مجالاً أوسع للحركة والبحث عن النفوذ الإقليمي والدولي من ناحية ثالثة (3).

1. أقدمت الولايات المتحدة الأمريكية على غزو واحتلال العراق في شهر مارس من عام 2003م، مستعينةً بتحالف دولي ضم بريطانيا وديلاً أخرى، حيث أطاحت بنظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين بدعوى حيازة بغداد لأسلحة دمار شامل، وفقاً لمعلومات الاستخبارات المركزية الأمريكية، وهي الحرب التي كلفت آلاف الضحايا، وأوقعت الشرق الأوسط في حالة من الفوضى، قبل أن يتبين لاحقاً أنها بُنيت على مجموعة من الأكاذيب والمعلومات المضللة. (حرب العراق) بدأت بكذبة وألت إلى فوضى، دويتش فيله، 9 إبريل 2018م، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Ysci4c.
2. عصام فاعور مكاوي. "تركيا والخيارات الاستراتيجية المتاحة"، اللقاء العلمي حول الرؤى المستقبلية العربية والشراكات الدولية، الخرطوم/السودان، مايو 2013م، ص ص 12-15.
3. عصام فاعور مكاوي. "تركيا والخيارات الاستراتيجية المتاحة"، المرجع السابق.

• الجانب الاقتصادي ومسار القوة العسكرية:

أدرج الاقتصاد التركي ضمن سبع قوى اقتصادية صاعدة في العالم، إلى جانب الصين والبرازيل والهند وإندونيسيا والمكسيك وروسيا. وأصدر في هذا الصدد، مركز الدراسات بالكونجرس الأمريكي تقريراً حول مستقبل الاقتصاد العالمي، تحدّث فيه بناء عن تركيا صاحبة المركز السادس عشر اقتصادياً في العالم، والتي حلّت ثانياً بعد الصين في النمو الاقتصادي⁽¹⁾. ويؤقّع نفس التقرير أن تقفز إلى المركز الثاني عشر بين أكبر الاقتصاديات في العالم بحلول عام 2050م.⁽²⁾ ويمكن القول: إن تركيا تسعى منذ فترة لإعادة بناء وضعها الإقليمي في المنطقة، مُستغلة الظروف والبيئة الإقليمية والدولية لتحقيق ذلك. كما تسعى لخلق منطقة نفوذ لها في منطقة الشرق الأوسط، استثماراً منها للأحداث الجارية في بعض دوله وعلى مقربة من حدودها. فيما شكّلت بموقعها الجيوستراتيجي، قاعدة انطلاق لمختلف الجهات، خاصة أنها تُشكّل القاعدة الأمامية لحلف شمال الأطلسي في منطقة الشرق الأوسط. مما يجعل قوتها العسكرية محلّ اهتمام دائم من طرف حلف شمال الأطلسي، والدليل على ذلك، وضع منظومة صواريخ باتريوت على الحدود بين تركيا وسوريا حالياً⁽³⁾. فالالتساع والعمق الجغرافي لتركيا يتيح إمكانية إنشاء قواعد عسكرية ونشر قوات مهامّ متعدّدة

1. Raymond J. Ahearn, Rising Economic Powers and U.S. Trade Policy, Congressional Research Service, December 3, 2012.

2. Raymond J. Ahearn, Rising Economic Powers and U.S. Trade Policy, Ibid.

3. كانت تركيا قد طلبت، في نوفمبر 2012م، من شركائها في حلف الأطلسي نشر صواريخ باتريوت على الحدود التركية السورية؛ خوفاً من تمدد النزاع السوري إلى أراضيها، حيث أكّدت رئاسة أركان الجيش التركي آنذاك "هذا النظام سيمنح نشره لدوافع دفاعية بحتة لمواجهة أيّ تهديد قد يأتي من سوريا، وأنه لن يتمّ استخدامها في شنّ عمليات هجومية أو لإقامة منطقة خطر جويّ فوق سوريا". للمزيد يُنظر: "الجيش التركي: نشر صواريخ باتريوت يستهدف مواجهة أيّ تهديد من سوريا"، قناة الحرة الإخبارية، 26 نوفمبر 2012، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/emNqb6

القوة التركيبية الناعمة

مع إمكانية تدريبها في أراضي متنوّعة التضاريس: جبلية، زراعية وساحلية. وذلك بالاعتماد على ما يلي(1):

1. التّحكّم بمضيق البسفور والدردينيل(2)، ذوي الأهميّة الاستراتيجيّة، والمتحكّمين في حركة الملاحة والقوّات المتّجهة إلى المناطق الجغرافيّة المتاخمة عبر البحرين الأسود والمتوسط.
2. توفير أقصر الطرق البريّة والجويّة والدويّة الرابطة بين الشرق والغرب عبر منطقة شرق وجنوب شرق الأناضول؛ حيث تمثّل تركيا اتجاه القرب الرئيسي إلى عمق القارة الأوروبيّة من جهة الشرق.
3. توفّر شبكة ضخمة من خطوط المواصلات البريّة والبحريّة والجويّة، مع وجود حريّة الحركة والمناورة للقوّات المسلّحة التركيّة داخل مسارح العمليّات الاستراتيجيّة المهمّة.
4. توفّر عناصر الإنتاج، وتقديم التكنولوجيا العسكريّة إمكانية قيام صناعات حربيّة محلّيّة ومشتركة، أبرزها صناعات تجميع الطائرات وعربات القتال والصناعات الإلكترونيّة، ونظّم التسلّح البحريّ. وقد بيّنت دراسة قام بها د. عصام فاعور ملكاوي تفوّق تركيا في كثير من المؤشّرات السكّانية والاقتصاديّة والعسكريّة على نظيراتها من القوّى الإقليميّة الأخرى، أي إيران ومصر والسعوديّة وإسرائيل.(3)

1. عصام فاعور ملكاوي. "تركيا والخيارات الاستراتيجية المتاحة"، مرجع سابق.
2. يُعتبر مضيقا البسفور والدردينيل، من أضيق الممرّات البحريّة في العالم، هما المخرج الوحيد للبحر الأسود المغلّق؛ حيث يتّصل البحر الأسود بالبحر المتوسط عبر مضيقي البسفور والدردينيل. ويبلغ طول الأول 58 كيلو متراً، وأدنى عرض له 868 متراً، في حين يصل طول الثاني إلى 27 كيلو متراً، وأدنى عرض له 640 متراً، وتقع مدينة إسطنبول على جانبيّ مضيق البسفور. للمزيد يُنظر: مضيقا البسفور والدردينيل: الأهميّة الاستراتيجية لتركيا، تركيا بوسنت، 8 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qWdHcC
3. عصام فاعور ملكاوي. "تركيا والخيارات الاستراتيجية المتاحة"، مرجع سابق، ص 15.

وإجمالاً، تقوم المعادلة الجديدة للسياسة الخارجية التركية على عدّة مرتكزات تبنّاها حزب العدالة والتنمية، وتعتمد مَقَوِّمَات القُوَّة التُّرْكِيَّة المُمْتَثِّلَة في الموقع الاستراتيجي بين الشرق والغرب، والإرث الحضاري، والقُوَّة العسكريّة، والاقتصاد المتنامي، مع العمل على فتح القنوات الدبلوماسية والسياسية بمختلف الجهات، وإقامة علاقات إيجابية مع من كانوا يُعتَبَرُونَ خصوماً بالأمس. وهي معادلة لم تكن مُجَرَّد قراءة سياسيّة أو عسكريّة لتوازنات القُوَّة بل دخولاً في عمق المجال الحيوي لتركيا على الصعيد الجغرافي والتاريخي، فضلاً عن الحسابات السياسيّة والاقتصاديّة (1).

• تأثيرات تركيا السياسيّة على الصعيد الخارجي:

عمَلت حكومة حزب العدالة والتنمية على محاصرة النفوذ الإيراني المتعاظم في المنطقة، والتقارب مع دول الخليج العربي، وسوريا قبل تفاقم الأزمة السوريّة الحاليّة، ولبنان، والفصائل الفلسطينيّة. هذا إلى جانب العمل على تحقيق اختراق في عمليّة السلام في الشرق الأوسط وفي الملقين اللبناني والإيراني، علاوة على سعيها إلى توثيق علاقاتها بمحيطها الإقليمي ودول الجوار، بما يضع تركيا في صدارة القوى الإقليمية، ويعيد الحيويّة لمكانتها في العالمين العربي والإسلامي. وذلك على نحو يُحوّل أنقرة استثمار كل ذلك دولياً، في علاقاتها مع الولايات المتّحدة والاتحاد الأوروبي، بما يحقّق المصالح التُّرْكِيَّة في فضاءات دوليّة مهمّة. (2)

1. مصطفى محمد صلاح، الدور التركيّ الجديد في الشرق الأوسط "في ظل مفهوم العثمانيّة الجديدة"، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصاديّة والسياسيّة، 26 مايو 2017م، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/krvEQH
2. مصطفى محمد صلاح، الدور التركيّ الجديد في الشرق الأوسط "في ظل مفهوم العثمانيّة الجديدة"، المرجع السابق.

الخلاصة وفقاً للعمق الاستراتيجي:

شهدت السياسة الخارجية التركية، منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم في العام 2002م تغييرات عدة في التوجهات والتحركات؛ إذ باتت تعتمد على تعدد العلاقات وعدم حصرها في محور واحد، الأمر الذي حوّل تركيا إلى مركز مهم في السياسة الإقليمية والدولية، وفق معادلة مغادرة الأطراف والاستقرار في مركز الأحداث. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال تنامي الدور التركيّ المستند إلى نظرية "العمق الاستراتيجي".

وتشير التحركات التركية المتعددة الأبعاد في محيطها الجغرافي إلى أنها لا تنبع فقط من اعتبارات سياسية عامة وسياسات داخلية تكتيكية، بل إلى نظرة استراتيجية شاملة تستهدف تثبيت أنقرة كقوة مركزية مؤثرة في منطقة الشرق الأوسط. ويساعدها على نمو هذا الدور أنه يأتي في ظل ظروف إقليمية ودولية مواتية للغاية، لا سيما أن واشنطن تبدي ارتياحاً لهذا الدور، وتتنظر إليه بشكل إيجابي⁽¹⁾.

من وجهة النظر الأمريكية، أصبحت أنقرة محوراً إقليمياً لا يمكن الاستغناء عنه في أي ترتيبات، ولا سيما خلال فترة الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما الرئاسية. وعليه، فمن المرجح مواصلة أنقرة لدورها المتنامي في المنطقة، بما في ذلك استمرارها في تبني سياسة خارجية متعددة الأبعاد، خاصة في ظل الفراغ المستحكم في الساحة العربية، وإدراك النخب السياسية الحاكمة في أنقرة لضرورة إعادة توجيه السياسة الخارجية التركية إقليمياً، بما يتناسب مع حجم تركيا وأحقيتها في أن يكون دورها أكثر فاعلية وأكثر تأثيراً مما كان عليه في الماضي⁽²⁾.

1. إبراهيم إسماعيل كاخيا، "البقطة التركيبية والموقع الإقليمي"، مجلة الدفاع العربي، د. ت، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WYtdLK

2. إبراهيم إسماعيل كاخيا، "البقطة التركيبية والموقع الإقليمي"، المرجع السابق.

• البُعد الأخلاقي في مبادئ السياسة الخارجية التركية:

في هذا الواقع الرديء والمظلم، نشهد ظهور سياسة خارجية تركية تنطلق من مبادئ حقوق الإنسان، والفضيلة والعدالة، وهي سياسة خارجية تمنح شعوب المنطقة والعالم أجمع بصيص أمل ووعداً بالخلاص. ولم تكن عبارة "العالم أكبر من خمسة" (1) هي الموقف الوحيد الذي أثار عواطف الشعوب في جميع أنحاء العالم، بل أيضاً حادثة "One Minute!" في مؤتمر دافوس والتي سجّل فيها السيد رجب طيّب أردوغان موقفاً بطولياً هزّ العالم وأيقظ الضمير العالمي الذي كان يغطّ في سُبات عميق (2). فقد أدان أردوغان بشجاعة العدوان الإسرائيلي البشع على غزّة في ديسمبر / كانون أول 2008م - يناير / كانون ثاني 2009م، ووبّخ إسرائيل ورئيسها شمعون بيريز وقتئذٍ على تصرفها كآلة لقتل الأطفال (3).

وضمن سياسة تركيا الخارجية، نلاحظ أن دفاع تركيا عن حقوق الإنسان، وإدانة واستنكار العدوان العسكري، لا يقتصر على المنطقة المجاورة لها فحسب، بل يشمل

1. عبارة يحرص الرئيس التركي رجب طيّب أردوغان، على تكرارها كثيراً خلال الفعاليات الدولية التي يشارك فيها، للتعبير عن موقفه الرافض لتحكّم الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، وهي الولايات المتحدة، وروسيا وبريطانيا، والصين، وفرنسا، بمصير العالم، وتحمل العبارة دعوة إلى ضرورة إعادة النظر في هيكل الأمم المتحدة والعمل على إصلاحه بما يتناسب مع تطوّرات الأوضاع العالمية الراهنة، وقد باتت العبارة شعاراً واسع الانتشار على الصعيد العالمي. للمزيد يُنظر: "العالم أكبر من خمسة.. مبدأ الرئيس أردوغان لإصلاح الأمم المتحدة"، ترك برس، 23 سبتمبر 2017، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/cppJ2w
2. 2009م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QrHWUR
3. فادي فراسين، البعد الإنساني والأخلاقي في السياسة الخارجية التركية، 29 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/kCfZQd>

جميع أرجاء العالم. فقد انتقدت تركيا العدوان الروسيَّ ضدَّ جورجيا (2008م) (1)، وأوكرانيا عبر ضمَّها لجزيرة القرم بالقُوَّة وبشكل غير شرعي (2014م) (2). إضافة إلى إدانة انتهاك الصين لحقوق المسلمين اليوغور في تركستان الشرقية (3) وإن كان هذا يأخذ طابعاً حذراً.

1. شهد شهر أغسطس من العام 2008م حرباً بين روسيا وجورجيا، بدأت إثر هجوم جورجي على أوسيتيا الجنوبية الجمهورية الانفصالية الموالية للروس؛ حيث تدخلت روسيا بعمليات قصف لمدينة غوري الجورجية ومطار مارنبولي العسكري بشرق جورجيا، معتبرة ما تقوم به القُوَّات الجورجية تطهيراً عرقياً في أوسيتيا الجنوبية، وسط نداءات دُولِيَّة لوقف العمليات العسكِرِيَّة، مع فشل مجلس الأمن في التَّوصُل إلى قرار بشأن الأزمة التي تطوَّرت، حيث استمرَّت روسيا في قصف غوري ومرفاً بوتَي الجورجي على البحر الأسود، واعتبرت جورجيا نفسها في حالة حرب وقامت بسحب جنودها من القُوَّات الدُولِيَّة العاملة في العراق، في الوقت الذي برَّر فيه رئيس الوزراء الروسي، آنذاك، فلاديمير بوتين، التَّدخُل الروسي بأنه ردُّ على السياسة الإجرامية التي تنتهجها جورجيا، بينما ردَّت الأخيرة بطلب مساعدة دُولِيَّة عاجلة. وعلى إثر ذلك حذَّر الأتِّحاد الأوروپيُّ روسيا من أن استمرار العمليات العسكِرِيَّة سيؤثِّر على علاقاتهما، وبدأت فرنسا جهودها الدبلوماسية لحلَّ الأزمة، مع فشل مجلس الأمن مجدداً في التَّوصُل لقرار بشأنها، لا سيَّما مع اتِّهام واشنطن لموسكو بالسعي لإسقاط النُّظام الجورجي، وقد أسفرت الجهود الفرنسية والدُولِيَّة بعد نحو 5 أيام من القتال عن قبول كلِّ من روسيا وجورجيا خطة السلام التي عرضها الرئيس الفرنسي، آنذاك، نيكولا ساركوزي، ثم قام الرئيس الجورجي ميخائيل ساكاشفيلي في 15 أغسطس 2008م بالتوقيع على اتفاقية وقف إطلاق النار مع روسيا خلال زيارة وزيرة الخارِجِيَّة الأمريكيَّة، في ذلك الوقت، كوندوليزا رايس. للمزيد يُنظَر: "تسلسل زمني لأهم الأحداث في الصراع الجورجي الروسي"، الجزيرة نت، 23 أغسطس 2008، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/weLP3c
2. بدأت أزمة شبه جزيرة القرم في فبراير 2014م، مع الإطاحة بالرئيس الأوكراني فيكتور يانوكوفيتش، الموالي لروسيا، على إثر تظاهرات احتجاجية عمَّت البلاد بعد رفضه اتفاقية تؤمِّن المزيد من التقارب الاقتصاديِّ مع الأتِّحاد الأوروپيِّ لصالح التقارب مع روسيا. وعلى إثر ذلك شهدت شبه جزيرة القرم مظاهرات واحتجاجات أدت إلى ضمِّ شبه الجزيرة إلى روسيا بعد إجراء استفتاء صَوَّت فيه نحو 95.5% من السكان بالموافقة على الانضمام لروسيا، بعد أن عرقلت روسيا مشروع قرار مجلس الأمن الدُوليُّ يدين الاستفتاء عشية انعقاده. للمزيد يُنظَر: "أزمة القرم"، دويتش فيله، 6 يونيو 2014، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ZchF7z
3. الإيغور قومية تركمانية مسلمة تنحدر من آسيا الوسطى وتتحدَّث اللغة التُّرْكِيَّة، يعيش أغلبها في إقليم سنغيانغ الذي كان يُسمَّى تركستان الشرقية قبل ضمِّه من قِبَل الصين. ويحده روسيا من الشمال، وكزاخستان، وقيرغيزستان، وطاجيكستان من الغرب، وباكستان والهند من الجنوب، والصين من الشرق، ومنغوليا من الشمال الشرقي، وتبلغ مساحته الإقليم 640 ألف ميل مربع. للمزيد يُنظَر: "الإيغور.. مسلمون في الصين"، الجزيرة نت، 7 سبتمبر 2009، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/W6aNhk

ومن نقاط التأثير الخارجي السياسي لتركيا أيضاً، ما جرى في اليوم الصيفي من شهر أغسطس / آب 2011م، الذي تجاهل فيه السيد رجب طيب أردوغان التحذيرات بكون العاصمة الصومالية مقديشو منطقة خطرة يجب عدم التوجه إليها، ليسافر إليها صحة زوجته وابنته وكبار المسؤولين، بمعية وفد كبير ضم ممثلين عن مؤسسات غير حكومية ورجال أعمال (1). منهيماً بذلك الموقف فترة عقدين من الزمن لم يقم فيها أي زعيم غير إفريقي بزيارة العاصمة الصومالية. كما تلعب تركيا دوراً ريادياً في تعميق التفاهم بين الحضارات العالمية، وتبادر إلى راب الصدع بينها، من خلال إزالة حواجز الشكوك والخوف والتوتر بين العالم الإسلامي والغرب، والتي تراكمت منذ بداية هذه الألفية. ففي عام 2005م، أطلقت تركيا بالشراكة مع إسبانيا مبادرة تحالف الحضارات (2) في مسعى منها

1. في أغسطس 2011، وفي ذروة سيطرة قوات حركة الشباب المجاهدين على الصومال وقيامها بطرد قوات الاتحاد الإفريقي من العاصمة الصومالية، قام أردوغان الذي كان حينها رئيس وزراء تركيا، بأول زيارة لزعيم أجنبي إلى مقديشو بعد عقدين من انهيار الدولة المركزية، حيث أعلن أردوغان حينها إعادة فتح السفارة التركية، التي باتت تلعب دوراً نشطاً جداً في الصومال، وخاصة في مجال المساعدة الإنسانية وإعادة الإعمار، كما تدير الشركات التركية المبنية ومطار مقديشو، وقد بلغ النفوذ التركي في الصومال حد إعلان أنقرة مطلع العام 2016 عن اتفاقية مع الصومال لإقامة قاعدة عسكرية كبيرة تضع قدماً للجيش التركي في خليج عدن الاستراتيجي، لتتضم أنقرة إلى عواصم كبرى لها قواعد عسكرية في منطقة القرن الإفريقي، وخاصة في جيبوتي. للمزيد يُنظر: مصطفى شفيق علام، "التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجية التركية .. المحددات والسياقات والتحديات"، مجلة قراءات إفريقية، لندن، عدد 29، يوليو 2016م.

2. في عام 2005م، أطلق رئيس وزراء الجمهورية التركية، آنذاك، السيد رجب طيب أردوغان، ورئيس الوزراء الإسباني، وقتها، السيد خوسيه لويس رودريغيس ثاباتيرو، مبادرة تحالف الحضارات بهدف وقف تنامي النزعات المتطرفة عن طريق الاحترام المتبادل فيما بين الثقافات، وتحقيق الترابط الفعال بين كافة المجتمعات فيما يخص قضايا التنمية والأمن والبيئة والازدهار الاقتصادي، إلى جانب تكوين إرادة سياسية مشتركة من أجل مواجهة الأحكام المسبقة والفهم الخاطئ والاستقطاب. وقد نجحت الجهود التركية والإنسانية في هذا الشأن إلى دفع المبادرة في إطار أممي؛ حيث تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع مشروع القرار المتعلق بمبادرة تحالف الحضارات والذي تقدمت به 96 دولة، وذلك في نوفمبر 2009م. وحالياً تجاوز عدد أعضاء أصدقاء المبادرة التي أنشئت تحت مظلة الأمم المتحدة في إطار مبادرة تحالف الحضارات 130 عضواً، ولا تزال الجهود التركية الإنسانية متواصلة من أجل زيادة عدد أعضاء المجموعة وفعاليتها على الصعيد الدولي لتحقيق أهدافها الموضوعية التي أنشئت وأطلقت من أجلها. للمزيد يُنظر: "مبادرة تحالف الحضارات"، وزارة الخارجية التركية، د.ت، تاريخ الزيارة 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xyxj9g

لحشد تحالف واسع للقيم الحضارية، وقد تَبَيَّنَت الأمانة العامة للأمم المتحدة هذه المبادرة لاحقاً لتصبح مبادرة خاصة بها. فمن هنا إذن، يبدأ التأثير واللعب على أوتار القبول الخارجي للسياسات في أيِّ بلدٍ (1).

• الجانب الديني وتأثيره على المستوى العربي والإسلامي:

بما أن تركيا دولة ذات أغلبية إسلامية ذات إرثٍ طويل ومشارك مع معظم الدول العربية، فإنَّ لديها ما يُؤهلها لأن تلعب دوراً أكثر إيجابية في القضية الفلسطينية، خصوصاً مع وجود علاقات مُتميّزة بينها وبين دولة إسرائيل والتعاون الاستراتيجي الذي طَبَعَ علاقات الدولتين منذ عدَّة سنوات بالرغم من مرور العلاقات بينهما بمراحل فتور طويلة.

ولاشكَّ أن روح الاعتدال التي بدأت تسيطر على السياسة التركية تجاه المنطقة العربية هي عامل مساعد في التمكين العربي من التوظيف التركي في الصراع مع إسرائيل، وفي كثير من المواقف العربية اللازمة والضرورية لإدخال تركيا كلاعب إضافي في منطقة الشرق الأوسط، خاصة مع تنامي القوة الإيرانية. فالعلاقات العربية التركية تعني بالنسبة إلى العرب، وجود شريك استراتيجي يوسِّع من نطاق البدائل المتاحة أمامهم. ويساهم في تعديل الموازين الإقليمية والاستفادة من الخبرات النموية والإصلاحات التركية. فضلاً عن أنَّ تركيا هي إحدى البوابات المهمة أمام العرب للارتباط مع آسيا الوسطى وإحياء "طريق الحرير" التاريخي (2).

1. "مبادرة تحالف الحضارات"، وزارة الخارجية التركية، د.ت، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xyxJ9g
2. مبادرة اقتصادية تجارية تنموية أطلقها الرئيس الصيني شي جين بينغ عام 2013م. تتضمَّن إنشاء طريق تجاريٍّ بريٍّ وبحريٍّ، يمر بأكثر من 65 بلداً، يعيش فيها أكثر من 4 مليارات نسمة. وذلك تيمناً بطريق الحرير القديم الذي يعود تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي، والذي يشير إلى شبكة الطرق البرية والبحرية التي ربطت بين الصين وأوروبا مروراً بالشرق الأوسط. للمزيد يُنظر: "إنفوغرافيك... ما هو طريق الحرير الجديد؟"، سكاى نيوز عربية، 17 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bSLpKw

وبناءً عليه، لم تُعدَّ النظرة العربيَّة لتركيا على أنها مُجرَّد وسيط بين العرب وإسرائيل، وإنما كمُسانِدٍ قوِّيٍّ للحقوق العربيَّة. وقد تبلورت تلك الفكرة بعد الهجوم الإسرائيلي على قافلة أسطول الحرِّيَّة، ولكن ليس من الواضح بعدُ ما إذا كانت تركيا مقتنعة بهذه المقاربة العربيَّة أم لا. ومن هنا بات التأثير التُّركيُّ ظاهراً في المنطقة العربيَّة ومشروعاً مفتوحاً للتطوير والانفتاح في العلاقات والمبادلات العامَّة.

• السَّماتُ المميَّزة للسياسة الخارجِيَّة التُّركيَّة عربيّاً:

تتعدَّد السَّماتُ الإيجابيَّة لدى دولة تركيا، وفي باب توجُّهاتها الخارجِيَّة نحو العرب نلاحظ باهتمام الاقتراب التُّركيُّ من القضايا العربيَّة والإسلاميَّة، مثل اهتمامها بالقضيَّة الفلسطينيَّة، والتفاعل معها إيجابياً، وتكريس الدِّفاع عنها في المحافل الدَّوليَّة. ويشكِّل هذا أحد محاور الاهتمام التُّركيِّ بإقامة تحالف مع الدول العربيَّة، تتوازي وتتناسب مع انسحابها من التحالف الاستراتيجيِّ مع "إسرائيل". وقد قطعت مع سوريا بالفعل شوطاً في هذا الاتجاه على طريق الانتقال بالعلاقات الثنائيَّة إلى مرحلة استراتيجيَّة مُتقدِّمة، قبل أن تُؤول الظروف بسوريا إلى ما هي عليه حالياً من دمار وانشقاق(1).

ولكن الاستمرار في الواقع لا يزال حاضراً في نظام العلاقة السِّياسيَّة كنجاح لاستراتيجيَّة تركيا وتأثيراتها في السَّاحة الإقليمِيَّة والدَّوليَّة.

1. حسين لعريض، "واقع الدور التُّركيِّ الراهن ضمن أدوار الفواعل الإقليمِيَّة والدَّوليَّة تجاه النزاع السوري"، مركز جيل البحث العلمي، 7 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4qy9Vh

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

لذا يمكن الحديث عن أن تركيا تَمَيَّزَتْ بنقلتها النُّوعِيَّةِ عن نظيراتها من الدول، وهي في طريقها لأن تكون القُوَّةُ الإقليمِيَّةُ القادرة على لَعِبِ أدوار مُؤثِّرة بل وشديدة الأهمِّيَّةِ. وَلَعَلَّ من مصلحة العرب جميعهم السعي إلى إقامة علاقات وتحالفات استراتيجِيَّة مع هذه القُوَّة الصاعدة، بِغَرَضِ الوصول إلى أهداف أكثر رصانةً لإرضاء شعوبهم بدرجة أساسيَّة، والدفع بعجلة التَطَوُّر أكثر فأكثر نحو آفاق مستقبلِيَّة واعدة.

المبحث الثاني

الدعم التركيّ لقضايا المنكوبين والمستضعفين

كانت تركيا من بين الدول التي تستقبل المساعدات والمعونات الدوليّة الإنسانيّة، لكن هذا الواقع انتهى منذ اعتلاء حزب العدالة والتنمية سُدّة الحُكْم، لتتحوّل تركيا إلى دولة رئيسة مانحة للمساعدات الإنسانيّة الدوليّة. وحسب تقرير برنامج المساعدة الإنسانيّة العالميّة (1) GHA لعام 2015م، احتلّت تركيا المرتبة الثالثة كأكبر مانح دوليّ من حيث حجم المساعدات التي تُقدّمها، وثاني أكبر دولة مانحة من حيث نسبة الدخل القوميّ الإجمالي، ثم انفردت تركيا بصدارة الدول المانحة على الصعيد الدوليّ في عام 2017، وفقاً لتقرير المساعدة الإنسانيّة العالميّة تلاها كلٌّ من؛ الولايات المتّحدة وألمانيا وبريطانيا والاتّحاد الأوروبيّ واليابان والسويد على الترتيب(2).

أكبر الدول المانحة وفقاً لإجمالي المساعدات الإنسانيّة للعام 2017(3)

الدولة	إجمالي المساعدات الإنسانيّة (بالمليون دولار)	الترتيب العالمي
تركيا	8.070	1
الولايات المتّحدة	6.683	2
ألمانيا	2.988	3
بريطانيا	2.518	4
الاتّحاد الأوروبيّ	2.247	5
اليابان	843	6
السويد	767	7

1. تقرير سنويّ يُصدّر عن منظمّة مبادرات التنمية (DI) وهي منظمّة إنمائيّة دوليّة مُستقلّة، مقرّها المملكة المتّحدة، تركز على دور البيانات في القضاء على الفقر وتحقيق التنمية المستدامة. للمزيد يُنظر:

About us, Development Initiatives (DI), available at: goo.gl/Brjre1

2. Global humanitarian assistance report 2018, Development Initiatives (DI), 2018, p. 38.

3. Source: Global humanitarian assistance report 2018, Development Initiatives (DI), 2018, p. 38.

هذا من دون إغفال استجابة تركيا لنداء المساعدة عقب كثير من الكوارث والأزمات الإنسانية التي نشأت في مختلف أنحاء العالم. في حين تبقى أبرز تلك المساهمات الإنسانية تلك التي جرت في الصومال (1)، من خلال تواجدها المباشر على الأرض في الوقت الذي غابت فيه دول أساسية عن المشهد.

أولاً: نماذج إنسانية تركية:

من خلال تعاملها مع أزمة اللاجئين السوريين، قدّمت تركيا للعالم أجمع درساً في السياسة الأخلاقية والإنسانية؛ إذ تستضيف حالياً أكبر عدد من اللاجئين السوريين المسجلين لدى المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، بما يصل إلى 3.3 ملايين شخص، غالبيتهم يعيشون في المناطق الحضرية، فيما تستضيف مخيمات اللاجئين داخل تركيا نحو 8% فقط من مجموع اللاجئين السوريين، حسب إحصائيات المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (2)، لتصبح الدولة المضيفة الأضخم للاجئين على مستوى العالم، بالرغم من التكاليف الباهظة على عدة مستويات، أبرزها المستوى الاقتصادي، وكان وزير الاقتصاد التركي قد صرّح نهاية العام 2015م بأن تكاليف إيواء اللاجئين السوريين لدى بلاده، تجاوزت 7 مليارات دولار أمريكي (3).

1. من خلال إدارة الكوارث والطوارئ التركية تُضطلع أنقرة بدور إنساني رائد في الصومال، فقد أرسلت الإدارة مساعدات إنسانية بلغت نحو 40 طن، قيمتها 104.000.000 ليرة تركية بالتنسيق مع هيئة الأركان العامة، وزارة الصحة، وزارة الخارجية، الوكالة التركية للتعاون والتنسيق (TIKA)، والهلال الأحمر التركي. وبمبادرة من الرئيس رجب طيب أردوغان، تم تنظيم حملة إغاثة جذبت الاهتمام العالمي بالتنسيق مع إدارة الكوارث والطوارئ التركية، تم جمع 275.000.000 ليرة تركية في حسابات الإدارة ومديرية الشؤون الدينية. كما تم جمع أكثر من 555.000.000 ليرة تركية على حسابات الهلال الأحمر التركي، ومُنظمات غير حكومية أخرى. للمزيد يُنظر: Disaster Report, Somalia, AFAD, available at: goo.gl/j912Bq؛ حالة الطوارئ في سوريا، المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 19 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KrXuXN

3. وزير الاقتصاد التركي: تكاليف اللاجئين السوريين تجاوزت 7 مليارات دولار، ترك برس، 7 أكتوبر 2015، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6eUjFz

القوة التركية الناعمة

وعند مقارنة موقف تركيا هذا مع موقف الاتحاد الأوروبي بدوله الأعضاء الـ28، نرى أن الاتحاد الأوروبي لم يدخر جهداً للبحث عن سبب لأجل تصدير أعباء اللاجئين إلى دول أخرى. مُتَّصِلاً بذلك من مسؤوليته القانونيّة والأخلاقيّة تجاه شعب فرّ من الحرب والمجاعة. ففي عام 2016م، لم تُحرز حكومات الاتحاد الأوروبي إلا تقدماً بطيئاً في إعادة توطين اللاجئين، فلم يستفد من تلك الاستراتيجيّة التي أقرها الاتحاد إلا 8.268 لاجئاً فقط إلى دول الاتحاد الأوروبي في حين أن الهدف كان توطين أكثر من 22 ألفاً في غضون عامين، وعلى الرغم من أن بعض دول الاتحاد الأوروبي أعادت توطين بعض اللاجئين من خلال ترتيبات ثنائيّة، إلا أن غالبية دول الاتحاد فشلت في إعادة توطين أي شخص (1).

ومن الجدير بالملاحظة أيضاً، أن سياسة المساعدات الإنسانيّة الخارجيّة التي تتبناها تركيا لا تقتصر على جيرانها أو دول العالم الإسلاميّ فحسب، بل تشمل جميع العرقيّات والأديان والطوائف دون أيّ تمييز، وتُعطى مناطق بعيدة مثل الفلبين، وغيرها (2). كما يظهر الدور الإنساني الإغاثي الكبير والمشهود الذي تقوم به تركيا من خلال عدد كبير من مؤسّساتها الحكوميّة والأهليّة المدنيّة في أكثر من ساحة عالميّة. فدور الهلال الأحمر التركيّ في الصومال والسودان وسوريا (3) لا تخطئه العين. وكذلك الدور المركزي للوكالة

1. الاتحاد الأوروبي، أحداث عام 2016، هيومان رايتس ووتش، د. ت، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3JXcYS
2. فادي فراسين، "العهد الإنساني والأخلاقي في السياسة الخارجيّة التركيّة"، صحيفة ديلي صباح التركيّة، 29 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SA16Mg
3. يلعب الهلال الأحمر التركيّ دوراً كبيراً على صعيد المساعدات الإنسانيّة التي تقدّمها تركيا للصومال والسودان وسوريا، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك؛ افتتاح المنظّمة معهداً مهنيّاً صحياً بمقديشو في مايو 2016م، إلى جانب إرسال سفينة محملة بـ 11 طناً من المساعدات الإنسانيّة إلى الصومال في مايو 2016م، بلغت قيمتها 8 ملايين دولار، وذلك بالتعاون مع إدارة الكوارث والطوارئ التابعة لرئاسة الوزراء التركيّة. كما قامت المنظّمة بتسيير قوافل ساخنة لتوزيع المساعدات الغذائيّة في شهر رمضان من كل عام لدول؛ الصومال والسودان، وكذلك اليمن، وسوريا، وفي الأخيرة أرسل الهلال الأحمر التركيّ نحو 7 آلاف شاحنة محمّلة بمساعدات إنسانيّة متنوّعة إلى سوريا، بهدف تلبية جميع احتياجات ضحايا الأزمة وذلك خلال العام 2017م، وفي الربع الأول من العام 2018م اضطلع الهلال الأحمر التركيّ بإنشاء مخبّئات جديدة للنازحين في منطقة إدلب ومنطقة عمليّة درع الفرات شمالي سوريا، تتّسع لنحو 170 ألف نازح سوري. للمزيد يُنظر:
- المساعدات والمنع التركيّ للصومال (2015-2016م)، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، د. ت، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LvQBfW
- "الهلال الأحمر التركيّ يعزّم إرسال مساعدات لـ 9 مليون شخص في 3 دول"، ترك برس، 23 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KVBif6n
- "الهلال الأحمر التركيّ يدعم السورين بـ 7 آلاف شاحنة خلال 2017"، تركيا بوست، 28 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4N5f5r
- "الهلال الأحمر التركيّ يباشر إنشاء مخبّئات لـ 170 ألف نازح شمالي سوريا"، الفيحاء، نت، 13 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3KNWYP

التُّرْكِيَّةَ للتعاون والتَّنْمِيَّةِ المعروفة باسم "نيكا"، في دعم مئات المشروعات الإنسانيَّةِ والتَّنْمُوِيَّةِ في العالم العربيِّ والدول الفقيرة. وأيضاً عبر مُؤَسَّسات الدعم الإغاثي التي تنشط في غالبية دول العالم⁽¹⁾، تمثِّل صورة مشرقة من العطاء العابر للحدود، والذي يطل الأيتام والفقراء والمرضى والمحتاجين في كلِّ المجالات⁽²⁾.

على الصعيد الثقافيِّ، فإنَّ الحضور التَّاهيلي والتكويني الذي ترعاه تركيا من خلال آلاف المؤتمرات والندوات والفَعَالِيَّاتِ التَّثقافيَّةِ والفِكرِيَّةِ والمَعْرِفيَّةِ والتَّشبيكيَّةِ في سائر التراب التُّرْكِيَّ، والذي يَتَوَزَّعُ على واحد وثمانين ولاية تركيَّة، وتسهم فيه البلديات والجامعات ووزارات الحكومة والمُؤَسَّسات الأهلِيَّةِ والأوقاف النشطة، بما يدعم ويمثِّل جزءاً من الهوية التُّرْكِيَّةِ المستقبليَّة. فتركيا تسعى جاهدة خلال العقد الأخير لبناء شبكات قيميَّة ومفاهيميَّة واضحة وجامعة، تمثِّل مرتكزات للعمل السِّيَاسِيِّ والفِكرِيِّ والتَّثقافيِّ والإنساني العام⁽³⁾.

وكخلاصة إذن، فإنَّ السِّيَاسَةَ الأخلاقيَّةِ التي تسير تركيا وفقها، تمثِّل تبايناً كبيراً عن السِّيَاسَاتِ الميكافيليَّةِ⁽⁴⁾ (الانتهازيَّة) المنتشرة في التعاملات والعلاقات الدَّوليَّةِ. كما

1. على سبيل تنشط هيئة الإغاثة التُّرْكِيَّةِ IHH في 135 بلداً في 5 قارات، وتُعْتَبَرُ الهيئة من المُؤَسَّسات الرائدة في المجال الإغاثي والإنساني بشكل عام، هذا بخلاف الكثير من المُؤَسَّسات الإغاثيَّة والإنسانيَّة التُّرْكِيَّة التي لها نشاط إقليمي ودولي فاعل في هذا المجال. للمزيد يُنظَر: هيئة الإغاثة التُّرْكِيَّة "IHH" .. التجربة والتحديات؛ حوار مع "حسن ايناجي" نائب رئيس هيئة الإغاثة التُّرْكِيَّة "IHH"، تركيا بوست، 4 يوليو 2016، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Vcua1z
2. د. نزار نبيل الحرباوي، من أجل فهم أقرب لطبيعة التوجهات التُّرْكِيَّة، نداء الوطن: الشبكة الفلسطينية للصحافة والإعلام، 15 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/sCU3Cf>
3. "الدبلوماسية التُّرْكِيَّة لتركيا"، ترك برس، 17 ديسمبر 2015م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/m6bBLJ
4. نسبة إلى السِّيَاسِيِّ الإيطالي الشهير نيكولا ميكافيلي (1469- 1527 Niccolò Machiavelli م)، صاحب كتاب الأمير The Prince، وهو من كلاسيكيَّات الكتب السِّيَاسِيَّة التي تمَّت ترجمتها إلى العديد من اللغات، ويتضمَّن خلاصة خبرة صاحبه السِّيَاسِيَّة في أروقة الحكم في أوروبا، ولعل من أبرز المبادئ التي تَضَمَّنَهَا الكتاب، وبرَّرَ لها مبدأ "الغاية تُبرِّرُ الوسيلة"، وهو مبدأ ينزع عن ممارس السياسة أي اعتبارات أخلاقيَّة تعرقل طموحاته في الحكم. للمزيد يُنظَر:

Niccolò Machiavelli, The Prince, Dante University Press. 2003

أنها تمثل مصدر إلهام للدول الأخرى قصد تأسيس سياستها الخارجية على القيم الأخلاقية والإنسانية. فإن تحددت كل السياسات الخارجية الدولية بهذا الطابع، فيمكن التطلع إلى عالم يتميز بالونام والسلام والتعايش المشترك.

ثانياً: الدافع الاستراتيجي والبعد الاقتصادي لتركيا في جوانب الدعم:

يقوم الدعم والتعاون التركي في إفريقيا على أساس دوافع وأبعاد اقتصادية وإنسانية. إذ تبدي تركيا منذ سنوات اهتماماً ملحوظاً بقرارة إفريقيا عموماً، وبشرق القارة تحديداً، الصومال، جيبوتي، إثيوبيا، مقابل المكاسب التي تسعى إلى تحقيقها، والمتمثلة في خلق فرص ومجالات حيوية لتركيا في شرق إفريقيا، وذلك في ظل التنافس مع قوى دولية وإقليمية أخرى. وقد ظهر هذا في كثافة النشاط الذي تمارسه بشكل متزايد مع مرور الأيام، من خلال كافة أدوات السياسة الخارجية التركية. ومن الشواهد على ما سبق، بلوغ عدد السفارات التركية في إفريقيا 40 سفارة؛ حيث تم افتتاح 27 سفارة فقط بعد سنة 2009م، فيما تم افتتاح أول سفارة تركية في إفريقيا بأديس أبابا عام 1926م (1)، وهذا يعكس مدى الأولوية التي تفردتها لتركيا لإفريقيا.

ويأتي هذا النشاط التركي المتزايد في ظل تزايد التناقص من قبل عدة قوى دولية، مثل الولايات المتحدة والصين والبرازيل، إضافة إلى قوى إقليمية مثل إيران وإسرائيل، وتحاول معظم الدول الفاعلة فتح أو استعادة العلاقات الدبلوماسية هناك؛ فعلى سبيل المثال عينت الولايات المتحدة سفيراً لها في مقديشو في 24 فبراير / شباط 2015م، وهو أول سفير أمريكي في مقديشو منذ العام 1991م (2).

1. Republic of Turkey, Ministry of Foreign Affairs, official website: goo.gl/c1XvnI
2. "الولايات المتحدة تُعين أول سفير لها في الصومال منذ 1991م"، صحيفة الوسط البحرينية، 24 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QbCwoS

ثالثاً: الدافع الإنساني للسياسة التركية:

برزت تركيا من خلال جوانب إنسانية واقتصادية عديدة، كقوة دافعة لكسب التأييد والمناصرة في العالم العربي ومناطق أخرى من العالم، وذلك جراء التعاون الإيجابي مع الشعوب، وتقديم الدعم وتقوية العلاقات، وتقديم مستوى مقبول من الخدمات والإمكانات، لا سيما إزاء التطورات الأخيرة التي تعيشها عدد من البلدان الواقعة تحت اهتمامها.

ومن الأمثلة الإيجابية لدور تركيا ونظامها السياسي؛ نجد على سبيل المثال، سعي تركيا إلى تعزيز عوامل السلم والاستقرار في إفريقيا من خلال دفع دولها للتخلص من تبعات الاستعمار، وترسيخ اسم تركيا في العقل الجمعي الإفريقي، وذلك عن طريق تقديم المساعدات، والبرهنة عملياً على أنها دولة تحترم الإنسان وتبني سياسات أخلاقية(1).

فقد قدمت مساعدات كبيرة لإفريقيا، لم يكن آخرها تقديم 5 ملايين دولار من أجل مكافحة مرض إيبولا(2)، كما منحت في الأعوام الأخيرة قدرًا كبيراً من المساعدات، محتلة بذلك المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة وبريطانيا في هذا المجال، والذي حصلت فيه إفريقيا على 24% من المساعدات المذكورة خلال العامين 2013م - 2014م.(3)

1. محمد غسان الشبوط، "تركيا بين الماضي والحاضر"، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية؛ السَّياسِية والاقتصاديَّة، دت، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8P9jrl

2. "أردوغان يعلن تقديم 5 مليون دولار إضافية لمكافحة إيبولا في إفريقيا"، ترك برس، 21 نوفمبر 2014، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/eXWqfk

3. تركيا ستصبح صاحبة كلمة في الأمم المتحدة: قبول عضوية تركيا وإستونيا التامة في فريق دعم المناخين لمكتب الأمم المتحدة لتنسيق المساعدات الإنسانية، تي آر تي عربيَّة، 1 يوليو 2014، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QqHTEU

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وتحاول تركيا أيضاً أن ترسخ قُوَّتَهَا النَّاعِمَةَ في إفريقيا، من خلال بناء المدارس والمساجد وترميم الآثار. فعلى سبيل المثال، رَمَمَتْ تركيا مُؤَخَّراً قَبْرَ النجاشيِّ وعددًا من قبور الصحابة في إثيوبيا (1). وقد قال الرئيس التُّرْكِيُّ في زيارته لشرق إفريقيا في 2015م: "إن البعض جاء لإفريقيا من أجل الذهب لكن تركيا أتت لإفريقيا لكي تُضَمِّدُ الجراح" (2). وهذا ما يضاعف زيادة القُوَّةِ النَّاعِمَةِ، وبالتالي الحصول على مكاسب سياسيَّةٍ واقتصاديَّةٍ.

ومع الإدراك التُّرْكِيَّ لأهمِّيَّةِ إفريقيا، تزايدت حركة الانفتاح على إفريقيا خلال الأعوام العشرة الماضية، والتي شهدت تعاوناً في مجالات مختلفة. ومن أبرز الفعاليَّات الممهِّدة للتعاون وتوثيق العلاقات ما يلي:

- إعداد استراتيجيَّةٍ تُركيَّةٍ لتطوير العلاقات الاقتصاديَّةِ مع إفريقيا (3) في العام 2003م.
- عقْد القِمَمِ التعاونيَّةِ بين تركيا وإفريقيا ابتداءً من العام 2008م، وصولاً إلى القِمَّةِ الثالثة المقرَّرة عقدها في 2019م بتركيا، إلى جانب الاجتماعات التَّوعِيَّةِ على مستوى الوزراء والفنيِّين، ولعلَّ أبرزها؛ مؤتمر وزراء الزراعة التُّرْكِيَّ الإفريقيَّ الأوَّل، بمدينة أنطاليا، يومي 27 و28 أبريل 2017م، ومؤتمر وزراء التعليم التُّرْكِيَّ الإفريقيَّ الأوَّل في إسطنبول في أكتوبر 2017 (4)، مع ذكر إقامة منتديات شراكة بين تركيا ودول إفريقيا.
- إعلان عام إفريقيا في تركيا، وانضمام تركيا كعضو مراقب للاتحاد الإفريقيَّ في 2005م.

1. "تيكا" التُّركيَّة: ترميم مسجد النجاشي في إثيوبيا يكتمل العام الجاري، وكالة الأناضول للأخبار، 23 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YRSHg4

2. "Erdogan: We cannot remain silent on Africa", Daily Sabah, January 27, 2015. available at: goo.gl/ipVSZL

3. في إطار السياسة الخارجيّة المُعدَّدة الأبعاد لتركيا، دشَّنت مستشاريَّة التجارة الخارجيّة في الجمهوريَّة التُّركيَّة، مطلع العام 2003م "استراتيجيَّة تطوير العلاقات الاقتصاديَّة مع الدول الإفريقيَّة"، بهدف الانفتاح اقتصاديًّا واستثماريًّا وتجاريًّا، على القارة السمراء. للمزيد عن تلك الاستراتيجية والرؤية التُّركيَّة للعلاقات مع القارة الإفريقيَّة، يُنظر: العلاقات التُّركيَّة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخارجيّة التُّركيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/NCL2Uq

4. "مؤتمر وزاري في إسطنبول لمراجعة الشراكة بين تركيا وإفريقيا تحضيراً لقمة الشراكة الثالثة بين الجانبين"، صحيفة الشرق الأوسط اللندنيَّة، 11 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1JwnLH

أما بالنسبة للمجالات الاستراتيجية الأخرى، فقد بيّنت نتائج عديدة مسألة التعاون الإيجابي لتركيا مع دول إفريقيا، وهذا ما أوضحتته المؤشرات التالية:

- ارتفاع حجم التّجارة بين تركيا وإفريقيا من 3 مليارات في 2002م إلى 25 ملياراً في 2018م (1).
- تنفيذ وكالة التنسيق والتعاون التركيّة (تيكا)، التي لها 25 مكتباً دول القارة الإفريقيّة (2)، الكثير من المشروعات في دول القارة، وخاصّة في مجالات الصّحة والتعليم والزراعة والثروة الحيوانية.
- تقديم الجامعات التركيّة برنامج المَنح التركيّة الإفريقيّة، وهو برنامج للمرحلة الجامعيّة الأولى (البكالوريوس) مخصّص للطلاب الأفارقة، بهدف تعزيز التواصل الثقافيّ والفكريّ، ومشاركة المعلومات والتجارب من أجل تنمية إفريقيا (3).
- ربط الخطوط الجويّة التركيّة بـ 51 نقطة في 33 دولة إفريقيّة (4).
- عمل عدد كبير من مؤسّسات المجتمع المدنيّ التركيّة في إفريقيا.

رابعاً: دعم الشعب الفلسطيني / حادث مرمرة (5)

بما أن السّمات المميّزة للسياسة الخارجيّة التركيّة بدت أكثر قُرباً من القضايا العربيّة والإسلاميّة، والتفاعل معها إيجابياً، وتكريس الدّفَاع عنها في المحافل

1. وزير الاقتصاد التركي: حجم التبادل التجاري مع إفريقيا بلغ 25 مليار دولار، وكالة الأناضول للأخبار، 22 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yYaHQz
2. رئيس تيكا التركيّة "هناك مَحَبّة كبيرة في إفريقيا تجاه تركيا"، رئاسة الوكالة التركيّة للتعاون والتنسيق، 27 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zB8DN1
3. "تفاصيل برنامج المَنح التركيّة"، ترك برس، 28 يناير 2015، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ESfEag
4. "ازدهار العلاقات التركيّة الإفريقيّة"، دايلي صباح، 10 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zicgV9
5. يشير إلى السفينة التركيّة مرمرة التي انطلقت مع مجموعة سُفن حملت على متنها نحو 750 ناشطاً حقوقياً وسياسياً، وعدداً من ممثلي وسائل الإعلام الدوليّة، ومواد إغاثة ومساعدات إنسانيّة، يوم 29 مايو 2010م إلى قطاع غزة بهدف فك الحصار عنه، لكنها توفّقت بعد تعرّض السفينة مرمرة التركيّة لهجوم دام خلف قتلى وجرحى، وبحسب تقرير معهد الطب الشرعي في إسطنبول، فإن الهجوم الإسرائيلي على السفينة مرمرة تسبّب في مقتل تسعة أشخاص، أصغرهم يبلغ من العمر 19 عاماً. للمزيد يُنظر: "حادث مرمرة: تركيا وإسرائيل تبحّثان الأسبوع المقبل مسألة التعويضات"، بي بي سي عربي، 30 مارس 2013، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6JGtqg

القوة التركية الناعمة

الدولية، كما ذكرنا سابقاً، فهذا الجانب من الاهتمام يشكل أحد محاور الدور التركي بإقامة تحالف مع الدول العربية، بما يتوازي ويتناسب مع انسحابها من التحالف الاستراتيجي مع "إسرائيل"، إذ سعت تركيا لدعم القضية الفلسطينية من جوانب كثيرة، من ضمنها محاولة حكومتها الدخول كوسيط للمصالحة بين حركة حماس والسلطة الفلسطينية، وفي هذا الإطار قام الرئيس الفلسطيني محمود عباس، في أغسطس 2017، بزيارة إلى تركيا بدعوة من الرئيس أردوغان، وذلك للتباحث بشأن المصالحة الداخلية بين الفلسطينيين وتنشيط عملية السلام (1). كما أبدى وزير خارجيتها، خلال تصريحات سابقة له، استعداد بلاده للمساهمة في أي مشروع يجمع شمل الإخوة الفلسطينيين، والعمل على تشكيل حكومة وحدة فلسطينية في قطاع غزة والضفة الغربية. وهذا من شأنه تسهيل الاعتراف بفلسطين في الأمم المتحدة، ومن ثم فإن مساعي تركيا حال نجاحها في هذا الملف من شأنها أن تجعل أنقرة محامياً دولياً مهماً للطرفين؛ أي: إن حماس وفتح تتمتعان بمساندة بلد مسلم وعضو في نفس الوقت في حلف شمال الأطلسي (2).

وهو ما يكمل استراتيجيتها السياسية الجديدة للمنطقة، والتي أظهرتها منذ أحداث الربيع العربي. الأمر الذي منحها ديناميكية قوية لتحقيق سعيها كي تتبوأ مركزاً قيادياً في الشرق الأوسط.

ومن جهة أخرى، يتم تقديم العديد من المساعدات الإنسانية التركية للفلسطينيين من حين لآخر؛ إذ يتم إرسال قوافل كجوانب إغاثية ومعيشية لأعداد من الأسر الفلسطينية، وفي هذا الإطار بلغ حجم المساعدات الإنسانية التركية المخصصة للفلسطينيين خلال

1. الرئيس الفلسطيني يصل أنقرة في زيارة رسمية، تركيا بوسنت، 27 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KhGWwQ

2. اعتدال سلامة، تركيا.. القوة الناعمة في الشرق الأوسط، مجلة المجلة، 26 مايو 2013م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/RvrKk5

الفترة من 2014م - 2017م نحو 200 مليون دولار أمريكي، كما اتخذت الحكومة التُّركيَّة، يونيو 2017، قراراً بتقديم منحة نقدية بقيمة 10 ملايين دولار أمريكيّ لصالح الموازنة العامَّة للحكومة الفلسطينية(1).

كما مثَّلتُ حادثة مرمرة مرحلة من مراحل المناصرة التُّركيَّة للمستضعفين والمحتاجين، وأمراً إيجابياً في الوقوف ضدَّ الاستكبار، ولإرساء السلام العالميِّ وقوانينه الخاصَّة بحقوق الإنسان والتعايش. فعقِبَ مهاجمة إسرائيل لسفينة السلام في مرمرة ومقتل عدد من مناصري السلام، ممن سَعَوْا لإيصال مساعدات إغاثية وإنسانية لغزَّة، جرى حديث المقاطعة لدى الجانب التُّركيِّ لإسرائيل من باب الإنصاف والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني.

وعلى إثر أزمة حادثة مرمرة، استدعت تركيا سفيرها لدى تل أبيب، مهددة بأن هذه الحادثة قد تؤدي إلى عواقب لا رجعة فيما يتعلَّق بعلاقات البلدين، كما قامت تركيا بتخفيض تمثيلها الدبلوماسيِّ لدى إسرائيل، في عام 2011م، ورفضت بقاء السفير الإسرائيلي لديها، واشترطت اعتذاراً إسرائيلياً عاجلاً كخطوة أولى للنظر في إعادة العلاقات بين البلدين إلى سابق عهدها، وهو الأمر الذي رفضته إسرائيل، لِتَسْتَمِرَّ القطيعة بين الجانبين حتى منتصف العام 2016م، حينما تمَّ التَّوَصُّلُ إلى اتِّفاق تركي إسرائيلي لإعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بعد أن تعهَّدت إسرائيل بدفع تعويضات لصالح ضحايا حادثة مرمرة بقيمة 20 مليون دولار أمريكي(2).

1. "الرقم: 198، التاريخ: 19 حزيران/يونيو 2017، بيان حول المساعدات التي تُقدِّمها تركيا لفلسطين"، وزارة الخارجة التُّركيَّة، يونيو 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/exBYzm

2. العلاقات التُّركيَّة الإسرائيليَّة.. تاريخ من الدبلوماسية والأزمات"، راديو سوا، 30 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/u9hx5W

خامساً: الدعم التُّركيَّ الإنساني في اليمن:

نشطت العلاقات التُّركيَّة في اليمن بشكل أو بآخر، لا سيَّما من خلال المِنح المَقَدَّمة للطلاب اليمينيِّين والمبتعثين، أو في جوانب إغاثة ضحايا الحرب الدائرة في اليمن منذ مارس 2015م (1). وتقدِّم تركيا دعماً في مجالات لا بأس بها لليمنيِّين؛ إذ تساعد في استقبال ومعالجة جرحى الحرب من مناصري الشَّرعيَّة اليمينيَّة وقوات جيشها وعناصر المقاومة من المعاقين والمصابين. بالإضافة إلى وصول موادِّ ومُعَدَّات تُركيَّة مختلفة إلى اليمن، في صورة دعم طبيِّ وأدوات جراحية، وأيضاً إرسال فِرَق صِحِّيَّة مُتَخَصِّصَة. هذا إلى جانب المساهمة في جوانب الوضع المعيشي والإغاثي، كالإيواء وخدمات الإسكان للنازحين من ولايات الحرب الدائرة في اليمن.

وفي هذا الإطار قَدَّمت هيئة الإغاثة الإنسانيَّة التُّركيَّة (IHH)، مساعدات إنسانيَّة لنحو 30 ألف يمني في 7 مناطق مختلفة من البلد الذي مزَّقه الحرب، إضافةً إلى المساعدات الإغاثيَّة والإنسانيَّة عبر الهلال الأحمر التُّركي، والتي وصلت إلى 10 آلاف طن من الموادِّ الغذائيَّة، إلى جانب 10 آلاف طن أخرى من الأدوية والمُعَدَّات الطبيَّة لمستشفيات عدن، هذا بخلاف الإسهام التُّركيَّ المُهمَّ من خلال الأمم المتَّحدة لمواجهة وباء الكوليرا المتفشي في اليمن (2).

1. في 26 مارس 2015م، أطلقت دول التحالف العربي بقيادة المملكة العربيَّة السُّعوديَّة عمليَّة "عاصفة الحزم"، لِدَحْرِ الانقلابيِّين الحوثيِّين الموالين لإيران في اليمن، وذلك بعد طلب الرئيِّس اليميني عبد ربَّه منصور هادي، من الرياض الحُكُومَة لإنقاذ البلاد وإعادة الاستقرار إلى اليمن ومنع سقوط الأراضي اليمينيَّة في قبضة الحوثيين، بعد أن سيطرت ميليشياتهم المسلَّحة على العاصمة اليمينيَّة صنعاء ووصلت إلى عدن، واقتربها من الحدود السُّعوديَّة. وعلى الرغم من مرور أكثر من 3 سنوات على بدء الحرب ليس هناك أيَّة مُؤشَّرات حقيقيَّة على انحسار النزاع في اليمن، وقد أسفرت العمليَّات العسكُريَّة عن مأساة إنسانيَّة بالغة، لا سيَّما مع تأكيد المنظَّمات الحثوثيَّة الدوليَّة على تورُّط جميع الأطراف في انتهاكات مُروِّعة لحقوق الإنسان، ترَفَّق إلى جرائم الحرب، مع وجود أكثر من 22.2 مليون يمني بحاجة إلى مساعدات إنسانيَّة لضمان بقائهم على قيد الحياة. للمزيد يُنظَر: "اليمن: الحرب المنسية"، مُنظَّمة العفو الدوليَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/R8LhgM
2. للمزيد يُنظَر: "الرئيِّس اليميني يشيد بمواقف تركيا الداعمة لبلاده"، تركيا بوست، 13 سبتمبر 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ubGPxS
"هيئة الإغاثة التُّركيَّة تقدم مساعدات إنسانيَّة لـ 30 ألف يمني"، وكالة الأناضول للأخبار، 26 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/78sBSp

كما تتعدّد أشكال الدعم التُّركيّ المقدم إلى المناطق المُحرّرة كمدينة عدن ومدن أخرى واقعة تحت سيطرة الشُّرعيّة والقوَّات المواليّة للرئيس اليمني عبد ربّه منصور هادي(1)، مما يعني وقوف تركيا إلى جانب متضرري الحروب وأصحاب الحقوق، وصد السِّياسات والقوانين اللاأخلاقيّة في حق الشُّعوب المُستضعفة والمُنتهكة(2).

سادساً: الدعم التُّركيّ للإنسانيّ للشعب السوري:

وفقاً لإحصاءات مديرية إدارة الهجرة التابعة لوزارة الدَّاخليّة التُّركيّة، يونيو 2018م؛ فقد وصل عدد اللاّجئين السُّوريّين المقيمين في تركيا إلى 3,570,352 لاجئاً، يقيم منهم في مُخيّمات اللجوء، نحو 216.890 لاجئاً فقط(3)، يتوزَّعون على مُخيّمات اللجوء بولايات؛ هاتاي، وغازي عنتاب، وقهرمان، ومرعش، وشانلي أورفة، وكليّس، وماردين، وعثمانيّة، وأديمان، وأضنة(4). في حين يعيش غالبية اللاّجئين السُّوريّين وعددهم 3.353.462 لاجئاً خارج مُخيّمات اللجوء(5). وتوفّر الحكومة التُّركيّة كافّة الخدمات الصحيّة والتعليميّة والسكنيّة والإنسانيّة للاّجئين السُّوريّين المقيمين على أراضيها، سواء من يعيشون داخل مُخيّمات اللاّجئين أو خارجها.

1. رئيس الجمهوريّة اليمنيّة منذ فبراير 2012م، شَغَلَ منصب نائب الرئيس اليمني خلال الفترة 1994- 2011م، ووزير الدفاع خلال عام 1994م، ونائب رئيس "حزب المؤتمر الشعبي العام" في اليمن وأميناً عاماً له خلال الفترة 2008- 2014م. وهو حاصل على ماجستير من "أكاديميّة ناصر العسكريّة العليا" بمصر، وماجستير من "أكاديميّة فرونزا" ببروسيا، وقبلها تخرَّج في أكاديميّة ساندهيرست العسكريّة الملكيّة ببريطانيا، عام 1966. للمزيد يُنظَر: الرئيس عبد ربّه منصور هادي، السيرة الذاتيّة، الموقع الرسمي لرئيس الجمهوريّة اليمنيّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Gm8s3W
2. "الإغاثة التُّركيّة تواصل توزيع المساعدات الإنسانيّة في اليمن"، تركيا الآن، 26 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/q83BFn
3. "بالأرقام.. خارطة توزيع اللاّجئين السُّوريّين في تركيا"، تركيا بوست، 13 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ciBYyH
4. "عدد اللاّجئين السُّوريّين في تركيا يتجاوز 3.5 مليون"، تي آر تي عربيّة، 14 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KcVybl
5. "بالأرقام.. خارطة توزيع اللاّجئين السُّوريّين في تركيا"، تركيا بوست، مرجع سابق.

وفي هذا الإطار؛ يبلغ عدد الطلاب اللاجئين السوريين في المدارس التركية نحو 621.000 طالب، وخلال السنوات الماضية من عمر الأزمة السورية، قدمت المرافق الطبية التركية خدماتها لنحو 31.449.800 حالة مرضية بين اللاجئين السوريين⁽¹⁾.

وإلى جانب استضافتها لملايين اللاجئين السوريين على أراضيها، فإن تركيا تَصْطَلَع بتقديم مساعدات إنسانية كبيرة للشعب السوري، من خلال الهلال الأحمر التركي الذي يعمل على إعالة أكثر من 5500 عائلة سورية في مخيمات اللاجئين بלבنا. ووفقاً لبيانات وكالة التنسيق والتعاون التركية (تيكا)؛ فإن سوريا قد استحوذت على نحو 62% من المساعدات الإنسانية التي قدمتها الوكالة خلال الفترة من 2010 - 2016م⁽²⁾.

على الصعيد الرقمي، فقد أكدت وزيرة الأسرة والشؤون الاجتماعية التركية، فاطمة بتول قايا⁽³⁾، في نوفمبر 2017م، أن "قيمة المساعدات التي قدمتها الحكومة التركية للاجئين السوريين بدعم من منظمات المجتمع المدني التركي تجاوزت 30 مليار دولار أمريكي"⁽⁴⁾، في حين قدرت إدارة الطوارئ والكوارث التركية، في فبراير 2018م، حجم الإنفاق التركي على اللاجئين السوريين خلال السنوات الـ 7 الماضية، بنحو 30.285.573.000 دولار أمريكي⁽⁵⁾. وتشير إحصاءات المديرية العامة لشؤون المواطنين والجسسية بتركيا، أن عدد السوريين الذين حصلوا على الجنسية التركية منذ عام 2011 وحتى يونيو 2018م، قد بلغ 55.583 لاجئاً، منهم 25.000 لاجئاً لا تزيد أعمارهم عن 18 عاماً⁽⁶⁾.

1. "عدد اللاجئين السوريين في تركيا يتجاوز 3.5 مليون"، تي آر تي عربية، مرجع سابق.
2. إحسان الفقيه، "التدخل" في شؤون الدول على الطريقة التركية (مقال تحليلي)، وكالة الأناضول للأنباء، 5 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6CuNnJ
3. سياسية وأكاديمية تركية شابة، ولدت في 31 يناير 1981م بمدينة إسطنبول، وهي إحدى القيادات الشابة بحزب العدالة والتنمية، وتُشغَل منصب وزيرة الأسرة والشؤون الاجتماعية في حكومة رئيس الوزراء التركي بن علي يلدرم، وهي السيدة الوحيدة في حكومته. للمزيد يُنظر: "فاطمة قايا.. الوزيرة التركية المبعدة من هولندا"، الجزيرة نت، 13 مارس 2017م، تاريخ الزيارة: 9 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/U1ewYU
4. وزيرة الأسرة والسياسات الاجتماعية التركية: المساعدات التركية للاجئين السوريين تجاوزت 30 مليار دولار، تركيا نيوز، 29 نوفمبر 2017، تاريخ الزيارة: 9 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QD2QjA
5. "عدد اللاجئين السوريين في تركيا يتجاوز 3.5 مليون"، تي آر تي عربية، مرجع سابق.
6. "إدارة الهجرة التركية تعلن عن عدد السوريين في تركيا حتى يونيو/حزيران 2018م"، تي آر تي، 13 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DskDjX

المبحث الثالث

الاستقرار السياسي وجذب الاستثمار

اعتمدت تجربة حزب العدالة والتنمية منذ عام 2002م، على جعل النظام السياسي في تركيا جاذباً في كافة الاتجاهات لتعويض ما فاتها، بما في ذلك مجال الاستثمار. إذ شهدت تركيا تغييرات في السياسة الداخلية والخارجية، كانت وراء التحوّلات العميقة في الميادين المختلفة.

واعتمد التغيير في الصعيد السياسي على تنفيذ مشروع سياسي ديمقراطي، بممارسات تواكب المعايير الأوروبية من أجل تسهيل انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي⁽¹⁾. وتضمن المشروع إصلاحات سياسية من ضمنها إصلاح نظام الانتخابات بخفض نسبة التمثيل النسبي من (10%) إلى (5%)⁽²⁾، وإتاحة الفرصة لأحزاب اليسار للدخول إلى البرلمان، وإجراء تعديلات في قانون مكافحة الإرهاب، وإفساح المجال لحرية الرأي والتعبير، وإنهاء حالة الاعتقالات والخطف للمعارضين السياسيين.

1. سبقت الإشارة إلى تاريخ المحاولات التركية للانضمام للاتحاد الأوروبي، وقد شهدت مدينة هارنا البلغارية قمة تركية أوروبية في مارس 2018م، أجاب فيها الرئيس التركي رجب طيب أردوغان عن تساؤلات الأوروبيين وانتقاداتهم بشأن التدخل التركي في سوريا خلال عملية عفرين، باعتبارها معرقلاً عن انضمام تركيا لعضوية الاتحاد. وقد بدا التذمر على الجانب التركي جزءاً ما اعتبروه تعنتاً أوروبياً بشأن انضمام أنقرة لعضوية الاتحاد، وفي يونيو 2018م، لم يهنئ الاتحاد الأوروبي أردوغان بفوزه في انتخابات الرئاسة؛ خشية أن تنتقل تركيا إلى حكم الفرد، وفقاً للرؤية الأوروبية التي تراها أنقرة ظالمة وغير عادلة، وفقاً لبيان الخارجية التركية التي أكدت أن معاملة الاتحاد الأوروبي الظالمة وغير الأمين لتركيا تظهر مجدداً، ومع ذلك فإن عضوية الاتحاد الأوروبي لا تزال هدفاً استراتيجياً على الرغم من التدهور الكبير في العلاقات، وفقاً للخارجية التركية. للمزيد يُنظر: تركيا تنتقد تقريراً للاتحاد الأوروبي بشأن محادثات العضوية، رويترز، 28 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/x3UvpC
2. تعتمد الانتخابات البرلمانية التركية على نظام التمثيل النسبي؛ إذ يُعَيَّن على أي حزب الحصول على نسبة معينة من أصوات الناخبين على المستوى الوطني وهي 10% على الأقل، هذا إضافة إلى نسبة من الأصوات في المنطقة الإدارية التابع لها وذلك طبقاً لمعادلة معقدة، وذلك لضمان تمثيل الحزب في البرلمان التركي. في حين أن المشروع الإصلاحية المطروح تخفيض تلك النسبة إلى 5%، في الوقت الذي تطالب فيه أحزاب المعارضة إلغاء شرط التمثيل النسبي على المستوى الوطني بالكليّة. للمزيد عن نظام التمثيل النسبي في الانتخابات التركية، يُنظر: ما هو "التمثيل النسبي" الذي أثار الجدل في تركيا مؤخراً؟، تركيا بوسنت، 5 ديسمبر 2014، تاريخ الزيارة: 9 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ByMCHH

وقد أدى ذلك إلى تراجع الصّراعات بين الحكومة ومعارضيه، ووفّر بيئةً سياسيَّةً مُستقرَّةً نسبياً في الداخل والخارج؛ الأمر الذي ساهم في تشجيع الشركات الوطنيَّة والأجنبيَّة على استثمار أموالها في تركيا، ودعم عمليَّة النمو الاقتصاديِّ.

وعلى الصعيد الاقتصاديِّ، قدّمت الحكومة تسهيلات تشريعيَّة وضرائبيَّة مُشجّعة للاستثمار، ونفّذت إصلاحات في قطاعات المصارف والملكيَّة (الخصخصة) والتجارة وسوق العمل وتأهيل قوَّة عمل شابَّة (1). ووفقاً لمؤتمر الأمم المتحدَّة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) (2) لتحليل آفاق الاستثمار العالمي، كانت تركيا منذ 2002م وإلى غاية 2015م، الوجهة الأكثر جذباً للاستثمار الوطنيِّ والأجنبي. واستطاعت أن تحقِّق مرتبة اقتصاديَّة متقدِّمة، باحتلالها للمرتبة الثالثة عشرة من بين أكبر الاقتصادات العالميَّة، والخامسة على المستوى الأوروبيِّ لعام 2017 (3).

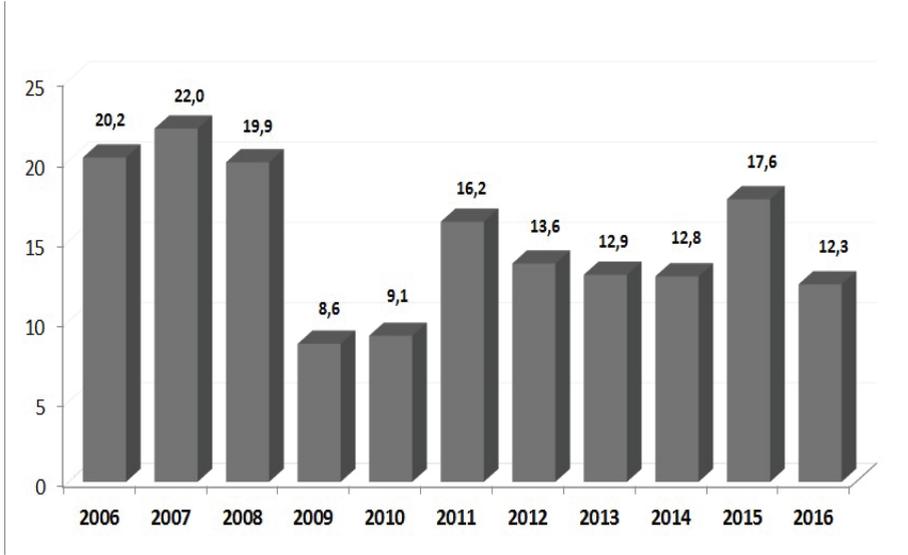
1. محمد غسان الشبوط، "تركيا بين الماضي والحاضر"، مرجع سابق.
2. تأسَّس مؤتمر الأمم المتحدَّة للتجارة والتنمية (أونكتاد) عام 1964م. ويعمل الأونكتاد على إيجاد بيئة ملائمة لاندماج الدول النامية في الاقتصاد العالمي. ونما الأونكتاد تدريجياً ليصبح مؤسَّسة معرفيَّة موثوقاً بها، مهمَّتها المساعدة على صياغة المناقشات الحاليَّة للسياسات وطرق التفكير بشأن التنمية، مع التركيز بصفة خاصَّة على ضمان أن تكون السياسات الداخليَّة، والقرارات الدوليَّة متساندة من أجل تنمية مستدامة. يشمل نطاق عمل ومحتويات الأونكتاد مواضيع مثل السُّلع، والملاحة، والنقل، والتقنيَّة، وقوانين المنافسة، والتجارة في السُّلع والخدمات، والاستثمارات الأجنبيَّة المباشرة. وحقَّق الأونكتاد شهرة واسعة بتقرير تنمية التجارة الذي يُصدِّره سنوياً، وأيضاً تقرير الاستثمار العالمي، ومطبوعات أخرى. للمزيد يُنظر:

ABOUT UNCTAD, United Nations Conference on Trade and Development, available at: goo.gl/mWWnBY

3. وزير الاقتصاد التركي: اقتصادنا سيكون العاشر عالمياً والثالث أوروبياً بحلول 2023"، ترك برس، 27 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DqbLe4

القوة التركية الناعمة

تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة على تركيا 2006 - 2016 (بالمليار دولار) (1)



وقد عزز أداء النمو القوي في تركيا، وتحسُن مؤسّرات الموازنة توافق البلاد وتكاملها مع الأسواق العالميّة. وأدى إدخال إصلاحات للملاءمة مع معايير الاتحاد الأوروبي، عبر إعادة هيكلة القطاع المصرفي والإصلاحات الماليّة والضريبيّة الأخرى منذ 2002م. مما أدى إلى حدوث تغييرات في الاقتصاد والأسواق الماليّة التركيّة، رَفَعَتْ من قدرتها التنافسيّة وعَرَفَتْ على إثرها تدفقاً كبيراً للاستثمارات الأجنبية المباشرة. فبعد أن جذبت إجمالي 19 مليار دولار فقط بين 1950 و2002م، تدفقت نحو 191 مليار دولار للاستثمار في تركيا منذ صعود حزب العدالة والتنمية إلى سُدّة الحكم خلال الفترة 2002 - مارس 2018 (2)، لتحتلّ بذلك في 2012م المرتبة الثالثة عشرة

1. المصدر: وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/cMg9rh
 2. الاستثمارات الأجنبية في تركيا تبلغ 191 مليار دولار منذ تولّي "العدالة والتنمية" الحكم، ترك برس، 28 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6t9PLR

بين الاقتصادات الأكثر جاذبية للاستثمار الأجنبي المباشر في العالم(1). ورغم أن تركيا قد شهدت هبوطاً في مستويات الاستثمار الأجنبي المباشر في 2008م بتزامن مع الأزمة المالية العالمية، فقد تجاوزتها في 2009م بجدارة(2). وعلى أثر هذا التحسن الكبير، قامت شركات الخدمات المالية الدولية(3) Fitch، و(4) Moody's، و(5) JCR في 2012م بترقية التصنيف الائتماني لتركيا لدرجة الاستثمار(6) BBB.

1. عمر بولاط، سيجل الاقتصاد التركي من أين وإلى أين، ترك برس، 5 يناير 2015م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oJqPjY
2. "الاقتصاد التركي خلال عقد العدالة والتنمية"، رؤية تركية، 2013م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/i6NmRJ
3. مجموعة فيتش Fitch Group هي الشركة الرائدة عالمياً في مجال خدمات المعلومات المالية مع عمليات في أكثر من 30 بلداً. وتتكون مجموعة فيتش من: فيتش راتينغس، وهي شركة عالمية رائدة في مجال التصنيفات الائتمانية والبحوث؛ فيتش سوليوشنز، المزود الرائد لبيانات سوق الائتمان، والأدوات التحليلية وخدمات المخاطر؛ (بمب ريزارتش)، وهي مزود مستقل لمخاطر البلد وتحليل الصناعة متخصص في الأسواق الناشئة والوطنية؛ وفيتش ليارنينغ، وهي شركة رائدة في مجال التدريب والتطوير المهني. مع المقر المزودج في لندن ونيويورك، فيتش المجموعة هي التي يملكها هيرست معظمها. للمزيد يُنظر: About, Fitch Group. available at: goo.gl/YX3WeZ
4. شركة موديز المدرجة في بورصة نيويورك تحت الرمز: "نيس: مكو"، تُعدّ عنصراً أساسياً في أسواق رأس المال العالمية؛ حيث توفر تصنيفات ائتمانية وبحوثاً وأدوات وتحليلات تُسهّم في الأسواق المالية الشفافة والمتكاملة. وهي الشركة الأم لخدمات موديز للمستثمرين، التي تُقدّم تصنيفات ائتمانية وبحوثاً تُغطّي أدوات الدين والأوراق المالية، وموديز أناليتيكس، والتي تقدم البرامج الرائدة والخدمات الاستشارية والبحوث من أجل تحليل الائتمان والتحليل المالي لإدارة المخاطر. وتوظف المؤسسة، التي سجلت عائدات بلغت 3.6 مليار دولار في عام 2016م، ما يُقرب من 10700 شخص في جميع أنحاء العالم وتحافظ على وجودها في 36 بلداً. للمزيد يُنظر: About Moody's, Moody's Corporation. available at: goo.gl/YcikjB
5. JCR شركة محدودة للتصنيف الائتماني تعمل كوكالة تصنيف "الخدمة الكاملة" تُقدّم خدمات التقييم المستقل في باكستان. وتُعتبر مشروعاً مشتركاً بين وكالة التصنيف الائتماني اليابانية المحدودة، وكالة التصنيف الحيوية في اليابان، فيتال إنفورماتيون سيرفيسز (بت)، ليميتد (فيس)، وهي مؤسسة البحوث المالية المستقلة الوحيدة في باكستان وبورصة كراتشي وبورصة إسلام آباد. للمزيد يُنظر: About- JCR- VIS Credit Rating Co. Ltd., available at: goo.gl/UWBuWE
6. "التصنيف السيادي لتركيا يحافظ على تقدير الجدارة الائتمانية في مجال الاستثمار"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، 20 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BQHYTN

الأمر الذي سينعكس إيجاباً على جذب مزيد من الاستثمار الأجنبي المباشر. كما عملت الحكومة أيضاً على تطوير العلاقات التجارية والمالية مع بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، بتوقيع الاتفاقيات الثنائية في مجال التجارة الحرة، وإلغاء تأشيرات الدخول لتركيا. هذا إلى جانب تمتين وتطوير علاقات تجارية أقوى مع دول أمريكا اللاتينية والبلقان وروسيا والصين. مما خلق مجموعة أكثر تنوعاً من الشركاء التجاريين وفرص تمويل أكبر للاستثمار(1).

عوائق عدم الاستقرار السياسي للاستثمار:

• العنف والإرهاب:

حسب رؤية تركيا؛ فإن النمو الاقتصادي وتوليد الدخل في تركيا بعد سنة 2002م، لم يستند إلى المدخرات المحلية، بل سعى إلى القطاع الخاص، وإلى رأس المال الأجنبي، وهو السبب الرئيس لارتفاع عجز الحساب الجاري(2). ونقص المدخرات المحلية في هذه الحالة قد يؤدي، خاصة مع الأزمات المالية الدولية كأزمة 2008م، إلى خفض الاستثمارات مقارنة مع بلدان أخرى ككوريا الجنوبية.

لكن ومن جانب آخر، فإن جذب الاستثمار اصطدم بعناصر عدم الاستقرار السياسي. ومنها عودة العنف السياسي والاقتتال المتقطع بين الحكومة والأكراد(3). وهو عُنف ناجم

1. "الاقتصاد التركي أكثر جاذبية للمستثمرين مع توقعات جيدة بالنمو"، صحيفة الوطن الكويتية، 18 نوفمبر 2012م، تاريخ الزيارة: 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LDBYYf
2. "الاقتصاد التركي خلال عقد العدالة والتنمية"، مرجع سابق.
3. خلال السنوات الثماني الماضية شهدت العلاقة بين الحكومة التركية وحزب العمال الكردستاني عدة محطات مختلفة تراوحت ما بين سرية في العاصمة النروجية أوسلو، خلال العام 2010م، لكنها لم تُسفر عن نتائج تُذكر لإنهاء الأزمة، الأمر الذي أدى إلى تصاعد القتال بين الجانبين في صيف 2012م، ومن ثم جولة جديدة من المفاوضات بين الجانبين في أكتوبر 2012م، أعقبها إعلان رئيس الوزراء التركي، آنذاك، رجب طيب أردوغان، في ديسمبر 2012م، عن محادثات مع رئيس حزب العمال عبدالله أوجلان في السجن من أجل إنهاء الأزمة، ثم جولة مفاوضات جديدة مع أوجلان في مارس 2013م، أعقبها إعلان الحزب رسمياً وقفاً لإطلاق النار مع الحكومة التركية؛ حيث دعا أوجلان مقاتليه إلى وقف القتال والانسحاب إلى خارج حدود تركيا. لكن هذا الاتفاق أصيب بانتكاسة كبيرة حينما قام مقاتلو الحزب بقتل شرطيين تركيين في يوليو 2015م، فانتهت عملية السلم الأهلي وعادت العمليات القتالية والمداهمات الحكومية. وقد شهدت الفترة من أغسطس 2015م إلى 2018م عمليات عسكرية موسعة من قبل الجيش التركي داخل معقل حزب العمال الكردستاني، في الجنوب التركي، وفي سوريا والعراق كذلك، أسفرت عن مصرع وإصابة المئات من الجانبين. للمزيد يُنظر: "محطات من صراع تركيا وحزب العمال الكردستاني"، الجزيرة نت، 26 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pC2v3k

عن اختلاف الرؤى بين الحكومة وحزب العمال الكردستاني، فرؤية الحكومة التركيّة تركّز على الحل الأمنيّ في المقام الأوّل، أي: الحصول على ضمانات من الحزب لتسليم الأسلحة، وعدم ارتكاب عمليّات عنف جديدة والخروج من تركيا، مقابل إصدار عفو عام عن كوادر الحزب، والإفراج عن عددٍ من عناصره، وإقرار قانون للإدارة المحليّة يشمل كلّ أنحاء تركيا؛ حيث تكشف هذه الخطوات في مجملها أن الانفتاح التركيّ على الأكراد ربما يكون تكتيكاً أكثر منه سياسة جديدة للتعامل مع التحدّيات الداخليّة. وبالطبع فإنّ ضعف قدرّة تمويل الاستثمارات تؤدّي إلى ضعف النموّ الاقتصاديّ الذي يتبعه انخفاض إيرادات الحكومة، واحتمال خفض الإنفاق الاجتماعيّ؛ الأمر الذي قد يؤدّي إلى تدهور في شعبيّة الحكومة وفي الاستقرار السياسيّ ككل.

• الملفّ السوريّ، والخلافات مع روسيا:

إن مجيء التحدّيات الخارجيّة المرتبطة خاصة بالأزمة السوريّة، وتحوّل الثورة هناك إلى صراع مسلّح بين قوَى المعارضة المسلّحة والجيش الحكومي منذ عام 2011م، أدّى بتركيا إلى التّدخّل في الأزمة السوريّة. كما أن نشاط حزب العمل الكردستاني دفع بتركيا إلى التّدخّل كذلك في شمال العراق.

وهناك أيضاً الاضطرار إلى إجراء انتخابات مبكرة لإكساب الحكومة أغليّة مستقرّة، ومحاولة الانقلاب العسكريّ في 15 يوليو 2016م، واضطرار الحكومة لتعديل الدسّتور للاعتماد عليه كحقيقة قانونيّة. وأيضاً التّدخّل العسكريّ الروسيّ في سوريا، وما نتج عنها من تفجّر الخلافات مع روسيا، وخاصّة بعد حادثة إسقاط المقاتلة الروسيّة، وتهديد موسكو بفرض عقوبات اقتصاديّة على تركيا. وفي نفس الوقت استمرّ خطر الإرهاب في نشر ظلاله القاتمة، ممثلاً بانتشار داعش وتمكّنها من بسط سيطرتها على مناطق واسعة من سوريا والعراق، واستمرار عمليّات التفجيرات الإرهابيّة في عدة مدن تركيّة (1).

1. Fabian Briegel, Turkey: ongoing political instabiliy, RaboResearch- Economic Research, April 25, 2016, available at: goo.gl/Ut6AYK

• الصِّراعُ السِّيَاسِيُّ الدَّاخِلِيُّ والأَزْمَاتُ السِّيَاسِيَّةُ:

اشتهرت تركيا بتكرار الأزمات السِّيَاسِيَّةِ، قبل 2002م، وعلى سبيل المثال شهدت تركيا اثنتي عشرة حكومة أقلِّيَّة (1)، وأخرى ائتلافِيَّةً خلال مدة تسعة شهور من عام 1971م، كما تعرَّضَتْ في عَقْدِ التسعينات من القرن الماضي إلى أزماتٍ سِيَّاسِيَّةٍ دائمة بسبب التناقض بين هيئات الحُكْم والأحزاب حول إلغاء عقوبة الإعدام (2)، والسماح باستخدام اللغة الكُرْدِيَّة لتصبح أكثر اتساقاً مع معايير الاتِّحاد الأوروپيِّ، على سبيل المثال لا الحصر.

ومنذ انتخابات العام 2007م، سَادَ التَّوَتُّرُ السِّيَاسِيُّ بشكلٍ شَبُهٍ دائِمٍ في تركيا مع العسکر وما يُسَمَّى بالدَّوْلَةِ العميقة (3)، واتَّهَمَ الحكومة لها بالقيام بمحاولات الانقلاب، إلى جانب الضغوط التي يمارسها الجيش على السُّلْطَةَ السِّيَاسِيَّةِ، ونهج عمليَّات الاغتيالات والمؤامرات.

1. يُقصدُ بها تلك الحكومة التي يلجأ فيها حزب الأغليَّة، مع عدم تَمَكُّنِه من الحصول على نسبة 50% + 1 أصوات الناخبين، إلى الاستعانة بدعم وزاري من خارج البرلمان، وذلك شريطة أن تحصل تلك الحكومة على الثقة البرلمانيَّة. ومن أبرز حكومات الأقلية التي شهدتها تركيا؛ حكومة سليمان ديميرال في عام 1979م، واستمرَّت نحو عام في الحكم، وحكومة تانسو تشيلير في عام 1994م، والتي لم تستمرَّ إلا أربعة أيام إذ لم تستطع كسب ثقة البرلمان. للمزيد يُنظر: "ماهي حكومة الأقلية، وهل يمكن تأسيسها في تركيا؟"، ترك برس، 9 يونيو 2015، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/adQUKm

2. في نوفمبر 2003م، ألغت تركيا رسمياً عقوبة الإعدام في أوقات السُّلْم، وذلك استجابةً لضغوط الاتِّحاد الأوروپيِّ الذي اعتبر هذا الإلغاء من أهم شروط انضمام تركيا لعضوية الاتِّحاد، وفي عام 2004م، وقَّعت تركيا بروتوكولاً إضافياً للمحكمة الأوروپيَّة لحقوق الإنسان يَحْظُرُ عقوبة الإعدام، يُدَّكَّرُ أن آخر حكم للإعدام في تركيا كان قد صدر في عام 1984م، وذلك قبل إلغاء العقوبة قانونياً، وكان الرئيس رجب طيِّب أردوغان قد أُلْحِقَ إلى إمكانيَّة تطبيق عقوبة الإعدام بحق المتورِّطين في المحاولة الانقلابيَّة الفاشلة في 2016م في حال وافق البرلمان على ذلك. للمزيد يُنظر: "تعرف على عقوبة الإعدام في تركيا والعالم عبر 6 أسئلة"، صحيفة زمان التُّرْكِيَّة، 7 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LD9Gwa

3. يشير مفهوم الدولة العميقة إلى "مجموعة من المؤسسات القسريَّة، والفاعلين المجتمعيين، الذين تجمعهم شبكة من العلاقات والتحالفات داخل الدولة، تضمُّ أطراً رسميَّة وأخرى غير رسميَّة، نافذة، تكون لها مصالح مُعيَّنة، متشابهة ومتقاطعة، مدفوعة سِيَّاسِيَّاً بمنطق الوصاية على المجتمع، تقوم بالدفاع عن مصالحها، في مواجهة الحُكَّام المُنتَخِبِينَ ديمقراطيَّاً والمُتَّيِّنين الشعبيين، وغالباً ما تجمع بين مكوناتها المؤسسات المُخْتَكِرَةُ للقُوَّة في الدولة؛ الجيش، وقوى الأمن الداخلي، والبنى الاستخباراتيَّة، وتبرر ممارساتها دائماً بزعم الدفاع عن مصالح وُجُودِيَّةٍ للأمة". للمزيد يُنظر: Patrick H. O'Neil, The Deep State: An Emerging Concept in Comparative Politics, University of Puget Sound, Washington, August 2013, P, 3

وتجلى الاستقطاب السياسي المهين في تركيا بالواجهة القائمة في الأعوام 2008 و2009م بين حكومة العدالة والتنمية ومجموعات إعلامية ورجال أعمال مغتربين تنظر إليهم الحكومة كقريبين من الحكم العسكري السابق. وانتشر في نفس الفترة الحديث عن شبكات الدولة العميقة التي اتهمت بالتخطيط لمحاولة الانقلاب العسكري الفاشلة في يوليو 2016م، والتي تلتها اعتقالات واسعة في صفوف الجيش والقضاء والتعليم والمنظمات المدنية.

• أثر عدم الاستقرار السياسي على جذب الاستثمار:

كل العواصف السابقة ترفع مستوى مخاطر عدم الاستقرار السياسي، وعرقلة السياسات المحفزة للنمو والاستثمار. وكان من المفترض أن يتمخض عن ذلك انخفاض في الصادرات وضعف الطلب المحلي، وانخفاض تدفق السوآح الأجانب، مما نتج عنه ضعف في القدرة على تمويل الاستثمارات (1). وتبين الإحصاءات في هذا الصدد، تراجعاً في الاستثمار الخارجي المباشر إلى تركيا بنحو 44.3% في العام 2016م مقارنة بالعام 2015 (2)، كما أدت الأوضاع السياسية في المنطقة إلى تغيير في خريطة الاستثمارات الأجنبية المباشرة في تركيا، فبعد أن كانت الاستثمارات الأوروبية تشكل 75% من إجمالي الاستثمارات الأجنبية في البلاد، والأمريكية 15%، تراجع نسبة الاستثمارات الأوروبية إلى نحو 65% والأمريكية إلى نحو 9%، وفي المقابل ارتفعت نسبة الاستثمارات الروسية في تركيا من 2% إلى 6%، كما ارتفعت استثمارات دول الشرق الأوسط من 8% إلى 16% (3).

1. Fabian Briegel, Turkey: ongoing political instability, RaboResearch- Economic Research, April 25, 2016, available at: goo.gl/Ut6AYK
2. "الاستثمارات الأجنبية المباشرة في تركيا تتراجع 44% خلال 10 أشهر"، صحيفة الاقتصادية، 24 ديسمبر 2016، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Uaebqs
3. "تركيا تسعى لجذب استثمارات أجنبية بقيمة 15 مليار دولار خلال 2017"، تركيا بوست، 31 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/a1yjyn

وهناك أيضاً العديد من عوامل القوة والضعف المؤثرة في جذب الاستثمار الوطني والخارجي. وهي عوامل ذات صلة بالاستقرار السياسي، وإن كانت ذات طبيعة غير سياسية: رضا الناس عن الحكومة، وترسخ حقوق الإنسان، وحماية الملكية الفكرية، وقيم مناهضة الفساد.. الخ. وقد نجحت الحكومة التركية في الاستفادة من عوامل القوة ومعالجة عوامل الضعف. فعندما يتعزز نجاح الحكومة في تطبيق السياسات التي تحقق مصالح مختلف المكونات الشعبية والقومية والاقتصادية لتركيا، يترسخ رضا هذه المكونات عن الحكومة، ويترسخ الاستقرار السياسي عبرها. وينطبق هذا بقدر كبير على الفترة من 2003م إلى 2010م. وهي الفترة التي جذبت فيها تركيا استثمارات كبيرة، وحقق تحسناً في المؤشرات الاقتصادية، كتضاعف متوسط الدخل الفردي في السنة من 3300 دولار عام 2003م إلى 13300 عام 2013(1).

ومن عوامل القوة الاقتصادية الجاذبة للاستثمار ما يلي(2):

1. قوة الموقف المالي للحكومة، بالانخفاض النسبي للدين العام عند مستوى 35% من الناتج المحلي الإجمالي.
2. تحسن تمويل الحكومة، ومن ثم تحسن تمويل الخدمات الاقتصادية والأمنية؛ الأمر الذي ينعكس إيجاباً على الخدمات اللوجستية.
3. تحسن الإنفاق الاجتماعي الذي يليه رضا اجتماعي عن الحكومة وزيادة الاستقرار السياسي، واستقرار الاقتصاد الكلي، إلى جانب الموقع الاستراتيجي والسوق المحلي الضخم والإعفاءات الضريبية، الذي يؤدي إلى جذب المستثمرين وزيادة تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر.
4. ضخامة السوق المحلي، وقوة العمل الشابة المؤهلة الذي يفتح أفقاً واسعة للاستثمار المربح، وجذب المزيد من الاستثمارات الوطنية والأجنبية.

1. محمود سمير الرنتيسي، "الدور التركي في شرق إفريقيا: الدوافع والمكاسب"، مرجع سابق.

2. Fabian Briegel, Turkey: ongoing political instability, Op.Cit.

وفي مقابل كل هذا هناك عناصر ضَعْف تَتَمَثَّلُ في: عجز الموازنة العامَّة الَّذِي بلغ نحو 9.7 مليار دولار أمريكي) في العام 2016، في حين أنه تجاوز الـ 7 مليارات دولار خلال النصف الأوَّل من العام 2017(1)، كما أقرَّ البرلمان التُّركيُّ، في ديسمبر 2017، ميزانيَّة الدَّولة للعام 2018 بعجزٍ مَالِيٍّ مُتَوَقَّعٍ يُقدَّرُ بنحو العجز المالي 17.28 مليار دولار أمريكي(2)، إلى جانب الاحتياطي الضعيف نسبياً من النقد الأجنبي.

دور الحكومة في التغلُّب على عوائق الاستثمار:

لقد تَمَكَّنَتِ الحكومة التُّركيَّة من تلافِي العواصف السابقة، والتَّحوُّل إلى التحالف مع روسيا(3) لتسوية المِلْف السوري، وتَمَكَّنَت من تعديل الدُّستور في البرلمان وطرحه للاستفتاء الشعبي(4) وانتقلت إلى النِّظام الرئاسي(5).

1. "7 مليارات دولار عجز ميزانيَّة تركيا في النصف الأوَّل"، صحيفة الشرق الأوسط اللندنيَّة، 19 يوليو 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1yhk43
2. البرلمان التُّركي يوافق على ميزانية 2018م"، رويترز، 23 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pTLBBH
3. تَطَوَّرَتِ العلاقات التُّركيَّة الرُّوسِيَّة بشكل كبير في ظلِّ التقارب بين شخصي الرئيسين رجب طيِّب أردوغان وفلاديمير بوتين، اللذين يديران علاقات صعبة مع الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة وحلفائها الغربيِّين، وقد تجاوز البلدان الكثير من العقبات التي كادت أن تَعَصِفُ بالعلاقات فيما بينهما، مثل حادثة إسقاط المقاتلة الرُّوسِيَّة في الأجواء التُّركيَّة ومقتل السفير الروسي في أنقرة، إلى جانب الموقف التُّركيِّ الراض لضمِّ روسيا لشبه جزيرة القرم وتدخلها العسكري في جورجيا قبل عدة سنوات، إلى جانب تعارض موقف أردوغان وبوتين من رأس النِّظام السوري بِشَّار الأسد. ومع ذلك فقد نسج الطرفان علاقات خاصة، ربما بفعل المصالح المشتركة من جهة، والعلاقات المضطربة مع الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، وخاصة منذ صعود دونالد ترامب إلى سُدَّة الحُكْم، من جهة أخرى، ومن ثَمَّ فقد ذُوِّبَت المصالح المشتركة جليد الخلافات بين البلدين. ولعلَّ أبرز صور العلاقات الخاصة بين أنقرة وموسكو وضع الحجر الأساس لمحطة "أك كويو" النوويَّة التُّركيَّة، وهو مشروع مشترك بين الجانبين بقيمة 20 مليار، واتفاقية خط أنابيب نقل الغاز ترك ستريم، في 2016م، إضافة إلى ارتفاع التبادل التجاري الروسي التُّركيِّ إلى حوالي 40 مليار دولار. للمزيد يُنظَر: "المثلث التُّركيِّ الروسي الإيراني.. هل يتحوَّل التقارب إلى تحالف؟"، دويتش فيله، 4 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tC2dwp
4. وافق الشعب التُّركي في 16 أبريل 2017، على التعديلات الدُّستوريَّة التي قَدَّمَهَا حزب العدالة والنَّمِيَّة الحاكم، للتَّحوُّل بالبلاد من النِّظام البرلماني إلى النِّظام الرئاسي، بنسبة 51%، وعلى إثر ذلك جرت أول انتخابات رئاسيَّة في تركيا، وفقاً للنظام الجديد، وفاز الرئيس أردوغان بولاية رئاسيَّة ثانية، كأول رئيس للجمهورية التُّركيَّة بعد إقرار النِّظام الرئاسي. وبموجب النِّظام الجديد سيَتِمُّ تنظيم الانتخابات البرلمانيَّة والرئاسيَّة بشكل متزامن، وتصبح مُدَّة الرئيس 5 سنوات قابلة للتجديد لولاية واحدة، ومدة الدورة البرلمانيَّة 5 سنوات بدلاً من 4 سنوات، كما يزيد عدد أعضاء البرلمان من 550 إلى 600 عضو، وخفض الحد الأدنى لِسِنِّ التُّواب من 25 سنة إلى 18 سنة. للمزيد يُنظَر: "أردوغان يبدأ الاثنين ولايته الجديدة رئيساً لتركيا"، تركيا بوست، 6 يوليو 2018م، تاريخ الزيارة: goo.gl/9fUHKa
5. النِّظام الرئاسي أحد الأنظمة السِّياسيَّة الديمقراطيَّة التمثيليَّة، ويقوم على مبدأ الفُصلِّ بين السلطات الثلاثة: التنفيذيَّة، التشريعيَّة، والقضائيَّة، ويرتكز النِّظام الرئاسي على السلطة التنفيذية ورأسها هو رئيس الجمهورية الذي يَتِمُّ انتخابه بالاقتراع المباشر من الشعب ويكون له صلاحيات واسعة؛ حيث يختار الحكومة لتنفيذ برنامجه السِّياسي وتكون مسؤولة أمامه وليس أمام البرلمان، وله الحق في حلِّ الحكومة. للمزيد يُنظَر: "النِّظام الرئاسي وشبه الرئاسي"، الجزيرة نت، 31 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FU4AJ

فيما توجد مخاطر وقيود أخرى تحدُّ من الاستثمار وترتبط بالاستقرار السياسي والقانوني والضبطي. فالمستثمرون يُعبِّرون عن قلقهم من التقلُّب السريع في القوانين والقواعد التي تحكِّم الاستثمار؛ حيث يحدث التغيير فيها بسرعة، وبدون تقييم نتائجها الضارَّة على المدى الطويل الذي يطلِّبُه تخطيط الاستثمار. كما أن هناك مؤشِّرات تحكِّم مُنَاح الاستثمار كالتنافسية والشفافية، وسهولة ممارسة الأعمال. وحسب مؤشِّر البنك الدولي لعام 2016م لسهولة الأعمال، تحتلُّ تركيا في هذه المؤشِّرات المراتب التالية (1):

- 55 من بين 189 بلداً في سهولة ممارسة الأعمال (أي: الاستثمار).
- 94 من بين 189 بلداً في سهولة افتتاح الشركات.
- 51 من بين 140 بلداً في مؤشر التنافسية الدولي.
- 66 من بين 167 بلداً في المؤشر الدولي للشفافية والفساد لعام 2015م.

وهناك مؤشِّرات أخرى ترتبط بالاستقرار السياسي، مثل حقوق الإنسان، والملكية الفكرية، والتي تحسَّنت مع سعي تركيا إلى ملاءمة أنظمتها مع أنظمة الاتحاد الأوروبي والاقتصادات المتقدِّمة الأخرى الشركة لتركيا. فضلاً عن جوانب حماية البنى التحتية والمنشآت، ومكافحة الجريمة المنظمة، والتي تواكب عادةً تحسُّن قدرَّة الحكومة التمويلية لخدمات الأمن والقضاء والخدمات الاقتصادية الأخرى.

ولذلك وبعبارة التوفُّعات السابقة، وحسب الإحصاءات الرسمية، استمرت تركيا بجذب الاستثمارات الأجنبية أقوى من أي وقت مضى، وفقاً لوكالة دعم وتشجيع الاستثمار التركية (2) (ISPAT)، والرابطة العالمية لوكالات تشجيع الاستثمار (3) WAIPA، حول

1. Transparency International corruption indicators.-Global Competitiveness index 2015, World Economic Forum.
2. وكالة دعم وتشجيع الاستثمار التركية هي المنظمة الرسمية المسؤولة عن ترويج فرص الاستثمار في تركيا بين الدول والمنظومات التجارية في العالم، كما أنها هي المنظمة المسؤولة عن مساعدة المستثمرين قبل دخولهم إلى البلاد، وكذلك بعد دخولهم إلى تركيا، كما تتولَّى المنظمة المسؤولة عن تشجيع الاستثمارات اللازمة لإحداث مزيد من التنمية والتقدم الاقتصادي في البلاد. للمزيد يُنظر: معلومات حول وكالة دعم وتشجيع الاستثمار التركية (ISPAT)، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار التركية، د. ت، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/sxFAow
3. الرابطة العالمية لوكالات ترويج الاستثمار (WAIPA) منظمة غير حكومية تأسست عام 1995، في جنيف، بموجب القانون السويسري، تتضمَّن الرابطة 170 عضواً من 130 دولة، وتعمل على ترويج فرص الاستثمار للتواصل وتبادل الرأي والخبرات بشأن أفضل الممارسات الاستثمارية حول العالم. للمزيد يُنظر:

"About us",The World Association of Investment Promotion Agencies (WAIPA), available at: goo.gl/CeJnh9

مُسْتَجِدَّات أداء FDI لتركيا؛ حيث استطاعت تركيا جذب 10.05 مليار دولار أمريكي خلال الأشهر العشرة الأولى من عام 2014م، أعلى بنسبة 6.4% من نفس الفترة في العام 2013م، وخاصّة في قطاع التعدين. مع تَوَقُّعات باستمرار هذا التوجُّه خلال الفترة من 2015 - 2017م⁽¹⁾.

ونستخلص من كل ما سبق أن "تركيا في الأساس دولة زعيمة، رائدة بحكم طبيعتها، هي قُوَّة اِقْتِصَادِيَّة الآن، لكن دورها المستقبلي يتمحور حول نموذجها الثقافي؛ حيث ستمكن من قيادة الدول الإسلاميَّة في الشرق الأوسط كما فعلت الإمبراطوريَّة العُثمانيَّة سابقاً، وفقاً لجورج فريدمان⁽²⁾، المدير التنفيذي لستراتفور⁽³⁾.

وعبر هذه المكوّنات الأساسيَّة للقُوَّة من بين أخرى: اقتصاد / ثقافة، عرّف أحمد داود أوغلو كيف يستثمر جيّداً مساحات نظريَّة العمق الاستراتيجي المتوّجّلة في الحدود الجغرافيَّة، والهويّات، وقواسم الثقافة والدين المشتركة، وذلك من موقع المنظر المُتمرس منهجياً أولاً، والممارس السِّياسي على أعلى مستويات صنع القرار ثانياً، وأيضاً المدافع الثابت على مبدأ إعادة الاعتبار لتركيا "الأمّ" ثالثاً، لطرح أهداف تركيا المستقبلية في الزعامة الإقليميّة، وذلك باستعراض مصادر القُوَّة والتأثير في تجربة تركيّة فريدة، تتوسّل شقّها "الناعم"، وتلتزم بحدوده، ولا تحيد عنه إلى نسخه "الصّلبة" إلاّ لِمَأمًا، وفي أقصى درجات الاضطراب⁽⁴⁾.

1. "تركيا تبرز في جذب الاستثمارات- رئيس وكالة دعم وتشجيع الاستثمار التُّركيّة"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، 22 يناير 2015م، تاريخ الزيارة 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/IkdhoV
2. جورج فريدمان George Friedman مؤسس وكالة ستراتفور الاستخبارية الأمريكيَّة للأبحاث عام 1996م، وهو مُختصّ بالتوقُّعات الجيوسياسيّة وخبير استراتيجي معروف عالمياً في الشؤون الدوليَّة، حاصل على درجة البكالوريوس من كلية سيتي بجامعة سيتي في نيويورك، وحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة كورنيل. للمزيد يُنظر: George Friedman. Biography, Stratfor, available at: goo.gl/ZRN832
3. إحسان الفقيه، "القُوَّة التُّركيّة النّاعمة في العالم العربي"، مرجع سابق.
4. انظر في ذلك: أحمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي.. موقع تركيا ودورها في الساحة الدوليَّة، مرجع سابق.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وفي خلاصة لدور تركيا الجديد، ومن موقعه كمستشار لرئيس الوزراء السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان آنذاك، يقول أوغلو: "إن تركيا لديها الآن رؤية وسياسة خَارِجِيَّة قَوِيَّة نحو الشرق الأوسط والبلقان ومنطقة القوقاز. سنسعى لدور إِقْلِيْمِيٍّ أَكْبَر، ولم نَعُدْ بلد رَدِّ فِعْلٍ" (1).

1. انظر في ذلك: أحمد داود أوغلو، العُمُقُ الاستراتيجيُّ.. موقع تركيا ودورها في الساحة الدُولِيَّة، المرجع السابق.

الفصل السابع

السِّيَاحَة وَالْفَنُونِ ..

قُطْبَانِ لِقُوَّةِ النَّاعِمَةِ التُّرْكِيَّةِ

- مقدمة
- **المبحث الأول: أهُمِّيَّةُ التَّأثِيرِ الثَّقَافِيِّ وَالْحَضَارِيِّ التُّرْكِيِّ**
 - تركيا الحضارة العريقة والأصالة العميقة
 - تركيا الفنون الجميلة.. لوحات تحاكي جمال البلاد والعباد
 - تركيا الموسيقى والمسلسلات.. رومانسيَّة وتاريخ وبطولات أسطوريَّة
 - المطبخ التُّرْكِيِّ.. توابل ونكهات الشرق في لقاء الغرب
- **المبحث الثاني: دور السِّيَاحَةِ التُّرْكِيَّةِ فِي تَغْيِيرِ نَظَرَةِ الْعَالَمِ لِتُرْكِيَا**
 - تركيا تقاليد ضيافة وحفاوة متوارثة
 - تركيا والسِّيَاحَةِ العَرَبِيَّةِ.. علاقة وثيقة إلى حدِّ الاندماج
 - تركيا.. عوامل ضَرَّرَ لِلسِّيَاحَةِ
- **المبحث الثالث: الأعمال الدرامية والسينما.. تأثيرها وفوائدها**
 - **المبحث الرابع: أعمال درامية تُرْكِيَّة نالت نجاحاً عالمياً**
 - إطلالة إحصائية الدراما التُّرْكِيَّة في الصِّدَارَةِ
 - نماذج مُتَمَيِّزَة:
 - « أولاً: مسلسل قيامة أرطغرل
 - « ثانياً: مسلسل وادي الذئاب
 - « ثالثاً: مسلسل السلطان عبدالحميد الثاني
 - يمكن للفن أن يكون رسالياً

الفصل السابع

السِّيَاحَةُ وَالْفَنُونُ ..

قِطْبَانٌ لِّلْقُوَّةِ النَّاعِمَةِ التُّرْكِيَّةِ

مقدمة

حتى انهيار نظام الخلافة في تركيا سنة 1924م، كانت إسطنبول حاضرة الدولة العثمانية الأولى بأسمائها العديدة تمثل عظمة، هيبة، وغنى إمبراطورية شاسعة بأكملها، من قبيل: الباب العالي، مقر الخلافة، مقر السلطنة، دار السيادة، دار السعادة، وبوابة النعيم وغيرها، ناهيك عن أسماء كثيرة أخرى وبلغات مختلفة تحتفي بهذا الجانب أو ذاك من الحضارة والجمال. فيما أحوالها تدل على أحوال التمازج العرقي والتسامح العقائدي، ناهيك عن الرقي والجمال العمراني المميز لتركيا في عهد العثمانيين كافة.

وإذا كان ابن بطوطة (1) المغربي الشهير برحلاته البرية والبحرية الطويلة، وأوصافه لأحوال البلدان العجيبة، قد ضرب المثال بمدينة العليّة التركية؛ إذ يقول في بداية وصف رحلته إلى ما أسماها آسيا الصغرى، أي تركيا اليوم: "وقد جمع الله ما تفرّق من المحاسن في البلاد، فأهله أجمل الناس صوراً، وأنظفهم ملابساً، وأطيبهم مطاعم" (2).

1. هو أبو عبدالله محمد ابن بطوطة، (1304-1377م)، فقيه ورحالة مسلم من البربر، وُلِدَ في طنجة بالمغرب، ويُعدُّ ابن بطوطة من أعظم الرحالة على مرّ العصور، وهو معروف بقصص رحلاته وكشوفه الجغرافية، والتي جمعها في كتابه الأشهر؛ "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". للمزيد يُنظر: رحلة ابن بطوطة، المكتبة الرقمية العالمية، د. ت، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nGqjzD

2. للمزيد عن رحلة ابن بطوطة لمدينة إسطنبول، التي كانت تُسمى قديماً القسطنطينية، يُنظر: ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى، 1322 هـ، الجزء الأول، ص ص 262-267.

فإن نظيره الأديب الفرنسي الشهير جيرار دي نرفال (1) Gérard de Nerval قال عن عاصمة بني عثمان: "إسطنبول مدينة عجيبة، يعيش فيها جنباً إلى جنب شعوبٌ أربعة في غير كرهٍ بينهم ولا أحقاد، فالتسامح الذي يبديه هؤلاء من الأتراك والأرمن واليهود والروم فيما بينهم، لا نستطيع أن نراه عندنا بين من يتمون إلى ولايات وأحزاب مختلفة" (2).

تتعدّد الأوصاف والإشارات التاريخية الأدبية؛ حيث تُعتَبَر تركيا من ضمن بلدان العالم التي حباها الله جمالاً يُلهب القلب، ويسلب العقل حسناً وافتتاناً؛ فهي من أجمل البلدان الشرق أوسطية من حيث المناظر الطبيعية؛ والمناخ المعتدل؛ والحضارة العريقة. فلا عجب أن تصبح قبلةً للسياحة والاستجمام في العالم. ولذا تُعتَبَر تركيا البلد السياحي الأشهر عالمياً في السنوات الأخيرة. فمن يبحث عن السياحة المحافضة يلجأ لهذه البلاد الشهيرة بالمآذن الإسلامية والمتاحف العريقة، ومن يرغب بالسياحة الشاطئية فهي تشتهر بروعة شواطئها وسحر مياهها؛ ومن يسعى لاكتشاف التاريخ والحضارة فلن يجد قبلةً أفضل من تركيا.

وتمتلك تركيا تشكيلة فريدة من القصور الأثرية والقلاع التاريخية والمدافن السلطانية والزوايا الطرقية، لتمنح قاصدها سفيراً لا مثيل له عبر الزمن، أما لمن يبحث عن السياحة العلاجية ومزايا الشمس والطين والينابيع الطبيعية، فلا بد من ذكر تركيا التي تتربّع بمنتجاتها الاستشفائية ومراكزها التجميلية على عرش هذا الصنف من الخدمات السياحية المطلوبة جداً.

1. أديب فرنسي وشاعر وكاتب مقالات ومترجم، (22 مايو 1808م - 26 يناير 1855م) اسمه الحقيقي جيرار لابروني Gérard Labrunie.

2. للمزيد عن رحلة جيرار دي نرفال لإسطنبول، يُنظر:
Gérard de Nerval, Istanbul Yolunda, Parsomen, Turkey, (2009).

ومن يرغب بهدوء الطبيعة والاستجمام في الهواء الطلق والخضرة، فمناظر تركيا الجميلة والغابات الظليلة تقي بالعرض.

أما الباحث عن سياحة السُّوق، فتركيا شهيرة ببازاراتها المتنوعة؛ ومراكز التسوق المتعددة، التقليدية منها والعصرية، لذلك لا يُستغرب وصول عدد السياح الزائرين لتركيا إلى أكثر من 30 مليون سائح سنوياً⁽¹⁾.

ويرجع ذلك أيضاً إلى حرص الحكومة التركية على تقديم العديد من الإجراءات للمستثمرين والتسهيلات للسياح، ومنها إلغاء التأشيرة بالنسبة لعدد لا يُستهان به، وعلى رأسها مجموعة من الدول العربية الإسلامية. إذ تنتهج حكومة العدالة والتنمية منذ استلامها السلطة، استراتيجيات فعّالة للنهوض بالقطاع السياحي عبر سياسات مُحدّدة، تُسهم في إزالة أي حواجز بيروقراطية إدارية، تُعيق النمو في القطاع السياحي في البلاد.

1. انظر الموقع الرسمي لوكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qBQMSQ

المبحث الأول

أهميّة التأثير الثقافي والحضاريّ التركيّ

لتركيا تأثير حضاريّ وثقافيّ لا يُقاوم، بما أنها تجمع سحر الشرق ووهج الغرب، في تناغم وتمازج فريدين. وذلك يرجع أولاً إلى جذور تركيا الضاربة في عمق التاريخ، والتي تعود إلى 10 آلاف سنة خلت، بما يؤهلها لحمل لقب "مهد الحضارات". وثانياً إلى جوارها الأوروبيّ الذي أمدّها بالكثير من مقومات الحياة الحديثة بعد ثورة كمال أتاتورك ابتداءً من 1923م، وإجراء القطيعة مع سلطة الخلافة التّاريخيّة.

وهنا لا بدّ من استحضار منطقة الأناضول كملتقى طرق لحضارات عدّة؛ سومريّة وبابليّة وأشوريّة، ومستقرّ لفلسفساء إنثيّة تتكلّم خليطاً من اللغات الهندو - أوروبيّة، مثل الحثيين (1) أو الساميّة (2) كالحوريين (3)، متعايشة تارة ومتحاربة تارة أخرى (4).

1. تُعزّبر الحضارة الحثيّة Hittites إحدى أكبر الحضارات التي شهدتها الألفيّة الثانية قبل الميلاد، ولا تقلّ أهميّةً عن بعض حضارات بلاد ما بين النهرين، التي امتدّت بعدها بقرون عدّة، وقد عاصرت الدولة الآشوريّة والبابليّة، بل ودخلت في صراعات معهما، ويرجع ذلك إلى كونها مفتاح الاتصال بين شرق العالم القديم وغربه من خلال موقعها الجيو- استراتيجيّ المهمّ في هضبة الأناضول وشمال سوريا. وقد بلغت نفوذها خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد. أما بالنسبة للأصول العرقيّة للحثيين فما زال أمرها غير محسوم، وإن كان أغلب الظنّ أنها أتت من هجرة بعض القبائل من منطقة القوقاز شمالاً، لكنّ المؤكّد أنّ هذه القبائل استوطنت وسط هضبة الأناضول في فترة زمنيّة قبل القرن العشرين قبل الميلاد، ثم بدأت تجمعاتها تفرض سطوتها على القبائل التي كانت تعيش في تلك المنطقة. للمزيد يُنظر: تاريخ الحثيين، موقع صحيفة "الشرق الأوسط" العربيّة، 11 نوفمبر 2015م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/xwSBJq>.

2. هي لغة بدائيّة افترض وجودها علماء اللغويّات؛ تطبيقاً للسلسل المنطقيّ الذي تقوم عليه اللغات عادةً، بحيث يفترضون أن اللغات تبدأ من لغة أمّ تنقسم بدورها إلى لهجات مختلفة تأخذ شكل لغات منفصلة، وهو ما ينطبق على اللّغة السامية التي اشتقت منها: العربيّة والعبريّة والآراميّة والآشوريّة والمالطيّة والأمهرية والتغريبيّة ولغة الماندنك، واللّغة التجاريّة، وتتشابه جميعها فيما بينها، وتنتشر بشكل رئيس في إفريقيا والشرق الأوسط. للمزيد يُنظر: ما هي اللغات السامية، موقع "l.q.u" العربيّة، 10 أبريل 2018م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/Wr7yfa>.

3. شعوب هندو- أوروبية "آرية" جاءت من المرتفعات الواقعة بين بحيرة أورمية وجبال زاغروس، ظهرت في التاريخ منذ منتصف الألف الثالث ق.م (أي: منذ العهد الأكادي)، وزادت مساحة الأراضي التي شغلها في منتصف الألف الثاني ق.م، وأصبح لهم كيان سياسيّ في شمال بلاد الموزوتامية وسوريا، وبعض جهات الأناضول، وبلغ نفوذهم مداه عندما أسسوا دولة قويّة شمال سوريا. للمزيد يُنظر: ماذا تعرف عن تاريخ الحوريين... ومن هم الحوريين؟ موقع صحيفة "الوسط"، 2 أبريل 2009م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/Viby5U>.

4. "ملتقى حرّان.. أدب مُتعدّد الثقافات ببلاد الأناضول"، الجزيرة نت، 24 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/emYPGk

كما شهدت تركيا أمجاداً وأقول شمس دول الجوار الكبرى آنذاك: فينيقيا(1)، اليونان(2)، الرومان(3) وفارس(4)، قبل أن تعايش سقوط الإمبراطورية البيزنطية(5)، وقيام دولة

1. اشتق اسم فينيقيا من اسم الطائر "الفينيق" دائم التجدد، كما تعني أيضاً اللون الأحمر؛ إذ تشتهر مدن فينيقيا بصناعة الصبغ الأحمر الأرجواني، وتشير فينيقيا إلى الحضارة السامية القديمة التالاسوقراطية التي نشأت شرق البحر الأبيض المتوسط وغرب الهلال الخصيب، وكانت تشمل المناطق الساحلية الواقعة الآن شمال فلسطين ولبنان وجنوب سوريا، لكن هناك بعض الخلاف بشأن مدى عمقها الجنوبي، وانتشرت هذه الحضارة عبر البحر المتوسط بين 1500 قبل الميلاد و 300 قبل الميلاد. للمزيد يُنظر: فينيقيا، موقع "المعرفة"، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/GrdZfE>.
2. عُرفت منذ التاريخ القديم باسم إمبراطورية هيلاس، وهي دولة تقع جنوب شرق أوروبا، وعاصمتها أثينا، وتعتبر مهد الحضارة الغربية، وشهدت توسعاً كبيراً على يد الإسكندر المقدوني الذي غزا الكثير من دول العالم القديم، ونشّرت الثقافة اليونانية والعلوم من شرق البحر الأبيض المتوسط إلى نهر السند، وقد ضمّتها روما في القرن الثاني قبل الميلاد، وأصبحت البلاد جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطورية الرومانية وخليفاتها، والإمبراطورية البيزنطية. للمزيد يُنظر: تاريخ اليونان، موقع "المعرفة"، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/cpRRrY>.
3. يُقصد بهم المجموعات البشرية التي هاجرت من شرق أوروبا إلى الجزر الإيطالية ابتداءً من 1200 ق.م، أي القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وأسّسوا مدينة روما القديمة، وبدأت الإمبراطورية الرومانية في التوسع التدريجي وسيطرت على معظم العالم القديم، وأصبحت حدودها شاسعة امتدت من الجزر البريطانية وشواطئ أوروبا الأطلسية غرباً إلى بلاد ما بين النهرين وساحل بحر قزوين شرقاً، ومن وسط أوروبا حتى شمال جبال الألب، وإلى الصحراء الإفريقية الكبرى والبحر الأحمر جنوباً. للمزيد يُنظر: تاريخ الرومان، موقع "موضوع"، 11 يناير 2016م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/GpL4Bi>.
4. يُقصد بها "الإمبراطورية الفارسية"، والتي تُشكل اليوم الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكانت تقع شرق وشمال شبه الجزيرة العربية، تأسست العام 559 ق.م. على يد "كورش"، وتعد من أعظم وأكبر الدول التي سادت المنطقة قبل العصر الإسلامي، حتى إنها فاقت الإمبراطورية البيزنطية في شهرتها وقوتها، لكنها بطبيعة الحال مرّت بالكثير من المراحل قبل ظهور الإسلام وبعده. للمزيد يُنظر: محمد صادق إسماعيل، كتاب "إيران إلى أين؟ من الشاه إلى نجاد"، الناشر "دار المنهل"، 2010م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/2YoGqo>.
5. أُطلق عليها أيضاً الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وهي إمبراطورية تاريخية انحدت من مدينة القسطنطينية أو بيزنطة عاصمة لها، تأسست في القرن الرابع الميلادي وظلت قائمة أكثر من أحد عشر قرناً من الزمان، وتحديداً حتى العام 1453م، وتمتعت بمكانة مهمة في التاريخ القديم؛ لأنها كانت معبراً للقوافل التجارية بين الشرق والغرب، فكانت واحدة من أقوى القوى الاقتصادية والثقافية والعسكرية في أوروبا رغم النكسات التي مرّت بها خلال الحروب الرومانية الفارسية والبيزنطية العربية، وفي القرن الرابع عشر تسببت الحروب الأهلية المتعاقبة التي شهدتها إلى استنزاف المزيد من قواها، فققدت باقي أراضيها خلال الحروب البيزنطية العثمانية. للمزيد يُنظر: الإمبراطورية البيزنطية، موقع "المعرفة"، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/nvVZRb>.

آل عثمان (1) (العثمانيون) العظيمة (2)، إلى غاية قيام الجُمهوريَّة في صيغتها الكَماليَّة العِلْمانيَّة (3) (كمال أتاتورك) سنة 1923 م.

فلا عَرَوْا إذن، أن تمتلك تركيا مُقَوِّمات تأثير غير محدودة، راكمتها من مصادر تأثُر وتلاقح ثقافيٍّ وحَضاريٍّ على مرِّ القرون والأحقاب، لتنتج لنا ثقافة غنيَّة، وعِمارة خالدة، وموسيقى شرقيَّة حاملة، وتقاليد راقية، ومطبخ تركي على صورة ثقافته وانفتاح شعبه، والتي يمزج فيها بين توابل الشرق المحافظة ولمسات الغرب الحداثيَّة.

• تركيا الحضارة العريقة والأصالة العميقة:

لأنها بلدٌ له تاريخٌ قديمٌ، مجدٌ تليدٌ، وحاضرٌ راقٍ حديثٌ، فتركيا التي تُعتَبَرُ بَوَابَةَ مَهْمَةً لأوروبا ونافذة للشرق الأوسط والعالم القديم أيضاً، المُتميِّز بطريق

1. هي الإمبراطوريَّة الإسلاميَّة التي أسَّسها عثمان الأول بن أرطغرل، العام 1299 م واستمرَّت لما يقرب من 600 سنة حتى العام 1923م، وقد نشأت بدايةً كإمارة حُدود تُركمانيَّة تعمل في خدمة سلطنة سلاجقة الروم، وتردُّ الغارات البيزنطيَّة عن الدول الإسلاميَّة، وبعد سُقُوط السلطنة استقلَّت الإمارات التُركمانيَّة التابعة لها، بما فيها الإمارة العُثمانيَّة، استطاع العُثمانيُّون العبور إلى أوروبا الشرقيَّة بعد العام 1354م، وخلال السنوات اللاحقة تمكَّنوا من السيطرة على غالبيَّة دول البلقان فتحوَّلت إمارتهم الصغيرة إلى دولة كبيرة.
2. بلغت الدولة العثمانيَّة ذروة مجدها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فضُمَّت أنحاء واسعة من قارات العالم القديم الثلاثة: أوروبا وآسيا وإفريقيا، حتى وصل عدد ولاياتها نحو 29 ولاية، وقد انتهت الخلافة بصفحتها السياسيَّة بتاريخ 1 نوفمبر العام 1922م، وأزيلت بوصفها دولة قائمة بحُكم القانون في 24 يوليو العام 1923م، بعد توقيعها على معاهدة لوزان، وزالت نهائياً في 29 أكتوبر من العام ذاته عند قيام الجُمهوريَّة التُركيَّة، التي تُعتَبَرُ حالياً الوريث الشرعيَّ للدولة العثمانيَّة. للمزيد يُنظَر: تاريخ الدولة العثمانية، موقع "موضوع"، 30 سبتمبر 2018م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/8aUnBh>
3. يُشيرُ هذا المصطلح إلى القرارات العلمانيَّة التي تبنَّتها تركيا إِبَّانَ حُكم مصطفى كمال أتاتورك؛ بهدف تقييد السُلطات الدينيَّة في البلاد وفصلها عن السُلطات والقرارات السِّياسيَّة، ومن أبرز هذه القرارات: إلغاء الخلافة الإسلاميَّة بعد إزاحة السلطان عبد المجيد، وإلغاء وزارة الشريعة والأوقاف والمدارس الدينيَّة، والعمل بالتوقيت الميلاديّ بدلاً عن الهجريّ، وتبنيُّ نَظْمِ التعلُّم والمعيشة الغربيَّة. للمزيد عن كمال "أتاتورك" وعلما نيته، يُنظَر موقع "مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية" 30 مارس 2016م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/CEL9Ur>.

الحرير الأسطوري⁽¹⁾، لها ثقافة وتقاليد موغلة في التاريخ. فَبَقَدَرٍ ما جابهت الكثير من الإمبراطوريات التي سَعَتْ على مَرِّ القرون إلى الاستيلاء عليها (موقع استراتيجي جَدُّ مُمَيِّز جعلها مَحَطَّ أطماع الجميع)، بَقَدَرٍ ما سَعَى إلى زيارتها القاصي والداني، سواءً في أيام مجدها العُثمانيِّ أو في أَوْجِ رُقِيَّهَا الحداثي مع حكومة العدالة والتَّنْمِيَّة.

فَمَع تَأْسِيس الدَّوْلَةِ العُثمانيَّة خلال سنوات 1300 - 1453م، تَشَكَّلَتْ أعمدة الهندسة المعماريَّة للفنِّ العثمانيِّ، الَّذِي لا يزال شامخاً ومرجعاً للأصالة والفخامة المعماريَّة الشرقيَّة؛ حيثُ شهدت هذه الفترة تأسيس العديد من القصور، والقلاع، والجسور، والتكايا، والنوافير، والمساجد، والمكتبات، والمتاحف. وكعلامة حَضاريَّة فارقة، يُسَجَّل التاريخ التُّرْكِيّ مآثر المهندس الشهير في عالم الهندسة الحضريَّة "معمار سَنان"⁽²⁾، الَّذِي بَصَمَ فترة السلطان العُثمانيِّ سليمان القانونيِّ بتواقيعه المعماريَّة المدهشة؛ حيثُ مثَّلت تصاميمه ذروة الإبداع التي مَيَّزَتْ الفترة الكلاسيكيَّة وأثَّرتْ كذلك في مجال العمارة العالَمِيَّة؛ إذ صمَّم ما يناهز الـ476 من المباني في مدن مختلفة⁽³⁾، لا تزال باقية وشاهدة على عَظَمَةِ

1. طريق بحريّ بريّ قديم، يعود تاريخه إلى القرن الثاني الميلاديّ، يشير إلى شبكة الطرق البريَّة والبحريَّة التاريخيَّة التي ربطت بين الصين وأوروبا مروراً بالشرق الأوسط. للمزيد يُنظَر: "إنفوغرافيك.. ما هو طريق الحرير الجديد؟"، سكاي نيوز عربيَّة، 17 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bSLpKw
2. معمار سَنان هو أشهر المهندسين المعماريِّين والرسامين المبدعين الأتراك، أمر السلطان سليمان القانوني بعد رؤية قدرته الإبداعية في العمارة بتعيينه رئيساً للمعماريِّين العُثمانيِّين، وبعد حصول سَنان على هذا المنصب تفرَّغ تماماً لإنشاء المباني المعماريَّة المتنوّعة من مساجد ومدارس وكليات تعليميَّة وقصور، وتميَّزت جميع مبانيه المعماريَّة بالجمال والدقَّة والإبداع والبراعة، وعمل لمدة 49 عاماً في مجال الإنشاء المعماري. كانت واحدة من أهم أعماله هي توسعة المسجد الحرام، أنشأ أو صمَّم 476 بناءً (بقي منها في العصر الحديث 196 مبنى). للمزيد يُنظَر: معمار سَنان "رجل العمارة العُثمانيَّة الأصليَّة"، ترك برس، 22 أغسطس 2015، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/q6vgYN
3. من أبرز تصميمات سَنان المعماريَّة: جامع السليمانِيَّة، والشيخ زاده ومهرمه سلطان في إسطنبول والسليمانية في إديرنة، وكلية زخرفية في حلب، وكلية تشوبان مصطفى في غابزا، وكلية حسكة في إسطنبول، ودار العجزة في إسطنبول. للمزيد يُنظَر: معمار سَنان "رجل العمارة العُثمانيَّة الأصليَّة"، ترك برس، 22 أغسطس 2015، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/q6vgYN

الحضارة التركيبية، حتى وقتنا الحالي. ولعلَّ أهمَّ أعماله كانت تكليفه بتوسعة المسجد الحرام، ومن ثمَّ تمَّ تقليده لقب "مهندس الإمبراطورية العثمانية"، وبقي محافظاً على هذا اللقب لمدة خمسين سنة(1).

• تركيا الفنون الجميلة.. لوحات تحاكي جمال البلاد والعباد:

في تركيا، جسَّد الانتقال من تقليد المنمنمات والنماذج المصغرة إلى الممارسة الفنيَّة الغربيَّة عبر الرسوم الزيتيَّة، ما يُشبه الثورة الجذريَّة في المجال. لذا فإنَّ مفاهيم فنيَّة جديدة، مثل الجسَّ المنظوريِّ واستيعاب الفضاء بأبعاده المتعدِّدة وغيرها، تمثَّل قيماً جديدة وجذابة، قابلة للتقليد والتوطين في الفنِّ الشرقي، وبالتالي اعتبرت كوسائل تطوير راديكاليَّة.

على سبيل المثال لا الحصر، شكَّل الرَّسَّامون أمثال إبراهيم سالي Ibrahim Çallı، حكمت أونات Hikmet Onat، نامك إسماعيل Namık Ismail، أفني ليفيج Avni Lifij وفايهامام دوران Feyhamam Duran، شكَّلوا طليعة رواد الفنِّ المعاصر التُّركيِّ في العام 1910م، من حيث تلقِّيهم تكويناً فنياً في أوروبا. وبواسطتهم تمَّ إدخال المفاهيم الانطباعيَّة والترجمات الفنيَّة للاتجاه الرمزيِّ الجديد في الفنِّ التُّركيِّ.

وفي سنوات 1980 و1990م حقَّق الفنانون الأتراك قفزة نوعيَّة من حيث استلهام طرائق جديدة في أعمالهم؛ حيث ظهرت اتِّجاهات جديدة على غرار الفنتازيا الواقعيَّة، الممثَّلة بكلِّ من: فكرت موالى Fikret Mualla، برهان إيوغور Burhan Uygur، إرجان إنان Ergin Inan، وغيرهم كثيرون.

1. معمار سنان "رجل العمارة العثمانية الأصيل"، ترك برس، 22 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة 11 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JpuCgS

من جهة أخرى، تَتَوَّعُ أشكال الفنون الجميلة في نسختها التُّرْكِيَّة المُمَيَّزَة، من نحت وسيراميك وخطوط عَرَبِيَّة كالجغرافية⁽¹⁾.. إلخ. ففي جميع المعارض الفنيَّة والمتاحف التي تُقام حول العالم، يحمل الرَّسَّامُونَ والنُّحَّاتُونَ معهم روح تركيا ذات الطبيعة الخلابة والمشاعر المُسْتَلْهِمَة من أسوار القلاع وقباب المساجد، ودوران السنونو حول القوارب والبواخر العابرة للبحر في الأيام الربيعيَّة أو الخريفية، ناهيك عن إبداعات الحِرَف اليدويَّة التَّقْلِيدِيَّة: كالتزيين بالصِّدْف، والنَّقْش على الخشب والرخام والتطريز التي تعكس فن وأصالة الحضارة والثقافة التُّرْكِيَّة⁽²⁾.

- تركيا الموسيقى والمسلسلات.. رومانسيَّة وتاريخ وبطولات أسطوريَّة:
تُعتَبَر الموسيقى والمسلسلات رافداً رئيساً من روافد الحضارة التُّرْكِيَّة، وأداة مُهمَّة من أدوات القُوَّة النَّاعِمَة ببلاد أحماد العثمانيين. وهي في هذا على صورة التركيبة الإثنيَّة التُّرْكِيَّة وغير التُّرْكِيَّة، والوضعية الجغرافيَّة الدَّاخِلِيَّة ومثلتها في الغربية، وأيضاً الذاكرة التَّاريخِيَّة بعراقتها والعناصر الدخيلة عليها. فالموسيقى التُّرْكِيَّة الممتزجة بالتأثيرات البلقانيَّة والإرث البيزنطي، صدحت زمناً طويلاً داخل الأرض تركيا الأم، على امتداد أراضي الإمبراطوريَّة العُثمانيَّة، وامتزجت بالثراء الفنِّي والعاطفي الفارسي والعربي وغيرهم. لذلك أصبح النغم التُّرْكِيُّ حملاً تاريخ وأحاسيس شعوب مختلفة، يملك مَقْوَمَات إثارة الشجن وتحفيز الوجدان للأذن العاشقة والعالميَّة بالنَّغم على السواء. حتى إن هناك كثيراً من

1. هو نوعٌ من الفنون البصريَّة، ويشير إلى ممارسة فنِّ الخطِّ، ورَسْم الحروف بطريقة جَمَالِيَّة متناغمة ومَاهِرَة، من أجل استخدامها في دعوات الزفاف والفعاليَّات، وتصميم اللُّوحات والشُّعارات والخرائط، والنَّقْش على القِطَع الحجريَّة والزُّجاج، وغيرها من الأعمال التي تَنطَوِي على الكتابة. للمزيد يُنظَر: تعريف الخط، موقع "موضوع" 2 ديسمبر 2014م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/WDKMck>.

2. للمزيد يُنظَر: محمد حرب، العُثمانيُّون في التاريخ والحضارة، دار القلم للنشر والتوزيع، 1999.

الألات الموسيقية التي حملت أروع الألحان من أصل تركي كالساز(1)؛ البُرُق(2)؛
الجمبش(3)، والسنتور(4). (5)

فيما شهدت سنة 1920م ولادة الموسيقى المعاصرة التركية في سياق تأسيس
الجمهورية العلمانية، والتحديث الثقافي للمجتمع، ضمن مبادئ العلمانية، التي
ترى أن الموسيقى الحديثة في بلاده "مُتَجَدِّرة في التراث الوطني"، وتتكيف
مع الأنماط الموسيقية الغربية الجديدة، ضارباً المثل بالملحن الشهير عدنان
سايجون(6) (1907 - 1991) Adnan Saygun.

أما على صعيد التمثيل أو التشخيص الفني الذي نجد له أصولاً بدائية في المسرح
وعروض الدمى، ففي تركيا اليوم نجد له صناعة قوية تفوقت على نظيراتها
العربية والإسلامية، وبدأت تُشَقُّ طريقها للعالمية بثبات. ويمثل تألق السينما

1. الساز، آلة موسيقية وترية خشبية، تشبه آلة العود، تعني بالفارسي، طاقم أو مجموعة، يشار إليها أحياناً باسم "باغلاما". للمزيد يُنظر: ولاء خضير، آلة "الساز" تنفرد بمكانة مميزة في الموسيقى التركية، ترك برس، 12 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xNrN7U
2. آلة موسيقية وترية تركية مصنوعة من الخشب تشبه العود، كانت تسمى قديماً "الطنبور". للمزيد يُنظر: صناعة آلة (البزق) التركية تخضع لخبرات حسيّة وفنية، وكالة الأنباء التركية (كونا)، 27 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/B93yyW
3. آلة شعبية من أصل تركي مستعملة في الشمال الشرقي من سوريا، وفي بعض الأجزاء من آسيا الوسطى. والجمبش تشبه البانجو شكلاً، ولكن زندها أقل طولاً، يُشدُّ عليه ما بين أربعة إلى ستة أوتار معدنية مزدوجة تضبط كأوتار العود وتنقر أو تضرب بالريشة. يُنظر تعريف بعض الآلات الموسيقية، على الرابط التالي: <http://cutt.us/SVtLe>
4. آلة شعبية وترية من أصل تركي معروفة في شمال سوريا وأجزاء من منطقة آسيا الوسطى. أما السنتور فهو آلة موسيقية قديمة من أصل شرقي لها أصول آشورية وهندية، تشبه القانون. للمزيد يُنظر: "الآلات الموسيقية"، الموسوعة العربية، د. ت، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7Ay97C
5. روميّاء نور تشكيجي، "الفنون الجميلة الإسلامية في تركيا"، ترك برس، 26 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YdmDjS
6. أحمد عدنان سايجون ولد في 1907م، ملحن وعازف موسيقى، وكاتب في مجال الموسيقى. وهو أحد أهم الموسيقيين الأتراك في القرن العشرين، نجح في تطوير الهوية الموسيقية التركية مستنداً إلى الجذور الفنية الشعبية.. للمزيد يُنظر: "الملحن التركي أحمد عدنان سايجون"، أدويت، د. ت، متاح على الرابط التالي: cutt.us/DvXuB

والمسلسلات في نسختها التُّركيَّة أداة هيمنة مَعَوِيَّة بامتياز، في صنف القُوَّة النَّاعِمَة، إضافةً إلى جَدَوَاهَا الاقْتِصَادِيَّة من حيث كَمِّ الأرباح المَادِّيَّة (حَقَّقَتْ مداخيل بقيمة 150 مليون دولار في سنة 2013م، واحتلَّت الرُّتْبَة الثَّانِيَّة بعد الولايات المتَّحِدة في إنتاج المسلسلات).⁽¹⁾

والأمر لا يقتصر على هذا الحدِّ، بل إن المسلسلات التُّركيَّة تَخَطَّت مجال شهرتها العَرَبِيَّة ووصلت إلى العَالَمِيَّة، ببرمجة القناة الفرنسيَّة TF1 بثَّ لمسلسل "The End / النهاية"، والذي عُرِضَ أيضاً على الشاشات الأَمْرِيكِيَّة ابتداءً من الخريف الماضي، بعد أن تهافتت على عرضه قنوات أوروبا الشرقيَّة. وعلى صورة السِّيَاحَة التُّركيَّة القُوِّيَّة بتأثير حضارتها وموقعها وعاداتها، يحرص السِّيَاح على زيارة القصور التَّارِيخِيَّة لِإِسْطَنْبُول؛ حيث تمَّ تصوير ملحمة "القرن العظيم"، أو "حريم السلطان"، و"فيلا غوموش Villa Gumush" موضع تصوير مسلسل "نور" التُّركيِّ الشهير، وأيضاً مطعم "غول موفاج Gul Mufagi" موقع تصوير مسلسل "فاطمة" الشهير.

وعليه، فالأعمال التُّركيَّة تعتمد تركيبة ناجحة من عناصر التشويق في الدُّرَامَا، والإثارة وإبراز الجمال التُّركيِّ في كافَّة المجالات، وعلى رأسها استثمار الطبيعة الجميلة والمناطق الشهيرة. لذلك أصبحت هذه الأعمال في مقدِّمة القطاعات الأسرع نموًّا في صادرات تركيا، وتشمل كتلة مشاهدة في 75 بلداً حول العالم، مما دفع حكومة العدالة والتَّنْمِيَّة على تحفيز هذا القطاع والمساهمة في دعم استمراره بعد أن أصبح يُمَثِّل وَيُعَمِّم ثقافة تركيا محلياً وعَالَمِيًّا.

1. "150 مليون دولار.. صادرات المسلسلات التُّركيَّة"، تركيا بوس، 27 أغسطس 2014، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/75shfL

- **المطبخ التُّرْكِيّ.. تواجل ونكهات الشرق في لقاء الغرب:**
يُوصَفُه بـ"عَرَّابِ المَطَاعِمِ عَالَمِيًّا"، يَرُجِعُ غِنَى وَلَذَّةَ المَطْبَخِ التُّرْكِيِّ إِلَى الحِرْصِ عَلَى المَحَافِظَةِ عَلَى تَقَالِيدِ الأَكْلَاتِ الموروثَةِ عَنِ المَطْبَخِ العُثماني، مَعَ تَطْوِيرِهَا بِأَسْلُوبِ أوروپي حَديث، مِنْ جِهَةٍ. وَكَوَنَهُ مَزيجاً مِنْ عِدَّةِ أَصُولِ ذِوِاقِيَّة: يونانيَّة، كَرْدِيَّة، عَرَبِيَّة، أَرْمَنِيَّة وَفَارَسِيَّة. لَذا عَدا المَطْبَخِ التُّرْكِيِّ نَجْمُ الطَّعَامِ الشَّهِي وَالمُتَنَوِّع (لِكُلِّ مَنطِقَةٍ لِمَسَاطِحِهَا الخَاصَّةِ وَأطباقها الشَّهِيَّةِ فِي تَرَكِيَا)، الَّذِي يَجْذِبُ السُّوَّاحَ بِتَوَابِلِهِ وَنِكهَاتِهِ، وَحَتَّى طَرِيقَةَ تَقْدِيمِهِ. إِذْ يُفَضَّلُ الأَتْرَاقَ اللَّحُومِ المَشْوِيَّةَ بِأَنواعِهَا كَالكَبَابِ التُّرْكِيِّ أَوْ اللَّحُومِ الَّتِي تُقَدَّمُ مَعَ الصَّلصَةِ مِثْلَ المَسْقَعَةِ أَوْ السَّبَانِخِ، أَمَّا فِي المَنَاطِقِ السَّاحِلِيَّةِ فَيَعْتَمِدُ السُّكَّانُ بِكَثْرَةٍ عَلَى لِحُومِ الأَسْمَاقِ خَاصَّةً السَّرْدِينِ. فِي حِينِ أَنَّ المَنَاطِقَ الرِيفِيَّةَ الَّتِي تَكْثُرُ فِيهَا الدِوَاجِنُ، يَتَنَاوَلُ سَكَّانُهَا غَالِباً الدِجَاجَ وَالبَيْضَ.

وَفِي الفُصُولِ الحَارَّةِ يَتَنَاوَلُ الأَتْرَاقَ الوُجَبَاتِ الخَفِيفَةَ كَالجَبَنِ الأَبْيَضِ مَعَ فَاكْهَةِ الشَّمَامِ أَوْ البَطِيخِ. كَمَا تَشْتَهَرُ لَدَيْهِمْ أَطباقُ البَادَنْجَانِ مَعَ الفُفْلِ الأَخْضَرِ المَقْلِيِّ، وَصَلصَةُ الطَّمَامِطِمْ، وَأَيْضاً طَبَقُ المَحْشِيِّ بِوَرَقِ العَنَبِ وَالأَرزِ وَاللَحْمِ المَفْرُومِ. أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالبَهَارَاتِ، فَالمَتَدَوِّقُ التُّرْكِيُّ يُفَضَّلُ الفُفْلَ الأَسْوَدَ وَالكَمُّونَ وَالشَّطَّةَ وَالنَّعْنَاعَ وَالزَّعْتَرَ. كَمَا يَسْتَعْمَلُونَ كُلَّ أَنواعِ الزَّيْتِ وَالزُّبْدَةِ فِي الطَّبْخِ. وَفِي مَادَّةِ الحَلْوِيَّاتِ يَعْتَمِدُ الأَتْرَاقَ عَلَى الفُسْتَقِّ وَاللُّوزِ، ثُمَّ تَلِيهَا بَاقِي المَكْسَرَاتِ. أَمَّا الفِوَاكِهِ، فَنَجْدُ الأَرِيافَ مَزْدَانَةَ بِزَرَاعَاتِ المَشْمَشِ وَالبَرَقُوقِ وَالرِمَانِ وَالكُمَّثْرَى وَالتَّقَّاحَ وَالعَبَّ وَالتَّيْنِ، وَبَعْضُ أَنواعِ البَرْتَقَالِ، وَكُلُّهَا عَنَاصِرُ تَحْلِيَّةٍ وَتَزْيِينِ فِي المَطْبَخِ التُّرْكِيِّ. (1)

1. سَكِينَةُ القَتَيْبِيُّ، هَلِ المَطْبَخِ التُّرْكِيُّ هُوَ أَصْلُ المَطْبَخِ الشَّرْقِيِّ أَوْسَطِي؟، 5 فِبرَيارِ 2016م، المَرسَالُ، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 23 يُوليو 2017م، مَتَاحٌ عَلَى الرِّابِطِ التَّالِي: cutt.us/Ghheg

المبحث الثاني

دور السّياحة التّركيّة في تغيير نظرة العالم لتركيا

"نحن نتواجد في المرتبة السادسة عالمياً والرابعة أوروبياً في الترتيب الخاص بقطاع السّياحة. ولا يوجد سبب يمنعنا من التواجد ضمن الرُتَب الثلاثة الأولى. فمواردنا البشريّة وأيضاً بِنِيَاتِنَا التّحتيّة الّتي لدينا كافية لتحقيق ذلك. إنهم يعرفون كما نعرف أن لدينا مزايا كبيرة مقارنة مع منافسينا؛" هكذا يقول نبي أوجي Nabi Avci وزير الثقافة والسّياحة، في معرض تأكيده على أن تركيا بلد عظيم في مادة السّياحة.(1)

وكلام الوزير أوجي هنا، ليس مُجَرَّدَ إشهار أو استغلال ظهور إعلامي للترويج لسياحة بلده. صحيح أن السّياحة التّركيّة قد تَأَثَّرَت بِعِدَّةِ أحداثٍ سِياسيّةٍ وأمنيّةٍ (انقلابات، ضربات إرهابيّة..)، وظهر ذلك جليّاً في سنة 2016م، لكنّ تركيا نجحت في العام 2017 في أن تَحْتَلَّ المرتبة السادسة عالمياً من حيث عدد السّياح؛ حيث زارها نحو 39.9 مليون سائح، مع تَوَقُّعات بأن يَصِلَ عدد السّياح الّذين يزورون تركيا خلال العام 2018م، إلى نحو 45 مليوناً، لتتجاوز تركيا الرقم القياسي الّذي حقّقته في عام 2014م عندما استقبلت البلاد نحو 41.4 مليون سائح(2).

1. "وزير السّياحة: تركيا تُحقّق المركز الرابع أوروبياً في الجذب السياحي لعام 2016م"، ديلي صباح، مارس 2017م، تاريخ الزيارة 5 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Xzrpuz

2. "تركيا السادسة عالمياً من حيث عدد السياح 2017"، وكالة الأناضول للأخبار، 23 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ea4cCj

تركيا إذن، واحدة من وجهات السَّيَاحَةِ المفضَّلة في العالم؛ نظراً لموقعها، طبيعتها، مُنَاخِها وثقافتها. هذه الأفضليَّة تعرَّضتْ لامتحاناتٍ صعبةٍ، خصوصاً بعد تَوَثُّرِ العلاقات الثَّنَائِيَّةِ بين تركيا وروسيا على خُلْفِيَّةِ إسقاطِ مقاتلةٍ حربيَّةٍ لهذه الأخيرة، والتي تُعتَبَرُ رافداً مُهمّاً من السُّيَاحِ الباحثين عن الشمس والدفء وعبق التاريخ والضيافة على الطريقة التُّرْكِيَّةِ.

• تركيا تقاليد ضيافة وحفاوة متوارثة:

ومما لا شكَّ فيه أن السَّيَاحَةَ لعبتِ دوراً مُهمّاً في تغيير نظرة العالم للدولة التُّرْكِيَّةِ؛ حيث استطاع الشعب التُّرْكِيُّ جذب أنظار العالم بكرم ضيافته، وحسن استقباله، واعتزازه بتقاليده.

ومن المعروف أن السُّيَاحِ العرب الذين أصبحوا شبه مقيمين في الدَّوَلَةِ التُّرْكِيَّةِ، يرجع عشقتهم وشغفهم بالمسلسلات التُّرْكِيَّةِ التي أظهرت الجانب الحقيقي للشعب التُّرْكِيِّ الراقى. دون إغفال الصلات التَّارِيخِيَّةِ والعقائديَّةِ القويَّةِ التي تربط بين الترك والعرب، والتي تبقى في النهاية روابطٍ شرفيَّةٍ تجمع الكثير من دول المنطقة. ومن أكثر الأمور التي تلاقي استحساناً وإعجاباً بحضارة وسُلُوكِيَّاتِ الشعب التُّرْكِيِّ هي قدرتهم على الانفتاح على الحضارات الأخرى، خاصَّةً أن الشعب التُّرْكِيَّ خليطٌ ومزيجٌ من العديد من الأعراق والديانات التي ساهمت في بناء هذه الدَّوَلَةِ لتصبح من بين أرقى بلدان العالم.

• تركيا والسَّيَاحَةِ العَرَبِيَّةِ.. علاقة وثيقة إلى حدِّ الاندماج:

ولقد كان مُعدَّلُ النُّمُوِّ في مجال السَّيَاحَةِ التُّرْكِيَّةِ أعلى من المتوسط العالميِّ في السنوات الأخيرة، وكانت نسبة المساهمة المباشرة لهذا المجال في سَدِّ عَجَزِ الحساب الجاري لعام 2015م هي 80%. في حين كانت نسبة مساهمته في إجمالي الناتج المحليِّ بـ 4.37% في العام نفسه. وبحلول نهاية عام 2017م،

كانت هناك 12856 منشأة مُسَجَّلة للإقامة؛ و9186 منشأة مُرَخَّصة من قِبَل البلديات التابعة لها، بينما امتلكت 3.670 منشأة متبقية تراخيص للعمل في مجال السِّيَاحَةِ (1).

وتعتزم تركيا خلق "قرية عَرَبِيَّة" في داخل ترابها الوَطَنِيَّ لتشجيع السُّيَاح من بلاد الخُليج والشرق الأوسط، في خبر أوردته جريدة Hürriyet Daily News نقلاً عن مسؤولين أتراك ودون إعطاء مزيد من التفاصيل. وإذا كانت فكرة المشروع تعود إلى لقاء بين وزير الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّ السابق مولود جاويش أوغلو (2) Mevlüt Çavuşoğlu، ونظيره السعودي عادل بن أحمد الجبير (3)، في 24 أبريل 2016م بالرياض، فإنَّ أصل التَّصَوُّر يعود إلى الأمير بندر بن فهد رئيس المُنظِّمة العَرَبِيَّة للسياحة (4) ATO. (5)

1. Tourism, Investment Support and Promotion Agency of Turkey, available at: goo.gl/f6mki4
2. مولود جاويش أوغلو أكاديمي وسياسي ودبلوماسي تركي، أحد الأعضاء المؤسسين لحزب العدالة والتنمية التركي، تولى وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة في حكومتي الجمهورية التُّرْكِيَّة الـ62، والـ64، والـ65. وُلِدَ مولود جاويش أوغلو في 5 فبراير 1968م بمنطقة ألانيا التابعة لولاية أنطاليا، الواقعة بجنوب غرب تركيا. حصل على شهادة الليسانس من قسم العلاقات الدوليَّة في كلية العلوم السِّيَاسِيَّة بجامعة أنقرة عام 1988م، كما حصل على شهادة الدراسات العليا في الاقتصاد بجامعة لونغ أيلاند في نيويورك بالولايات المتَّحدة عام 1991م، وعَمِلَ فيها محاضراً، ثم عاد ليختص في شؤون الاتحاد الأوروبي بجامعة أنقرة، قبل أن يحصل على درجة الدكتوراه من معهد لندن الاقتصادي عام 1995م. للمزيد يُنظَر: "الوزير"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4YMwTu
3. وزير خَارِجِيَّة المملكة العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة السابق، من مواليد فبراير 1962م بمدينة المجمع شمال الرياض، تلقى تعليمه الأساسي في ألمانيا حينما كان والده يعمل في الملحقيَّة الثقافيَّة بسفارة المملكة بألمانيا، حصل على البكالوريوس في العلوم السِّيَاسِيَّة من جامعة شمال تكساس بالولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، كما حصل على درجة الماجستير في العلوم السِّيَاسِيَّة والعلاقات الدوليَّة من جامعة جورج تاون في واشنطن. عمِلَ سفيراً للمملكة العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة في واشنطن من 2007-2015. ("السيرة الذاتية لعادل الجبير وزير الخَارِجِيَّة"، صحيفة الرياض السُّعُودِيَّة، 30 أبريل 2015، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pe8t9m)
4. مُنظِّمة رسميَّة تعمل في إطار مجلس وزراء السياحة العرب بجامعة الدول العَرَبِيَّة، مقرُّها جدَّة بالمملكة العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة، تعمل على ترجمة قرارات المجلس الوزاري العربي للسياحة إلى سياسات وخطط للنهوض بالسياحة العَرَبِيَّة كصناعة استراتيجية مورد مهم للدخل القومي. للمزيد يُنظَر: "عن المُنظِّمة، المُنظِّمة العَرَبِيَّة للسياحة، د. ت، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/eZS3e2
5. "القُوَّةُ النَّاعِمَةُ لتركيا في العالمين العربي والإسلامي"، صحيفة دايلي صباح التُّرْكِيَّة، 19 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 11 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WnWpzn

وهذا يندرج ضمن "السِّيَاحة الحلال" في تركيا منذ سنة 2000م، والتي جاءت في سياق الاستجابة للشروط الإسلاميّة فيما يخصّ الفنادق دون بوفيهات تحتوي على الكحول ولحم الخنزير وباقي اللحوم المذبوحة بطريقة غير حلال، وأيضاً البنّيات التي تحترم خصوصيّات الرجال والنساء.

أما بالنسبة للسّيَاحة العربيّة، فقد ازداد عدد السّيّاح العرب الذين قدّموا إلى تركيا خلال الفترة من 2002 - 2017م؛ نحو تسع مرّات، وبلغ عدد السّائحين القادمين إلى تركيا من الدول العربيّة 3 ملايين سائح خلال العام 2016م (1). كما أظهرت إحصاءات العام 2015 ارتفاع عدد السّيّاح العرب القادمين إلى تركيا بنسبة تتراوح بين 30 و40% مقارنة مع الأعوام السابقة؛ إذ يُشكل الخليجيون 23.1% من مجمل السّيّاح الأجانب، ويحقّقون مدخولاً يقارب 5% من عائدات السّيَاحة في تركيا، وتُعدّ إسطنبول الوجهة الأولى للسّيّاح العرب، وذلك بسبب الشهرة التي حصلت عليها المدينة في المسلسلات التركيّة التي يتابعونها، وسهولة الوصول إليها، وما تحويه من كنوز تاريخيّة وحادثة وتطوّر بنفس الوقت.. وتلي إسطنبول كلّ من مدن بورصة، وبلوّه، ومنطقة شمال شرق تركيا، أو كما تسمى منطقة شرق البحر الأسود. وقد بلغ عدد السّائحين من الدول العربيّة خلال الفترة 2011م - 2015م قرابة 7 ملايين سائح (2).

1. "ارتفاع أعداد السّيّاح العرب في تركيا وخاصّة من دول الخليج العربي"، ترك برس، 6 سبتمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kmNJBw
2. "تركيا الوجهة الأولى للسّيّاح العرب"، ترك برس، 6 يوليو 2015م، تاريخ الزيارة: 21 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iM2mjV، وانظر أيضاً: "7 ملايين سائح عربي زاروا تركيا في الأعوام الأربعة الماضية"، ترك برس، 5 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة: 21 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/KcMzM

وأخيراً فإن تداخل العلاقات بين العرب والأتراك وتشابكها يُمثِّلُ حالة تراكمية تمَّتْ تاريخياً لأكثر من سِتَّةِ قرون، وبالتالي لا يمكن القفز على هذه الحقيقة وتجاوزها، وهو ما عبَّرت عنه الشُّعُوبُ العَرَبِيَّةُ في موقفها الأخير " من الانقلاب على السُّلْطَةِ الشَّرْعِيَّةِ في تركيا" (1).

• تركيا.. عوامل ضَرَرٌ للسِّيَاحَةِ:

رغم توجُّه الأنظار لهذه البلاد السِّيَاحِيَّةِ الجَدَّابَةِ بامتياز، إلا أن تركيا تَأَثَّرَتْ مُؤَخَّراً وبشِدَّةٍ من تضرُّر قطاع السِّيَاحَةِ في العامين 2015 / 2016م.. وذلك؛ لعدة أسباب أهمها:

1. الوضع الأَمْنِيّ الَّذِي تَأَثَّرَ كثيراً بعد عودة تفجيرات وهجمات حزب العمال الكردستاني، وَالَّذِي تصنّفه أنقرة ضمن قوائم الإرهاب لذلك تشنَّ عليه عمليات عَسْكَرِيَّةٌ ضِدَّ معاقله في الجنوب التُّرْكِيّ.
2. اللُّجُوءُ السُّورِيّ الَّذِي أثقل كاهل الاقتصاد التُّرْكِيّ، إذ تقول الأرقام الرِّسْمِيَّةُ: إنه يوجد في تركيا نحو ثلاثة ملايين لاجئ سوري (2)، فيما تتحمَّلُ الحكومة التُّرْكِيَّةُ أعباءً العديد من المُخِيْمَاتِ والتَّجْمُعَاتِ الَّتِي تُؤوِيهم، فضلاً عن تكاليف حماية ومراقبة الحدود التُّرْكِيَّةِ بسبب تداعيات الأحداث في سوريا. (3)
3. الانقلاب العَسْكَرِيّ الفاشل على حكومة الرئيس أردوغان؛ وَالَّذِي شكَّل - نوعاً ما- حالةً من عدم الاستقرار السِّيَاسِيّ الَّذِي أثر على الاقتصاد عموماً والسِّيَاحَةِ

1. "القُوَّةُ النَّاعِمَةُ لتركيا في العالمين العربي والإسلامي"، صحيفة دايلي صباح التُّرْكِيَّةُ ، 19 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 11 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WnWpzn

2. اللّاجئون السُّورِيُّونَ- تركيا بوست، 21 يونيو 2017م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/usEcn>

3. أهم 5 أخطار تُهدِّدُ الاقتصاد التركي، موقع العَرَبِيَّةُ، 20 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/p7yi1U>

خصوصاً؛ إذ تَسَبَّهَتْ مشاهد فوضويّة للجنود المُتَمَرِّدِينَ الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَى شوارع إلى تراجع الليرة 5%، في أكبر انخفاض لها في حينه منذ 2008م. (1)

4. مشاركة أنقرة في التحالف الدوليّ لضرب مواقع تنظيم الدولة الإسلاميّة في سوريا والعراق بعد التفجيرات والقتال التي سببها التنظيم الإرهابي "داعش"، كان أبرزها الهجوم على مطار أتاتورك في 28 يونيو 2016م (2)؛ وحادثة الملهى الليليّ في رأس السنة 1 يناير 2017م (3)، والتي راح ضحيتها عشرات الأشخاص ومئات الجرحى.

ومع هذه العوامل المعاكسة، إلا أن حكومة العدالة والتنمية كانت ولا تزال ماضية في إزالة جميع العوائق التي تعيق مسيرة الإصلاح والتطور التي اتخذتها شعاراً لها منذ استلامها زمام الأمور في تركيا؛ لذلك يلاحظ المتابع للشأن التركيّ كيف تطوّرت البلاد في جميع المجالات، ومن جميع النواحي؛ الصّناعيّة، والزراعيّة، والسياحيّة، والاقتصاديّة، والفنيّة والثقافيّة، والطبيّة، وحتى الرياضيّة والتعليميّة والترفيهيّة، وذلك من خلال الإمكانيات التي استخدمتها حكومة الرئيس أردوغان للنهوض في البنية التحتيّة للدولة التركيّة، فضلاً عن قضية أساسيّة وهي قضية الترويج والتسويق السّياحيّ لتركيا في العالم من خلال حملات ناجحة إعلاميّة وإعلانيّة انتشرت في كلّ العالم، وبشكل حديث ومُتحرّك لجذب أنظار المستثمرين والسّياح لهذه البلاد.

1. كم تكبّدت الليرة التركيّة مقابل الدولار في 10 سنوات؟ عربي 21، 29 أكتوبر 2016م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/GY7DN>
2. هو هجوم وقع على مطار أتاتورك بتركيا يوم الثلاثاء 28 يونيو 2016م، راح ضحيّته 43 شخصاً فيما جرح 239 آخرون. للمزيد يُنظر الرابط التالي: <http://cutt.us/NSwY6>
3. هو هجوم وقع خلال احتفالات رأس السنة يوم 1 يناير 2017م في مطعم رينا في حي أورتاكوي بمنطقة بشكطاش بمدينة إسطنبول، حيث قام مسلح بقتل 39 وجرح 69 باستخدام رشاش، وفي اليوم التالي أعلن تنظيم "داعش" في بيان مسؤوليّته عن الهجوم الإرهابي، بحسب وكالة رويترز. للمزيد يُنظر الرابط التالي: <http://cutt.us/uRhUX>

المبحث الثالث

الأعمال الدرامية والسينما..

تأثيرها وفوائدها

لاقت الأعمال الدرامية من مسلسلات وأفلام سينمائية نجاحاً لافتاً، على الصعيد العالمي كما المحلي. ولكن الأمر لا ينحصر فقط على نسبة المشاهدة المُحطمة لكافة أرقام المشاهدة القياسية، بل إنَّ المنتجات المرتبطة بالنجوم وأبطال الأعمال الفنية التركية، وكذا الأماكن التاريخية والطبيعية للتصوير، أفرزت حركة تجارية وسياحية نشيطة ومُدرة للدخل. "فارتداء لباس مثل بطل مسلسل (تركي)، أو الحصول على أحد الإكسسوارات الخاصة به، يشير إلى رغبة في الحصول على هوية (متميزة تنتمي لهوية البطل المفضل أو النموذج)"، حسب حوساميتان إنانش (1) Hüsametttin İnaç مؤلف كتاب "مشاكل الهوية في تركيا".

وهذه الظاهرة تتطوّر شيئاً فشيئاً. هكذا وعلى سبيل المثال، فالخاتم الذي تحمله السلطانة حوريم أو هيام Hürrem (المفضلة الأولى ومن بعد زوجة السلطان سليمان القانوني) في مسلسل "حريم السلطان Muhteşem Yüzyıl"، مطلوب بشدة من طرف المراهقات اللواتي يتقمصن هوية بطلاتهنَّ القادمة من عصور المجد وسحر الحريم العثماني.

1. Hüsametttin İnaç أكاديمي تركي وُلد في أوساك، وتخرّج من قسم العلاقات الدولية في جامعة مرمره في عام 1997م. حصل على درجة الماجستير في علم الاجتماع من نفس الجامعة عن أطروحة "المقارنة الاجتماعية لماركس وباريتو". ثم حصل على درجة الدكتوراه عن أطروحته الرائدة "مشاكل الهوية في تركيا خلال عملية التكامل مع الاتحاد الأوروبي" عام 2002م. للمزيد يُنظر: About Me, Prof. Dr. Hüsametttin İNAÇ, available at: goo.gl/u3Jbyd.

"هناك رغبة لكي يصير (الفرد المعجب) شخصاً مقبولاً من المجتمع، والمراهقون يحبون أن يحفظوا بالقبول من طرف المجتمع؛" هكذا يؤكد اختصاصيو علم نفس المراهقة.

فوق هذا، يتم استخدام أبطال هذه المسلسلات للترويج لفعاليات ونشاطات عربية مهمة. بالإضافة إلى استضافة هؤلاء الأبطال، الذين حولهم العالم العربي إلى نجوم في أشهر المهرجانات وأكثر الإعلانات التجارية رواجاً. وأيضاً تسويق المنتجات وتحويل موسيقى المسلسلات التركية إلى نعماة للهواتف المحمولة، كثيفة الانتشار.

وأيضاً تم صرف آلاف الدولارات على مسابقات تقدم تذاكر سفر وإقامة إلى تركيا كجوائز، وغيرها مما حول ثقافة المسلسل إلى ثقافة ربحية وترويجية محلية وعالمية. ولعل السبب الأبرز في انتشار هذا النوع من المسلسلات هو الطابع الاجتماعي الذي تعكسه للمجتمع التركي، فالترابط الأسري والاجتماعي في العلاقات تشبه إلى حد كبير واقع المجتمعات العربية، بالإضافة إلى ذلك لا يمكن إنكار دور اللهجة السورية المألوفة في العالم العربي، واستبدال أسماء الشخصيات التركية بأسماء عربية مما سهل وصول هذا المنتج لعدد أكبر من المشاهدين.

والدليل على ذلك، هو النجاح الذي حققته المسلسلات التركية مقارنة بالمسلسلات المكسيكية التي اجتاحت القنوات العربية في التسعينيات من القرن الماضي مثل "كاساندر (1)" وغيرها؛ فقد تمت دبلجة المسلسلات المكسيكية باستخدام العربية الفصحى، وحافظت الشخصيات على أسمائها المكسيكية. عدا عن اختلاف العادات

1. مسلسل رومانسي فنزويلي أنتج في 1992م، وتمت دبلجته إلى العربية؛ حيث بدأ عرضه على الشاشات العربية في صيف 1996م، ويمتد على 150 حلقة مشوقة، ويعتبر مسلسل كاساندر من أوائل المسلسلات الأجنبية المدبلجة التي عرضت في الدول العربية. للمزيد ينظر: مسلسل كاساندر، مجلة أوثقة، 26 أغسطس 2015، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/E5DFKA

والتقاليد المكسيكية تماماً عن العَرَبِيَّة. فالدلجة العَرَبِيَّة طَعَت على كُلِّ الاختلافات في التفاصيل وقرَّبتُ المشاهد العَرَبِيَّ من المسلسل التُّرْكِيَّ، الَّذِي أصبح شبيهاً بأيِّ مسلسل سُورِيٍّ من إنتاج عربي، وبالإضافة إلى كُلِّ الأسباب الَّتِي ذُكِرَتْ سابقاً، لا بُدَّ وأن تاريخ الدَّوْلَةُ العُثمانيَّة والدين الإسلامي الَّذِي يُعَدُّ الأكثر انتشاراً في الوطن العَرَبِيَّ وتركيا أيضاً، يلعب دوراً مؤثراً في إنجاح هذه المسلسلات.(1)

ولعلَّ النجاح الكبير للأعمال التُّرْكِيَّة لم يحتكره العالم العربي، بل توسع ليشمل بلاد الشرق أوروبِّيَّة؛ ففي أحدث نتائج الاستطلاعات خُلِصَتْ دراسة أكاديميَّة، أجراها باحثون من مركز الدُّرَاسَاتِ الشرقيَّة التابع لجامعة بانديون للعلوم السِّيَاسِيَّة والإداريَّة في أثينا، ونشرتها وكالة الأناضول، إلى أن المسلسلات التُّرْكِيَّة الَّتِي انتشرت مؤخراً بشكل كبير في الشرق الأوسط وفي منطقة البلقان، هي "جزء من القُوَّة النَّاعِمَةُ الَّتِي تستعملها تركيا لتحسين صورتها بين شعوب المنطقة"(2)؛ حيث قالت الباحثة "بانا يوتا كافاناس": إن تصدير المسلسلات التُّرْكِيَّة يُعَدُّ جزءاً من سياسة تركيا الخَارِجِيَّة، وإن سياسة تركيا في تصدير مسلسلاتها للمنطقة العَرَبِيَّة تضمَّن في السنوات الأخيرة دمجاً للمبادئ الإسلاميَّة مع الحياة العصريَّة، بالإضافة إلى إظهار العداء لإسرائيل مثل المسلسل الشهير "وادي الذئاب"(3) الَّذِي حقَّق نجاحاً كاسحاً في الدول المعادية لإسرائيل.

1. روزين أبو طيون، اجتياح للعقول بأساليب راقية، شبكة أصداء الإخبارية، 3 مارس 2014م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/dlN1g
2. "المسلسلات التُّرْكِيَّة، قُوَّة ناعمة تغزو كل المنطقة بكل اللغات"، نون بوست، 3 ديسمبر 2013م، تاريخ الزيارة 11 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9V0TLO
3. وادي الذئاب Kurtlar Vadisi مسلسل دراميٍّ يدور في قالب مغامراتيٍّ بوليسيٍّ، أُنتج الجزء الأول منه في عام 2003م، وهو أحد أشهر المسلسلات التُّرْكِيَّة الَّتِي تمَّت دبلجتها إلى اللغة العَرَبِيَّة. للمزيد يُنظر: وادي الذئاب يعود في جزء جديد بعنوان "الفوضى" هذه تفاصيله، مجلة سيدتي، 22 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5enyDK

وتضيف الباحثة، حول مضمون المسلسلات التُّركيَّة، فتقول: "أما في دول البلقان فإن سياسة تركيا تقضي بإظهار تجربة عثمانية ناجحة، مع الحفاظ على اللغة التُّركيَّة، أي ترجمة النصوص كتابياً دون دبلجتها"، مُؤكِّدةً أنَّهُمَّ "علامات نجاح ونجاعة القُوَّة النَّاعمة التُّركيَّة، تكمن في زيادة أعداد السُّيَّاح والمشاهدة العالية للمسلسلات والإقبال المتزايد على تعلُّم اللغة التُّركيَّة".⁽¹⁾

وتابعت كافاناس قائلة: "تلك المسلسلات التُّركيَّة تنتمي عادةً لتلك المجموعة من المسلسلات التي تحفل بالأحداث العاطفية، مثل علاقة حُب تجمع بين شابٍّ غنيٍّ من عائلة فاسدة وفتاة شريفة من عائلة فقيرة، وهي تريد إيصال رسالة تفيد أن المجتمع التُّركي يعيش حياة غربيَّة من حيث اللباس والسيارات والتَّقنيَّات المستخدمة وعلاقات الجنسين، مع الحفاظ على الروابط الأسريَّة والدينيَّة القويَّة".⁽²⁾

ولعلَّ النجاح الكبير الذي حصده هذه الأعمال تركت تأثيرات عميقة في نفس المشاهد، وأهمُّها ما يلي:

- الرومانسيَّة الحاملة: والتي أصبحت حلماً لكل شابٍّ أو فتاة أن يعيشها؛ فلا حُبَّ قبل الزواج هو الشعار الذي أصبح يرفعه الشباب العربي، فالقصص الرومانسيَّة المغامرة ملاذاً للبشر منذ الأزل حيثُ فيها عُشَّاق لا يشيخون، ويعيشون عواطف جيَّاشةً مُتأجِّجة دائماً وأبداً.
- الجمال التُّركي الطبيعي: هو أكثر ما جذب أنظار الشباب ودفعهم إلى محاكاة قدوتهم من النجوم، وتقليد تصرُّفاتهم في المأكل والملبس، حتى أصبحت النساء تلاحق موضة الماكياج الخفيف المشهورة بها نجومات تركيا؛ وكذلك الشباب الذين أصبحوا يُقلِّدون النجوم الأتراك في آخر صيحات الموضة التي تميَّز بها النجوم الشباب.

1. "المسلسلات التُّركيَّة، قُوَّة ناعمة تغزو كل المنطقة بكل اللغات"، نون بوست، مرجع سابق.

2. المرجع السابق.

- العادات التُّرْكِيَّةُ التَّقْلِيدِيَّةُ البَسِيطةُ والجميلة: في الأكل واللباس والديكور، والتي أصبحت تُقلدُ تلقائياً في العالم العربي. في حين، أفرز تأثراً الأعمال العربيَّةُ بالدُّراما التُّرْكِيَّةُ باعتماد المخرجين العرب على إظهار الجانب الرومانسي للأبطال مع الكشف عن جمال الطبيعة العربيَّةِ والعادات العربيَّةِ المتجدِّدة.

كما ساهمت المسلسلات التُّرْكِيَّةُ المُدبَّجَةُ لِللُّغَاتِ الأجنبيَّةِ، بتغيير رأي الأوروبِّينَ وإقناعهم أنَّ لدى تركيا إرثاً وإنتاجاً في مجالَي الفنِّ والثقافة، إضافةً إلى وجهها الغربيِّ المتحضِّر. كما أنَّ معظم متابعي المسلسلات والأفلام التُّرْكِيَّةُ أجابوا بأن تركيا يمكن أن تكون عضواً في الاتحاد الأوروبي⁽¹⁾، وأن تلك الأعمال الدرامية والفنيَّة تعكس الوَجْهَ الحَقِيقِيَّ للحياة في تركيا بعيداً عن الحساسيات والحسابات السياسيَّة الضيِّقة. وقد ساهمت هذه الأعمال بتحسين الاقتصاد التُّرْكِيَّ، وإحداث فورة اِقتِصادِيَّةٍ أنعشت القطاع السياحي. لذلك سَعَتِ الحكومة التُّرْكِيَّةُ في عهد العدالة والتَّشْمِيَّةِ إلى تقديم كلِّ الوسائل والدعم للفنِّ؛ كَمَنَحِ الإدارات المحليَّةِ الصلاحيات الكافية لتسيير كلِّ الأعمال الفنيَّة مُتقدِّمةً على غيرها. وكذلك القيام بالتعديلات القانونيَّة المُتعلِّقة بهذا الموضوع. كما عمِلت على تهذيبه ورفع شأنه، وجعلِه سبباً في نهوض تركيا، وغيَّرت الصورة الذهنيَّة المُنطَبَعة عند كثير من الدول، فالتلفزيون والسينما التُّرْكِيَّةُ تتَّجِهُ فعلاً نحو الأفضل. ودائماً في إطار الحديث عن دور السينما التُّرْكِيَّةِ التي غَزَتُ صالات السينما العربيَّةِ والعالميَّةِ، نجد أن تاريخ السينما حافلٌ بالإنجازات، إذ استطاعت صناعة السينما التُّرْكِيَّةُ جذبَ كُتَلٍ جماهيريَّةٍ من مختلف الشرائح الاجتماعيَّةِ إليها منذ بداية الخمسينيَّات. وتوجَّهتْ السينما خلالها إلى الأعمال الترفيهيَّةِ، والتركيز على الجماليَّات التي تجذب الجمهور. فأسفرت عن زيادة إنتاج ملبوس للأفلام، وزيادة عدد الصالات السينمائيَّةِ،

1. دراسة يونانية: الدراما التُّرْكِيَّةُ "قُوَّةُ ناعمة" لتحسين الصورة، عربي 21، 2 ديسمبر 2013، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/2jkkxqT

وخاصةً الفصليَّة منها المخصَّصة لفصل الصيف. بيِّد أنَّ التقلبات الاجتماعيَّة في السبعينيَّات وشيوع المحطات التلفزيونيَّة، قلَّصت من اهتمام الناس بقطاع السينما. بينما عرفت فترة من الستينيَّات إلى وسط الثمانينيَّات من القرن الماضي، إنتاجاً أكثر للأفلام (حوالي 300 فيلم لعام 1971م وحده)، والتي كانت تشهد مناقشات ساخنة أيضاً حول الأفلام المعروضة. وكانت أيضاً فترةً انعكست فيها النقاشات السياسيَّة على واقع السينما، وظهرت على إثره تيارات مختلفة في الساحة السينمائيَّة؛ مثل سينما الثورة، والسينما الوطنيَّة، والسينما الشعبيَّة. (1)

ومع انتشار أجهزة الفيديو في الثمانينيَّات انحصر عدد مشاهدي السينما، واكتفوا بالمتابعة التلفزيونيَّة وانغلاقهم في منازلهم، ممَّا أدَّى إلى إغلاق العديد من الصالات السينمائيَّة، وبالتالي أصبحت صناعة السينما التركيَّة وجهاً لوجهٍ مع الضائقة والأزمات الماليَّة. وعلى الرَّغم من استمرار هذا التوجُّه في يومنا، فقد أفلحت الأفلام السينمائيَّة، التي تمَّ إنتاجها بعد الثمانينيَّات، والتي تتناول المشاكل الاجتماعيَّة الثقافيَّة، في الوصول إلى جماهير واسعة من الشعب، وجذبت بصورة خاصة اهتمام طلاب الجامعات. (2)

ومع تصاعُد الحكومة التركيَّة الجديدة، يلاحظ المتابع بأنَّ حكومة العدالة والتنمية ساهمت في تصاعد هذه الأعمال لتُقدِّم عمق الثقافة التركيَّة، ومعالم تركيا السياحيَّة الخلابَّة، وأكلاتهم اللذيذة، وأزيائهم وأفكارهم، ومبادئهم الراقية، وعرض قصص هادفة وتوعويَّة تحمل رسائل إيجابِيَّة عن المجتمع التركيِّ. (3)

1. نظرة عامة على تاريخ السينما التركيَّة ، ترك برس، 21 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://www.turkpress.co/node/11852>
2. السينما التركيَّة .. أشواطٌ كبيرة في ذكرى انطلاقتها المئويَّة، تركيا بوست، 15 نوفمبر 2014م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/8un9I
3. أحمد المصري، كيف تأثرت السينما التركيَّة بصعود "العدالة والتنمية"؟ تركيا بوست، 24 نوفمبر 2015م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/SxCIV

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْإِنْتِشَارَ الْعَالَمِيَّ الْكَبِيرَ لِلدِّرَامَا التُّرْكِيَّةِ أُدْرِجَهَا فِي إِطَارِ نَمُودَجٍ " الْقُوَّةُ النَّاعِمَةُ " لِأَسِيْمًا مَعَ نَجَاحِهَا فِي التَّغَلُّغِ دَاخِلَ دَوْلٍ وَمَجْتَمَعَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ تَمْتَدُّ رُفْعَتُهَا الْجُغْرَافِيَّةُ مِنْ أَمْرِيكَا اللَّاتِينِيَّةِ إِلَى أُوْرُوْبَا وَبَلْقَانِ فَآسِيَا الْوَسْطَى وَمَنْطَقَةُ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ، وَلَقَدْ تَعَدَّى تَأْثِيرُ الدِّرَامَا التُّرْكِيَّةِ الْأَبْعَادَ الثَّقَافِيَّةَ وَالْاجْتِمَاعِيَّةَ لِيَشْمَلَ الْأَبْعَادَ السِّيَاسِيَّةَ وَالْاِقْتِصَادِيَّةَ، وَخَاصَّةً فِي ظِلِّ الصُّورَةِ الذَهْنِيَّةِ الْجَيِّدَةِ لِتُرْكِيَا فِي الْعَقْلِ الْجَمْعِيِّ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ (1).

1. انظر في ذلك:

- صالحة علاء، "الدراما.. القُوَّةُ النَّاعِمَةُ التي غَزَتْ بها تركيا العالم!"، الجزيرة نت، 3 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yLf1ZY
- "السينما.. قُوَّةُ ناعمة فاعلة في السياسة الْخَارِجِيَّةُ التُّرْكِيَّةُ"، إدراك للدراسات والاستشارات، 19 يوليو 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tsyqOM

المبحث الرابع

أعمال درامية تركية نالت نجاحاً عالمياً

تحتل الأعمال الفنيّة بكافة أشكالها الدرامية والسينمائية والموسيقية اليوم مكاناً بارزاً في عقول المتلقين لها على مستوى العالم، ما جعلها تتحوّل من مجرد نماذج ثقافية لتعارف الشعوب، وعنصراً من عناصر التسلية والترفيه، إلى أن تصبح إحدى أهم وأبرز أدوات "القوة الناعمة" التي يتمّ توظيفها من جانب الدول الكبرى، الدبلوماسية والإقليمية، وترصد لها ميزانيات ضخمة بهدف تطويرها وتطويعها لتحقيق الأهداف التي يصعب تحقيقها من خلال العلاقات السياسية أو الطرق الدبلوماسية التقليدية، لبسط نفوذها الثقافي وتأثيرها الاجتماعي خارج نطاق حدودها الجغرافية الضيقة، وزيادة حصتها من صناعة السياحة العالمية، وكذلك إبراز صورتها التاريخية بشكل إيجابي لخدمة أهدافها الاستراتيجية الكلية.

ولقد عرفت الدراما التركية في السنوات الأخيرة انتشاراً واسعاً ذاع صيته بحيث استطاعت أن تخلق لها جمهوراً من المتابعين، وتنافس العديد من الدول التي ظلت لعقود مصدراً للإنتاج الفني والسينمائي خصوصاً؛ حيث أصبح الفن وقضاياها مع المتغيرات الطارئة والمتسارعة - مع العولمة - في نظم الثقافة والقيم أحد الأدوات المتوسّلة بها لاستنبات النموذج الذي يسعى إليه، ومن ثمّ أصبح مجال السينما أحد أوجه الصراع المتوّع الأبعاد والدلالات بين الثقافات المختلفة حول العالم.

فالثورة الفنية التركية تعكس أحد أوجه التقدّم الذي تعرفه تركيا، فلا يمكن تصوّر تطوّر السينما والقطاع الفني دون نهوض في باقي الجوانب والقطاعات، كما أنها تعكس حالة من القلق في المجتمع التركي، فهي على تنوعها ليست أعمالاً واحدة وعلى

ذات المنوال، إنما هي رؤى مختلفة جذرياً تمرَّر عبر الأعمال السينمائية المعروضة. والسينما التُّركيَّة تعكس حالة التعدُّد بالمجتمع التُّركيِّ شأنها شأن كلِّ العناصر المُشكِّلة للميدان التُّقافِيّ؛ حيث يبرز الصِّراع على أرضيَّة الهويَّة بين العُمق الإسلاميِّ والهوى الغربيِّ، بين أعمال تصلُّ تركيا الحديثة بجذورها العُثمانيَّة وعمقها الحضاريِّ الإسلاميِّ - الشرق -، وأخرى محكومة بنمطٍ قيميِّ يستند إلى الخلفيَّة العُلمانيَّة؛ حيث أقبلت تركيا الحديثة بمنطق القوَّة والقسر والإخضاع مع مؤسَّسها أتاتورك على الأنموذج الغربيِّ في نمط الحياة الاجتماعيَّة والتُّقافيَّة والقيَم الناظمة لها. (1)

ومن هذه الأعمال الفنيَّة المُتميِّزة التي عالجت إرادة الاستقلال السِّياسيِّ والحضاريِّ لتركيا في العقدين الأخيرين مع حزب العدالة والتَّنمية التُّركيِّ، وغيرها. وفي هذا الفصل نعرِّض لثلاثة نماذج من أبرز الأعمال الدرامميَّة التُّركيَّة، "قيامه أرطغرل"، "وادي الذئاب"، السلطان عبدالحميد الثاني"، بما يبرز موقعها من القوَّة النَّاعمة التُّركيَّة التي باتت استراتيجيَّة للحُكم والإدارة في البلاد، داخلياً وخارجياً، منذ وصول حزب العدالة والتَّنمية إلى سُدَّة الحُكم في أنقرة قبل 15 عاماً.

إطاللة إحصائيَّة: الدِّراما التُّركيَّة في الصِّدارة

إحصائياً، وبلغت الأرقام، فقد حقَّقت الدِّراما التُّركيَّة إنجازات كبيرة على مستوى العالم، مما جعلها مُنافساً شرساً لقوى السوق الدرامميَّة التقلديَّة العالميَّة التي تحتكرها دول غربيَّة كبرى بالأساس، وخاصَّة الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة؛ حيث باتت الدِّراما التُّركيَّة حاضرة بقوَّة في شاشات 142 دولة، وبحجم تصدير يصل إلى 350

1. يحيى عالم، مسلسل قيامه أرطغرل التركي: وظيفة السينما الفعَّالة في بناء الوعي بالتاريخ، نون بوست، 23 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/mkh74

مليون دولار، لتحتل تركيا المرتبة الثانية عالمياً على صعيد تصدير المسلسلات بعد الولايات المتحدة الأمريكية. (1) ويعتزم قطاع الدراما التركي، وفقاً لمسؤولين بارزين في القطاع، رفع حصته في السوق العالمية، من خلال زيادة إيراداته المقدرة سنوياً بنحو 350 مليون دولار، وفقاً لتقديرات العام 2017م، لتتجاوز حاجز الملياري دولار بحلول العام 2023 (2). وبالإضافة إلى الدخل المادي الذي تعود به الأعمال الدرامية على تركيا، فإنها أيضاً تُعتبر بمثابة السفير الثقافي لأنقرة حول العالم (3).

نماذج متميزة:

أولاً: مسلسل قيامة أرطغرل:

مسلسل "قيامة أرطغرل" هو مسلسل تاريخي تركي، تناول حياة والد مؤسس الدولة العثمانية، عثمان الأول (4)، وعرض جوانب من ملامح الحياة الاجتماعية والسياسية قبيل إنشاء الدولة العثمانية وتأسيسها، وتفقّ المسلسل في العديد من الجوانب الفنية والقيمية والجماهيرية.

1. المسلسلات التركية حاضرة بقوة في بيوت 142 دولة (تقرير)، وكالة الأناضول للأخبار، 12 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9GWUjZ
2. الدراما التركية تستهدف عائدات بـ"ملياري" دولار (مقابلة)، وكالة الأناضول للأخبار، 20 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MbRrfQ
3. "تركيا تسعى لتكون الأولى عالمياً في مجال تصدير المسلسلات، تركيا بوست، 5 أبريل 2016، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qu13fP
4. هو عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه، مؤسس الدولة العثمانية وأول سلاطينها، وُلد في مايو سنة 656هـ/1258م، وهو العام الذي سقطت فيه بغداد في أيدي التتار، تولى الحكم عام 687 هـ/1299م خلفاً لوالده، وتوفي في عام 1326م، بعد فترة حكم استمرت نحو 25 سنة؛ حيث حوّل إمارته الصغيرة إلى خلافة إسلامية استمرت في الحكم لقرون. للمزيد يُنظر: عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية، قصة الإسلام، 21 أبريل 2013، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GMWie9

وحاز المسلسل جماهيرية كبيرة في تركيا والوطن العربي، ونال اهتماماً كبيراً في دول أوروبا، وحقّق أرقاماً قياسية في مُعدّلات المشاهدة على القنوات الفضائية وعبر مواقع الإنترنت، وجذب شرائح واسعة من المشاهدين.

وبرزت في المسلسل مجموعة من الميزات الفنيّة والقيميّة، والتي تمّ تناولها بطريقة مُغايرة عمّا هو شائع في قيم ورسائل الأعمال الدرامية عادةً، فقدّم رسائل قيمية وأخلاقية أصيلة من نبع القيم الإسلاميّة في ثوب اجتماعي وسياسي، كما تعرّض لحقبة من التاريخ الإسلامي، وتناول البطولات والصفحات المضيئة لقيادات تركت بصماتها على العالم الإسلامي، خلافاً للدراما التي تتعرّض للتاريخ بمعالجات مُشوّهة متأثرة بضغط الواقع وكتابات المستشرقين.

وتم إنتاج المسلسل بتقنيّات عالية واحترافية في التصوير، والموسيقى التصويرية، وكتابة السيناريو، وبتميز وإتقان في أداء التمثيل، والتعبير بلغة الجسد، وبتنوع الانفعالات والمشاعر الإنسانيّة في أحداث المسلسل، فتعرّضت لمشاهد الحماسة والصراع و"الأكشن"، ومشاهد الحزن والبكاء والألم، وإطلالات إيمانية ونبوية، بالإضافة للقصاص الاجتماعيّة والعاطفيّة، وبعض الكوميديا والطرائف. (1)

القصة الحقيقيّة لحقبة "أرطغرل" وقبيلته:

تحدّث المسلسل عن نشأة "أرطغرل" (2) معرّجاً على فترة تاريخية دقيقة، منذ بدء

1. مسلسل قيامة أرطغرل .. المسلسل الأكثر حضوراً ومتابعة وتشويقاً، موقع أقاليم برس، 6 أبريل 2017م تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/kVGiO
2. هو أرطغرل بن سليمان شاه، والد عثمان الأول مؤسس الدولة العثمانية، واسمه بالتركية يعني الرجل العقاب أو الجندي العقاب أو الطير الجارح البطل، وهو من قبيلة قاي التركمانية المتحدّرة من آسيا الوسطى، وكان فارساً عظيماً مقاتلاً جليداً. وُلِدَ أرطغرل عام 1191م، وتميّز بصفات قيادية كالإصرار والشجاعة والإقدام، وهي التي ميّزته عن بقية إخوته. للمزيد يُنظر: "أرطغرل"، قصة الإسلام، 3 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/r7heui

ترك السلاجقة لوطنهم بسبب فتنة جنكيز خان (1) مَلِكِ التُّتَّارِ، ومالوا إلى جانب بلاد الروم، وجاء معهم "أرطغرل"، وكان رجلاً شجاعاً، وبصحبته نحو ثلاثمائة وأربعين رجلاً من بني قومه، فَعَمِلَ في خدمة السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قالج أرسلان بن طغرل السلجوقي(2)، سلطان بلاد قرمان(3). فَأَعْجَبَ به لشجاعته، وَقَرَّبَهُ إليه، ثم زاد في عطائه وَمَنَحَهُ بعد أن فَتَحَتْ على يديه كثير من البلاد.

وبينما كان "أرطغرل" راجعاً إلى بلاد العجم - أي فارس وما حولها - بعد موت أبيه غَرَقاً عند اجتيازه أحد الأنهار فاراً من أمام التتار، فشاهد جيشين مشتبكين، فوقف على مُرْتَفَعٍ من الأرض لِيَمْتَحَ نَظْرَهُ بهذا المنظر المألوف لدى الرجل من القبائل الحربيَّة، ولما آس الضعف من أحد الجيشين وَتَحَقَّقَ انكساره وخذلانه دَبَّتْ فيه النخوة الحربيَّة، ونزل هو وفرسانه مسرعين لنجدة هذا الجيش المهزوم، وهاجم الجيش الآخر بقُوَّة وشجاعة عظيمتين، حتى وقع الرعب في قلوب الدِّين كادوا يفوزون بالنصر، وأَعَمَلَ فيهم السيف والرُّمْحَ ضرباً ووخزاً، حتى هَزَمَهُمْ شَرَّ هزيمة.. وكان قائد هذا الجيش الَّذِي قام بمساعدته هو الأمير علاء الدين كيقباد، وقد قام بمكافأته على هذا الفعل

1. جنكيز خان هو بورجيكين تيموجين، ملك منغوليا ومُؤَسِّس إمبراطورية المغول، وُلِدَ حوالي سنة 1162م، وتوفي عام 1227م، امتدَّت فترة حكمه ما بين عامي 1206م-1227م، وكان جنكيز خان قائداً عسكرياً كبيراً استطاع أن يُوَحِّد القبائل المنغوليَّة والتي تمكَّنت تحت حُكْمِهِ من غَزْو معظم آسيا وبلاد فارس، الشرق الأوسط وحتى شرق أوروبا. للمزيد يُنظَر: جمال الدين فالح الكيلاني، "جنكيز خان: سيرة حياة"، شبكة الألوكة الإسلاميَّة، 23 أكتوبر 2012، تاريخ الزيارة: 14 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/V4tcVx
2. هو سلطان دولة السلاجقة، وعاصمتها قونيا، عاش خلال الفترة من 1188 - 1237م، وتولَّى الحكم خلال الفترة من 1220 - 1237م، ازدهرت البلاد في عهده وكان من أبرز السلاطين السلاجقة. للمزيد يُنظَر: ابن البيبي، أخبار سلاجقة الروم، ترجمة محمد السعيد جمال الدين المركز القومي للترجمة، مصر، الطبعة الثَّانِيَّة، 2007م.
3. إمارة إسلاميَّة نشأت عام 1250م جنوبي الأناضول، أسَّسَهَا نوريُّ الصوفي الأرميني الذي اعتنق الإسلام، وتوالى على حُكْمِهَا سُلَالَتُهُ من بعده؛ حيث استمرَّت الإمارة نحو 237 سنة، اتَّخَذَتْ من التُّرْكِيَّة المكتوبة بالحرف العربي لغةً رسميَّة. للمزيد يُنظَر: سامي بن عبدالله المغلوث، أطلس تاريخ العصر المملوكي، مكتبة العبيكان، الرياض، 1433 هـ، ص 162.

النبيل بإقطاعه عدة أقاليم ومدن، وأصبح بعد ذلك لا يعتمد في حروبه مع مجاوريه إلا عليه وعلى رجاله، وكان عَقَبُ كُلِّ انتصار يُقَطِّعُهُ أَرْضِيَّ جَدِيدَةً، ويمنحه أموالاً جزييلة، ثم لَقَّبَ قَبِيلَتَهُ بِمَقْدَمَةِ السُّلْطَانِ لَوُجُودِهَا دَائِمًا فِي مَقْدَمَةِ الْجِيُوشِ. (1)

وأَمْضَى "أَرْطَغْرُلُ" بَعْدَ ذَلِكَ بَاقِي عُمُرِهِ فِي الْجِهَادِ وَالرِّبَاطِ؛ حَتَّى سُمِّيَ فِي الْمَوَادِّ التَّارِيخِيَّةِ بِ"غَازِي الثُّغُورِ"، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ سَنَةً سَبْعَ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةً تَقْرِيبًا، كَتَبَ السُّلْطَانُ عَلَاءُ الدِّينِ لَابْنِهِ عَثْمَانَ بِالإِمَارَةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ خِلْعَةً وَسَيْفًا كَعَادَتِهِ عِنْدَ تَثْبِيثِ الْأَمْرِ.

المزايا الفنيَّة لسلسل قيامة "أرطغرل":

تَعَدَّدَتِ الْجَوَانِبُ الْمُمَيِّزَةُ فِي مَسَلْسَلِ قِيَامَةِ "أَرْطَغْرُلُ"، بِدَءًا مِنَ الْفِكْرَةِ وَالرُّوْيَةِ، وَطَرِيقَةِ كِتَابَةِ الْقِصَّةِ وَالسِّيْنَارِيُو وَالْحَبْكَاتِ الْفَنِّيَّةِ، مَرُورًا بِالْأَدَاءِ الْإِحْتِرَافِيِّ لِلتَّمْثِيلِ وَتَمَيُّزِ لُغَةِ الْجَسَدِ، وَانْتِهَاءً بِالْإِخْرَاجِ وَالْمُوسِيقَى وَالْمُؤَثَّرَاتِ السَّمْعِيَّةِ وَالْبَصْرِيَّةِ.

فَقَدْ طَرَحَ الْمَسَلْسَلُ رُؤْيَا إِسْلَامِيَّةً فِي تَنَاوُلِ الْأَحْدَاثِ، وَحَرَصَ عَلَى تَرْسِيخِ مَعَانِي الْإِجَابِيَّةِ، وَالنَّخْوَةِ، وَحِفْظِ الْأَعْرَافِ، وَعَدَمِ الذُّلِّ، وَالِاسْتِسْلَامِ، وَمُغَالَبَةِ الْوَاقِعِ الْأَلِيمِ مَعَ الثِّقَّةِ وَالْيَقِينِ فِي اللَّهِ، كَمَا بَرَزَتْ ثِقَافَةُ الشُّورَى فِي اتِّخَاذِ الْقَرَارِ، وَالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَالْمَصَائِبِ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ، وَاللُّجُوءَ إِلَيْهِ بِالذِّكْرِ وَالتَّسْمِيَةِ وَالدُّعَاءِ.

وَحَرَّصَ الْعَمَلُ الدِّرَامِيَّ عَلَى اسْتِخْلَاصِ الدَّرُوسِ وَالْعِبَرِ مِنَ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَإِسْقَاطِهَا عَلَى بَعْضِ الْمَشَاهِدِ، وَتَمَثَّلَ ذَلِكَ فِي دُورِ ابْنِ عَرَبِي (2)، وَالَّذِي يَظْهَرُ بِشَكْلِ مَتَنَاتٍ عَلَى مَدَارِ الْحَلَقَاتِ لِيُحْيِيَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ قِصَّةً وَدُرُوسًا مُسْتَفَادَةً فِي ثُوبِ إِيمَانِيٍّ وَأَجْوَاءَ رُوحَانِيَّةٍ.

1. مسلسل قيامة أرطغرل .. المسلسل الأكثر حضوراً ومتابعة وتشويقاً. موقع أقاليم برس، مرجع سابق.
2. هو محمد بن علي بن محمد الطائي الأندلسي، ولد سنة 560 هـ وتوفي سنة 638 هـ. بدأ حياته بطلب العلم في مدينة إشبيلية بالأندلس، ثم سلك طريق التصوف، فانقطع عن الدنيا، واعتزل الناس ورحل لمشايخ التصوف، اتهمه كثير من العلماء بالزندقة، كالإمام العز بن عبد السلام، وابن الجزري، والإمام الذهبي، وغيرهم. للمزيد يُنظر: عبداللطيف بدر العثمان، حقيقة ابن عربي، صيد الفوائد، د. ت، تاريخ الزيارة: 14 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Zb9Gce

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

واعتمد السيناريو على الذكاء الحواريّ، والتعبير بلغة الجسد مع قليل من الكلام، فظهرت أغلب الشخصيات بمستويات مُتقدِّمة من الذكاء والفهم والدَّهاء والمكر، كما حرص كذلك على عنصر المفاجأة، وتطوُّر الأحداث بما لا يتوقَّعه المشاهدون، كما لم يتبع السيناريو منهج المثاليَّة المطلقة في أدوار الشخصيات، فتارةً يتحوَّل الشريف إلى خائنٍ تحت الضَّغطِ والإغراء، وتارةً يتوب الخائن ويُنضمُّ للشرفاء، وظهر أبطال المسلسل في مواقف صحيحة تارةً، وفي مواقف خاطئة تارةً أخرى.

ومن جوانب التَّميِّز في هذا العمل الدراميِّ شموله على أنماط الصِّراع والإثارة والمغامرة، وكذلك أنماط "التراجيديا" والبكاء والمشاهد المؤلمة، كما أعطى مساحات للعاطفة والحبِّ والوفاء، وبعض الكوميديا الخفيفة. والصِّراع ظهر في مشاهد الأُمْناء والخوَّنة، والصِّراع مع التتار، والصِّراع مع الصليبيين، واستمرَّت قصص الصِّراعات على طول الحلقات، وما إن انتهت قصة صراعٍ إلا وتبدأ قصةً أخرى، وهو عنصر يثير فضول الجمهور للمتابعة، وترقُّب الحلقات الجديدة، وارتبط بعنصر الصِّراع تقنيَّات "الأكشن" والمعارك والفروسية والخيول، والنصر تارةً، والهزيمة تارةً أخرى. وظهرت ألوان المغامرة والإثارة في مشاهد عديدة، مثل مشاهد الهروب، وتنصيب الفخاخ، وقصص المغارة، وتنقيب الذهب، وتتبع الآثار، وأعمال الجواسيس، كما ظهرت الكوميديا في شخصيَّة المحارب "بامسي"، سواءً في نمط أدائه، أو على مستوى حواراته الكوميديَّة مع أقرانه.

ولعبت الموسيقى التُّرْكِيَّة ونمطها الدراميُّ المصاحب لأغلب المشاهد الحوارية والصامتة دوراً مؤثراً في وجدان المشاهد، وهو نمطٌ مُتميِّز في الأعمال التُّرْكِيَّة بموسيقاها ذات الطابع الخاص. (1)

1. "مسلسل قيامة أرطغرل.. رسائل إيجابية وأخرى سلبية"، موقع اسكتشات (موقع مختص بالفنون السمعية البصرية)، د. ت، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kTXfYk

عمل فنّي رائد:

العمل الفنّي الرائد الذي قدّم له مسلسل "قيامه أرطغرل"، غير مفصول عن طبيعة الصّراع على أرضيّة الهويّة، وانبعاث الإمبراطوريّة العثمانيّة لتحمّل لواء الفتح الإسلاميّ في لحظات من التاريخ عرّف فيه العالم الإسلاميّ - بالشرق العربيّ حالة من الشّتات والأفول الحضاريّ، بفعل الصّراع الداخليّ بين أمراء أغوتهم شهوة السّلطة والمال، وبفعل الضّربات الخارجيّة التي استغلّت حالة التّشظّي المذكورة آنفاً بالحواضر الإسلاميّة الكبرى.

وكانت الغزوات الصليبيّة وهجمات المغول حالة فارقة امتدّ أثرها للبُعْد الحضاريّ حيث أعقبت الهجمات حالة من الوهن فلم يكن ردّ الغزوات الصليبيّة كافياً للنهوض من جديد؛ إذ استتبعه انقسامٌ سياسيّ وتردّدٌ شمل كلّ المستويات، أسهم في الدفع بولادة حركة جديدة في جسم الأمة توفّرت لها عصبيّة القبيلة، وغدّتها بقوة الفكرة الدنيّة الدافعة، والقبائل التركيّة التي ستعيد حالة الاستواء للعالم الإسلاميّ وتستجمع أطرافه فيما بعد، كانت رموز كثيرة على صلة وطيدة واتّصال بمهد الخلافة الإسلاميّة بالشرق، استتبعه تأسيس الدوّلة السلجوقيّة (1) على هضبة الأناضول، وعلى أنقاضها وأنقاض دويلات العالم الإسلاميّ ستأسس الإمبراطوريّة العثمانيّة.

مسلسل قيامه أرطغرل التركيّ "التاريخيّ" الذي يعالج بواكير قيام الخلافة العثمانيّة به سمات ومميّزات فنّيّة دالة وقويّة فيها الكثير من الإبداع وتحقيب تاريخيّ دقيق

1. إحدى الدول السنيّة القوية تأسست عام 1037م، وامتدّت رُقعُها الجغرافيّة لتشمل خراسان وما وراء النهر وإيران والعراق وسوريا وآسيا الصغرى. وتُسبب هذه الدولة إلى سلجوق زعيم عشائر الغزّ التركمانيّة، التي هاجرت واستقرّت في بخارى، قبل أن تتوسّع لتضمّ حواضر إسلاميّة عديدة؛ حيث استمرّت الدولة السلجوقيّة حتى عام 1128م. للمزيد يُنظر: علي محمد محمد الصلابي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مؤسّسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م.

لمرحلة ما قبل فتح القسطنطينية، ورصد لحركة قائد قبيلة تجمعت له عناصر تشكيل نواة دولة جديدة مهمتها رفع الظلم ونشر العدل وإطلاق فتوحات جديدة ستصل في حقب متأخرة إلى قلب أوروبا.

بطل العمل الفني "أرطغرل" أبو عثمان الأول وابن سليمان شاه، والعمل به أبعاد متعددة فيها الديني والتاريخي والثقافي، إنه أحد أهم الأعمال التي تعرضت للتاريخ العثماني، وحاولت تجديد وصل تركيا الحديثة بتاريخها الماضي والأسس الهوياتية والقيمية والثقافية، التي جعلت من الأتراك فاعلين في مسرح التاريخ.

إن الدافع الديني وقيم التزكية الروحية والإبداع الفني لا يتعارضان، تلك إحدى الخلاصات التي يمكن استخلاصها، فالإبداع والفن يعبر عن روحه وفطرته، ولذلك لا يمكن للفن أن يكون موسوماً ببعض السمات المغلوطة؛ كما يحاول الكثير التحجج بها، ويجلي البعد الديني التزكوي في شخصية ابن عربي "الصوفي" ودوره في الدفع بحركة القبائل ووصلها بضرورة إحياء العالم الإسلامي هضبة الأناضول على قيم دينية لا تبلى، بل تحافظ على جذوتها في بناء الأمم والحضارات إذا وجدت من يفعلها. وابن عربي، يحاول العمل الفني من خلاله تجسيد الدور الديني للإمبراطورية العثمانية، وهو كذلك وصل للحاضر الديني التركي الموسوم بمسحة التصوف مع التاريخ، والحقيقة التاريخية أن ابن عربي عايش تلك اللحظة كما أنه تنقل طويلاً بالشام الذي كان موطناً لتلك القبائل الفاتحة، وما يطرح بعض الاستشكال هو البعد السياسي في حركة ابن عربي، أما كل رؤية الزعيم الروحي فإنها تصدر عن مشكاة معتدلة غير ما يتم به التجني عليه بين الكثير من المسلمين من خلال مطارحات في فكره لا تجد لها أثراً في العمل الفني، وتلك سمة للإبداع مع الرموز الفاعلة في التاريخ استطاع العمل الفني المبدع تجليتها بوضوح.

مع متابعة العمل الفني تكون أمام جوانب أخرى مُتعلّقة بطبيعة الصّراع داخل القُصُور والدسائس الّتي تحاك هنا وهناك وعامل الخيانة والولاءات، ودور القبيلة تاريخياً في تشكيل النُظُم السّياسيّة، وكيف أن الدعوة الدّينيّة لما تتشكّل لها عصبيّة تتقوّى حسب المنظور الخلدوني، وفي الوقت ذاته، كيف أسهم الدين في نقل أمم من حالة القبيلة واللدولة والانقسام الاجتماعيّ والسّياسيّ إلى حالة الدّولة والحضارة، وذلك هو تاريخ أغلبيّة الدول الّتي تعاقبت في التاريخ الإسلاميّ؛ حيث شكّل الدين الجديد بداية فجر جديد لدول قامت على أنقاض قبائل ونقلت الناس من الشتات إلى الوحدة ومن الانقسام إلى الاتّحاد ومن لا شيء إلى حضارة لا تغربُ عنها الشمس.

إنّ مثل هذا العمل الفنيّ الّذي عرضنا له ببعض الإشارات وهو وغيره من الأعمال الرائدة تُحقّق أكبر نسب المشاهدة من الجمهور التّركيّ ذاته عكس الأعمال الّتي تتمّ دَبَلَجَتُها وعرضها في الإعلام العربيّ، فهي تُنمّي وعي الإنسان وثقافته بعيداً عن التزييف وتسطيح الوعي الّذي ينشره الإعلام العربيّ.

والغريب أن أغلبيّة هذا الإعلام يقوم بدبلجة مسلسلات - تركيّة وغيرها - بالعشرات وبميزانيات طائلة، لكن أغلب تلك الأعمال المدبلجة فيها تناقض جذريّ مع نُظُم القيم بالمجتمعات العربيّة والإسلاميّة، إلى جانب وسيلة الدبلجة الدارجة لواقع ثقافيّ وأنماط علاقات وقيم مُعايرة لما هو في مجتمعاتنا بالدول العربيّة الإسلاميّة، فالدبلجة إخلال بالأبعاد الفنيّة والجماليّة وهدر للغة والقيم، ولو انفتح الإعلام العربيّ على مثل هذه الأعمال للترجمة بالعربيّة؛ حيث تُحافظ على جمال المضمون وتُرقّي الذوق، فإن ذلك سيسهم في حالة من اتّقاد الوعي ليس بالتاريخ والحاضر وحسب، وإنما توجيه الطاقات والقُدّرات والإرادات نحو المستقبل(1).

1. يحيى عالم، مسلسل قيامة أرطغرل التركي: وظيفة السينما الفعّالة في بناء الوعي بالتاريخ، نون بوست، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/mkh74>

رسالة من المسلسل للمشاهد العربيّ وحتى للمشاهد التركيّ الغائب عن تاريخه، لتذكيرهم بالترُكْمَان وتاريخهم المجيد في الدِّفاع عن الإسلام ورفع رايته على مدار ألف عام من تاريخ الأمة المحمدية فأرطغرل وقبيلته التركمانية والعثمانيّين من بعدهم، هم نموذج واحد من آلاف النماذج التركمانية الأخرى المُشْرِفة في تاريخ الإسلام كالسلاجقة (1) والغزنويّين (2) والزُنكيّين (3) والخوارزميّين (4) والمماليك (5) وغيرهم كثير.

التركمان هذه القومية التي تُعْتَبَر من النسيج القديم لسيفساء بلاد الشام والعراق والشرق الأوسط عموماً والتي يتعمد الكثير الإساءة لها وتهميشها ويحاولون طمس تاريخها الطويل المخضب بالدماء على الأراضي المقدسة، والذين لا يزالون يُقدِّمُونَ دماءهم نُصرةً للحقّ وللمظلومين في سوريا وكانوا من أوائل من ثار ضدّ الظلم الأُسديّ مع إخوتهم العرب، هذا المسلسل أعاد لهم قليلاً من الاعتبار الذي اعتدى عليه المُغْرِضُونَ حقداً وعنصريةً تارة، ولأسباب سياسية تارة أخرى. (6)

1. سبق التعريف بالدولة السلجوقية من قبل.
2. الدولة الغزنوية دولة إسلامية تأسست في بلاد ما وراء النهر وشمال الهند ومنطقة خراسان، خلال الفترة من 961-1187م، وعاصمتها مدينة غزنة، التي تقع حالياً في حدود دولة أفغانستان. للمزيد يُنظر: صباح عبدالوهاب الداهري، "الدولة الغزنوية من خلال نقودها العريية"، مجلة العلوم الإسلامية، العدد الثاني عشر، 2016، ص ص 290-324.
3. دولة إسلامية أسسها عماد الدين الزنكي عام 1127م، وشملت في مراحلها المختلفة العراق والشام ومصر، وقد استمرّت حتى عام 1250م. للمزيد يُنظر: إبراهيم ياسين الخطيب، الدولة الزنكية في بلاد الشام والجزيرة، دار فتديل للنشر والتوزيع، مصر، 2004م.
4. قبائل تركية مسلمة حكمت أجزاء كبيرة من آسيا الوسطى وغرب إيران خلال الفترة ما بين 1077-1220م. للمزيد يُنظر: إيناس محمد البهيجي، تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية، مركز الكتاب الأكاديمي، 2017م.
5. دولة المماليك، إحدى الدول الإسلامية التي قامت في مصر وضمت إليها الشام والحجاز. امتد حكمها من عام 1250م، هزيمة المماليك أمام العثمانيين في معركة الريدانية الشهيرة سنة 1517م. للمزيد يُنظر: سعيد عبدالفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1972.
6. سيف الدين التركماني، رسائل من مسلسل قيامة أرطغرل، مدونات الجزيرة، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/E8yo41>

إن مسلسل "قيامه أرطغرل" أو "نهوض أرطغرل" قدّم رؤية فنيّة إسلاميّة وتاريخيّة في مجملها، لكنها مُختلطة ببعض الرؤى العُلمانيّة، ومُتأثّرة ببعض الرؤى المذهبيّة، وهذا نتاج الثقافة المختلطة للأتراك منتجي المسلسل.

ثانياً: مسلسل وادي الذئاب:

هو مسلسل دراميّ بوليسيّ تركيّ مدبّج إلى اللُغة العربيّة باللهجة السُوريّة يُعرض منذ 2008م حتى الآن بأجزائه العشرة. عرّض الجزء الأوّل من مسلسل وادي الذئاب في تركيا في 97 حلقة من 90 دقيقة، على امتداد 4 مواسم، بين 2003 و2005م. هذا الجزء تمّ دبلجته للُغة العربيّة في 2008م وتقسيمه إلى جزأين بحلقات طولها 50 دقيقة: الجزء الأوّل (86 حلقة) والجزء الثاني (70 حلقة).

أحداث مسلسل وادي الذئاب:

عندما يكون الفنّ من أقوى الأسلحة، وتصبح الدراما من أفضل وسائل التوعية، وتنبؤ الأحداث السياسيّة المعروضة على الساحة في حلقات يتابعها المشاهد بشغف، فهذا يعني أنه المسلسل التركيّ "وادي الذئاب" المسلسل الأكثر مشاهدة في تاريخ المسلسلات التركيّة والأكثر مشاهدة في الدول العربيّة بعد دبلجته؛ حيث يُعرض منذ حوالي 12 عاماً. يُعرض وادي الذئاب الواقع الدخليّ لتركيا بشكل جريء وصادم وكذلك المؤامرات التي تحاك فيها، عن طريق كشف "الماфия التركيّة" التي تتخذ من تركيا ودول جوارها مسرحاً لعملياتها. "وادي الذئاب" من تأليف الكاتب رجائي شاشماز وبهاذر أوزتدينرو باتيت آسيان، وقام بإخراجه زبير شاشمانر، أما بطولة هذا المسلسل فكانت للممثل نجاتي شاشماز (1) وإنتاج عثمان سيناف. بدأ عرض المسلسل في تركيا عام 2003م، ثمّ تمّت دبلجته للهِجّة السُوريّة، وتمّ عرضه في بعض القنوات العربيّة وذلك منذ عام 2008م حتى الآن.

1. مُمّتلّ تركيّ مشهور من مواليد محافظة الأزيغ وسط تركيا عام 1971م، درس السياحة، وعَمِلَ بها قبل أن يبدأ مسيرته الفنيّة بمسلسل وادي الذئاب ذائع الصيت، ليُتحوّل بعدها إلى أحد أبرز الممثّلين الأتراك. للمزيد يُنظر: نجاتي شاشماز، سينما دوت كوم، د. ت، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kBc2H7

القوة التركيبية الناعمة

تدور أحداث المسلسل حول شخصية مراد علمدار ضابط الاستخبارات التركيّة الذي يقود مجموعة تُراقب العناصر المُندسّة في الدوّلة التركيّة مثل "إسكندر الأكبر وسيراس وباش طاش" وكشف العملاء الذين يعملون لصالح جهات أجنبيّة ومصاصي الدماء من الصهاينة الذين ماتت قلوبهم إلى درجة أن تجاوزهم للتغذيب بالتفّن في أساليبه. ويعرض العمل الجرائم الإرهابيّة من قتل إلى خطف الأطفال واغتيال براءتهم ليكونوا سلاحاً ينتقمون به من الأتراك من أجل التّفرد بالزعامة، وأوضح العمل أن هدف رؤساء المنظّمات الإرهابيّة هو ضرورة السيطرّة على القضاء والجيش حتى يستقيم النّظام، ويصف المسلسل حال الكيان المُوازِي، وكيف يتعامل مع أعداء الوطن خصوصاً الصهاينة، وذلك لإسقاط الدوّلة التركيّة. (1)

من أكثر النقاط التي تميّز مسلسل وادي الذئاب هي الواقعيّة ومجاعة الأحداث الحقيقيّة على السّاحة، وبحسب رأي بعض النّقّاد، فإن المسلسل الذي يُصنّفه البعض بأنه أفضل عمل درامي تركي، يُقدّم تحليلاً عميقاً لواقع منطقة الشرق الأوسط، ويفضح دور المافيا التركيّة المدعومة خارجياً في الصّراعات التي تشهدها هذه المنطقة. وواجه العمل معارضة كبيرة من قبل بعض الدول وخاصّة الولايات المتّحدة الأمريكيّة وإسرائيل، كونه يفضح دورهما في تمويل صفقات الأسلحة التي تتم في المنطقة بدءاً من أفغانستان ومروراً بإيران والعراق وانتهاءً بأوروبا، عبر المافيا التركيّة التي تتلقّى دعمها المباشر من هاتين الدولتين. وتشير بعض المصادر إلى أن العمل يُجسّد شخصيّة حقيقيّة ألا وهي شخصيّة "هاكان فيدان" (2) رئيس جهاز المخابرات التركيّة، والذي يشرف على حرب تركيا ضدّ الإرهاب وضدّ متمردي حزب العمال الكردستاني، وهو مهندس العلاقات الاستخباراتيّة التركيّة ويوصّف بأن معه شيفرة فكّ النّظام التركيّ.

1. أحمد مصري، "وادي الذئاب" دراما تركية عكست واقعاً معاصراً، تركيا بوسنت، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/t5K7S2
2. هاكان فيدان، رئيس الاستخبارات التركيّة منذ 27 مايو 2010م، وهو أصغر شخص تولّى منصب رئاسة الاستخبارات التركيّة؛ حيث كان عمره آنذاك 42 عاماً. من مواليد عام 1968 بأنقرة، درس في الأكاديميّة الحربيّة التابعة للقوّات البريّة التركيّة وتخرّج منها عام 1986م، وحصل على درجة الماجستير في العلاقات الدوليّة من جامعة بيلكنت التركيّة عام 1999م. للمزيد يُنظر: من هو "هاكان فيدان" الثعلب التركيّ الذي أفضل الانقلاب؟، تركيا بوسنت، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة: 14 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/eLBXvp

ويعتبر "فيدان" رجل أردوغان القوي وكاتم أسراره، والذي يعزز من هذا الرأي أن إسرائيل تعتبر فيدان ألد أعدائها، وانزعجت كثيراً لوجوده على رأس جهاز المخابرات التركية.

وجاء اختيار الشركة التي قامت بدبلجة العمل إلى اللهجة السورية: لـ (وادي الذئاب) بسبب أهمية العمل وتميزه من حيث المواضيع وهو عكس الأعمال الأخرى التي تركز على الحب والقصاص الاجتماعي⁽¹⁾. كما أن الأفكار التي يطرحها العمل والتي قد تبدو قاسية على المشاهد، ولكنها تهمه جداً؛ لأنها تتحدث عن واقعه؛ لأن المافيا هي وسيط في كل حروب المنطقة بما في ذلك إيران وأفغانستان، كما يلقي المسلسل الضوء على دور الولايات المتحدة وإسرائيل في هذه الحروب؛ لذا جاء حجم المشاهدة الجماهيرية كبيراً للعمل⁽²⁾.

ويرى النقاد أن النجاح الكبير الذي حققه مسلسل "وادي الذئاب" على صعيد المشاهدة، وخاصة بين الشباب يعود لكونه "يتحدث بشكل ميلودرامي عن عالم المافيا، ويحوي جرعة من العنف لا نراها عادة في مسلسلاتنا، ونستطيع أن نلمس الجاذبية الكبيرة لممثليه الأشرار والطيبين لدى عدد كبير من الشباب". ومن ثم فإن هذا العمل يختلف كلياً عن كافة المسلسلات التركية التي عرضت سابقاً على الشاشات العربية، والتي كانت قصة الحب هي القاطرة التي تشد العمل، بينما نجد أن صراع العصابات فيما بينها هو الذي يشد الناس في هذا العمل⁽³⁾.

1. حسن سلمان، "وادي الذئاب: المافيا وسيط في كل حروب الشرق الأوسط"، ميدل إيست أونلاين، 8 فبراير 2008م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jYKyzd
2. أحمد مصري، "وادي الذئاب" دراما تركية عكست واقعاً معاصراً، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://www.turkey-post.net/p-96727/>
3. حسن سلمان، "وادي الذئاب: المافيا وسيط في كل حروب الشرق الأوسط"، المرجع السابق.

وفيما يدل على واقعية المسلسل ومجاراته الأحداث، تناولت إحدى حلقاته في الجزء العاشر، قضية اللاجئين السوريين وتغريبهم بحراً ونشاط المافيات التركية في الاتجار بهم، ففي الحلقة 266 من هذا الجزء تقوم إحدى المافيات باحتجاز قارب ممتلئ باللاجئين بعد إطلاق النار عليهم وقتل أحدهم. وفي المخزن الذي يتم احتجازهم فيه تتكشف خيوط المؤامرة ضد اللاجئين، وأن تخويفهم ومن ثم إنقاذهم لم يكن سوى لعبة خبيثة لإدخال الطمأنينة إليهم وإشغالهم عما يحاك ضدهم (1)؛ حيث تُعيد الحلقة إلى الأذهان المآسي التي يلاقها اللاجئين السوريون، ولا سيما من يريدون الهجرة إلى أوروبا.

وسبق أن تطرقت مسلسل "وادي الذئاب" إلى الثورة السورية على نظام الأسد في أحد أجزائه؛ حيث ظهر بطل المسلسل "مراد علمدار" في أحد المشاهد وهو يقوم بإيصال السلاح لكتيبة تابعة للجيش الحر فيما بدا علم الثورة السورية خلفهما.

ساهم المسلسل في تعميق الأزمة بين تركيا والكيان الصهيوني، لأن المسلسل ألقى الضوء وبشكل كبير وصادم لم يكن يتوقعه المشاهد على الجرائم الإسرائيلية الكبيرة والتي تعدت حدود فلسطين لتشمل العالم بأسره.

وسبق أن استدعى نائب وزير الخارجية الإسرائيلي السفير التركي في إسرائيل للاحتجاج على مسلسل تركي يُصور اليهود على أنهم يخطفون الأطفال، ويرتكبون جرائم حرب، وهذه المرة الثانية التي تعترض فيها إسرائيل على مسلسل تركي. (2) وجاء في بيان الخارجية حينها "نحتج باسم الحكومة الإسرائيلية على مشاهد من هذا المسلسل التركي تُظهر إسرائيل واليهود على أنهم خاطفون أطفال ومجرمون حرب"،

1. أحمد مصري، "وادي الذئاب" دراما تركية عكست واقعاً معاصراً، تركيا بوست، مرجع سابق.

2. أحمد مصري، "وادي الذئاب" دراما تركية عكست واقعاً معاصراً، المرجع السابق.

مضيفاً "هذا أمر غير مقبول ويهدد حياة اليهود في تركيا ويهدد العلاقات الثنائية".⁽¹⁾ جدير بالذكر أن فيلم "وادي الذئاب فلسطين" الذي أُنتج في عام 2011م تناول مهاجمة إسرائيل للسفينة مرمرة. والفيلم من تمثيل أبطال مسلسل وادي الذئاب نجاتي شاشماز، غوركان اويغون، كنان جوبان. وتدور أحداث الفيلم حول صراع أبطال وادي الذئاب مع الجيش الإسرائيلي في القدس، بعد أن قامت القوات الإسرائيلية بقتل 9 نشطاء سلام أتراك على متن السفينة مرمرة، التي كانت في طريقها إلى قطاع غزة للتضامن وإفك الحصار الإسرائيلي عن أهالي القطاع.

اتهامات بدعم الحكومة للمسلسل:

لم ينجح المسلسل وأبطاله من الاتهامات، فضلاً عن تهديدات الكيان الصهيوني لأبطال المسلسل، انتشرت مؤخراً اتهامات أن المسلسل مدعوم من الدولة ومحقق لأهداف النظام الحاكم، وقد ألمح البعض أن نجاتي شاشماز تجمعه علاقة طيبة برئيس الجمهورية التركية السيد رجب طيب أردوغان؛ حيث شوهدا معاً مرّات عدّة في العديد من المناسبات، كما اجتمع السيد رجب طيب أردوغان أكثر من مرة بنجاتي شاشماز وقت أن كان أردوغان رئيساً للحكومة التركية.

ويرى البعض أن هذه الاتهامات لم تأتِ بدليل واضح، وأن كون المسلسل يخدم الدولة ليس دليلاً على دعم الدولة له؛ حيث إن المسلسل حقق إيرادات كبيرة ولا يحتاج لدعم من أي نوع، كما أنه لا توجد مشكلة في توافق المسلسل مع إرادة الدولة طالما أنه في النهاية يصب في مصلحة الوطن.

1. "مسلسل تركي جديد يثير أزمة مع إسرائيل"، إم بي سي، نت، 12 يناير 2010م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/b7Dmiz

ثالثاً: مسلسل السلطان عبدالحميد الثاني:

المسلسل التُّرْكِيّ "عبدالحميد الثاني" أَحَدَتْ ضَجَّةً كَبِيرَةً عَالَمِيَّةً وَأَرْقَاماً قِيَاسِيَّةً كَبِيرَةً عَلَى مَسْتَوَى الْوَطْنِ الْعَرَبِيِّ، وَحِظِيَّ بِأَرْقَامٍ مُشَاهِدَةٍ عَالِيَةٍ جَدًّا عَلَى مَسْتَوَى تَرْكِيَا؛ حَيْثُ وَصَلَ إِلَى 20 مِلْيُونٍ مُشَاهِدَةً، وَيَتَابَعُ الْمَسْلُسِلُ عَدَدَ كَبِيرٍ مِنَ الْجُمْهُورِ فِي تَرْكِيَا وَخَارِجَهَا (1). فَقَدْ حَقَّقَ الْمَسْلُسِلُ عَشْرِينَ مِلْيُونٍ مُشَاهِدَةً دَاخِلَ تَرْكِيَا فِي أَوْلَى حَلَقَاتِهِ، وَتَدْرِيجِيًّا أَصْبَحَ الْمَسْلُسِلُ الْأَشْهَرُ فِي تَرْكِيَا فِي غُضُونِ تِسْعِ حَلَقَاتٍ فَقَطْ، وَمِنْ تَرْكِيَا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ حَيْثُ سَيِّمَ عَرَضُهُ عَلَى عِدَّةِ قَنَوَاتٍ عَالَمِيَّةٍ فِي الْفَتْرَةِ الْمَقْبَلَةِ (2)، وَعَلَى الصَّعِيدِ الْأُورُوبِيِّ حَقَّقَتْ الْحَلَقَةُ الْأُولَى مِنَ الْمَسْلُسِلِ ثَانِيَ أَعْلَى نِسْبَةِ مُشَاهِدَةٍ فِي دَوْلِ الْإِتِّحَادِ الْأُورُوبِيِّ (3).

تفاصيل مسلسل عبدالحميد الثاني:

تدور أحداث المسلسل حول فترة حكم السلطان عبدالحميد الثاني (4) والتي استمرت مُدَّةً لَا تَقَلُّ عَنْ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ عَاماً؛ حَيْثُ تَدُورُ أَحْدَاثُ مَسْلُسِلِ عَبْدِالْحَمِيدِ الثَّانِي فِي آخِرِ ثَلَاثَةِ عَشْرٍ عَاماً مِنْ تِلْكَ الْفَتْرَةِ؛ حَيْثُ قَدَّمَ الْمَسْلُسِلُ التَّفَاصِيلَ الْكَامِلَةَ حَوْلَ حَيَاةِ السُّلْطَانِ عَبْدِالْحَمِيدِ الثَّانِي مِنْذُ وِلَادَتِهِ حَتَّى وَفَاتِهِ، وَيُقَدِّمُ الْمَسْلُسِلُ خِلَالَ حَلَقَاتِهِ الْأُولَى عَمَّا قَامَ بِهِ السُّلْطَانُ عَبْدِالْحَمِيدِ الثَّانِي مِنْ أَجْلِ الْحِفَاطِ عَلَى السُّلْطَنَةِ.

1. مسلسل "عاصمة عبدالحميد" يحصد ملايين المشاهدات، دايلي صباح، 26 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4mxxsD
2. المسلسل التُّرْكِيّ "عبدالحميد" .. أرقام قياسية وإقبال عالمي، الجزيرة نت، 2 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YRRsDV
3. مسلسل "العاصمة، عبدالحميد" سينفتح على أوروبا، تي آر تي العربيَّة، 2 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hfZV6A
4. السلطان عبدالحميد الثاني هو السلطان الرابع والثلاثون من حُكَّامِ الدَوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَالسَّادِسُ وَالْعَشْرُونَ مِنْ سُلْطَانِيْنَ آلِ عِشْمَانَ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْخِلَافَةِ وَالسُّلْطَنَةِ. تَوَلَّى الْحُكْمَ خِلَالَ الْفَتْرَةِ مِنْ 1876-1909م، ثُمَّ وُضِعَ تَحْتَ الْإِقَامَةِ الْجَبْرِيَّةِ حَتَّى تُوُفِّيَ فِي فَبْرَايِرِ 1918م. لِلْمَزِيدِ يُنْظَرُ: عَلِي مُحَمَّد الصَّلَابِي، السُّلْطَانُ عَبْدِالْحَمِيدِ الثَّانِي وَفِكْرَةُ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَسْبَابُ زَوَالِ الْخِلَافَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، الْمَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، 2010م.

والجدير بالذكر أن حلقات المسلسل بيّنت كيف رفض السلطان عبد الحميد الثاني بيع أرض فلسطين لليهود في تلك الفترة، وتعرض إحدى حلقات المسلسل أيضاً حواراً دار مع مؤسس الحركة الصهيونية (ثيودور هرتزل) (1)، كما يعرض المسلسل أيضاً في إحدى حلقاته محاولة اغتيال فاشلة للسلطان عبد الحميد الثاني على يد رجل يهودي يحمل نجمة اليهود. ويعرض المسلسل أيضاً محاولة هرتزل في خداع السلطنة بأن يحاول تهريب مجموعة من اليهود داخل قطار كان معداً لنقل الحجاج إلى مكة المكرمة، استخدّمه هرتزل لتوطين اليهود بين النيل والفرات كما تقول النبوءة.

ويؤرخ المسلسل للفترة التاريخية من سنة 1896 وحتى 1909م؛ حيث يوثق تطوّر الأحداث داخل الدولة العثمانية خلال آخر فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني؛ حيث يتطرق المسلسل لمرحلة هبوط الدولة العثمانية، ثم معاودة صعودها بعد الإنجازات الضخمة التي حقّقها السلطان في مختلف المجالات من بينها المجال العسكري والصحي والتعليمي. (2)

نجوم مسلسل عبد الحميد الثاني:

يقدّم دور وبطولة المسلسل الفنان التركي "بولانت أينال" (3)، المعروف باسم يحيى، والذي قدّم دوراً كبيراً في مسلسل سنوات الضياع، والذي حظي بإعجاب كبير في

1. الصهيونية حركة سياسية عالمية ظهرت أواخر القرن التاسع عشر الميلادي داخل التجمّعات اليهودية في وسط وشرق أوروبا، تقوم على فكرة إنشاء دولة يهودية على أرض الميعاد؛ فلسطين، وفق المعتقدات التلمودية. وقد ارتبطت نشأة الحركة الصهيونية بالكاتب والصحفي تيودور بنيامين زئيف هرتزل، المولود في بودابست عام 1860م، من خلال كتابه "الدولة اليهودية" الذي صدر في عام 1896م، والذي تمحورت أفكاره حول كيفية تهجير اليهود إلى فلسطين، والتعبئة عالمياً من أجل ما أسماه "الفضية اليهودية". للمزيد يُنظر: صبري جريس، تاريخ الصهيونية 1862-1948م، مركز أبحاث منظمّة التحرير الفلسطينية، رام الله، الطبعة الثانية، 2015م.

2. بسمة جابر، مسلسل السلطان عبد الحميد الثاني قصة المسلسل وأبطاله وأسباب إنثارته للجدل، نجوم مصرية، 9 يوليو 2017م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: cutt.us/KFBpg

3. ممثّل تركي موليد من موليد عام 1973م، ببلدة أورفا لأُم ممرضة وأب يعمل في البريد، بدأ دراسته الجامعية في مجال الأدب قبل أن يتّجه لدارسة التمثيل ويتّضمّن إلى فرقة فنية معروفة في إسطنبول. من أبرز أعماله، إلى جانب مسلسل السلطان عبد الحميد، رجل بلا قلب، الحبّ والحرب، وسنوات الضياع. للمزيد يُنظر: "بولنت أينال"، السينما. كوم، د. ت، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7VfHYu

الوطن العربي وتركيا، وقد أعرب عن سعادته الكبيرة في تقديمه الدور في المسلسل، وعن تقديمه مضمون الشخصية مع أن هناك اختلافاً في الشكل.

سبب غضب إسرائيل من مسلسل السلطان عبدالحميد الثاني:

ونظراً لنجاح المسلسل الكبير طالبت عدد من الدول بعرضه لديها، وهو ما أثار حفيظة إسرائيل؛ حيث يُبرزُ المسلسل موقف السلطان عبدالحميد الثاني من الحركة الصهيونية منذ بدايتها، وكيف أنه رفض دخولهم إلى فلسطين، وأصدر العديد من القرارات التي تمنعهم من شراء أراضٍ في فلسطين. وقد علق اليهود الذين شاهدوا المسلسل بأنه مليء بالأكاذيب، وأنه معادٍ للسامية وطالبوا تركيا بوقف عرضه، غير أنه من المنتظر أن يتم ترجمة المسلسل للعديد من اللغات وعرضه في العديد من الدول أيضاً بعد أن طلبت عدة قنوات عالمية حق عرض المسلسل، وقد ذكرت إدارة إنتاج المسلسل أنها قنوات في البلقان وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وألبانيا وقطر.(1)

يمكن للضن أن يكون رسالياً:

من خلال نظرة شاملة إلى بعض الأعمال الفنية التركيبية المتميزة تنبئ بأنها لم تكن عفوية بل موجهة بذكاء ومهارة لتؤكد رسالة المشروع الذي يتبناه النظام السياسي الحالي في تركيا، وتصوراته المعلنة وغير المعلنة، وأهدافه البعيدة، ولتساعد العامة على اعتناقها بقناعة بعد أن تنطبع في نفوسهم بفعل سطوة التأثير الذي تحدثته تلك الأعمال الدرامية، بدايةً بسلسلة (وادي الذئاب) مروراً بـ (قيامه أرطغرل) وصولاً إلى المسلسل الجديد الذي يروي سيرة السلطان عبدالحميد؛ حيث تتجلى فيه معانٍ في

1. بسمة جابر، مسلسل السلطان عبدالحميد الثاني قصة المسلسل وأبطاله وأسباب إثارته للجدل"، مرجع سابق.

غاية الوضوح حول مفهوم الأمة الواحدة، ورساليّة الإسلام، إضافة إلى قيم العدالة والشجاعة وتجرد الحاكم ونزاهته، وتأكيد مسألة التآمر الغربيّ على مشروع الخلافة الإسلاميّة، وغير ذلك.

ولا شكّ أن الرسالة التي تحمّلها هذه الأعمال المحمّية تتجاوز حاجة منتجها لتقديم صورة أخرى عن الفنّ التركيّ مُغايرة لما ألفه العرب في السنوات الأخيرة، وتحديدًا منذ أن غزت شاشاتهم المسلسلات المدبلجة، والتي كانت الفضائيات العربيّة تتخير أكثرها إثارة لتقدّمها للمواطن العربيّ، فيما نجد هذه الشاشات اليوم تتجاهل الأعمال المذكورة أعلاه رغم أنها متابعَةٌ بشدّة في الأوساط العربيّة عبر الإنترنت، فبعد أن غدا مفهوم (المسلسلات التركيّة) يتخذ مثلاً للابتدال والعُنائيّة، نجده اليوم (داخل الأوساط العربيّة) يُوشك أن يحمل مفهوماً مختلفاً بعد اشتهاً عددٍ من الأعمال التّاريخيّة المتميّزة كأرطغرل والسلطان عبدالحميد. (1)

وبالعودة إلى الرسالة العميقة التي تجتهد تلك الأعمال في إيصالها إلى المتلقّي سنجد أنها ذكيّة وناجحة، فها هنا نمط من الفنّ الرّساليّ يتحرّى الجودة الفنيّة والإنتاجيّة والإخراجيّة أولاً ولا يُعبّر عن نفسه بسطحيّة وجمود وركاكة، وهو ما يُشكك في صحّة الاعتقاد بأنّ الفنّ يقدّم جماليّته إذا كان رساليّاً أو موجّهاً أو يدافع عن قيم سامية. فحين تجتمع لهذا الفنّ عناصر الجودة والبراعة وحسن تمرير رسائله وقيمه بمهارة وذكاء، من الطبيعي أن يُفرز تأثيراً واسعاً وأن يُثني جمهوره عن متابعة الفنّ الرديء والمبتذل، بل أن يصبح مساهماً أساسياً في صياغة وعي المجتمع وإكسابه مفاهيم

1. لى خاطر، "بل يمكن للفنّ أن يكون رساليّاً". مدونات الجزيرة، 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/17qd9A

جديدة حول القضايا التي يهتمُّ منتجوا العمل أن يَبْنِئَها وَيُعْتَبِقُها، وكَلَّ من المفيد الاستشهاد هنا بحادثة (الانقلاب الفاشل) التي وردت في مسلسل أرطغرل في جزئه الأوَّل، ثم رأيناها تتجسَّد واقِعاً بعد العرض بنحو شهرين في حادثة حقيقيَّة في تركيا، ساهم الشعب خلالها في إفشال الانقلاب.

وهذا ما يحيلنا إلى قضيةٍ أخرى، وهي أن هذه الأعمال لم تُنَجِّ لكي تروي تاريخاً مُعَيَّباً عن أذهان العرب والأتراك فحسب، بل لعل هذا يُمثِّل آخر أولويات منتجها، لكنها كُتبت بروح معاصرة، بدليل حشد المفاهيم والدلالات العصريَّة فيها وهو ما يَنجَلِي عبر الحوارات والأحداث فيها، وباستحضار عديد الانتقادات حول عدم دِقَّة أحداثها التَّاريخيَّة، سنجد أنها انتقادات هامشيَّة الجدوى؛ لأنَّ التعرُّف إلى التاريخ يُطلَب من مَراجِعِه ومُصنِّفاته المُوثَّقة، وليس من الأعمال الدراميَّة التي تَنجِذ التاريخ ظلالاً أو هامشاً لتقديم عَمَلٍ فَنِّيٍّ مُحَكَّم يُلزِمه احتشاد عناصر عديدة لإنجاحه، ومن بينها شَطْرٌ من الخيال، وحُسْنُ عرض الأحداث وإدارة تطوُّرها، والذي قد لا يتوافق بالضرورة مع تطوُّرات الحدث التَّاريخيِّ الأصلي.

يقول الروائي الراحل عبدالرحمن منيف (1) حول الرواية التَّاريخيَّة، وهو كلام ينطبق أيضاً على الدراما التَّاريخيَّة: "إنَّ الرواية التَّاريخيَّة تعتمد على مادة تاريخيَّة لكنها ليست التاريخ ذاته، كما أنها ليست بديلاً عنه، فهي بمقدار اعتمادها على التاريخ

1. عبدالرحمن المنيف، أحد أهمَّ الروائيين العرب في القرن العشرين، وُلِدَ في عمان بالأردن عام 1933م من أب سعوديٍّ وأمَّ عراقية. حصل على الشهادة الثانوية العامة من الأردن، ثم انتقل إلى بغداد ليخرِّجَ في كليَّة الحقوق عام 1952م. من أشهر رواياته "مُدُن الملح" التي تحكي قصة اكتشاف النفط في السُّعوديَّة، ورواية شرق المتوسط التي تحكي قصص المخابرات العربيَّة وتعذيب السجون. تُوفِّيَ بالملكة العربيَّة السُّعوديَّة عام 2004م. للمزيد يُنظر: عبدالرحمن منيف، أبجد، د، ت، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ouVnq9

فإنها لا تُكرَّرُهُ، سواءً كسياق زمني أو كوقائع. إنها تسير بموازاة التاريخ، تتقاطع معه، لكنها في النتيجة ليست هي التاريخ المتعارف عليه، إن الرواية التَّاريخِيَّة، في جانب منها، تتعامل مع الأحداث والأزمنة والأشخاص الواقعيِّين الَّذِيْنَ كانوا، لكن بمنظور جديد ومختلف، دون أن يعني ذلك تغيير الوقائع الفعليَّة، أي أنها تختار من التاريخ واقعة أو مجموعة من الوقائع، تَعْتَبِرُهَا ذات مغزى وأكثر أهميَّة، كما أن من حقِّ الروائيِّ، إذا دعت الضرورة، أن يستعير من التاريخ والأسطورة والخيال ما يُعْتَبِرُهُ مفيداً لعمله، وأن يُعيد توظيفه بحيث يخدم أغراضاً أو أهدافاً يراها أَجْدَر من مُجَرَّد تصوير هذه الشخصيات أو الحالات كما هي في الواقع فعلاً". (1)

بقي أن نطرح بمرارة تساؤلاً مُتَوَقَّعاً وبدهياً حول الدَّرَامَا العَرَبِيَّة الَّتِي لم تقدِّم، على مرِّ تاريخها، لمواطنيها عملاً فنيّاً مَلْحَمِيّاً ذا رسالة أو يخدم غايات سامية، ربما باستثناء فيلم الرسالة، وبعض الأعمال الدرامائية الفريدة على غرار مسلسل التعريبية الفلسطينية (2)، رغم كثافة ما في تاريخ المسلمين العرب من أحداث كبرى وحاسمة وعظيمة تستحقُّ أن تُعاد إلى دائرة الضوء لتكون مُلْهِمَةً ومُحَفِّزَةً للتغيير. لكن الحال أننا رُزِقْنَا بأنظمة تناوئ التغيير لأنها تراه عدوِّها الأوَّل، وتجتهد في إغلاق كلِّ منافذ استنهاض الأمة، ولا بُدَّ أن يُفْرَزَ نَهْجُهَا هذا رداءة على جميع المستويات، بل أن تَسْرَبَ الرداءة إلى المزاج العام، وتُطَبِّعُهُ بسلبيتها وجمودها وتراجعها (3).

1. للمزيد حول أفكار الروائي عبدالرحمن منيف يُنظَر:

- صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبدالرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2003م.
- مجموعة مؤلفين، عبدالرحمن منيف، المُؤَسَّسَة العَرَبِيَّة للدراسات والنشر، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2008م.
2. مسلسل تلفزيوني شهير من إنتاج شركة سوريا الدوليَّة للإنتاج الفني، لعام 2004م، تمَّ تصوير المسلسل بالكامل في سوريا، من أهم الأعمال الدرامائية التي تناولت القضية الفلسطينية؛ حيث تدور أحداثه حول معاناة أسرة فلسطينية فقيرة في زمن الاحتلال البريطاني، ثم مذابح عصابات الاستيطان الصهيونية ما بين ثلاثينيات وستينيات القرن الماضي. للمزيد يُنظَر: 7 مسلسلات عربيَّة تحدثت عن القضية الفلسطينية، ساسة بوست، 17 مايو 2016م، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YneygG
3. لى خاطر، "بل يمكن للفن أن يكون رساليّاً". مدونات الجزيرة، 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/17qd9A

تلك كانت رحلة سريعة في أبرز ثلاثة أعمال درامية تركية في الآونة الأخيرة التي أثرت تأثيراً كبيراً، وانتشرت انتشاراً ضخماً، وكان لها دور في تصحيح المفاهيم عبر الأدوات الفنية المتميزة.

لقد شهدت الدراما التركية مؤخراً أعمالاً فنية أفرزت ثراءً فنياً، وأعطت فرصة لمواهب عديدة كما أفرزت تيارات من الدراما المتميزة التي تعيد قراءة التاريخ السياسي والاجتماعي المعاصر، ولذلك تعدُّ صناعة المسلسلات التركية، واحدة من أبرز قصص النجاح في السنوات الماضية، حين تمكّنت من الصعود بسرعة خارقة لتحتلّ صادراتها المرتبة الثانية بعد المسلسلات الأمريكية، وتحتلّ مكاناً متميزاً في معظم أنحاء العالم.

وكخلاصة لما ورد سابقاً في هذا الفصل، فمن منطلق أن السياحة تمثل "مجموع العلاقات والحقائق التي تشكلها وضعية انتقال وإقامة الأشخاص خارج مقرّ إقامتهم المعتاد، من منطلق أن التنقل والإقامة المذكورين لا يحفّزهما أيّ نشاط ربحي نفعيّ كيفما كان. وبما أن بلدان الحوض المتوسطي ما فتؤوا يحاولون إعادة التوازن إلى سياحتهم على مدار العقود الأخيرة، والتي وصلت إلى مرحلة الاختناق، فإن تركيا تقدّم خدمةً سياحيةً متميزةً على صورة ماضيها الكلاسيكي التاريخيّ المجيد وحاضرها الحدائيّ الراقّي، الذي يتوغلّ إلى الداخل الحضاريّ والطبيعي، بدل الاعتماد على السياحة الساحلية الموسمية المحدودة، على نموذج "الكوت دازور Côte d'Azur" وباقي "الريفيريات" الفرنسية والإسبانية المشهورة، التي لم تصمد أمام تغيّر الاهتمامات السياحية ونقاط الجذب الاجتماعيّة، وكذا الأحداث الإرهابية الأخيرة. أما فيما يخصّ السينما كنموذج معبرٍ عن تقدّم الفنون التركية الجميلة، بخزانتها الغنيّة على فترة ما يقرب الـ100 سنة من تاريخ السينما في تركيا (1)، فإن محاولة

1. مجاهد آي ديمير، "نظرة عامة على تاريخ السينما التركية"، ترك برس، 21 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Lh8Kfe

الابتعاد عن ما يسمى "فنّ الدّولة"، على صورة توجّهاتها وأيديولوجيّتها وقبضتها الحديدية كما في الأنظمة الشموليّة، لم يتحقّق هذه المرّة ليس بسبب عامل الإغراء المادّي (الدعم المالي)، ولكن لأسباب الشعور الوطنيّ القوي والاعتزاز بالهويّة القوميّة والفخر بالأمجاد التّاريخيّة والإنجازات الحديثة، التي نماها توجّه ومنجزات حكومة العدالة والتّنميّة منذ صعودها إلى السّلطة.

وتحلينا للسياحة التّركيّة ومعها المحاور الفنيّة لبلاد الأتراك، بيّن بما لا يدع الشكّ أن المكوّنين الأساسيين معاً، ضمن مصادر وفواعل القوّة التّاعمة، تُغذيها العناصر التّاريخيّة، والفيزيقيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة، بما يسمح بوصف حالة للفضاءات والنماذج والأشخاص في علاقتهم بتوجّهات وأذواق السّيّاح، في قطيعة تامّة مع تعريف "ستاندهال (1) Stendhal" الكلاسيكي الذي لا يتجاوز المسافر الذي يقطع المسافات عبر البلدان بدافع الفضول والفراغ. وهذا ما يحلينا على ما يمكن تسميته بنوع رمزي من الدّبّوماسيّة التّثافيّة التي تزامنت وظهور عدّة معيّن من التوجّهات الجاذبة للأفراد والمصالح، التي تصبّ في هدف التّفوّق والهيمنة التّركيّة، عبر الانتشار الإقليميّ والعالميّ؛ حيث إنّ تركيا صنعت لنفسها بصمةً مميزةً في كافّة المجالات الاقتصاديّة والتّثافيّة، وكلّ شيء يمكن أن يجعل صورتها لدى المتلقّي العربيّ والعالميّ إيجابيّة للغاية، مما دفع بالكثيرين إلى التعاطف مع تركيا في وقت الأزمات التي مرّت بها، والتفاعل معها في النجاحات والانتصارات.

وختاماً، فالترويج والتّسويق السّياحيّ والفنّي هو ما يشكّل ملامح وأسس القوّة الكبرى التّاعمة لتركيا، خصوصاً في العقدين الأخيرين. وفي علاقة جدليّة، هذه القوّة تتمثّل في استغلال أو

1. روائيّ فرنسي، اسمه الحقيقي ماري هنري بيل (1842- 1783) Marie Henri Beyle، كان يكتب باسم مستعار هو ستاندهال، يُعتبر أحد أبرز وجوه الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر. للمزيد يُنظر: Stendhal, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/nXn8Pc

القوة التُّركيَّة النَّاعِمَة

توظيف الفنّ في خدمة السِّياحة، خاصَّة الدُّراما والسينما، والعكس صحيح. والكُلّ في خدمة الاقتصاد الَّذِي بدوره أداة للهيمنة وتحقيق الزعامة الإقليمِيَّة كخطوة أولى نحو العالَمِيَّة. وفيما يشبه الغزو التُّقافِيّ، فقد تَسَلَّت القِيَم والرُّؤية الجماليَّة لعالمنا العربيّ. خصوصاً ما يسمّى الدُّراما التُّركيَّة المَدْبَجَة إلى اللغة العَرَبِيَّة، أو اللَهجات المَحَلِّيَّة، "الدرجة أنها شكَّلت قوَّة جديدة للتسويق والترويج السِّياحيّ لتركيا في العالم العربيّ بشكل واضح جداً" (1). ويبدو أن مبادرات ومخططات تركيا لتجاوز مآزق القوة النَّاعِمَة نحو القوَّة الذكيَّة ستُسفِرُ لا محالة عن مفاجآت ودروس في كَيْفِيَّة تحويل التُّكسَة إلى نهضة جديدة، لذا نجد مُؤرِّخاً وسياسياً فرنسياً، من طينة ألبير سورل (2) Albert Sorel، الَّذِي اعتُبر حُجَّةً في التاريخ الدُّبوماسِيّ، يقول عن تركيا: "هناك قطبان غامضان في العالم؛ أحدهما القطبين الجنوبي والشمالي معاً، أما الثاني فهو الأتراك وقادتهم" (3). لقد استطاعت المسلسلات التُّركيَّة أن تستقطب اهتمام شريحة واسعة من الجمهور العربي، بتقديمها حزمة أفكار وعادات وتقاليد تركيَّة، بالإضافة إلى صورة واضحة ومُعَبِّرة عن الرخاء الاقتصاديّ، وهو ما ساهم في ترسيخ صورة تركيا القويَّة باقتصادها والجاذبة بثقافتها، الأمر الَّذِي يحثُّ التعاون معها والافتدَاء بها كنموذج ناجح وقريب من الذهنيَّة والعوائد العَرَبِيَّة الإسلاميَّة (4).

1. مصطفى النجار، "تركيا.. كيف نجحت في توظيف الفنّ لتنشيط السياحة؟"، صحيفة الأهرام، 12 أبريل 2012م، تاريخ الزيارة: 6 يوليو 2017، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hTmGFU
2. مُؤرِّخ ودبلوماسي فرنسيّ، عاش خلال الفترة (1842-1906م)، من أشهر مؤلَّفاته: "أوروبا والثورة الفرنسيَّة"، في ثمانية أجزاء، التي أثَّرت بشكل عميق في تفسير الثورة الفرنسيَّة وتأثيرها على الصعيد الأوروبي. للمزيد يُنظر: goo.gl/LXLZJ2; Albert Sorel, Encyclopedia of World Biography, available at: goo.gl/gNkKUE
3. "أقوال مأثورة عن الأتراك"، ترك برس، د. ت، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gNkKUE
4. من خلال أشهر القنوات العَرَبِيَّة، كقناة MBC السُّعوديَّة التي لها جمهور واسع في أكثر من 22 دولة عَرَبِيَّة، المتَّبِع للعديد من الأعمال الفنيَّة الناجحة مثل "نور"، و"القرن العظيم"، و"سنوات الضياع"، انظر: مقال تالا حلاوة، المسلسلات التُّركيَّة وحالة الاختراق، جدليَّة، 29 يونيو 2013م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/K9mWxR

الفصل الثامن

الاقتصاد في قاطرة القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة

- مقدمة
- المبحث الأول: الاقتصاد التُّركِيَّ.. التَّطَوُّر وأسباب النجاح
 - أسباب نجاح الاقتصاد التُّركِيَّ
- المبحث الثاني: توظيف تركيا القُوَّة النَّاعِمَة في القطاعات الاقتصادية
 - نموذج العلاقات التُّركِيَّة - المصرية
 - نموذج العلاقات التُّركِيَّة - البوسنيَّة
 - نموذج العلاقات التُّركِيَّة - القطريَّة
 - القُوَّة النَّاعِمَة.. نموذج جذب وجاذبيَّة تركي
 - القُوَّة النَّاعِمَة.. سياحة الاقتصاد والثقافة
 - تعزيز القُدرة التَّنَافُسيَّة
- المبحث الثالث: الحماية الاجتماعيَّة
 - الحماية الاجتماعيَّة الإسلاميَّة والعُثمانيَّة؛ جذور ضاربة في التاريخ
 - الحماية الاجتماعيَّة.. نموذج تركي مشرق
 - التعليم والرعاية الصحية
- المبحث الرابع: أسباب جَذب تركيا للاستثمارات الخارجيَّة
 - التسهيلات القانونيَّة والإداريَّة للمستثمرين
 - أبرز الإنجازات الاقتصادية التُّركِيَّة
 - تركيا والعلاقة مع مُؤَسَّسات التمويل الدوليَّة

الفصل الثامن

الاقتصاد في قاطرة القوة التركيبية الناعمة

في بداية هذا الفصل، ما من مثال يفرض نفسه للتدليل على فاعلية القوة الناعمة بل وتفوقها على أحادية وضيق أفق مثلتها الصلبة، سوى مؤشرات ميزان القوى بين السلطة المدنية ونظيرتها العسكرية في تركيا، والتي يبدو أنها تميل بصفة نهائية إلى الجانب الأول الممثل بالرئيس أردوغان وحكومة العدالة والتنمية. وذلك بعد الدرس الديمقراطي القاسي الذي تلقاه الجانب الثاني من طرف الشعب التركي، خلال محاولة الانقلاب العسكري الأخير(1).

ورغم ذلك لا يمكن للقوة الناعمة وحدها أن تصمد دائماً أمام تحديات الواقع، وبالتالي إنشاء تغيير إيجابي فيه، شامل ودائم، ما لم تكن مدعمة بالتأثير المادي الملموس. وطالما أننا لا نتحدث عن قوة صلبة مباشرة، مثل التدخلات العسكرية والحصار أو غيره، فالقاعدة المعروفة تنص على اعتماد ما يُعرف بسياسة "العصا والجزرة"، بشكل متوازن ومدروس، حتى يكون لها تأثير حقيقي ذو أهداف قابلة للتحقيق. فالقوة الناعمة، بمثابة إعداد لمسرح علاقات بين الدول، ووسيلة لتحفيز وزيادة نسبة الاستعداد للتجاوب، قبل اللجوء إلى خيار القوة الصلبة بطريقة مباشرة(2).

1. سيأتي في الفصل التاسع مزيد من التفاصيل الواسعة عن المحاولة الانقلابية وأحداثها ودلالاتها.
2. أمضت تركيا سنوات طوال في تهيئة علاقاتها مع جيرانها اعتماداً على قوة ناعمة مدروسة وعميقة، تركز على مفهوم "صفر مشاكل" مع الجوار والمحيط. وعلى كافة الأصعدة، حققت هذه السياسة نجاحاً لافتاً. لكن بسبب تأثيرات الربيع العربي السيئة، تم ركن هذه السياسة ظرفياً وبصفة افتراضية لتحل محلها تطبيقات القوة الصلبة من تهديد وتدخل وغيره، كما سبق وأسلفنا.

ومن هنا تأتي أهميّة هذا الفصل، في كونه يُحدّدُ العلاقة بين القوّة النّاعمة والاقتصاد التّركي؛ إذ تمهّد القوّة النّاعمة السّاحة لدخولِ تّركيٍّ قويٍّ إلى بعض الدول عبر بوّابة الاقتصاد، والتعاون الاقتصاديّ، وزيادة الاستثمارات التّركيّة. وفي المقابل، تمهّد القوّة النّاعمة ساحة الداخل التّركيٍّ لمزيد من القرارات الاقتصاديّة، التي يتعاون فيها الشعب مع حكومته من أجل حصد ثمارها الطّيبية (1).

ومن خلال صفحات هذا الفصل، نُقدّم بعضاً من ملامح تطوّر الاقتصاد التّركيِّ، خاصّةً بعد تولّي حزب العدالة والتّشيمية مقاليد الحُكم في تركيا، وهي الفترة التي شهدت الكثير من ارتفاع مؤشّرات النّمُو الاقتصاديّ في عددٍ من المجالات.

كما سيّتعرّضُ هذا الفصل، لأسباب نجاح الاقتصاد التّركيِّ، وكيفيّة ارتباط ذلك بالقوّة النّاعمة وفق النموذج التّركيِّ، خاصة على المستوى الخارجيّ وعلاقات تركيا بالدول الخليجيّة، ثم الانتقال بعدها إلى طريقة توظيف الدّولة التّركيّة وحزب العدالة للتّشيمية للقوّة النّاعمة في القطاعات الاقتصاديّة المختلفة. وهو ما ساهم في تطوّر كبير للاقتصاد بمختلف مجالاته، خاصّةً مع ظروف الربيع العربيّ الصعبة، التي طبعت هذا العُقد بمفاهيم الأزمة، الفوضى، اللايقين والاستقرار على عدّة مستويات.

لقد ارتبطت القوّة النّاعمة في تركيا إذن، من خلال عدد من التّوجّهات والتدابير لعل أهمّها؛ تعزيز القُدرة التنافسيّة في داخل الدّولة التّركيّة نفسها، تطبيق العدالة في توزيع الدّخل، تكريس مفهوم الحماية الاجتماعيّة لتقليل الهوّة بين الفقراء والأغنياء. كما انسحب تأثير القوّة النّاعمة في الاقتصاد التّركيِّ على مجالات التعليم والرعاية

1. ليزلي جيلب Leslie H. Gelb، قواعد القوّة، كيف يُنقذُ الأثاق الجمعي السياسة الخارجيّة الأمريكيّة؟ How Common Seen Can Rescue American Foreign Policy، ترجمة كمال السيد، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، سبتمبر 2013م، ص 220.

القوة التركيبية الناعمة

الصحيّة، مع عرض لكثير من الأرقام المتعلّقة بهذا المجال، خصوصاً مسألة علاقة تركيا بالاتّحاد الأوروبيّ، وكيف تستغلّ تركيا قوتها الناعمة في محاولة الانضمام لهذا الاتّحاد. علاوةً على ذلك يناقش هذا الفصل وسائل جذب الاستثمارات الخارجيّة، والتسهيلات القانونيّة والإداريّة الممنوحة للمستثمرين والرأسمال الوطنيّ والأجنبيّ، وفي النهاية يستعرض الفصل أبرز الإنجازات التركيّة في مجال الاقتصاد.

المبحث الأول

الاقتصاد التركي..

التطوُّر وأسباب النجاح

بدأت معالم التطوُّر الملحوظ في الاقتصاد التركي، منذ عام 2002م، مع تولي حزب العدالة والتَّنْمِيَّة مقاليد الحُكْم في البلاد؛ حيث طرأ تغيير جذري ليس فقط على صعيد التوجُّهات التكتيكية، بل أيضاً حتى على صعيد السياسات المتبَّعة في المجال الاقتصادي ككل. فهي المرة الأولى التي يصل فيها حزب ذو رؤية إسلامية إلى السُّلطة في تركيا المتشعبة بمبادئ "الكَمَالِيَّة" العُلمَانِيَّة، وبالتالي يعمل على بلورة رؤية مختلفة لإبراز مكانة تركيا ودورها كلاعب رئيس في الساحتين الإقليمِيَّة والدُولِيَّة؛ حيث حدث تطوُّر كبير في أسلوب تركيا، وتعاملها مع الدول الأخرى؛ من خلال تحوُّلها من الدُولَة الجِسْر بين الشرق والغرب، إلى الدُولَة المَرَكز التي يجتمع بها الشرق والغرب. وقد حاولت تركيا تحت حُكْم حزب العدالة والتَّنْمِيَّة تجسيد هذه السياسة من خلال مبدأ "القُوَّة النَّاعِمَة" في كل المجالات، ومن بينها المجال الاقتصادي.

وعليه، تأثرت المجال الاقتصادي في تركيا، ومعها العالم بشكل عام، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م (1)، وما أعقبها من تداعيات جدِّ سَلْبِيَّة؛ حيث مرَّت اقتصادات الكثير من دول العالم بحالة مُقْلَقَة من الرُّكُود، مع تزايد مُعدَّلات البطالة، ومُؤسَّرات

1. سلسلة من أربع هجمات إرهابية مُسَنَّة قام بها 19 شخصاً من أعضاء تنظيم القاعدة ضدَّ الولايات المتَّحدة الأمريكية، باستخدام 4 طائرات مدبَّية مخطوفة، استهدفت بُرجي مركز التجارة الدولي بمانهاتن، ومقرَّ وزارة الدفاع الأمريكية؛ البنتاجون، صباح يوم الثلاثاء، 11 سبتمبر 2001م. للمزيد يُنظر:

September 11 attacks. Encyclopedia of World Biography, available at: goo.gl/QiuJYp

ضَعَفِ مُعَدَّلَاتِ التَّشْغِيلِ، خَاصَّةً فِي الْقِطَاعِ الْخَاصِّ، وَأيضاً انخفاض معدل النُّمُوِّ الْاِقْتِصَادِيِّ إِلَى نِسْبَةِ 3% فِي بَعْضِ الدُّوَلِ. وَعَلَى الْمُسْتَوَى التُّرْكِيِّ، اسْتَبْعَدَتِ الشَّرَكَاتُ التُّرْكِيَّةُ مِنْ عَقُودِ إِعْمَارِ الْعِرَاقِ الَّتِي أُبْرِمَتْهَا سُلْطَاتُ الْاِحْتِلَالِ الْأَمْرِيكِيِّ مَعَ شَرَكَاتٍ أَعْجَبِيَّةٍ (1). كَمَا تَمَيَّزَتْ هَذِهِ الْفِتْرَةُ كَذَلِكَ بِتَعَثُّرِ تَدْفُقِ النَّفْطِ الْعِرَاقِيِّ.

وَمَعَ تَوَلَّى حِزْبِ الْعَدَالَةِ وَالنَّمِيَّةِ مَقَالِيدَ السُّلْطَةِ فِي تَرْكِيَا، تَغَيَّرَتِ الْأُمُورُ إِلَى النَّقِيضِ، وَبَدَأَتِ الْبُورَادِرُ الْمَشْجَعَةُ تَظْهَرُ فِي إِرْسَاءِ دَعَائِمِ الدَّوْلَةِ عَلَى أُسَاسِ الْاِسْتِقْرَارِ السِّيَاسِيِّ أَوَّلًا، مِمَّا أَوْجَدَ حَالَةً مِنَ الْاِطْمِنَانِ أَحَدَتِ الْحُكُومَةُ التُّرْكِيَّةُ الْجَدِيدَةُ فِي حِصْدِ ثَمَارِهَا بِمَزِيدٍ مِنَ الْاِسْتِثْمَارَاتِ وَدَعْمِ الْإِنْتِاجِ، فِي ظِلِّ ارْتِفَاعٍ مَلْحُوظٍ عَلَى صَعِيدِ كَافَّةِ الْمَوْشُرَاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ. فَكَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَخْتَفِيَ الْعِجْزُ التِّجَارِيِّ، الَّذِي عَمَّرَ طَوِيلًا تَقَارِيرَ الْحَالَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ لِتَرْكِيَا مَا قَبْلَ الرَّئِيسِ أَرْدُوغَانَ، بَلْ وَيَتَحَوَّلُ إِلَى فَائِضٍ، رَغْمَ تَدَاعِيَاتِ الْأَزْمَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ الَّتِي دَمَّرَتِ الْكَثِيرَ مِنَ الْاِقْتِصَادِيَّاتِ حَوْلَ الْعَالَمِ. لِیَرْتَفِعَ تَرْتِيبُ الْاِقْتِصَادِ التُّرْكِيِّ إِلَى الْمَرْتَبَةِ السَّابِعَةِ عَشْرَةَ عَالَمِيًّا وَالسَّادِسَةَ عَلَى مَسْتَوَى الْقَارَّةِ الْأُورُوبِيَّةِ؛ حَيْثُ حَقَّقَ النَّاتِجُ الْقَوْمِيُّ التُّرْكِيُّ ارْتِفَاعًا إِجْمَالِيًّا بَلَغَ، إِلَى 863.72 مِلْيَارِ دُولَارٍ فِي عَامِ 2016م (2).

مِنْ جَانِبِهِ، شَعَرَ الْفَرْدُ التُّرْكِيُّ بِإِیْجَابِيَّاتِ هَذَا النَّحْسَنِ الْاِقْتِصَادِيِّ الْكَبِيرِ عَلَى مَسْتَوَاهِ الْمَعِيشِيِّ؛ حَيْثُ ارْتَفَعَ دَخْلُهُ مِنْ 3,500 دُولَارٍ عَامَ 2002، إِلَى 10,930 دُولَارٍ عَامَ 2017م (3)، مَعَ ارْتِفَاعِ مَعْدَلِ النُّمُوِّ إِلَى 7.4 سَنَةَ 2017م (4)، عِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، فَفَقْدَ احْتَلَّتْ تَرْكِيَا الْمَرْكَزَ

1. انظر: الفصل الخامس من كتاب: محمد صادق إسماعيل، التجربة التُّرْكِيَّةُ مِنْ أُنَاتُورِكِ إِلَى أَرْدُوغَانَ، الْقَاهِرَةُ، دَارِ الْعَرَبِيِّ لِلنَّشْرِ، 2013م.
2. إِجْمَالِي النَّاتِجَ الْمَحَلِّيَّ (الْقِيَمَةُ الْحَالِيَّةُ بِالْدُولَارِ الْأَمْرِيكِيِّ)، تَرْكِيَا، مَوْشُرَاتُ الْبَنْكِ الدَّوْلِيِّ، 2018م، مَتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ التَّالِي: goo.gl/76z8aj
3. نَصِيبُ الْفَرْدِ مِنْ إِجْمَالِي الدَّخْلِ الْقَوْمِيِّ، طَرِيقَةُ الْأَطْلَسِ (بِالْأَسْعَارِ الْجَارِيَةِ لِلدُولَارِ الْأَمْرِيكِيِّ)، تَرْكِيَا، مَوْشُرَاتُ الْبَنْكِ الدَّوْلِيِّ، 2018م، مَتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ التَّالِي: goo.gl/wYox1Z
4. نِسْبَةُ النُّمُوِّ السَّنَوِيِّ لِإِجْمَالِي النَّاتِجِ الْمَحَلِّيِّ بِسَعْرِ السُّوقِ حَسَبِ سَعْرِ الدُولَارِ الْأَمْرِيكِيِّ عَامَ 2001م، تَرْكِيَا، مَوْشُرَاتُ الْبَنْكِ الدَّوْلِيِّ، 2018م، مَتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ التَّالِي: goo.gl/XA822p

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

السادس عالمياً من حيث عدد السُّيَّاح، في العام 2017م، بما يُقدَّرُ بـ39.9 مليون سائح(1). وتشير الدلائل السابقة إلى قُدْرَةَ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ على تحقيقِ كُلِّ أهدافِ بلوغِ مرتبةِ القُوَّةِ الاقْتِصَادِيَّةِ الكَبْرَى، لِلتَّحَوُّلِ السَّرِيعِ إلى قُوَّةِ ناعمةٍ تُؤَثِّرُ في كثيرٍ من دولِ المنطقة. فالنجاحُ الاقْتِصَادِيَّ التُّرْكِيَّ باتَ أشبه بالحلمِ الَّذِي جَذَبَ لتركيا كثيراً من المريدِين، بما يَحْمِلُ من أمل، وإمكانيةٍ تحقيقِ هدفٍ مماثلٍ يسعون للوصول إليه أيضاً. وهذا ما يَبْضُحُ جَلِيًّا في كَمِّيَّةِ المقالاتِ والبحوثِ الَّتِي اسْتَلْهَمَتْ من التجربةِ التُّرْكِيَّةِ نموذجاً لعلاجِ مشكلاتِ دولِ المنطقة، فبمَجْرَدِ البحثِ على موقعِ جوجِلِ العَالَمِيِّ عن "التجربةِ التُّرْكِيَّةِ"، تجد آلاف المقالاتِ والموضوعاتِ الَّتِي تتناولُ التجربةِ التُّرْكِيَّةِ كمثلِ حَيٍّ وواضحٍ على النجاح، وهو ما يُعدُّ أفضلَ تسويقٍ لحالةِ النجاحِ التُّرْكِيَّةِ.

مشهد آخر يشير إلى تأثيرِ النجاحِ الاقْتِصَادِيَّ الكَبِيرِ في القُوَّةِ النَّاعِمَةِ التُّرْكِيَّةِ، وهو ما يظهرُ بكَمِّيَّةِ المساعداتِ الاقْتِصَادِيَّةِ، الَّتِي تُقدِّمُها تركيا لكثيرٍ من دولِ المنطقةِ الفقيرة، فالمساعداتُ التُّرْكِيَّةُ لقطاعِ عَزَّةِ، والمعوناتُ التُّرْكِيَّةُ لدولٍ ناميةٍ، مثل مصر وتونس، وغيرها مُؤَشِّرٌ مُهمٌّ، على نجاحِ الاقتصادِ التُّرْكِيَّ في دوره كقاطرةٍ للقُوَّةِ النَّاعِمَةِ التُّرْكِيَّةِ، وفي عام 2016م وصلَ حجمُ المعوناتِ التُّرْكِيَّةِ لِلأجْنِيْنَ السُّوْرِيَّيْنَ إلى 7 ملياراتِ دولار(2).

أسبابُ نجاحِ الاقتصادِ التُّرْكِيَّ

ارتبطَ النجاحُ التُّرْكِيَّ في مجالِ الاقتصادِ بأداةِ القُوَّةِ النَّاعِمَةِ للدولة في انسجامٍ مع التَّوَجُّهِ العقائدي. فالنموذجُ الإِسْلَامِيَّ "المُتَنَوِّرُ" الَّذِي تُقدِّمُهُ تركيا، ساهمَ بشكلٍ كبيرٍ

1. "تركيا السادسة عالمياً من حيث عدد السُّيَّاح 2017"، وكالة الأناضول للأخبار، 23 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jkNAjP

2. فؤاد أوقتاي رئيس إدارة الكوارث والطوارئ (أفاد)، موقع المديرية العامة للصحافة والإعلام التابعة لرئاسة الوزراء التُّرْكِيَّةِ، متاح على الرابط التالي: goo.gl/W9IejN

في تدفق الكثير من الاستثمارات الإسلامية من دول الخليج العربي، بدلاً من توجهه للنموذج الغربي المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا السياق، شهدت العلاقات الاقتصادية بين تركيا والمملكة العربية السعودية، انتعاشاً كبيراً؛ خلال الفترة من 2002 - 2015م؛ حيث بلغ حجم المشروعات التي قامت بتنفيذها الشركات التركية في المملكة، ما قيمته 12.1 مليار دولار في النصف الأول من عام 2012م، كما ارتفعت حصة الصادرات التركية إلى المملكة إلى 3.75 مليار دولار في العام ذاته. وبناءً عليه، أصبحت تركيا من بين أكبر الشركاء التجاريين للمملكة، باحتلالها للمرتبة الرابعة عشرة من حيث الواردات للمملكة في عام 2010م (1)، كما يعتزم البلدان رفع حجم التبادل التجاري فيما بينهما من 6.4 مليار دولار عام 2017، إلى نحو 20 ملياراً خلال السنوات القليلة القادمة (2).

وساهم في ذلك، قيام تركيا بمنح المستثمرين السعوديين العديد من الامتيازات، مثل الإعفاء من الرسوم الجمركية، وضريبة القيمة المضافة، مع ميزة التخفيض في الضرائب الأخرى، ودعم أفساط الضمان الاجتماعي لصاحب العمل والعاملين معه، إلى جانب تخصيص الأراضي للمستثمرين، لتبلغ قيمة الاستثمارات السعودية في تركيا 6 مليارات دولار، تركّزت بشكل رئيس في قطاع العقارات (3).

وفيما يتعلّق بالاستثمارات الإماراتية، فقد ارتفعت عمليات شراء العقارات للمواطنين الإماراتيين في تركيا بنسبة 160% خلال عامي 2015 - 2016م، إذ يملك المستثمرون الإماراتيون وحدهم أكثر من 300 ألف متر مربعة في سوق العقارات التركي. كما حاز 332 إماراتياً أملاكاً عقارية في تركيا العام 2016م (4). وعلى ذات الصعيد، تراجعت

1. عباس فاضل عطوان، العلاقات السعودية التركية، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 2015م، ص 146.
2. خطط لزيادة التجارة بين السعودية وتركيا إلى 20 مليار دولار، سي أن أن بالعربية، 19 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rPNvE4
3. عباس فاضل عطوان، العلاقات السعودية التركية، مرجع سابق، ص 146.
4. "الإماراتيون يملكون 300 ألف قدم مربع في تركيا"، صحيفة الاتحاد الإماراتية، 24 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/vhnvvg

الاستثمارات الإماراتية العقارية في تركيا خلال العام 2017م؛ حيث احتلت كل من العراق والسعودية والكويت المراتب الثلاث الأولى، على الترتيب، على قائمة أكثر الجنسيات العربية شراءً للعقارات في تركيا (1).

نفس الأمر، ينطبق على حجم التبادل التجاري بين تركيا والبحرين بقيمة مبادلات بلغت 300 مليون دولار خلال عام 2015م، بزيادة قدرها تسعة أضعاف على مدار الـ13 سنة السابقة لها، ثم زاد حجم التبادل التجاري بين البلدين إلى نحو نصف مليار دولار في عام 2018 (2). كما تجاوزت الاستثمارات القطرية في تركيا قيمة 20 مليار دولار. علماً بأنه في عام 2013م، اشترى بنك قطر التجاري 70% من أسهم مصرف "ألترناتيف بنك A.Ş Alternatifbank" التركي، في صفقة بلغت 460 مليون دولار (3). كما تعتزم قطر ضخ نحو 20 مليار دولار خلال العام 2018م، للاستثمار في تركيا في مختلف قطاعات الطاقة والاتصالات والسياحة والغذاء والصحة والتأمين والدفاع والبنوك. إضافة إلى أن 121 شركة تركية تعمل في قطر حالياً، بإجمالي رأس مال يُقدَّر بنحو 5 مليارات دولار، كما أن حجم الاستثمارات القطرية المباشرة في تركيا خلال الفترة 2002 - 2017م قد بلغ ملياراً و538 مليون دولار (4).

وفي أغسطس 2018م، قرَّر أمير قطر الشيخ تميم بن حمد دعم الاقتصاد التركي بـ15 مليار دولار في صورة استثمارات جديدة وودائع وضمانات، لدعم الحكومة التركية في ظل الأزمة الاقتصادية التي تشهدها البلاد على خلفية تراجع سعر الليرة مقابل الدولار الأمريكي (5).

1. "انفوجرافيك: أكثر مواطني الدول العربية شراءً للعقار في تركيا"، تركيا بوست، 26 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GA9cWa
2. 500 مليون دولار التبادل التجاري بين البحرين وتركيا"، صحيفة أخبار الخليج البحرينية، 16 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XGqsWx
3. "بالأرقام: تفاصيل الاستثمارات الخليجية في تركيا"، موقع عربي 21، 6 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UjE6h8
4. "استثمارات قطر في تركيا تناهز 20 مليار دولار"، ترك برس، 17 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3p82Pj
5. "قطر تدعم اقتصاد تركيا بـ15 مليار دولار: تزد الإحسان بأحسن منه"، سي أن أن بالعربية، 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JuPXz5

وعلى الرغم من حساسية العلاقات التُركيَّة الإماراتيَّة منذ المحاولة الانقلابيَّة الفاشلة في تركيا، صيف 2016م، إلا أن بنك الإمارات دبي الوطني قام، في مايو 2018م، بشراء بنك "دينيز بنك"؛ خامس أكبر بنك في تركيا، والذي يمتلك أكثر من 11.8 مليون عميل، وشبكة تتألف من 708 فرع في أنحاء تركيا، الأمر الذي يشير على جاذبيَّة الاستثمار في تركيا، بعيداً عن تجاذبات السِّياسة وتباين الاستراتيجيَّات (1).

ليس هذا فحسب، فمزاياء القوَّة النَّاعمة انعكست كذلك على المستوى الداخلي؛ حيث مثَّل الاستقرار السِّياسي قوَّة ناعمة كبيرة لتركيا مكنتها من زيادة الاستثمارات الداخليَّة، مع تنامي الشعور بالفخر والقُدرة على الإنجاز في أوساط الشعب التُّركي. ففي الوقت الذي تعاقبت فيه على السُّلطة 57 حكومة تُركيَّة على مدار 78 سنة (2)، انفرد حزب العدالة والتَّنمية لوحده بالحُكم مُدَّة أكثر من 17 سنة (3)، وهو دليل قويُّ على الاستقرار السِّياسي الناتج عن الحوكمة الاقتصاديَّة الجيِّدة، التي دفعت الشعب لاستثمار مُدَّخراته في وطنه بدلاً من تهريبها للخارج.

وفي سياق التَّدابير الاقتصاديَّة المُحكَّمة دائماً، اعتمدت الحكومة التُّركيَّة إجراءات كثيرة أمدَّت خزينة الدوَّلة بمليارات الدولارات، عن طريق الخصخصة مثلاً، كما هو الحال في أنظمة توزيع الطَّاقة الكهربائيَّة التي وفَّرت ما يقرب من 70 مليار

1. "بنك الإمارات دبي الوطني يشتري خامس أكبر بنك في تركيا"، ترك برس، 23 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XsCQCi
2. "العدالة والتَّنمية" 14 عام في خدمة تركيا والأمة.. والمسيرة مُستمرَّة، ترك برس، 18 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/V5TDEa
3. منذ وصوله إلى السُّلطة في انتخابات العام 2002م، تمكَّن حزب العدالة والتَّنمية من الفوز في كافة الاستحقاقات الانتخابيَّة التي مرَّت بها البلاد، البرلمانيَّة والبلديَّة، والاستفتاءات الدُسُوريَّة، وصولاً إلى الانتخابات الرئاسيَّة والبرلمانيَّة، التي عقَّدت معاً، في يونيو 2018م، وفقاً للتعديلات الدُسُوريَّة الجديدة التي حولت البلاد من النُّظام البرلماني إلى النُّظام الرئاسي.

القوة التركيبية الناعمة

دولار. كما قامت الحكومة بإجراء إصلاحات شاملة في مجالي الصحة والضمان الاجتماعي، بالإضافة إلى الاستثمارات الضخمة في مجالات الطاقة والمواصلات البرية والبحرية والجوية، وتوسيع شبكة السكك الحديدية وإنشاء القطارات السريعة. ومن هنا بات اقتصاد تركيا يعتمد بشكل رئيس على القطاع الخاص المحلي، والذي يعيش حالة من المنافسة بين مجموعة من التكتلات الاقتصادية لرجال الأعمال في الداخل، التي تتفاوت إمكانياتها الاقتصادية، وتتعدد أهدافها الاجتماعية والسياسية. ويتسم هذا القطاع ببعض السمات الإيجابية، مثل الحرص على ربط العلم بالتكنولوجيا داخل الجامعات، والربط بين الأخيرة واحتياجات الصناعات المحلية. وكذلك إقدام القطاع الخاص التركي على تمويل مؤسسات الوقف الخيرية، التي أوجدت دوراً قوياً لمبادرات المجتمع المدني.

من جهة أخرى، يعتمد الاقتصاد التركي على مجموعة من الكيانات الحكومية، التي تتمثل في مجموعة الوزارات المتعلقة بالأنشطة الاقتصادية، مثل وزارات (الاقتصاد، والمالية، والتجارة الخارجية، والسياحة، والطاقة والموارد الطبيعية، والصناعة والعلوم التكنولوجية)، وتضم كل من هذه الوزارات مجموعة من المؤسسات والهيئات، التي تقوم على خدمة الأنشطة الاقتصادية المختلفة، مثل بورصة إسطنبول، واتحاد غرف الصناعة والتجارة (1). نجحت تركيا إذن، في استقطاب الاستثمارات العربية والاستثمارات الداخلية، ولم يتبق لها سوى الغرب، وهو ما استطاعت النجاح فيه، بفضل القوة الناعمة أيضاً؛ حيث رسخت الصورة الذهنية المرسومة عنها بأنها الدولة الديمقراطية التي تؤمن بمبادئ العلمانية الغربية، والقادرة على التعاون مع الآخر، وهي الصورة التي مكنتها من جذب الاستثمارات الأوروبية لتركيا.

1. عبد الحافظ الصاوي، "خرائط القوى الاقتصادية"، المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، 20 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5FKVIK

وتمتلك تركيا علاقات تجارية واقتصادية عميقة مع الاتحاد الأوروبي؛ حيث يعتبر الاتحاد أكبر شريك تجاري واستثماري لتركيا حالياً، ويشكل حجم التبادل التجاري لتركيا مع الاتحاد الأوروبي نحو 37% من إجمالي حجم تجارتها الكلية. وتشكل الاستثمارات الأوروبية في تركيا نسبة 70% من إجمالي الاستثمارات الموجودة في تركيا(1).

وأصبح من المتوقع توسعة السوق الداخلية الأوروبية وتعزيز القدرة التنافسية النسبية للاتحاد الأوروبي في الاقتصاد العالمي، شرط انضمام أنقرة إلى منطقة اليورو(2). وفي العام 2017م أصبحت تركيا خامس أكبر شريك تجاري للاتحاد الأوروبي؛ حيث بلغ حجم صادرات الاتحاد الأوروبي لتركيا 105.1 مليار دولار، كما بلغ حجم واردات الاتحاد من تركيا نحو 86.4 مليار دولار(3). وتركيا في كل هذا ربحت التحدي، وكسبت الشرق والغرب "اقتصادياً"، في خير مثال لتأثير القوة الناعمة على المجال الاقتصادي.

1. "العلاقات التركية مع الاتحاد الأوروبي"، موقع وزارة الخارجية التركية، دت، تاريخ الزيارة 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YV9nlZ
2. "العلاقات التركية مع الاتحاد الأوروبي"، موقع وزارة الخارجية التركية، دت، مرجع سابق.
3. مكتب الإحصاء الأوروبي: تركيا خامس أكبر شريك تجاري للاتحاد، وكالة الأناضول للأخبار، 20 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Hq2Gcu

المبحث الثاني

توظيف تركيا القُوَّة النَّاعِمَة في القطاعات الاقتصادية

استطاعت تركيا توظيف قُوَّتِهَا النَّاعِمَة في عددٍ من البلاد على مستوى محيطها الجُغرافيِّ والعالمين العَرَبِيِّ والإِسْلَامِيِّ، ومن أبرز النماذج على ذلك ما يلي:

• نموذج العلاقات التُّرْكِيَّة - المصرية:

تَتَأَتَّى الإجابة على هذه المسألة، من خلال استعراض جهود الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة، في نشر تلك القُوَّة حول العالم، فعلى سبيل المثال، كانت أول زيارة لرئيس دولة للقاهرة عَقِب ثورة يناير 2011م، هو الرئيس التُّرْكِيَّ عبد الله غول (1)، وهي إشارة مُهمَّة إلى قُوَّة تركيا النَّاعِمَة، والتي تريد توظيفها من أجل مصالحها الاقتصادية. ومن خلال تتبُّع فَعَالِيَّات الزيارة المذكورة، نجد أنه التقى خلال وجوده بالقاهرة بالمرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين (2) أكبر الجماعات الفاعلة في مصر عَقِب ثورة يناير - كما التقى في نفس الوقت بكثير من القيادات الشبابية لثورة يناير.

1. الرئيس التُّرْكِيَّ يزور القاهرة لـ«التضامن مع الثورة المصرية»، صحيفة المصري اليوم، 3 مارس 2011، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MVT6w2
2. تأسَّست جماعة الإخوان المسلمين بمدينة الإسماعيلية بمصر عام 1928م، بعد سقوط الخلافة العُثمانيَّة بسنوات قليلة، على يد حسن البنا، ثم انتقلت إلى القاهرة وبقية أنحاء مصر، ثم إلى أجزاء كبيرة من العالم العربي والإسلامي، وتعتبر الجماعة أقدم الحركات الإسلاميَّة في العصر الحديث، وأكثرها تأثيراً وأوسعها انتشاراً في العالمين؛ العربي والإسلامي، كما أن لها حضوراً كبيراً بين الجاليات الإسلاميَّة في الغرب، كان لها السبق في مجاهدة العصابات الصهيونيَّة عام 1948م، ومَرَّت بفترات عصيبة خلال الحقبة الناصرية بمصر أفضت إلى سجن وإعدام الكثير من قادتها، كما كانت دائماً في مَقَام المعارضة للأنظمة المصريَّة المتعاقبة، وقد شاركت الجماعة بقُوَّة في فَعَالِيَّات ثورة 25 يناير 2011م، وأعلنت عن تأسيس أول حزب لها بعد الثورة؛ وهو حزب الحُرِّيَّة والعدالة، الذي نافس في الانتخابات البرلمانيَّة والرئاسيَّة، وهاز مُمَثِّلُه وعضو الجماعة الدكتور محمد مرسى في انتخابات 2012م ليصبح أول رئيس مَدَنِيٍّ مُنتَخَب في تاريخ مصر المعاصر، قبل أن يُطَاح به بعد عام واحد إثر تَدخُل الجيش بعد تظاهرات 30 يونيو 2013م الشهيرة. للمزيد يُنظَر: "الإخوان المسلمون"، الجزيرة نت، 18 يناير 2014، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nUEqG8

تصريحات "الرئيس غول" نفسها خلال الزيارة، كانت تسير في اتجاه توظيف قُوَّة بلاده النَّاعِمَة، فقال: "إننا في مرحلة يَتَعَيَّن فيها على المصريِّين التَّصَرُّفُ بشكلٍ عقلانيٍّ، ويجب أن يديروا هذه المرحلة الانتقاليَّة بأفضل السُّبُل لتلبية مطالب الشعب. لقد جننا لتبادل الخبرات والآراء بصدق في هذه اللحظات الحرجة". (1) والجملة الأخيرة واضحة، بلا شَكِّ، فهو يَتَحَدَّث عن تبادل للخبرات والتجارب، وبالطبع لن يسوِّق لشيءٍ إلا للتجربة التُّركيَّة، وخبرات بلاده في النهوض الاقتصاديِّ. وهو ما يفتح الباب واسعاً أمام زيادة حجم الاستثمارات التُّركيَّة المصريَّة خلال تلك الفترة. وهو ما حدث بالفعل؛ حيث شهدت العلاقات التُّركيَّة المصريَّة حالةً من الانتعاش والتَّقارُب الملحوظ.

وفي سياق هذا التقارب التُّركيِّ المصريِّ، جاءت زيارة رئيس الوزراء التُّركيِّ "السَّيِّد رجب طيِّب أردوغان" لتلعب على نفس الوتر الحساس للقُوَّة النَّاعِمَة؛ حيث جاء على رأس وفدٍ مهمٍّ ورفيع المستوى، يَضُمُّ 14 وزيراً و200 رجل أعمالٍ إلى مصر يومي 17 و18 نوفمبر 2012م، تحت عنوان تعزيز التعاون بين البلدين. كما نتج عن هذه الزيارة، توقيع اتِّفَاقِيَّة ثنائيَّة تقضي بمنح مصر قرضاً ميسراً بقيمة مليار دولار، مع التأكيد على أهميَّة التعاون لجذب الاستثمارات التُّركيَّة ومضاعفة حجمها الحالي. وتوقيع 27 اتِّفَاقِيَّة بين الجانبين، تشمل عدَّة مجالات أهمها: النِّجَارَة والاستثمار، التعليم والصِّحَّة، البنية التحتيَّة، والنقل (2).

والجدير بالذكر، أنه خلال زيارة أردوغان الأولى لمصر، تمَّ عَقْد المنتدى الاقتصاديِّ المصري التُّركيِّ، بمشاركة نحو 500 من رجال الأعمال من كلا البلدين، قصد بحث

1. "طنطاوي" يُوكِّد لـ"غول" الرغبة في الانتقال بالبلاد نحو الديمقراطيَّة، صحيفة الخليج الإماراتيَّة، 4 مارس 2011م،

تاريخ الزيارة 5 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ab2Jts

2. نصُّ كلمة الرئيس المصريِّ السابق محمد مرسي في المؤتمر الصحفيِّ، والذي عُقِدَ بمناسبة توقيع اتِّفَاقِيَّات التعاون

الثنائيَّة بين مصر وتركيا، الصفحة الرسمية للرئاسة المصريَّة، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5fTgnH

القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة

سُئِلَ التعاون الاقتصادي في كافة المجالات. وأعرب حينها رئيس الوزراء التركي عن رغبته في زيادة حجم التبادل التجاري إلى خمسة مليارات دولار خلال عامين. مُؤكِّداً في هذا الصدد، على ضرورة عمل الطرفين على تحقيق هذا الهدف المنشود، من خلال إزالة كُلِّ العَقَبَات التي تعترض طريق رجال الأعمال والمستثمرين (1). وبلغ حجم الصادرات المصريَّة لتركيا عام 2011م، نحو 1.5 مليار دولار، وفي حين أنه كان في عام 2010م حوالي مليار دولار، أي بزيادة قدرها 500 مليون دولار، بينما بلغت الواردات المصريَّة من تركيا خلال عام 2011م حوالي 2.6 مليار دولار، في حين كانت عام 2010م حوالي 1.9 مليار دولار (2). وواصلت القُوَّة النَّاعِمَة التُّرْكِيَّة جهودها في دفع عجلة التعاون الاقتصادي بين البلدين؛ حيث وقَّع رئيس البورصة المصريَّة، أثناء زيارته لأنقرة في يونيو 2012م، مذكرة تعاون بين البورصة المصريَّة وبورصة إسطنبول، كما التقى وزير الكهرباء والطاقة المصري، آنذاك، محمود بلبع (3)، في سبتمبر 2012م، بسفير تركيا لدى مصر حسن عوني بوسطالي ووفد من رجال الأعمال الأتراك المرافقين له؛ من أجل بحث سُبُل دعم التعاون الثنائي بين البلدين في مجالات الكهرباء والطاقة (4).

1. علي محمود، "500 رجل أعمال يقودون العلاقات الاقتصاديَّة بين مصر وتركيا"، الأهرام المسائي، 25 سبتمبر 2014م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/2bsnqh
2. العلاقات الاقتصاديَّة والتجارية بين مصر وتركيا (من عام 2009م حتى النصف الأول من 2012م)، وزارة الصناعة والتجارة الخارجيَّة المصريَّة، أكتوبر 2012م، ص 2.
3. محمود سعد بلبع وزير الكهرباء المصري الأسبق، من مواليد دمنهور بمحافظة البحيرة عام 1951م، حاصل على بكالوريوس الهندسة الميكانيكية من جامعة الإسكندرية عام 1975م، وله 3 أولاد، كان رئيساً للشركة القابضة بعد نجاحه في رئاسة شركة شرق الدلتا لإنتاج الكهرباء في تنفيذ الخطة الإسعافيَّة الأولى لقطاع الكهرباء، والتي أضافت 1500 ميغا وات بمشروع الشباب بالإسماعيليَّة ودمياط، والتي تمَّ إضافتها للشبكة القومية قبل صيف العام 2011م، بالإضافة إلى مساهمته كنائب لرئيس شركة وسط الدلتا لإنتاج الكهرباء في إقامة مجمع كهرباء النوبارية قدرة 2250 ميغا وات. للمزيد يُنظَر: "محمود سعد بلبع - وزير الكهرباء"، موقع أصوات مصر، د. ت، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/CJdkVC
4. العلاقات المصريَّة التُّرْكِيَّة، الهيئة العامة للاستعلامات، د. ت، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qZY2X

كما قام الرئيس المصري السابق "محمد مرسي" (1) بزيارة تركيا في 30 سبتمبر 2012م، وتناولت محادثات الرئيس مرسي مع المسؤولين الأتراك الجانب الاقتصادي، لا سيما المساعدات والاستثمارات التركية في مصر خلال المرحلة المقبلة، والمقدرة بنحو مليار دولار. المليار الأول يمثل ودیعة على خمس سنوات بفترة سماح ثلاث سنوات، وفائدة لا تزيد عن 1%. والمليار الثاني عبارة عن استثمارات تركية في مصر تتضمن الشراكة في مشروعات البنية التحتية (2).

• نموذج العلاقات التركية - البوسنية

إلى جانب العلاقات التاريخية والثقافية، التي تتسم بها العلاقات بين تركيا والبوسنة، فإن تركيا بجاذبيتها الناجمة عن قوتها الناجمة تحرص على دعم علاقتها الاقتصادية مع البوسنة، فخلال زيارته للبوسنة عام 2015م، أبرم الرئيس رجب طيب أردوغان اتفاقية تتضمن إجراء 50 مشروعاً استثمارياً في البوسنة، إضافة إلى قرض بقيمة 50 مليون يورو لدعم الاقتصاد البوسني (3).

1. محمد محمد مرسي (8 أغسطس 1951م)، الرئيس الخامس لجمهورية مصر العربية، والأول بعد ثورة 25 يناير 2011، أول رئيس مدني منتخب للبلاد. تخرج في كلية الهندسة جامعة القاهرة عام 1975م بتقدير ممتاز، وحصل على درجتي الماجستير (1978) والدكتوراه (1982) من الولايات المتحدة الأمريكية. تم إعلان فوزه رئيساً للجمهورية في 24 يونيو 2012م بنسبة 51.73% من أصوات الناخبين المشاركين، وتولى منصب رئيس الجمهورية رسمياً في 30 يونيو 2012م بعد أداء اليمين الجمهوري. حتى عزله الجيش عام 2013م بعد مظاهرات 30 يونيو، ولا يزال معتقلاً منذ تاريخ عزله. للمزيد يُنظر: محمد مرسي، "الجزيرة نت، 18 ديسمبر 2014، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/mfNCnj
2. "الرئاسة: مباحثات مرسي في تركيا تركزت على الجانب الاقتصادي"، صحيفة المصري اليوم، 30 سبتمبر 2012م.
3. أردوغان يوقع على اتفاقية لـ50 مشروعاً خلال زيارته للبوسنة والهرسك"، تركيا بوست، 20 مايو 2015، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UPfNmk

وفي سياق مُتَّصِلٍ فقد سَجَّلَ التَّبَادُلُ التُّجَارِيَّ بين تركيا والبوسنة، وَفَقاً لتقديرات العام 2017، حوالي 600 مليون يورو، مع توقعات بأن يصل حجم التبادل التُّجَارِيَّ بين البلدين إلى مليار يورو في العام 2019(1).
وقد قام الرئيس التُّركِيَّ رجب طيِّب أردوغان بزيارة عمل إلى البوسنة في مايو 2018، صُحْبَةً وَفِدٍ وَزَارِيَّ رَفِيعِ المَسْتَوَى؛ حيث تَنَوَّعَت مباحثات الجانبين التُّركِيَّ والبوسني لتشمل كافة المجالات؛ ابتداءً من المجالين الاقْتِصَادِيَّ والتعلِيمي، وانتهاءً بِمَجَالِي السِّيَاخَة والثقافة(2).
ومع خصوصية العلاقات التُّركِيَّة البوسنيَّة تَوَصَّلَ البَدَانِ في يوليو 2018 إلى تفاهم، لم يكشف عن فحواه تحديداً، حول تطوير التعاون الثنائي بينهما في مجال الدُّفَاع(3).

• نموذج العلاقات التُّركِيَّة - القَطْرِيَّة

تُعْتَبَرُ العلاقات التُّركِيَّة القَطْرِيَّة نموذجاً لِلنَّقْلَةِ النُّوعِيَّةِ الَّتِي أَحَدَتْهَا حكومة العدالة والتَّنْمِيَّةِ وَاسْتِراتِيجِيَّةِ القُوَّةِ النَّاعِمَة الَّتِي تَتَّبَعُهَا تركيا في حركتها الخَارِجِيَّةِ، على الصعيدين؛ الإقْلِيمِيَّ والدَّوْلِيَّ، فبعد أن كانت قيمة التُّجَارَة الخَارِجِيَّةِ بين البلدين لا تَتَعَدَّى 20 مليون دولار قبل عام 2000، ارتفعت لتصل إلى 834.5 مليون دولار خلال عام 2016، و634 مليون دولار خلال الشهر الثمانية الأولى فقط من العام 2017(4).

1. أردوغان يوقِّع على اتفاقية لـ50 مشروعاً خلال زيارته لبوسنة والهرسك"، تركيا بوست، 20 مايو 2015، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UPfNmk
2. "رئيس وزراء البوسنة: سمنع أي عمل يضرّ بالعلاقات الودية مع تركيا"، تركيا بوست، 20 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LuY5fq تي آر تي العَرَبِيَّة، 21 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7xxVdn
3. "رئيس الجمهورية أردوغان: العلاقات بين تركيا والبوسنة والهرسك تشهد تَطَوُّراً على مستوى ممتاز"، تي آر تي العَرَبِيَّة، 21 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7xxVdn
4. قطر وتركيا.. آفاق اقْتِصَادِيَّة واعدة"، صحيفة الشرق القطريَّة، 15 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/NLCfNk

كما ارتفع عدد الشركات التُّركيَّة القطريَّة المشتركة التي تعمل في السوق القطريَّة إلى نحو 200 شركة تعمل في مختلف المجالات الحيويَّة، ولعلَّ أبرزها شركات المقاولات التُّركيَّة التي تعمل في مشاريع كأس العام 2022 الذي تحتضنه الدوحة، بإجمالي استثمارات تبلغ 11.6 مليار دولار(1).

ولحرص البلدين على مأسسة العلاقات الاقتصاديَّة فيما بينهما، حرصت قيادة الدولتين في عام 2014م على تدشين "اللجنة الاستراتيجيَّة العليا" بين البلدين، والتي بموجبها انخرط عدد كبير من الوزارات والمؤسَّسات الحكوميَّة وحتى الخاصَّة في التحضير لاتفاقيَّات تعاون ثنائيَّة، تشمل كافة المجالات الاقتصاديَّة والتجاريَّة والاستثماريَّة وحتى الثقافيَّة والأمنيَّة أيضاً(2).

وعلى جانب آخر كان للاستثمارات القطريَّة في تركيا دورٌ كبيرٌ ومؤثراً إبَّان أزمة هبوط سعر صرف الليرة التُّركيَّة؛ فبعد التراجع الحاد في قيمة الليرة التُّركيَّة، أجرت أنقرة الكثير من الاتصالات المثمرة مع دول صديقة، وفي مقدِّمتها دولة قطر، التي لم تتوان عن تقديم يد المساعدة، فتعهَّدت الدوحة بدعم اقتصاد تركيا المضطرب عبر ضخ استثمارات قطريَّة مباشرة تتكوَّن من حُرمة من المشاريع الاقتصاديَّة والاستثمارات والودائع بقيمة 55 مليار ريال قطري، وهو ما يعادل 15 مليار دولار(3).

وجاء ذلك في تصريحات لأمير دولة قطر؛ الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، خلال زيارته إلى تركيا في أغسطس 2018م؛ لإجراء محادثات ثنائيَّة مع الرئيس التركي

1. "قطر وتركيا.. آفاق اقتصاديَّة واعدة"، صحيفة الشرق القطريَّة، المرجع السابق.
2. "اللجنة الاستراتيجيَّة العليا"، سفارة دولة قطر في أنقرة- تركيا، د. ت، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Fckryu
3. قطر تدعم اقتصاد تركيا باستثمارات مباشرة بقيمة 15 مليار دولار، موقع "16"، bbc أغسطس 2018م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/ArD7PD>

رجب طيِّبُ أَرْدوغان؛ وَيُعْتَبَرُ الشَّيْخُ تَمِيمُ أَوَّلُ رَئِيسِ دَوْلَةِ أُجْنَبِيَّةٍ يَزُورُ أُنْقَرَةَ مِنْذُ بَدَأَ المَواجِهَةَ السِّياسِيَّةَ مَعَ واشنطن، إِبَّانَ رَفُضِ تَرْكِيَا الإِفْرَاجَ عَنِ القَسِّ الأَمْرِيكِيِّ المَحْتَجِزِ لَدَيْهَا "أَنْدَرُو بَرانسون" (1)؛ لِأَنَّها مَه بِالضُّلُوعِ فِي المَحاوِلَةِ الأَنْقِلابِيَّةِ الفاشِلَةِ فِي تَرْكِيَا العَامَ 2016م، وَمَمارِسةِ أُنْشُطَةٍ مُتَطَرِّفَةٍ فِي البِلاَدِ، فَقَرَّرَتِ الوِلايَاتُ المُتَّحِدَةَ الرَّدَّ عَلى الرِّفْضِ التُّرْكِيِّ بِعَاقِبَاتٍ اِقْتِصادِيَّةٍ ضَخِمةٍ تَسَبَّبَتْ فِي هِبوَطِ قِيَمَةِ اللِّيرَةِ بِصُورَةٍ مُتوالِيَةٍ (2).

وَأَكَّدَ مَسْؤُولُونَ فِي أُنْقَرَةَ أَنَّ الأَموالَ القَطْرِيَّةَ سَيَتِمُ تَوجِيهُها إِلى الأَسْواقِ المَالِيَّةِ وَالمَصارِفِ التُّرْكِيَّةِ؛ حَرساً عَلى أَنْ يَكُونَ الاسْتِثمارُ كافيّاً لِتَجَنُّبِ الانْهيارِ المَصرِفِيِّ التُّرْكِيِّ (3).

وَنَسْتَخْلِصُ مِنْ كُلِّ ما سَبَقَ، بِأَنَّ تَسْويقَ "النَّجَاحِ التُّرْكِيِّ"، هُوَ إِحْدَى آليَّاتِ تَوظِيفِ القُوَّةِ النَّاعِمَةِ التُّرْكِيَّةِ بَلْ أَهْمُها عَلى الإِطْلاقِ، فَهُوَ بِحَدِّ ذَاتِهِ عَنصرٌ جَذِبٌ وَجاذِبِيَّةٌ يَدْفَعُ الأَخرينَ إِلى اِكْتِشافِ مَعالِمِ تلكِ التَّجْربَةِ، الَّتِي دَفَعَتْ تَرْكِيَا إِلى الارتِقاءِ بِهذِهِ السَّرْعَةِ وَتَجاوِزِ كُلِّ العَقَباتِ مِنْ أَجْلِ تَحْقيقِ أَهْداَفِها.

1. أَنْدَرُو بَرانسون: قَسَّ أَمْرِيكِيٌّ يَبْلُغُ مِنَ العَمَرِ خَمْسِينَ عَاماً، نَشَأَ فِي وِلايَةِ كارولينا الشَّمالِيَّةِ فِي عائِلَةٍ مُتَدَيِّئَةٍ. وَتَوَجَّهَ إِلى تَرْكِيَا مِنْتَصفِ التَّسْعِينِيَّاتِ، لِيَسْتَقِرَّ هُنَاكَ مَعَ عائِلَتِهِ، وَقد أَوقَفَتْهُ السُّلْطاناتُ التُّرْكِيَّةُ مِنْذُ أكتُوبَرِ 2016م لِأَنَّها مَه بِالضُّلُوعِ فِي مَحاوِلَةِ الانْقلابِ الفاشِلَةِ فِي البِلاَدِ العَامَ ذَاتِهِ، وَمَمارِسةِ أُنْشُطَةٍ مُتَطَرِّفَةٍ، وَرَفْضِ القَضاءِ التُّرْكِيِّ الإِفْرَاجَ عَنهِ، وَرَفْضِ أُنْقَرَةَ تَسْلِيمِهِ إِلى واشنطن مِنْذُ ذَلِكِ الحَينِ، ما تَسَبَّبَ فِي أزمَةٍ دِبلِوماسِيَّةِ وَأِقْتِصادِيَّةِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ. حَتَّى صَدَرَ عَلَيْهِ حُكْمُ قَضائِيٍّ مُخَفَّفٍ، وَتَمَّ إِطْلاقُ سِراحِهِ فِي مِنْتَصفِ أكتُوبَرِ 2018م، لِلْمَزيدِ يُنظَرُ الرابِطُ التَّالِي: <https://goo.gl/7fTcEj>.
2. Qatari emir vows \$15bn Turkey investment after Erdogan meeting, موقع "aljazeera" الإِنْجِلِيزِيَّةِ، 16 أِغْسطُسَ 2018م، تارِيخُ الزِيارَةِ 14 أِكتُوبَرِ 2018م، مَتاحَ عَلى الرابِطِ التَّالِي: <https://goo.gl/s5VXGh>.
3. Turkish lira rallies as Qatar makes \$15bn loan pledge, موقع "the guardian" الإِنْجِلِيزِيَّةِ، 15 أِغْسطُسَ 2018م، تارِيخُ الزِيارَةِ 14 أِكتُوبَرِ 2018م، مَتاحَ عَلى الرابِطِ التَّالِي: <https://goo.gl/FLWZzm>.

• القُوَّة النَّاعِمَةُ.. نموذج جذب وجاذبيَّة تركي:

وكان من الطبيعي أنه بعد 7 سنوات من حكم حزب العدالة والتَّئْمِيَّة في تركيا، أن تظهر في استطلاعات الرأى التي قامت بها مُنظَّمة "المُؤَسَّسة التُّركيَّة للدراسات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة" (TESEV) في مصر والأردن والأراضي الفلسطينيَّة ولبنان والسُّعوديَّة وسوريا والعراق، نظرة إيجابِيَّة إلى تركيا. وهو ما يعني نجاح الأخيرة في تسويق قُوَّتها غير الصُّلْبَة، وبسط سيطرتها "النَّاعِمَة" - إن صح التعبير - على تلك الدول وشعوبها، دون حروب أو أزمات. بل ما هو أكثر من ذلك؛ فتح قنوات تعاون اقتصاديَّة مع تلك الدول.(1)

وتشير نتائج تلك الدراسة إلى تَفُوق واضح للقُوَّة النَّاعِمَة التُّركيَّة؛ إذ تحتل المرتبة الثانية إقليمياً، بينما ينظر ما نسبته 75% من المستجوبين إلى "أنقرة" نظرة إيجابِيَّة في استطلاع الرأى هذا. كما أن الرأى العام في هذه الدول السبعة، اعتبر تركيا فاعلاً أساسياً، ويمارس تأثيراً قوياً على دول المنطقة، وهو مُؤشِّر قوِيٌّ على أن شعوب تلك الدول أصبحت تثق في الاقتصاد التُّركي، على نحو قد يدفع بعضهم للاستثمار بشكل مباشر أو غير مباشر مع الدُوَّلة التُّركيَّة، وهو ما يصبُّ أيضاً في صالح نمو القطاع الاقتصاديِّ.

بل إنَّ الرأى العام في تلك الدول، أكَّد على تأييده قيام تركيا بلعب "دور أكبر في العالم العربي"؛ حيث وافق 61% على كون تركيا نموذجاً للدول العربيَّة من حيث الانسجام بين الإسلام والديمقراطيَّة، مما يفتح الباب على مصراعيه، لقبول تلك الشُّعوب مزيداً من السلع القادمة من تركيا، فالصورة المُترسِّخة في ذهنيَّة تلك الشُّعوب، أنه الشعب التُّركيُّ المسلم الحُرُّ، القادر على الإبداع والابتكار.

1. علي حسين باكير، "القُوَّة التُّركيَّة النَّاعِمَة في ميزان التَّحوُّلات العربيَّة"، موقع إسلام أونلاين، 18 مارس 2011م، متاح على مُدونة الباحث بسبب تعطل المصدر الأصلي للمقال، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/OTjA1C

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

توظيف القُوَّةِ النَّاعِمَةِ إِذْنًا، اتَّخَذَ أَشْكَالًا مُتَعَدِّدَةً، فَلَمْ تَكْتَفِ القِيَادَةُ التُّرْكِيَّةُ بِتَسْوِيقِ النِّجَاحِ الاِقْتِصَادِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ، وَدَعَاةِ الشُّعُوبِ الأُخْرَى إِلَى تَبَادُلِ الخَبَرَاتِ مَعَهَا، بَلْ سَوَّقَتْ نَفْسَهَا كَوَاحِةً لِلدِّيمُقْرَاطِيَّةِ فِي صَحْرَاءِ الدِّيكْتَاتُورِيَّةِ المُسْتَحْكِمَةِ فِي المِنطِقَةِ. مُعَلِّئَةً عَنِ نَفْسِهَا كَبَدِيلِ إِسْلَامِي شَرْقِي عَنِ دِيمُقْرَاطِيَّةِ الغَرْبِ العِلْمَانِيَّةِ، وَالَّتِي تَتَهَمُهَا بَعْضُ النِّيَّارَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي المِنطِقَةِ العَرَبِيَّةِ بِالكُفْرِ. مِمَّا عَبَّدَ لَهَا الطَّرِيقَ لِعَقْدِ صَفَقَاتِ اقْتِصَادِيَّةٍ ضَخْمَةٍ، وَضَخَّ مَزِيدًا مِنْ مِليَارَاتِ الدُولَارَاتِ فِي الخَزِينَةِ التُّرْكِيَّةِ مِنْ خِلَالِ السِّيَاحَةِ العَرَبِيَّةِ الوَافِدَةِ، أَوْ الصَّفَقَاتِ التِّجَارِيَّةِ المَبَاشِرَةِ (1).

• القُوَّةُ النَّاعِمَةُ.. سِيَاحَةُ الاِقْتِصَادِ وَالثَّقَافَةِ:

تَجَذَّبَ تَرْكِيَا عِدَدًا مُتَزَايِدًا مِنَ السِّيَاحِ العَرَبِ، خَاصَّةً مِنْ دَوْلِ الخَلِيجِ؛ حَيْثُ وَصَلَ عِدَدُ السِّيَاحِ العَرَبِ إِلَى 30 أَلْفًا فِي سَنَةِ 2010م، وَارْتَفَعَ إِلَى 190 أَلْفِ سَائِحٍ فِي 2013م، ثُمَّ إِلَى 410 أَلْفِ فِي 2015م. وَبَلَغَ إِنْفَاقُ السِّيَاحِ العَرَبِ فِي تَرْكِيَا عَامَ 2015م نَحْوَ 1.3 مِليَارِ دُولَارٍ، كَمَا زَادَتِ مَدَّةُ إِقَامَةِ السَائِحِ العَرَبِيِّ فِي تَرْكِيَا مِنْ 1.4 يَوْمٍ قَبْلَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ، إِلَى 8 أَيَّامٍ فِي 2016م. (2)

وَفِي النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنَ العَامِ 2017، زَارَ تَرْكِيَا نَحْوَ مِليُونٍ وَ226 أَلْفِ سَائِحٍ عَرَبِيٍّ، عَلَى رَأْسِهمُ السِّيَاحِ العِرَاقِيُّونَ بِنَحْوِ 317 أَلْفِ سَائِحٍ، ثُمَّ السَّعُودِيُّونَ 205 أَلْفِ سَائِحٍ، ثُمَّ الكُوَيْتِيُّونَ بِ94 أَلْفِ سَائِحٍ، ثُمَّ الأُرْدُنِيُّونَ بِنَحْوِ 87 أَلْفِ سَائِحٍ. (3)

1. علي حسين باكير، "القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ فِي مِيزَانِ التَّحَوُّلَاتِ العَرَبِيَّةِ"، مَوْقِعُ إِسْلَامِ أُونَلَاين، 18 مَارِسَ 2011م، مَتَاحٌ عَلَى مُدَوَّنَةِ البَاحِثِ بِسَبَبِ تَعَطُّلِ المَصْدَرِ الأَصْلِيِّ لِلْمَقَالِ، تَارِيخُ الزِيَارَةِ 12 أِبْرِيلَ 2017م، مَتَاحٌ عَلَى الرِّابِطِ التَّالِي: goo.gl/OTjAIC
2. طوبى ياردمجي، تَرْكِيَا.. إِقْبَالُ السِّيَاحِ العَرَبِ عَلَى البَحْرِ الأَسْوَدِ فِي تَصَاعُدِ مَسْتَمَرٍ، هَابِيرَلِرْ نِيوزِ التُّرْكِيَّةِ، 19 دِيسَمْبَرِ 2016م، تَارِيخُ الزِيَارَةِ 22 يُونِيُو 2017م، مَتَاحٌ عَلَى الرِّابِطِ التَّالِي: <http://cutt.us/oylQm>
3. "تَرْكِيَا.. ارْتِفَاعُ عِدَدِ السِّيَاحِ العَرَبِ 34% فِي النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنَ العَامِ الجَارِي"، تَرْكِيَا بُوَسْت، 2 أَوْغُسْطُسَ 2017، تَارِيخُ الزِيَارَةِ: 18 أَوْغُسْطُسَ 2018م، مَتَاحٌ عَلَى الرِّابِطِ التَّالِي: goo.gl/s9vnpL

هذا التطور الكبير في حركة السياحة العربية نحو تركيا، حدث نتيجة الجهود الكبيرة التي بُدلت للتعريف بقدرات تركيا السياحية، ومصادر القوة الناعمة التي استغلتها القيادة التركية جيداً، من أجل تحقيق مآربها الاقتصادية. إضافة إلى إصدار أفلام ومنشورات تعريفية عن تركيا باللغة العربية. وعقد العديد من اللقاءات مع المسؤولين بدول الخليج لبحث تطوير السياحة والتبادل التجاري. علاوة على تنوع الأنشطة السياحية بشكل يجعل المنطقة جاذبة للسياح طوال العام، وتدشين خطوط طيران مباشرة بين دول الخليج وكثير من المناطق التركية. وبالتوازي مع زيادة عدد السياح من دول الخليج، ارتفعت مبيعات المساكن في المدينة؛ ووفق إحصائيات ولاية طرابزون، فإن 1081 من مواطني دول الخليج، اقتنوا لأنفسهم ألفاً و271 مسكناً، خلال العامين 2015 - 2016م بتلك الولاية فقط (1)، وخلال الربع الأول من العام 2018م، استقبلت تركيا 5 ملايين و138 ألف سائح، بزيادة نحو 36% عن الربع الأول من العام 2017 (2). وعلى الصعيد السياحي العقاري، اشترى السياح العراقيون في تركيا 8 آلاف و909 منازل، والسعوديون 6 آلاف و107 منازل، والكويتيون 4 آلاف و672 منزلاً خلال الفترة من 2015 - منتصف 2017 (3).

ولانزال مع تطبيقات القوة الناعمة حسب التجربة التركية الرائدة، والتي توضّح كيف استغلتها الحكومة التركية في تحقيق أهدافها الاقتصادية. فبعد انتخابات 2002م مباشرة، قام رئيس الوزراء آنذاك - السيد رجب طيب أردوغان بجمع السفراء

1. طوبى ياردمجي، تركيا.. إقبال السياح العرب على البحر الأسود في تصاعد مُستمر، مرجع سابق.
2. تركيا.. رقم قياسي في عدد السياح بالربع الأول من 2018م، دايلي صباح، 27 أبريل 2018م، مُتاح على الرابط التالي: goo.gl/os8EWp
3. العرب يُعشّون قطاع العقارات في تركيا، وكالة أنباء نيو ترك بوست، 3 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XjzuLx

العرب في أنقرة، وكشف لهم عن نيَّة الحكومة في إحياء العلاقات بين تركيا والعالم الإسلاميَّ العربيَّ من جديد. وهو ما أدَّى إلى تضاعف حجم التبادل الاقتصاديِّ مع الدول الإسلاميَّة 10 أضعاف ما كان عليه في السابق. كما تمَّ توقيع 6 اتِّفَاقِيَّاتِ تجارة حُرَّة بين تركيا وسِتَّةِ دولٍ عَرَبِيَّةٍ: المغرب، تونس، الأردن، مصر، فلسطين، سوريا(1).

وهنا لا بُدَّ من التَّأكيد على أن النجاح التُّرْكِيَّ في توظيف قُوَّتِهِ النَّاعِمَةِ في المجال الاقتصاديِّ، لا يأتي فقط من مهارتها وقدرتها في هذا السياق، بل يأتي أيضاً، كنتيجة حتميَّة للظروف التي تعيشها المنطقة، وللسياسات العَرَبِيَّةِ المتشابكة. بالإضافة إلى رغبة الكثير من الدول العَرَبِيَّةِ في وقف الزحف والتمدُّد الإيراني الشيعي في المنطقة. وهو ما سمح لدولة بحجم تركيا من إنجاح نموذجها الاقتصاديِّ والثَّقافيِّ دون لجوء إلى استعراض أو استعمال قُوَّتِهَا الصُّلْبَةِ.

تعزيز القُدرة التَّنَافُسيَّة:

في تحليلٍ مُخْتَصَرٍ لـ "Rimall Invest (2)" حول الوضع السِّيَاسِيَّ الاقتصاديِّ التُّرْكِيَّ لعام 2017م، تُشير مُقَدِّمته إلى أن "تركيا عضوة في مُنظَّمة الدول العشرين، ومن الجهات المانحة المُهمَّة في المساعدة الإنمائيَّة الرِّسْمِيَّة التَّنَائِيَّة "ODA". وهي مصدر كبير ذو ثقة للسُّلْع الاستهلاكيَّة ذات الجُودَة العالية، وهي الآن أكبر مُنتج في أوروبا لأجهزة التلفزيون والمركبات التَّجَارِيَّة الخفيفة، كما أن سَلْعَهَا تصل إلى السوق الألمانيَّة وذلك بفضل دِقَّتِهَا، وتُعدُّ ثامن أكبر مُنتج للموادِّ الغذائيَّة في العالم والوجهة السِيَاحِيَّة السادسة الأكبر شِعْبِيَّة، وهناك 43 شركة تُّرْكِيَّة ضمن كبريات شركات البناء العالميَّة

1. إحسان فقيه، "القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ في العالم العربي"، مرجع سابق.
2. شركة تركية رائدة في مجال الاستثمارات والاستشارات العقارية، تُقدِّم خدماتها لتلبية احتياجات العملاء ورغباتهم وخدمتهم بطريقة متميزة في مجال الاستثمارات العقارية في تركيا. للمزيد يُنظَر: "من نحن"، رمال إنفست للاستثمارات والاستشارات العقارية، تركيا، د. ت، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bPYxjX

البالغ عددها 250 شركة، وتتميز تركيا بصناعة نسيج مُتطوّرة تُصدّر سلعاً ذات جودة عالية إلى عموم دول أوروبا، كما قفزت الصادرات إلى أكثر من 400% (1). وقد ارتبطت القوة الناعمة التركيّة، بعدد من المفاهيم الاقتصادية المعروفة، من بينها: تعزيز القدرة التنافسيّة، وإقرار العدالة في توزيع الدخل. فُقدرة الدولة أولاً على التأثير في الآخرين داخلياً وخارجياً، يجب أن تواكبها مساحة كافية لإبراز القدرات، ومنح فرص المنافسة المتكافئة أمام الفاعلين الاقتصاديّين. وتدخلها ثانياً، لعلاج أحد أهمّ المشكلات التي تقوّض أركان أيّ بناء أو نهوض اقتصادي، ونعني به سوء توزيع الدخل. وهو ما قامت الدولة التركيّة بالانكباب على إيجاد حلول له، من خلال منح أولويّة كبيرة في جدول أعمالها لدعم التنافسيّة ومسألة توزيع الدخل.

معالجة هذه المسألة الأخيرة، ساعدت الدولة التركيّة على التغلغل بين طبقات شعبها، وتقليل الفجوة بين الفقراء والأغنياء. وفي ذلك اعتمدت حكومة حزب العدالة والتنمية على برامج للتنمية وهياكل للدعم الحكومي، منذ عام 2002م، تهدف إلى خفض التفاوت الاجتماعيّ بين الأقاليم وضمان توزيع عادل للدخل في البلاد. وهو ما أدّى إلى إنتاج المزيد من تأثير القوة الناعمة للدولة على المستوى الداخليّ.

وقد ساعدها؛ كذلك، على تحقيق ذلك التحسّن الكبير الذي طرأ على اقتصاد البلاد، والذي ساعد بدوره في توفير تمويل مالي لبرامج تعزيز القدرة التنافسيّة بين أفراد الشعب التركيّ، ممثلاً في الارتفاع الثابت لمعدّلات النُمو الاقتصاديّ، وزيادة إجمالي الناتج المحليّ، وانخفاض نسب مخاطر الاستثمار، وتقليل مدفوعات الفائدة. مما ساعد تركيا على النهوض سريعاً من كبوتها، بل والصمود أمام الأزمات التي وقعت فيها تركيا مؤخراً، وهو ما ظهر أثره بوضوح في ديسمبر 2016م (2).

1. الاقتصاد التركيّ ومستقبل الاستثمارات الأجنبية في تركيا حالياً حقائق وتوقعات"، رمال إنفست، 3 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/21wD6A

2. إحسان فقيه، "القوة التركيّة الناعمة في العالم العربي"، مرجع سابق.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

فمع الانخفاض الكبير لسعر الليرة التركية أمام الدولار الأمريكي، في أبريل 2017، سارع الأتراك إلى تغيير عملاتهم الأجنبية بالليرة المحلية. وأبدت مؤسسات حكومية ورجال أعمال وتجار ومواطنون أتراك استجابة واسعة لدعوة الرئيس السيد رجب طيب أردوغان إلى تحويل ما بحوزتهم من العملات الأجنبية إلى الليرة أو الذهب، بهدف إنعاش وتقوية العملة المحلية، وهو ما تحقّق بالفعل بعدما وصل سعر صرف الدولار إلى 3.45 ليرات تركية، بعد أن بلغ أعلى مستوياته بقيمة 3.6 ليرات (1).

ويُعتبر هذا المسلك الشعبي تأكيداً واضحاً على ما ذُكر في السطور السابقة، من ارتباط بين تعزيز القدرة التنافسية بين الفاعلين الاقتصاديين وتقليل الفجوة بين الفقراء والأغنياء، مع زيادة معدلات الولاء بين المواطنين، والشعور بالعدالة والمساواة، وهو ما يُعدُّ أحد علامات نجاح القوة الناعمة التركية، ومدى تأثيرها على الداخل التركي.

وقد تكرر هذا الأمر في أغسطس 2018، حينما دعا الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الشعب لتحويل مدّخراته إلى الليرة لإنقاذ الاقتصاد التركي من الهجمة الشرسة التي تشنها الولايات المتحدة الأمريكية لاعتبارات سياسية؛ حيث تجاوزت تلك الدعوة حدود الشعب التركي لتلقى صدى عربياً وإسلامياً كبيراً؛ حيث نظّم ممثلون عن الجالية العربية في تركيا فعاليات تضامنية في إسطنبول لدعوة أبناء الجالية إلى دعم الاقتصاد التركي من خلال تحويل مدّخراتهم من الدولار والذهب إلى الليرة (2). كما تمّ تدشين العديد من الحملات لدعم الليرة التركية، في عددٍ من البلدان،

1. خليل مبروك، الأتراك "ينتصرون" لعمّلتهم في مواجهة الدولار، الجزيرة نت، 9 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KtacXF
2. "الجالية العربية في إسطنبول تدعو إلى دعم الليرة التركية"، وكالة الأناضول للأخبار، 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QRwBSp

كأذربيجان والسويد ولبنان وغيرها، من خلال تحويل المدَّخَرَاتِ الدُولَارِيَّةِ إِلَى اللِّيْرَةِ التُّرْكِيَّةِ لِمُوَاجَهَةِ فَعَالِيَّاتِ دَوْلِيَّةٍ وَإِقْلِيمِيَّةٍ تَتَرَبَّصُ بِالدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ وَقِيَادَتِهَا عَلَى كَافَّةِ الْمَسْتَوِيَّاتِ (1).

ولعل من أبرز مَوْشُرَاتِ الْقُوَّةِ النَّاعِمَةِ وَالْوِزْنِ الدَّوْلِيِّ الَّذِي تَتَمَتَّعُ بِهِ تَرْكِيَا، حَتَّى فِي أَزْمَةِ عُمَلَتِهَا الَّتِي خَسِرَتْ مِنْذَ يَنَايِرِ حَتَّى أَيْسُطُسِ 2018م أَكْثَرَ مِنْ 34% مِنْ قِيَمَتِهَا أَمَامَ الدُولَارِ الْأَمْرِيكِيِّ، أَنَّ تِلْكَ الْأَزْمَةَ النَّاجِمَةَ عَنْ صِرَاعٍ سِيَّاسِيٍّ / اِقْتِصَادِيٍّ مَعَ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ أَثَّرَتْ عَلَى عَمَلَاتِ قُوَى اِقْتِصَادِيَّةٍ أُخْرَى كَالْهِنْدِ رُوسِيَا وَالْبِرَازِيلِ وَالْأَرْجَنْتِينَ وَجَنُوبِ إِفْرِيْقِيَا وَالْمَكْسِيكِ (2).

1. "تواصل حملات دعم الليرة التركية في عدد من بلدان العالم"، وكالة الأناضول للأخبار، 14 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/58Eych

2. "أزمة الليرة: تركيا تقرر مقاطعة السلع الإلكترونية الأمريكية بسبب العقوبات التي فرضتها إدارة الرئيس دونالد ترامب"، بي بي سي عربي، 14 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pDrgC9

المبحث الثالث

الحماية الاجتماعية

"الرعاية الاجتماعية"، أو "الحماية الاجتماعية"، إحدى الحقوق الأساسية التي تكفلها الدولة للضرد، في الحصول على كافة حاجاته الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية والتربوية، له ولأسرته في العيش وفق مستويات جيدة، إضافة إلى حقه في الحصول على فرص العمل التي تساعد في تلبية متطلبات معيشته.

وكل هذه الأمور وفرتها الدولة التركية، وحققت بها القوة الناعمة بين أفراد شعبها. فكما أن تعزيز القدرة التنافسية وتقليل الفجوة بين الفقراء والأغنياء، ساهم لحد كبير في تعزيز قوة تركيا الناعمة، الأمر نفسه ينطبق على فكرة الضمان الاجتماعي التي تسعى تركيا من خلالها إلى تأمين مستوى عيش كريم، لمن هم في حاجة لذلك من غير إحساس بشفقة أو استضعاف أو بديل ماء الوجه، مما يساهم في انتشار العدل والرحمة والألفة بين الناس من جهة، وزيادة قوة الدولة الناعمة وحجم التأييد ودعم سياساتها من جهة أخرى.

والضمان الاجتماعي يحقق الولاء المطلق للشعب تجاه دولته؛ فالدولة التي تضمن لمواطنيها حياة كريمة ميسورة، لن تجد في المقابل سوى شعب محترم مضمون الولاء، وهذا هو أقوى أسلحة تركيا الناعمة داخلياً، والثمرة الكبرى التي يمكن البناء على أساسها أي إنجاز آخر.

- **الحماية الاجتماعيّة الإسلاميّة والعُثمانيّة؛ جذور ضاربة في التاريخ:**
في واقع الأمر، لا ترتبط فكرة الضمان الاجتماعيّ بالدولة التُركيّة الحديثة، بل تَمَدَّت إلى عهد الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز (1) (رحمه الله)، الَّذِي وصل الفعل الاجتماعيّ في عهده لأعلى المستويات.
وقد تنوّع العمل على أكثر من مستوى، في إطار مفهوم الضمان الاجتماعيّ في هذا العصر الراشد، من خلال الأمر الَّذِي أصدره الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز إلى مساعديه بأن يرسلوا المنادين إلى الأمصار الإسلاميّة لينادوا في الملأ، بأنه من كان عاملاً للدولة وليس له بيت يسكنه، يُوفَّر له بيت المسلمين هذا البيت. ومن كان عاملاً للدولة وليس له مَرَكَبٌ يَرَكَبُهُ، يُوفَّر له بيت مال المسلمين ركوبة خاصة به. ومن كان عليه دينٌ أو قرض لا يستطيع قضاءه، يُوفَّر له بيت المال ما يَرُدُّ هذا الدين. ومن كان في سنِّ الزواج ولم يتزوج، فزواجه على حساب بيت مال المسلمين (2).
وهكذا أسَّس الخليفة العادل لنظام ضمان اجتماعي، يُمثِّل "قوّة ناعمة" حقيقيّة، ضَمِنَتْ ولاء المسلمين له من ناحية، وضَمِنَتْ له رضا الله وثواب الدنيا والآخرة، من ناحية أخرى.

1. عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأمويّ القرشيّ (61هـ/681م - 101هـ/720م)، هو ثامن الخلفاء الأمويين. وُلِدَ سنة 61هـ في المدينة المنورة، وكان شديد الإقبال على طلب العلم. وفي سنة 87هـ ولّاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ولما تَوَلَّى سليمان بن عبد الملك الخلافة قرّبه وجعله وزيراً ومستشاراً له، ثم جعله وليّ عهده، فلَمَّا مات سليمان سنة 99هـ تَوَلَّى عمر الخلافة. تَمَيَّزَتْ خلافة عمر بن عبدالعزيز بعدد من المميّزات، منها: العدل والمساواة، وردُّ المظالم، وعزلُ جميع الولاة الظالمين ومعاقبتهم، كما أعاد العمل بالشورى، ولذلك عدّه كثير من العلماء خامس الخلفاء الراشدين، كما اهتمّ بالعلوم الشرعيّة، وأمرَ بتدوين الحديث النبويّ الشريف. استمرَّت خلافة عمر سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، حتى قُتِلَ مسموماً سنة 101هـ للمزيد يُنظَر: أبو عبدالله شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1992م.
2. محمد شعبان أيوب، "التكافل والإغاثة في الخلافة الأموية"، موقع المختار الإسلامي، 11 ديسمبر 2013م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BIH68P

وقد استمرَّ هذا النَّهْجُ من الحماية الاجتماعيَّة في الدول الإسلاميَّة إلى غاية الدَّوْلَةُ العُثمانيَّة؛ حيث أسَّس السلطان أورخان (1) ثاني السلاطين العثمانيين نظام الأوقاف، عندما أمر ببناء أول مدرسة عثمانية في "إزنيق" (2)، أوقف لها من الأموال غير المنقولة لتسدَّ حاجاتها من المصاريف والنفقات. واقتدت بها أوقاف أخرى قامت لأغراض مختلفة، كصرف منح إعانة لليتامى وللأرامل، ورعاية الشيوخ والعاجزين، وتأمين إرضاع الأطفال، وتجهيز البنات للزواج.

وفي تلك المرحلة وصل الأمر لمرحلة مُتقدِّمة من العمل الاجتماعي، عبر شراء الألعاب للأطفال، وتأمين حاجيات المسافرين، والإنفاق على طلبة العلم وتأمين الإقامة لهم، وتأمين العمل للعاطلين (3). وهذا أبرز سلاح في ترسانة الأسلحة التي تَعتمد عليها القُوَّةُ النَّاعِمَةُ في أيِّ نظام وأيِّ دولة، وخصوصاً ما يتَّصلُ بمفهوم الأمن الاجتماعي.

1. هو ثاني سلاطين آل عثمان والابن الثاني لمؤسس هذه السُلالة المكيَّة عثمان الأول. وُلد في مدينة سُكود عاصمة إمارة والده سنة 687هـ الموافقة لسنة 1281م، وتولَّى السُلطة سنة 726هـ الموافقة لسنة 1326م بعد وفاة والده، وقد امتدَّ حكمه حوالي 35 سنة. شَهِدَ عَهْدُهُ توسُّعَ الإمارة العُثمانيَّة وضُمُّها للعديد من الأراضي والبلاد المجاورة وتصفية آخر مراكز النُفوذ والقُوَّة البيزنطيَّة في آسيا الصُغرى. للمزيد يُنظر: أورخان غازي السلطان الثاني للدولة العُثمانيَّة، ترك برس، 11 يناير 2016، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/HgSbHQ
2. إزنيق مدينة تركيَّة، تقع بالقرب من مدينة نيقية التاريخية في أقصى شمال غرب الأناضول وتتبع لمحافظة بورصة. يبلغ عدد سُكَّان مدينة إزنيق حالياً حوالي 15 ألف نسمة، تقع بالقرب من بحيرة إزنيق وتشتهر بصناعة الخزف العُثماني. للمزيد يُنظر: مدينة "إزنيق" أشهر مدينة في صناعة الخزف العُثماني، ترك برس، 7 يوليو 2015، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6eQuQK
3. "الوقف العُثماني.. حضارة واقتصاد"، رافد بيت الخبرة في الأوقاف والوصايا، 15 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة: 12 أبريل 2017م، مُتاح على الرابط التالي: goo.gl/xaYXn2

• الحماية الاجتماعية.. نموذج تركي مشرق:

وفي هذا السياق، تمّ تأصيل الرعاية الاجتماعية في تركيا بعد عام 2002م، بِبَصِّ واضح في الدُسْتُور التُّركيِّ، وَالَّذِي نَصَّ صراحةً على أن "الكلُّ يَتَمَتَّعُونَ بِالضمان الاجتماعيِّ، والدَّوْلَةُ تَتَّخِذُ الإِجْرَاءات الكفيلة لتحقيق هذا الضمان، من خلال مَوْسَّسات تقيّمها" (المادة الـ 60 من الدُسْتُور التُّركيِّ).

أما المادة العاشرة من الدُسْتُور نفسه، فَنُصِّصُ على أن "جميع الأفراد متساوون أمام القانون دونما تميّيز، بِصَرْفِ النَّظَرِ عن اللُّغَةِ، أو العِرْقِ، أو اللُّوْنِ، أو الجِنْسِ، وللرِّجال والنِّساء حقوقٌ متساويةٌ، والدَّوْلَةُ مُلزَمةٌ بضمان تحقيق هذه المساواة على الصعيد العملي، ولا تُفسَّرُ التدابير الَّتِي تُتَّخَذُ لهذا الغرض باعتبارها مُخَالَفةً لمبدأ المساواة". (1)

ولم تكتفِ الدَّوْلَةُ التُّركيَّةُ بتلك المواد الصريحة الواضحة في مجال الحماية الاجتماعية، بل منحت الأمر أكثر من ذلك؛ من خلال تميّيز بعض المستفيدين من تلك البرامج بمزيد من التدابير والإجراءات الحُكُومِيَّة؛ حيث تمّ تحديد نطاق التميّيز الإيجابي، من خلال تعديل المادة العاشرة في الدُسْتُور التُّركيِّ بِإضافة الفقرة الآتية: "والتدابير الَّتِي تُتَّخَذُ لصالح الأطفال والمُسِنَّينَ والمعاقين وأرامل الشهداء وأبنائهم، وكذلك لصالح مصابي الحرب وقدامى المحاربين، لا تُعْتَبَرُ مخالفةً لمبدأ المساواة". (2)

1. دستور تركيا الصادر عام 1982م شاملاً تعديلاته لغاية عام 2011م، موقع "27"، constituteproject.org، يوليو 2018م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: <https://constituteproject.org>

2. محمد حسن القدو، "الرعاية الاجتماعية في تركيا"، ترك برس، 13 يناير 2015م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xEklfu

والأمر لم يتوقف عند هذا الحد، فنجد أن مسألة الضمان الاجتماعي حظيت بأهمية كبيرة في البرلمان التركي، ففي عام 2003م، أقر البرلمان قانوناً يقضي بتشكيل مجلس استشاري للرعاية الاجتماعية يحدد وينفذ السياسات المقررة، ويضم هذا المجلس ممثلين من عدة وزارات ومؤسسات عامة، ويجتمع مرة كل سنة. وهو إجراء يربط المواطنين بالدولة، بشكل دوري، فكل عام هناك تغيير في السياسات والقوانين المنظمة للضمان الاجتماعي بتركيا، حتى لا تضيع حقوق الفقراء مع الضغوط الاقتصادية والمالية على مدار الزمن، مما جعل هذا السلاح ينمو ويتطور مع مرور الوقت، ليفرز لنا جيلاً شديداً الوطني والالتزام لوطنه، وقادر على النهوض بمختلف أعبائه.

كما أنشأت الحكومة "هيئة الضمان الاجتماعي" لتكون مظلة شاملة لجميع المؤسسات المعنية بالضمان الاجتماعي للمواطنين الأتراك، وأهمها؛ هيئة التأمين الصحي، وصندوق المعاشات، ومؤسسة التأمينات الاجتماعية للحرفيين والتجار والعمال المستقلين. هذا إلى جانب تطبيق نظام التأمين الصحي العام، ومد خدماته ليشمل المواطنين من دون سن الثامنة عشرة، وقد اضطلعت الدولة كذلك بسداد أقساط التأمين الصحي للفئات الأفقر، والذين بلغ عددهم نحو 9 ملايين مواطن، وتخفيض نسبة أقساط التأمين الخاصة بالمزارعين والحرفيين، وتعويض من لم يستطع مواصلة المهنة منهم، وصرف راتب شهري حال تعرضهم لإصابات العمل، وإعانة بنات من توفي منهن من المقبلات على الزواج براتب 24 شهراً⁽¹⁾.

وبإيجاز سريع، نجد أن نظام الضمان الاجتماعي التركي مرّ بتحوّلات كبيرة. ففي عام 2007م تمّ دمج صناديق التأمين الثلاثة، وهي: مؤسسة التأمينات، صندوق التقاعد ومؤسسة أرباب الحرف والمهن الحرة، بموجب القانون رقم

1. مسيرة تركيا خلال 12 عام: الحلقة الرابعة عشرة: الجهود المبذولة في مجال الضمان الاجتماعي، ترك برس، 20 أبريل 2015، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RThhUN

5502، وسميت آنذاك بمؤسسة التأمينات الاجتماعية، وهو ما ساهم في زيادة ميزانية الضمان الاجتماعي بتركيا على مختلف المستويات، وتعميم خدماته بشكل كبير، ففي عام 2015م، وصل نظام الضمان الاجتماعي التركي إلى تغطية ما يقرب من 99% من مجموع سكان تركيا، بارتفاع قدره 29% عن الوضع السالف في عام 2002م. (1)

وفي السياق نفسه، أُقيم نظام ضمان تقاعدي واحد مستدام من الناحية المالية، مع تكوين نظام تأمين صحي عام لتقديم خدمات صحية جيدة لكافة السكان بالتساوي، مع إمكانية الولوج إليه بسرعة. وهو ما ساهم في زيادة مساحات الثقة بين المواطنين ودولتهم، من خلال رعايتهم صحياً. مما يصب في النهاية في خانة دعم القوة الناعمة للدولة التركية على المستوى الداخلي. (2)

وقد تطورت نسبة الإنفاق الاجتماعي العام من إجمالي الناتج المحلي في تركيا من 9.7% قبل عام 2002، إلى 13.5% عام 2016. (3) الأمر الذي دفع تركيا إلى تسجيل ثاني أعلى مستوى لتراجع معدلات الفقر مقارنة بدول الاتحاد الأوروبي في 2016، عنه في العام 2015. (4)

على جانب آخر، قامت الحكومة التركية، في العام 2016م، بتدشين مشروع جديد لرعاية المسنين، يقوم إقامة مراكز تقوم على تقديم خدمة الرعاية للمسنين نهاراً وإرسالهم إلى بيوتهم ليلاً، على غرار حضانات الأطفال، على أن تكون بداية المشروع بمدينة إزمير تمهيداً لتعميمها بالمدن التركية الأخرى. (5)

1. "التاريخ"، الجمهورية التركية: مؤسسة الضمان الاجتماعي، د. ت، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gf5ZtN
2. "التاريخ"، الجمهورية التركية: مؤسسة الضمان الاجتماعي، المرجع السابق.
3. "تركيا تطور شبكة رعاية اجتماعية رائدة خلال عقدين"، ترك برس، 2 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yV7znA
4. تركيا الثانية أوروبياً في تراجع معدلات الفقر 2016"، وكالة الأناضول للأخبار، 6 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RWdhHm
5. "مشروع جديد لرعاية المسنين"، ترك برس، 1 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wrdgae

القوة التركية الناعمة

وتمنح الحكومة التركية كل من تجاوز عمره الخامسة والسنتين راتباً شهرياً إضافياً يبلغ 500 ليرة، كما تكفل الحكومة برامج رعاية صحية مجانية للمسنين؛ أبرزها إرسال سيارات إسعاف يضم طاقمها طبيباً وممرضة لرعاية المسنين صحياً في منازلهم بالمجان، هذا إلى جانب تكفل الحكومة بإرسال متخصصين لتنظيف بيوت المسنين وطهو طعامهم بشكل أسبوعي(1).

أما فيما يتعلق بدور الحكومة التركية في مكافحة البطالة، فالمقارنة في هذا المجال مع دول اليورو تشير إلى انخفاض مستويات البطالة بتركيا في عام 2014م إلى ما نسبته 7%، مقابل نسبة بطالة تقدر ب 11%؛ خلال العام ذاته، في نطاق الاتحاد الأوروبي(2).

نسبة بسيطة نسبياً وجدت يداً حانية، تضمهم إلى شريحة مستحقي الضمان الاجتماعي، وبالتالي إدراجهم ضمن سلاح القوة الناعمة؛ إذ استهلكت حكومة العدالة والتنمية شهرها الأولى في الحكم في عام 2003 بإنشاء مشروع لتخفيف المخاطر الاجتماعية للعاطلين عن العمل بإنفاق إجمالي وصل إلى نصف مليار دولار(3).

وكخلاصة، فإن القوة الناعمة التركية استفادت كثيراً من برامج الدعم الاجتماعي التي قدمتها الحكومة لمواطنيها؛ حيث فرضت تلك البرامج المزيد من الولاء على المواطنين، مما ساهم في إنجاح وتنفيذ برامج الحكومة الاقتصادية بحدافيرها.

1. تركيا ترعى كبار السن في منازلهم، العربي الجديد، 13 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/G1JnXy
2. محمد حسن القدو، "الرعاية الاجتماعية في تركيا"، ترك برس، 13 يناير 2015، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hbbVbs
3. محمد حسن القدو، "الرعاية الاجتماعية في تركيا"، المرجع السابق.

التعليم والرعاية الصحية:

يختلف نظام التأمين الصحيّ، في تركيا عن نظام الضمان الاجتماعيّ؛ حيث إن كل فرد في تركيا سواء كان مشمولاً بخدمة الضمان الاجتماعيّ أو غير مُدرج بها، له الحقّ في الرعاية الصحيّة بشكل متساوٍ ومتكافئٍ مع باقي مواطني بلده. وبداية من عام 2012م، تمّ إدماج أكثر من 1.5 مليون مواطن تركي غير مشمول بنظام الضمان الاجتماعيّ، في نظام الرعاية الصحيّة العام، بزيادة وصلت إلى 300% قياساً بنفس الفترة من سنة 2011م. واعتمد النظام التركيّ في هذا، على توفير ميزانيّة ضخمة من خلال المستشفيات الخاصّة؛ حيث تصل ميزانيّة هذا التأمين إلى 4 مليارات دولار سنوياً. ومن جهة أخرى بلغ عدد الذين يحصلون على العلاج من خلال منظومة التأمين الصحيّ سنوياً إلى 500 ألف مريض (1). هذا وقد تمّ مؤخراً منحه الدواء مجاناً للمواطنين الأتراك.

أما ما يتعلّق بنظام التعلّم في تركيا، فهو يخضع بشكل كبير لرقابة وإشراف الحكومة؛ حيث يُعدُّ أحد أهمّ أولويات الحكومة التركيّة هو تطوير العمليّة التعلّميّة عبر وزارة التربية والتعلّم، من أجل إخراج أجيال جديدة من الأتراك تضمن استمرار القوّة الناعمة التركيّة، التي تحقّق طموحات الدولة. ووفقاً لدستور الجمهوريّة التركيّة فإنّ حقّ الحصول على التعلّم محفوظ للجميع، وهو إجباريّ من سنّ السادسة وحتى الرابعة عشرة، ومجانيّ في الجامعات الحكوميّة. تمتلك المدارس الابتدائيّة معدل تسجيل حوالى 103.29% (2)، وفقاً لإحصاءات البنك

1. "الرعاية الصحيّة في تركيا؛ مستشفيات معاصرة.. وإمكانيات حضاريّة واسعة"، تركيا بوسست، 22 نوفمبر 2014م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5T8iFg

2. يمكن لهذه النسبة أن تتجاوز 100% بسبب قيد الأطفال الذين تحطّطوا العمر المدرسيّ المُقرّر والأطفال الذين لم يبلغوا العمر المدرسيّ المُقرّر في سنّ متأخرة أو مبكرة و/أو بسبب إعادتهم الصفوف.

القوة التركيبية الناعمة

الدولي لعام 2018 (وفقاً لتقديرات العام 2015)(1)، وهي نسبة مرتفعة مقارنةً بكثير من دول المنطقة، توضح تأثير الأهداف التركيبية على عمليّة التعليم، وتشتمل مراحل النظام التعليمي التركي على:

1. مرحلة الحضانة: وهي اختيارية حتى سن السادسة.
2. التعليم الابتدائي: وهو إلزامي ومجانيّ لمدة ثماني سنوات (خمس سنوات ابتدائية + ثلاث سنوات متوسطة)، من سن السادسة وحتى الرابعة عشرة.
3. التعليم الثانوي: ومدة الدراسة فيه 4 سنوات، سواءً كان ذلك في النظام العام، أو النظام المهني، خلال الفترة من سن الخامسة عشر حتى الثامنة عشر، ويوجد في بعض المدارس سنة إضافية لدراسة اللغة، علماً بأن معظم المدارس الثانوية تابعة للحكومة والتعليم فيها مجاني.
4. التعليم العالي: مدّة الجامعة 4 سنوات، أو سنتين في المعاهد المهنية العالية. بعض الجامعات بها سنة إضافية لتعلم اللغة، ومدة دراسة الماجستير سنتان، والدكتوراه من 3 إلى 5 سنوات(2).

ورغم أن النظام التعليمي التركيّ، شبيه إلى حدّ كبير بالأنظمة التربوية الموجودة في العالم العربي، إلا أن مضمون التعليم فيه مختلف، ويعتمد على الكثير من المناهج الأوروبية المتطورة، مع الحفاظ على التقاليد الإسلامية الشرقية. وهو أيضاً له مساهمة كبيرة في بسط "سيطرة ناعمة" - إن صح التعبير - على الشباب التركيّ وتهيئتهم لتحمل المسؤولية في أحسن الظروف.

1. الالتحاق بالمدارس، المرحلة الابتدائية، تركيا، مؤشرات البنك الدوليّ، 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RiCs4n
2. ريم أبو عجيب، "نظام التعليم في تركيا"، أراجيك، 24 سبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8pD6WZ

المبحث الرابع

أسباب جذب تركيا للاستثمارات الخارجية

شهدت حركة الاستثمارات التُركيَّة الخارجِية نموًّا ملحوظًا؛ حيث شجَّع توجُّه تركيا إلى الاقتصاد الإسلامي على ضخ مستثمري الخليج المزيد من الاستثمارات بها.

ولعلَّ أحد أهم الأسباب التي ساهمت في تلك الزيادة هي "القوَّة النَّاعمة"، والتي تمثَّلت هذه المرَّة في مجموعة القوانين التي خفَّفت من قيود الملكية الأجنبية، والتي تتيح للأجانب تملك الأراضي والشقق السكنية والعقارات بشكلٍ حرٍّ، دون اشتراط الإقامة داخل البلاد، وهو ما أتاح لكثير من المستثمرين شراء العقارات، ودفع شركات عربيَّة إلى التوجُّه من أجل الاستثمار وإقامة مشروعات تطوير عقاري في تركيا، خاصة مع الموقع الساحر والخصائص الطبيعيَّة التي تشتهر بها تركيا.

إضافة إلى ذلك قامت تركيا بالانضمام إلى كثير من المنظَّمات الاقتصاديَّة الدوليَّة، مثل منُظَّمة التعاون الاقتصاديِّ والتنمية، ومجموعة العشرين، وهو ما ساهم في زيادة فاعليَّة قوَّتها النَّاعمة سواء عبر الدول المشتركة معها في تلك المنظَّمات، أو الدول الأخرى. كما أنَّ هناك العديد من الأسباب الأخرى التي تشجَّع على الاستثمار في تركيا، من بينها قانون جذب الاستثمارات الأجنبية، والذي يقوم على مبدأ المساواة في المعاملة؛ إذ يسمح للمستثمرين الأجانب بالحصول على نفس حقوق وواجبات المستثمرين المحليين، وقد وصل حجم الاستثمارات الأجنبية المباشرة في تركيا إلى 151 مليار دولار أمريكي خلال العقد الأخير. (1)

1. نحو 30% من الاستثمارات الأجنبية في تركيا.. «خليجيَّة»، موقع الخليج الجديد، 6 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/7erAS>

والملاحظ أن القُوَّة النَّاعِمَةَ استفادت كثيراً بجذب الاستثمارات الخَارِجِيَّة إلى تركيا؛ حيث ساهم ذلك في انتشار الدَّوَلَة وأذرعها الاقْتِصَادِيَّة بالعديد من دول العالم، ودخل المُنتَج التُّرْكِي لكثيرٍ من مدن العالم، وأثبت جدارته في المنافسة العَالَمِيَّة (1).

• التسهيلات القانونيّة والإداريّة للمستثمرين:

منحت الحكومة التُّرْكِيَّة تسهيلات كثيرة للمستثمرين الأجنبي لتشجيعهم على الاستثمار في تركيا، فعلى سبيل المثال فالمستثمر الأجنبي الذي يودع مبالغ مُعَيَّنَة في البنوك التُّرْكِيَّة، أو يقوم بشراء عقارات، أو يؤسّس مشروعات توفر فرص عمل للمواطنين الأتراك، تقوم الحكومة التُّرْكِيَّة بمنحه الإقامة في تركيا، ومن ثمّ الجنسيّة، وهو ما يعني جَذْب المزيد من المستثمرين والأموال إلى الدَّوَلَة التُّرْكِيَّة، ومن ثمّ مضاعفة قُوَّتْهَا الاقْتِصَادِيَّة.

كما تتضمّن حزمة القوانين التُّرْكِيَّة، تسهيلات كبيرة في منح الجنسيّة التُّرْكِيَّة للأجانب الذين يودعون أموال بمبالغ مُعَيَّنَة في البنوك التُّرْكِيَّة بشرط أن تكون معلومة المصدر، وأن يتعهّد المستثمر بإيداعها في البنوك التُّرْكِيَّة لمدة 3 سنوات (2)، وتلك الإجراءات جميعها تهدف لزيادة القُوَّة النَّاعِمَةَ التُّرْكِيَّة، وتصبُّ في اتّجَاه تطوير ونمو الاقتصاد التُّرْكِيّ.

كما تقوم الحكومة التُّرْكِيَّة كلَّ فترة بترتيب لقاءات بين كبرى الشركات التُّرْكِيَّة مع المسؤولين في الدول المختلفة، لدراسة فُرْص مشاركة هذه الشركات في السوق الخَارِجِيَّة، وذلك في إطار تنويع عمليّة الاستثمار، داخلياً وخارجياً، بمعنى جَذْب

1. "الاستثمار العقاري في تركيا"، الاستثمارات الخَارِجِيَّة في تركيا، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oxaHWa

2. "4 طرق استثماريّة تُمكنك من الحصول على الجنسيّة التُّرْكِيَّة"، العربيّة.نت، 14 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/P76dBN

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

استثمارات خَارِجِيَّةٌ لِلدَّخْلِ، وَعَمَلُ شَرَكَاتٍ تُرْكِيَّةٍ بِالخَارِجِ، فِي دَلِيلٍ آخَرَ عَلَى قُوَّةِ تَرْكِيَا النَّاعِمَةِ. وَمِنْ خِلَالِ تِلْكَ الِاسْتِثْمَارَاتِ، أَصْبَحَتِ الْحُكُومَةُ التُّرْكِيَّةُ قَادِرَةً عَلَى تَوْقِيعِ اتَّفَاقِيَّاتٍ لِلتَّجَارَةِ الحُرَّةِ بَيْنَ تَرْكِيَا وَالدُّوَلِ الأُخْرَى، عَلَى رَأْسِهَا دُولَ مَجْلِسِ التَّعَاوُنِ الخَلِيجِيِّ.

وَيَجِبُ الإِشَارَةُ فِي هَذَا الصَّدَدِ إِلَى أَنَّ الفُرْصَةَ الكَبِيرَةَ لِلِاسْتِثْمَارِ فِي مَخْتَلَفِ المَجَالَاتِ الإِقْتِصَادِيَّةِ سَاهَمَ لِحَدِّ كَبِيرٍ فِي جَذْبِ مَزِيدٍ مِنَ المِثْمَرِينَ الأَجَانِبِ إِلَى المَدَنِ التُّرْكِيَّةِ العَمَلَاةِ مِثْلَ إِسْطَنْبُولِ وَأَنْقَرَةَ وَإِزْمِيرِ. وَيَحْصُلُ المِثْمَرُونَ الأَجَانِبُ عَلَى تَخْفِيزٍ كَبِيرٍ فِي الضَّرَائِبِ، مَعَ إِعْفَاءٍ مِنَ ضَرَائِبِ القِيمَةِ المِضَافَةِ، كَمَا أَنَّ إِدْخَالَ أَيِ مَآكِنَاتٍ أَوْ مُعَدَّاتٍ لِمَشْرُوعَاتِهِمْ مِنَ الخَارِجِ، يَتِمُّ إِعْفَاؤُهَا مِنَ الضَّرَائِبِ، كَمَا تَتَحَمَّلُ الدَّوْلَةُ دَفْعَ التَّأْمِينِ الاجْتِمَاعِيِّ لِلعَمَالَةِ.

وَبِفَضْلِ تِلْكَ الإِجْرَاءَاتِ وَصَلَتِ العِلَاقَاتُ بَيْنَ تَرْكِيَا وَدُولِ الخَلِيجِ العَرَبِيِّ، خَاصَّةً المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، إِلَى مَسْتَوِيَّاتٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ؛ حَيْثُ وَصَلَتِ الِاسْتِثْمَارَاتُ السُّعُودِيَّةُ فِي تَرْكِيَا إِلَى 255 مِليَارِ دُولَارٍ، مَعَ تَوْقِيعَاتٍ بَرَفَعِ مَسْتَوَى التَّبَادُلِ التَّجَارِيِّ مَعَ المَمْلَكَةِ إِلَى 20 مِليَارِ دُولَارٍ بِحُلُولِ عَامِ 2023م، وَقَدْ وَصَلَتِ الِاسْتِثْمَارَاتُ السُّعُودِيَّةُ فِي تَرْكِيَا عَامَ 2014م، بِخِلَافِ القِطَاعِ العَقَارِيِّ، إِلَى 1.9 مِليَارِ دُولَارٍ، وَبَلَغَ التَّبَادُلُ التَّجَارِيُّ بَيْنَ البَلَدَيْنِ 7.4 مِليَارِ دُولَارٍ عَامَ 2013م. (1)

وَيُعَدُّ قِطَاعُ العَقَارَاتِ التُّرْكِيَّ المَزْدَهَرَ مَحَطَّةً جَذَبًا لِلِاسْتِثْمَارَاتِ الخَلِيجِيَّةِ، فَفِي عَامِ 2014م، وَصَلَ إِتْفَاقُ المِثْمَرِينَ الخَلِيجِيِّينَ عَلَى العَقَارَاتِ فِي تَرْكِيَا إِلَى 4.3 مِليَارِ دُولَارٍ، لِيَرْتَفِعَ الحِجْمُ الكُلِّيُّ لِلِاسْتِثْمَارَاتِ إِلَى 16.29 مِليَارِ دُولَارٍ عَلَى مَدَارِ السَّنَوَاتِ السَّابِقَةِ. (2)

1. محمد صادق إسماعيل، التجربة التُّرْكِيَّةُ مِنَ أَتَاتُورِكِ إِلَى أَرْدُوغَانَ، القَاهِرَةُ، دَارُ العَرَبِيِّ لِلنَّشْرِ، 2013م.
2. خالد المطيري، الرياض وأنقرة توقعان 9 اتفاقيات بـ 400 مليون دولار، الخليج الجديد، 15 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/1TIOr>

والأمر نفسه ينطبق على كثير من الدول حول العالم، والتي استطاعت تركيا أن تخترقها من خلال قُوَّتِهَا النَّاعِمَةَ، وتصل إلى قلوب وعقول شعوبها قبل قاداتها، ما مكَّنها من تحقيق طفرة اِقْتِصَادِيَّةٍ مشهودة.

• أبرز الإنجازات الاقتصادية التُّرْكِيَّة:

تتعدَّدُ الإنجازات التُّرْكِيَّة في مجال الاقتصاد، وجميعها تصبُّ في اتجاه تفعيل القُوَّة النَّاعِمَةَ التُّرْكِيَّة، وتقضي على كثير من المُعَوِّقَات التي يمكن أن تقف في طريقها، ومن أبرز تلك الإنجازات (1):

1. تحقيق نمو اِقْتِصَادِيٍّ يصل إلى 8% سنوياً لتَحْتَلَّ بذلك المرتبة 17 عالمياً من بين أقوى اقتصادات العالم، بعد أن كانت في مصافِّ الدول الضعيفة اِقْتِصَادِيًّا، وذلك من خلال ما أنجزه حزب العدالة والتَّنْمِيَّة من إصلاحات. (2)
2. احتلال تركيا المركز الـ18 للدول الأعلى نموًّا في العالم من حيث الناتج المحلي الإجمالي، مع تحقيق نموٍّ مُسْتَمِرٍّ بين 5 و8% في السنة، لمدة استمرَّت أكثر من خمس سنوات حتى الآن، لتَحِلَّ خلف بلجيكا والسويد مباشرة. (3)
3. استطاعة الحكومة التُّرْكِيَّة القضاء على كثير من مظاهر الفساد في الدَّوْلَةَ التُّرْكِيَّة، من خلال الحدِّ من نهب البنوك الحُكُومِيَّة، والذي وصل في عهد ما قبل حزب العدالة والتَّنْمِيَّة إلى أكثر من 46 مليار دولار؛ تمَّ تهريب معظمها للخارج. (4)

1. محمد صادق إسماعيل، التجربة التُّرْكِيَّة من أتاتورك إلى أردوغان، القاهرة، مرجع سابق.
2. مجموعة باحثين، "الاقتصاد التُّرْكِي خلال عَقْد العدالة والتَّنْمِيَّة"، رُؤى تركيَّة، خريف 2012م، نسخة إلكترونيَّة، متاحة على الرابط التالي: goo.gl/i6NmRJ
3. مجموعة باحثين، "الاقتصاد التُّرْكِي خلال عَقْد العدالة والتَّنْمِيَّة"، رُؤى تركيَّة، المرجع السابق.
4. The World Bank, Turkey's Transitions: Integration. Inclusion, Institutions, Report No. 90509- TR, International Bank for Reconstruction and Development/The World Bank, Washington DC, December 2014, pp. 4- 5.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

4. انفتاح تركيا على العالم العَرَبِيِّ والإِسْلَامِيِّ بعد عقود من الجفوة، وهو أحد أبرز علامات قُوَّةِ الدَّوْلَةِ النَّاعِمَةِ، ولكنه في الوقت نفسه يُعَدُّ إنجازاً اِقْتِصَادِيًّا؛ حيث إنه انفتاح على سوق ضخمة وغنيَّة، وليس انفتاحاً سِيَّاسِيًّا فحسب.
5. استطاعت الدَّوْلَةُ التُّرْكِيَّةُ تحقيق العديد من الأرقام القياسِيَّة في المجالات الاقتصادية المختلفة، على رأسها ما يتعلَّق بالتصدير؛ حيث حقَّقت صادرات تركيا أرقاماً قياسية وهي تحطَّم الرقم تلو الآخر، ووصلت إلى 100 مليار دولار، خاصة بعد ما استطاعت تحقيق نموٍّ في الناتج المحلي الإجمالي خلال فترة الـ 40 شهراً الأخيرة من 181 مليار دولار ليصل إلى 400 مليار دولار. (1)
6. ارتفاع مستوى دخل الفرد: حيث بلغ الناتج المحلي الإجمالي للفرد في عام 2017م إلى نحو 20 ألف دولار أمريكي، وفقاً لتقديرات البنك الدولي (2)، مقابل ما يزيد عن 3500 دولار في 2002م. (3)
7. خفض نسبة الدين الخارجي إلى الناتج المحلي الإجمالي لضمان قُدْرَةِ البلاد على سداد ديونها الخارجيَّة والتزاماتها، كما نجحت في تحقيق مرتبة ائتمانيَّة أعلى من مختلف الدول الأوروبيَّة؛ حيث بلغت نسبة صافي الدين الخارجي إلى الناتج المحلي الإجمالي 38.4% في 2002م، انخفضت النسبة إلى 24.2% بحلول 2012م. (4)

1. مجموعة باحثين، "الاقتصاد التُّرْكِيّ خلال عَقْدِ العدالة والتَّنْمِيَّة"، مرجع سابق.
2. نصيب الفرد من إجمالي الدخل القومي (بالأسعار الثابتة للعملة المحليَّة)، مؤشرات البنك الدولي، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8EoVsJ
3. إسراء محمود، "الاقتصاد التركي: 13 عاماً من النجاح"، تركيا بوسنت، 16 أكتوبر 2015م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iuJ0sK
4. محمد صادق إسماعيل، التجربة التُّرْكِيَّة من أتاتورك إلى أردوغان، القاهرة، دار العربي للنشر، 2013م.

• تركيا والعلاقة مع مؤسّسات التمويل الدّوليّة:

في كلمته التي ألقاها أمام "منتدى الأعمال التركيّ - الألباني المشترك"، بالعاصمة الألبانيّة تيرانا في مايو من العام 2015م، قال الرئيس التركيّ السّيّد رجب طيّب أردوغان (1): "كُنّا قبل 12 عاماً مدينين لصندوق النقد الدّوليّ بـ23.5 مليار دولار، سُدّدت جميعها، تركيا اليوم وصلت إلى مكانة تستطيع معها إقراض ذلك الصندوق دَيْناً، كان احتياطي البنك المركزي التركيّ 27 مليار دولار قبل 12 عاماً، والآن بلغ الاحتياطي 120 ملياراً، وكانت نسبة الفائدة على القروض 36 %، لكنها انخفضت الآن إلى رقم مُكوّن من خانة واحدة. وأضاف: مُعدّل الدّين الخارِجيّ مقارنة بالدخل القوميّ لتركيا، انخفض من 73 % إلى 35 %، مشيراً إلى أن نسبة النُموّ التي حقّقتها البلاد في الفترة من 2003م حتى 2013م بلغت 5 % تقريباً (2). فقد استطاعت حكومة العدالة والتّميّة في تركيا التفاوض مع صندوق النقد الدّوليّ من أجل الوصول إلى شروط أخفّ وطأة، وفي الوقت نفسه تبنت برنامجاً متكاملًا للإصلاح الاقتصاديّ، تتناسب مع ظروف تركيا وطبيعتها، ومن ثمّ نجحت تركيا في تحقيق ما يُشبه المعجزة الاقتصاديّة (3) خلال الفترة ما بين 2002 - 2015م،

1. كلمة ألقاها الرئيس التركي، مساء يوم الأربعاء 13 مايو 2015م، أمام "منتدى الأعمال التركيّ- الألباني المشترك"، بالعاصمة الألبانيّة تيرانا، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/RB58z> ، والكلمة متاحة عبر مقطع فيديو على موقع يوتيوب، بتاريخ 13 مايو 2015، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oJoVrV
2. كلمة ألقاها الرئيس التركي، مساء يوم الأربعاء 13 مايو 2015م، أمام "منتدى الأعمال التركيّ- الألباني المشترك"، بالعاصمة الألبانيّة تيرانا، المرجع السابق.
3. خلال العشرية الأولى من حكم حزب العدالة والتّميّة وصل الاقتصاد التركيّ إلى المركز السابع عشر عالمياً، والمركز الأول على مستوى دول الشرق الأوسط، حسب تقديرات البنك الدّوليّ، وذلك بعد أن كان في المرتبة 111، قبيل وصول الحزب إلى السلطة مطلع العام 2002م، كما دخل الاقتصاد التركيّ ضمن مركز مجموعة الدول العشرين الاقتصاديّة الكبرى في العالم "G20"، بعد عقْد واحد من حكم العدالة والتّميّة. (صهيب قلالوه، الاقتصاد التركيّ قاب قوسين، تركيا بوست، 20 يوليو 2015، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LQySsQ).

حين انتقلت من دولة فقيرة، إلى مصافِّ الدول الكبرى، ضمن "قائمة العشرين" الأقوى حول العالم، كما نجحت بالكامل في تسديد كافة ديونها المستحقة لدى صندوق النقد الدولي، لتنضمَّ أنقرة لأول مرة في تاريخها إلى قائمة الدول غير المدينة للمؤسسة الدولية.

إذن، ومن خلال كلِّ ما سبق عرضه سابقاً، نكون قد وصلنا إلى خلاصة مفادها أن الاقتصاد التركيّ، استفاد كثيراً من قُوَّة الدولة النَّاعِمَة، مشكلاً في الوقت نفسه أحد عناصر تلك القُوَّة. وهو ما يعني أن القُوَّة النَّاعِمَة لأيِّ دولة يجب أن تنصهر في الإطار العام لها، سواءً في الجانب الاقتصاديّ أو غيره، فتساعد تلك القُوَّة الدولة في النهوض الاقتصاديّ من ناحية، كما يفتح التقدُّم الاقتصاديّ الباب أمام مزيد من قُوَّة الدولة النَّاعِمَة؛ حيث يُمثِّل الاقتصاد القاطرة التي تجرُّ خلفها القُوَّة النَّاعِمَة، لتحقيق المزيد من آمال وطموحات الدول وشعوبها.

فعلى سبيل المثال، كان تسويق النجاح التركيّ في الدول العربيَّة من خلال وسائل الإعلام المختلفة وبعض الأعمال الدرامية التي أظهرت هذا النجاح، سبباً قوياً لمزيد من الانفتاح والتعاون مع تلك الدول، خاصة خلال فترة ثورات الربيع العربيّ العصيبة.

وأخيراً، فإن القُوَّة النَّاعِمَة ليست مصطلحاً يتعلَّق بالسياسة الخارجيّة فقط، بل كُفعلٍ وازنٍ ومؤثِّر يمكن استخدامه بشكل أكبر وأفضل داخل الدولة نفسها. فوق هذا، يُمكن من تحقيق نفس النتائج وأكثر على المستوى الاقتصاديّ. إذ لاحظنا أن نجاح حزب العدالة والتنمية يكمن في تسويق نجاحه داخل المجتمع، وإقرار عدالة توزيع الدخل، وزيادة التسهيلات القانونيّة والإداريّة الخاصّة بالاستثمار في بلاده، الذي ساهم بشكل حاسم في جذب المزيد من الاستثمارات الداخليَّة والخارجيّة لتركيا، وهو ما ظهر بشكل كبير من خلال مَبْحَثِ التَّعْلِيمِ والرعاية الصحيَّة. وتساهم القُوَّة النَّاعِمَة كذلك في محاولات أنقرة الحثيثة للانضمام إلى دول الاتحاد الأوروبيّ، وهو أحد أدواتها السياسيَّة والاقتصاديَّة للتوفيق في ذلك المسعى.

ورغم الأحاديث عن انتكاسة الاقتصاد التركيّ بعد فترة نجومية لعوامل سياسية وأمنية واقتصادية أسهبنا في شرحها سابقاً، فلا توجد حالياً أية معطيات أو مؤشرات، خارج الصعوبات والمآزق التي تعترض أي اقتصاد صاعد، لتأكيد أطروحات توقّف عجلة تطوّر الاقتصاد التركيّ أو تباطؤها في أخفّ الحالات.

والاحتكام هنا إلى منطوق الأرقام في كافة المجالات يُنبئ استمرار مناعة الاقتصاد التركيّ، على الرغم من الهزّات الجيوسياسية الإقليمية التي شهدتها السنوات القليلة الماضية؛ ثورات الربيع العربي، وأزمة الاقتصاد العالميّة، وتسمّم العلاقات بين تركيا وروسيا قرابة عام، بسبب حادث إسقاط المقاتلة الروسية، وأيضاً الحرب السوريّة التي خيّم بظلالها القاتمة على كافة الدول المجاورة لها، وأضافت إلى أعباء تركيا الأمنيّة والماليّة، ارتفاع وتيرة الأعمال الإرهابيّة داخلها وعلى حدودها. وكذلك الأعباء الاقتصاديّة مع تدفق موجات اللاجئين والمهجّرين قسراً من السوريين، الذين تجاوزت أعدادهم 3.5 مليون مهاجر(1)، وما واكب ذلك من ضغط على سوق العمل وزيادة طفيفة في معدّلات البطالة، لكن في المقابل ساهم السوريون في الاستثمارات الأجنبيّة في تركيا بنحو 14%، وازدادت استثماراتهم خلال 6 سنوات ليصل عدد الشركات السوريّة إلى 6 آلاف و322 شركة، ويبلغ متوسط استثمار الشركات التركيّة التي تمّ تأسيسها مع السوريين نحو 200 ألف ليرة تركيّة، بينما تبلغ المساهمة السنويّة للسوريين في الاقتصاد التركيّ نحو مليار و260 مليون ليرة تركيّة، ما يعادل 371 مليون دولار(2).

1. Turkey has stopped registering Syrian refugees, say human rights group independent", 16", 16" independent", يوليو 2018م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/uX5tzK>

2. الاستثمارات السوريّة في تركيا تُشكّل 14% من الاستثمارات الأجنبيّة، موقع "turkpress" 17 سبتمبر 2017م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/19HkQd>

الفصل التاسع

انقلاب يوليو ٢٠١٦..

محطة في طريق القوة التركيبية الناعمة

- مقدمة
- المبحث الأول: توظيف الانقلابات.. محاولات لإجهاض القوة التركيبية الناعمة
- المبحث الثاني: القوة التركيبية الناعمة.. وسيناريوهات الاحتواء أو التحييد
- المبحث الثالث: وقائع الانقلاب.. ليلة المواجهة بين القوة الناعمة والصلبة
- المبحث الرابع: النموذج التركيبي.. تأثيرات كبرى على الحواضن العربية والإسلامية

الفصل التاسع

انقلاب يوليو ٢٠١٦..

محطة في طريق القوة التركية الناعمة

مقدمة

انطلقت شرارة الانقلاب العسكري في تركيا ليلة 15 - 16 يوليو 2016م، وفشلت بعد بضعة ساعات، وخلفت 270 قتيلًا. هذا الفشل يُعتبر هو الأول من نوعه في تاريخ الجمهورية التركية؛ ففي ثلاث مناسبات مشابهة مسبقاً استولى الجيش على السلطة خلال أعوام 1960 (1)، 1971 (2) و1980 (3). وفي عام 1997م (4) أيضاً، أُجبر رئيس الوزراء آنذاك نجم الدين أربكان على الاستقالة.

1. يعتبر انقلاب 27 مايو 1960م هو أول انقلاب عسكري في تركيا، قام به مجموعة من ضباط القوات المسلحة التركية، ضد الحكومة المنتخبة ديمقراطياً. ووقع الحادث في وقت كثرت فيه الاضطرابات الاجتماعية والسياسية والمصاعب الاقتصادية، وتم اعتقال رئيس هيئة الأركان العامة التركية ورئيس الوزراء وغيرهم، واتهم السياسيون بالخيانة العظمى، وإساءة استخدام الأموال العامة وإنهاء الدستور. وانتهت المحاكمة بإعدام عدنان مندريس، ووزير الشؤون الخارجية، فطين رشدي زورلو، ووزير المالية، حسن بولانكان، على جزيرة إمرالي في 16 سبتمبر 1961م. وبعد شهر، أعيدت السلطة الإدارية للمدنيين الذين اختارهم الانقلاب. للمزيد يُنظر: قصّة أول انقلاب عسكري في تركيا: سرّ الفموض، موقع "تركيا بوست"، 27 مايو 2015م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/8xFrP8>.
2. في 12 مارس 1971م حدث ثاني انقلاب عسكري في الجمهورية التركية، بعد أحد عشر عاماً من سابقه الذي حدث عام 1960م. وعُرف باسم "انقلاب المذكرة"، وهي مذكرة عسكرية أرسلها الجيش بدلاً من الدبّابات، كما فعل في الانقلاب السابق. وقد جاء ذلك وسط تفاقم النزاع الداخلي؛ حيث شهدت تركيا العديد من أعمال العنف والاضطرابات طوال أيام الستينيات من القرن العشرين. وبحلول يناير عام 1971، عمّت الفوضى أرجاء تركيا. للمزيد يُنظر: تركيا.. تاريخ من الانقلابات، موقع "arabic.rt" 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/QHwSUu>.
3. في 12 سبتمبر 1980م حدث ثالث انقلاب عسكري تشهده تركيا، تزعمه الجنرال كنعان إيفرين مع مجموعة من الضباط، نشأوا على فكرة حماية المبادئ الأساسية للجمهورية التركية كما وضعها أتاتورك، وخلال الثلاث سنوات الأولى من الحكم العسكري بعد الانقلاب تمّ إعدام 50 شخصاً واعتقال ومحاكمة الآلاف. وشكّل هذا الانقلاب ملامح البلاد لثلاثة عقود، كما يُعتبر هذا الانقلاب الأكثر دموية. للمزيد يُنظر: تركيا.. صراع طويل مع انقلابات العسكر على الديمقراطية، موقع "الجزيرة مباشر"، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/5Uw6sg>.
4. في 1997م حدث ما سُمّي بالانقلاب الأبيض على حكومة "نجم الدين أربكان" أو ما عُرف بـ"الانقلاب ما بعد الحداثة" بعد وصول حزب الرفاه إلى السلطة سنة 1995م، ووصول حليفه الطريق القويم ليصبح الزعيم الإسلامي الراحل "أربكان" رئيساً للوزراء، أول رجل ذي توجه إسلامي صريح يصل إلى السلطة، وهو الأمر الذي أغضب العلمانيين ودعاهم إلى تحريك الأذرع العسكرية ضد الحكومة المنتخبة. ومذكرة 1997م العسكرية أو عملية 28 فبراير، وتُسمى أيضاً "ثورة ما بعد الحداثة"، تشير إلى القرارات الصادرة عن قيادة القوات المسلحة التركية في اجتماع مجلس الأمن القومي يوم 28 فبراير/شباط 1997م، والتي بدأت على إثرها عملية 28 فبراير/شباط التي عجلت باستقالة رئيس الوزراء نجم الدين أربكان من حزب الرفاه، وإنهاء حكومته الانتلاقية. كما أُجبرت الحكومة على الخروج دون حلّ البرلمان أو تعليق الدستور. للمزيد يُنظر: ذكرى 28 شباط.. 19 عاماً على آخر انقلاب عسكري في تركيا، صحيفة "بني شفق"، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/UuRC46>.

وفي هذه المرّة، كشفت المحاولة الفاشلة عن الطّفرات العميقة في هذا البلد(1)؛ من تكريس للديمقراطية، وتنمية الوعي المدني، ورفع للأداء الاقتصادي والاجتماعي؛ فلم تُقلح دبابات الانقلابيين في جعل أيّ حزب، أو نقابة، ولا أيّ منظمة من منظمات المجتمع المدني تدعم الانقلاب العسكري، وأصبحت بذلك شعارات الحفاظ على الإرث الكمالي (نسبة إلى كمال أتاتورك)، وتنصيب العسكر لأنفسهم كحراس للعلمانية مُجَاوِزَةً ومن الماضي.(2)

وبهذا برهنت المحاولة الانقلابية الفاشلة ضدّ نظام الرئيس رجب طيب أردوغان وحكومة حزب العدالة والتنمية بشكل كبير على جدوى استراتيجية القوة الناعمة، التي اعتمدها الحزب وزعماءه كإطار عمل لسياساتهم الداخلية والخارجية، منذ صعودهم إلى سدة الحكم قبل 15 عاماً خلت، فتأثير القوة الناعمة برهن في هذا الامتحان العسير للديمقراطية على تفوق واضح على القوة التقليدية الصلبة، التي كثيراً ما تحكمت بقوة الحديد والنار في مصائر دول وشعوب، منذ فجر التاريخ. غير أنه بعد مرور أحد عشر عاماً، لا يزال عدد كبير من الأوروبيين لا يؤمنون بدمج تركيا في القارة العجوز، بل ويعتبرونها أكثر استبدادية وقومية، بما يسّمونه "الانجراف الاستبدادي" للرئيس أردوغان، رغم وضوح وتعدد المؤامرات ضدّ نظامه المؤسس على نتائج صناديق الاقتراع وإرادة الأغلبية في الشعب التركي؛ حيث تمّ التركيز في الإعلام الغربي والتصريحات الرسمية الأوروبية، على الاعتقالات التي طالت آلاف الجنود الانقلابيين، والموظفين الرسميين المنحازين للانقلاب بما فيهم القضاة، وأهملت المرجعية الأوروبية صيانة الديمقراطية، وإبعاد العسكر عن

1. Editoriel, Turquie : les leçons d'un putsch manqué, LE MONDE, 18 Juillet 2016 : http://www.lemonde.fr/idees/article/2016/07/18/turquie-les-lecons-d-un-putsch-manque_4971256_3232.html

2. Defiant Turks stood up for democracy – but not necessarily for Erdoğan. موقع صحيفة "the guardian"، 16 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي <https://goo.gl/bfhCmR>.

السياسة، والاعتماد على مؤشرات النمو والتقدم؛ فالخوف الغربيّ تمحور هذه المرة على دائرة الاعتقالات تحت مبرر الانقلاب، وإمكانية استفادة الرئيس أردوغان مما وقع لتسريع مشاريعه الرئاسية، وإحكام السيطرة على مزيد من القوة والسلطة غير القابلة للتقاسم مع أي أحد أو طرف.

لكن تركيا التي استطاعت الخروج من الأزمات الاقتصادية بسرعة أكبر من الدول الأوروبية الأخرى، وبنسبة نمو 3.4% في عام 2013م وفقاً لصندوق النقد الدولي⁽¹⁾، مع وضع حكومة رئيس الوزراء آنذاك السيد رجب طيب أردوغان لأهداف طموحة يجب تحقيقها في أفق 2023م؛ الذي يصادف احتفالات الذكرى المئوية لتأسيس الجمهورية التركية، من قبيل دخول نادي أكبر 10 قوى عالمية، وبلوغ رقم 2000 مليار دولار كإجمالي الناتج المحلي⁽²⁾.

ويُعرِّز ذلك ما أكدّه وزير المال والخزانة التركيّ، براءت ألبيرق⁽³⁾، خلال كلمته الافتتاحية التي ألقاها في قمة "هدف تركيا الكبير 2023"، من أن البلاد ستجني ثمار كبح التضخم بدءاً من أرقام شهر أكتوبر/ تشرين الأول 2018م، ومواصلة خفض نسبة التضخم في شهري نوفمبر/ تشرين الثاني، وديسمبر/ كانون الأول المقبلين، بعدما حدث توازن في الميزان الاقتصادي إثر تصاعد أرقام التجارة الخارجية⁽⁴⁾.

1. صندوق النقد الدولي: تركيا السادسة على العالم من حيث النمو، موقع "13، turkpress" أبريل 2015م، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/QBAjd2>.
2. ما هي خطة رؤية تركيا لعام 2023؟، موقع صحيفة "13، property-turkey" ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/W63vKA>.
3. براءت ألبيرق: هو سياسي ورجل أعمال تركي. وهو الرئيس التنفيذي السابق لشركة تشاليك القابضة. والنائب في البرلمان منذ يونيو 2015م، شغل منصب وزير الطاقة والموارد الطبيعية منذ نوفمبر/تشرين الثاني عام 2015م حتى يوليو 2018م، ثم عين بعدها وزيراً للخزانة المالية. وُلد في الأول من يناير في العام 1978م، وتلقى تعليمه في مدرسة جامعة إسطنبول في إدارة الأعمال. نشأ في عائلة يغلب عليها الطابع الديني المحافظ ذات ثقل في عالم السياسة. للمزيد ينظر الرابط التالي: <http://cutt.us/AsXMD>.
4. وزير الخزانة التركي.. سجنني معاً ثمار كبح مستويات التضخم، صحيفة "يني شفق"، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/DS1f7i>.

كُلُّ هذا وَغَيْرُهُ لَنْ يَجْعَلَ أوروبًا يَقِينًا، تَنْظُرُ بَعِينَ الرِّضَا إِلَى هَذِهِ الْقُوَّةِ الصَّاعِدَةِ الَّتِي تَسْتَمِدُّ أَسْوَئَهَا وَأَدْوَاتَهَا مِنْ نَظَرِيَّةِ الْقُوَّةِ النَّاعِمَةِ عَلَى الطَّرَازِ التُّرْكِيِّ، أَي: مِنْ تَارِيخِهَا الْعَرِيقِ، وَرَوَابِطِهَا الْإِسْلَامِيَّةِ وَالشَّرْقِيَّةِ، وَأَدْوَاتِهَا الَّتِي تَعْمَلُ بِدَأْبٍ عَلَى التَّمَدُّدِ فِي كَافَّةِ الْاِتِّجَاهَاتِ وَالْأَصْعَدَةِ.

وَمِنْ هَذَا الْمُنْتَلِقِ، فَإِنَّ دَرَاةً وَتَحْلِيلَ مَسَارَاتِ الْمَحَاوَلَةِ الْاِنْتِقَالِيَّةِ الْفَاشِلَةِ، وَتَفَاعِلَاتِهَا مَعَ مَجْرِيَّاتِ الْحَالَةِ التُّرْكِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، تَسْبِرُ أَعْوَارَ مَا آلَ إِلَيْهِ غِرَاسُ بَذُورِ الْقُوَّةِ النَّاعِمَةِ فِي التَّرْبَةِ التُّرْكِيَّةِ، وَمَا أَزْهَرْتَهُ مِنْ ثَمَارِ يَانَعَةِ قَطْفِ الشَّعْبِ ثَمَارَهَا بِنَجَاحِهِ مَعَ قِيَادَتِهِ السِّيَاسِيَّةِ، فِي تَخْطِي إِحْدَى أَبْرَزِ الْعُقَبَاتِ الصَّعْبَةِ فِي تَارِيخِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ. إِنَّ مَا شَهِدَتْهُ تَرْكِيَا خِلَالَ شَهْرِ يُولْيُو 2016م مِنْ مَحَاوَلَةِ اِنْتِقَالِيَّةِ فَاشِلَةٍ قَدْ أَكَّدَ، بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالًا لِلشُّكِّ، عَلَى مَدَى أَهْمِيَّةِ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ، اسْتِرَاطِيَّيًّا، وَتَفَرَّدَ خَبْرَتَهَا تَحْتَ حُكْمِ الْعَدَالَةِ وَالتَّنْمِيَّةِ، عَلَى الصَّعِيدِ الْإِقْلِيمِيِّ وَالدَّوْلِيِّ، حَتَّى فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِإِفْشَالِ الْاِنْتِقَالَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ بَعْضُ الْقُوَى الْإِقْلِيمِيَّةِ وَالدَّوْلِيَّةِ تَطْمَحُ إِلَى نَجَاحِهَا، وَبِالتَّالِيِ جَعَلَهَا نَمُودَجًا جَدِيدًا لِلاِنْتِفَافِ عَلَى إِرَادَةِ الشُّعُوبِ؛ فَصَدَّ تَمْرِيرَ مَحْطَطَاتِ تَهْدَفِ إِلَى الْحِفَافِ عَلَى مَوَازِينِ التَّفَوُّقِ وَالهَيْمَنَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَإِعَادَةَ تَقْسِيمِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ عَلَى أُسُسٍ جَدِيدَةٍ بَيْنَ عَدَدٍ مِنَ الْفَاعِلِينَ الدَّوْلِيِّينَ وَالْإِقْلِيمِيِّينَ، الْقُدَامَى مِنْهُمْ وَالْجُدُدِ، وَفَقْمًا لِمَصَالِحِ وَأَهْدَافِ وَاسْتِحْقَاقَاتِ جَدِيدَةٍ عَلَى صَعِيدِ النُّظَامِ الدَّوْلِيِّ وَالْعِلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ بِصِبْغَتِهَا الرَّاهِنَةِ.

وَيَهْدَفُ هَذَا الْفَصْلُ إِلَى مَنَاقِشَةِ مَوْقِعِ مَحَاوَلَةِ اِنْتِقَالِ يُولْيُو 2016م مِنْ مَسَارَاتِ الْقُوَّةِ النَّاعِمَةِ التُّرْكِيَّةِ كَاسْتِرَاطِيَّيَّةٍ وَطَرِيقَةِ حُكْمِ لِحْزَبِ الْعَدَالَةِ وَالتَّنْمِيَّةِ طَوَالَ فِتْرَةِ الْعُقْدِ وَنِصْفِ الْعُقْدِ السَّابِقَةِ عَلَى تِلْكَ النِّقْطَةِ الْمَفْصَلِيَّةِ الَّتِي سَيُورِّخُ لَهَا دَاخِلَ وَخَارِجَ تَرْكِيَا، وَمَا إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَحَاوَلَةُ تَمْتَلُّ خَصْمًا أَمْ إِضَافَةً إِلَى اسْتِرَاطِيَّيَّةِ الْقُوَّةِ النَّاعِمَةِ لِأَنْقَرَةِ، وَكَيْفَ يَمْكُنُ تَحْلِيلِ الدَّورِ الَّذِي لَعَبْتَهُ اِنْعِكَاسَاتِ الْقُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ عَلَى الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي تَرْكِيَا بَدَأَ مِنَ الشَّعْبِ وَصَوْلًا إِلَى أَعْلَى الرَّمُوزِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ السِّيَاسِيَّةِ فِي الْبِلَادِ.

المبحث الأول

توظيف الانقلابات..

محاولات لإجهاض القوة التركيبية الناعمة

على الرغم من نجاحات تركيا العادلة والتنمية، سياسياً واقتصادياً واستراتيجياً، نحو إعادة الاعتبار لعمقها الاستراتيجي والحضاري، بتوظيف الإمكانيات الهائلة للقوة الناعمة، لتصبح فاعلاً إقليمياً رئيساً وقطباً صاعداً ضمن التفاعلات والظروف المأزومة التي تمر بها منطقة الشرق الأوسط، إلا أن الطريق أمامها لا يزال طويلاً جداً نحو تحقيق مشروع حضاري طموح، خطط له صنّاع القرار الأتراك لتحقيق التنمية المستدامة، وبلوغ المكانة الإقليمية والدولية التي تليق بها، كدولة ذات حضور تاريخي عريق وجغرافي واستراتيجي بارز، سواء على صعيد المهددات الداخلية التي ربما كشفت عنها بجلاء خلال المحاولة الانقلابية الفاشلة التي قامت بها بعض ألوية الجيش في يوليو 2016م، أو على صعيد المهددات الخارجية في منطقة الشرق الأوسط التي تتعرض إلى مخططات متكاملة الأركان لتفكيك المنطقة، وإعادة تركيبها وصياغتها على أسس جديدة.

قُبيل المحاولة الانقلابية الفاشلة بعدة أشهر ظهرت "فرضيات" غريبة تتوقع صعود تركيا ك"قوة عظمى"، خلال السنوات القليلة القادمة؛ الأمر الذي يثير المخاوف بشأن اضطلاعها مستقبلاً، بتشكيل رابطة أو "اتحاد إسلامي" تحت قيادتها مع حلول عام 2020م؛ اتساقاً مع نجاحاتها الاستراتيجية (1).

1. أنور عبدالله الرواحنة، هل ستصبح تركيا "قوة عظمى" في السنوات القليلة القادمة؟، ترك برس، 18 أكتوبر 2015م، تاريخ الزيارة 16 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://goo.gl/Xnbk3Z>

وهو الأمر الَّذِي ربما تُؤكِّده رؤية الغرب للرئيس التُّرْكِي السَّيِّد رجب طَيْب أردوغان وحزب العدالة والتَّنْمِيَّة، باعتبارهم طليعة "العثمانيِّين الجُدِّد" Neo - Ottoman، وحاملي أختام وإرث الإمبراطوريَّة العُثمانيَّة التَّاريخيَّة، مما أثار التَّوقُّعات وقتها بأنَّ تركيا ستكون هدفاً لـ "مؤامرات خَارِجِيَّة"، و"أعمال إرهابيَّة"؛ لزعزعة استقرارها، ومنعها من بلوغ أهدافها المرسومة بعناية. وربما هذا ما كشفت عنه مجريات المحاولة الانقلابيَّة الَّتِي أَفْشَلَتْهَا القيادة المُتَبَصِّرَة للرئاسة التُّرْكِيَّة وحكومة حزب العدالة والتَّنْمِيَّة، وكذلك الاستجابة الواعية لجموع الشعب التُّرْكِي ككل.

إذن، تبدو خبرة العدالة والتَّنْمِيَّة للصعود الإقليميِّ الناعم مُخِيفَة لقوى إقليميَّة ودوليَّة عِدَّة؛ حيث لم تُعدَّ تركيا عِلْمَانِيَّةً على النحو الَّذِي تَوَخَّى لها مؤسَّسها، كمال أتاتورك، وذلك بحصول تَغْيِراتٍ جذريَّةٍ وخطوات سياديَّةٍ تتعارض والرغبة العرَبِيَّة، وذلك على النحو التالي:

- نفاذ الدين إلى الحكومة والسِّيَاسَة والتَّعْلِيم.
- إعادة تشكيل الهويَّة السِّيَاسِيَّة الداخليَّة والخَارِجِيَّة للبلاد.
- تطوير الممارسة الاقتصاديَّة (تَضَاعُفُ حجم اقتصاد تركيا أكثر من ثلاث مرَّات على مدار العقد المنصرم)، وترقية التغطية الاجتماعيَّة في تركيا.
- الخروج من عباءة "دَرْكِيَّ الناتو" على الجبهة الشرقيَّة، ونشر قوات وقواعد تُرْكِيَّة في الخارج (نموذج الاتفاقيَّة العسكريَّة مع قطر).

وبما أنَّ الاقتصاد يُعَدُّ محور دوران العالم، فقد عملت أنقرة على اللُّحاق بِرُكْبِ العديد من عواصم الاقتصاديات الأوروبيَّة الكبرى، فالشركات التُّرْكِيَّة باتت تغزو مراكز تجاريَّة خارج أسواقها التقلديَّة في أوروبا، نحو الشرق الأوسط وإفريقيا، وبالتالي بدأت تحوز انتشاراً عالمياً حقيقياً. كما جَلَبَت التَغْيِرات الاقتصاديَّة الجذريَّة تحوُّلاً ديمُغرافيًّا واجتماعيًّا مهمًّا وإيجابياً أيضاً، بما في ذلك تسارع وتيرة التمدين والتجهيز في البلاد بشكل كبير.

ويعتبر حزب العدالة والتنمية هو صانع هذه التحولات الكبرى بشكل رئيس، وهو في الوقت ذاته المستفيد السياسي الأبرز منها كذلك؛ نظراً لأنه الحزب التركي الوحيد الذي يمتلك الأجندة التي تتحدث عن تركيا الجديدة لفترة ما بعد "الكمالية" (1). كما أبان أنّ العلمانية "المطبقة" ليست شرطاً للتقدم والنهضة.

هذه الرؤية الغربية التي لا تخفي رغبةً مُستتبطةً في إفشال تركيا أو تقليص أظافرها، خصوصاً أن الرئيس أردوغان وحزبه استفاد كثيراً من هامش المناورة بأدوات الديمقراطية واقتصادات السوق والانفتاح على الغرب، وعدم التصادم مع العلمانية؛ كاستراتيجية مرحلية لتحقيق رؤيته التي يراها الغرب "عثمانية" "توسعية" في ثوب "إسلامي" جديد، بما تحمله تلك الكلمة من إرث تاريخي وحضاري مرير في الذاكرة الغربية، تُنذر باللجوء إلى نماذج إجهاضية وحتى تخريبية تم تجربتها من قبل في بلدان أخرى بالشرق الأوسط؛ كاستراتيجية استباقية للحد من الطموحات التركية الراهنة، كما تم تطبيقها كذلك في تركيا، ولعلّ مثالها البارز هو المحاولة الانقلابية الفاشلة الأخيرة، وإشهار ورقة الأرمن، أو دعم حزب العمال الكردستاني.

وتتمثل سيناريوهات تلك الاستراتيجية الاستباقية في أربعة نماذج رئيسية؛ بدءاً بنموذج "الاستنزاف الذاتي"، على غرار الحالة العراقية في عهد صدام حسين، ومن ثم تقسيم البلاد عرقياً وطائفياً، ومروراً بنموذج "الإرهاب والتفجيرات المتسلسلة"؛ لإجهاذ الدولة التركية، على غرار النموذج اللبناني في أعقاب اغتيال رفيق الحريري، وتوخي إشعال

1. Soner Cagaptay ,Ross Wilson, and James F. Jeffrey, Turkey Rising: Challenges and Prospects for the New Administration, The Washington Institute for Near East Policy, POLICYWATCH 2018, January 18. 2013, available at: <http://goo.gl/Hn2cU4>

حرب أهليّة جديدة بين الطوائف والمذاهب المتناحرة (1)، وأيضاً "نموذج إسقاط الرئيس واستنزافه" بالمظاهرات والاعتصامات بالتزامن مع أعمال تخريبية ضدّ مقرّات الحزب الحاكم، وفقاً للخبرة المصريّة في إسقاط الرئيس محمد مرسي بعد تدخّل الجيش بدعم من أطراف إقليميّة ودوليّة فاعلة، وانتهاءً؛ بنموذج الانقلاب العسكريّ المباشر (2)، على غرار النماذج المتكرّرة في موريتانيا وعدد من الدول الإفريقيّة واللاتينيّة، وكذلك انقلابات الجيش السابقة في تركيا، والتيّ كان آخرها الانقلاب الأبيض على حكومة نجم الدين أربكان عام 1997م.

-
1. لقيّ رئيس وزراء لبنان الأسبق رفيق الحريري حتفه مع 22 آخرين، إثرَ تفجير هائل بسيارة مُفخّخة وسط العاصمة بيروت، في 14 فبراير/شباط العام 2005، وكان الحريري آنذاك في طريقه لتناول الغداء في منزله، عندما انفجرت شاحنة محمّلة بحوالي 2.5 طن من المواد المتفجّرة، خلال مرور موكبه، وأصدرت المحكمة الخاصة بلبنان مذكرات توقيف غيابيّة ضد أربعة عناصر من "حزب الله" اللبناني؛ لاتهامهم بالتورط في اغتيال الحريري، ووُجّهت الاتهام ذاته إلى عنصر خامس، للمزيد يُنظر الرابط التالي: <https://goo.gl/GYDFyt>.
 2. أنور عبدالله الرواحنة، هل ستصبح تركيا "قُوّة عظمى" في السنوات القليلة القادمة؟، مرجع سابق.

المبحث الثاني

القوة الناعمة التركية..

وسيناريوهات الاحتواء أو التحييد

بعد اعتقال عشرات الجنرالات بتهمة التآمر ودفع القادة الرئيسيين للجيش التركي لتقديم استقالاتهم، إثر المؤامرة الأولى سنة 2011م (1)، فإن السلطة المدنية لحكومة السيد رجب طيب أردوغان، كسبت رهان السلطة، وأخذت بزمام الأمور بصفة نهائية أمام قوة عسكرية طالما استبدت بالقرار السياسي بداعي حماية قيم العلمانية وإرث الكمالية. بل تم القفز في الدوائر الغربية الصادحة بترانيم الديمقراطية والمجتمع المدني، على إيجابية وصول المجتمع التركي وديمقراطيته إلى مرحلة نضج معينة للتركيز على مخاوف نجاح النموذج التركي في الحكم واستفراد الرئيس أردوغان بالسلطة، حتى إن نائب رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي "يانير جولان"، أكد أن "وجود أردوغان في الحكم من أهم مسببات الإشكاليات لإسرائيل" (2).

هذه النماذج الإجهاضية، التي ربما برزت خطورتها الفعلية مع إفشال المحاولة الانقلابية، تضع حزب العدالة والتنمية وصانع القرار التركي على المحك، وإزاء تلك النماذج التي يبدو أنها لن تتوقف عن محاولة تكرارها أو ابتكار المزيد منها لخلق القطب التركي

1. في عام 2011م اتهمت الحكومة التركية عناصر عسكرية بالتخطيط لانقلاب ضد الحكومة، وتم حبس عشرات الجنرالات، كانت الحصيلة النهائية هي دفع المجلس العسكري الأعلى في تركيا للاستقالة، في يوليو (تموز) 2011م، وهو ما رآه المراقبون، الانتصار الأهم للمدنيين على العسكريين في تركيا الحديثة.
2. "إسرائيل"... ومحاولة الانقلاب الفاشل في تركيا، موقع "مركز رؤية للتنمية السياسية"، 29 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/yvFctK>.

قبل استفحال أمره واستعصائه على الاحتواء؛ باعتبار أن صعود تركيا قويّة مُستقلّة عن التَّبعية للولايات المتّحدة، وجيش تركيّ قويّ مُحترَف بعيداً عن وصاية واشنطن وحلف الناتو، يُعدُّ أمراً غير مقبول لدى المَرَكزِيّة الأوروپِيّة وورثتها الأمرِيكيّة، وهو ما يَضَع القُطب التُّركيَّ أمام عدد من السيناريوهات المستقبلية، تتلخّص في:

- سيناريو النجاح أو المضي قُدماً.
- سيناريو الاحتواء الجزئي أو الموائمة.
- سيناريو الاحتواء الكليّ أو الترويض.

فيما يتعلّق بالسيناريو الأوّل؛ المضي قُدماً، وفيه ينجح الرئيس التُّركيّ السّيّد رجب طيّب أردوغان ومن ورائه حزب العدالة والتَّسمية في استثمار استراتيجيّتهم الناجحة إزاء إدارة أزمة المحاولة الانقلابية الفاشلة في إعادة هيكلة الجيش التُّركيّ على أُسس الجيوش الحديثة المُحترَفة، مثل الجيوش الغربيّة، لا سيّما مع بدء استراتيجيّة القواعد العسكريّة التُّركيّة في الخارج، والتي توظّفها الدول الكبرى لجعل جيوشها أكثر احترافيةً وبعداً عن الانخراط السّياسيّ في الحُكم، وكذلك تجفيف منابع جماعة الخدمة التي يتزعمها فتح الله جولن (1) من مفاصل الدوّلة المحوريّة بشكل كبير، بما يدعم كسب الجبهة الدّاخليّة وتقويتها، ومن ثمّ يعني ذلك فتح المجال واسعاً أمام قوّة تركيا النّاعمة نحو مزيد من النجاحات الاقتصاديّة، ومن ثمّ السّياسيّة والاستراتيجيّة، بما يدعم مركزها الإقليميّ والدوليّ كقطبٍ صاعدٍ في العلاقات الدوليّة.

1. حركة "الخدمة"، هي أكبر مجموعات "جماعة النور" المنتسبة للشيخ سعيد النورسي، وقام بتشكيل نواتها الأولى أوائل عام 1970م الداعية التُّركيّ فتح الله جولن بمدينة إزمير، ثم توسعت لتصبح حركة لها أتباعها داخل وخارج تركيا. وأهم ما يميزها أنها حركة اجتماعيّة وقوميّة، ولديها انفتاح على الغرب. وتقوم دعائم منهج الجماعة الفكري على كتب كل من النورسي وجولن، ومعظم أنشطتها تتوجه نحو العلم والثقافة، وتستهدف الفئة المتعلمة المثقفة من الشعب، وخاصة الطلاب. شهد نشاط الجماعة قفزة نوعية بعد انقلاب عام 1980م؛ حيث استفادت من دعم الدولة ومن مساحات الحرية المتاحة آنذاك =

=لتبدأ استراتيجية التوسع نحو إنشاء المدارس خارج تركيا. وتدير الحركة حالياً أكثر من 1500 مُؤَسَّسَة بمختلف مراحل التعليم، إضافة إلى 15 جامعة، تنتشر في أكثر من 140 دولة في مختلف أنحاء العالم. وهذه المُؤَسَّسات التعليمية تتفق مع علمانيَّة تركيا، ولا تطبق أي برامج ذات مواصفات دينيَّة.

أما في قطاع الإعلام، فتمتلك الحركة عدة مُؤَسَّسات إعلامية منها وكالة "جهان" للأنباء، كما تمتلك ست قنوات تلفزيونية متنوعة، وثلاث إذاعات. وتغطي هذه المجموعة نحو 150 دولة، تغطي مناطق أمريكا وأوروبا وآسيا الوسطى باللغات التُركيَّة والإنجليزية والألمانية والأذريَّة. كما تمتلك مجموعة "زمان" الإعلامية التي تصدر جريدتي زمان التُركيَّة ونسختها الإنجليزية.

وعلى الصعيد الاقتصادي، تمتلك الحركة "بنك آسيا" الذي يُعد أكبر بنك إسلامي بتركيا، بينما يتجمع رجال الأعمال الذين يدورون في فلك الحركة في جمعية "توسكون" التي تعتبر الذراع المالي لها. ويتبنى جولن مفهوماً غير ميسس للدين، فهو يرى أن "الإسلام ليس أيديولوجية سياسيَّة أو نظام حكم أو شكلاً للدولة"؛ كما يصر على وصف جماعته أنها "فوق السياسة"؛ حيث تبتعد عن العمل السياسي الحزبي المباشر، مكثفية بالتحالف مع الأحزاب السياسيَّة في مقابل الدعم والامتيازات، والتغلغل في مُؤَسَّسات الدولة والتقدم في المناصب المهمة والحساسة، وخصوصاً الجيش والاستخبارات والشرطة، تأهباً لمشروع سياسيّ مستقبلي. ولا يوجد للحركة أي هيكل إداري معلن، كما لا تكشف أي تسلسل هرميّ ينظم تراتبيَّة مسؤوليها، وتقول في أدبيَّاتها: إنها ملتزمة بالإصلاح الديمقراطيّ والحوار بين الأديان.

ومع بزوغ نجم العدالة والنميَّة وتوليه زمام السلطة، التزم بالعمل مع جميع الأطراف الليبراليَّة الفاعلة في المجتمع، ومنها الجماعة، التي شهدت تطوراً سياسياً كبيراً خلال هذه الفترة من تسمية نواب تابعين لها واختيار وزراء والتمتع بحريَّة العمل والانتشار دون قيود، لكن طموح هذه الجماعة لم يتوقف وحاولت القفز على شرعية الحكومة وتسارعت وتيرة خطواتها المناهضة لـ"الحرية والعدالة" بشكل لافت، حتى أن قائدها فتح الله غولن هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة، واتخذها منبراً لمهاجمة تركيا لاسيَّما من داخل الكونغرس الأمريكيّ، الأمر الذي اضطر الحكومة التُركيَّة للحد من نفوذ وتغلغل حركة الخدمة منذ العام 2013م، فقادته حملة توقيف طالبت عدداً من قادة الجيش ذات النشاط السياسي المريب وكذلك عدد من رجال الشرطة والقضاء، وإغلاق عدد من المدارس التابعة لها.

وفي مايو 2016م، صُفَّ الرئيس التُركيّ رجب طيِّب أردوغان رسمياً حركة جولن كـ"مُنظِّمة إرهابية"، ووصفها بـ"الكيان الموازي" الذي يسعى إلى الإطاحة بنظام الحكم الديمقراطي، وبعدها بنحو شهرين جرت المحاولة الانقلابيَّة الفاشلة في تركيا في يوليو 2016م؛ حيث بدا واضحاً الدور الذي لعبه "الكيان الموازي" بقيادة جولن في محاولة الانقلاب، وتعد الرئيس أردوغان بمحاسبة المتورطين في تلك المحاولة الانقلابيَّة، وهو ما أكَّده تقرير لجنة الشؤون الخارجية في مجلس العموم البريطاني، أن بعض أتباع التركي فتح الله غولن شاركوا في الانقلاب الفاشل الذي وقع في تركيا منتصف يوليو/تموز الماضي، مشيراً إلى أن هناك افتقاراً نسبياً إلى الأدلة التي تثبت مسؤولية غولن عن محاولة الانقلاب، إلا أن هناك أدلة تشير إلى تورط بعض أفراد جماعته، وذلك بناء على معلومات من اعترافات متورطين.

أما السيناريو الثاني؛ الاحتواء الجزئي، وفيه تسعى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي إلى محاولة كَسْب الرئيس التركي وحزب العدالة والتنمية بمزيد من المحفزات والمغريات الاقتصادية والعسكرية، شريطة أن تتوقف إجراءات معاقبة الانقلابيين واستراتيجية التطهير التي يقودها الرئيس التركي السيد رجب طيب أردوغان في مفاصل الدولة الحيوية للعناصر المحسوبة على فعاليات جماعة الخدمة وغيرها من المدعومين أمريكياً، مع إبداء مرونة في منح تركيا درجة معقولة من المكانة الإقليمية التي تُرضي طموحاتها "العثمانية"، في ترتيبات الشرق الأوسط الجديدة والقائمة على قدم وساق بين الفاعلين الدوليين والإقليميين، ومن ثم احتواء مخاطر الطموحات التركية على المدى البعيد بتكثيف حضور تركيا الأطلسية الغربية كبديل مقبول عن حضور تركيا ذات الأغلبية الإسلامية الشرق أوسطية، بالتوازي مع العمل على إزاحة الرئيس التركي وحكومة العدالة والتنمية من سُدّة الحكم، ديمقراطياً، في أقرب انتخابات ممكنة.

وأخيراً؛ السيناريو الثالث؛ الاحتواء الكلي، وفيه تنجح القوى الغربية في استغلال استراتيجية أردوغان لاحتواء مخاطر العسكريين الانقلابيين الموالين للغرب، وتطهير مفاصل الدولة من المناوئين؛ من خلال تكثيف الانتقادات الإعلامية للرئيس أردوغان وحزب العدالة والتنمية على أمل إحداث وقية داخلية بين الشعب وقيادته الحالية لإنهاء حالة الاصطفاف التركي غير المسبوقة التي ظهرت إبان أزمة المحاولة الانقلابية الفاشلة، وإغراق تركيا في عمليات إرهابية متسلسلة، مع مزيد من الضغوط على حدودها الساخنة في سوريا والعراق، ما يجبر القيادة التركية على الانكفاء نحو الداخل المضطرب، كمرحلة أولى من الإجهاض، يعقبها التحضير الجيد هذه المرة، على المدى المتوسط، لتدخّل انقلابي جديد لعناصر عسكرية ساخطة على الرئيس أردوغان وحزبه، تقود إلى التخلّص من الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتنمية، ومن ثمّ إنهاء طموحات تركيا "العثمانية الجديدة"، وفي هذا السيناريو قد يتم الاستعانة ببعض الوجوه المقبولة تركيا، والتي لها تحفظات على رؤية الرئيس أردوغان لمستقبل بلاده، خاصة من حلفائه السابقين في حزب العدالة والتنمية.

حتى الآن يبدو السيناريو الأول هو محلّ العمل والتطبيق، لا سيّما مع بقاء حالة الطوارئ في تركيا إثر المحاولة الانقلابية الفاشلة، واستمرار عمليات التطهير التي يقودها الرئيس أردوغان وحكومة العدالة والتنمية داخل مفاصل الدولة الحيويّة لواء أي محاولات لتدخل جديد للجيش بقوّته الحشنة في الحياة السياسيّة التركيّة التي انطلقت من بوابة القوة الناعمة لتحقّق مزيداً من النجاحات الداخليّة والخارجيّة وربما لن تسمح بعرقلتها عبر بوابة الجيش وانقلاباته مجدّداً، وربما تقود الشهور القليلة القادمة، لا سيّما بعد انتخابات الرئاسة التركيّة المقررة في العام 2019م إلى تشكّل استراتيجيّات جديدة للعدالة والتنمية لتدعيم قوّة تركيا الناعمة قد تفرزها السياقات الدوليّة والإقليميّة الرأهنة في المنطقة.

ومن ثمّ فإن ما يمكن الجزم به إزاء كلّ هذه التحدّيات، أنها ربما لن تقف عائقاً أمام طموح تركيا الجديدة نحو استعادة أمجاد الإمبراطوريّة العثمانيّة، ذات البعد الحضاريّ الرّساليّ، لا سيّما وأن النخبة الحاكمة في أنقرة؛ الرئيس أردوغان وحكومة العدالة والتنمية، ممن يوصفون في الدوائر الغربيّة بـ"العثمانيين الجدد"، قد حقّقوا نجاحات كبيرة على الصعيد الداخليّ في تركيا؛ أبرزها إجهاض المحاولة الانقلابيّة ذاتها، ويتحرّكون خارجياً بكفاءة وفاعليّة نحو بناء تركيا الدولة المركزيّة الجديدة، ومن ثمّ فإنّ خبرة إجهاض الانقلاب بقوّته الحشنة، تستبطن في داخلها تحديات كبيرة ربما ستحفّز صانع القرار التركيّ لاتخاذ استراتيجيّات، دفاعيّة وهجوميّة مبتكرة، للحفاظ على المكاسب التي تحقّقت خلال العقدين الماضيين، والبناء على تلك المكاسب لتحقيق وإنجاز المزيد من تلك النجاحات التي تؤسّس لتركيا الدور والمكانة والنموذ في نظام عالميّ بات مفتوحاً على كافّة الاحتمالات، في ظلّ مُناخ من الصّراع التنافسيّ المحموم على النموذ بين وحداته الدوليّة الكبرى والمتوسّطة، بل والصغرى كذلك. (1)

1. مصطفى شفيق علام، التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجية التركيّة .. المحدّات والسيّاقات والتحدّيات، مجلة قراءات إفريقيّة، 8 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 27 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/B1qnqT>

المبحث الثالث

وقائع الانقلاب..

ليلة المواجهة بين القوة الناعمة والصلبة

بالرجوع إلى ليلة الانقلاب، التي كانت تاريخية بكل المقاييس، بما أنها مثلت المحكّ التطبيقي لنجاعة كلا النوعين من القوة في الساحة التركيّة، وجرت أطوارها الحاسمة ووقائعها المحمومة في ساعات على غرار الحرب الخاطفة، وبرهنت بالتالي على نجاعة القوة الناعمة التي تبني العقول، وتشكل الوعي في مواجهة كلاسيكيات القوة الخشنة الصلبة التي تنطلق من استراتيجيّة فرض الأمر الواقع بقوة السلاح.

لقد بدأت إذن، أطوار المحاولة الانقلابية بتركيا، بالخروج إلى العلن قبيل منتصف ليل 15 يوليو 2016م، عندما أغلقت عناصر من الجيش التركيّ جسر البوسفور الشهير (1)، المتّجه من الشطر الآسيوي إلى الشطر الأوروبي، بينما سارع رئيس الوزراء بن علي يلدرم (2) إلى وصف ما جرى بأنه محاولة انقلابية.

1. جسر البوسفور: جسر يربط أجزاء إسطنبول الواقعة في القارة الآسيوية بأجزائها في القارة الأوروبية. وتم بناؤه العام 1973م، وافتتح في ذكرى تأسيس الجمهورية التركية. يبلغ طوله 1569 متراً، وعرضه 33 متراً، وارتفاعه عن سطح الماء نحو 64 متراً، ويفتح الجسر سنوياً يوماً لإقامة ماراثون القارّات عليه، وقد قرّرت الحكومة التركية تغيير اسمه إلى جسر "ضحايا 15 يوليو"؛ تخليداً لضحايا محاولة الانقلاب الفاشلة التي جرت في البلاد العام 2016م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/fkhz3E>.

2. بن علي يلدرم: رئيس البرلمان التركي الحالي، وأحد قادة حزب "العدالة والتنمية" البارزين، يُوصف بالحليف المقرب من الرئيس التركي السيد رجب طيب أردوغان، وُلد في مدينة أرزينجان العام 1955م، درس الهندسة والملاحة البحرية، وسياسياً التحق بحزب "العدالة والتنمية" منذ تأسيسه، وأشرف على الكثير من مشاريع البنى التحتية والنقل البحري، التي أكسبت الحكومة شعبية، ومكّنتها من الفوز بالانتخابات منذ العام 2002م، تولّى وزارة النقل في جميع حكومات الحزب منذ 2010م، باستثناء الفترة من 2013 إلى 2015م. تولّى الكثير من المناصب المهمّة، مثل: خلافة الرئيس أردوغان في زعامة الحزب، ورئاسة الوزراء منذ 22 مايو 2016م وحتى يوليو 2018م، وأخيراً رئاسة البرلمان التركي، للمزيد يُنظر الرابط التالي: <https://goo.gl/R74pUC>.

وسرعان ما تناقلت وكالات الأنباء العالمية أخباراً عن تحليق مروحيات عسكرية فوق العاصمة أنقرة، ونقلت عن شهود عيان سماعهم أصوات إطلاق نار كثيفة بالمدينة، بالتوازي مع إطلاق رئيس الوزراء بن علي يلدريم تحذيرات من أن تلك المحاولة الانقلابية فاشلة لا محالة، مُلقياً بالقوة الناعمة في مواجهة دبابات القوة الخشنة بقوله: إن "الحكومة المنتخبة من الشعب لا تزال في موقع السلطة. هذه الحكومة لن ترحل إلا حين يقول الشعب ذلك".⁽¹⁾

وبينما سعى الانقلابيون إلى دعم قوتهم الصلبة بتلك الناعمة من خلال السيطرة على القناة التركية الرسمية "TRT"، وإجبار العاملين فيها على بثّ البيان الأول للانقلاب، الذي تحدّث عن تولّي السلطة "لحفاظ على الديمقراطية"، وشدّد على أن جميع العلاقات الخارجية للدولة ستستمر، وأن "السلطة الجديدة" ملتزمة بجميع المواثيق والالتزامات الرسمية، مع التعهّد بإطلاق دستور جديد للبلاد في أقرب وقت، كان الرئيس التركيّ السّيّد رجب طيّب أردوغان يُجهّز ذلك المسعى⁽²⁾ ربما بنفس الآلية الإعلامية الناعمة، ولكن من دون القوة الإكراهية للسلاح التي استخدمها الانقلابيون؛ حيث ظهر على إحدى الفضائيات عبر تطبيق اتصالي بشبكة التواصل الاجتماعيّ على الإنترنت، داعياً الشعب للنزول إلى الشوارع والميادين والمطارات؛ رفضاً للانقلاب العسكريّ، مُؤكّداً بنبرة وثيقة: "لن نسمح لأحد أن يُثني عزّمنّا"⁽³⁾.

تدفّقت جماهير الشعب التركيّ إثر نداء الرئيس أردوغان، من دون تأخير، فامتلات الشوارع والميادين والمطارات والأماكن الحيويّة بالبلاد بجموع الشعب من كافّة أطيافه

1. "يلدريم: محاولة انقلابية لضباط في تركيا"، سكاى نيوز عربيّة، 15 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9Schqj
2. "تركيا: الشارع يُفضّل الانقلاب وأردوغان يستعيد السيطرة"، دويتش فيله، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 17 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/DM9Uia>
3. "كيف بدأت محاولة الانقلاب بتركيا وكيف انتهت؟"، الجزيرة نت، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 17 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/JKc4il>

القوة التركيبية الناعمة

وفئاته، استجابة لنداء الرئيس أردوغان بحماية الديمقراطية وإفشال الانقلاب، فانطلقت مظاهرات حاشدة في ميادين إسطنبول وأنقرة ومدن عدة رافضة لمحاولة الانقلاب العسكري. ومطالبية بعودة الجيش إلى ثكناته، ليؤكد الشعب التركي على حقيقة جوهرية في هذه المعركة مفادها أن القوة الحشنة ممثلة في الانقلابات العسكرية قد ولت إلى غير رجعة. خروج الجماهير إلى الشوارع والبياديين والأماكن الحيوية من دون خشية أو خوف من أدوات القوة العسكرية الصلبة، حفز الانقلابيين نحو تصعيد الأمر بالانتقال من مرحلة التهديد برمزية السلاح إلى البدء في استخدامه، فبدأت تتوارد أنباء عن استخدام الانقلابيين قنابل يدوية وإطلاق رصاص ضد المدنيين ورجال القوات الخاصة، بالتوازي مع سماع انفجارات بالعاصمة أنقرة، وإطلاق نار في المجمع الرئاسي بالعاصمة أنقرة، وقيام مروحيات بإطلاق النار على فندق كان يقيم فيه الرئيس أردوغان في مرمريس غربي البلاد عقب وقت قصير من مغادرته (1).

وفي الوقت الذي كان الانقلابيون يسعون لفرض الأمر الواقع بتكثيف الاستخدام الحي للقوة السلاح، استمروا في محاولة توظيفهم لأدوات القوة الناعمة بإعلانهم عبر وسائل الإعلان عن نجاحهم في السيطرة على مفاصل الدولة، في الوقت الذي أجهضت فيه فعاليات سياسية تركية، رسمية وغير رسمية، تلك الاستراتيجية من خلال تصريحات مضادة نقلتها وسائل الإعلام الدولية يؤكدون فيها أن الرئيس والحكومة المنتخبين ديمقراطياً لا يزالان على رأس السلطة.

1. شهدت العاصمة أنقرة ومدينة إسطنبول، في وقت متأخر، من يوم الجمعة 15 يوليو 2016م، محاولة انقلاب فاشلة، نفذتها عناصر محدودة من الجيش، وفي مساء هذا اليوم حاولت مروحيات تابعة للقوات الانقلابية استهداف الرئيس التركي السيد رجب طيب أردوغان خلال وجوده في أحد فنادق قضاء مرمريس في ولاية موغلا، لفضاء عطلته، لكنها فشلت في ذلك؛ لأن الرئيس أردوغان كان قد غادر بالفعل، وبعد فترة وجيزة أنزلت هذه المروحيات نحو 15 فرداً ملثماً، بالأسلحة الثقيلة، وفرضوا طوقاً على الفندق، وقبل ذلك أطل الرئيس من مرمريس عبر قناة «سي إن إن تورك» التركية من خلال تطبيق «فيس تايم» لدعوة الجماهير التركيبية للاحتشاد في الشوارع لمواجهة الانقلابيين. للمزيد ينظر الرابط التالي: <https://goo.gl/Hnzkcن>.

حيث خرج الرئيس التُّركيُّ السابق عبدالله غول، الَّذِي طالما ذهبت أذرع إعلاميَّة إقليميَّة مناوئة لتركيا إلى تضخيم الخلافات بينه وبين الرئيس السَّيِّد رجب طيِّب أردوغان، بتصريح لقناة فضائيَّة تُركيَّة عبر تطبيق للتواصل الاجتماعيِّ أَكَّد فيه بلهجة صارمة أنه لا يمكن القَبُول بأيِّ محاولة انقلابيَّة، مطالباً الشعب باتِّخاذ موقف سريع ضدَّ التَّحرُّك الانقلابي، مضيفاً أنه على الجميع أن يكون واعياً إزاء هذا الخطر الَّذِي يُحدِّق بالبلاد. (1) كما أعلن رئيس الوزراء السابق، مهندس الاستراتيجيَّة التُّركيَّة الحاليَّة، أحمد داود أوغلو، أن السُّلطة عادت إلى قبضة قوات الأمن الشرعيَّة، واتَّهم جماعة فتح الله جولن بالوقوف خلف المحاولة الانقلابيَّة، كما دعا رئيس البرلمان التُّركيُّ الجميع إلى الوقوف صفاً واحداً للدِّفاع عن الديمقراطيَّة. (2)

لم يكن هذا المسلك قاصراً على فعاليَّات محسوبة على حزب العدالة والتَّنميَّة الحاكم فحسب، بل كان من اللافت كذلك التَّفاف القويِّ السِّياسيَّة التُّركيَّة المعارضة، على اختلاف أطرافها، حول حكومة العدالة والتَّنميَّة والرئيس السَّيِّد رجب طيِّب أردوغان في رفضها للانقلاب. حتى إن زعيم حزب الشعب الجمهوري المعارض كليجدار أوغلو (3)، قد أدلى بتصريح في ذروة الحدث أَكَّد فيه أن تركيا طالما عانت من الانقلابات مطالباً الجميع بالدِّفاع عن الديمقراطيَّة. (4)

1. "عبدالله غول: سنُحاكم المشاركين في الانقلاب"، سكاى نيوز عربيَّة، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/NzbVMa
2. "كيف بدأت محاولة الانقلاب بتركيا وكيف انتهت؟"، الجزيرة نت، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JKc4il
3. كمال كيليتشدار أوغلو، سياسيُّ تركيِّ مشارك في الحياة السِّياسيَّة والاجتماعيَّة التُّركيَّة؛ وُلد في 17 ديسمبر 1948م لعائلة من الطائفة العلويَّة في تركيا، وهو زعيم المعارضة التُّركيَّة في البرلمان التركي. وزعيم حزب الشعب الجمهوري أقوى أحزاب المعارضة الرئيسيَّة في تركيا، وعضو في البرلمان التُّركيِّ عن مدينة إسطنبول منذ عام 2002م.
4. "كيف بدأت محاولة الانقلاب بتركيا وكيف انتهت؟"، المرجع السابق.

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ إِجْمَاعَ التَّيَّارَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الْمَعَارِضَةِ، وَالْحُكُومَةِ، وَالكَثِيرَ مِنَ الْقِيَادَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ عَلَى رَفْضِ الْإِنْقِلَابِ، وَالتَّشْدِيدِ عَلَى الدَّفَاعِ عَنِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ، وَخُرُوجَ مِلْيَيْنِ الْمَوَاطِنِينَ الْأَتْرَاكِ إِلَى الشُّوَارِعِ وَالسَّاحَاتِ وَالْمَطَارَاتِ، قَدْ عَجَّلَ بِإِفْشَالِ الْمَحَاوَلَةِ الْإِنْقِلَابِيَّةِ، لِيُخْرَجَ فِي نَهَايَةِ اللَّيْلَةِ الْعَصِيبَةَ رَئِيسَ الْوُزَرَاءِ التُّرْكِيِّ بَنَ عَلِي يَلْدَرَمَ مِنْ جَدِيدٍ لِيُؤَكِّدَ أَنَّ الْإِنْقِلَابَ قَدْ فَشَلَ، وَأَنَّ الْإِعْتِقَالَاتِ جَارِيَةٍ فِي صُفُوفِ الْعُنَاصِرِ الْإِنْقِلَابِيَّةِ جَنُوداً وَضَبَاطاً، قَبْلَ أَنْ تَعْلَنَ قَنَاةُ "تِي.آر.تِي" الرِّسْمِيَّةُ التُّرْكِيَّةُ بَعْدَ عَوْدَةِ بَثِّهَا الَّذِي انْقَطَعَ لِسَاعَاتٍ أَثْنَاءَ مَحَاوَلَةِ الْإِنْقِلَابِ، أَنَّهَا اضْطُرَّتْ لِقِرَاءَةِ الْبَيَانِ الْعَسْكَرِيِّ الْإِنْقِلَابِيِّ؛ لِأَنَّ الْعَامِلِينَ بِهَا كَانُوا تَحْتَ تَهْدِيدِ السَّلَاحِ. (1)

وَقَدْ جَاءَ وَصُولُ الرَّئِيسِ السَّيِّدِ رَجَبِ طَيِّبِ أَرْدُوغَانَ إِلَى إِسْطَنْبُولِ صَبِيحَةَ لَيْلَةِ الْإِنْقِلَابِ فِي 16 يُولْيُو 2016 م لِيَكُونَ طَيِّباً لَصَفْحَةِ الْإِنْقِلَابِ؛ حَيْثُ تَجَمَّعَ حَوْلَهُ الْأَلْفُ مِنَ الْأَتْرَاكِ؛ وَعَقَّدَ مُؤْتَمِراً صَحْفِيّاً بِمَطَارِ أَتَا تُورِكِ الدَّوْلِيِّ أَيْضاً فِيهِ انْتَهَاءُ ذَلِكَ الْكَابُوسِ الَّذِي قَامَ بِهِ مَجْمُوعَةٌ مِمَّنْ يَكْرَهُونَ تَرْكِيَا الْقُوَّةَ، مَهْنِئاً الشَّعْبَ وَشَاكِراً إِيَّاهُ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ عَلَى نَجَاحِهِ فِي الدَّفَاعِ عَنِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ، وَرَفْضِهِ لَارْتِدَادِ تَرْكِيَا نَحْوِ زَمَنِ الْإِنْقِلَابَاتِ مِنْ جَدِيدٍ. وَسُرْعَانَ مَا لَبِثَتْ حَمَلَةٌ إِعْتِقَالَاتٍ وَاسِعَةٍ بِحَقِّ الْمَشَارِكِينَ فِي الْإِنْقِلَابِ (2)، بِالتَّوَازِيِ مَعَ حَمَلَاتِ تَطْهِيرٍ وَتَوْقِيفٍ طَالَتْ كَافَّةُ الْمَسْتَوِيَّاتِ وَالْقَطَاعَاتِ الْحَيَوِيَّةِ؛ لِلْقَضَاءِ عَلَى أَيِّ نَوَاةٍ مَحْتَمَلَةٍ قَدْ تَنَزَّعَ إِلَى تَوْظِيفِ أَدْوَاتِ الْقُوَّةِ الصَّلْبَةِ، مُمَثَّلَةً فِي اسْتِدْعَاءِ الْجَيْشِ وَانْقِلَابَاتِهِ، لِلْقَضَاءِ عَلَى اسْتِرَاطِيَجِيَّةِ الْحُكْمِ الرَّشِيدِ فِي تَرْكِيَا، الَّذِي يَسْتَنْدُ بِالْأَسَاسِ إِلَى مُحْفَرَّاتِ الْقُوَّةِ النَّاعِمَةِ الَّتِي حَسَمَتْ مَعْرَكَةَ الْوَعْيِ خِلَالَ اسْتِحْقَاقَاتِ اللَّيْلِ التَّأْرِيخِيَّةِ الْفَارِقَةِ مِنْ عَمْرِ الْبِلَادِ.

1. كيف بدأت محاولة الانقلاب بتركيا وكيف انتهت؟، الجزيرة نت، 16 يوليو 2016 م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017 م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JKc4i
2. بول كيربي، "لماذا فشل الانقلاب العسكري في تركيا؟"، بي بي سي، 16 يوليو 2016 م، تاريخ الزيارة 17 مايو 2017 م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/OsE42y>

إنَّ دور القُوَّة النَّاعِمَةِ الحاسم والبرهنة على جدواها في تحويل ثقل موازين القُوَّة العسْكَرِيَّة لِإِجْهَاضِ التَّجْرِبَةِ التُّرْكِيَّةِ الْمُتَمَيِّزَةِ إِلَى إِجْهَاضَاتٍ مُنْكَرَّرَةٍ لِحَسَابَاتِ المَنَاوِيْنِ فِي الخَارِجِ قَبْلَ الدَّخْلِ، حَتَّى إِنَّ جَرِيْدَةَ ذَاتِ ثِقَلٍ إِعْلَامِي عَالَمِي مِنْ صَنْفِ "لوموند" الفَرَنْسِيَّةِ فِي عِنْوَانِهَا افْتِتَاحِيَّتِهَا: "دروس الانقلاب الفاشل" ليوم 18 يوليو 2016م، لم يَنْوَرِّعْ مُحَلِّلوها جَمَلَةً وَتَفْصِيلاً عَن قَوْل: إِنَّ التَّهْدِيدَ الرَّئِيسَ لِلْحُرِّيَّاتِ فِي تَرْكِيَا اليَوْمِ، هُوَ غَطْرَسَةُ رَئِيسِ وَقَائِدِ كَارِيْزْمِي لِلْحَزْبِ (أردوغان) (1)، فَاز تَقْرِيْباً مِنْذَ عَامِ 2002م بِجَمِيْعِ الْإِنْتِخَابَاتِ. وَأَعْلَنَ نَفْسَهُ كضامن ضِدَّ تَمَدُّدِ الفَوْضَى وَالإِرْهَابِ، عَلى خَلْفِيَّةِ تَجَدُّدِ الصَّرَاعِ مَعَ التَّمَرُّدِ الكُرْدِيِّ وَالهِجْمَاتِ عَلى الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي سوريَا. وَهَذَا الْإِخْتِبَارُ الْجَدِيدُ يُعَزِّزُهُ وَيُفَوِّيه، بِمَا أَنَّ جَمِيْعَ الْأَطْرَافِ بِمَا فِيهَا الْحَفَظَاءُ الْغَرْبِيُّونَ الْمُنْتَقِدُونَ، قَدْ أَبَدَتْ مَسَانِدَتَهَا لَهُ.

وَتَضْيِيفُ، بِأَنَّ مَا تُسَمِّيهِ "الانجراف الاستبدادي" للرئيس أردوغان يُخَاطِرُ بِأَنْ يَصْبِحَ أَكْثَرَ رَسُوخاً، مَقَابِلَ اللَّعْبِ بِوَرَقَةِ التَّأْمَرِ الَّتِي لَمْ يَنْوَقِّفْ أَبَداً عَن اسْتِعْمَالِهَا، وَالتَّنْذِيرِ بِمُخَاطِرِهَا. وَقَدْ تَمَّتْ بِالْفِعْلِ آلَافُ الْإِعْتِقَالَاتِ لَيْسَ فِي أَوْسَاطِ الْجُنُودِ فَحَسَبِ، بَلْ أَيْضاً فِي أَوْسَاطِ الْمُوظَّفِينَ الْحُكُومِيِّينَ وَالْقَضَاةِ أَيْضاً، مِمَّا يُمَهِّدُ لِانْتِشَارِ رُقْعَةِ القَمْعِ، وَاسْتِعْمَالِ وَرَقَةِ الْحَفَظِ عَلَى مَكْتَسَبَاتِ الدِيمُقْرَاطِيَّةِ، وَحَمَايَةِ مَكَاسِبِ القُوَى المَدَنِيَّةِ لِتَسْرِيْعِ مَشَارِيْعِهِ الرَّئَاسِيَّةِ، وَأَيْضاً تَأْمِينِ الْمَزِيدِ مِنَ السُّلْطَةِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الْمِشَارَكَةَ وَلَا الْإِقْتِسَامَ.

وَمَا سَيَقِ مِنْ تَبْرِيرَاتٍ وَمَخَافٍ، تَنَاقَلَتْ سِيَاقَاتِهَا الْمَعَاكِسَةَ أَغْلَبِيَّةَ الْمَنَابِرِ الْغَرْبِيَّةِ، لَا يَعْكَسُ أَبَداً مَخَافَ الدِيمُقْرَاطِيَّةِ، وَحَمَايَةَ النُّظْمِ المَدَنِيَّةِ، وَحَقُوقِ الْإِنْسَانِ، بَلْ تَحَوَّلَتْ التَّعْلِيْقَاتُ وَالقِصَاصَاتُ إِلَى إِدَانَةِ كَامِلَةِ لِنْتَظَامِ نَابِعِ مَنْ إِرَادَةَ النَّاخِبِينَ وَنَتَائِجِ صِنَادِيْقِ الْإِقْتِرَاعِ! رَغْمَ أَنَّ هَذِهِ الْأَخِيرَةَ أَفْرَزَتْ وَعِيّاً كَبِيراً بِضَرُورَةِ حَمَايَةِ

1. Turquie : les leçons d'un putsch manqué موقع صحيفة "lemonde" الفرنسية، 18 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/M1Y6CP>.

المكاسب الديمُقْرَاطِيَّةُ والاجْتِمَاعِيَّةُ والاِقْتِصَادِيَّةُ، وَجَدَ تَعْلِيلَهُ فِي آلَافِ الْمَوَاطِنِينَ الَّذِينَ وَاجَهُوا دَبَّابَاتِ الْاِنْقِلَابِيِّينَ بِصُدُورٍ مَفْتُوحَةٍ، لَكِنْ رَغْمَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ لِيُرُوقَ لِلآلَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِعْلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ لَهَا رَأْيٌ آخَرٌ. وَبَدَلَ أَنْ تَرَى نَجَاحاً آخَرَ لِتَطْبِيقِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ الْأَكِيدَةِ بِفَضْلِ مِيزَاتِ الْقُوَّةِ النَّاعِمَةِ، وَإِمْكَانِيَّةِ تَعَايِشِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمَبَادِئِ الْعِلْمَانِيَّةِ، جَاءَتْ عَنَاوِينَ بَاقِي الْمُنَابِرِ قُوَّةً مُنْدَدَةً، مِنْ قِبَلِ مَقَالٍ لِيَبْرَاسِيُونِ "Liberation" الْفَرَنْسِيَّةِ مُنْتَصَفِ دَيْسَمْبَرِ 2016م، بِعَنْوَانٍ: "ضِدَّ الشُّمُولِيَّةِ فِي تَرْكِيَا (1)".

فَالْأَكْثَرُ إِثَارَةٌ لِلانْتِبَاهِ فِي الْاِنْقِلَابِ الْفَاشِلِ فِي تَرْكِيَا، هُوَ رَدُّ الشَّعْبِ. وَقَدْ اتَّبَعَ الْمَتَأَمَّرُونَ الْإِجْرَاءَ الْكَلَّاسِيكِيَّ؛ الْاِسْتِيْلَاءَ عَلَى مَحَطَّاتِ الْإِرْسَالِ، وَإِرْسَالَ كُومَانْدُوزِ لِقَتْلِ الرَّئِيسِ، وَفُؤَاتِ حِصَارِ مَتَمَرِّكَزَةٍ فِي مَخْتَلَفِ النُّقَاطِ الْحَاسِمَةِ، وَإِخْرَاجِ الدَّبَّابَاتِ إِلَى الشُّوَارِعِ. لَقَدْ تَمَّ حَسَابُ كُلِّ شَيْءٍ بِدِقَّةٍ، بِاسْتِثْنَاءِ رَدِّ الْفِعْلِ الشَّعْبِيِّ، فَبِمُجَرَّدِ أَنْ نَجَا الرَّئِيسُ مِنَ الْهَجُومِ، أُطْلِقَ رِسَالَةٌ قَصِيرَةٌ مِنْ هَاتِفِهِ الْمَحْمُولِ إِلَى الْأُمَّةِ التُّرْكِيَّةِ، مِمَّا حَثَّ الشَّعْبَ عَلَى الْخُرُوجِ طَوَاعِيَّةً إِلَى الشُّوَارِعِ لِلدِّفَاعِ عَنِ قَرَارِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ بِنَفْسِهِ.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ عَلَى مَدَى السَّنَوَاتِ الْقَلِيلَةِ الْمَاضِيَّةِ، بَدَأَ الْجَيْشُ يَفْقِدُ شَرْعِيَّتَهُ فِي مَوَاجَهَةِ حُكُومَةٍ خَرَجَتْ مِنْ صِنَادِيقِ الْاِقْتِرَاعِ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ صَانِعُ الْمَعْجَزَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ، وَحَتَّى مَوَاقِفِ الرَّئِيسِ أَرْدُوْغَانَ مِنَ الثُّورَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَخِيَارَاتِهِ الْاِسْتِرَاطِيَّةِ الضَّارِبَةِ فِي عَمْقِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ، وَالتَّدخُّلِ فِي الصَّرَاعَاتِ الْإِقْلِيمِيَّةِ السُّورِيَّةِ وَغَيْرِهَا، لَمْ تُضْعِفْ صُورَةَ وَوِزْنَ حِزْبِ الْعَدَالَةِ، بَلْ زَادَتْ شَعْبِيَّتَهُ فِي أَوْسَاطِ نَاحِيَّتِهِ وَغَيْرِهِ، رَغْمَ تَعْمِيمِ الْمُنَاوِينِ وَالغَرَبِيِّينَ لِمُزَاعِمِ كَثِيرَةٍ حَوْلَ إِرَادَةِ اسْتِعْمَالِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ الثَّابِتَةِ وَالْهَادِئَةِ ظَاهِرِيًّا إِلَى حُكْمِ إِسْلَامِيٍّ قَاسِيٍّ وَمُطَبَّقٍ.

1. Contre le totalitarisme en Turquie موقع صحيفة "liberation" الفرنسية، 13 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/rjSxLG>.

المبحث الرابع

النموذج التركي..

تأثيرات كبرى على الحواضن العربية والإسلامية

لقد كشفت ليلة الانقلاب على السُّلطة الشَّرعية أن الصِّراع لم يكن لينتهي بتلك الصورة المُساوية الكلاسيكية التي تعودناها على امتداد العقود الماضية، وأيضاً خارطة الانقلابات الموسومة بالدم والالتفاف على إرادة الديموقراطية؛ حيث الغلبة والحسْم لذوي الأحذية الثقيلة والفوهات المصوّبة إلى صدور المعارضين، بل كانت معركة وعي بامتياز، ودرسا من دروس القوة الناعمة التي لا يمكن تجاوزها والدُّوس عليها بجنازير المصفحات.

فالوعي المكتسب عبر تطبيق حكومة حزب العدالة والتنمية لنموذجها المستمد من مفاهيم وأسس القوة الناعمة، والتي اتبعتها، داخلياً، لتغيير منظومة البنى العقديّة والمدركات والتصوّرات السياسيّة التي طالما غدّاها الحكم العسكريّ في نفوس وعقول الشعب التركيّ على مدار عقود خلّت، تجاوزت حدود الدولة التركيّة باتجاه حواضن عربيّة وإسلاميّة، شعبيّة عريضة، شكّلت هي الأخرى تجلياً واضحاً على مدى النفوذ المعنوي الذي تمثله تركيا في عقول وقلوب الشُّعوب العربيّة والإسلاميّة، وربما من المناسب في هذا السياق أن نرصد بعضاً من تقرير إخباري نشرته وكالة الأناضول الإخباريّة التركيّة عن تعاظم الشُّعوب العربيّة والإسلاميّة مع حدث المحاولة الانقلابيّة التي تابعها الملايين على الهواء مباشرة في شهر يوليو 2016م بعنوان: "سقط الانقلاب فعّلت أسهم القوة الناعمة لتركيا في العالمين العربيّ والإسلاميّ" (1).

1. "سقط الانقلاب فعّلت أسهم القوة الناعمة لتركيا في العالمين العربيّ والإسلاميّ"، وكالة الأناضول، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 18 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/KpgUUY>

ينطلق التقرير من حقيقة مفادها أن تعاطف الشُّعوب العربيَّة والإسلاميَّة الكبير، مع تركيا، والبهجة التي أظهرتها تلك الشُّعوب عقب فشل الانقلاب العسكري، قد كشف عن عمق تأثير القُوَّة النَّاعِمَة التُّركيَّة، في المنطقة العربيَّة والإسلاميَّة. ونقل التقرير حادثتين طريفتين أولهما للمواطن الكويتي "أبو يوسف الشمري"، بأنه أوفى بنذرٍ قطعَه على نفسه، بذبح خروفين، في حال فشل الانقلاب في تركيا؛ حيث نشر صوراً توثق العمليَّة، على صفحته الخاصَّة بموقع "تويتر". وثانيهما لمواطن سعودي، لم ينشر اسمه، واكتفى بنشر فيديو لذبح "جملٍ"، وإذاعة كلمات قال فيها: "عشنا لحظات عصيبة أمس في تركيا، هذا بمناسبة فشل الانقلاب، اللهم تقبل".

ويشير التقرير إلى أنه رغم طرافة الحدثين، إلا أنهما لم يبتعدا كثيراً عن مشاعر ملايين العرب والمسلمين، الذين حبسوا أنفاسهم؛ ترقباً لما ستؤول إليه عمليَّة الانقلاب التي حدثت في تركيا مساء 15 يوليو 2016م. حيث أبدت الشُّعوب العربيَّة والإسلاميَّة، تعاطفاً كبيراً، مع القيادة الشَّرعيَّة التُّركيَّة، ورفضاً للانقلاب عليها، من خلال مظاهر ومظاهرات عفويَّة.

ورصد التقرير مشاهد كثيرة، عكست مدى التعلُّق الوجداني للعرب بتركيا وشعبها وحكومتها ورئيسها، تجلَّى ذلك من خلال مشاركة سُوريين في التوجُّه إلى مطار أتاتورك الدوليِّ بإسطنبول والالتحام مع الأتراك الذي وقفوا بصدور عارية أمام دبابات الانقلابيين وأجبروها على التراجع، كما رُفعت أعلام "الثورة السوريَّة"، برُفقة الأعلام التُّركيَّة في ساحات إسطنبول التي خرجت لنصرة الشَّرعيَّة الديمُقراطيَّة في مواجهة الانقلابيين. ووفقاً للتقرير فقد قُتل في ميدان تقسيم وسط إسطنبول شابٌّ مغربيٌّ، كان يستعدُّ للعودة إلى بلاده مع عروسه التُّركيَّة، لكنه التحم ليلة الانقلاب مع الجماهير التُّركيَّة الراضية للانقلاب، وأصابته رصاصات الانقلابيين، فأردته شهيداً.

ثم انتقل التقرير إلى رصد مظاهر الفرح التي شهدتها حواضر عربيَّة عدَّة إثر فشل الانقلاب، بدأها من مدينة تعز اليمنيَّة التي يحاصرها الحوثيون، وقوات الرئيس السابق

علي عبدالله صالح، ويقصفونها بالليل والنهار، ومع ذلك فقد خَرَجَ عشرات الشُّبَّابِ والشَّابَّاتِ للتعبير عن فرحهم لاندحار الانقلابيين وانتصار إرادة الشعب التُّرْكِيِّ. وفي الصومال، فقد رصد التقرير التحام السِّيَاسِيِّين بالعلماء والجماهير في مظاهرات مُؤَيِّدَةً للرئيس أردوغان وللشرعية الدُّسْتُورِيَّة، كما احتفل الكثير من سكان دول الخليج العَرَبِيِّ بِفشل الانقلاب، عبر تغريدات على مواقع التواصل الاجتماعي، وشهدت مدينة القدس المُحتلَّة مظاهرات شارك فيها العشرات من علماء الدين والمواطنين، احتفالاً بفشل الانقلاب، أما في غَزَّة المحاصرة فقد جَابَ الفلَسطينيون شوارع مدن القطاع ومُخَيَّمَاتِهِ رافعين العَلَمَيْنِ التُّرْكِيِّ والفلَسطيني وصوراً للرئيس السَّيِّد رجب طيِّب أردوغان، كما حملوا لافتات كتب عليها "غَزَّة لن تنسى من وقف معها في محنتها وحصارها". (1)

ورصد التقرير كذلك تجمُّع المئات من الأهالي في صيدا اللبنانية أمام المستشفى التُّرْكِيِّ الَّذِي افتتحه الرئيس السَّيِّد رجب طيِّب أردوغان في 2010م، حينما كان رئيساً للوزراء، رافعين لافتات مُؤَيِّدَةً للرئيس أردوغان ولحكومته وللشعب التُّرْكِيِّ. وَوَفَّقاً للتقرير كذلك فقد نَظَمَ عشرات الشبان في العاصمة الأردنية عَمَّان تظاهرة مُؤَيِّدَةً للحكومة التُّرْكِيَّة بعد نجاحها في إفشال المحاولة الانقلابيَّة بفضل إرادة الشعب التُّرْكِيِّ، حسب شعارات رَدَّدَهَا متظاهرون حَمَلُوا لافتات كُتِبَتْ عليها عبارات تعبَّر عن دعمهم للرئيس التُّرْكِيِّ أردوغان، ولتركيا، ضدَّ محاولة الانقلاب.

وفي الجزائر، أعربت عدَّة أحزاب سِيَاسِيَّة عن ترحيبها بانتصار الشعب التُّرْكِيِّ على محاولة الانقلاب العَسْكَرِيَّ الفاشلة، على غرار حركة مجتمع السلم، وجبهة العدالة والنَّمِيَّة، كما عبَّرت أحزاب جزائريَّة، ذات تَوَجُّهات يساريَّة وشيوعيَّة، من غير المؤيِّدِينَ لتركيا سِيَاسِيًّا، عن رفضها للانقلاب على الحكومة المنتخبة ديمقراطياً.

1. "سقط الانقلاب فعَلَّت أسهم القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربي والإسلامي"، وكالة الأناضول، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 18 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/KpgUUY>

أما رئيس حزب الفضيلة المصري، محمود فتحي، فقد رأى في اتصال مع "الأناضول"، أن ما قال عنه "انتصار أردوغان" هو انتصار "لكل الشُّعوب العربيَّة التي تنظر إلى تركيا وتجربة حزب العدالة والتَّنمية، على أنها تجربة رائدة ومُلهمة لها، تزداد شعبيَّتها في الأوساط العربيَّة بشكل مُطرد"؛ حسب تعبيره.

وفي سياق مواقف التنديد والاستنكار للمحاولة الانقلابيَّة في تركيا، رَصَدَ تقريرُ وكالة الأناضول شَجَبَ واستنكارَ الأحزاب التونسيَّة "النهضة"، و"التِّيَّار الديمقراطي"، و"تونس الإرادة" للحدث، كما أن أحزاب المعارضة الموريتانيَّة قد هَنَأَتْ في بيان لها، الشعب التُّركيَّ وحكومته بفشل المحاولة الانقلابيَّة التي اعتبرتها غادِرة ومُدانة، مُؤكِّدةً أن الشُّعوب التي جَرَّبَتْ الأحكام العسْكريَّة باتت رافضة للتعايش معها.

وليس أدلُّ من التأييد الشعبي في العالمين العربيِّ والإسلاميِّ، وَفَقاً للتقرير، مما قاله رئيس الاتِّحاد العالميِّ للعلماء المسلمين، الشيخ يوسف القرضاوي، في رسالته مخاطباً الرئيس التُّركيَّ "الله معك، وشعوب العرب والمسلمين معك، وكلُّ الأحرار في العالم معك".⁽¹⁾

ويرى خبراء ومراقبون، وَفَقاً للتقرير، أن المواقف التُّركيَّة "الأخلاقيَّة"، والقائمة على "المبادئ والمثُل"، ومساندتها للقضايا العربيَّة والإسلاميَّة، دَفَعَتْ شعوب المنطقة بشكل تلقائيٍّ، إلى التعاطف مع "الشُّرعِيَّة" التُّركيَّة، ورفض محاولة الانقلاب عليها. كما أن تغلغل الثقافة التُّركيَّة للمنطقة، من خلال "الفنون"، وحتى "البضائع"، والسَّلْع، بالإضافة إلى المواقف السِّياسيَّة، جَعَلَ من صورة تركيا لدى الشُّعوب العربيَّة والإسلاميَّة، إيجابِيَّة للغاية.

ونقل التقرير عن وزير الدَّولة المصريَّة لشؤون المجالس النيابيَّة الأسبق، محمد محسوب، قوله: إن "موقف الشُّعوب العربيَّة الراض للانقلاب الفاشل أثبت حقيقة كونها ظهيراً

1. "سقط الانقلاب فعَلت أسهم القُوَّة النَّاعمة لتركيا في العالمين العربيِّ والإسلاميِّ"، وكالة الأناضول، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 18 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/KpgUUY>

استراتيجياً لتركيا وشعبها"، مضيفاً أن الشعوب العربيَّة تُشكِّلُ إلى جانب تركيا، حالة تكاملية تُعبِّرُ عن أنَّ كلاً منهما يُشكِّلُ عنصر قُوَّةٍ ناعمة داعمة للآخر"، مشيراً إلى أن "تداخل العلاقات بين العرب والأتراك وتشابكها يمثِّلُ حالة تراكمية تمتدُّ تاريخياً لأكثر من ستة قرون، وبالتالي لا يمكن القفز على هذه الحقيقة وتجاوزها، وهو ما عبَّرتُ عنه الشعوب العربيَّة في موقفها الأخير".

كما يرى الخبير الإعلامي، وأستاذ الصحافة في الجامعة الإسلاميَّة بغزَّة، جواد الدلو، بحسب ما نقله التقرير أن "القُوَّةُ النَّاعِمَةُ لتركيا، تغلغت في المنطقة العربيَّة والإسلاميَّة، كونها استطاعت أن تُغرس المثل العليا، في ذاكرة شعوب المنطقة، وأن تربط النظريَّة بالتطبيق، والقول بالفعل"، مؤكداً أن "مواقف تركيا ساهمت في صناعة الوعي لدى الإنسان العربي، وصنعت ذاكرة قويَّة، انتفضت أمام ما جرى، وتفاعلت بإيجابية مع القيادة التُّرْكِيَّة والشعب التُّرْكِي"، مُشدِّداً على أنَّ مواقف تركيا السياسيَّة والإنسانيَّة، تُجَاه كثير من قضايا الأمَّة بشكل عام، والقضية الفلسطينيَّة بشكل خاص ساهم في صناعة هذه القُوَّة النَّاعِمَةُ، كما أن تركيا قد وضعت بصمةً في كافَّة المجالات الاقتصاديَّة والثقافيَّة، جعلت صورتها إيجابيّة للغاية، ودفعت كثيرين للتفاعل بقُوَّة معها، ورفض النِّيل من هذه الصورة".

كما نقل التقرير عن المحامي والنائب الكويتي السابق ناصر الدويلة، قوله: "إن تركيا تمتلك مصداقيَّة كبيرة لدى الجمهور العربيِّ بجميِّع أطيافه"، وأن "الجمهور العربيِّ ينظر نظرة إعجاب لارتباط القيادة التُّرْكِيَّة بتطلُّعات شعبها التُّرْكِيِّ وسعيها الحثيث لتحقيق هذه التطلُّعات"، مؤكداً أن "تركيا تمتلك قُوَّة ناعمة، عبَّرت عنها الحالة الوجدانيَّة التي غمرت نفوس العرب، وانعكست على تصرُّفاتهم وردود أفعالهم الراضية لمحاولة الانقلاب الفاشلة"، مشيراً إلى أن "حماس الإنسان العربيِّ لما يحدث في تركيا ومتابعته للشأن التُّرْكِيِّ وثقافة الشعب التُّرْكِيِّ جعلته يعرف رموز تركيا وتاريخها بشكل أثار حالة

من القلق والإحباط في أوساط النِّيار العلماني العربي، الَّذِي لم يجد أيَّ نموذج صالح على السَّاحة إلا النموذج التُّركيَّ بصِغته الراشدة؛ حسب وصفه.

أما الخبير العسْكريَّ الأردني فايز الدويري، فقد صرَّحَ وَفَقاً للتقرير بأنَّ "هذا التفاعل غير المسبوق من الشُّعوب العَرَبِيَّة والإِسْلامِيَّة مع الحكومة والشعب التُّركيَّين في رفض الانقلاب، يكشف عن عمق تأثير القُوَّة النَّاعِمَة الَّتِي انسابت في العالم العَرَبِيَّ والإِسْلامِيَّ"، مضيفاً أنَّ "المخاوف الَّتِي ساورت الجماهير العريضة في الوطن العَرَبِيَّ ليلة الانقلاب في تركيا، تكشف كذلك عن وعي الشُّعوب بالانعكاسات الخطيرة المحتملة على أزمات العالم العَرَبِيَّ حَال سقوت الحكومة التُّركِيَّة الحاليَّة، وهو ما يشير بِقُوَّة إلى أنَّ هذه الشُّعوب باتت تنظر إلى تركيا على أنها مُكوِّن حيويِّ في الأُمَّة، وأنَّ لها دوراً قيادياً بارزاً في المنطقة". (1)

وأخيراً؛ فإنَّ تركيا الَّتِي ألفت استخدام الانقلابات العسْكريَّة فيما يُشبه التقليد، منذ تأسيس الجُمهوريَّة في عام 1924م من قِبَل مصطفى كمال، وتنصيب الجيش لِقُوَّتِهِ كالأضامن الصَّارم للعلمانيَّة، وبالتالي عدم التورُّع عن التَّدخُل الصارخ في الشُّؤون المدنيَّة، عبر الإطاحة بالحكومات في سنوات 1960 و 1971 و 1980م، وكانت هذه المرَّة الأولى منذ أكثر من نصف قرن من الزمن الَّتِي فشل فيها الجيش في الإطاحة بحكومة العدالة والتَّنميَّة. والَّتِي لا بُدَّ من القول بأنَّ الرئيس الحالي، السَّيِّد رجب طيِّب أردوغان، تعلَّم واستفاد كثيراً من دروس الماضي؛ حيث استعمل بدهاء وَحِكْمَة كُلَّ ورقةٍ متاحةٍ من أوراق القُوَّة النَّاعِمَة، ولعب بعمق بورقة الديمُقراطيَّة، مستنداً بِقُوَّة على ترشيحه لولوج

1. "سقط الانقلاب فعَلت أسهم القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربي والإِسْلامي"، وكالة الأناضول، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 18 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/KpgUUY>

منظومة الاتِّحاد الأوروپيِّ، التي طالما اعتبره أعضاء فيها بطلاً ديمقراطياً لإنجازاته في ميدان الحقوق والحُرِّيَّات، ومُتَزَعِّماً في نفس الوقت حملة تطهير شرسة على أعداء الديمقراطية، مع الامتناع عن التطرُّق إلى عدد كبير جداً من الإشارات التي تُغلب جانب الدين، ومُتَجَبِّباً الإصلاحات التي مِنَ المُرَجَّح أن تثير عداوة الجانب الأكثر علمانيَّة من المجتمع التُّركيِّ، في مقابل تهميش تامٍّ لأنصار تيار "الكَماليَّة" في الجيش وغيره. ومع الاهتمام التَّام بتطوير الجانب الاقتصادي والاجتماعي (نهضة تُركيَّة كبيرة)، ودغدغة المشاعر القوميَّة حول إعادة الأمجاد والقُوَّة، أحكمت تطبيقات القوة النَّاعمة قبضة نفوذها، وألحقت هزيمة تاريخيَّة بنظيرتها الصَّلبة، التي استبدت طويلاً بمصائر الأحداث والشُّعوب .

لقد نَجَتْ تركيا إذن، بقُوَّتِهَا النَّاعِمَة من سيناريوهات كارثيَّة، في حال نجحت المحاولة الانقلابيَّة، بفضل حالة الوعي التي خَلَفَهَا التَّفاف الشعب التُّركيِّ وراء القيادة السِّياسيَّة، مُمَثَّلة في الرئيس السُّيِّد رجب طيِّب أردوغان؛ إذ كان يمكن أن يُؤدِّي هذا الانقلاب، حال نجاحه، إلى دخول الدَّولة في حالة فوضى لا نهاية لها؛ حيث كانت تلك المحاولة المعتمِدة على كلاسكيَّات القُوَّة الخشنة للتغيير، عمليَّة استراتيجيَّة شارك فيها أعداء الداخل بالتعاون مع أعداء الخارج، ومن ثَمَّ فإن تركيا لن تكون بعد ذلك اليوم الفارق كما كانت، وسيكون على القيادة التُّركيَّة مواجهة تحديات أخرى قادمة بكثير من الحذر والحيطه، فقد تكون تركيا نجحت في إفشال انقلاب عسكريِّ وقع التخطيط له منذ سنوات، لكنها ستكون في حاجة إلى التغلُّب على تحديات ومخاطر تُهدِّد قُوَّتِهَا النَّاعِمَة داخلياً وإقليمياً، للحفاظ على نموذجها الفريد في سياق إقليميِّ بات يتَّجه بعجلة متسارعة نحو المجهول.

الفصل العاشر

دستور ٢٠١٧

استحقاقات النظام الرئاسي

- مقدمة
- المبحث الأول: الطريق إلى الاستفتاء الدستوري.. أجواء ما قبل التصويت
- المبحث الثاني: توتر تركي أوروبي.. السياقات الدُولِيَّة ما قبل الاستفتاء
- المبحث الثالث: تطوُّرات الأزمة السُوريَّة السياقات الإقليمِيَّة لما قبل الاستفتاء
- المبحث الرابع: ما بين «نعم» و«لا» تحليل نتائج التصويت الدستوري
- المبحث الخامس: القُوَّة التُرْكِيَّة النَّاعِمَة قراءة في مواد الدُسْتُور الجديد

الفصل العاشر

دستور ٢٠١٧

استحقاقات النظام الرئاسي

مقدمة

"إنها لحظة تاريخية؛ تغيير مهم جداً لمستقبل تركيا.."; هكذا قال الرئيس أردوغان في معرض إشادته بنتيجة الاستفتاء الدستوري، أمام حشد الصحافيين في قصر الرئاسة، مساء الأحد 16 أبريل 2017م، والذي شهد انتصار "نعم" المأمولة لتعزيز سلطات الرئيس التركي(1).

فيما ركزت وسائل الإعلام الغربية، على إعراب أردوغان عن امتنانه للأمة داعياً الدول والمؤسسات الأجنبية إلى احترام النتيجة باعتبارها "قرار الأمة"، داعياً حلفاء تركيا الغربيين إلى أن يدركوا ما تواجهه بلاده من إشكاليات وتهديدات في حربها ضد الإرهاب(2).

ففي هذا الصدد أظهرت آخر النتائج المؤقتة التي نشرتها وكالة أنباء الأناضول بنفس التاريخ المذكور أعلاه، أنه من أصل 99.45% (مجموع الأصوات المعبّر عنها) بـ "نعم" حققت تقدماً طفيفاً بـ 51.37%، "بعيداً عن الرقم الساحق الذي كان يأمله الرئيس أردوغان. إضافة إلى صعود نسب "لا" في المدن الكبيرة مثل أنقرة وإسطنبول، وهيمنة

-
1. تركيا: أردوغان يصف فوز "نعم" في الاستفتاء بـ "التاريخي" والمعارضة ستطعن في النتائج، فرانس 24، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SbXr9z
 2. تركيا: أردوغان يصف فوز "نعم" في الاستفتاء بـ "التاريخي" والمعارضة ستطعن في النتائج، المرجع السابق.

أصوات المعارضة في معازل الحركة الكُردية جنوب شرق تركيا، وذلك كمؤشرات غير مواتية لرئيس الدولة. هذه الأخيرة اعتمدها وسائل الإعلام الغربي في تحليلاته حول تآكل هوامش أغلبية الرئيس أردوغان وشعبيته إلى حدود ضيقة جداً، والتي تتوافق وتعليق مراد يتكين (1)، مدير صحيفة "حريّات ديلي نيوز Hurriyet Daily News"، على شبكة سي إن إن - تركيا: "لا يمكن أن يحدث مثل هذا الإصلاح - يقصد التعديل الدستوري - بأغلبية ضيقة هكذا".

واللافت للنظر في هذه الاستحقاقات الحساسة، أن الأتراك الذين يعيشون في الخارج صوّتوا بأغلبية أكثر لصالح "نعم"، وبشكل خاص في ألمانيا؛ حيث صوّت أكثر من 63% بنعم (320 ألف تركي) (2)، وفي فرنسا بلغت النسبة المؤيدة 64%، باستثناء الولايات المتحدة التي صوّت فيها المجتمع التركي الصغير بأغلبية أكثر من 82% ضدّ التعديلات المقترحة.

وبالرجوع إلى تاريخ التعديلات الدستورية، قبل استفتاء 2017 الذي انتقلت به البلاد إلى النظام الرئاسي بدلاً من النظام البرلماني، مرّ الدستور التركي الحالي بسبع عشرة حزمة تعديلات، منذ العام 1987م إبان حكم الرئيس تورغوت أوزال وحتى العام 2011م، منها ثلاثة استفتاءات شعبية أعوام (1987، 2007، 2010م) (3)؛ اثنان منها في عهد حزب العدالة والتنمية.

1. صحفي وخبير إعلامي تركي، من مواليد 1959م، له العديد من المؤلفات السياسية من أشهرها كتاب "السياسة النشطة في حلقة النار- تركيا في مثلث الشرق الأوسط والبلقان والقوقاز". للمزيد يُنظر:

MURAT YETKIN, Eisenhower Fellowships, available at: goo.gl/ASeSnY

2. أرقام ودلالات في استفتاء تركيا"، بي بي سي عربي، 18 أبريل 2017م، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/IbAVG

3. استفتاء سبتمبر 1987م، أُجريّ لتعديل المادة الرابعة المؤقتة من دستور عام 1982 والمتعلقة بحظر النشاط السياسي لبعض الزعماء السياسيين، وأسفر عن موافقة 50.2% من المشاركين لصالح رفع الحظر عن نشاط السياسيين، الأمر الذي أدى إلى عودة شخصيات سياسية بارزة إلى الحياة العامة من جديد أبرزهم: سليمان ديميريل، وبولند أجاويد، ونجم الدين أربكان. أما استفتاء 21 أكتوبر 2007م، فكان حول مقترح انتخاب رئيس الجمهورية بشكل مباشر من الشعب بدلاً من البرلمان، حيث صوّت لصالح التعديل الدستوري 68.9% من المشاركين. وأخيراً استفتاء 12 سبتمبر 2010م، فكان يتعلق بحزمة تعديلات دستورية شملت 26 مادة؛ حيث صوّت نحو 57.9% من المشاركين لصالح التعديلات الدستورية. للمزيد يُنظر: "الاستفتاءات الشعبية بتركيا من مندريس لأردوغان"، الجزيرة نت، 26 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JyDgkM

وكانت هذه التعديلات تدور حول المشاركة السياسية، والحريات العامة والخاصة، والشؤون القانونية والمدنية، وعلى الرغم من تعديل أكثر من ثلثي المواد الدستورية، لكن لم يجرؤ أحد على المساس بمواد تتعلق بنظام الحكم؛ كما هو حال الاستفتاء الحالي؛ وذلك لحسابات كثيرة، أهمها ضلوع المؤسسة العسكرية في الحكم، وضعف دور الشعب في المعادلة السياسية آنذاك.

ومؤخراً، في عهد رئيس الوزراء السابق أحمد داود أوغلو، شكّلت لجنة لصياغة دستور جديد بالتوافق بين جميع الأحزاب، لكن اللجنة لم تنجح في تجاوز الخلافات على مواد الدستور، وذلك ما أدى إلى توقفها عن مواصلة عملها، وكانت بطبيعة الحال آخر محاولة قبل الاستفتاء الحالي. (1)

ورغم مجيء هذا التعديل الدستوري المثير للجدل وسط ظرفية صعبة، تعجُّ بالكثير من السياقات الدولية والإقليمية المتضاربة والمشتعلة؛ من أزمة سورية متصاعدة، وتكالب دولي على المنطقة؛ حيث باتت سوريا مسرحاً لتصارع القوى الإقليمية الممتلئة في إيران من جانب والمملكة العربية السعودية من جانب آخر، بل وأيضاً مسرح صراع واستعراض قوة بين كبار الساحة الدولية، خصوصاً بين القطب الروسي العائد من جديد بعد سنوات من التراجع على مسرح العلاقات الدولية، ونظيره الأمريكي؛ الراغب في تأكيد الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط، التي طالما شكّلت منطقة نفوذ تقليدية لواشنطن. ووسط كل هذا، استطاعت الدولة التركية أفراد حيز تدخل لها، وبموازاة ذلك إقناع الأغلبية من شعبها بضرورة إقرار تعديلات دستورية في صالح الرئاسة التركيبية، للاستمرار في مسيرة النهضة، وإعادة الاعتبار للدور التركي، التي بدأت قبل نحو 15 عاماً.

1. "الاستفتاء الدستوري في تركيا.. النتائج والتداعيات"، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، 9 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8mgPl2

ورغم ما أثارته تلك التعديلات من لَعَطٍ وَجَدَلٍ بين تركيا والاتِّحَادِ الأوروپيِّ، وزيادة في تَوَثُّرِ العلاقة بين الجانبين، إلا أنها مَرَّتْ بِسَلامٍ، وتَمَّ إقرار التعديلات ولو بنسبة بسيطة لتُعِيدَ تأكيد ما ذكرناه من قُدْرَةِ القُوَّةِ النَّاعِمَةِ التُّرْكِيَّةِ على تحقيق ما لا تستطيع أية قُوَّةٍ نُوْعِيَّةٍ أُخْرَى تحقيقه.

ويتناول هذا الفصل مستقبل القُوَّةِ النَّاعِمَةِ التُّرْكِيَّةِ في ضوء معركة الاستفتاء الدستوري، والسياقات، الإقليمِيَّةِ والدَوْلِيَّةِ، الَّتِي تَمَّتْ فيها، وما هو متوقَّع بعد إقرار تلك التعديلات "بنسبة طفيفة". كما يُحَلِّلُ هذا الفصل من خلال التَّحْلِيلَاتِ السِّيَاسِيَّةِ والاقتصادِيَّةِ الَّتِي تناولت معركة الاستفتاء الدستوري، كيف تَمَّتْ؟ وكيف انتهت؟ إلى ذلك يدرس الفصل أيضاً سياقات النُّظَامِ الرَّئاسِيِّ الَّذِي تَمَّ اعتماده إثر التصويت لصالح تغيير الدُسْتُور التُّرْكِيِّ، وذلك من خلال عدد من المباحث المختلفة.

وكما سلف ذكره في الفصول السابقة، فإنَّ تأثير القُوَّةِ النَّاعِمَةِ على النمط التُّرْكِيِّ، قد أبرز إحدى أوجه قدراته في امتحان التعديل الدُسْتُوريِّ الأخير، داخِلياً وخارجياً؛ حيث تغلغت تأثيراتها بشكل كبير بين مواطني الدَوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ الحديثة، وسيطرت بشكل كبير على الوضع الدَّاخِليِّ، حتى بات الشعب جيش الدَوْلَةِ وحامي النُّظَامِ، والنُّظَامِ حامي الشعب والدَوْلَةِ والقيَمِ الدِّينيَّةِ والديمقراطيَّةِ.

المبحث الأول

الطريق إلى الاستفتاء الدستوري.. أجواء ما قبل التصويت

لم تكن إرهابات ما قبل الاستفتاء على تعديلات الدُستور التركي، تشير إلا لكثير من المشاكل والأزمات التي تثيرها تلك التعديلات، فرغم أن الهدف من تلك التعديلات هو تحديث الدستور (1) الذي تمّت كتابته منذ نحو 37 عاماً خلت، وبالتحديد في عام 1980م، وهو الدُستور الذي وضعه الرئيس التركي الأسبق الجنرال كنعان أيضرين (2)، عقب انقلاب عسكري وقع في 12 سبتمبر 1980م (3)، إلا أن البعض رآه تعزيزاً للسلطات التي يتّمنّع بها الرئيس الحالي، والمتوقّع كذلك، السيّد رجب طيّب أردوغان، واتّجاه البلاد نحو منزلق الدكتاتورية بتعديلات دستورية وقانونية.

يأتي ذلك على الرّغم من وجود الكثير من مواد ذلك الدُستور تعيق حركة الديموقراطية في الأساس، منها مواصلة فرض الرقابة والوصاية على أجهزة الدّولة وهيئاتها المختلفة بعد ترك السُّلطة السّياسية للمدنيين؛ حيث تمّ تأسيس "مجلس الدّولة الرقابي"، وهو جهاز مستحدث في دستور 1980م، الغرض منه التفتيش على الوزارات، ومراقبة رئاسة الوزراء (4).

1. الدُستور هو مجموعة من القواعد التي تُبيّن شكل الدولة وطريقة ممارسة السلطة وانتقالها، والعلاقة بين القابضين عليها، كما يبيّن الحقوق والحريّات العامة، بصرف النظر عمّا إذا كانت هذه القواعد مكتوبة أو غير مكتوبة. للمزيد يُنظر: حنان محمد القيسي، النُّظريّة العامة في القانون الدستوري، المركز القومي للإصدارات القانونية، 2015م.
2. كنعان أيضرين (17 يوليو 1917- 9 مايو 2015م)، رئيس تركيا خلال الفترة من 12 سبتمبر 1980م إلى 9 نوفمبر 1989م، إثر انقلاب قاده مع فريق من ضباط الجيش التركي، في 12 سبتمبر من عام 1980م. للمزيد يُنظر: "تفاصيل ما قام به أيضرين عقب انقلاب عام 1980 في تركيا"، ترك برس، 10 مايو 2015، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/A4YRNi
3. "محاكمة تاريخية لمنفّذي انقلاب 1980م في تركيا"، دويتش فيله، 4 أبريل 2012م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bH38hh
4. طارق عبدالجليل، العسكر والدستور في تركيا، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة، 2012م، ص 102.

وشهدت المناقشات ما قبل الاستفتاء الكثير من المشادات اللفظية التي تحوّلت في بعض الأحيان إلى مشادات كلامية ومشاجرات وتشابك بالأيدي بين المؤيدين والمعارضين، فأثبتت تلك التعديلات، بلا شك، أنها الأكثر إثارة للجدل منذ عقود؛ حيث تحوّلت من استفتاء على تعديلات دستورية دائمة، إلى استفتاء على شخص الرئيس أردوغان نفسه.

وبموجب تلك التعديلات التي تمّ إقرارها في 16 أبريل 2017م، تحوّلت تركيا من النظام البرلماني إلى النظام الرئاسي الذي يتّبع فيه رئيس الجمهورية بصلاحيات واسعة (أي: أشبه ما يكون بالنظامين الأمريكي والفرنسي).

ومن التغييرات التي تضمنتها التعديلات الجديدة، المستفتى عليها: إلغاء منصب رئيس الوزراء، واستحداث منصبين أو ثلاثة لنواب الرئيس، الذي سيتحول إلى رئيس للسلطة التنفيذية إضافة إلى صلاحياته كرئيس للدولة، كما سيحتفظ بارتباطاته بحزبه السياسي، كما ستصبح لرئيس الجمهورية صلاحيات واسعة منها تعيين الوزراء، وإعداد الميزانية، واختيار كبار القضاة وسنّ قوانين معينة بمراسيم رئاسية.

وفي مقابل ذلك ستحرّم التعديلات الجديدة البرلمان من حقّه في استجواب الوزراء، أو المطالبة بتحقيقات في أدائهم، ولكن سيحتفظ بحقه في بدء إجراءات تجميد الرئيس، أو التحقيق معه بموجب تصويت أغلبية النواب. وستتطلب إحالة الرئيس إلى القضاء موافقة ثلثي النواب، مع زيادة عدد نواب البرلمان من 550 إلى 600 نائب. ومن بين التعديلات أيضاً، أن تُجرى الانتخابات الرئاسية والنيابية في نفس التاريخ كل 5 سنوات، وتحدّد ولاية الرئيس بفترتين رئاسيتين⁽¹⁾.

1. "أهم التعديلات الدستورية الممهّدة للنظام الرئاسي في تركيا (إطار)"، وكالة الأناضول للأخبار، 21 يناير 2017م، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FNHR7x

القوة التركية الناعمة

ويرى المؤيدون لتلك التعديلات، وعلى رأسهم الحكومة التركية، والرئيس السيد رجب طيب أردوغان على وجه الخصوص، بأن هذه الإصلاحات سوف تعمل على تسهيل عملية صنع القرار، وتجنب البلاد شرور الائتلافات البرلمانية التي قيدت تقدمها في الماضي. (1) ويقول مؤيدو التعديلات: إنه بما أن الرئيس لن ينتخب من قبل البرلمان بل مباشرة من قبل الشعب، لا يجب عليه أن يتنافس مع زعيم منتخب آخر، وهو رئيس الوزراء، من أجل سن القوانين كما هو معمول به في النظام الحالي، بل إن تلك التعديلات قد تقوض من حركة الإرهاب الأسود الذي انتشر في تركيا مؤخراً، وأودى بحياة 500 شخص في الأشهر الـ 18 الأخيرة (2).

في المقابل، فإن المنتقدين لتلك التعديلات يردون بالقول: إن النظام الرئاسي جيد إذا تم تطبيقه في بلد تعمل فيه أدوات فعالة للرقابة والتحقق كالولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث برهن القضاء المستقل على استعداده للوقوف بوجه دونالد ترامب، وأثبتت الصحافة الحرة قدرتها على محاسبته حول سياساته المثيرة للجدل، ولكن في تركيا، التي شهدت تدهوراً في استقلالية القضاء وتقع الآن في المرتبة 155 من 180 بلداً في سلم حرية الصحافة (3)، فإن تمرير الدستور الجديد سيقتضي على الديمقراطية، لحساب توجهات الرئيس السيد رجب طيب أردوغان السلطوية، في إشارة إلى اعتقال أو فصل أكثر من 140 ألف شخص منذ المحاولة الانقلابية الفاشلة التي جرت في يوليو 2016م. (4)

1. "مشاهير تركيا على جبهتين متضادتين بسبب الدستور"، صحيفة العرب اللندنية، 28 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4lho8G
2. ما هي دوافع إجراء الاستفتاء الدستوري في تركيا؟، موقع bbc العربية، 13 أبريل 2017م، تاريخ الزيارة 27 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/PIT4G
3. انظر: الموقع الرسمي لمنظمة مراسلون بلا حدود، 24 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UmfoPR
4. Turkey's 18-month state of emergency has led to profound human rights violations – UN report، مارس 2018م، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018م، متاح على 20 "news.un" موقع أخبار الأمم المتحدة، الرابط التالي: <https://goo.gl/MCxpdu>

ومع هذا التنافر الشديد بين المؤيدين والمعارضين ظهرت الكثير من الأخبار والاجتهادات الصحفية التي أشارت إلى عملية تربيطات واسعة قبل إجراء الانتخابات؛ حيث اضطرَّ حزب العدالة والتنمية الحاكم إلى الاعتماد على دعم حزب الحركة القومية (1) Milliyetçi (MHP Hareket Partisi) اليميني من أجل تمرير قانون إجراء الاستفتاء حول الدستور.

وكانت تصريحات سابقة في لقاء لرئيس الوزراء بن علي يلدرم مع القناة الإخبارية التركية TRT، مساء الجمعة 20 يناير 2017م، قد ركزت على اختلاف نهج كل من الحركة القومية المعارضة والعدالة والتنمية الحاكم، لكن هدفهما واحد في هذه المرحلة؛ إذ يدافع كلاهما عن حصول تعديلات في الدستور التركي، واختفاء ما عبر عنه السيد يلدرم بـ"الانقسام بين السياسة والبيروقراطية".

أما المعارضة المناوئة لمشروع التعديل الدستوري لسنة 2017م، والتي قادها كل من حزب الشعب الجمهوري (2) (يسار الوسط) وحزب الشعوب الديمقراطي الموالي للأكراد، فكانوا يرون أن إجراء الاستفتاء في ظل قوانين الطوارئ يعرضه للطعن بعدم النزاهة والحرية، فلن يكون الناخبون أحراراً للتصويت برفض تلك التعديلات. وقبيل ساعات من إجراء الاستفتاء، تباينت نتائج استطلاعات الآراء، إلا أن كل المؤشرات أكدت أن الفارق بين المؤيدين والمعارضين سيكون ضئيلاً جداً، وهو ما حدث بالفعل (3).

1. يعرف أيضاً بحزب العمل القومي، تأسس في 9 فبراير 1969م، ويترأسه حالياً دولت بهجه لي. وكما يشير اسمه، فهو تنظيم سياسي يميني يرتكز على العقيدة والهوية التركية القومية؛ إذ يتبنى مواقف متشددة تجاه كل القضايا التي تمسُّ بمرتكزات الانتماء والقومية، بما فيها عملية السلام مع الأكراد، ومسألة انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي. للمزيد يُنظر: "حزب العمل القومي (MHP)"، الجزيرة نت، ت، 3 أكتوبر 2004، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wKVLmq

2. حزب الشعب الجمهوري، حزب قومي تركي تأسس في عام 1923م تحت اسم "الفرقة الشعبية"، أسسه مصطفى كمال أتاتورك مؤسس الجمهورية التركية، وقد حكم الحزب تركيا منفرداً لنحو 27 عاماً، وهو حالياً من أكبر أحزاب المعارضة في البلاد. للمزيد يُنظر: "تعرف على حزب الشعب الجمهوري أكبر أحزاب المعارضة في تركيا"، ترك برس، 9 أكتوبر 2015، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xy52Df

3. مارك لايون، "ما هي دوافع إجراء الاستفتاء الدستوري في تركيا؟"، بي بي سي عربي، 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GBcgwm

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

كان الوضع قبل إجراء الاستفتاء، رهاناً كبيراً على قُوَّة تركيا النَّاعِمَة، وقُدْرَة حزب العدالة والنَّمِيَّة ورئيسه ورئيس الدولة التُّرْكِيَّة السَّيِّد رجب طيِّب أردوغان، على إقناع شعبه بقدرته على السَّيْطَرَة والحُكْم بنفوذ أكبر، في سبيل استمرار الإنجازات الاقتصادية والسَّيَّاسِيَّة الَّتِي تَحَدَّثْنَا عنها في فصول سابقة. وأصبح مستقبل تركيا رهينةً للتصويت بـ "نعم"؛ حيث إنه في حالة رفض الشعب التُّرْكِيَّ التعديلات الدُسْتُورِيَّة فهو بمثابة تصويت على إسقاط حُكْم العدالة والنَّمِيَّة الَّلَّذِي دام أكثر من 15 عاماً. وَرَغْمَ تباين الاتجاهات بين المؤيِّدِين والمعارضِين، إلا أن الجانبين اتفقا على أن تلك التعديلات الدُسْتُورِيَّة تعيد تركيا إلى سلطنة عثمانِيَّة، يرفضها العلمانيون، ويرأها المؤيِّدُونَ "ديمقراطية تناسب الشعب التُّرْكِيَّ ذي الإرث التَّارِيخِيَّ العريق".

وقد شهدت أجواء ما قبل إجراء الاستفتاء عدَّة ملاحظات رَصَدَهَا بعض الباحثين والمحلِّلِين السَّيَّاسِيِين؛ منها:

- صعود الخطاب القوِّميِّ في تركيا؛ حيث باتت خطابات الرئيس السَّيِّد رجب طيِّب أردوغان تستند على الإرث التَّارِيخِيَّ للدولة العُثمَانِيَّة؛ الَّتِي كانت تسيطر على أجزاء واسعة من العالم في القرن الماضي، فنجد أنه استخدم أوراق ضَمِّ الموصل (1) العِراقِيَّة إلى الأراضي التُّرْكِيَّة؛ بِحُجَّةِ أنها كانت تحت السَّيْطَرَة العُثمَانِيَّة، وأيضاً

1. كانت ولاية الموصل التي تَصُمُّ معظم حواضر شمال العراق؛ الموصل، ودهوك، وأربيل، والسليمانية، وكركوك، ولاية تركِيَّة، حتى عام 1918 حينما انتهت الحرب العالميَّة الأولى، وحيث تمَّ توقيع اتفاقية موندروس بين الدولة العُثمَانِيَّة والحلفاء، والتي بموجبها تمَّ ترسيم حُطِّ وقف إطلاق النار بين الجانبين والذي يبعد عن مدينتي أربيل والموصل حوالي 50 كيلو متراً، إلا أن الجيش البريطاني انتهك تلك الاتفاقية وتقدَّم مُحتلًّا المنطقة ليتم اقتطاع الموصل من الأناضول وتصبح تحت النفوذ البريطاني بعد اتفاقية لوزان، عام 1923م، بين تركيا وبريطانيا. للمزيد يُنظَر: "تركيا: الموصل اقتطعت من أراضينا!"، صحيفة إيلاف الإلكترونيَّة، 22 أكتوبر 2016م، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WCuGir

حلب (1) السُّورِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ جِزَاءً مِنَ الْأَرْضِي الْعُثْمَانِيَّةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الْجُزُرِ الحُدُودِيَّةِ مَعَ الْيُونَانِ فِي بَحْرِ إِيجِه (2)، وَهِيَ أَحَدُ أَدَوَاتِ الْقُوَّةِ النَّاعِمَةِ الَّتِي مَهَّدَتْ لِتَأْيِيدِ الشَّعْبِ التُّرْكِيِّ لِلتَّعْدِيلَاتِ الَّتِي تَمْنَحُهُ السَّيْطَرَةَ عَلَى بَعْضِ مِنْ حُدُودِهِ الْإِقْلِيمِيَّةِ، وَتَبْرُزُ الْقُدْرَاتِ وَالتَّقْوُقِ السِّيَاسِيَّ لِلْأَتْرَاكِ، خَاصَّةً أَنَّ الْخَطَابَ الَّذِي كَانَ مَفَادَهُ أَنَّ الْإِسْتِفْتَاءَ يَصُبُّ فِي مَصْلَحَةِ الْبِلَادِ.

- ارتفاع وتيرة الإرهاب خلال عام 2016م؛ حيث لم يكن يمرُّ شهرٌ من دون وقوع تفجير يُسْفِرُ عن ضحايا من الأتراك والأجانب، كان يتبناها في الغالب ما يُعرَفُ بتنظيم الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ "داعش"، ما أدخل السَّيَاحَةَ التُّرْكِيَّةَ فِي مَرَحَلَةٍ مِنَ الرُّكُودِ جَرَّاءَ فَرَضِ عِدَّةِ دُولٍ حَظْرًا عَلَى السَّفَرِ إِلَى تَرْكِيَا؛ بِاعْتِبَارِهَا دَوْلَةً غَيْرِ أَمْنِيَّةٍ، وَهُوَ مَا اسْتَوْجَبَ مَعَهُ السَّيْطَرَةَ عَلَى الْإِنْفِلَاتِ الْأَمْنِيَّةِ الْحَاصِلِ فِي الْبِلَادِ؛ مِنْ خِلَالِ تَعْدِيلَاتٍ تَمْنَحُ الرَّئِيسَ سُلْطَاتٍ أَكْبَرَ، وَتَوَافُقِ مُجْتَمَعِيَّ خَلْفَهُ (3).
- تصاعد التوتُّنرات بين أوروبا وتركيا على خَلْفِيَّةِ رَفْضِ هَوْلَنْدَا دُخُولَ وَزِيرِ خَارِجِيَّةِ تَرْكِيَا أَرْضِيهَا، وَتَهْدِيدِ أَنْقَرَةَ بِـ "عَوَاقِبَ وَخِيْمَةَ"؛ حَيْثُ اتَّخَذَتْ عَلَى

1. أصبحت حلب ولاية عثمانية منذ عام 1516 بعد معركة "مرج دابق" الشهيرة بين الأتراك والمماليك؛ حيث دخلت قُوَّاتُ السُلْطَانِ الْعُثْمَانِيِّ سَلِيمِ الْأَوَّلِ الْمَدِينَةَ دُونَ مَقَاوِمَةٍ مِنْ أَهْلِهَا بِلِ بَتَرْحِيْبٍ كَبِيرٍ مِنْهُمْ لِتَصْبِحَ حَلِبَ بَعْدَهَا إِحْدَى أَهَمِّ وَلايَاتِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَلا يَقْتَرِبُ مِنْهَا فِي الْمَكَانَةِ إِلَّا إِسْطَنْبُولُ، حَاضِرَةُ الدَّوْلَةِ، وَالْقَاهِرَةُ. لِلْمَزِيدِ يُنْظَرُ: كَرِيمُ عَبْدِ الْمَجِيدِ، "حَلِبُ تَحْتَ الْحُكْمِ الْعُثْمَانِيِّ.. هَكَذَا كَانَتْ الْمَدِينَةُ"، إِضَاءَاتُ، 6 أَيْسُطُسِ 2016، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ: 25 أَيْسُطُسِ 2018م، مَتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ التَّالِي: goo.gl/BNLBQ3
2. أصبحت كَافَّةُ الْجُزُرِ الْوَاقِعَةِ بِمَنْطِقَةِ بَحْرِ إِيجِهِ تَحْتَ سِيَادَةِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ مِنْذُ عَامِ 1718، بِمَوْجِبِ مِعَاهِدَةِ "بَاسَارُوفْجَا" بَيْنَ كُلِّ مِنَ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ مِنْ جِهَةِ النَّمْسَا وَجُمْهُورِيَّةِ الْبَنْدَقِيَّةِ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى، فِي حَيْثُ أَنَّ تَأْسِيسَ الدَّوْلَةِ الْيُونَانِيَّةِ الْحَدِيثَةِ يَرْجِعُ إِلَى عَامِ 1830م. لِلْمَزِيدِ يُنْظَرُ: فَاتِحُ أَرِبَاشُ، أَمْرَةٌ "قَارْدَاقُ" وَادِّعَاءَاتُ الْيُونَانِ الْبَاطِلَةُ فِي بَحْرِ إِيجِهِ، وَكَالَةُ الْأَنْاضُولِ لِلْأَنْبَاءِ، 10 فَبْرَايِرِ 2017، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ: 25 أَيْسُطُسِ 2018م، مَتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ التَّالِي: goo.gl/MXvpXf
3. مُحَمَّدُ حَامِدُ، "اسْتِفْتَاءُ التَّعْدِيلَاتِ الدُّسْتُورِيَّةِ فِي تَرْكِيَا وَالْمَخَاوِفُ مِنْ دِيكْتَاتُورِيَّةِ أَرْدُوْغَانَ"، مَرْكَزُ الْمُسْتَقْبَلِ لِلدَّرَاسَاتِ الْإِسْتِرَاطِيْجِيَّةِ، نُشِرَتْ بِصَحِيفَةِ الزَّمَانِ التُّرْكِيَّةِ، 15 مَارْسِ 2017م، مَتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ التَّالِي: <https://goo.gl/9ckJ0C>

القوة التركيبية الناعمة

الفور عدّة إجراءات دُبُلوما سيّة ضدّ هولندا، التي منعت وزيرة تركيّة من دخول قنصليّة بلادها (1)، وهو ما أثار على الحملة التي أطلقتها السلطات التركيبية بين رعاياها في أوروبا من أجل التصويت بالاستفتاء، وبخلاف هولندا، فقد قامت بعض المدن الألمانيّة بإلغاء تجمّعات مؤيِّدة للرئيس أردوغان، وهو ما جعل الأخير يتهم ألمانيا باللجوء إلى "ممارسات نازية" (2)، ما أثار غضب برلين وبروكسل، إلا أنّ المستشار الألمانيّة أنجيلا ميركل (3) دعت إلى "ضبط النفس"؛ حيث إن أكبر جالية تركيّة في العالم تقيم في ألمانيا (4)، ويصل تعدادها إلى 3 ملايين نسمة (5)؛

1. "حملة الاستفتاء الدستوري تصعد التوترات بين أوروبا وتركيا"، دويتش فيله، 11 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9aDWII
2. كانت ولاية بادن-فورتمبيرغ الألمانيّة، قد ألفت فعاليّات انتخابية كان سيحضرها مسؤولون أترك خلال حملة التعريف بالتعدّلات الدستوريّة التي جرى الاستفتاء عليها في وقت لاحق ونقلت البلاد إلى النّظام الرئاسي، الأمر الذي أدّى إلى توتر العلاقات التركيبية الألمانيّة وخاصّة بعد تصريحات الرئيس أردوغان التي خاطب فيها الحكومة الألمانيّة قائلاً "يا ألمانيا! أنتم حتى لا تقفون بالقرب من الديمقراطيّة! تصرّفاتكم لا تختلف عن تصرّفات النازيين في الماضي". للمزيد يُنظر: "أردوغان: منع ألمانيا لتجمّع الأتراك لا يختلف عن ممارسات النازية"، روسيا اليوم، 5 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iq14rW
3. أنجيلا دوروتيا ميركل: سياسيّة ألمانيّة تشغل منصب المستشار الألمانيّة. وهي زعيمة حزب الاتّحاد الديمقراطي المسيحي (CDU)، كانت عالمة أبحاث سابقة تحمل شهادة دكتوراه في الكيمياء الفيزيائيّة، ثم دخلت السياسة في أعقاب ثورات 1989م، عُيِّنت ميركل بمنصب وزيرة المرأة والشباب في الحكومة الاتّحادية تحت قيادة المستشار هيلموت كول في عام 1991م، وبعدها أصبحت وزيرة البيئة في عام 1994م. وفي عام 2005م، عُيِّنت بعد الانتخابات الاتّحادية في منصب مستشارة لألمانيا، وهي أول امرأة تتولّى هذا المنصب. سُمِّيت مرّتين ثاني أقوى شخص في العالم بواسطة مجلة فوربس، وهو أعلى تصنيف من أيّ وقت مضى حقّقته امرأة. للمزيد يُنظر: "أنجيلا ميركل: من نادلّة إلى أول مستشارة في تاريخ ألمانيا"، دويتش فيله، د. ت، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oRqyqm
4. تعود بدايات تدفّق الأتراك على ألمانيا إلى ستينيّات القرن الماضي؛ حيث قامت ألمانيا التي كانت تعاني حينها من نقص اليد العاملة الماهرة وحجّبة إعادة إعمار ما بعد الحرب العالميّة الثانية، باستقدام عشرات الآلاف من الأتراك للعمل لديها ضمن ما عرف وقتها ببرنامج "العمال الضيوف". للمزيد يُنظر: "الجالية التركيبية بألمانيا.. أكبر تجمع للأتراك بالخارج"، الجزيرة نت، 18 سبتمبر 2017، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9Ahr44
5. "أتراك ألمانيا والخارج عامل حسم في انتخابات تركيا"، دويتش فيله، 14 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/k5b1uE

منهم 1.4 مليون مؤهلين للمشاركة في الفعاليات التصويتية التركية (1)، وهو رقم مهم لأنقرة في ظرفيتها هذه؛ بغية اجتذاب أكبر عدد منهم للتصويت بنعم في الاستفتاء على تعديل الدستور. ونفس الأمر ينطبق على هولندا التي يعيش فيها نحو 400 ألف شخص من أصول تركية (2)، منهم نحو 250 ألفاً لهم حق التصويت (3)، إضافة إلى فرنسا، وغيرها من الدول الأوروبية. وفي مسارٍ معاكسٍ لمسار الحملة على الاستفتاء، أعلنت سويسرا والنمسا منع تجمعات على أراضيها، يشارك فيها أعضاء من حزب العدالة والتنمية الحاكم التركي؛ معللة ذلك بخشيتها من حدوث اضطرابات أمنية (4).

• دخول تركيا حالة من عدم الاستقرار السياسي بعد الانتخابات التشريعية في يونيو 2015م، والذهاب إلى انتخابات برلمانية مبكرة في نوفمبر من العام نفسه، ثم الانقلاب العسكري الفاشل في يوليو 2017م؛ حيث تحركت بعض الآليات العسكرية، وانتشر الجنود على بعض الطرقات، وأذيع البيان رقم (5) بعزل الرئيس أردوغان، ولكن الأمور عادت سريعاً، بسيطرة السلطة الشرعية على مقاليد الأمور (6)، إلا أن هذا الانقلاب السريع خلط الأوراق، وأوجد بيئة جعلت

1. "انتخابات تركيا: المغتربون يلعبون دوراً حاسماً في التصويت لأردوغان"، بي بي سي عربي، 22 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8hW3KZ
2. الجالية التركية في هولندا .. من التهميش إلى قاعة البرلمان"، نيو ترك بوست، د. ت، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LTRaZU
3. "انتخابات تركيا: المغتربون يلعبون دوراً حاسماً في التصويت لأردوغان"، مرجع سابق.
4. "حملة الاستفتاء الدستوري تصعد التوترات بين أوروبا وتركيا"، دويتش فيله، 11 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9aDWII
5. عمرو أبو السعود، تامر عرفات، "الزلازل التركي.. توابع انقلاب الساعات الستة"، كتاب اليوم، دار أخبار اليوم، القاهرة، أغسطس 2016م، ص 11.
6. المرجع السابق.

من إمكانية التَّحَوُّلِ إلى النُّظَامِ الرَّئَاسِيِّ ولو ضمن حزمة تعديلات دستورية محدودة أمراً ممكناً، خاصة مع التَّحَوُّلِ الَّذِي حصل لدى حزب الحركة القوميَّة وانتقاله إلى تأييد الانتقال نحو إدارة الحُكْمِ الرَّئَاسِيَّةِ، واستعداده للعمل مع حزب العدالة والتَّنْمِيَّةِ لإنجاز الهدف.(1)

ووسط هذه الأجواء المشحونة، انطلقت حملة التأييد للتعديلات الدُّسْتُورِيَّةِ؛ حيث أظهرت استطلاعات رأي تُرْكِيَّةٌ أن غالبية ضئيلة من الأتراك، ما بين 51 - 52%، ستُصَوِّتُ بـ "نعم" في الاستفتاء(2)، وعلى صعيد المدن التُّرْكِيَّةِ الكبرى، أظهرت استطلاعات الرأي كذلك أن نسبة التأييد للتعديلات الدُّسْتُورِيَّةِ في أنقرة بلغت 55%، أما في إسطنبول فقد بلغت 53.7%، أما إزمير فقد أشارت استطلاعات الرأي بها أن نحو 49.6% فقط قد أيّدوا التعديلات الدُّسْتُورِيَّةِ(3).

وفي داخل حزب العدالة والتَّنْمِيَّةِ نفسه، كان معظم مؤسسي الحزب ينظرون إلى الأمر بتحفظ، وكذلك مُخَضَّرْمُو ومُؤَسَّسُو الحزب، مثل الرئيس السابق عبدالله غول، ونائب رئيس الوزراء السابق بولنت أرنتيش، ونائب رئيس الحزب السابق محمد علي شاهين(4)، كانوا ميَّالين إلى كتابة دستور جديد، وتطوير وتحديث النُّظَامِ البرلماني،

1. ماجد عزام، "ملاحظات أساسية حول الاستفتاء الدستوري في تركيا"، عربي 21، 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/67jueq
2. "استطلاعات رأي تركية: تقدّم طفيف لمؤيدي التعديلات الدُّسْتُورِيَّةِ"، بي بي سي عربي، 12 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9r2iUT
3. "استطلاع رأي: مدن تركيا الكبرى تؤيّد التعديلات الدُّسْتُورِيَّةِ"، تركيا بوست، 9 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/TnsLTu
4. رئيس ديوان مؤتمر حزب العدالة والتَّنْمِيَّةِ، نائب رئيس الحزب السابق للشؤون السِّياسِيَّةِ والقانونية، ووزير العدل الأسبق، وهو صديق الطفولة للرئيس رجب طيِّب أردوغان بمنطقة قاسم باشا، وكان رفيقه في حزب الرفاه منذ عام 1980م.

بينما بدا رئيس الوزراء السابق وأبرز شخصيات الجيل الثاني للحزب، أحمد داود أوغلو مُتَرَدِّداً، أو مُؤَيِّداً للتعديلات ولكن بدون حماس كبير(1)، ومع مقاربة لافتة ترى أن الوقت غير مناسب أو على الأقل أن التحوُّل الدستوري لا يمثل أولوية قياسية إلى التحدّيات التي يواجهها البلد.

في المقابل فإنّ حملة معارضة التعديلات بدأت متأخرة ضعيفة، وحاولت التركيز على الرئيس أردوغان شخصياً، بدلاً من مناقشة فحوى ومضمون التعديلات التي اتّضح أن أغلب المعارضين غير مُلمِّين بها، وعجزت الحملة بالتأكيد عن خلق حالة اصطفاة وطني معارضة مقابل تلك المؤيِّدة والداعمة(2).

1. "رئيس الوزراء التركي السابق أوغلو يعرب عن "مخاوف" من التعديلات الدستورية"، صحيفة القدس العربي اللندنية، 18 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LjLS4K

2. ماجد عزام، "ملاحظات أساسية حول الاستفتاء الدستوري في تركيا"، مرجع سابق.

المبحث الثاني

توتر تركي أوروبي..

السياقات الدبلوماسية ما قبل الاستفتاء

أشرنا في المبحث السابق أن أحد أهم إرهابات ما قبل الاستفتاء الدستوري في تركيا، هو حالة التوتر الشديد بين تركيا ودول الاتحاد الأوروبي، خاصة هولندا وألمانيا والنمسا وبلجيكا، وهو ما ظهر خلال الأيام الأخيرة ما قبل الاستفتاء في طريقة التعاطي الأوروبية تجاه الفعاليات الشعبية التي كانت ترغب الحكومة التركية في إقامتها لشرح التعديلات الدستورية لأتراك الخارج.

والأمر لم يقتصر على حظر إقامة الفعاليات الشعبية المؤيدة للتعديلات الدستورية، بسبب الدواعي الأمنية، فقد سمحت بعض الدول الأوروبية بإقامة فعاليات مضادة نظمتها أحزاب معارضة لحث الأتراك على التصويت بـ "لا" لهذه التعديلات (1)، وتخصيص حملات إعلامية وبرامج تلفزيونية تعارض الاستفتاء.

ليس هذا فحسب، بل أعلن الاتحاد الأوروبي، تجسيد المساعدات المالية المقدمة للحكومة التركية (2)، بعد فشلها في تحقيق تقدم في الملفات المطلوبة ضمن مفاوضات حصولها

1. في الوقت الذي منعت فيه دول أوروبية عدة فعاليات جماهيرية للتعريف بالتعديلات الدستورية كان سيحضرها مسؤولون أتراك، احتضنت تلك الدول ومنها ألمانيا فعاليات مشتركة نظمتها أحزاب تركية معارضة في مقدمتها؛ حزب الشعوب الديمقراطي، وحزب الشعب الجمهوري، لحث الجاليات التركية في أوروبا على التصويت برفض تلك التعديلات. للمزيد يُنظر: استفتاء تركيا يكشف زيف حرية التعبير في أوروبا، تركيا بوست، 12 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XZnB4X

2. البرلمان الأوروبي يوافق على تقليص المساعدات المالية لتركيا، يورونيوز، 20 نوفمبر 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7F7pTX

على عضوية كاملة في الاتحاد الأوروبي، كما أصدر البرلمان الأوروبي قراراً غير مُلزم يُطالب المفوضية الأوروبية وحكومات أعضاء الاتحاد بتجميد مفاوضات انضمام تركيا مؤقتاً، بسبب الإجراءات الأمنية، وحملة الاعتقالات التي اتخذتها الحكومة التركية عقب محاولة الانقلاب الفاشلة (1).

وبحسب تحليلات تركية؛ فإن دول الاتحاد الأوروبي ترفض إقرار تلك التعديلات التي من شأنها أن تحوّل تركيا إلى دولة قوية بطريقة دستورية، مُصرين على تقييد الدور التركي وتحجيمه، وإيواء منظمات إرهابية تستهدف الشعب التركي، وتقديم الدعم المالي والوجستي والعسكري لها، وما يدعم هذا الاتجاه خطابات القومية التي تمسك بها الرئيس التركي خلال فترة ما قبل الاستفتاء من جانب، وجمود الموقف التفاوضي بين تركيا والاتحاد الأوروبي من جانب آخر؛ حيث تبدو كثير من الموضوعات مُجمّدة أو مُوجّلة، باستثناءات بسيطة كقانون الشركات، والملكية الفكرية، ومجتمع المعلومات، والضرائب، والبحث العلمي، والبيئة والوقاية الصحية، وكلها موضوعات هامشية، لا تُصب في لب الانضمام للاتحاد الأوروبي (2).

كما يُبرّر المحللون تلك الهجمة الأوروبية؛ بصعود الأحزاب اليمينية المتطرفة في عدد من الدول والتي تستغلّ الأزمات التركية الأوروبية، لتحقيق مكاسب انتخابية من خلال تصدير تصريحات حادة ضد القيادة التركية، والرئيس التركي السيد رجب طيب أردوغان من خلال وصفه بـ "الإسلامي الخطير" الذي يمثّل تهديداً لأوروبا وشعوبها، وأنه يبنّي الحكومات الأوروبية للحصول على الأموال مقابل وقف تدفق اللاجئين، وبالتالي يجب منعه من تعزيز سلطته بأيّ طريقة كانت، ومهما كان الثمن (3).

1. محمد مكاي، الاستفتاء التركي "يزيد الفجوة" بين أنقرة والاتحاد الأوروبي، موقع مصراوي، 17 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/EX3ReU
2. محمد ياس خضير، الدور الأمريكي في سياسة تركيا حيال الاتحاد الأوروبي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، نوفمبر 2010م، ص 211.
3. وسام الدين العلكة، "الاستفتاء الدستوري التركي يكشف الوجه القبيح للديمقراطية الأوروبية"، ترك برس، 13 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/0FuEQ4

القوة التركيبية الناعمة

أضف إلى ذلك أن شخصية الرئيس أردوغان نفسه تمثل مصدر قلق لبعض الدول الأوروبية، التي ستفعل ما بوسعها للحيلولة دون امتلاكه صلاحيات كاملة، وقد باتت الصحف الغربية تتحدث عن المدة المحتملة التي سيحكم فيها أردوغان تركيا، وأنه سيستمر حتى العام 2029م. (1)

والمثير في الأمر أن تلك المقدمات التي ظهرت قبل إجراء الاستفتاء، تؤكدت صحتها بعد ظهور النتيجة بالموافقة على التعديلات؛ حيث بدأت دول أوروبية في توجيه الانتقادات إلى تركيا، بعد ظهور نتائج الاستفتاء واعتبرته يزيد من انقسام الأتراك، وكذلك يخالف الأعراف الأوروبية.

وقد حُصَّ الاتحاد الأوروبي، السلطات التركيبية على السعي إلى أوسع توافق ممكن، وقال في بيان: "انطلاقاً من النتيجة المتقاربة للاستفتاء، والتداعيات البعيدة المدى للتعديلات الدستورية؛ ندعو السلطات التركيبية إلى السعي لأوسع توافق وطني ممكن في تطبيق هذه التعديلات. (2)

ودعت المستشار الألمانية أنجيلا ميركل، أردوغان إلى السعي لإجراء "حوار قائم على الاحترام" مع كل الأحزاب السياسية، وقالت في بيان مشترك مع وزير خارجيتها زيجمار جابرييل: إن "الحكومة الألمانية تحترم حق الأتراك في تقرير دستورهم"، مؤكدة أن "الفارق الضئيل يدل على عمق انقسام المجتمع التركي". (3)

1. Turkey: Erdoğan rule could extend until 2029 under proposal. موقع صحيفة "the guardian". <https://goo.gl/pABRiR>. نوفمبر 2016م، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي 22
2. "لجنة الانتخابات بتركيا تؤكد سلامة التصويت رغم اعتراض المعارضة"، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، 17 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Fp7cLK
3. ميركل تحث أردوغان على "حوار قائم على الاحترام" في تركيا، دويتش فيله، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fgCHR7

أما قصر الرئاسة الفرنسيّ "الإليزيه" فأوضح في بيان رسمي أن النتائج المعلنة تُظهر أن المجتمع التركيّ مُنقسم، وأضاف: "القيّم والالتزامات في إطار مجلس أوروبا تفرض على الحكومة التركيّة إجراء حوار حرّ وصادق مع كافة قطاعات الحياة السياسيّة والاجتماعيّة(1).

الخلاصة: أنه سيكون على أوروبا أن تواجه رئيساً ونظاماً سياسياً في تركيا أقوى مما سبق، كما ستدفع قوّة تركيا الناعمة إلى لعب دور محوريّ أكثر في القضايا الإقليميّة كسوريا والعراق، وسيتاح لها أيضاً إجراء شراكات مع الولايات المتّحدة وروسيا ودول أخرى كالصين من منطلق التمكن والقوّة(2).

1. باريس: الاستفتاء على عقوبة الإعدام في تركيا سيكون انتهاكاً للقيم الأوروبيّة، صحيفة الشروق المصريّة، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/VPDS8s

2. "سيناريوهات ما بعد الاستفتاء على التعديلات الدستوريّة في تركيا"، نون بوست، 16 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/idDibY>

المبحث الثالث

تَطَوُّرَاتُ الْأَزْمَةِ السُّورِيَّةِ

السياقات الإقليمية لما قبل الاستفتاء

إذا كنا نَحَدِّثُنا في الفصل السابق عن التَّوَتُّرِ التُّرْكِيِّ الأوروپِيِّ قبل الاستفتاء، والمتَوَقَّعِ له أن يزداد خلال الفترة المقبلة، كما ذهبنا إلى ذلك كثيرًا من الآراء والتحليلات الصحفية، فإنَّ الأزمة السُّورِيَّةِ كانت بدورها إحدى أبرز الإشكاليات التي أفرزتها السياقات الإقليمية في مرحلة ما قبل الاستفتاء.

وتبدو مشكلة سوريا مُعَقَّدة؛ حيث يُوجَدُ تضارب في المصالح الإقليمية بشكل واضح؛ حيث ترغب دول عربيَّةٌ عدَّة في انتصار السُّنَّةِ في سوريا على نظام الأسد المدعوم من إيران وحلفائه، لكنَّ الأمر يختلف بالنسبة لتركيا؛ فهي تُؤيِّدُ المطالب المشروعة للشعب السوري، ولديها رؤية مستقبلية لسوريا الديمقراطية. من ناحية أخرى، تعمل إيران جاهدةً للحفاظ على علاقاتها المتينة بحزب الله في لبنان، الذي يُعدُّ حليفها في «جبهة المقاومة» ضدَّ إسرائيل منذ فترة طويلة، والقادر على مواصلة السِّيَّاسَاتِ الإقليمية لإيران، بواسطة الأسد أو بدونه.

دولياً، تدعم روسيا النظام السوري، ضدَّ ما تُعْتَبِرُهُ حملةً غربيَّةً بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية للانقضاض على مصالحها الإقليمية، فإذا ما سقط النظام السُّورِيُّ قد تتعرَّضُ مصالح روسيا في البحر الأبيض المتوسط للخطر، على أقلِّ تقديرٍ، أما الولايات المتحدة فلا ترى أيَّةَ مصالح حيويَّةٍ في سوريَّةٍ حتى تدخل في مساومة مع روسيا. الولايات المتحدة لديها مصلحة في إقامة نظام ديمقراطيٍّ بمرحلة ما بعد الأسد، وأيضاً لها مصلحة في تحجيم النفوذ الإيراني في سوريا، مع ذلك، فالولايات

المتَّجدة شديدة الحذر بشأن شَنْ عَمَلِيَّة عَسْكَرِيَّة، رغم ارتفاع الأصوات الداعية إلى التَّدخُل العَسْكَرِيّ في سوريا بالأونة الأخيرة، لا سيَّما بعد تجاربها في العراق وأفغانستان، الأمر الَّذِي لا تريد تكراره.(1)

على الجانب الآخر، نجد أن العلاقات التُّركِيَّة السُّوريَّة شهدت الكثير من التحوُّلات، إلا أنه قبل اندلاع الاضطرابات بوقتٍ قصيرٍ كانت العلاقات جيِّدة؛ حيث قام الرئيس السوري بشار الأسد(2) في 6 يناير 2004م بزيارة إلى تركيا(3)، اعتبرها المحلِّون مُؤشِّراً على تغييرات في نسق التحالف بين الدولتين، وبداية عهد جديد للعلاقات التُّركِيَّة السُّوريَّة، وهو ما تبعه العديد من الاتِّفاقيَّات الاقتصاديَّة والأمنيَّة والسِّياسِيَّة، ما جعل تركيا الدَّولة الأكثر تأثُّراً بالأزمة السُّوريَّة(4).

1. أرول چيچي وقادر أوستن، "سياسة تركيا تجاه الأزمة السُّوريَّة"، مجلة رؤية تركيَّة، العدد 3، خريف 2012م، تاريخ الزيارة 25 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8HpdGN
2. وُلِد بشار الأسد في 11 سبتمبر 1965م، وهو الابن الأصغر لوالده حافظ الأسد الرئيس السوري السابق، درس الطب في جامعة دمشق، وتخرَّج منها في العام 1988م، وتخصَّص في طب العيون ببريطانيا التي عاد منها في العام 1994م، لم يكن معروفاً في سوريا حتى وفاة أخيه الأكبر بآسل الأسد في حادث سيارة عام 1994م؛ حيث كان باسل هو الوريث المُقرَّر لخلافة والده في حُكم سوريا. وبالتالي اتَّخذ الأسد الأب قراره بإعداد نجله بشار لرئاسة البلاد، وبشكل عاجل، فنمَّ إلحاقه بالقُوَّات المُسلَّحة في العام 1994م، وتدرَّج فيها بسرعة بالغة فلم يأت العام 2000 حتى أصبح قائداً للجيش السوري. وبعد وفاة الأسد الأب في يونيو 2000م، اجتمع البرلمان السوري لتعديل المادة (83) من الدستور التي كانت تُحدِّد سنَّ الأربعين كشرط للترشح لرئاسة الجمهورية، ليصبح السنُّ المُحدَّد هو 34 عاماً، وبالتالي ترشَّح بشار للانتخابات الرئاسِيَّة وأصبح رئيساً للبلاد في يوليو 2000م. وفي عام 2001 تزوَّج بشار الأسد من أسماء الأخرس، وهي مواطنة سوريَّة مولودة في بريطانيا. للمزيد يُنظر: "بشار الأسد"، الجزيرة نت، 3 أكتوبر 2004م، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/sdyfZT
3. "الرئيس السوري في زيارة تاريخية لتركيا"، وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، 6 يناير 2004م، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oduFjG
4. عقيل سعيد محفوظ، سوريا وتركيا الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، لبنان، أكتوبر 2009م، ص 87.

ومن هنا نجد أن الدور التُّرْكِيَّ منذ بداية الأزمة يحاول إقناع النُّظَامِ السُّورِيَّ بالحلول السلمية، خاصةً أن العلاقة بينهما كانت جيِّدةً، قبل اندلاع الاضطرابات، إلا أن الأخير رفض، وهو ما خيَّب آمال تركيا، وجعلها تتخذ موقفاً صارماً ضدَّ الأسد، وتستضيف فعاليَّات المعارضة السُّورِيَّةَ على أراضيها مُبَكِّراً منذ العام 2011(1).

1. بالتوازي مع إعلان تركيا إغلاق سفارتها في دمشق، في مارس 2012م، بسبب تدهور الظروف الأمنية في البلاد، بدأت تركيا تحتضن فعاليَّاتٍ رُسميَّةً لقُوَى المعارضة السُّورِيَّةَ التي انبثقت عن الثورة السُّورِيَّةَ التي اندلعت قبل ذلك التاريخ بنحو عام، وقبلها كانت تركيا تسمح للفعاليَّات السُّورِيَّةَ المعارضة بعقد اجتماعاتها تحت مظلة قُوَى ومُنظَّمات المجتمع المدنيِّ التركي. وعادة ما تحتضن تركيا اجتماعات ومؤتمرات لقوى المعارضة السُّورِيَّةَ لبحث مستقبل الثورة ومستقبل الحكم في سوريا ما بعد الأسد، من ذلك مؤتمر المجلس الوطني السُّورِيَّ الذي احتضنته تركيا في مارس 2012م، للاتفاق على خطةٍ موحَّدة للإطاحة بالرئيس السُّورِيَّ بشار الأسد، واجتماع الائتلاف الوطنيِّ لقُوَى الثورة والمعارضة السُّورِيَّةَ، في يناير 2014م، لمناقشة قرار المشاركة في محادثات جنيف. للمزيد يُنظَر: "العلاقات بين سوريا وتركيا منذ اندلاع الحرب"، بي بي سي عربي، 13 يوليو 2016، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/AtAWZU
أما عن الدَّعمِ التُّرْكِيِّ للمعارضة السُّورِيَّةَ فيتَّسعُ ليشمل إلى جانب الدعم السياسيِّ والدبلوماسيِّ والإعلاميِّ دعماً لوجسٲتياً وعسكرياً، ففي فبراير من العام 2015م، أعلن وزير الخارِجِيَّةِ التُّرْكِيَّ مولود جاويش أوغلو، أن بلاده وقَّعت مع الولايات المتَّحدة الأمريكية اتفاق "تدريب وتجهيز"، لتدريب وإعداد عناصر من المعارضة السُّورِيَّةَ، لمواجهة قُوَى النُّظَامِ السُّورِيَّ، وتنظيم الدولة الإسلامية "داعش" وكافة التَّنظيمات الإرهابية في سوريا. كما تدفع تركيا باتجاه تحويل الجيش السُّورِيَّ الحُرَّ إلى جيش نظامي، ففي فبراير 2017م قال الرئيس التُّرْكِيَّ رجب طيِّب أردوغان: إن «الجيش السُّورِيَّ الحُرَّ» ينبغي أن يكون هو «الجيش الوطني» لسوريا في المرحلة المقبلة. للمزيد يُنظَر:
- تركيا وأمريكا تُوقِّعان اتفاق تدريب المعارضة السُّورِيَّةَ، صحيفة الشرق القطريَّةَ، 19 فبراير 2015، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DBzXaZ
- دعم تركي للمعارضة السُّورِيَّةَ لتشكيل «الجيش الوطني»، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، 18 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GX5Kvi

ومنذ ذلك الحين تسعى تركيا إلى لفت أنظار القُوَى الدَّوْلِيَّةِ إلى الأُزمة في سوريا، وتُقدِّمُ الدعمَ للمُعَارَضَةِ السُّورِيَّةِ داخل تركيا وفي سوريا، كما تَجَنَّبَتْ أنقرة القيام بأيِّ عملٍ عَسْكَرِيٍّ بمفردها، كما دَعَتْ تركيا إلى إنشاء مناطق آمنة (1) (ومنطقة حظر جَوِّيٍّ) داخل الأراضِي السُّورِيَّةِ للحدِّ من تدفُّقِ أعدادِ اللَّاجِئِينَ القادمين إليها. (2)

1. في فبراير 2016 طالَبَ نائب رئيس الوزراء التُّرْكِيّ بالتشيين أغدوغان بضرورة إنشاء منطقة آمنة داخل سوريا لاستقبال اللَّاجِئِينَ. للمزيد يُنظَرُ: "تركيا تدعو لإقامة منطقة آمنة بسوريا"، سكاى نيوز عَرَبِيَّةٌ، 12 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wb7FKs وعلى الرغم من شيوع تعبير المناطق الآمنة Safe Zones أو Safe Areas إلا أنه يُعَدُّ مفهوماً غير رسميٍّ، على صعيد القانون الدَّوْلِيٍّ؛ حيث لم يأت ذكره في اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949م، كما لم يرد ذكره في البروتوكولات الملحقه بها لعام 1977م، بل تَصَمَّنَتْ تلك الاتفاقيات والبروتوكولات مصطلحات أخرى تُعَدُّ الأُقْرَبُ دلالياً لمفهوم المناطق الآمنة. أهمُّها المناطق الطبيَّة Hospital Zones، والمناطق المحايدة Neutralized Zones، والمناطق منزوعة السلاح Demilitarized Zones. وتشير جُلُّ هذه المصطلحات إلى جهودٍ تُضطلعُ بها المُنظَّماتُ الأُممِيَّةُ العَمَلِيَّةُ بحفظ السلم والأمن الدَّوْلِيَّينَ لإنشاء وتسمية مناطق مُحدَّدة تكون خارج نطاق الاستهداف العسكريِّ والأعمال القتاليَّةِ لاعتبارات إنسانيَّةٍ تَتعلَّقُ بحماية المدنيين ممن لا يستطيعون حماية أنفسهم أثناء الحروب والصِّراعات المُسلَّحة، وقد استخدم العرف الدَّوْلِيُّ عدداً من السِّيَاقَاتِ المفاهيميَّةِ عند الحديث عن مثل هذه الترتيبات وفقاً لخبرة حقبة الحرب الباردة من قبيل: الممرات الهادئة Corridors of Tranquility، والممرات الإنسانية Humanitarian Corridors، والمناطق المحميَّة Protected Areas، والملاذات الآمنة Safe Havens. وبحسب العُرفِ الدَّوْلِيٍّ، فإن ثمة مُحدِّداتٍ إجرائيَّةٍ لازمة لإقامة المناطق الآمنة، بعد صدور قرار بهذا الصِّدَدِ من قبل مجلس الأمن الدَّوْلِيٍّ، أبرزها: الاتِّفاق بين الأطراف المتنازعة على إقامتها، وإزالة الصِّفة العسكريَّةِ عنها بنزع سلاحها وإخراجها من سياق العمليَّات العسكريَّةِ، وإخضاعها كذلك لإدارة مدنيَّة، والتأكيد على عدم دخول أطراف الصراع في أيِّ ترتيباتٍ دفاعيَّةٍ تَتعلَّقُ بحفظ الأمن داخلها أو على حدودها المسماة، وتوفير حماية عسكريَّةٍ لها من قِبَلِ قُوَّات الأمم المُتَّحِدة أو قُوَّات تحالف دوليٍّ مُكلَّفٍ من قِبَلِها، وفرض حَظْرٍ جَوِّيٍّ لحمايتها، وتوفير ممرَّاتٍ آمنةٍ لإيصال المساعدات الإنسانية للمدنيين، والمكفولة من قبل الأمم المُتَّحِدة، والتي تُضطلع أيضاً برسم خريطة لنطاق وحدود المناطق الآمنة. للمزيد يُنظَرُ: مصطفى شفيق علام، مشروطيَّات فاعليَّة "المناطق الآمنة" في مناطق الصراعات بالإقليم، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدِّمة، أبوظبي، 15 فبراير 2017م، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GwvyKz وفي أغسطس 2018م، كشف الرئيس التُّرْكِيُّ رجب طيِّب أردوغان، أن أنقرة قد أوْشكت على استكمال استعداداتها لإضافة مناطق آمنة جديدة في سوريا عبر عمليَّتي "درع الفرات" و"غصن الزيتون". للمزيد يُنظَرُ: تركيا بصدد توسيع نطاق المناطق الآمنة في سوريا.. كيف؟"، ترك برس، 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DLpfct
2. أرول جيجي وقادر أوستن، "سياسة تركيا تجاه الأُزمة السُّورِيَّة"، مجلة رؤية تركيَّة، مرجع سابق.

وبات نظام الأسد في سوريا يشكّل تحدياً كبيراً بالنسبة لتركيا، وهو ما جعل التعديل على الاستفتاء أمراً ضرورياً ومُلِحاً؛ حيث إنه بات الملجأ لتجنب المخاطر الأمنيّة التي تنتج عن تدفّق اللاجئيين وزيادة تحركات حزب العمال الكردستاني من داخل سوريا، كما يساعد تركيا على تعزيز وجودها العسكريّ قُرب الحدود مع سوريا، والاحتفاظ بحقّها في الردّ في الوقت الذي تختاره بقوة وسرعة مناسبة(1).

ومن هنا؛ فإن تمرير مثل تلك التّعديلات الدُستوريّة، قد يُؤدّي إلى زيادة قُوَّة علاقات أنقرة مع بعض الدول الفاعلة في المِلَفَات الإقليميّة، وأبرزها المِلَف السُوريّ، ما يُؤدّي بدوره إلى زيادة في التعاون بينهما باتّجاه إيجاد حلول ممكنة للأزمة السُوريّة، في الوقت الذي تحوّلت فيه سياسة ترامب مع سوريا من القضاء على داعش وحسب إلى الدعوة لرحيل الأسد ونظامه أيضاً، وهي رغبة تتلاقى معها أنقرة التي ترفض بقاء الأسد، وتدعو لرحيله(2).

كما يرى بعض المحلّلين السّياسيين أن تمرير التعديلات الدُستوريّة، قد يكون من شأنه فتح الباب واسعاً أمام قرار تركي بالتدخّل العسكريّ في سوريا بشكل أكبر رغم سنوات من أدبيات رفض "التورط" في الأزمة، أو على الأقلّ تهديد النظام السوري بشكل أكبر، مع تغيّر أولويّات الأمن القوميّ التركيّ، والرغبة في واد فكرة الدويلة الكرديّة في الشمال السُوري(3).

1. أرول چبجي وقادر أوستن، "سياسة تركيا تجاه الأزمة السُوريّة"، مجلة رؤية تركيّة، مرجع سابق.
2. جلال سلمي، "ترامب والأزمة السُوريّة وتركيا"، ترك برس، 21 نوفمبر 2016م، تاريخ الزيارة 29 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6ywpkT
3. سعيد الحاج، "تركيا والأزمة السُوريّة.. ملامح مرحلة جديدة"، الجزيرة نت، 26 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 29 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/0f81nM>

المبحث الرابع

ما بين «نعم» و «لا»

تحليل نتائج التصويت الدستوري

إذاً، فهناك إرهابات وسياقات كثيرة، شهدتها تركيا قبل إجراء الاستفتاء على التعديلات الدستورية الأخيرة، وهو ما أثر بشكل مباشر على نتيجة الاستفتاء بالموافقة عليه بفارق طفيف عن المعارضة؛ حيث أيدت تلك التعديلات نحو 51.4% (1) من جملة المصوتين.

في الواقع فإن تحليل النتائج التي أفضى لها الاستفتاء تؤدي بنا إلى أكثر من اتجاه؛ الأول، هو الموقف الأوروبي من تلك النتائج، وكيف سيكون رد فعل الاتحاد الأوروبي بعد تحول تركيا من النظام البرلماني إلى الرئاسي؟ فنجد أن أوروبا قابلت تلك النتيجة بكثير من القلق؛ حيث تحفظ المسؤولون في الاتحاد عن المبادرة بتهنئة الرئيس التركي السيد رجب طيب أردوغان الذي فاز بأدوات تقوية سلطاته التنفيذية على حساب البرلمان والقضاء (2).

كما أكدت البيانات الصادرة عن الحكومات الألمانية والفرنسية أن هناك قلقاً كبيراً من النتائج، والانقسام الحاصل في المجتمع التركي، مطالبين الرئيس التركي بإجراء حوار بينه وبين المعارضة.

1. نتائج الاستفتاء على الدستور عام 2017، صحيفة يني شفق التركية، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zmyJu4
2. «الأوروبي» يدعو للتحقيق في «تجاوزات الاستفتاء» ويرفض تهنئة أردوغان، صحيفة الرأي الكويتية، 19 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9xa5aF

وهو ما يتوافق مع التَّحليل الأوروبِّي، الَّذِي رأى الفوز، أمراً نسبياً؛ لأنَّ معسكر المعارضين قويٌّ، خاصَّةً أن نسبة الَّذِينَ ساندوا التعديلات الدُّستوريَّة تقع دون نسبة الدَّعم الَّذِي حَظِيَ به حزب الرئيس في الانتخابات العامَّة الأخيرة. وفي السِّياق نفسه نجد أن الأحزاب السِّياسيَّة الأوروبِّيَّة من الوسط واليسار الأوروبِّي اعتبرت نتائج الاستفتاء خُطوةً إضافيَّةً يقطعها الرئيس أردوغان في الوجهة المعاكسة للاتِّحاد الأوروبِّي.

ورأى زعيم الحزب الاشتراكي الأوروبِّي، ثاني كتلة سياسيَّة في البرلمان الأوروبِّي، نتائج الاستفتاء "ضربة قاسية أخرى معادية للديمقراطيَّة ودولة القانون"، و"خطوة إضافيَّة تُبعد تركيا عن أوروبا"، حتى إن بعض نواب الاتِّحاد الأوروبِّي اقترحوا "تعليق مفاوضات العضويَّة إذا أقدمت تركيا على تنفيذ التعديلات الدُّستوريَّة الـ 18" الَّتِي جرى التصويت عليها. ورأت رئيسة مجموعة نواب حزب الخضر في البرلمان الأوروبِّي، رينهارد بوتيكوفر، وزميلتها مونيكافراسوني أن "نتائج الاستفتاء تُجسِّد سلطة الحاكم الوحيد، وتجعل من أردوغان دكتاتوراً منتخباً"⁽¹⁾.

كما عبّر رئيس مجموعة النُّواب المحافظين في البرلمان الأوروبِّي، عن وجود إحساس جماعي بالقلق إزاء ما اعتبره تراجعاً عن الديمقراطية في تركيا بعد الاستفتاء وتوسيع صلاحيات الرئيس⁽²⁾.

ويرى المحلِّلون أنَّ المسؤولين الأوروبِّيِّين سيحلِّلون كافة الخطوات الَّتِي سيَّخذها الرئيس التُّركيِّ والَّتِي تمسُّ مبادئ دولة القانون من زاوية معايير العضويَّة الأوروبِّيَّة، على أن يكون أيُّ تراجع عن المعايير المحدَّدة يُبعد تركيا عن الانضمام للاتِّحاد الأوروبِّي.

1. نورالدين فريضي، "كيف تقرأ أوروبا نتائج الاستفتاء التركي؟"، العرَبِيَّة. نت، 17 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/E9p2TX
2. تركيا تُبعد عن "أوروبا".. إجماع على وقف التَّفَاوُض مع أنقرة، العرَبِيَّة. نت، 27 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/sBr8o1

القوة التركيبية الناعمة

قبل أن نترك النقطة الأوروبية، يجب الإشارة إلى أن أغلبية المهاجرين الأتراك صوتوا لصالح التعديلات الدستورية التي دعا إليها الرئيس السيد رجب طيب أردوغان، وبلغت النسب أقصاها في بلجيكا 75%، تلتها هولندا 70.9%، وفرنسا 64.8%، ثم ألمانيا 63.1% (1)، ذلك رغم الإجراءات الأمنية المشددة التي قامت بها تلك الدول في سبيل منع الفعاليات المؤيدة للتعديلات الدستورية، خاصة في هولندا؛ حيث بلغ التوتر مع قوات الأمن مستوى كبيراً، بعد قيام السلطات الأمنية الهولندية بحظر دخول وزيرين تركيين إلى أمستردام للمشاركة في مهرجانات انتخابية مساندة للرئيس أردوغان؛ كما سلف بيانه.

النقطة الثانية التي يمكن تناولها في تحليل نتائج استفتاء تركيا، هي النقطة الاقتصادية؛ حيث توقع خبراء الاقتصاد، أن تأثير نتائج الاستفتاء ستكون "إيجابية" على المدى القصير، وذلك على افتراض أن المخاطر السياسية معتدلة وحزب العدالة والتنمية له مصلحة في التطبيع والعودة إلى الأعمال والاقتصاد. كما أن البنك المركزي يمكن أن يخفض أسعار الفائدة التي يمكن أن تدعم تدفقات المحفظة الأجنبية، وتساعد الليرة التركية مرة أخرى، على عكس التصويت بلا؛ حيث حينها سوف تتوقع الأسواق أن يدفع الرئيس السيد رجب طيب أردوغان إلى إجراء انتخابات برلمانية مبكرة؛ الأمر الذي يعني المزيد من المخاطر السياسية، وعدم اليقين السياسي، كما أن التصويت بنعم سوف يؤثر على تدفقات رؤوس الأموال الأجنبية والاستثمارات المباشرة بشكل إيجابي خلال الشهور القادمة، باستثناء تأثير توتر العلاقات مع الاتحاد الأوروبي (2).

1. نتائج الاستفتاء على الدستور عام 2017، صحيفة بني شفق التركية، مرجع سابق.
2. محمد بابكر، "اقتصاديون تحليل نتائج استفتاء تركيا"، موقع عالمنا، 1 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/s2fNIB>

النقطة الثالثة في مجال تحليل نتائج الاستفتاء تتعلّق بالحالة السياسيّة لتركيا، وهي النقطة الأهم والأخطر في سياق هذا المبحث، فهناك العديد من الدلالات المهمّة في ثنايا نتيجة الاستفتاء على التعديل الدُسْتُورِيّ في تركيا، الذي نجح بنسبة 51.4%، أكثر من مُجرّد التقييم الظاهري لمن فاز ومن خَسِرَ. فمقارنة النتائج بالانتخابات البرلمانيّة الأخيرة في يونيو 2015م (1)، والرئاسيّة في أغسطس 2014م (2)، يكشف عن عددٍ لا محدود من الخرائط الاجتماعيّة والسياسيّة والحزبيّة والأيدولوجيّة في تركيا، بعضها قديم وبعضها الآخر مُستجدّ.

الخريطة الأولى، والقديمة في تركيا، والتي ترسّخت مع حضور "العدالة والتنمية" القويّ منذ 2002م هي الخاصّة بالمحافظات التركيّة في عمومها في أيّ مناسبة انتخابيّة؛ حيث تجد ولأوّلى مناطق وسط الأناضول والبحر الأسود المؤيّد للاستفتاء ولـ "العدالة والتنمية" بشكل عام، على عكس ساحل بحر إيجه (3) في الغرب المؤيّد بشكل عام لحزب "الشعب الجمهوري" ومناطق جنوب وشرق البلاد ذات الأغليّة الكرديّة والتي يتّمتّع فيها حزب "الشعوب الديمقراطي" بحضور واسع والتي رفضت التعديلات. (4)

1. في الانتخابات البرلمانيّة التركيّة، 2015، خسر حزب العدالة والتنمية الأغليّة المطلقة؛ حيث حصل على نحو 41% من الأصوات، بينما حصل حزب الشعب الجمهوريّ المُعارض على 25% من الأصوات، ثم جاءت الحركة القومية في المركز الثالث بنحو 16% من الأصوات. للمزيد يُنظر: انتخابات تركيا: حزب العدالة والتنمية الحاكم يخسر الأغليّة المطلقة، بي بي سي عربي، 8 يونيو 2015، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/egv8J2
2. في الانتخابات الرئاسيّة التركيّة، 2014، حصل الرئيس أردوغان على 53.2% من إجمالي أصوات الناخبين التي بلغت 53 مليون ناخب، بينما حصل منافسه الرئيس آنذاك؛ إحصان أوغلو وصلاح الدين دميرتاس على 38% و9% على الترتيب. للمزيد يُنظر: "أردوغان يفوز بالانتخابات الرئاسيّة في تركيا"، بي بي سي عربي، 10 أغسطس 2014، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8xhcqS
3. تمّ التعريف ببحر إيجه في موضع سابق من الكتاب.
4. سعيد الحاج، "تركيا والأزمة السُوريّة.. ملامح مرحلة جديدة"، الجزيرة نت، مرجع سابق.

المستوى الثاني لتحليل نتائج الاستفتاء سياسياً يتعلَّق بمستوى الثقة بالرئيس السيِّد رجب طيِّب أردوغان، والتي تبدو "فوق حزبية"، وتتخطَّى حزب "العدالة والتنمية" الذي أسَّسه الرئيس أردوغان وقَّاده لسنواتٍ طويلةٍ، وعاد لرئاسته بعد الموافقة على التَّعديلات الدستورية. وعند التدقيق في نتائج التصويت على التعديل الدُسْتُوري نرى أن حضور الرجل كان العامل الأبرز والأقوى في إقرار النُّظام الرئاسيِّ، والأنشط في الحملات الانتخابية (وتؤيِّد ذلك بعض استطلاعات الرأي)، فضلاً عن أنه من وقَّف خلف المشروع منذ البداية، بل وغامر كثيراً في إعادة طرحه بعد تجربة انتخابات يونيو 2015م التي فقد فيها الحزب الحاكم أغلبيَّته البرلمانيَّة حين قدَّم التَّحوُّل للنظام الرئاسيِّ شعاراً لحملته الانتخابية. ولا نقول ذلك لمجرَّد التقارب الشديد بين نسبة التَّصويت للرئيس أردوغان في انتخابات الرئاسة والنتيجة الأولى للاستفتاء، 52% مقابل 51.4%، وإنما باستقراء نتائج التَّصويت على حدة، ومقارنة ذلك بنسب التصويت لأحزاب "العدالة والتنمية"، و"الحركة القوميَّة" وزعيمه دولت بهجلي (1)، و"الشُّعوب الديمقراطي HDP و" Halkların Demokratik Partisi".

في الإطار نفسه نجد أن خريطة الأكراد واتِّجاهات الرأي لديهم هي أكثر ما يلفت النظر في هذا الاستفتاء؛ حيث حسمت الأصوات الكرديَّة النتيجة، وضمنت إقرار النُّظام الرئاسيِّ في مناطق الأغلبية الكرديَّة؛ في حين ظهر تراجع واضح لتأثير

1. أكاديمي وسياسي تركي، وُلِدَ في الأول من يناير 1948م في محافظة عثمانية لعائلة غنيَّة تنتمي إلى حزب الشعب الجمهوري، غير أن بهجلي اختار في شبابه الانضمام إلى الحركة القوميَّة التي تزعمها ألب أرسلان تركش. تخرج في أكاديمية العلوم الاقتصاديَّة والتجاريَّة بجامعة أنقرة سنة 1971م، وحصل على الدكتوراه في الاقتصاد في معهد العلوم الاجتماعيَّة بجامعة غازي، وعمل في الجامعة نفسها أستاذاً محاضراً حتى عام 1987م. وبدعوة من ألب أرسلان تركش زعيم حزب الحركة القوميَّة، انفصل عن الجامعة ليعمل نائباً لزعيم حزب العمل القومي. وبعد وفاة ألب أرسلان تركش في 4 أبريل 1997م تمَّ انتخابه زعيماً لحزب العمل القومي. للمزيد يُنظَر: "دولت بهجلي"، الجزيرة نت، 3 أكتوبر 2004، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/auVrp2

"الشُّعُوب الديمقراطي" الموالي لحزب العمال الكردستاني مع ازدياد ملحوظ في معدل الثقة بالرئيس أردوغان.(1)

أضف إلى ذلك أن الحكومة التُّركيَّة بدأت منذ فترة بعقد لقاءات مع قيادات كرديَّة مُعتدلة من كافة المناطق والأطراف، وهي تسير باتجاه تعزيز العلاقات بما يخدم مصلحة البلاد والأكراد معاً، ومن خلال تلك النتيجة يمكن التوقع أن الحكومة لن تعود لاستئناف عمليَّة السلام مع حزب العمال الكردستاني، والتي توقَّفت منذ نحو سنتين. كما أن تأييد الأكراد للتعديلات الدُسُوريَّة يُؤكِّد أنهم فقدوا الأمل في حزب الشُّعُوب الديمقراطي و"جناحه المُسلِّح" حزب العمال الكردستاني، خاصَّة بعد تخليه عن الحُلِّ السِّياسيِّ مع الحكومة، ولجوئه لتصعيد الأعمال المُسلَّحة في البلاد، وهو ما انعكس إيجاباً على التصويت بنعم على تعديل الدستور؛ باعتبار أن الشعب الكرديِّ بمُجمَلِه مُسألِمٌ، ولا يرى في العُنْف طريقاً لِنَيْلِ الحقوق. وهو أيضاً ما سيكون له انعكاساته المستقبلية بكلِّ تأكيدٍ على القضية الكرديَّة، ولذلك كان لافتاً أنها المنطقة الجُغرافيَّة الوحيدة التي حظيت بإشادة الرئيس أردوغان بعد صدور النَتائِج.

الخريطة الأخيرة، ورُبمَّا الأهمُّ، تتعلَّق بحزب "العدالة والنُّميَّة" نفسه، ومدى التزامه بقرار قيادته، وخيار أردوغان بتأييد التعديل الدستوري، وهو الحزب المعروف بانضباطه التنظيميِّ ووحدة قراراته ومواقفه؛ حيث أظهرت النَتائِج أن الحزب لم يكن على قلب رجل واحد في هذا الاقتراع، ويؤكِّد أن الأمر غير مُتعلِّق فقط بعددٍ من القيادات بل تحطُّبهم إلى نسبةٍ لا يمكن تحديدها - ولن تكون كبيرة جداً - من كوادره. ويرى الباحثون أن مخالفة هذه الكوادر لتصويت الحزب وقرار الرئيس أردوغان مُتعلِّقة بالتحفُّظ على بعض موادِّ التعديل الدُسُوريِّ أكثر من رَفُض فكرة التغيير أو

1. سعيد الحاج، "تركيا والأزمة السُوريَّة.. ملامح مرحلة جديدة"، الجزيرة نت، 26 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 29 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/0f81nM>

القوة التركيبية الناعمة

النظام الرئاسي بحد ذاته، وهو ما يمكن اعتباره مؤشراً على حيوية وتنوع داخل أطر الحزب، وعدم التسليم تماماً بخيارات قيادته وأردوغان؛ رغم ما يحظى به الأخير من ثقة واحترام وكاريزما وإنجازات، إلا أنها ستؤدي بطبيعة الحال إلى مراجعات جدية داخل الحزب، وربما تغييرات في بعض المواقع القيادية (1).

في إطار التحليل أيضاً لنتائج الاستفتاء تجدر الإشارة إلى نسبة المشاركة في التصويت والتي وصلت إلى نسبة 85% ممن لهم حق التصويت، وهي نسبة كبيرة جداً، وتدل على وجود انقسام وحشد شعبي واضح نحو هذا الاستفتاء، وهو ما يجب على القيادة التركيبية علاجه خلال الفترة المقبلة (2).

1. سعيد الحاج، "خريطة تركيا التي كشفها الاستفتاء"، المرجع السابق.
2. شريف سيد، "تحليل الاستفتاء التركي في أرقام"، موقع صدى البلد، 18 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FQo01Q

المبحث الخامس

القوة التُركيَّة النّاعمة:

قراءة في مواد الدُستور الجديد

بعد إقرار التعديلات الدُستوريَّة رَسميًّا، أصبح هناك واقعٌ جديدٌ تمَّ رسم ملامحه في تركيا، مع مواد دستور جديدة، تُعدُّ نقلةً تاريخيَّةً وتحوُّلاً كبيراً في السِّياسة التُركيَّة.

في البداية يجب أن نعرِّف على أبرز التعديلات الدُستوريَّة (1) التي حدثت في السادس عشر من أبريل 2017م، والتي تتضمَّن 18 مادة، ويُعدُّ أبرزها: منْح الرئيس التُركيِّ سلطات تنفيذيَّة معزَّزة؛ حيث سيمتلك تعيين وإقالة الوزراء وكبار الموظفين الحكوميِّين، كما أنه أصبح بإمكانه إلغاء منصب رئيس الوزراء الذي يتولَّاه حالياً بن علي يلدرم، مع تعيين نائب أو أكثر له عوضاً عنه.

كما تسمح التعديلات الجديدة للرئيس التُركيِّ بالتدخُّل مباشرة في عمل القضاء؛ حيث يمكن للرئيس التُركيِّ اختيار أربعة أعضاء في المجلس الأعلى للقضاة والمدَّعين، وهو المجلس القضائيُّ المُهمُّ الذي يتولَّى التعيينات والإقالات في السُّلك القضائيِّ، فيما يُعيِّن البرلمان سبعة أعضاء.

1. "دستور تركيا الجديد"، تركيا بوسنت، 8 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SrJhcU

كذلك تنص التعديلات على إلغاء المحاكم العسكريّة، وفرض حال الطوارئ حصراً عند حصول "انتفاضة ضدّ الوطن"، أو "أعمال عنف تهدّد بانقسام الأمة"، وحينها سيكون الرئيس صاحب قرار فرض حالة الطوارئ قبل عرضه على البرلمان الذي يحقّ له اختصارها أو تمديدها، أو رفعها عندما يرى ذلك مناسباً. (1)

ويمكنه أيضاً تحديد المدّة الأولى لحالة الطوارئ بسنة أشهر، ويستطيع البرلمان لاحقاً تمديدها بطلب من الرئيس لأربعة أشهر كلّ مرة، ووفقاً للتعديلات سيرتفع عدد أعضاء البرلمان من 550 إلى 600 عضواً، وسيتمّ خفض الحد الأدنى لسنّ النواب من 25 إلى 18 سنة، كذلك سيتمّ أيضاً تنظيم انتخابات تشريعية كلّ خمس سنوات بدلاً من أربع سنوات، وبالتزامن مع الاستحقاق الرئاسي.

وسيحفظ البرلمان بسلطة إقرار وتعديل وإلغاء القوانين والتشريعات. وستكون لدى البرلمان صلاحيّات الإشراف على أعمال الرئيس، لكن الأخير سيحظى بسلطة إصدار المراسيم الرئاسية حول كلّ المسائل المتعلّقة بسلطاته التنفيذية، ولا يمكن بالمقابل للرئيس إصدار مراسيم في مسائل بتّ بها القانون.

وإذا اتهم الرئيس أو حامت حوّلته شُهاتُ بارتكاب جريمة، فيجوز للبرلمان أن يطلب فتح تحقيق على أن يكون ذلك بغالبية ثلاثة أخماس الأعضاء، كذلك يُنصّ التعديل على وجوب أن يكون الرئيس مواطناً تركياً في الـ40 من العمر على الأقلّ، ويجيز له الانتماء إلى حزب سياسيّ.

ويُنصّ مشروع الدُستور على تنظيم الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المقبلة في وقت واحد بالثالث من نوفمبر في عام 2019م. وسيشغل الرئيس ولاية من خمس سنوات، مع ولايتين كحدّ أقصى (2).

1. "ما هي أبرز التعديلات الدستورية في تركيا؟"، صحيفة الحياة اللندنية، 10 فبراير 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/szgh0z>

2. "ما هي أبرز التعديلات الدستورية في تركيا؟"، المرجع السابق.

وركزت العديد من التحليلات على الصلاحيات الواسعة التي حصل عليها رئيس الدولة التركيبية مقارنةً بالدستور السابق، والتي يُعدُّ أهمُّها إصدار مراسيم تشريعية، بالإضافة إلى إلغاء منصب رئاسة الوزراء ليمارس رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية. وهو ما يجعلنا نبدأ قراءة تلك التعديلات بالنظام الرئاسي، وهو النظام الذي دعا له كثير من الرؤساء الأتراك السابقين على رأسهم تورغوت أوزال، وسليمان دميرل، وآخرهم الرئيس التركي السيد رجب طيب أردوغان (1).

وفي الواقع تحمل تسميات النظم السياسية المعمول بها في دول العالم المختلفة دلالات على المؤسسة السياسية أو المنصب السياسي الذي يسمو على غيره من مكونات النظام السياسي؛ فالنظام البرلماني يدلُّ على سمو البرلمان على غيره من مكونات النظام السياسي، وفي النظام الرئاسي يسمو شخص الرئيس على غيره من المكونات، ويضطلعُ بِهَا السُّلطة التنفيذية، وهكذا في التسميات الأخرى (2).

1. "تركيا: تحديد 9 أبريل المقبل كموعِد للاستفتاء على التعديلات الدستورية الجديدة"، تركيا بوست، 31 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ij7nvM
2. تتعدَّد النظم السياسية المعنيَّة بالحكم وتوزيع السلطات في الدولة المعاصرة، ويبدو النظامان: الرئاسي والبرلماني، عماد التصنيفات التطبيقية لنظم الحكم في الدولة المعاصرة، إذ يوجد أنواع أخرى من النظم السياسية التي تستقي من كلا النظامين أسس ومرتكزات الحكم، وبشكل عام يقوم النظام الرئاسي على أساس الفصل بين السلطتين: التشريعية والتنفيذية، وعدم الجمع بينهما ومن ثم عدم إمكانية تأثير إحداها على الأخرى، الأمر الذي يؤدي إلى إحداث توازن بينهما بحكم الاستقلالية والفصل وليس بحكم وسائل التأثير والتأثر المتبادل (كالنظام البرلماني وسيأتي بيانه)، ويعتبر النظام السياسي الأمريكي المثال التطبيقي المباشر للنظام الرئاسي بتطبيقاته الصارمة. أما النظام البرلماني فهو يقوم على أساس التوازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية مع وجود ضوابط مُعَيَّنة تحكِّم علاقاتهما معاً، على قاعدة الفصل المرن أو النسبي بين السلطتين بحيث تقوم علاقة مساواة وتعاون بينهما تجعل النظام السياسي يسير وفق آليات الرقابة والمساءلة المتبادلة، ويعتبر النظام السياسي البريطاني هو المثال التقليدي للنظم البرلمانية حول العالم والتي استقت منه غالبية الدول التي تنتهج النظام البرلماني تقاليد الحكم، لا سيما الدول التي كانت تقع تحت سيطرة الإمبراطورية البريطانية خلال المرحلة الاستعمارية. وليس هناك مجال لتفضيل أي من النظامين على الآخر، فالأمر متعلِّق بطبيعة الحكم في الدولة ونظامها السياسي ومؤسساتها الحاكمة، وكذلك السياق الجغرافي والتاريخي المنبثقة عنه، ومن ثمَّ العلاقات بين الحاكم والشعب والحاكم والمؤسسات، ونحو ذلك من مُحدِّدات، فهناك نظم تطلق على نفسها مسميات الديمقراطية وهي نظم سلطوية خالصة، فالعبرة بالتطبيق لا الاسم وجوهر الحكم لا مظهره. للمزيد يُنظر: كمال المنوفي، أصول النظم السياسية المقارنة، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، 1990.

وفي الحالة التُّركيَّة: فإنَّ التَّحوُّلَ نحو النُّظَام الرِّئاسِيَّ ليس وليد الساعة الحاضرة، ولكنه كان يتردَّد بين الحين والآخر على ألسنة قادة حزب العدالة والتَّنمِيَّة منذ إجراء التعديلات الدُّسْتُوريَّة الواسعة عام 2007م، وتَمَّ اتِّخَاذُ خطوة في هذا الاتِّجَاه عبر تعديل الدُّسْتُور بنقل صلاحيَّات انتخاب رئيس الجُمهوريَّة من البرلمان إلى الانتخاب المباشر من قبل الشعب عبر صناديق الاقتراع.

والدُّسْتُور التُّركيُّ، قبل التعديل، كان يركّز على النُّظَام البرلمانيِّ. والذي جعل من موقع رئيس الدَّولة أقرب ما يكون إلى المنصب الفخريِّ، ويقتصر دوره على تكليف زعيم الحزب الفائز بالانتخابات بتشكيل الحكومة إلى جانب بعض الصلاحيَّات البروتوكوليَّة البسيطة الأخرى، ولكن في الحالة التُّركيَّة، قبل الانتقال إلى النُّظَام الرِّئاسِيَّ، فإنَّ الأمر ليس كذلك مطلقاً؛ فالرئيس يَتَمَعُّ بصلاحيَّات واسعة في الشُّؤون الداخليَّة للبلاد من جهة، وله حقُّ التَّدخُّل السُّلبيِّ ضدَّ قرارات البرلمان من جهة أخرى؛ فالرئيس لا يُصدِرُ القوانين، ولكن له الحقُّ في الاعتراض عليها وإلغائها، وهذه حالة فريدة غير موجودة في النُّظُم البرلمانيَّة الأخرى؛ الأمر الَّذي يُعوق عمل البرلمان من جهة، وعمل الرئيس الشرعيِّ المنتخَب من جهة أخرى، كما أنه قد يجعل هناك تنافساً واختلافاً في وجهات النظر بين الجانبين، الأمر الَّذي قد يُؤدِّي إلى الفوضى وتضارب المصالح في بعض الأحيان.

ويرى الباحثون أن دستور 1982م (1) جعل من مُؤَسَّسة الرئاسة مركزاً جديداً لحماية القيم العلمانيَّة التي تَمَتَّدت إلى المؤسَّس مصطفى كمال إلى جانب المؤسَّسة العسكريَّة

1. عقب قيام الجيش التُّركيِّ بانقلاب العام 1980 بقيادة كنعان إفرين، أعلن الأخير تعليق العمل بالدستور لحين إعداد دستور جديد للبلاد وهو ما تمَّ بالفعل في العام 1982م، والذي تمَّ فيه توسيع صلاحيَّات المجلس العسكري الأعلى، ليصبح سلطة فوق الحكومات المنتخبة ومراقياً على أعمالها نقداً وإلغاءً بشكل تامٍّ، وفقاً لقواعد العلمانيَّة الكماليَّة التي أُسِّست على دعائم تركيا الحديثة عقب إلغاء الخلافة العثمانيَّة، ووفقاً لدستور 1982م تَدخَّل الجيش لقلب الحكومات التي يرى فيها خطراً على قيم الجُمهوريَّة التُّركيَّة وهذا ما حدث عام 1998م حيث انقلب الجيش، على حكومة حزب الرفاه "نجم الدين أربكان" بدعوى مساسها بالأسس العلمانيَّة لتركيا. للمزيد يُنظر: دستور 1982 "دستور الانقلاب العسكري الساري في تركيا"، ترك برس، 15 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 28 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/REQRGX

والآلة الإعلامية؛ فالرئيس له علاقة مباشرة بالسُّلطة التشريعية، من خلال امتلاكه حقَّ الاعتراض على القوانين التي تصدر عن البرلمان التركي، وردّها إليه للنظر فيها مرّةً أخرى، أي: أنّ الرئيس لا ينخرط في العملية السياسية بصورة مباشرة، مقابل ترك الحُرِّيَّة للبرلمان والحكومة، وهو ما أدّى للكثير من المشاكل خلال تلك الفترة البسيطة كان أبرزها اعتراض الرئيس أحمد نجدت سيزر (1) في عام 2005م على مشروع بقانون العقوبات من شأنه خَفَضَ العقوبات على تعليم مناهج غير مجازة للقرآن الكريم بمبرر انتهاكه لعلمانيّة البلاد (2).

كما أنّ للرئيس الحقَّ في إحالة القوانين إلى المحكمة الدستورية للبتّ فيها، كما أنّ له علاقة مباشرة بالسُّلطة التنفيذية؛ من خلال تعيين رئيس الوزراء، والمصادقة على تعيين الوزراء، والرئيس على صلة مباشرة بالمؤسّسة العسكرية صاحبة النفوذ الكبير في الحياة السياسية حتى عهد قريب عبر ترؤسهِ مجلس الأمن القوميّ الذي كانت تغلب على تشكيلته الصُّبغة العسكرية، وهو ما قد يُؤدّي إلى مشاكل بين الجيش ومؤسّسة الرئاسة، وتداخل في الأعمال بينهما.

ومن هذا المنطلق جاء سعي حزب العدالة والتّمنية لإجراء تعديلات جوهريّة على الدُسْتور الحالي للتحوّل نحو النُّظام الرئاسيّ الذي يلغي موقع رئيس الحكومة،

1. أحمد نجدت سيزر (13 سبتمبر 1941م) ، سياسيّ تركي من أصول شركسيّة رئيس الجمهورية التُّركيّة الأسبق. تخرّج من جامعة أنقرة كلية القانون في عام 1962م، وبدأ مسيرته كقاضي في أنقرة، ثم حصل على ماجستير في القانون المدني من كلية القانون في جامعة أنقرة في عام 1978م. وتولّى رئاسة تركيا في الفترة من 16 مايو 2000 إلى 28 أغسطس 2007م. للمزيد يُنظر: "نجدت سيزر" .. الرئيس العاشر للجمهورية التُّركيّة ، تركيا بوست، 19 نوفمبر 2015، تاريخ الزيارة: 28 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/efxWBS
2. كان التعديل المُقترح يقضي بتخفيض عقوبة السجن لمن يفتح أو يدير فصول القرآن من 3-6 سنوات لتصبح العقوبة من 3-12 شهراً، للمزيد يُنظر: "سيزر يعترض على تعديل قانون العقوبات التركي"، الجزيرة نت، 3 يونيو 2005، تاريخ الزيارة: 28 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DCrSe1

وَيُرَكِّزُ السُّلْطَةَ التَّنْفِذِيَّةَ بِيَدِ الرَّئِيسِ المُنْتخَبِ بِالِاقْتِرَاعِ المَبَاشِرِ، وَأَبْرَزَ مِثَالاً عَلَى النُّظْمِ الرَّئِاسِيَّةِ فِي العَالَمِ النُّظَامَ الرَّئِاسِيَّ فِي الوَلَايَاتِ المِتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ (1). وَيَتِيحُ النُّظَامُ الرَّئِاسِيَّ مَرُونَةً كَبِيرَةً فِي التَّعَامُلِ مَعَ القَضَايَا وَالمُسْتَجِدَّاتِ؛ نَظراً لِسَهولَةِ الأَلْيَاتِ المِتَّبَعَةِ فِي صَنعِ القَرَارِ وَسرْعَتِهَا، كَمَا أَنَّ هَذَا النُّظَامَ يَتِيحُ فِرْصَةَ التَّخْلُصِ مِنْ حَالَةِ عَدَمِ الاسْتِقْرَارِ السِّيَاسِيِّ الَّتِي قَدْ تَتَرْتَّبُ عَلَى عَدَمِ حَسْمِ أَيِّ مِنَ الأَحْزَابِ السِّيَاسِيَّةِ لِنَتَائِجِ الِانْتِخَابَاتِ بِالأَغْلَبِيَّةِ المَرِيحَةِ لِتَشكِيلِ الحُكُومَةِ، مِمَّا يُدْخِلُ البِلَادَ فِي دَوَامَةِ الحُكُومَاتِ الِانْتِلَافِيَّةِ غَيْرِ المُسْتَقَرَّةِ، أَوْ يَدْفَعُهَا إِلَى الِانْتِخَابَاتِ المُبَكَّرَةِ؛ كَمَا حَدَثَ مَعَ تَرْكِيَا فِي الِانْتِخَابَاتِ الأَخِيرَةِ.

وَبالعُودَةِ إِلَى تَعْدِيلَاتِ الدُّسْتُورِ نَجِدُ أَنَّهَا أُلغِتْ مَوْقِعَ رَئِيسِ الحُكُومَةِ المَعْمُولِ بِهِ فِي النُّظْمِ البِرْكَمَانِيَّةِ وَشَبَهَ الرَّئِاسِيَّةِ، وَأَنَاطِ السُّلْطَةَ التَّنْفِذِيَّةَ بِمَوْجِبِ المَادَّةِ 104 مِنْهُ بِالكَامِلِ بِشَخْصِ الرَّئِيسِ الِذِي بِمَقْدُورِهِ اتِّخَاذُ قَرَارَاتٍ غَيْرِ مُتَعَارِضَةٍ مَعَ الدُّسْتُورِ أَوْ القَوَانِينِ الَّتِي تُسَنِّهَا السُّلْطَةُ التَّشْرِيعِيَّةُ، إِلَى جَانِبِ الحَقِّ فِي تَعْيِينِ الوِزَرَاءِ مُنْفَرِداً دُونَ الحَاجَةِ لِأَخْذِ ثِقَةِ البِرْلَمَانِ، كَمَا مُنِحَتْ التَّعْدِيلَاتِ الحَقِّ لِلرَّئِيسِ بِإِعْلَانِ حَالَةِ الطَّوَارِيءِ مُدَّةَ سِتَّةِ شَهُورٍ، وَكَذَلِكَ تَمْدِيدِهَا دُونَ الحَاجَةِ لِلرَّجُوعِ لِلبِرْلَمَانِ عِنْدَ حَدُوثِ خَطَرٍ يُهَدِّدُ البِلَادَ؛ كَحَرْبٍ أَوْ انْقِلَابٍ عَسْكَرِيٍّ.

1. تَأَسَّسَ النُّظَامُ الرَّئِاسِيَّ فِي الوَلَايَاتِ المِتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ بِمَقْتَضَى الدُّسْتُورِ الصَّادِرِ عَامَ 1787م، وَالذِي أَصْبَحَ نَافِذاً مِنْ كَانُونِ الثَّانِي لِعَامِ 1789م، وَفِيهِ يَكُونُ الرَّئِيسُ مُمَثِّلاً لِالشَّعْبِ، غَيْرِ مُنْتَمٍ لِلبِرْلَمَانِ (الكونجرس بمجلسيه؛ النواب والشيوخ)، وَهُوَ الِذِي يَرَسِمُ خُطُوطَ السِّيَاسَةِ العَامَّةَ لِلحُكُومَةِ، وَيَجْمَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَافَةَ الوِظَائِفِ التَّنْفِذِيَّةِ بِمَعَاوَنَةِ عَدَدٍ مِنَ الأَجْهَزَةِ الَّتِي تَكُونُ تَحْتَ إِشْرَافِهِ، إِلَى جَانِبِ عَدَدٍ مِنَ السَّكْرَتَارِيَّةِ "الوزراء"، وَيَخْضَعُ الرَّئِيسُ وَسُكْرَتَارِيَّتُهُ لِلْمَسْأَلَةِ أَمَامَ الكُونْجِرْسِ. وَبِمَوْجِبِ الدُّسْتُورِ الأَمْرِيكِيِّ فَإِنَّ الرَّئِيسَ هُوَ القَائِدُ الأَعْلَى لِلقُوَّاتِ المُسَلَّحَةِ. لَهُ سُلْطَةُ إِرسَالِ قُوَّاتٍ إِلَى خَارِجِ البِلَادِ وَاسْتِخْدَامِ القُوَّةِ العَسْكَرِيَّةِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَإِصْدَارِ الأَمْرِ بِاسْتِخْدَامِ الأَسْلِحَةِ النَّوَوِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الصِّلاحياتِ الكَبْرَى الَّتِي تَجْعَلُ الرَّئِيسَ هُوَ مَحُورَ النُّظَامِ الأَمْرِيكِيِّ. لِلْمَزِيدِ يُنظَرُ: النُّظَامُ الرَّئِاسِيَّ الأَمْرِيكِيِّ، المَوْسُوعَةُ السِّيَاسِيَّةُ، د. ت، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ: 28 أَوْغُسْطُسَ 2018م، مَتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ التَّالِي: goo.gl/umU2b8

ولم تحدّد التعديلات سقفاً لذلك بل تركته لتقدير الرئيس وفق رؤيته، ومن القضايا المُستجَدَّة الَّتِي تناولها مشروع الدُّستور الجديد في المادة 101: السماح للرئيس بزعامة حزبه السِّيَاسِيّ في الوقت الَّذِي يُجْبِرُ الدُّستور الحالي رئيس الجُمهوريَّة على التَّخْلِى عن عضويَّة الأحزاب بصورة مطلقة، مادام في هذا المنصب وحتى مغادرته، ومن الملاحظات السُّلبيَّة على مشروع الدُّستور الجديد أنه ينصُّ على عقد الانتخابات الرئاسيَّة والبرلمانيَّة في اليوم ذاته، وهذا بنظر مُختصِّين قد يُؤدِّي إلى هيمنة الحزب الَّذِي ينتمي إليه الرئيس على البرلمان مما يخلُّ بالتوازن بين الحُكْم والمعارضة، ويجعل البرلمان أقرب إلى الديكوريَّة من الفاعليَّة.

ولخُلُقِ نَوْعٍ من التَّوَازُنِ بين الرئيس والبرلمان، ولإتاحة الفرصة أمام مُمَثِّلي الشعب لِلعِبِ دَوْرٍ فاعِلٍ في النُّظَامِ السِّيَاسِيّ؛ فإنَّ التَّعديلات مَنَحَتَ البرلمان الحَقَّ بإقرار انتخابات رئاسيَّة وبرلمانيَّة مُبَكَّرَة شريطة موافقة 60% من أعضائه إلاَّ أنه أعطى حَقًّا مماثلاً للرئيس في ذلك؛ إلاَّ أنَّ مراقبين يروُنَ أن المادة الَّتِي تنصُّ على ذلك في المشروع، وهي المادة الثانية عشرة تُمَكِّنُ الرئيس من تعطيل البرلمان، وتُمكنُ البرلمان من تعطيل ذاته، وتعطيل دور الرئيس؛ بحسب هذه المادة المشار إليها.

ويُتِيحُ مشروع الدُّستور المنظور أمام البرلمان لرئيس الجُمهوريَّة تعيين عدد غير مُحدَّد من نُوَّاب الرئيس، وهذا يُمكِّنُ الرئيس من استقطاب شخصيَّات أو قُوَى سِيَاسِيَّة تتفق معه في البرامج والرؤى إلى جانبه عبر هذا المنصب. وتُعفي تعديلات الدُّستور الرئيس من مُهمَّة إطلاع البرلمان على سير البرامج والنشاطات السِّيَاسِيَّة والاقتصاديَّة (1).

1. بكر محمد البدور، "قراءة في مشروع الدستور التُّركيِّ الجديد"، ترك برس، 10 يناير 2017، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YMTY3a

في الختام لا يمكن الحُكْم على تجربة التَّعْدِيلَات الدُّسْتُورِيَّة التُّرْكِيَّة من خلال الأوراق والأبحاث النقدية التي تَوَقَّعَتْ وَحَلَّلَتْ الأحداث قبل وقوعها؛ إذ لا يمكن الحُكْم على تلك التجربة بالفشل والتَّحَوُّل للنظام السُّلْطَوِيِّ، قبل أن يبدأ تنفيذها بالفعل، ولا يمكن أيضاً الحُكْم على التجربة بالنجاح، وتحقيق الأهداف التي سعى لها حزب العدالة والتَّنْمِيَّة ومُؤَيِّدُوهُ، بِمُجَرَّد الموافقة على التعديلات، خاصة وأن نسبة الموافقة طفيفة جداً.

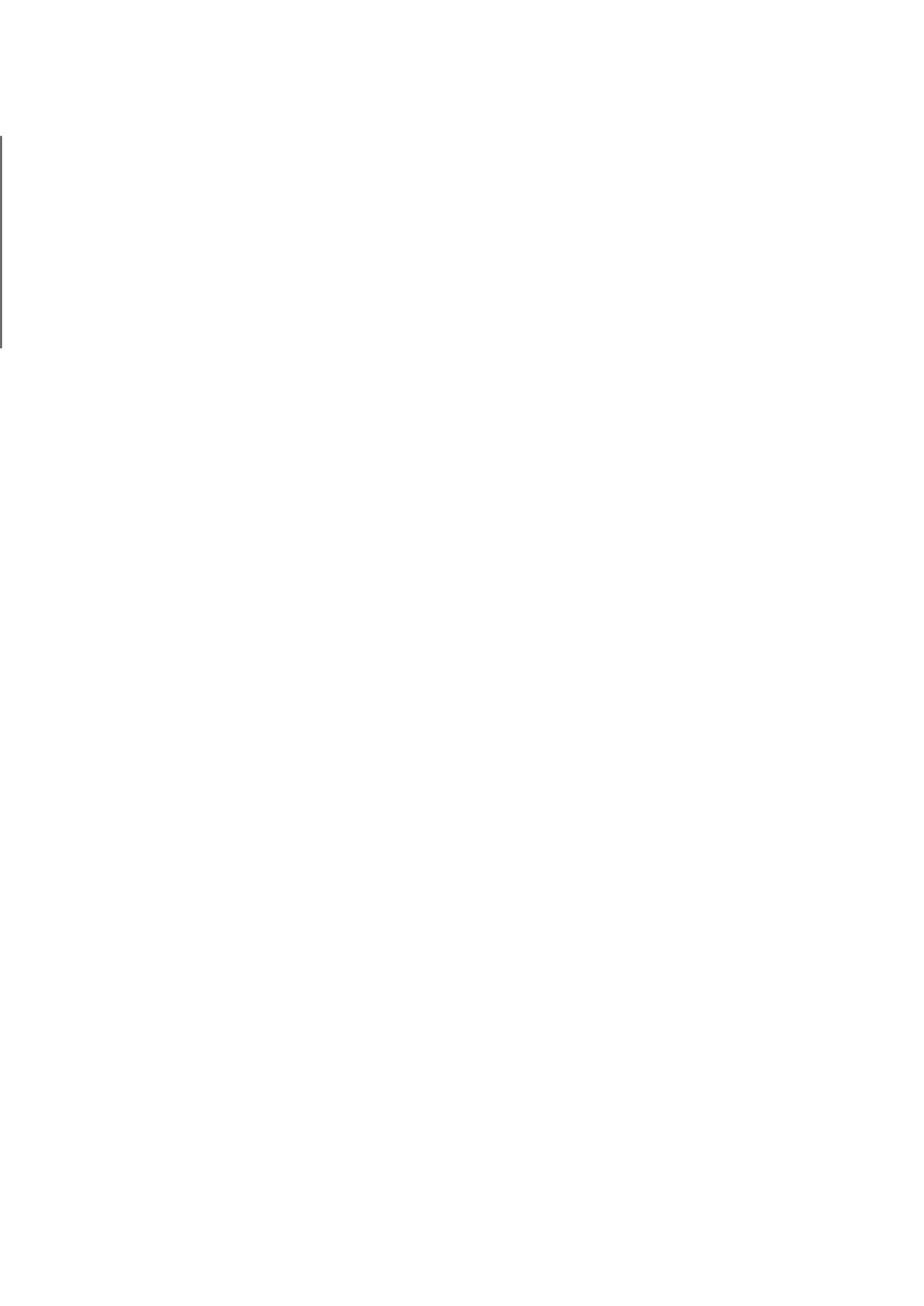
ولكن كُلُّ ما يمكن التَّأْكِيد عليه في هذا الإطار أن السِّيَاقَات المَحَلِّيَّة المُمَثَّلَة في حالة الانقلاب الفاشل، وتزايد العمليَّات الإرهابية في المدن التُّرْكِيَّة، بالإضافة إلى الظروف الإقليمِيَّة المُمَثَّلَة في الأزمة السُّورِيَّة، وتوتُّر العلاقات مع الاتحاد الأوروبِّي هيَّأت بشكل كبير من أجل إخراج تلك التعديلات إلى النور، كما أنها فرضت على النُّظَام التُّرْكِيِّ مثل تلك التعديلات، التي رآها ضرورة من أجل إصلاح المسار، والعودة بالقطار التُّرْكِيِّ إلى طريقة الصحيح.

كما يجب التنويه إلى أن تحليل نتائج الاستفتاء تمنح مُؤَشِّرَات قويَّة على حدوث تغييرات في الطبيعة السياسيَّة التُّرْكِيَّة، فالأكراد انحازوا أخيراً لحزب العدالة والتَّنْمِيَّة، وإسطنبول وأنقرة والمدن الكبرى تراجعت عن تأييدها المطلق للرئيس أردوغان، وحتى كوادر حزبه بدأت في مراجعة نفسها وأفكارها.

وأخيراً؛ فإنَّ قراءة المواد الـ18 المعدلة، أكَّدت أنَّ النوايا الصادقة لدى القيادة التُّرْكِيَّة موجودة، ولكن يبقى كَيْفِيَّة تنفيذ تلك التعديلات؛ ليكون الحُكْم النهائي عليها محلَّ اعتبار، في مقابل التشكيك الكبير من قِبَل القُوَى العَرَبِيَّة ونظرتها التَّوَجُّسِيَّة التي مفادها أن الفوز برهَانٍ لإصلاح الدُّسْتُور سوف يُمكن الرئيس أردوغان من حيازة جميع الصلاحيَّات تقريباً؛ فمنصب رئيس الوزراء سوف يختفي، والرئيس سوف يكون

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

بوسعه إطلاق مرسوم حالة الطوارئ متى ارتأى ذلك، وله أن يمارس الحُكْمَ بواسطة مرسوم، ويُهَمِّشُ بذلك البرلمان.



الفصل الحادي عشر

رؤية تركيا ٢٠٢٣، ٢٠٢٠..

أردوغان على طريق الفاتح بعد انتخابات ٢٠١٨

- مقدمة
- **المبحث الأول: الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المبكرة.. معركة يونيو 2018**
 - مُحفّزات تكبير الانتخابات والتحالف الصعب
 - أردوغان رئيساً.. العدالة والتنمية يفوز مجدداً
- **المبحث الثاني: الرؤية الاقتصادية.. إرادة الإنجاز وتوجُّس الغرب**
 - المخططات.. للأرقام دور ودلالات
 - « الزراعة في أفق 2023
 - « شبكة السكك الحديدية في أفق 2023
 - « الموانئ التُّركيَّة في أفق 2023
 - « الطرق التُّركيَّة في أفق 2023
 - « السِّياحة التُّركيَّة في أفق 2023
 - « المطارات التُّركيَّة في أفق 2023
 - قناة إسطنبول
 - العقارات قاطرة دفع للاقتصاد التُّركيِّ
- **المبحث الثالث: الرؤية الاقتصادية في مواجهة صعوبات العجز التجاري والتضخم**
 - مسارات الطّاقة وأهميَّة تركيا كنقطة عبور
 - الليرة التُّركيَّة.. محطات الانخفاض والصعود

- المبحث الرابع: السَّياسَة الخَارِجِيَّة .. فَنُ الممكِن وتجنُّب الأَلغام
• تركيا والاتِّحاد الأورُوبِيّ
- المبحث الخامس: الرُّؤية الاجْتِمَاعِيَّة .. الرعايَة الصَّحِيَّة بشَرَاكَة بِنَاءَة بين
الخاص والعام
• منظومة الرعايَة الصَّحِيَّة

الفصل الحادي عشر

رؤية تركيا ٢٠٢٣..

أردوغان على طريق الفتح بعد انتخابات ٢٠١٨

مقدمة

الرئيس أردوغان الذي لا يخفي ارتباطه بالإمبراطورية العثمانية السابقة، يُفصح عن نوع من الحنين السياسي، ويلامس وتر القومية الحساس عند جزء كبير من المواطنين الأتراك، كما يُغذي البحث في أمجاد الماضي عند جميع شرائح المجتمع التركي اليوم.

ففي الآونة الأخيرة، وتحديدًا في 25 أغسطس 2018، هنأ الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الشعب بمناسبة الذكرى السنوية الـ 947 لمعركة "ملاذغيرت" (1) التي انتصر فيها السلاجقة الأتراك على الإمبراطورية البيزنطية عام 1071 م (2). وعلى الملصقات التي تُعلن عن فعاليات الحدث العظيم، يمكننا أن نرى الرئيس رجب طيب أردوغان، ويده مُمسكة بقوس؛ وفي هذا يقول المؤرخ Edhem Eldem:

1. تُعتبر معركة "ملاذغيرت"، 1071م، من أهم معارك التاريخ الإسلامي، وفيها تمكّن السلطان السلجوقي، ألب أرسلان، من هزيمة جيش بيزنطي جرّار بقيادة الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديغانوس، بعددٍ قليل من الفرسان، وتمكّن أرسلان من أسر الإمبراطور البيزنطي، ما فتح الطريق أمام الأتراك للانتشار في آسيا الصغرى. للمزيد يُنظر: محمود ثروت أبو الفضل، "معركة ملاذ كرد .. يوم أسر المسلمون إمبراطور الروم"، شبكة الألوكة، 11 مايو 2015م، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8HCMgm
2. أردوغان يهنئ الشعب التركي بذكرى انتصار "ملاذغيرت"، تي آر تي العربية، 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/w6ZGJg

إن الحكومة الحاليّة تشير باستمرار إلى تواريخ الذكرى السنويّة، وتستثمر ما هو تاريخيّ مَلحَمِيّ لإعطاء دفعة قويّة ومُتوثّبة للحاضر، لدينا تاريخ 2023م الذي سيوافق الذكرى المئويّة لميلاد جمهورية تركيا (1). ولدينا تاريخ 2053م الذي يشير إلى ستمائة سنة كاملة من يوم فتح القسطنطينيّة (2)، وأخيراً، هناك تاريخ 2071م الذي يحتفل بألفيّة معركة ملاذغيرت المذكورة. ولكن يبقى التساؤل الملحّ؛ عند البدء في تصريف المستقبل بالماضي، هل يُترجم ذلك وجود رؤية سديدة للمستقبل من عدمها؟ وتتصدّر الأهداف الاقتصاديّة، كمرتكزٍ للطرح والتّحليل في هذا المبحث، أحلام القوّة والنّفوذ لتركيا في أفق 2023م، فيما يشبه رأس حربّة لدعم سلاح القوّة النّاعمة المُبشّر بها منذ صعود العدالة والتّنميّة إلى سُدّة الحُكم في أنقرة، ومعها نظيرتها الصّلبة التي احتاج "العثمانيون الجُدُد" إلى مفعولها الرّدعيّ لمواجهة التّحدّيات المفروضة والمخاطر المُحدّقة، في جوار مشتل بفعل المواجهة الضمنيّة والعلنيّة بين القوَى الكبرى في السّاحة السّوريّة وغيرها. وبناءً عليه، فإنّ أهداف حكومة العدالة والتّنميّة التي تتزامن ورمزيّة الاحتفال بمئويّة تأسيس الجمهوريّة التركيّة على النموذج "الكمالي"، تتلخّص في أربعة توجّهات اقتصاديّة رئيسية، سبق وتطرّق لها الرئيس رجب طيّب أردوغان من موقعه كرئيس للحكومة؛ تتمثّل في وُلوج نادي العشرة الكبار على مستوى الاقتصادات العالميّة، رفع الناتج الدّاخليّ الخام لتركيا إلى عتبة 2000 مليار دولار سنوياً (3)، رفع الدخل القوميّ

1. في 29 أكتوبر من كل عام يحتفل الشعب التركيّ بذكرى تأسيس الجمهوريّة التركيّة، التي أعلنها البرلمان عام 1923م، كنظام للدولة خلفاً للخلافة العثمانيّة التي استمرّت نحو 624 عاماً؛ حيث كان مصطفى كمال أتاتورك أول رئيس للجمهوريّة التركيّة، وتبدأ الاحتفالات الوطنيّة من ظهر يوم 28 أكتوبر إلى مساء اليوم التالي، في تركيا وجزيرة قبرص التركيّة. وسوف يوافق العام 2023 الذكرى المئوية لقيام الجمهوريّة التركيّة. للمزيد يُنظر: "الجمهوريّة التركيّة في عيدها الـ94"، دايلي صباح، 29 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9TtwrH
2. في مايو من كل عام تحلّ الذكرى السنويّة لفتح القسطنطينيّة، المدينة التاريخيّة التي فتحها السلطان العثمانيّ الأشهر محمد الفاتح (محمد الثاني)، عام 1453م، بعد أن كانت عاصمة الإمبراطوريّة البيزنطيّة. للمزيد من التفصيل يُنظر: محمد فريد، تاريخ الدولة العليّة العثمانيّة، تحقيق إحسان حقي، دار النفايس، بيروت، 1983م.
3. يلدرم: نهدف لرفع الناتج الإجمالي إلى 2 تريليون دولار بحلول 2023"، وكالة الأناضول للأبناء، 6 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PzorYN

الفردِيَّ إلى أكثر من 20 ألف دولار سنوياً⁽¹⁾، وإيصال حجم الصادرات التُّرْكِيَّةِ إلى 500 مليار دولار سنوياً⁽²⁾.

في هذا الصدد دائماً، تتعدَّدُ الشهادات وزوايا رؤية 2023م⁽³⁾ التُّرْكِيَّةِ، فالمنظرُ والسِّيَاسِيَّ أحمد داود أوغلو (صاحب كتاب "العُمقُ الأستراتيجِيَّ.. موقع تركيا ودورها في السَّاحَةِ الدَّوْلِيَّةِ" 2010م) يقول: "هَدَفْنَا أَنْ نَجْعَلَ مِنْ تَرْكِيَا مَعَ حُلُولِ عَامِ 2023م قُوَّةَ عَالَمِيَّةٍ، وَنَحْنُ مَصْمُومُونَ أَنْ نَحْوَلَ تَرْكِيَا الَّتِي اسْتَلْمَنَاهَا عَامَ 2002م، وَهِيَ عَلَى شَفَا الْهََاوِيَّةِ، إِلَى دَوْلَةٍ قَوِيَّةٍ تَصْنَعُ دَبَابَاتَهَا، وَطَائِرَاتَهَا، وَسُفْنَهَا الْحَرِيَّةِ، وَتَمْتَلِكُ تَقْنِيَّةَ صَوَارِيخٍ مُنْطَوِّرَةٍ"⁽⁴⁾.

أما نائب رئيس حزب العدالة والتَّنْمِيَّةِ، سليمان صويلو⁽⁵⁾، فيشير إلى أهِمِّيَّةِ دور تركيا في المنطقة والعالم، ومُتَوَقِّعاً فِي الْآنِ نَفْسَهُ، بِتَتَوِيحِ "تَرْكِيَا الْعَالَمِ" فِي عَامِ 2023م، "وَسَتَكُونُ قُوَّةَ عَالَمِيَّةٍ، وَسَتَكْبُرُ فِي عَامِ 2071م لِتَصْبِحَ دَوْلَةً شَامِلَةً عَلَى صَعِيدِ الْعَالَمِ أَجْمَعِ"⁽⁶⁾.

1. نصيب الفرد من إجمالي الدخل القومي (بالأسعار الثابتة للعملة المحلية)، مَوْشَّرَاتِ الْبَنْكِ الدَّوْلِيَّ، مرجع سابق، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8EoVsJ
2. "وزير تركي: هدفنا رفع الصادرات إلى 500 مليار دولار بحلول 2023"، دايلي صباح، 9 ديسمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ePvRXX
3. إعلان يتكون من 66 مادة تشمل مختلف المجالات، ألقاه السَّيِّدُ رَجَبُ طَيْبُ أَرْدُوغَانُ زَعِيمُ حَزْبِ الْعَدَالَةِ وَالتَّنْمِيَّةِ السَّابِقِ بِشَكْلِ مُفْصَّلٍ خِلَالَ الْاجْتِمَاعِ الرَّابِعِ لِحَزْبِ الْعَدَالَةِ وَالتَّنْمِيَّةِ، الْمُنْعَقِدِ بِتَارِيخِ 23 يَنَايِرِ 2011م.
4. أَرْدُوغَانُ يَهْدَفُ لِتَحْوِيلِ تَرْكِيَا إِلَى مَرْكَزِ رَيْسِيٍّ لِصِنَاعَةِ السَّلَاحِ، مَوْقِعِ "reuters" الْعَرَبِيَّةِ، 27 مَآيُو 2015م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/nj7PVf>
5. وُلِدَ سَلِيمَانُ صَوِيلُو عَامَ 1969م فِي إِسْطَنْبُولِ، وَتَخَرَّجَ مِنْ كَلِيَّةِ إِدَارَةِ الْأَعْمَالِ بِجَامِعَةِ إِسْطَنْبُولِ، وَفِي عَامِ 1987م بَدَأَ صَوِيلُو حَيَاتِهِ السِّيَاسِيَّةَ بِتَوَلِّيهِ الْأَجْنَحَةَ الشَّبَابِيَّةَ لِحَزْبِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، وَفِي الْفَتْرَةِ بَيْنَ عَامَيْ 1987 وَ1990م نَالَ صَوِيلُو عَضُوبَةَ مَجْلِسِ إِدَارَةِ الْأَجْنَحَةِ الشَّبَابِيَّةَ لِحَزْبِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ فِي إِسْطَنْبُولِ، وَشَغَلَ مَنَصِبَ رِئَاسَةِ التَّنْظِيمِ. انْضَمَّ إِلَى حَزْبِ الْعَدَالَةِ وَالتَّنْمِيَّةِ عَامَ 2012م، وَنَمَّ تَعْيِينُهُ وَزِيْرًا لِلْعَمَلِ وَالضَّمَانِ الْاجْتِمَاعِيَّ فِي الْحُكُومَةِ الرَّابِعَةِ وَالسَّنَيْنِ. وَفِي الْعَامِ 2016م تَوَلَّى مَنَصِبَ وَزِيرِ الْدَاخِلِيَّةِ فِي الْحُكُومَةِ التُّرْكِيَّةِ. لِلْمَزِيدِ يُنْظَرُ: مَنْ هُوَ سَلِيمَانُ صَوِيلُو وَزِيرِ الْدَاخِلِيَّةِ الْجَدِيدِ؟ جَرِيدَةُ الزَّمَانِ التُّرْكِيَّةِ، 1 سَبْتِمْبَرِ 2016، عَلَى الرَّابِطِ التَّالِي: cutt.us/uVpvZ
6. "تَرْكِيَا قُوَّةَ عَالَمِيَّةٍ فِي عَامِ 2023"، تَرْك بَرْس، 9 فَبْرَآيِرِ 2015م، تَارِيخِ الزِّيَارَةِ: 29 أَوْغُسْطُسِ 2018م، مَتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ التَّالِي: goo.gl/MgcFZU

في حين يرى نائب رئيس الوزراء التركي السابق "علي باباجان" (1) أن تركيا تمضي قدماً وتقترب من تحقيق أهدافها لعام 2023م؛ كونها حققت إنجازات كبيرة على الصعيد الاقتصادي منذ عام 2002م، إلى حدود اليوم. وأنها استطاعت أن تصمد أمام الأزمات الاقتصادية التي واجهت الاقتصاد العالمي على مدار السنوات الماضية. كما أكد عزم تركيا على المضي قدماً في تحقيق أهدافها الاقتصادية لعام 2023م، وأن تركيا قد اقتربت من تحقيق تلك الأهداف (2).

ورغم المخاطر الإقليمية والعالمية، التي تحد من إمكانيات نجاح رؤية 2023م، بل وتحاصر تطبيقاتها الواعدة بشتى العوائق والمآزق، يمثل نجاح النموذج التركي في صيغة "القوة الناعمة" ارتقاءً سريعاً في الاقتصاد والسياسة والثقافة، وعلى رأس ذلك الممارسة الديموقراطية -رغم مخاطر الانقلابات- والحد من نفوذ العسكر والحرس العلماني القديم المتحجر. ثم المصالحة مع الذات والانفتاح على المحيط. وأيضاً التوفيق بين المذاهب والقوميات، وأخيراً دعم الرأسمالية الوطنية في بلد يمتلك إمكانات هائلة، كانت موقوفة لعشرات السنين.

فهل سيحقق حلم الرئيس أردوغان، بعد 562 عاماً من دخول محمد الفاتح القسطنطينية، ويكرس أمجاد سلطنة عثمانية جديدة، تتخطى رمزياتها التاريخية إلى

1. علي باباجان (9 أكتوبر 1967م)، وزير الاقتصاد التركي السابق. وقيل أن يتولى وزارة الاقتصاد كان وزيراً للخارجية وذلك من 29 أغسطس 2007م وذلك بعد إعادة انتخاب السيد الرئيس رجب طيب أردوغان رئيساً للوزراء، وظل وزيراً للخارجية حتى 1 مايو 2009م، وكان أحد المفاوضين في ملف انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي. وقبلها كان وزيراً للشؤون الاقتصادية، وذلك منذ تسلّم حزب العدالة والتنمية للحكم في نوفمبر 2002م. للمزيد يُنظر: "الوزير التركي علي باباجان"، أدويت، د. ت، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/e1Ue1x

2. محمود رأفت، "رؤية تركيا 2023.. أردوغان على طريق الفاتح"، صحيفة المقال الإلكترونية، 13 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GXizDs

فتوحات اِقْتِصَادِيَّةٌ وَثَقَافِيَّةٌ وَسِيَّاسِيَّةٌ، يصل مداها الجهات الأربع للعالم؟ لا سيَّما أن رصيدها من الشَّعْبِيَّةِ والتأييد ارتفع في عيون المسلمين والعرب؛ حيث باتوا يرون في تركيا نموذج الدَّوْلَةِ الَّتِي عَرَفَتْ كَيْفَ تَوْسُّس لِقُوَّةٍ نَاعِمَةٍ إِجْبَابِيَّةٍ (إضافة إلى القُوَّةِ الصَّلْبَةِ)، بناءً على مصادر وفواعل ذاتية مُحدَّدة وفي ظرفٍ قياسيٍّ.

وكيف تستثمر جيِّداً في علاقتها بالعالم الإسلاميِّ العربيِّ، الَّذِي ترتبط به ارتباطاً وثيقاً من الناحية التَّارِيخِيَّةِ والحَضَارِيَّةِ؛ حيث شكَّل العرب جزءاً أساسياً من التراث العثماني. رغم أن الغرب يَتَوَجَّسُّ كثيراً من خطط أردوغان في هذا الاتِّجَاهِ، وخصوصاً مسألة إغلاق قوس "الكَمَالِيَّة" العَلْمَانِيَّةِ الاستثنائي في تاريخ تركيا، في سبيل استعادة أمجاد السلطنة العُثْمَانِيَّةِ وعبر حزب إسلامي، ولو في شكل مختلف.

المبحث الأول

الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المبكرة..

معركة يونيو ٢٠١٨

بشكل مفاجئ، وقبل موعدها بنحو عام ونصف العام، قرّر الرئيس التركي، رجب طيّب أردوغان، في 18 أبريل 2018م، تنظيم انتخابات رئاسية وتشريعية مبكرة، معاً، في 24 يونيو 2018م، وذلك بعد أن كانت تلك الانتخابات مقرراً لها أن تُجرى في 3 نوفمبر 2019م، على أن تسبقها الانتخابات البلدية في مارس من العام ذاته.

ووفقاً لتصريحات الرئيس أردوغان بهذا الشأن، فإن تبكير موعد الانتخابات جاء لحاجته لاتخاذ قرارات اقتصادية مهمة، إضافة إلى السياقات الإقليمية الحساسة التي تمرّ بها البلاد، لا سيّما على صعيد تطوّرات الأوضاع في سوريا والعراق (1). حيث ترجع أهمية تلك الانتخابات، وفقاً محلّلين، بالنظر إلى كونها حاسمة في تاريخ تركيا الحديث، وذلك بعد تحوّل البلاد إلى النّظام الرئاسي، على إثر الاستفتاء على التعديلات الدستورية الذي شهدته تركيا في أبريل 2017م، الأمر الذي من شأنه أن يتيح للرئيس أردوغان، نظرياً، البقاء في مقعد الرئاسة لولايتين أخريين، مدّة كلّ منهما 5 سنوات، وذلك بعد بقائه في السّلطة لأكثر من 15 عاماً كرئيس للحكومة أولاً، ثم كرئيس للبلاد ثانياً لمدة 4 سنوات.

1. "بعد إعلان أردوغان.. تركيا مقبلة على انتخابات رئاسية وبرلمانية مبكرة"، دويتش فيله، 18 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/U43bBX

مُحَفِّزَات تَبْكِيرِ الْإِنْتِخَابَاتِ وَالتَّحَالْفِ الصَّعْبِ

ثَمَّةُ مُحَفِّزَاتٍ عِدَّةٍ عَجَّلَتْ مِنْ مَوْعِدِ الْإِنْتِخَابَاتِ الرَّئِيسِيَّةِ وَالتَّشْرِيعِيَّةِ فِي تَرْكِيَا عَنْ مَوْعِدِهَا الْمَقَرَّرِ سَلْفًا بِنَحْوِ عَامٍ وَنِصْفِ الْعَامِ، لَعَلَّ أَمَمَهَا حَاجَةُ الْبِلَادِ لِدَرَجَةِ عَالِيَةٍ مِنَ الْإِسْتِقْرَارِ الَّذِي يَكْفِلُهُ تَطْبِيقُ النُّظَامِ الرَّئِيسِيِّ الَّذِي نَجَمَ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ الدُّسْتُورِيِّ فِي أْبْرِيْلِ 2017م، وَذَلِكَ لِتَمْكِينِ الْقِيَادَةِ السِّيَاسِيَّةِ مِنْ اتِّخَاذِ قَرَارَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ وَاِقْتِصَادِيَّةٍ بِالْفِعْلِ الْأَهْمِيَّةِ، بِمَا يُجَبِّبُ الْبِلَادَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَخَاطِرِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالخَارِجِيَّةِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ. وَقَدْ مَثَّلَ الدَّفَاعُ الْاِقْتِصَادِيَّ حَافِزًا لِتَوَجُّهِ الرَّئِيسِ أَرْدُوغَانَ وَالحزب الحاكم في تركيا إلى تبكير موعد الانتخابات، فلطالما كان الاقتصاد هو القاطرة التي استقرت عليها حكم العدالة والتنمية في البلاد منذ مطلع الألفية الثالثة، من ثم فإن أي اهتزازات أو استهدافات مفاجئة لاقتصاد البلاد حتى يحين الموعد الرسمي للانتخابات في 2019م من شأنها أن تمس بالشعبية التي يتعمق بها الرئيس أردوغان وحزبه بين جماهير الأتراك، الأمر الذي قد يؤثّر على نتائج الانتخابات الرئاسية والتشريعية الأولى بعد تحوّل البلاد إلى النظام الرئاسي.

كما جاء تبكير موعد الانتخابات استثماراً لنجاح حزب العدالة والتنمية في تمرير التعديلات الدستورية التي نقلت البلاد من النظام البرلماني، الأقل استقراراً على الصعيد النظري بشكل عام، إلى النظام الرئاسي، الأكثر استقراراً، بما يتناسب مع التحدّيات الجسيمة التي تحيط بالدولة التركية، في الداخل والخارج. كما مثّل تبكير الانتخابات في تركيا استثماراً جيّداً من قِبَلِ الرَّئِيسِ أَرْدُوغَانَ لِاسْتِثْمَارِ النِّجَاحَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي حَقَّقَتْهَا تَرْكِيَا فِي مَعْرَكَةِ غُصْنِ الزَيْتُونِ (1) فِي عَفْرَيْنِ (2) بِسُورِيَا، بِمَا يَحُدُّ مِنْ خَطُورَةِ التَّنْظِيمَاتِ التُّرْكِيَّةِ الْمُسَلَّحَةِ الَّتِي تَعْتَبِرُهَا أَنْقَرَةً خَطَرًا بَالِغًا عَلَى أَمْنِهَا الْقَوْمِي.

1. عمليّة عسكريّة يقودها الجيش التركي بمشاركة الجيش السوري الحرّ ضدّ وحدات حماية الشعب الكرديّة بمدينة عفرين السّوريّة الحدوديّة. انطلقت رسمياً في 20 يناير 2018م، بإعلان الرئيس التركي رجب طيّب أردوغان الذي أكد أيضاً وقتها أنّ العمليّة ستتوسّع لتشمل مدينة منبج، وستستمرّ حتى الحدود العراقية، بهدف طرد وحدات حماية الشعب الكرديّة من تلك المناطق، وتحصين الأمن القومي التركي. للمزيد يُنظر: "غصن الزيتون" .. معركة لاستعادة عفرين، الجزيرة نت، 22 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qw48ri
2. مدينة سوريّة تقع ضمن محافظة حلب، تقع على ضفتيّ نهر عفرين في أقصى شمال غربي سوريا، تحدها مدينة إعزاز شرقاً، ومدينة حلب جنوباً، ومحافظة إدلب من الجنوب الغربي، والحدود التركيّة من جهة الغرب والشمال. على الصعيد الجغرافي، تُعتبر عفرين منطقة جبليّة، تُبلّغ مساحتها نحو 3850 كيلومتراً مربعاً، نحو 2% من مساحة سوريا، كما يبلغ عدد سكّانها نحو 523,258 نسمة، وفقاً للإحصاءات الرسميّة السّوريّة لعام 2012م. للمزيد يُنظر: لمحة عن منطقة عفرين السّوريّة التي تتعرّض لغارات تركيّة"، بي بي سي عربي، 20 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PFz8aR

وعلى الصعيد الداخلي، رأى مُحَلِّلونَ أنَّ قرارَ تبكير الانتخابات الرئاسية والتشريعية في تركيا جاء بمثابة ضربة ذكّية من الرئيس أردوغان لأيِّ نجاحات محتملة للمعارضة التركية، وخاصّة حزب الشعب الجمهوري، الذي جاء القرار بمثابة صدمة لجهوده الرامية إلى إزاحة الرئيس أردوغان، وحزبه من واجهة السياسة التركية في الانتخابات، بالنظر إلى ضيق الوقت بين إعلان الرئيس أردوغان، والموعد الذي حدّده لإجراء الانتخابات المبكرة؛ الرئاسية والتشريعية.

وعملياً فقد قلّص قرار تبكير الانتخابات من فُرص المعارضة التركية لتوحيد صفوفها أمام الرئيس أردوغان، والقُدرة على المناورة السياسية، واختيار مرشّحٍ توافقيٍّ قويٍّ تتفق عليه كافة الأحزاب والقوى السياسية المعارضة لمنافسة الرئيس أردوغان الذي دائماً ما يدعمه الشعب في أيِّ استحقاقات تصويتية طوال السنوات الماضية. (1)

وقد نجح الرئيس أردوغان في إقامة تحالف قويٍّ مع زعيم المعارضة دولت بهتسلي، زعيم حزب الحركة القومية المعارض، الذي أعلن دعمه للرئيس أردوغان في الانتخابات الرئاسية، وإقامة تحالف انتخابي (2) بين حزبه وحزب العدالة والتنمية في الانتخابات التشريعية، بما يصبُّ في مصلحة تركيا، واستقرارها من ناحية، ومصلحة حزب الحركة القومية بتحالفه مع شريك انتخابي قويٍّ لا يخسر عادةً في الفعاليات التصويتية،

1. منذ صعوده بحزب العدالة والتنمية إلى سُدة الحكم في 2002م وعلى مدى 16 عاماً، نجح الرئيس رجب طيّب أردوغان في كسب ثقة الناخبين الأتراك في كافة الاستحقاقات التصويتية التي شهدتها البلاد خلال تلك الفترة، ولعل أبرز تلك الجولات التصويتية، قبل انتخابات الرئاسة لعام 2018م، الانتخابات الرئاسية 2014م، التي فاز فيها الرئيس أردوغان بمنصب رئيس الجمهورية بعد سنوات طويلة قضاهَا في رئاسة الوزراء، بنحو 53.2% من أصوات الناخبين، للمزيد يُنظر: الرابط التالي: <https://goo.gl/Wou9Pn>.

وكذلك الاستفتاء الدستوري لعام 2017م، الذي نقل البلاد إلى النظام الرئاسي بعد عقود من النظام البرلماني، والذي اعتبره البعض استفئاً على شخص الرئيس أردوغان نفسه؛ حيث صوّت أكثر من 51% من الأتراك بـ"نعم" لصالح التعديلات الدستورية، للمزيد يُنظر الرابط التالي: <https://goo.gl/Gzrxyc>.

2. في 20 فبراير 2018م، وبعد اجتماع بين الجانبين أعلن الرئيس التركي ورئيس حزب العدالة والتنمية رجب طيّب أردوغان ورئيس حزب الحركة القومية دولت بهتسلي عن تشكيل "تحالف الشعب" لخوض الانتخابات الرئاسية، وكانت بوادر ذلك التحالف قد لاحت بعد أن أعلن بهتسلي أن حزبه لن يسمي مرشّحاً للانتخابات الرئاسية لعام 2019، والتي تمّ تبكيرها بعد ذلك لتجري في 2018م، وأنه سوف يدعم إعادة انتخاب الرئيس أردوغان في تلك الانتخابات. للمزيد يُنظر: أردوغان وبهتسلي يدشان "تحالف الشعب" لخوض الانتخابات الرئاسية المقبلة، دايلي صباح، 20 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/14BbF5

إضافةً إلى قطع الطريق أمام الحزب الجديد المنشق عن الحركة القومية، بقيادة ميرال أكشينار(1)، التي اختلفت مع زعيم الحركة القومية الذي تحالف مع الرئيس أردوغان.(2)

إذن، فقد جاء الإعلان عن تحالف العدالة والتنمية وحزب الحركة القومية، مفيداً لطرفيه، فالحركة القومية بتحالفه مع العدالة والتنمية يحافظ على وجوده، ويستعيد قوته التي تضررت كثيراً بفعل الانشقاقات الداخلية، كما يحمله هذا التحالف إلى الحكم مقاعد الحكم، بدعم من حزب العدالة والتنمية، بعد سنوات طويلة قضاها في صفوف المعارضة، في حين أن حزب العدالة والتنمية من خلال تحالفه مع حزب الحركة القومية يحافظ على حظوظه الانتخابية من خلال كسب أصوات جانب كبير من ذوي التوجهات القومية(3).

أردوغان رئيساً.. العدالة والتنمية يفوز مجدداً

أسفرت الانتخابات الرئاسية والتشريعية المبكرة في تركيا، التي جرت في يونيو 2018م، عن فوز الرئيس أردوغان من الجولة الأولى، وبدون حاجة إلى جولة إعادة، بحصوله على 52.59% من أصوات الناخبين(4)، فيما حاز الائتلاف الذي يقوده حزب

1. سياسية تركية مخضمة ولدت في عام 1956 لأبوين مهاجرين من سالونيك باليونان. تحمل شهادة الدكتوراه في التاريخ، فازت بمقعد في البرلمان عام 1994 عن حزب الطريق الصحيح. ثم تولت منصب وزيرة الداخلية في حكومة نجم الدين أربكان عام 1996، كما شاركت في تأسيس حزب العدالة والتنمية الحاكم، إلا أنها تركته بدعوى أنه امتداد لحزب الرفاه الإسلامي، ثم انضمت لاحقاً إلى حزب الحركة القومية، ثم طردت منه في العام 2016، لمعارضتها نهج زعيم الحزب الذي اعتبرته تأييداً للرئيس أردوغان. للمزيد يُنظر: ميرال أكشينار: "المرأة الحديدية" التي تتحدى أردوغان، بي بي سي، 26 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 30 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Fk8onL

2. أحمد علي حسن، انتخابات تركيا المبكرة.. "ضربة ذكية" تُعيد طريق أردوغان الرئاسي، الخليج أونلاين، 18 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QjnUjK

3. محمود سمير الرنتيسي، "تركيا: من الراح من التحالف العدالة والتنمية أم الحركة القومية؟"، نون بوست، 13 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KhfmD7

4. "إنفوجرافيك: تطابق النتائج النهائية للانتخابات التركية مع ما نشرته الأناضول"، وكالة الأناضول للأنباء، 5 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/uyPIYZ

العدالة والتَّئِمَّة على نسبة 53,66% من الأصوات المشاركة في استحقاق الانتخابات التشريعية (1).

أما المُعَارَضَةُ، فقد اكَتَفَتْ بِالْوَصَافَةِ (2)؛ حيث حصل منافس أردوغان الرئيس، القيادي الاشتراكي الديمقراطي، مُحَرَّمُ إِنْجِيهِ (3)، على نحو 30,64% من أصوات الناخبين في الانتخابات الرئاسية (4)، في حين حصلت المُعَارَضَةُ على نحو 34% من جملة الأصوات المشاركة في الانتخابات التشريعية (5).

وهكذا، فقد حصل الرئيس أردوغان بهذه النتيجة وبهذا الفوز الانتخابي العريض على تفويض سياسي من الشعب التركي، ليقود أكبر تحوُّل في تاريخ البلاد منذ قيام الجُمهُورِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ على يد مصطفى كمال أتاتورك، ليصبح نظام الحُكْمِ رئاسياً بعد أن ظلَّ برلمانياً لعقود طويلة خَلَّتْ؛ حيث جدَّد الناخبون الأتراك ثِقَتَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى في الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتَّئِمَّة، ليستمرَّ الرئيس أردوغان في سُدَّةِ الحُكْمِ لخمس سنوات أخرى، بعد أكثر من 16 عاماً على بلوغه مقاعد السُّلْطَةِ، كرئيس للوزراء أولاً، ثم رئيساً للجُمهُورِيَّةِ (6).

1. "إنفوجرافيك: تطابق النتائج النهائية للانتخابات التُّرْكِيَّةِ مع ما نُشَرَّتُهُ الأناضول"، وكالة الأناضول للأنباء، المرجع السابق.
2. الوصيف جمع وُصَفَاءَ وَوَصَائِفَ: وهو الشخص المُقَرَّبُ لدى الآخرين، ووصيف الأمير: تابع له. والمقصود بالوصافة في العصر الحديث هو صاحب المركز الثاني في مختلف المنافسات. للمزيد ينظر: موقع "معاجم"، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، للمزيد يمكن الاطلاع على الرابط التالي: <https://goo.gl/vvvVEN>.
3. سياسيٌّ تَرْكِيٌّ مُحَضَّرَمٌ من مواليد 4 مايو 1964م، انتُخِبَ نائِباً بالبرلمان التُّرْكِيَّ عِدَّةَ مَرَّاتٍ مُمَثِّلاً لحزب الشعب الجمهوري المعارض، عن محافظة بالوفا، شَغَلَ منصب نائب رئيس الحزب، كما سبق له التَّرَشُّحُ لرئاسة الحزب الشعب في عام 2014م، ضد رئيسه الحالي كمال قليجدار أوغلو، وفي 4 مايو 2018م، تمَّ إعلان إنجيه رسمياً كمرشَّحٍ رئاسيٍّ لحزب الشعب الجمهوري في الانتخابات الرئاسية لعام 2018م. للمزيد يُنظر: خليفة كمال أتاتورك.. من هو منافس أردوغان الأقوى في الانتخابات؟، صحيفة الدستور المصرية، 24 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Ss1FFp
4. "إنفوجرافيك: تطابق النتائج النهائية للانتخابات التُّرْكِيَّةِ مع ما نُشَرَّتُهُ الأناضول"، وكالة الأناضول للأنباء، مرجع سابق.
5. المرجع السابق.
6. "تركيًا: ماذا بعد فوز أردوغان بولاية رئاسية جديدة؟"، بي بي سي عربي، 24 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rPIKEz

ويبقى الرئيس أردوغان هو الفائز الأكبر في الانتخابات، فهو كشخص وكقائد سياسيٍّ محنك، استمرَّ في نجاحاته التصويبيَّة للمرَّة الثالثة عشر منذ العام 2002م، ما بين انتخابات برلمانيَّة وأخرى محليَّة، واستفتاءات شعبيَّة، وأخيراً انتخابات رئاسيَّة، وهي التي حسمها في يونيو 2018م من الجولة الأولى، وذلك على الرغم من حساسيَّتها الكبيرة، وشِدَّة الأجواء التنافسيَّة فيها، وعدد المرشَّحين الكبير الذي وصل إلى سِتَّة من كبار السِّياسيين الأتراك، ليصبح الرئيس أردوغان أول رئيس تركي منتخب، وفقاً للنظام الرئاسيِّ الجديد الذي أقرَّه الدُسُور بتعديلاته الأخيرة في أبريل 2017م. ومع تلك الأجواء الاحتفاليَّة التي سادت البلاد إثر فوز الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتنمِّيَّة، تبقى استحقاقات ما بعد هذه الفوز العريض قائمة بشِدَّة، لا سيَّما على صعيد ملفَّات كبرى حسَّاسة تشغل بال المواطن التركيِّ والحكومة والرئاسة على حدِّ سواء، وفي مقدِّمتها؛ الملف الاقتصاديِّ، ملف السِّياسة الخارجِيَّة، وأخيراً الملف الأمنيِّي المتعلق بمحاربة الإرهاب.

فالاقتصاد الذي دائماً ما كان قاطرة فوز العدالة والتنمِّيَّة في الانتخابات التركيَّة لسنوات سيكون بحاجة كبيرة إلى إجراءات وسياسات واستراتيجيَّات جديدة لإنعاش الاقتصاد التركيِّ، ونقله إلى مصافِّ القوى الكبرى، وفقاً لرؤية 2023 التي تمثِّل حلم الأتراك وأمل حكومة العدالة والتنمِّيَّة التي تعمل على إنجازه منذ سنوات.

أما السِّياسة الخارجِيَّة التركيَّة، وخاصَّة ما يتعلَّق بالصِّراعات الإقليميَّة، لا سيَّما في سوريا والعراق؛ فإنها ستكون بصدد حُطُوات واستراتيجيَّات مُبادِرةٍ لحلِّحلة تلك الأزمات التي تلقِّي بظلالها على الدَّولة التركيَّة، على كافة الأصعدة، مع الإقرار بأن حالة الاستقرار التي من المتوقَّع أن تخلفها إنجاز تركيا لتحوُّلها السِّياسيِّ إلى النظام الرئاسيِّ من شأنها أن تحرِّر الرئيس أردوغان وحكومته من كثيرٍ من القيود التي طالما مثَّلتها استحقاقات النظام البرلمانيِّ لسنواتٍ خلت.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

في حين تبقى مكافحة الإرهاب الضُّلع الأكثر إلحاحاً في مُثلث المَلَفَاتِ العاجلة الحاضرة بِقُوَّةِ أَمَامِ الرَّئِيسِ أَرْدُوغَانِ وَحُكُومَةِ العَدَالَةِ وَالتَّنْمِيَةِ، وَخَاصَّةً فِي ظِلِّ المَكَاَسِبِ العَسْكَرِيَّةِ الَّتِي حَقَّقَتَهَا القُوَّاتُ التُّرْكِيَّةُ مُؤَخَّراً فِي عِضْرَيْنِ، وَفِي مَحَارِبَةِ التَّنْظِيمَاتِ الكُرْدِيَّةِ المُسَلَّحَةِ، لَا سِيَّمًا فِي مَعْقَلِ حَزْبِ العَمَالِ الكُرْدِسْتَانِيِّ المَحْظُورِ فِي جِبَالِ قَنْدِيل (1).

1. سعيد الحاج، "قراءة في نتائج الانتخابات التُّرْكِيَّةِ"، إضاءات، 25 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Pv9Hhh

المبحث الثاني

الرؤية الاقتصادية..

إرادة الإنجاز وتوجُّس الغرب

تُعتبر إرادة بناء قوة اقتصادية ضاربة، بموازاة تكريس السلطة الرئاسية في النظام، توسيع مهام القوة العسكرية في تعزيز الدور الإقليمي والعالمي لتركيا، والتأثير العميق في المجتمع "التعددي" عبر ضم الشعب إلى خطوات مرسومة نحو الرفاهية؛ حجر الزاوية في بناء "رؤية" مفتوحة تُعدّ بإرساء مقومات زعامة إقليمية، وتفضي إلى لعب دور القوة العالمية ضمن نادي الكبار.

في هذا الشأن، لا يخفي الرئيس أردوغان ومعه مخططو سياسات حزب العدالة والتنمية التركي (Parti AK)، طموحاته الجيوسياسية والاقتصادية عبر رؤية 2023 الشاملة، والتي يراهن فيها الحزب الحاكم على إعادة الاعتبار للارث العثماني العظيم، وبعث الأمل في إحياء أمجاد الأمة الإسلامية أمام غرب متعطرس وظالم. وفي المقابل، ينظر الغرب بعين الريبة والتوجُّس للمشروع الأردوغياني الطموح جداً، بل ويصوِّرها خطة "جنونية" تقود إلى دكتاتورية شمولية باسم أمجاد دُفنت مع الماضي. وفي هذا تتساءل الصحافة الفرنسية، على سبيل المثال: هل يتعلَّق الأمر هنا بجلم إنشاء إمبراطورية تركية جديدة أو أنه مجرد جنون من أردوغان! وأمر كهذا تضطرُّ فرنسا إلى التعامل معه بهدوء وفي صمت، حتى لا تضايق تحالفاً هشاً أوروبياً، وتربح المزيد من الوقت في تلافى أزمة لاجئين كارثية أيضاً⁽¹⁾.

1. Éric Verhaeghe, Un nouvel Empire turc, ou la dangereuse folie d'Erdogan.Entreprise, 30 MAI 2016, goo.gl/ZChBkZ

واللافت للنظر في هذه النظرة الفرنسية، ومعها أوروبا عبر وسائل إعلامها المرددة لخطر صعود ما تُسمّيه المدّ الإسلامي؛ فإنّ الانتقاد والرّيبة سيتركان محلّهما عاجلاً أو آجلاً للمواجهة كما يقولون. بل وسيكون عليهم مواجهة صراع كبير مع تركيا. ويضيفون أنّ كلّ شيء يحدث الآن، كما لو اعتاد الغرب على تصريف الكلمات والأوهام؛ لتأخير هذه المواجهة أكثر وقت ممكن. وعلى الرّغم من كلّ هذا، يُؤكّد أردوغان للرأي العام التّركيّ في غير ما مناسبة، أنّ بلاده ستكون عضواً في الاتّحاد الأوروبّي بحلول عام 2023م(1)!

ولعل ما يُفزعُ الغرب هنا، هو خطاب أردوغان الذي يقول فيه: إنه بحلول عام 2023، فإننا سوف نجعل من وريثة "الرجل المريض" (2) لمدة 100 سنة من قبل، واحدة من أكبر عشرة اقتصادات في العالم. مضيفاً "هذا هو ما يناسب أحفاد الفاتح" (3). إن "جعل تركيا قوّة شاملة"، شعاراً لا يزال يتّردّد على لسان المسؤولين الأتراك (4)، رَغْمَ مرور أربع سنوات على إعلان رؤية 2023، بإنجازاتها وأزماتها؛ حيث شهدت تركيا تحوّلاً اقتصادياً عميقاً على مدى العقد الماضي بأسس اقتصاديّة صلبة جداً ومُؤشّرات مشجّعة؛ حيث احتلّ نموّ الاقتصاد التّركيّ المرتبة الأولى بين بلدان مجموعة العشرين، لعام 2017، بنحو 7.4%، في حين جاء في المرتبة الثانية مقارنة ببلدان مُنظمة التعاون الاقتصاديّ والتنمية (OECD)، والاتّحاد الأوروبّي (5).

1. "أردوغان: أوروبا ستخسر إذا لم تضمّ تركيا بحلول عام 2023"، رويترز، 31 أكتوبر 2012، تاريخ الزيارة: 30 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DtXR4Z
2. الرجل المريض هو لقب عُرفت به تركيا في بداية انهيار الإمبراطورية العثمانيّة خلال القرن التاسع عشر، وتحديدًا في عام 1853م، حينما وصف نيقولا الأول قيصر روسيا الإمبراطوريّة العثمانيّة بأنها "رجل أوروبا المريض"، ومنذ ذلك التاريخ والدبلوماسية الأوروبيّة تُخطّط وتبحث في كيفية التخلّص من تلك الإمبراطوريّة بطريقة لا تكسب فيها قوّة أوروبيّة واحدة ميزة على حساب الآخرين، وبما لا يُخلّ بالتوازن السياسيّ لأوروبا. للمزيد يُنظر: History of Ottoman Empire, Ottomans. available at: goo.gl/5JqSog
3. مُقتطف من خطاب للرئيس أردوغان بمناسبة الذكرى 563 لسقوط القسطنطينيّة في سنة 1453م، قالت عنه بعض وسائل الإعلام الغربيّة: إنه احتفالٌ بانتصار الإسلام على المسيحيّة، إسطنبول، مايو 2016م، للمزيد حول ذلك الخطاب، يُنظر: مهرجان احتفاليّ في ذكرى فتح القسطنطينيّة وكلمة للرئيس التّركيّ رجب طيّب أردوغان، موقع يوتيوب، مايو 2016، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iCBRFd
4. Objectif 2023 : « Faire de la Turquie une puissance globale », trt.net, 08.02.2015, goo.gl/zDYIxt
5. الاقتصاد التّركيّ يُحقّق أعلى نموّ بين دول مجموعة العشرين 2017، وكالة الأناضول للأنباء، 29 مارس 2015م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/b4pq1G

وعلى الرَّغْمِ من الظروف الصعبة التي تعيشها المنطقة حالياً، إلا أن تركيا استطاعت أن تتقدّم 9 مراكز دفعة واحدة في تقرير ممارسة أنشطة الأعمال 2018م، الصادر الثلاثاء عن مجموعة البنك الدولي؛ حيث قفزت تركيا من المركز الـ 69 عالمياً في تقرير 2017، إلى المركز 60 عالمياً 2018(1). ولكن أهداف 2023، تقتضي مجهودات جبّارة لبلوغ الإنجازات المرجّوة منها، والتي نلقي الضوء هنا على أهمها فيما يلي:

المُخَطَّطات.. للأرقام دور ودلالات:

"مهما يحدث، فإن تركيا لن تتخلّى عن أهدافها لـ2023"؛ يؤكّد أردوغان في خطاب ألقاه بمناسبة النسخة الـ24 للقاءاته مع رؤساء البلديات في القصر الرئاسي، وذلك في معرض حديثه عن المشاريع العملاقة التي تميّز رؤية 2023 المستقبلية، وبالتالي انتقاد المعارضة الأوروبية له، ففي أبريل 2018م احتفل الرئيس أردوغان بمشاركة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ببدء العمل الرسمي لبناء أول محطة للطاقة النووية في تركيا بتكلفة 20 مليار دولار، في مقاطعة مرسين الجنوبية، وذلك في إطار مشروع التنمية الذي أطلقه الرئيس أردوغان بهدف جعل تركيا إحدى الدول العشر الأغنى في العالم بحلول 2023(2). فعلى رأس هرم السُلطة في تركيا لمدة تزيد عن 16 عاماً، واصل رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية السّيّد رجب طيّب أردوغان، نَحَتَ ملامح تركيا الجديدة، التي بات الآن في قيادتها إلى حلول سنة 2023م ذات الحُمولة الرمزية القويّة في ذاكرة الأتراك؛ من حيث مصادفتها لمثوية الجمهوريّة التُّرْكِيَّة، وأيضاً موعد افتتاح أهم المشاريع العملاقة التي ستقود تركيا لا محالة إلى الزعامة المنشودة، عبر الاقتصاد وغيره من أدوات القُوَّة النَّاعِمَة والصِّلْبَة معاً. غير هذا، فالأرقام الدالّة تتوزّع بين القطاعات التَّنْمِيَّةِ التَّالِيَةِ التي تتَمَحَوَّرُ داخل مُحدِّدات رؤية 2023م.

1. تركيا تتقدّم 9 مراكز عالمياً في تقرير ممارسة أنشطة الأعمال 2018م، وكالة الأناضول للأنباء، 31 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 31 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wgDhzw
2. "أردوغان وبوتين يضعان حجر الأساس لأول محطة نووية في تركيا"، فرانس 24، 4 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Az7kYn

كما أن التخطيط الاقتصادي لمضاعفة بناء السدود ومحطات الطاقة النووية ليس فقط لأجل حبّ الظهور بمظهر القوي، كما تُركّز على ذلك وسائل الإعلام الغربية، بل لاستيفاء حاجة بيئية أساسية وطاقية حقيقية. من جهة أخرى، تأكيد دور تركيا أيضاً كمركز محوريّ لإمدادات الطاقة نحو أوروبا، انطلاقاً من القوقاز وآسيا الوسطى وإيران. تركيا إذن، هي البلد الذي تُوزع عبره الطاقة المُصدّرة من بلدان أخرى، ولكنها في نفس الوقت مستهلكة لنفس الطاقة. وإذا أرادت تركيا الحفاظ على وتيرة نموها الصناعي، يجب أن تستمرّ في تحريك وتنمية قدراتها الطاقية.

أما فيما يخصّ البيئات التحتية للنقل، فالمطار الثالث المعتمز إنشاؤه في إسطنبول (1)، على سبيل المثال، له ما يُبرّزه من قبيل النجاح الاستثنائي لشركة الخطوط الجوية التركية، التي استطاعت في غضون سنوات قليلة أن تصبح واحدة من أكبر شركات النقل الجويّ في العالم. وإسطنبول بدورها تحوّلت إلى مدينة عبور عملاقة للطيران المدنيّ الدوليّ. والفكرة من وراء هذا المطار الثالث ليس منافسة مدن غربيّة من أمثال أتلانتا الأمريكيّة أو فرانكفورت الألمانيّة، بل هو طموح أكبر من هذا، وبالتأكيد لا يبدو بعيد المنال، بالنظر إلى النجاحات والأرقام القياسية المحقّقة على صعيد الاقتصاد التركيّ في سنوات معدودة.

1. وضع الرئيس التركي، السّيّد رجب طيّب أردوغان، حجر الأساس لأكبر مطار في العالم في يونيو عام 2014م، في خطوة لدعم التوجّهات التركيّة في التطوير ورفع معدلات الاستثمار، وتحسين واقع السياحة ودعم اقتصاد تركيا. وأدّت التوقعات المرتفعة حوله إلى جعله محور اهتمام لدى الأوروبيّين الذين أبدوا تحوّفاً من تأثيره على تصنيف المطارات الأوروبيّة. ويقع المطار - المتوقع أن يفتتحه في أكتوبر 2018م- في القسم الأوروبيّ من مدينة إسطنبول، في منطقة "أرناؤوط كوي"، قرب البحر الأسود، وبحسب تصريحات المسؤولين الأتراك، فإنّ التكلفة الكبرى للمشروع تبلغ 10.5 مليار يورو، بما يعادل 14 مليار دولار. للمزيد يُنظر: "مطار إسطنبول الثالث يساهم بنسبة 5% في الناتج القومي الإجمالي لتركيا"، تي آر تي العربيّة، 21 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JNj7PN

• الزراعة في أفق 2023:

في تركيا، تلعب الظروف المناخية، والموقع الملائم، وإمكانات الأيدي العاملة لصالح العمل الزراعي، علاوة على أن المواسم المختلفة يمكن أن تكون موجودة في وقت واحد، في مختلف أطراف البلاد. وباستثناء بعض الفواكه الاستوائية، فكلُّ المنتجات الزراعية يمكن زراعتها هناك. ووفقاً لتقديرات العام 2016م، فإن نحو 20% من السُّكَّان يعملون في المجال الزراعي، الَّذِي يمثل نحو 6.1% من إجمالي الناتج المحلي للبلاد بما قيمته نحو 52.3 مليار دولار أمريكي(1). وبناءً عليه تُوفَّرُ الزراعة حاجيات الغذاء لتركيا، وتُعتَبَرُ حجر الزاوية للاقتصاد التركيّ. وتتعلّق رؤية 2023 في جانب الزراعة، ببلوغ عدد من الأهداف أهمّها؛ 8.5 مليون هكتار للاستغلال الزراعي، 150 مليار دولار كنتاج داخلي خام، بما فيها 40 مليار دولار منتوج الصادرات الزراعية، الارتقاء إلى المرتبة الخامسة بين أوائل القُوَى الكبرى في مجال الزراعة، المرتبة الأولى في مصائد الأسماك على الصعيد الأوروبي(2).

• شبكة السُّكَّك الحديدية في أفق 2023:

يعتبر تطوير شبكات السُّكَّك الحديدية اليوم، عاملاً رئيساً في التنمية على الطريقة التركية، سواء على الصعيد الوطني أو المحلي، في أفق الاندماج في فضاءها الأوروبي، وتمتين علاقاتها مع جيرانها وجوارها. ففي بيئة تتسم بإكراهات مُقَيَّدَةٍ للميزانية، يتصدَّرُ قطاع النقل ككلُّ البرنامج الوطني للاستثمار العمومي.

1. "زراعة وأغذية"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، د. ت، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Z5W23M

2. "زراعة وأغذية"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، المرجع السابق.

ويجذب هذا البرنامج الاستثماري العديد من المصنّعين الأجانب؛ حيث ينبغي أن يساعد أيضاً على تصحيح آثار الهيمنة الكاملة تقريباً للنقل البرّي للركاب والبضائع على الطرق. والهدف الرئيس لـ2023، زيادة شبكة خطوط السكك الحديدية، ليصل طولها إلى 25 ألف كيلو متر مُرَشَّحة للزيادة إلى 30 ألف كيلو متر بحلول عام 2035(1).

وفي هذا القطاع تتحدّد رؤية 2023م في عدد من المنطلقات على رأسها؛ تجديد جميع محطات السكك الحديدية التركيّة مع إنشاء أخرى جديدة، زيادة خطوط سكك حديدية للقطارات الفائقة السرعة، إلى جانب خطوط سكك حديدية عابرة للقارات؛ من تركيا إلى أوروبا، آسيا، الشرق الأوسط وإفريقيا.

• الموانئ التركيّة في أفق 2023:

أمّة بحريّة مرجعية جديدة بدأت تظهر في أبواب جنوب شرق أوروبا، بموقعها الجغرافي (مضائق، دولة أوراسية)، وتنميتها الاقتصادية وطموحاتها السياسية، تتمرّكز تركيا الآن في قلب العديد من الإشكاليات البحرية، مثل مسألة السلامة البحرية للمضائق التي لا تزال قائمة مع نمو المبادلات، وبخاصة حركة ناقلات النفط في البحر الأسود. وهذا يعتبر أحد جوانب البعد البحري التركيّ الشاسع. حيث يتموقع تطوير الاقتصاد الوطنيّ التركيّ على مفترق طرق عدّة مناطق جيوسياسية وجيواقتصادية. لذا تريد تركيا إنشاء صناعة بحريّة مهمّة، وما يترتب على ذلك من بنى تحتية وهياكل صناعية موازية: موانئ حديثة، تسليح بمعايير عالمية، وورش بناء سفن قادرة على المنافسة.

ورؤية 2023 في مجال البنى التحتية البحرية تتوخى هدفين مهمين؛ هما: الدخول إلى قائمة المراتب العشر الأولى في العالم، إنشاء ميناءين عالميين بمدينة إزمير.

1. "تركيا تهدف إلى مد خطوط سكك الحديد بطول 30 ألف كلم بحلول 2035"، دايلي صباح، 3 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/eqQy7u

• الطرق التُّرْكِيَّةُ في أفق 2023:

تُحطِّطُ الحكومةُ التُّرْكِيَّةُ لبناء العديد من المشاريع الكبرى وخصخصة بعض البنى التحتية الخاصَّة بالطرق. فبعد مشروع الطريق السريع إزمير - إسطنبول (1)، ونفق أوراسيا السَّيَّار تحت مضيق البوسفور (2)، إلى جانب تدشين جسر ثالث في إسطنبول، على مضيق البوسفور، والذي سَيَدْتُهُ شركة كوريَّة جنوبية بتصميم فرنسي - سويسري مشترك (3).

وفيما يَتعلَّقُ بالدعوة إلى طلب عروض لخصخصة الجسور والطرق السريعة في تركيا، من قبل وكالة الخصخصة التُّرْكِيَّة (4) (OIB)، فقد فاز بها تحالف تركي ماليزيا (كوك غودزي بيرهاد - Köç - Gözde - Berhad) لتدبير إدارة 2000 كم من الطرق السريعة والجسور في إسطنبول، لمدة 25 عاماً، في صفقة بمبلغ 5.7 مليار دولار أمريكي (5)، والتي تُمثِّلُ الأكثر تكلفة في تاريخ تركيا بعد تورك تليكوم (6) Türk Telekom في عام 2005م.

1. مشروع طريق سريع يختصر زمن السفر بين إسطنبول وإزمير من 9 ساعات إلى 3 ساعات ونصف فقط، بطول 384 كيلومتراً للطريق السريع و49 كيلومتراً لطريق الوصول. للمزيد يُنظَر: الطريق السريع "إسطنبول- إزمير" يَخْتَصِرُ الرحلة من تسع إلى ثلاث ساعات ونصف، ترك برس، 12 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fswqwt
2. نفق أوراسيا يربط بين قارتي آسيا وأوروبا ويمرُّ أسفل قاع بحر مرمرة، تمَّ افتتاحه في ديسمبر 2016 بحضور الرئيس التُّرْكِي رجب طيَّب أردوغان وعدد من الرؤساء والوزراء الأجانب. للمزيد يُنظَر: أردوغان يفتتح "أوراسيا" أول نفق يصل بين آسيا وأوروبا تحت البحر، ترك برس، 20 ديسمبر 2016، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DQJMbF
3. صور: تدشين الجسر الثالث على مضيق البوسفور، أحد مشاريع أردوغان العملاقة، فرانس 24، 26 أغسطس 2016، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KXWwB7
4. جهاز إداري مُستقل، مسؤول عن تنسيق عمليَّات الخصخصة في تركيا، يتَمَتَّعُ بمسؤولية كاملة عن عمليَّات الخصخصة في الدولة، ويضطلع بتقديم المقترحات للمجلس الأعلى للخصخصة وإعداد خطة خصخصة المُنظَّمات المُهَيَّأَة، وتنفيذ تلك العمليَّة، وإصدار لوائح الهياكل الماليَّة والإدارية والقانونية للمُنظَّمات. للمزيد يُنظَر: "السلطات التنظيمية والرقابية"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، د. ت، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/dkBZYc
5. "Koc Holding consortium wins Turkey's roads and bridges tender", Reuters. DECEMBER 17, 2012, available at: goo.gl/v2HDZu
6. أول شركة تركية متكاملة تعمل في مجال الاتصالات، تأسَّست قبل 177 عاماً، وتمَّ خصخصتها في العام 2005م بقيمة بلغت 6.5 مليار دولار. للمزيد يُنظَر: شركة الاتصالات العملاقة "ترك تليكوم" قد تعود إلى ملكية الحكومة مرَّة أخرى، ترك برس، 18 أكتوبر 2017م، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rfH814

• المطارات التُّركيَّة في أفق 2023:

يُعتَبَر النقل الجَوِّي في تركيا صناعة في قلب التُّمُو المتواصل، ما سمح بدخول مُشغِّلين جُدُد عبر إجراء تحرير جريء للقطاع في أوائل عام 2000م. ويوجد حالياً 8 شركات طيران فاعلة باستمرار، 4 شركات تأجير و3 شركات للشحن. أما الشركات الرئيسيَّة العاملة في القطاع، فنجد بالإضافة إلى الخطوط الجَوِّيَّة التُّركيَّة Turkish Airlines: بيغاسوس، Pegasus، أطلس جيت، Atlas Jet، وأونور إير Onur Air.

وقد تضاغت الحركة الجَوِّيَّة ثلاث مرَّات بين عامي 2003 و2010م بأكثر من 120 مليون مسافر، أما في العام 2017، فقد بلغ إجمالي عدد المسافرين عبر مطاري "أتاتورك" و"صبيحة كوكجن" في إسطنبول نحو 95 مليوناً و113 ألفاً و289 شخصاً، بزيادة قدرها 5 ملايين و29 ألفاً و966 شخصاً عن العام 2016، وفقاً لإحصاءات المديرية العامَّة لتشغيل المطارات التُّركيَّة (1).

وقد بلغ عدد المسافرين على متن الخطوط الجَوِّيَّة التُّركيَّة، خلال 2017، نحو 68.6 مليون شخص، بزيادة قدرها 9.3% عن العام 2016م، وهي الشركة التي فازت بجائزة أفضل شركة طيران في أوروبا لـ 6 سنوات متتاليَّة منذ العام 2011 (2).

وفقاً لتقديرات تركيَّة، فقد سجَّل مطار صبيحة غوكجن Sabiha Gökçen (إسطنبول الجانب الآسيوي) حضوراً قوياً في حركة الملاحة الجَوِّيَّة، بإجمالي مسافرين بلغ نحو 21 مليوناً و56 ألفاً و767 مسافراً على الخطوط الداخليَّة، و10 ملايين و329 ألفاً و79 مسافراً على الخطوط الخارِجيَّة، خلال العام 2017 (3).

1. "95 مليون مسافر عبروا مطاري إسطنبول خلال 2017"، دايلي صباح، 6 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9bMcAe

2. "الخطوط الجوية التُّركيَّة تنقل 68.6 مليون مسافر خلال 2017"، وكالة الأناضول للأخبار، 9 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/K9DwWF

3. "95 مليون مسافر عبَّروا مطاري إسطنبول خلال 2017"، دايلي صباح، مرجع سابق.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

أما المطار الرئيس "أتاتورك" بإسطنبول، والذي افتُتِحَ في عام 1924م، فقد حقَّقَ نموًّا بنسبة 591% في رحلات العبور بين عامي 2007 - 2017م، ليحتلَّ المرتبة الأولى أوروبياً من حيث النمو، ويصبح المطار الأوروبِّي الوحيد الذي يدخل قائمة المطارات العشر الأكثر نموًّا في رحلات العبور عالمياً، وفقاً للمجلس الأوروبي للمطارات (1) (ACI).

وفي سياق التَّنْمِيَةِ القَوِيَّةِ، يوفرُّ هذا القطاع العديد من الفرص. وهكذا، فإنَّ الخطوط الجويَّة التُّرْكِيَّة الناقل الوطنيَّ الرئيس، التي عملت على تعزيز أساطيلها لتصل إلى 500 طائرة ركاب وشحن، قد حقَّقت أعلى ربح لها في تاريخها خلال الربع الثالث من العام 2017م، بصافي أرباح بلغ 620 مليون دولار أمريكي (2). أما بالنسبة للبيئية التحتية للمطارات فقد باشرت مجموعة مطار باريس (ADP) بإعادة شراء 38% من حصة الفاعل التُّرْكِي للمطارات TAV Havalimanlari القابضة (3) والبالغة 874 مليون دولار أمريكي (4)، والتي مكَّنت ADP من الدخول ضمن الثلاثة الأوائل أصحاب امتياز تسيير المطارات على الصعيد العالمي. وتتوقع رؤية 2023م أن 350 مليون مسافر سيسافرون عبر المطارات التُّرْكِيَّة، إلى جانب بناء أول مطار دوليِّ بقدرة استيعابية كبيرة بإسطنبول.

1. "مطار إسطنبول الأول أوروبياً في نموِّ رحلات العبور"، تي آر تي العربيَّة، 19 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XfPFzj
2. الخطوط الجوية التُّرْكِيَّة تحقِّق أرباحاً تفوق التوقُّعات، ترك برس، 9 نوفمبر 2017، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jdYJZw
3. شركة تركيَّة قابضة مختصة بإدارة المطارات تأسَّست عام 1997م، لتصبح بعدها بسنوات قليلة علامة تجارية عالمية في مشاريع إنشاء المطارات وإدارتها بفضل خبرتها الفنيَّة ومواردها البشريَّة ذات المهارات العالية والتكنولوجيا المتقدِّمة. أعادت الشركة تنظيم هيكلها التنظيمي في عام 2006م، لتجمع أنشطتها "التشغيليَّة" و"الإنشائيَّة" بهدف تمثيل تركيا بأفضل طريقة ممكنة على الساحة الدوليَّة. إلى جانب نشاطها الرئيس في إدارة المطارات التُّرْكِيَّة، فإنَّ للشركة حضوراً بارزاً في العديد من المطارات الكبرى حول العالم، وخاصةً في تونس، وكرواتيا، ومقدونيا، والمملكة العربيَّة السُّعُوديَّة، وجورجيا. للمزيد يُنظَر: "History", TAV havalimanlari, available at: goo.gl/DxBrff
4. Aeroports de Paris Agrees to Acquire %38 of Turkey's TAV. Bloomberg, March 12, 2012, available at: goo.gl/wVEpzn

قناة إسطنبول:

منذ كان الرئيس التركي السيّد رجب طيّب أردوغان، رئيساً للوزراء، وتحديدًا في العام 2011م كشف للمرة الأولى عن مشروع طمّوح للغاية، ربما سيكون أضخم عمل سيتم إنجازه في تاريخ الجمهوريّة التركيّة بأسرها، إنّه مشروع "قناة إسطنبول" الذي يطمح الرئيس أردوغان، لأن يُعزّز مكانة البلاد في مجال المعابر المائيّة؛ حيث من المقرّر أن يربط بحر مرمرة بالبحر الأسود في الشقّ الأوروبي من إسطنبول بطول 45 كيلو متراً، ومن جهة أخرى يُخفّف الضغط على مضيق البوسفور، والتقليل من خطر الأضرار البيئيّة التي تُحدِثها السفن الناقلة للمواد الكيميائيّة(1).

وقد بدأت أعمال التنقيب في مسار هذا المشروع الضخم منذ العام 2017م، وانتهت مطلع العام 2018م، ويتعاون فيه الكثير من الجهات الحكوميّة التركيّة؛ مثل: وزارات النقل والملاحة البحريّة، والبيئة وشؤون الغابات والمياه، والأغذية والزراعة والثروة الحيوانيّة، والطاقة والموارد الطبيعيّة، وبلدية إسطنبول، وإدارة الإسكان الجماعي "توكي" التابعة لرئاسة الوزراء، كما استعانت الحكومة خلال تعيين مسار القناة بعدد كبير من الخبراء الأتراك والأجانب(2).

وسيبدأ مسار القناة من بحيرة "كوتشوك تشكجه" في إسطنبول إلى بحر مرمرة، وتستمرُّ شمالاً عبر سدّ "صازلي دره"، ومن ثمّ تصل للبحر الأسود شرق سدّ "تيرطوس" في قرية "دوروسو" بمنطقة "تشاتالجا" بإسطنبول(3)، ومن المقرّر أن تكون القناة

1. تركيا تكشف مسار "قناة إسطنبول" بطول 45 كيلو متراً، موقع "15، france24" يناير 2018م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/oqohGd>.
2. قناة إسطنبول.. المشروع الأضخم في تاريخ تركيا، موقع "20، mubasher.aljazeera" يناير 2018م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/oqohGd>.
3. تركيا تكشف عن مسار "قناة إسطنبول"، موقع "15، arabic.rt."، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/5TB2gX>.

مؤمّنة ضدّ تداعيات المدّ البحريّ الزلزاليّ "تسونامي"، وهبوب الرياح لنحو 25 عاماً مُقبلة؛ إذ أُجريت دراسات مُتعمّقة للعواصف والموجات البحرية العميقة في البحر الأسود وممرّة، وكذلك تمّ تصميم المخطّط الأوليّ للمشروع بحيث لا تتأثّر ضفّتا القناة بالأمواج الناجمة عن مرور السفن في الممرّ.

وفور الإعلان عن أفاق المشروع، اكتسب الأخير اهتماماً كبيراً من قبل خبراء السياحة، الذين يطمحون لأن يكون ذا فائدة كبرى للقناة حالما يكتمل، مع تدشين مراكز مؤتمرات ومراسي وفنادق جديدة بالقرب من القناة الجديدة والبوسفور، مؤكّدين أنّ الزخارف السلجوقية الأناضولية سيكون لها أثر كبير في جذب السياح. وبعد إتمام المشروع ستتمّ الرحلات البحرية بسهولة أكبر، مما يشير إلى أنّ القناة ستساهم بشكل كبير في عائدات السياحة بإسطنبول؛ فالسائح في هذا النوع من الرحلات يُنفق ثلاث أضعاف ما يُنفقه السائح العاديّ على الأقلّ.

ويُتوقّع أنّ عائدات المشروع ستبلغ 100 مليار دولار و1.5 مليون وظيفة جديدة ضمنّ خمس سنوات، مؤكّداً أنّ إسطنبول لديها القدرة على استضافة نحو 25 مليون سائح، وأنها استضافت نحو 11 مليون سائح العام 2017م، وفي غضون خمس سنوات من بدء القناة بالعمل، سيصل عدد سياح إسطنبول إلى 50 مليوناً، وهذا ما سيجعل من إسطنبول المدينة الأكثر زيارةً في أوروبا (1).

أمّا التقارير الرسمية التركية، فتشير إلى أنّ القناة الموازية ستدّر على تركيا نحو ثمانية مليارات دولار سنوياً، ما يساهم في تعويضها عن عشرة مليارات دولار حرمت منها

1. "قناة إسطنبول" أكبر المشاريع التي تترقبها تركيا، موقع "28"، yenisafak، فبراير 2018م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/AfzFTm>.

بسبب تسعيرة المرور المنخفضة عن السفن التي تُعبرُ مضيق البوسفور، تبعاً لاتفاقية "مونترو" (1) التي وُقِّعت في المدينة السويسرية في العام 1936م لتنظيم الملاحة في المضائق والممرات المائية التركية.

لذلك تَبِعَ القيمة الأكثر أهمية للقناة من عدم خضوعها لاتفاقية مونترو؛ مما يسمح لتركيا بتحصيل 5.5 دولارات عن كل طن من البضائع وحمولات السفن التي تُعبرها يومياً. وتُضيف البيانات الرسمية أن عائدات القناة الجديدة سَتُغطِّي خلال عامين فقط تكاليف المشروع البالغة نحو 15 مليار دولار، وستُحوَّل مضيق البوسفور التاريخي إلى حَطَّ ثانوي للتجارة البحرية (2).

العقارات قاطرة دفع للاقتصاد التركي

يتواجد القطاع العقاري التركي، وصناعة البناء المرتبطة في قلب نشاط مزدهر بتركيا في السنوات الأخيرة، بفضل التشريعات المتعلقة بالتحوُّل الحضري في المدن التركية الكبرى بدءاً بمدينة إسطنبول، هذه الطفرة جذبت انتباه مجموعات كبيرة من الاستثمارات العالمية في القطاع أو شركات عارضة في القطاع. وقد استحوذ القطاع العقاري في تركيا على نحو 8.4% من إجمالي الناتج المحلي خلال العقد الماضي، كما بلغت تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر في القطاع إلى نحو 10.8 مليار دولار أمريكي؛ حيث استقطبت العقارات وقطاع البناء والتشييد نحو 4.2 مليار دولار أمريكي، في عام 2017م، بما يُمثِّل نحو 38.8% من إجمالي الاستثمار الأجنبي المباشر (3).

1. قناة إسطنبول.. المشروع الذي سيُدرُّ على تركيا مليارات الدولارات، موقع "14"، turkeyalaaan، أكتوبر 2017م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/qfRZis>.
2. "العقارات"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، د. ت، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Wix9ut.
3. "العقارات"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، المرجع السابق.

القوة التركيبية الناعمة

وقد شهد العام 2017م بيع 22,234 منزل للأجانب في تركيا، بزيادة تقدر بنحو 22.2% عن العام 2016م. حيث حققت إسطنبول المرتبة الأولى بنحو 8182 منزلاً، تليها أنطاليا بـ 4707 منازل، ثم بورصة بـ 1474 منزلاً، ثم يالوفا بـ 1079 منزلاً⁽¹⁾.

وإجمالاً، يستفيد قطاع العقار التركي من زيادة الطلب بفضل الموقع الجغرافي المهم، والنمو السكاني، والزيادة في دخل الفرد، وأشغال التجديد الحضري الواسعة النطاق، وأيضاً برامج التشغيل والتنمية، وسهولة ممارسة أنشطة الأعمال، أي: كل ما يمكن أن يجلب إمكانات استثمارية كبيرة لهذا القطاع الرائد في تركيا، وكمثال على ذلك، نورد المعطيات التالية⁽²⁾:

- عدد العقارات المسوّقة في تركيا عام 2012م بلغ مليون عقار.
- عدد مراكز التسوّق التشغيلية في تركيا 445 وحدة / إجمالي المساحة القابلة للتأجير يناهز 12.2 مليون متر مربع.
- عدد مراكز التسوّق في إسطنبول 136 وحدة، بما يناهز 38% من إجمالي مساحة مراكز تسوق في تركيا.
- بحلول العام 2020م فإنه من المتوقع أن يصل إجمالي تجهيزات المكاتب من الدرجة الأولى إلى أكثر من 7 ملايين متر مربع في المساحة القابلة للتأجير في تركيا.

وعلاوة على ذلك فإن التطوير ووضع أهداف جديدة لمواصلة أشغال التجديد والمشاريع الحضارية الكبرى لا يزال قائماً، بما في ذلك قناة إسطنبول، وجسر اليوسفور الثالث، ومطار إسطنبول الثالث. كما قرّرت الحكومة التركية، في العام 2015م، أيضاً تجديد المباني التي توجد في وضعية هشاشة وعرضة للكوارث الطبيعية، والتي تتضمّن ما

1. "العقارات"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، المرجع السابق.

2. المرجع السابق.

يقارب 6.5 مليون مسكن، بميزانية قدرها 400 مليار دولار أمريكي (1). ومع إمكانيتها الحالية لتنفيذ مشاريع ضخمة وأهداف طموحة في إطار رؤية 2023، توفر تركيا فرصاً كبيرة للمستثمرين في القطاع العقاري، ناهيك عن النمو العمراني والإشعاع الحضاري.

1. للمزيد عن ذلك يُنظر: الاستثمار العقاري في تركيا، تركيا العقارية، 24 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wmAVdL

المبحث الثالث

الرؤية الاقتصادية في مواجهة صعوبات العجز التجاري والتضخم

في خضمّ الحديث عن نجاحات تركيا الاقتصادية، لا يجب إغفال بعض الغيوم السوداء المتجمّعة في الأفق؛ إذ تتربّص بمقومات ووسائل تحقيق أهداف رؤية 2023 الموعودة، جملة مشاكل أهمّها مسألة العجز التجاري والتضخم. لتستحيل معها أحلام تركيا الوردية إلى واقع يتمّ الاعتراف بصعوبته، كما جاء على لسان وزير الاقتصاد التركي⁽¹⁾ نهاد زيبكجي⁽²⁾، ويُبعد تركيا عن أهدافها المنشودة في عام الحسم المذكور، أي الموعد المنتظر للالتحاق بركب القوى الكبرى في هذا العالم.

ورغم أن تركيا دولة مُتّجعة إلا أنّ نظام العقود فيها يكبّح من انطلاقها الاقتصادية، وعلى منوال وضعها الحالي، يُؤكّد الوزير زيبكجي بأنّ تحقيق حلم تركيا ببلوغ الأهداف المنشودة للعقد القادم يبدو صعب المنال، مُشدّداً على أنّ رفاهية أي بلد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظام التعليمي، كما هو عليه الحال في كثير من دول العالم المتقدّم، مطالباً أيضاً بزيادة فورية في متوسط سنوات الدراسة برفعها إلى 12 عاماً.

1. تركيا تواجه صعوبات في تحقيق الخطة الاقتصادية، أصداء الأعمال، 23 أكتوبر 2014م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BHigJP

2. أحد أبرز الوجوه الاقتصادية والسياسية بحزب العدالة والتنمية، من مواليد دنيزلي عام 1961م، تخرّج في كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية بجامعة مرمره، وحصل على درجة الماجستير في العلاقات الدولية بجامعة إسطنبول. عضو في البرلمان التركي عن محافظة دنيزلي، يشغل حالياً منصب وزير الاقتصاد. للمزيد يُنظر:

Nihat ZEYBEKCI, World Economic Forum, available at: goo.gl/sFs9aV

وبالأرقام، أظهرت الموازنة التُركيَّة لسنة 2016م عجزاً قدره 7.8 مليارات دولار أي ما يناهز 29.3 مليار ليرة (رقم إيجابي بما يقلُّ 430 مليون ليرة عن التَّوقُّعات)، مقابل تسجيل ارتفاع في الإيرادات بنسبة 14.8% (1)؛ وهي أرقام اعتُبرت إيجابيّة في ظلِّ الآثار السُّلبيَّة الناتجة عن المحاولة الانقلابيَّة الفاشلة منتصف يوليو 2016م، وتراجع إيرادات السُّياحة خاصة الرُّوسِيَّة منها، بعد حادثة إسقاط مقاتلة تابعة لموسكو، وأيضاً انخفاض قيمة العُملة المَحليَّة اللِّيرة مقابل الدولار، وتنامي الحوادث الإرهابيَّة، واستمرار تدفق اللّاجئين السُّوريِّين لتركيا. (2)

أما على صعيد التَّضخُّم الاقتصاديِّ، فقد فاقت أرقامه كلَّ التَّوقُّعات، عبر الارتفاع الحادِّ في أسعار المواد الغذائية والمشروبات، بنسبة 1.64% في شهر ديسمبر الماضي، مما أجبر اللِّيرة التُركيَّة على التراجع (3) صَوَّب مستويات منخفضة قياسيَّة (4).

مسارات الطَّاقة وأهميَّة تركيا كنقطة عبور

تزداد أهميَّة تركيا كونها تقع على مسارات الطَّاقة. فوفقاً لتقرير لإدارة معلومات الطَّاقة الأمريكيَّة (5)، يتردَّد اسم تركيا كنقطة عبور مهمَّة لتوصيل مصادر الطَّاقة من

1. "عجز موازنة تركيا في 2016م أفضل من المتَّوقَّع"، العربي الجديد، 16 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/0N6k4F
2. "عجز موازنة تركيا في 2016م أفضل من المتَّوقَّع"، العربي الجديد، المرجع السابق.
3. في نهاية العام 2017م، بلغ معدل التَّضخُّم في تركيا أعلى مُعدَّل سنويٍّ له منذ 14 عاماً، بنسبة تقرب من 13%، وفقاً لبيانات رسميَّة تركيَّة، الأمر الذي أدى إلى موجة من ارتفاع الأسعار، ووقوع البنك المركزي التُّركي تحت مزيدٍ من الضغوط لمنع تدهور اللِّيرة أمام العملات الأجنبيَّة، وخاصةً الدولار الأمريكيِّ. للمزيد يُنظر: التَّضخُّم في تركيا يبلغ أعلى مُعدِّلاته منذ 14 عاماً، بي بي سي عربي، 4 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Pzkr7F
4. ارتفاع التَّضخُّم في تركيا لمستوى يفوق التَّوقُّعات، سكاى نيوز عربيَّة، 3 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MI2GM2
5. "تقرير أمريكي: لتركيا أهميَّة استراتيجيَّة في نُقل الطاقة إلى أوروبا"، تركيا بوست، 4 فبراير 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/BXxga>

آسيا الوسطى وروسيا والشرق الأوسط إلى دول أوروبا وباقي العالم. كما لم يُغفل التقرير المذكور الإشارة إلى التَّوَسُّع الكبير الَّذِي شهدته الاقتصاد التُّرْكِيَّ في السنوات العشر الأخيرة، مما كان له كبير الأثر في زيادة استهلاك النفط وغيرها من أنواع الوقود السائل اللازم لإدارة عجلة التصنيع.

ويعتبر مضيقا البوسفور والدردينيل من ضمن أكثر المضائق العَالَمِيَّة ازدحاماً وحركة عبور، كما يعتبر المضيقان؛ البوسفور والدردينيل، هما المخرج الوحيد للسفن الرُّوسِيَّة من البحر الأسود المغلق؛ حيث تُعْتَبَر روسيا من كبرى الدول المُصَدِّرَة للغاز المُسَال في العالم، ما يجعل المضيقين في قلب حركة تجارة الطَّاقَة في العالم(1).

وإلى جانب أهمِّيَّة قطاع النقل البحريّ في تركيا، يذكر التقرير المعنِيّ بمسارات الطَّاقَة التُّرْكِيَّ بِأَن النفط يُنْقَل بَرِّيًّا أيضاً، من شمال العراق عبر خط أنبوب باكو - تبليسي - جيهان. من هنا تبرز أهمِّيَّة تركيا الاستراتيجيَّة في نقل النفط والغاز الطبيعي، بِلَعْبَهَا دور الجسر بين أوروبا القاريَّة ثاني أكبر مُسْتَهْلِك للغاز الطبيعيّ في العالم وبين بحر قزوين والشرق الأوسط.

أيضاً، وفي سياق مشروعات الطَّاقَة، شرعت الحكومة التُّرْكِيَّة في إنشاء ثلاث محطات نووية(2) في أك كويو وسينوب، وأخرى غير معروفة الموقع، وذلك على أساس تخفيف تركيا من فاتورها الطاقية، والتي تعتمد على الخارج في توفير الطَّاقَة اللازمة لها(3).

1. مضيقا البوسفور والدردينيل: الأهمِّيَّة الاستراتيجية لتركيا"، تركيا بوست، 8 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tX1AYr

2. في عام 2010، وقَّعت تركيا مع روسيا اتِّفَاقِيَّة بتدشين أول محطة للطَّاقَة النَّوَوِيَّة في البلاد بمنطقة أك كويو، جنوب مرسين؛ حيث يمتلك الجانب التُّرْكِيَّ 49% من أسهم المحطة الجديدة في حين تملك الشركة الرُّوسِيَّة المُتَمَدَّة "روساتوم" 51% من الأسهم. وفي عام 2013، وقَّعت تركيا مع اليابان اتِّفَاقِيَّة للبناء والتعاون في إنشاء محطة سينوب للطاقة النَّوَوِيَّة، لتصبح ثاني مشروع محطة للطَّاقَة النَّوَوِيَّة في تركيا، في حين تُؤكِّد مصادر أن المحطَّة النَّوَوِيَّة الثالثة سيتم بناؤها في منطقة "إيفنيادا" بولاية "كيركلاريلي" بالتعاون مع الصين. للمزيد يُنظَر: انطلاق بناء أول محطة نوويَّة تُّرْكِيَّة في أك كويو"، ترك برس، 4 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/W6j4U4

3. "زيادة أهمِّيَّة تركيا التي تقع على مسارات الطَّاقَة"، تي آر تي عربي، 3 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/O735Kf

وفي هذا السياق، يمكن استعراض أهم محاور الأهداف التي أصدرها رئيس وزراء تركيا (الرئيس الحالي) السيد رجب طيب أردوغان لالتزامن مع الذكرى المئوية لجمهورية تركيا في عام 2023م، حول مسارات الطاقة (1)، والتي تتلخص في الاستفادة من طاقة الرياح حتى 2000 ميغا وات، و600 ميغا وات من الطاقة الحرارية الجوفية، تقليل استهلاك الطاقة إلى 20% عن مستويات عام 2010م من خلال تحسين الكفاءة، وترشيد الاستهلاك، تشغيل ثلاث محطات تعمل بالطاقة النووية. وكأولى ثمرات التهدئة والرجوع إلى أسلوب "تصفير المشاكل"، عززت تركيا استراتيجيتها في مجال الطاقة بدعم التعاون مع روسيا في هذا المجال، عبر مشروع تورك ستريم (2) Turk Stream كمثال، ويشمل خط أنابيب الغاز الذي سيحل محل مشروع ساوث ستريم (3) South stream الذي يرجع إلى عام 2007م، والذي وفر طريقاً لتسويق الغاز الروسي في الأسواق الأوروبية، عبر البحر الأسود، وبالتالي تجاوز مسار أوكرانيا.

1. زياد العالول، "رؤية تركيا 2023 وأحلام العرب"، عربي 21، 28 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QjqUxF
2. في أكتوبر 2016م، وقعت تركيا وروسيا، بحضور الرئيسين أردوغان وبوتين اتفاقية لبناء خط أنابيب "تورك ستريم" لنقل الغاز الروسي إلى تركيا وأوروبا عبر البحر الأسود، من خلال أنبوبين، بقدرة ضخ سنوية تقدر بنحو 15.75 مليار متر مكعب من الغاز لكل أنبوب منهما؛ بحيث يكون الخط الأول مخصصاً لنقل الغاز إلى المستهلكين الأتراك، فيما يكون الخط الثاني مخصصاً لنقل الغاز الروسي إلى أوروبا. للمزيد يُنظر: روسيا وتركيا توقعان مشروع "تورك ستريم" لنقل الغاز عبر البحر الأسود، سي بي إن سي العربية، 10 أكتوبر 2016، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fCs39G
3. مشروع خط أنابيب ملغى لنقل الغاز الطبيعي للاتحاد الروسي كانت تقوم عليه شركة "جازبروم" الروسية بهدف تصدير الغاز الطبيعي الروسي من الأراضي الروسية، عبر البحر الأسود، إلى دول جنوب ووسط أوروبا. وقد تم إيقاف المشروع بسبب المفوضية الأوروبية التي وظفت القانون في الضغط على دول الاتحاد الأوروبي الموقعة على هذا الاتفاق مع روسيا. للمزيد يُنظر: القرار الروسي بصدد خط أنابيب "ساوث ستريم" يُغيّر المعادلة الإقليمية، راقب، ستراتفور، 4 ديسمبر 2014، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/stpUje

وقد تمت الموافقة على هذا المشروع من قبل السلطات الروسية والتركيّة، ولكنّه واجه مقاومة من قبل الاتحاد الأوروبي (EU) على خلفيّة أزمة أوكرانيا، ومناورة روسيا لحرمان أوكرانيا التي ارتمت في أحضان الغرب من حصّتها في إدارة جزءٍ من خطوط الإمداد بالغاز الروسيّ، وبالتالي يوفّر مشروع Turk Stream لتزويد السوق التركيّ والأوروبيّ بالغاز الطبيعيّ الروسيّ من خلال الأراضي التركيّة، بإجماليّ تزويد يصل إلى نحو 32 مليار متر مكعب سنوياً⁽¹⁾.

ويجسد المشروع ميزة مزدوجة للطرفين. فمن الجانب الروسيّ، يتيح المشروع المذكور زيادة تغطية الاحتياجات من الغاز نحو أوروبا وخصوصاً في جنوب شرق أوروبا، بواسطة العملاق النفطي غازبروم (2) Gazprom. أما من الجانب التركيّ، فإنّ خط الأنابيب المذكور يضمن لها أسعاراً تفضيليّة، وأيضاً يضمن لها السيطرّة على جزء من إمدادات الغاز الحيويّ لأوروبا. وبناءً عليه، فكلا الطرفين التركيّ - الروسيّ فائزان.

الليرة التركيّة.. محطات الانخفاض والصعود

شهدت الليرة التركيّة محطات من الانخفاض التدريجيّ أمام الدولار الأمريكيّ منذ تسعينيات القرن الماضي، فكان الدولار الواحد يساوي أقل من ليرتين تقريباً، وظلّ يرتفع وينخفض دون أن يتخطّى هذا الحاجز حتى العام 2013م⁽³⁾.

1. روسيا وتركيا توقّعان مشروع "تورك ستريم" لنقل الغاز عبر البحر الأسود، سي بي إن سي العربيّة، 10 أكتوبر 2016، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fCs39G
2. شركة روسيّة عالميّة للطاقة تعمل في مجالات التنقيب الجيولوجيّ، والإنتاج، والنقل، والتخزين، والمعالجة والمبيعات من الغاز، ومكثّفات الغاز والنفط، ومبيعات الغاز كوقود للسيّارات، فضلاً عن توليد وتسويق الحرارة والطاقة الكهربائيّة. وتمتلك غازبروم أكبر احتياطيّ للغاز الطبيعيّ في العالم. وتبلغ حصّة الشركة في احتياطيّات الغاز العالميّة نحو 17%، والروسية نحو 72%. للمزيد يُنظر: About Gazprom, Gazprom، available at: goo.gl/oZbVre
3. Turkish Lira 1991- 2018 ، موقع tradingeconomics، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MHDDUu

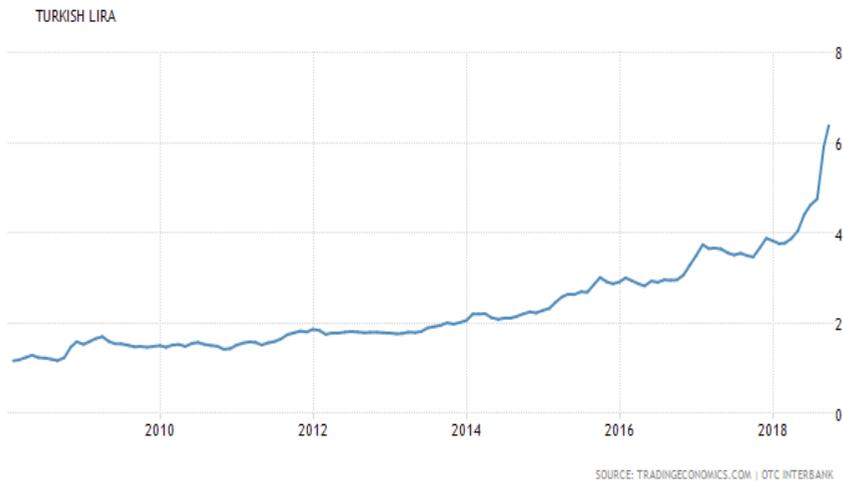
الفصل الحادي عشر/ المبحث الثالث

وخلال الفترة بين العامين 2014 و2016م واصلت الليرة انخفاضها ببطءٍ حتى تخطى الدولار الأمريكي الواحد حاجزَ الثلاث ليرات تركيَّة، وفي منتصف العام 2016م اتخذت الليرة التركيَّة خطأً معاكساً فشهدت تحسُّناً طفيفاً، ما لبث أن اختفى مع حلول العام 2017م؛ فكاد الدولار يصل حاجزَ أربع ليرات، ومع منتصف العام 2018م ازداد الانخفاض الجنوني لليرة، وتخطى الدولار حاجزَ الست ليرات. وتوضَّح الرُّسوم البيانيَّة التالية تغيُّرات أسعار صرْف الليرة التركيَّة مقابل الدولار الأمريكي منذ التسعينيات وحتى العام 2018م: (1)



1. Turkish Lira 1991- 2018 ، موقع tradingeconomics ، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MHDDUu

القُوَّة التَّرْكِيَّة النَّاعِمَة



الفصل الحادي عشر/ المبحث الثالث



وفي صيف 2018م تراجعت قيمة الليرة التركية بسرعة كبيرة، فانخفضت من حاجز 4.5 ليرة للدولار الأمريكي إلى أكثر من 6.5 ليرة، ويعود ذلك للعقوبات الأمريكية التي فرضتها واشنطن على أنقرة، ما أربكت الأخيرة التي فشلت في اتخاذ رد سريع لطمأنة المستثمرين، رغم أن قرار البنك المركزي التركي ضخم المزيد من السيولة أدى لتحسن طفيف في قيمة العملة الوطنية، لكن ذلك لم يكن كافياً لمواجهة ارتفاع التضخم. ويؤكد خبراء اقتصاديون أن أي دولة تواجه مثل هذا التدهور السريع في عملتها، من المفترض أن تتجه لرفع أسعار الفائدة، لكن هذا الأمر يرفضه الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان؛ خوفاً من الخمول الاقتصادي⁽¹⁾.

1. محلل اقتصادي يوضح لـ "سبوتنيك" أسباب تراجع قيمة الليرة التركية، موقع 13 arabic.sputniknews، أغسطس 2018، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jpT6iH.

القوة التُركِيَّة النَّاعِمَة

وَضِمَّنَ خُطُواته لِمُواجهَة هذه الأزمَة؛ حثَّ الرئِيس التُّركِيَّ رَجَب طيِّب أردوغان - نهاية العام 2016م - المواطنين على تحويل عملاتهم الأجنبيَّة التي يَمْلِكُونها إلى الذَّهَب أو اللِّيرة التُّركِيَّة؛ من أجل دَعَم العُملة الوطنيَّة الأخذَة في الانخفاض أمام الدُولار الأمريكي⁽¹⁾، وقد تَكَرَّر نداؤه في مايو 2018م بعدما عاودَت اللِّيرة هبوطها في الأشهر الأولى من العام الجاري⁽²⁾، رغم أنها شهدت تحسُّناً طفيفاً منتصف العام 2017م.

وفي أغسطس 2018م، وبعد أن فَقَدَت اللِّيرة التُّركِيَّة 19% من قيمتها أمام الدولار، بعد إعلان الرئِيس الأمريكي دونالد ترامب مُضاعفَة الرُّسوم على واردات الصُّلب والألمنيوم التُّركِيَّة، تجدد نداء الرئِيس أردوغان للمَرَّة الثالِثة لمواطنيه بتحويل ما يَمْلِكُونه من عُملات أجنبيَّة لدعم اللِّيرة التُّركِيَّة.

-
1. أردوغان يَحُثُّ الأتراك على استبدال ما لديهم من عملة أجنبيَّة بالذهب أو العملة المحليَّة، موقع bbc Arabic news، 2 ديسمبر 2016، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/apPcpm.
 2. أردوغان يدعو الأتراك لتحويل مدخراتهم من اليورو والدولار إلى اللِّيرة، موقع arabic.rt، 26 مايو 2018، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nqB7Ps.

المبحث الرابع

السِّيَاسَةُ الْخَارِجِيَّةُ .. فَنُ الْمَمْكَنُ وَتَجُنُّبُ الْأَلْغَامِ

دائماً في نفس سياق رؤية 2023، وبالتزامن مع احتفالات الذكرى المئوية التي ستصادف نفس التاريخ المذكور، يمكن استعراض أهم محاور السياسات الخارجية، والتي تتمثل فيما يلي (1)؛ العمل على نيل تركيا عضوية الاتحاد الأوروبي، لعب دور أساسي في حل النزاعات والخلافات الإقليمية والعالمية، التصنيف ضمن أقوى 10 اقتصادات في العالم بحلول 2023، السعي لتحقيق التكامل الإقليمي عن طريق التعاون الأمني والاقتصادي.

ويبدو أن تركيا، وإن كانت تسير بثبات نحو بلوغ مرتبة دولة مُتقدِّمة قويَّة، تتبَّوًّا مكانتها اللاتقة ضمن نادي الدول العظمى في العالم، فإنَّ حقول الألغام، سواءً تلك التي تُزرَع في طريقها أو المحيطة بها، تجعل تحقيق مطامحها امتحاناً عسيراً وأمرأً صعبَ المنال. ولهذا تحاول تركيا أردوغان أن تتفادى كلَّ العوائق، وتعمل على نزع فتيل كلِّ الأزمات (سياسة صفر مشاكل المُنتَهَجَة في سياسة القُوَّة النَّاعِمَة) التي تُعطلُّ وتيرة تقدُّمها، وتحاول تحريف طريقها عن القِمة المنشودة، مثل مشكلة فلسطين مع الاحتلال الإسرائيلي، وسوريا والعراق، وخطر "داعش"، وتزايد التهديد الإيراني الشيعي، والتدخُّل الروسي... إلخ.

1. محمد ياس خضير، "خرائط السياسة الخارجية التركية: السياسة الخارجية- الفواعل والدوائر"، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 23 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/i6jW8C

فتركيا خلال العقد الماضي، أضحت سادس قُوَّةٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ في أوروبا رغم إغلاق باب الاتِّحَادِ الأوروپيِّ أمامها، وأصبحت ضمن مجموعة العشرين التي تسيطر على اقتصاديات العالم، وتمكَّنت من التَّخَلُّص من عِبَاءِ مديونيتها، لتنتقل دولة دائنة لصندوق النقد الدوليِّ، في حاجة أكثر من أيِّ وقت مضى لأدوات وأدوار دُبلُوماسِيَّةٍ مُنْطَوِّرة ومرنة، للتعامل بما يلزم مع العالم الغربيِّ الذي بات يشعر بخطر الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ التي تَتَقَدَّمُ في محيطٍ يعاني كُله ركوداً اِقْتِصَادِيّاً ومشاكل إرهاب.

وعليه، فالعلاقة مع الدول تُبْنَى على مصالح مشتركة، وليست على العواطف والنوايا. فالولايات المتَّحِدة اليوم تتحالف مع إيران العدو التَّقْلِيدِيَّ لها حتى تستطيع حماية مصالحها في المنطقة، ولا ضَيْرَ إن كانت هذه المصلحة تُصَبُّ بالحدِّ الأدنى في خانة العدو، كما أن علاقة تركيا بإسرائيل لن تعود كما كانت في السابق(1).

وقد جعل أحمد داود أوغلو ركيزة السِّيَاسَةِ الخَارِجِيَّةِ للحكومة التُّرْكِيَّةِ بناءً على خمسة أسس رئيسية تتمثَّل كما أسلفنا سابقاً في: الموازنة بين تعزيز الحُرِّيَّات في الداخل ومواجهة الأخطار التي تهددها، حلَّ المشكلات مع دول الجوار وتصفير النزاعات، تفعيل سياسة خَارِجِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةِ الأبعاد مرتبطة بموقع تركيا على طريق تقاطع القُوَى السِّيَاسِيَّةِ والمناطق الحَيَوِيَّةِ في العالم، تطوير أسلوب دبلوماسي جديد في السِّيَاسَةِ الخَارِجِيَّةِ يقوم على اعتبار أن تركيا مركز المنطقة وليست جسراً بين الشرق والغرب، الانتقال إلى دُبلُوماسِيَّةٍ منتظمة ومتواصلة، بالتواصل مع المسؤولين على مستويات مختلفة في دول العالم المختلفة.

1. مثلاً ما تمَّ الاتفاق عليه ضمن تسوية قضية ضحايا أسطول الحرية الأتراك كان هو الحد الأدنى الذي يجب أن تُغْلَقَ فيه تركيا هذا الملف، وما أعلن عنه كاتفاق لا يُفصح بالضرورة عن كل شيء، ففي السياسة هناك قاعدة التكتّم والبهود السرية تضمن لكل طرف مصالحه الخاصة.

تركيا والاتِّحاد الأوروپيُّ:

في تصريح أدلَّى به جان كلود جانكر Jean - Claude Juncker، رئيس اللجنة الأوروپيَّة، ليوميَّة بيلدام سونتاغ Bild - am - Sonntag في مارس 2017م، أكَّد أنه "إذا ما تمَّ إعادة العمل بعقوبة الإعدام في تركيا، فهذا سيؤدِّي إلى وضع نهاية للمفاوضات"، بل وتحدَّث عن ما سمَّاه "الخطُّ الأحمر" في سياق شروط الموافقة على انضمام تركيا إلى الاتِّحاد الأوروپيِّ، التي يجب عليها الخضوع للمعايير الأوروپيَّة - حسب قوله دائماً - في ما تُعتبَره من أساسيات حقوق الإنسان (1). حتى وصل الأمر إلى حدِّ التوتُّر والتَّصريحات الإعلاميَّة المُتَشجِّجة، كما في حالة الأزمة الدبُلوماسيَّة الأخيرة مع كُُلِّ هولندا وألمانيا في بحر شهر مارس 2017م (2).

وفي هذا الصَّدَد، لا تكفُّ الدَّولة التُّركيَّة عن محاولة استغلال قُوَّتها النَّاعِمَة لِلانضمام لمنطقة الاتِّحاد الأوروپيِّ، رَغْم الأزمات وإحساس المنظومة الأوروپيَّة بتعاظم دور وقُوَّة تركيا التي يجب فرملتها، والعمل على إضعافها. وذلك من خلال تعديل كثير من القوانين الداخليَّة، وفتح الباب أمام التبادل التَّجاريِّ بين أنقرة وكثير من العواصم الأوروپيَّة.

1. المفوضيَّة الأوروپيَّة: إعادة عقوبة الإعدام في تركيا "خطُّ أحمر" في مساعي الانضمام للاتِّحاد، مونت كارلو الدَّوليَّة، 19 مارس 2017م، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SVENGm
2. مَنَعَتْ هولندا وزير الخارِجيَّة التُّركيَّة مولود تشاوش أوغلو من المَجيء إلى روتردام في إطار لقاء مع الجالية التُّركيَّة لدعم الرئيس أردوغان قبيل الاستفتاء الشعبي الذي أجريَّ يوم 16 أبريل 2017م، ورَدَ هذا الأخير بوصف هذا التَّصرُّف بـ"النازيَّة الجديدة"، والذي نَعَتَ به ألمانيا أيضاً عَقَبَ منعها ثلاثة لقاءات في هذا السياق أيضاً. للمزيد يُنظَر: هولندا تمنع طائرة وزير خارِجيَّة تركيا.. وأردوغان: "نازيون"، العَرَبِيَّة. نت، 11 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Qu2pbd

والبداية كانت في 14 أبريل عام 1987م؛ حيث تقدّمت الحكومة التركيّة بطلب للانضمام لمنطقة اليورو عقب توقيع اتّفاقيّة اتّحاد جمركي مع الاتّحاد الأوروبيّ، وفي 12 نوفمبر عام 1999م، تمّ الاعتراف بتركيا رسمياً كمرشّح للعضويّة الكاملة في الاتّحاد الأوروبيّ. وأهداف تركيا لدخول الاتّحاد الأوروبيّ مُتعدّدة؛ فتسعى أنقرة لأن تكون عضواً ضمن المنظومة الأوروبيّة للحصول على أحدث النُظُم العسكريّة، وضمان حياد القارة العجوز في مشكلة أنقرة مع أثينا، وقبرص، بالإضافة إلى تقليل الاعتماد على الولايات المتّحدة الأمريكيّة. وبخلاف تلك الأهداف السّياسيّة، فهناك مجموعة من الدوافع الاقتصاديّة تدفع القيادة التركيّة للعمل من أجل الانضمام للنادي الأوروبيّ، منها: سدّ الفجوة الاقتصاديّة مع الدول الأوروبيّة المتقدّمة، تحسين كفاءة أدائها الاقتصاديّ، كما ترى تركيا أن السوق الأوروبيّ، مجال خصب لتصدير الكثير من المنتجات التركيّة، وضمان حيازة خبرات وتكنولوجيا جديدة، تساعدها في تحديث برنامجها الاقتصاديّ(1).

لكن في مقابل ذلك، هناك بعض العوائق التي تقف في طريق تركيا نحو هذا الانضمام حيث بلغ عدد سكان تركيا 78 مليون نسمة وفقاً لإحصاء عام 2015م، ما جعلها مرشّحة بقوة لأن تكون العضو الأوّل في الاتّحاد خلال السنوات القليلة القادمة وفقاً لبعض التقديرات. ممّا يمنحها الحقّ في أن يكون لها أكبر عدد من الممثليّن داخل البرلمان الأوروبيّ، وهو ما يثير مخاوف سياسيّة عديدة لدى دول الاتّحاد من أن تتحوّل القضايا الإسلاميّة في تركيا إلى قضايا أوروبية(2).

على المستوى الاقتصاديّ يتوقّع البعض أن انضمام تركيا للاتّحاد سوف يسمح بتدفّق عدد كبير من المهاجرين الأتراك إلى بعض دول الاتّحاد، مثل ألمانيا وفرنسا والمملكة المتّحدة

1. محمد ياس خضير الغريبي، الدور الأمريكيّ في سياسة تركيا حيال الاتّحاد الأوروبيّ (1993-2010م)، مركز الدراسات الوحدة العربيّة، 2010م، ص 94.
2. سامي أحمد، تحوّلات أوروبية عديدة تمنع تركيا من الانضمام للاتّحاد الأوروبيّ، 2 مايو 2017م، دوت مصر، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Uq223L

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وغيرها، للبحث عن فُرْصٍ عمل في هذه الدول، وهو ما تنفيه المؤشّرات الاقتصادية التُّرْكِيَّة، والتي تُؤكِّد على قُدْرَةِ الاقتصاد التُّرْكِيّ على مواجهة الأزمات، والعبور من الشدائد، وهو ما ينفي فكرة أن يلجأ الشباب التُّرْكِيّ إلى أوروبا بحثاً عن عمل. العوائق التي تقف في طريق تركيا إذن، تمّتدّ أيضاً إلى الخلافات السياسيّة التاريخيّة مع بعض دول الاتحاد الأوروبيّ مثل قبرص واليونان، بسبب النزاع التُّرْكِيّ القبرصي عام 1974م (1)، والنزاع على جُزُرٍ إيجيه (2)، واتّهام أرمينيا لتركيا بارتكاب مجازر بحق شعبها (3)، وتحاول تركيا مواجهة تلك الخلافات بمنطق الأقوياء، فلن ترفض

1. تتكوّن جزيرة قبرص الواقعة في شرق المتوسط من دولتين مُستقلّتين، منذ عام 1974م؛ إحداهما مُعترف بها وعضو في الأمم المتّحدة والاتّحاد الأوروبيّ وهي الجمهوريّة القبرصيّة وعاصمتها نيقوسيا، والثانية مُستقلّة لكنها غير معترف بها سوى من تركيا، وهي جمهورية شمالي قبرص التُّرْكِيَّة، وتسمى "جمهورية شمالي قبرص التُّرْكِيَّة" وعاصمتها ليفكوشه. ويرجع انقسام قبرص إلى دولتين إلى العام 1974م، حينما تدخلت القوَّات التُّرْكِيَّة لحسْم النزاع الدائر بين القبارصة الأتراك والقبارصة اليونانيين إثر قيام ضباط تابعين لقوَّات الحرس الوطنيّ من القبارصة اليونانيين بانقلاب عسكريّ في قبرص، قبل أن يعلن القبارصة الأتراك بزعماء رؤوف دنكاش بإعلان المناطق الشماليّة من قبرص منطقة حكم ذاتيّ تحت اسم الولايات القبرصيّة التُّرْكِيَّة الفدراليّة، ثم أعلنوا في العام 1983م قيام جمهورية شمالي قبرص التُّرْكِيَّة التي سارعت تركيا للاعتراف بها، لكنها لم تلقَ أيّ اعتراف رسميّ من أيّ دولة أو من الأمم المتّحدة حتى الآن؛ حيث أصدر مجلس الأمن الدوليّ قراره رقم (541) الذي يقضي بعدم شرعيّة استقلال شمالي قبرص. للمزيد يُنظر: قبرص.. جزيرة الصراع بين تركيا واليونان، تركيا بوست، 18 نوفمبر 2014، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8P4uK2
2. تُعَيَّرُ الجُزُرُ الموجودة في بحر إيجيه، الذي يفصل بين تركيا واليونان، ويربط بين البحرين الأسود والأبيض، من أبرز المُلْفات الخلافيّة بين البلدين، لا سيّما مع النزاع على السيطرة على المجال البحريّ والجويّ للمنطقة، والتي عادة ما تُسفر عن مناوشات بين القوَّات المسلّحة للجانبين كادت أن تؤدي إلى حرب في العام 1996م، وسط تحذيرات دُوليّة دائماً ما تُحذّر من إمكانية أن تؤدي إحدى هذه المناوشات إلى اشتباكات عسكريّة أوسع بين الدولتين. للمزيد يُنظر: "الخلاف على الجزر والعداء التاريخي بين تركيا واليونان ما زال قوياً على المستويين الرسميّ والشعبيّ"، صحيفة القدس العربيّ اللندنيّة، 23 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/c2n2eW
3. يعود العداء التاريخي بين الأرمن والأتراك إلى جُذبة الحرب العالميّة الأولى؛ حيث بنَّهَم الأرمن تركيا بالمسؤوليّة عن قتل مئآت الألاف من الأرمن، وفقاً لما يُطلق عليه بعض المؤرخين الغربيّين مصطلح "الإبادة الجماعيّة"؛ حيث ترغب أرمينيا باعتراف تركيا بارتكابها "إبادة جماعيّة" بحق الأرمن كشرط لتسوية الخلاف التاريخي بين الجانبين، وهو الأمر الذي طالما رفضته الحكومات التُّرْكِيَّة المتعاقبة، وتُعَيِّرُ حكومة العدالة والتّميّة والرئيس رجب طيّب أردوغان هذه الادعاءات من قبيل الابتزاز السياسيّ؛ حيث تُؤكِّد تركيا أن من قُتل في الحرب العالميّة الأولى من الأرمن كانوا من بين جملة ضحايا الجيوش المتقاتلة آنذاك خلال معارك القوَّات العثمانيّة مع جيوش بريطانيا وفرنسا وروسيا. للمزيد يُنظر: أردوغان: الاتّهامات بإبادة الأرمن "ابتزاز" و"تركيا" لن تقبلها أبداً، فرانس 24، 5 يونيو 2016، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/b7n7pL

دول أوروبا انضمام قُوَّة اِفْتِصَادِيَّة كبرى مثل تركيا، مهما كانت الخلافات السِّياسِيَّة بينهم، فُلْغَة المصلحة تنتصر دائماً(1).

وتشهد تركيا عمليَّة تحوُّل سِياسِيَّة واِفْتِصَادِيَّة شاملة، كما يَتِمَّ إجراء إصلاحات واسعة النطاق لتحقيق أعلى الضوابط والمقاييس في مجالات الديمُقْرَاطِيَّة وسيادة القانون وحقوق الإنسان، وذلك وَفْقاً لحاجات الشعب وتطلُّعَاتِهِ. من بين تلك الإصلاحات، المُوافَقَة على إجراء حُرْمَة التعديلات الدُسْتُورِيَّة الَّتِي أُقِرَّتْ عبر الاستفتاء الَّذِي جرى بتاريخ 12 سبتمبر 2010م، استمراراً لأعمال الإعداد لدستور تقدُّمي وشامل(2)، وهو ما تمَّ في استفتاء أبريل من العام 2018؛ حيث وافق غالبية الأتراك على التعديلات الدُسْتُورِيَّة الَّتِي اقترحتها حكومة العدالة والتَّنْمِيَّة لِتَحْوُل البلاد إلى النُّظَام الرئاسِيَّ بدلاً من النُّظَام البرلماني(3).

كما قامت الحكومة التُّركِيَّة بإجراء حُرْمَة من الإصلاحات القضائيَّة الَّتِي تَضَمَّنَتْ تعديلات جديدة تتعلَّق بتفعيل الخدمات القضائيَّة، وبتأجيل الدعاوى والعقوبات الخاصَّة بالجرائم المرتكبة عن طريق وسائل الإعلام، وهو ما دخل حيز التنفيذ بتاريخ 5 يوليو 2012م. كما أقرَّ البرلمان التُّركيَّ بتاريخ 12 أبريل 2013م قانون إنشاء مُؤَسَّسَة الرقابة العامَّة (Ombudsman)، الَّتِي تعمل على مراقبة أعمال القضاء، كما تمَّ تأسيس وزارة مُتَخَصِّصَة في شؤون الاتِّحاد الأوروبِّي في عام 2011م(4).

1. سامي أحمد، تحوُّلات أوروبية عديدة تمنع تركيا من الانضمام للاتِّحاد الأوروبي، مرجع سابق.
2. "العلاقات التُّركِيَّة مع الاتِّحاد الأوروبي"، موقع وزارة الخارِجِيَّة التُّركِيَّة، د.ت. تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YV9nlZ
3. استفتاء تركيا.. 51.3% صوتوا بنعم على تعديلات الدستور"، العَرَبِيَّة.نت، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1RG6MQ
4. "العلاقات التُّركِيَّة مع الاتِّحاد الأوروبي"، موقع وزارة الخارِجِيَّة التُّركِيَّة، مرجع سابق.

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

وتشهد حالياً المفاوضات بين تركيا وقادة الاتحاد الأوروبيّ لدخول منطقة اليورو، حالةً من الجمود، وإن كانت مُسْتَمِرَّةً ومتواصلة، بمزيد من ضغوط القُوَّةِ النَّاعِمَةِ الَّتِي تفرضها تركيا على دول الاتحاد.

المبحث الخامس

الرؤية الاجتماعية.. الرعاية الصحية بشراكة بناة بين الخاص والعام

تَبَنَّى تركيا مشروع بناء قاعدة صحيّة يستفيد منها مواطن الداخل، وأيضاً جميع بلدان الجوار والمحيط بالمنطقة، وذلك عبر نموذج صحي يستند على شراكة بناة بين القطاعين العام والخاص. فيما المنشآت الصحيّة ستأخذ شكل مدن طبيّة ضخمة، مجهّزة بأحدث التكنولوجيات الطبيّة وجامعات الطب ومراكز البحوث العلميّ وغيرها. ففي تركيا اليوم، يمارس حوالي 120 ألف طبيب هذه المهنة، وتعتزم الدوّلة رفع عددهم ليصل إلى 200 ألف طبيب في أفق عام 2023م، وذلك بزيادة عدد كليات الطب، إضافة إلى تعميم التأمين الطبي إلى النسبة الكاملة 100% (1).

منظومة الرعاية الصحية (2):

في ميدان الرعاية الصحيّة، قامت تركيا بإنجاز كبير للغاية تمثّل في تجاوز الأهداف التي وضعتها منظمّة الصّحة العالميّة المُحدّدة لعام 2025م، من حيث أمَد العيش المُتوقَّع ووفيات الرُّضّع والأمّهات. ووفقاً للمعلومات التي أوردتها وزارة الصّحة التركيّة، ثمة تحسُّن كبير في المؤشّرات الصحيّة العامّة في تركيا، بالموازاة مع "برنامج التغيير في مجال الصّحة"، المعمول به منذ أربعة عشر عاماً في تركيا.

1. محمود رأفت، "رؤية تركيا 2023.. أردوغان على طريق الفتح"، مرجع سابق.
2. مجلة التأمين الصحي التعاوني، جمادى الآخرة 1434 هـ، مايو 2013م، المجلد 6، العدد 1.

فمنذ عام 2007م، استطاعت تركيا بالفعل تحقيق هدف مُنظمة الصِّحة العالَمِيَّة، فيما يَخُصُّ متوسط العمر المُتَوَقَّع لعام 2025م، والمُحدَّد بـ75 عاماً. وابتداءً من عام 2015م، ارتفع متوسط العمر المُتَوَقَّع في البلاد إلى 78 عاماً. أما فيما يَتعلَّق بمعدل وفيات الرضع، واستهداف مُنظمة الصِّحة العالَمِيَّة لعام 2025م، عبر نسبة 16 طفلاً لكل 100.000 ولادة حيَّة. ووصلت هذه النسبة عند الأتراك في عام 2007م، إلى رقم 13.9، أما في عام 2015م فقد انخفضت بصورة لافتة إلى نسبة 7.6(1).

وحتى الآن، وفي إطار تجاوز تركيا للأهداف المُحدَّدة في هذا الصِّدَد من قِبَل مُنظمة الصِّحة العالَمِيَّة. سَجَلَتْ تركيا على مستوى وفيات الأمَّهات نسبة 21.2 حالة وفاة لكل 100.000 ولادة حيَّة في سنة 2007م، وانخفضت بدورها إلى غاية رقم 14.7 حالة وفاة في عام 2015م. مقابل الهدف الموضوع من طرف مُنظمة الصِّحة العالَمِيَّة، المُمثَّل في رقم 25 حالة وفاة لكل 100.000 ولادة حيَّة. ومقارنة مع البيانات العالَمِيَّة في مجال الصِّحة، أصبحت تركيا أقرب إلى البلدان المُتقدِّمة ذات الدخل المرتفع، والتي وصل متوسط الأعمار المُتَوَقَّعة فيها إلى 79 سنة، ومعدل وفيات الرُّضَع إلى نسبة 5.8(2).
تندرج خدمات الرعاية الصحيَّة ضمن منظومة الضمان الاجتِمَاعِيّ التي تتألَّف من ثلاث جهات هي؛ مُؤسَّسة التأمينات الاجتِمَاعِيَّة، وصندوق معاشات التقاعد لموظفي الخدمة المدنيَّة، ومُؤسَّسة الضمان الاجتِمَاعِيّ للعاملين لحسابهم الخاص (باغ كور). وتُخطِّط الحكومة التركيَّة حالياً لوضع كُُلِّ هذه المُؤسَّسات تحت سقف واحد.

1. للمزيد من التفصيل يُنظَر:
- "مسيرة تركيا خلال 12 عاماً: الحلقة الثالثة عشرة: تطوُّر القطاع الصحي"، ترك برس، 13 أبريل 2015، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BvYTgx
- تركيا، مُنظمة الصحة العالَمِيَّة، د.ت، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9U5jgY
2. تركيا، مُنظمة الصحة العالَمِيَّة، المرجع السابق.

وفي ظل هذه المنظومة يدفع أصحاب العمل أقساط التأمين لتغطية إصابات العمل والأمراض المهنية والوظيفية، أو إجازة الأمومة، كما أن أصحاب العمل والعمال يساهمون، على حدٍّ سواءٍ، بنسبٍ محددة لتغطية أقساط المرض والتقاعد والعجز والوفاة. وهناك أيضاً مشروع قانون لتوفير الرعاية الصحية للأشخاص العاطلين عن العمل وفق معايير مُعيَّنة.

وتتولى مُؤَسَّسة التأمينات الاجتماعيَّة مسؤولية توفير الضمان الاجتماعي للقطاع الخاص، ولمن يسموهم بذوي "الياقات الزرقاء" من العاملين في القطاع العام؛ أي: موظفي الدولة. ويخوّل القانون جميع الأشخاص الذين تنطبق عليهم شروط المُؤَسَّسة الاستفادة من التأمين الاجتماعي، والحصول على الرعاية الصحية، باستثناء المزارعين، وأصحاب الأعمال الخاصَّة، والأشخاص المساهمين في أحد صناديق المعاشات التقاعدية المنصوص عليها في القانون.

ويمكن لوزارة الصحة التوقيع على عقودٍ خاصَّة مع مستشفيات مُؤَسَّسة التأمينات الاجتماعيَّة أو المستشفيات الجامعيَّة أو الخاصَّة؛ من أجل أن يستفيد المرضى من خدماتها، على أن يتيمَّ دفع نسبٍ مُحدَّدة من أسعار بعض العقاقير للمرضى الخارجيين؛ فالمتقاعد يدفع 10% من السعر، بينما الموظف يدفع 20%. وتشمل تأمين التغطية الصحية التي توفرها مُؤَسَّسة التأمينات الاجتماعيَّة: إصابات العمل، والأمراض المهنية والوظيفية، والمرض، والعجز، والأمومة. وفي حال وفاة المؤمن عليه، يتمَّ التكفُّل بنفقات جنازته، كما تحصل زوجته أو أولاده على المعاش التقاعدي الخاص به (1).

1. منظومة الرعاية الصحيَّة في تركيا، مجلة التأمين الصحي والتعاوني، مايو 2013م، المجلد 6، العدد 1، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DDNp7C

أما صندوق المعاشات التقاعدية لموظفي الخدمة المدنية؛ فهو المؤسسة الثانية ضمن منظومة خدمات الرعاية الصحية التي تقدمها الدولة، وتشمل خدماته توفير التأمين الصحي. وبموجب أنظمة الصندوق يدفع موظفو الحكومة المتقاعدون 10% فقط من أسعار بعض العقاقير الطبية، فيما يتكفل الصندوق ببقية خدمات الرعاية الصحية. علماً بأن نفقات الصندوق تُموَّل كاملةً من الحكومة (1).

وضمن المنظومة ذاتها توفر مؤسسة الضمان الاجتماعي للعاملين لحسابهم الخاص الرعاية الصحية لمن لا تشملهم تغطية مؤسسة التأمين الاجتماعي، مثل: الحرفيين وصغار رجال الأعمال، والتقنيين والمهنيين المسجلين للعمل في دائرة أو نقابة مهنية أو مساهمي الشركات الأخرى من التعاويث والشركات المساهمة، والعاملين لحسابهم الخاص في قطاع الزراعة.

ويحصل أعضاء هذه المؤسسة على خدمات الرعاية الطبية مقابل رسوم تُدفع على شكل أقساط تختلف باختلاف مستوى الخدمة المقدمة، وتبلغ هذه المستويات 24 مستوى، وتغطي المؤسسة كل خدمات التشخيص والعلاج، من خلال اتفاقات خاصة مع مقدمي الخدمات الصحية. (2)

وأخيراً، نخلص إلى أنه إذا كانت طريق تركيا أردوغان نحو أهداف 2023، تبدو مُعبّدة ومفروشة بالورود، خاصة في السنوات الأولى لحكم العدالة والتنمية، وذلك بفضل ثلاثة عوامل رئيسة مُحدّدة؛ الاستقرار السياسي، السياسات الاقتصادية المنسجمة، وتوسُّع الاقتصاد العالمي، ففي المقابل نجد ثلاثاً أخريات تفسر خفض سرعة الاقتصاد التركي؛ الأزمة المالية لسنة 2008م، المنافسة العالمية التي أفضلت خطط رفع حصص المنتجات التكنولوجية ذات القيمة المضافة القوية على السوق الوطنية، والمؤثرات

1. منظومة الرعاية الصحية في تركيا، مجلة التأمين الصحي والتعاوني، المرجع السابق.

2. المرجع السابق.

الإقليمية في الجوار المشتعل، فالمؤشرات الاقتصادية لفترة السنوات الأربع الأخيرة، تضع إمكانيات تركيا موضع التساؤل بل الشك، في ظل ما قيل وما استجد من عوامل سياسية وأمنية مضطربة كذلك، في أن تحقق كامل أهدافها المسطرة حسب رؤية 2023 النيرة. بل كانت هناك ضرورة ملحة لتغيير سياسات الحكومة في مجال الاقتصاد وحتى الإخلال ظرفياً بسياسة "صفر مشاكل" المعتمدة.

وبوضع تطوّر تركيا وسيرها الصحيح على طريق 2023 تحت مجهر التحليل، لقياس مدى إمكانية بلوغ تركيا لأهداف القوة الناعمة في الدرجة الأولى، والصلبة عند الضرورة أيضاً، يمكن الوقوف عند مرحلتين متميزتين؛ فترة (2002 - 2008م)، وفيها حققت تركيا إنجازات اقتصادية كبرى، وفترة (2009 - 2014م)، والتي تميّزت بانخفاض في سرعة نمو الاقتصاد التركي.

ولتحقيق مشروع "العثمانية الجديدة" أيضاً، فتركيا أردوغان تُعتبر هي الدولة الأكثر تدخلاً في حروب ونزاعات المنطقة، من حيث تواجدها في قلب قوس أزمت يمتد من أوروبا إلى آسيا، مروراً بالشرق الأوسط وإفريقيا. أما التخمين السائد بأن حكومة العدالة والتنمية تُفوّض في مستنقع من المأزق أكثر فأكثر بما سينعكس إيجاباً على المنطقة ومصالح اللاعبين الكبار، فذلك قد يُشكّل خطأ فادحاً.

وقبيل إجراء الاستفتاء الدستوري، رأى الغرب أن الرئيس "رجب طيب أردوغان في طريقه إلى إحياء "السلطنة" كما عوّنت يومية لوموند الفرنسية إحدى مقالاتها، ومعها تحاول مجموعة من صحف أوروبا أن تخوض في نفس التحليل بالشكل الذي يجعل الغرب ينظر بعين الريبة إلى مشروع الإصلاح الدستوري الذي تقدّم به رئيس تركيا القومي بعد انقلاب ليلة 15 و16 يوليو 2016م الفاشل، ووافق عليه الشعب التركي في أواسط أبريل 2017م. وقد رأى المحللون الغربيون في الموافقة على التعديلات الدستورية خطوةً لانسداد الرئيس التركي الحالي بالسلطة التنفيذية بدون سلطة

مضادة، تُعْتَبَر من لوازم الممارسة الديموقراطية في الحكم (1)، وهي المخاوف التي تزايدت غربياً عقب الفوز العريض الذي حققه الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتنمية في الانتخابات الرئاسية والتشريعية المبكرة التي شهدتها تركيا في يونيو 2018م، وهي أول انتخابات تشهدها البلاد بعد التحول إلى النظام الرئاسي. وفي غياب معطيات مؤكدة بفعل التغييرات الطارئة، وتسجيل تركيا انعطافاً تاريخياً بأسلوب القوة الناعمة، قبل الاضطرار إلى استعراض واستعمال مثلتها الصلبة ولو مجبرة على ذلك؛ فالمستقبل هو من سيجيب على سؤال ليس بباريء (ارتباطاً بمصالح الغرب في وجود تركيا غير قوية خارج حدود رقابتها وتفوقها العسكري والاقتصادي)، هل يصبو الرئيس أردوغان إلى السير في نفس طريق الفاتح، في انسجام تام مع المبادئ الديموقراطية التي صعد عبرها إلى السلطة؟ أم يتطلع إلى سلطة ديكتاتورية تقوض إرث الديموقراطية في سبيل زعامة إقليمية وعالمية، قد تتحقق في رؤية 2023 أو لا تتحقق بسبب وجود زعامات أخرى ومصالح أخرى لن تسمح بقيام تركيا على طريقة "العثمانيين الجدد"!

ولعل السؤال المطروح في قالب ساخر: "تركيا الأوروبية؟ ولماذا لا أوروبا التركية؟"، يفصح عن الكثير من الجانب الأوروبي المتوجس جداً من النوايا والنجاحات التركية. مما جعل مسألة الانضمام إلى المجموعة الأوروبية موضع ملاحظة مغلّف ورفض ممنهج لما يقرب من الثلاثين عاماً، أي منذ تاريخ 14 أبريل 1987م؛ حيث كانت تركيا مرشحة رسمياً للانضمام إلى المنظومة الاقتصادية الأوروبية، الشكل المؤسساتي، في ذلك الوقت، لما أصبح يُطلق عليه حالياً الاتحاد الأوروبي. وهي في هذا تمتلك أفضل المقومات على حساب دول أخرى ولجأت البوابة الأوروبية بسهولة كبيرة، ولأسباب سياسية واستراتيجية لا تمت للاقتصاد والتكامل والتجانس بصلة!

1. Marie Jégo. Turquie : Recep Tayyip Erdogan en route vers le sultanat. LE MONDE, 11.02.2017, goo.gl/QGVMd8

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

ومن خلال ترسيخ الهيمنة القانونيّة للرئاسة على النُّظَامِ الَّذِي قد تحرسه هيئات أمنيّة وعسكريّة منغلقة على كُلِّ تغيير، وتكريس مفاهيم المجتمع النافذ والعوامة "الجمعيّة" (استعمال ضمير الجمع نحن بدل الأنا)، وتفعيل إرادة خلق قُوَّةٍ اقتصاديّة ضاربة، وأيضاً الانضمام للشعب عبر بَوَابَةِ تحقيق الرفاهيّة والسُّلْمِ الدَّاخِلِيِّ.. إلخ، يبدو الرئيس أردوغان منذ أن كان مُجَرَّدَ مرشَّحٍ في سباق سلطة ديمقراطي "رسول تغيير"، يرسم برنامجاً مؤثراً عن ملامح "تركيا الجديدة"، والتي يحلم بقيادتها حتى أفق 2023، مستثمراً كُلَّ طاقات "القُوَّةِ النَّاعِمَةِ"، حتى إنَّ بعض وسائل الإعلام في أوروبا وصَفَتْ سَيْرَ أردوغان الحثيث وراء حلم تركيا منفتحة وكبيرة كقُوَّةٍ عالميّة، بأنه يسير على خُطَى أتاتورك مؤسس العُلمانيّة والحداثة التُّرْكِيَّة، ولو مع اختلاف الخلفيّة العقائديّة والمنهجية.

وفي المقابل تُجبرُ مشاكل الجوار والعراقيل العربيّة الموضوعية أمام تركيا، على خوض لعبة مصالح استراتيجيّة معقّدة ورصّ صفّ الوحدة والقوميّة الدَّاخِلِيِّ قبل التحالفات والشراكات الخارجيّة، أمام تكتُّلٍ غربي لا يتوانى عن استعمال وسائل زعزعة السَّاحَةِ الدَّاخِلِيَّةِ للدول، واستعمال ودعم ورقة الانفصال كما في قضية الأكراد، أو تبني عقيدة استعمال القُوَّةِ الصُّلْبَةِ، كما في النموذج السوري.

الخاتمة

لقد تناول الكتاب خبرة وتجربة صعود نجم الدولة التركية في العلاقات الدولية، وتحولها إلى قطب إقليمي بتوظيف مفردات القوة الناعمة؛ حيث تبدو الدولة التركية منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم، في مستهل الألفية الثالثة، حالة بحثية مثيرة للاهتمام على المستوى الأكاديمي التنظيري في المجتمع البحثي، كمادة ثرية للنقاش والجدال العلمي حول مفهوم القوة Concept Power ومقتربات التنمية Development Approaches الرئيسة التي سادت في المنظومة الدولية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

وتعمق الكتاب في جدالات التأثير والتأثر بين موجة ثورات الربيع المنحسرة والصعود التركي، وناقش ما درج بعض الباحثين العرب على تسميته بـ"النموذج التركي" Turkey's Paradigm، ومدى صلاحية وجدوى ذلك النموذج للتطبيق والاستلهام في واقع البلدان العربية.

كما عرج الكتاب على الجدالات العلمية حول ماهية التنمية في تركيا بين مقولات مقاربتى التحديث والتبعية، مع التطرق للتوظيف المعاكس داخلياً وخارجياً لخطط حكومة العدالة والتنمية منذ وصولها العام 2002م إلى سدة الحكم. وسعى حزب الرئيس أردوغان جاهداً إلى رفع الأداء الاقتصادي والاجتماعي، وبناء مقومات دولة تركية ذات دور ونفوذ إقليمي ودولي طلائعي، عبر التوظيف الاستراتيجي للقوة الناعمة Soft Power، في شبه قطيعة منهجية مع العقيدة الكمالية المعتمدة على وسائل القوة الصلبة Hard Power؛ من خلال الانقلابات العسكرية وهيمنة الجيش على الدولة والمجتمع على حد سواء، باعتباره حامي العلمانية وقيم الجمهورية التركية الحديثة.

إنه بامتياز، الانتقال الهادئ من النموذج التَّحْدِيثِي الَّذِي تقوده الدَّوْلَة، ويحميه الجيش بناءً على أفكار كمال أتاتورك المَبْنِيَة على النزعة الحداثيَّة العُلْمَانِيَّة والثَّقَافِيَّة التَّغْرِيبِيَّة بصورة راديكاليَّة، إلى نموذج آخر يجمع بين استحقاقات الديمقراطيَّة الانتخابيَّة والعُلْمَانِيَّة المتسامحة غير التَّدخُّليَّة، من جهة، والهويَّة الوَطَنِيَّة المُسْتَنْدَة على جذور حَضَارِيَّة إِسْلَامِيَّة من جهة أُخرى، مُؤَطَّرَة بتنمية اِقْتِصَادِيَّة واجْتِمَاعِيَّة عملاقة، تحملها العناوين الكبرى لـ "رؤية 2023" الأردوغانيَّة أو ما يسمى "تركيا الجديدة". وأوضح الكتاب خبرة العدالة والتَّنْمِيَّة في تركيا الَّتِي قادت البلاد إلى نموذج جديد أو طريق ثالث، يجمع بين مقولات التَّحْدِيث لبلوغ التَّنْمِيَّة المُجْتَمَعِيَّة، وينأى بنفسه عن آثارها السَّلْبِيَّة وَفَقاً لمقولات التَّبْعِيَّة، مُسْتَحْدِماً القُوَّة النَّاعِمَة كإطار إجرائي، للصعود بتركيا كقطب إقْلِيمِي واعد في العلاقات الدَّوْلِيَّة.

وطوَّف الكتاب عبر فصوله التسعة للإجابة عن تساؤلات الكَيْفِيَّة الَّتِي وظَّف بها حزب العدالة والتَّنْمِيَّة مفردات القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في سياق التفاعلات الدَّوْلِيَّة والإقْلِيمِيَّة للوصول إلى القُطْبِيَّة الإقْلِيمِيَّة في الشرق الأوسط، السَّمَات الَّتِي طبعتها كخبرة مُتَفَرِّدَة ونموذج ذي نكهة خاصة باتت مُلْهَمَة لكثير من الدول والشُّعُوب، لا سيَّما في الدول النَّامِيَّة والعالم الإسلامي.

واستندت مُنْهَجِيَّة الكتاب التَّأْسِيسِيَّة على مقترح هجين يجمع بين اقتراب دراسة الحالة Case Study Approach كمنهج وصفي، واقتراب قياس قُوَّة الدَّوْلَة Measuring State Power Approach، كمنهج تحليلي، وَمِنْ ثَمَّ الجَمْع بين مقولات المدرستين الكميَّة والكيفيَّة في دراسات القُوَّة؛ الأمر الَّذِي أتاح للكتاب مساحة واسعة للتعاطي الإجرائي مع دراسات القُوَّة بأوجهها المختلفة؛ الصَّلْبَة، النَّاعِمَة، والدَّكِيَّة.

وعلى الصعيد العملي، خُلِّصَ الكتاب إلى أَنَّ قُوَّة الدَّوْلَة ليست معطًى ثابتاً، وليست مفهوماً جامداً، لكنها مفهوم ديناميكي يتمركز حول محددين رئيسيين؛ هما: حيَازة

القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ

مصادر القُوَّة، والقُدْرَةُ على إدارة وتوظيف تلك المصادر؛ الأمر الَّذِي يعني في الأخير أنَّ حيازة أيِّ من مصادر القُوَّة لا يكتسب وزناً وتأثيراً بمُجَرَّد وجوده وامتلاكه، فحسب، وإنما يرتبط هذا الوزن والتأثير بالتَّدخُّل تأثيراً وإدارة ذلك المصدر وتحويله إلى سلوك فعَّال على الصعيد الدَّوْلِيّ.

واتِّساقاً مع اسْتِراتِيجِيَّةِ القُوَّةِ النَّاعِمَةِ كمحفِّز رئيس للصعود التُّرْكِيّ الراهن، تعمَّق الكتاب في تشريح مفهوم "القُوَّةِ النَّاعِمَةِ"؛ ذلك المصطلح الَّذِي ظهر في بداية تسعينيات القرن الماضي على يد جوزيف ناي، عميد مؤسَّسة كيندي للدراسات الحُكُومِيَّةِ بجامعة هارفارد، ورئيس مجلس المخابرات الوَطَنِيّ ومساعد وزير الدِّفاع الأَمْرِيكِيّ السابق. باعتبارها "قُدْرَةُ دولة مُعَيَّنَةٍ على التَّأثير في دول أخرى وتوجيه خياراتها العامَّة، وذلك استناداً إلى جاذبيَّةِ نظامها الاجتماعيِّ والثقافيِّ ومنظومة قيمها ومُؤسَّساتها، بدلاً من الاعتماد على الإكراه أو التَّهديد.

كما ناقش الكتاب ولادة مفهوم ثالث من رحم مَفْهُومِيِ القُوَّةِ الصَّلْبَةِ والقُوَّةِ النَّاعِمَةِ، وهو "القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ"، وتناول مفهوم تحول القُوَّةِ في العلاقات الدَّوْلِيَّةِ؛ باعتباره يشير إلى فقدان دولة مُهَيِّمَةٍ لموقعها القياديِّ لصالح قادم جديد سريع التنامي؛ حيث يَتَعَيَّن على هذا القادم الجديد أن يحصل على مصادر للقُوَّةِ أكبر مما لدى الدَّوْلَةِ المَهَيِّمَةِ أو على الأقلَّ يُحْدِثُ تعادلاً مع المُقدِّراتِ القَوْمِيَّةِ للدولة القائد الأَفْلَةُ، ولَعَلَّ هذا هو حال القُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ الَّتِي صعدت على الصعيد الإقليميِّ بشكل سريع متنامٍ بتوظيف القُوَّةِ النَّاعِمَةِ بذكاء وتقليص مساحة القُوَّةِ الصَّلْبَةِ الَّتِي لم تُؤتِ ثمارها في حِقْبَةِ تركيا الكَمَالِيَّةِ.

وعلى صعيد توازن القوى؛ ذلك المفهوم القادم من أعماق حِقْبَةِ الحرب الباردة، والعالم ثنائي القطبيَّةِ، خُصَّ الكتاب إلى أن ميزان القوى بات اليوم مختلفاً عن

ذي قبل، من الناحية النظرية والتطبيقية، بدخول مفهوم القوة الناعمة وأخواته من التفرعات المفاهيمية الجديدة التي ألفت بظلالها على حقل السياسات الدولية، مشيراً إلى أن القوة الناعمة باتت مصدراً من مصادر التغيير على المستوى المحلي والدولي، لا سيما مع كونها لم تعد حكرًا على الدول المتقدمة، فحسب، بل إنها خرجت عن السيطرة الحكومية لتصبح شأنًا شعبيًا خالصًا في حالات كثيرة.

وحلّ الكتاب مفردات القوة الناعمة في الخبرة التركية، مُشرِّحاً إياها إلى جملة من الاستراتيجيات تمسُّ جوانب ناعمة - ناعمة، وأخرى ناعمة - صلبة، وثالثة صلبة - ناعمة؛ من خلال التوظيف الاستراتيجي للاستقرار الداخلي والصعود الاقتصادي والحوكمة والحكم الرشيد كعوامل جذب وقبولٍ داخليٍّ للنخبة الحاكمة الجديدة من جهة، ونموذج جذب على الصعيد الخارجيٍّ شعبيًّا ورسميًّا بشكلٍ فعّالٍ من جهة أخرى.

وبجانب ذلك، فقد أسهب الكتاب في شرح وتحليل مرتكزات السياحة، والفنون، والآداب، والدبلوماسية الإغاثية، والشراكة الخيرية، والعوامل المناخية، والجغرافية المتفرّدة، والإرث الحضاري، والجوانب القيمية التاريخية، كعوامل رئيسة في خبرة القوة الناعمة التركية، لا سيما مع إلقاء الكتاب الضوء على خبرات أخرى تطبيقية للقوة الناعمة حول العالم، لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.

ولم يُغفل الكتاب أفراد جزءٍ من نقاشاته حول القوة الذكّية، وموقف الخبرة التركية منها، وما إذا كانت قد استفادت من الخبرة الأمريكية التي تُعدّ الحقل التطبيقي الأبرز لهذا المفهوم الجديد على صعيد العلاقات الدولية، لا سيما خلال حقبة الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما الذي اعتمد مقولات القوة الذكّية في العلاقات الدولية بشكل رئيس.

وحلَّ الكتابُ دروسَ الانقلابِ الفاشلِ على حكومةِ العدالةِ والتَّنْمِيَةِ منتصفِ العامِ 2016م، وما تَبَعَهُ من استحقاقاتٍ تطبيقيةٍ مَسَّتِ النموذجَ الناعمَ للقُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ مُحَضَّرَةً إياها نحو أبعادٍ تطبيقيةٍ خَشِنَةٍ، ومدى تأثير ذلك على النموذجِ ونتائجِهِ الإيجابيةِ على مدى السنواتِ الـ15 الماضيةِ.

وحلَّصَ الكتابُ إلى أنَّ ما يمكن وصفه بـ"تخشين" القُوَّةِ النَّاعِمَةِ التُّرْكِيَّةِ الناجم عن تأثير الثوراتِ العَرَبِيَّةِ وعسكرتها، وخاصَّةً في سوريا، وكذلك الناجم عن تأثيراتِ المحاولةِ الانقلابيةِ الفاشلةِ، لا يُعدُّ انحرافاً عن نموذجِ القُوَّةِ النَّاعِمَةِ التُّرْكِيَّةِ، بل إنه تأكيد على طبيعتها ونكهتها الخاصَّةِ والمُمَيِّزَةِ؛ من خلال تأكيد الكتابِ على أنَّ مظاهرَ هذا الانحرافِ لن تَسْتَمِرَّ طويلاً، وأنَّ الطبعةَ النَّاعِمَةَ للقُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ سرعان ما ستعود إلى سيرتها الأولى، وخاصَّةً بعد التجربةِ الشَّعبِيَّةِ الَّتِي عاشها الأتراك خلال المحاولةِ الانقلابيةِ وما تلاها.

ويذهب الكتابُ إلى أنَّ خبرةَ المحاولةِ الانقلابيةِ في حدِّ ذاتها تمثِّلُ دليلاً على نجاحِ استراتيجيَّةِ الصُّعودِ التُّرْكِيِّ الناعمِ إقليمياً ودولياً، بما ألجأ مناوئي تلكِ الخبرةِ إلى أدواتِ القُوَّةِ الصَّلْبَةِ في محاولةٍ لإجهاضها والتَّيْلِ منها، وهو ما لم يتحقق، ما يعني في الأخير شهادةَ تحصيلٍ قويَّةٍ للخبرةِ التُّرْكِيَّةِ النَّاعِمَةِ لتطبيقاتِ القُوَّةِ تحت حكمِ العدالةِ والتَّنْمِيَةِ.

وقدَّمَ الكتابُ قراءةً جديدةً للاقتصادِ التُّرْكِيِّ في ظلِّ العدالةِ والتَّنْمِيَةِ؛ من خلال رؤيةٍ تَعَبَّرُ الاقتصادَ هو المدخلُ الجذَّابُ للقُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ النَّاعِمَةِ، باعتباره قاطرةً قادتِ الصُّعودِ التُّرْكِيِّ الناعمِ خارجياً وداخلياً، ومِنْ ثَمَّ أَضْحَى الاقتصادَ وفقاً لهذا القراءةِ نتيجةً وسبباً، فهو نتاجُ القُوَّةِ النَّاعِمَةِ من جهة، وقائداً لتفعيلِ القُوَّةِ النَّاعِمَةِ من جهةٍ أخرى، ومِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الاقتصادَ أساسُ قُوَّةٍ وثمرَةٌ قُوَّةٍ في آنٍ واحدٍ.

وفي الأخير، كان من المنطقي أن يجنح الكتاب باتجاه المستقبل، ليُقدّم قراءة حول مستقبل القوّة الناعمة التركيّة من خلال تشريح مقولات استراتيجيّة 2023 التّنمويّة، وموقع القوّة الناعمة منها على كافّة الأصعدة والمجالات، مع إلقاء الضوء على أحد أبرز المتغيّرات المؤثّرة في رسم خريطة سيناريوهات المستقبل التّركي، والمتمثّلة في فوز الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتّسميّة في أول انتخابات تشهدها البلاد بعد التّحوّل إلى النّظام الرئاسي، وهي الانتخابات الرئاسيّة والتشريعيّة المبكّرة التي شهدتها تركيا في يونيو 2018م.

واعتبر الكتاب أنه على الرّغم من المخاطر الإقليميّة والعالميّة، التي قد تُعرقل نجاح رؤية 2023، بل وتحاصر تطبيقاتها الواعدة بشتى العوائق والمآزق، فإنّ نجاح النموذج التّركي بصيغة "القوّة الناعمة" يمثّل ارتقاءً سريعاً في الاقتصاد والسياسة والثقافة، والممارسة الديمقراطيّة، والحدّ من نفوذ العسكر والحرس العلماني القديم المتحجر، ثمّ المصالحة مع الذات والانفتاح على المحيط.

وأيضاً التوفيق بين المذهبيّات والقوميّات، وأخيراً دعم الرأسماليّة الوطنيّة في بلد يملك إمكانيات هائلة، كانت موقوفة لعشرات السنين؛ كلّ ذلك يمثّل دعامة مهمّة لاستراتيجيّة 2023 التي توصلّ لقوّة تركيا الناعمة دولياً بعد أن دشنتها إقليمياً على مدى سنوات حكم العدالة والتّسميّة.

مراجع الدراسة

• المراجع العربيّة:

1. القرآن الكريم.

• الكتب:

1. ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد الحضرمي)، مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الدار التونسية للنشر، 1984م.
2. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب.
3. أحمد حسين، سعد القحطاني، مظهر الصفوي، علي جار الله، القُوّة النَّاعِمَة في المنطقة العربيّة (السُّعُودِيَّة- إيران- تركيا) دراسة في الاستراتيجيّات والتأثير، مركز الفكر الاستراتيجيّ للدراسات، إسطنبول، تركيا، 2018م.
4. أحمد داود أوغلو، العالم الإسلاميّ في مهب التحوّلات الحضاريّة، ترجمة إبراهيم البيومي غانم، القاهرة، مكتبة الشروق الدوليّة، 2006م.
5. أحمد داوود أوغلو، العمق الاستراتيجيّ موقع تركيا ودورها في السّاحة الدوليّة، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل، الدار العربيّة للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الثانية، 2011م.
6. أحمد عبدالله الطحلاوي، مفهوم تحوّل القُوّة في نظريّات العلاقات الدوليّة.. دراسة الحالة الصينيّة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كليّة الاقتصاد والعلوم السياسيّة، 2009م.
7. إسماعيل صبري، العلاقات السياسيّة الدوليّة: النظريّة والواقع، جامعة أسيوط: مركز نشر الكتاب الجامعي، أسيوط، الطبعة الرابعة، 2004م.

8. إيان رتليدج، العطش إلى النفط، الدار العربيّة للعلوم، بيروت، 2006م.
9. بيتر تيلور، كولن فيلت، الجُغرافيا السياسيّة لعالمنا المعاصر، ترجمة عبدالسلام رضوان وإسحاق عبيد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 282.
10. جمال زهران، منهج قياس قُوّة الدَّولة واحتمالات تطوُّر الصِّراع العربيّ الإسرائيلي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2006م.
11. جهاد عودة، مقدمة في العلاقات الدَّوليّة المتقدِّمة، المكتب العربيّ للمعارف، 2014م.
12. جوزيف ناي، القُوّة النَّاعِمة، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، مكتبة العبيكان، 2007م.
13. جوليان لايدر، حول طبيعة الحرب، مركز الدِّراسات العسْكريّة، دمشق، الطبعة الأوّلى، 1981م.
14. روبرت أ. دال: التَّحليل السِّياسي الحديث، ترجمة: علا أبو زيد، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأوّلى، 1993م.
15. سماح عبدالصبور عبدالحى، القُوّة الذَّكيّة في السِّياسة الخَارِجيّة، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2014م.
16. صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبدالرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2003م.
17. طارق عبدالجليل، العسكر والدستور في تركيا، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة، 2012م.
18. عباس فاضل عطوان، العلاقات السُّعوديّة التُّركيّة، القاهرة، العربيّ للنشر والتوزيع، 2015م.
19. عبدالله تركماني، تعاظم الدور الإقليميّ لتركيا، الناشر: دار نقوش عربيّة، تونس، الطبعة الأوّلى، 2010م.
20. عقيل سعيد محفوظ، سوريا وتركيا الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربيّة، لبنان، أكتوبر 2009م.

21. كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدَّوْلِيَّةُ، وزارة التَّعْلِيمِ العَالِي والبعث العلمي، جامعة بغداد، كَلِيَّةُ العُلُومِ السِّيَاسِيَّةِ، 1987م.
22. كريم أبو حلاوة، سياسات القُوَّةِ الذَّكِيَّةِ ودورها في العلاقات الدَّوْلِيَّةِ، مركز دمشق للأبحاث والدِّرَاسَاتِ، 2015م.
23. كمال المنوفي، أصول النُّظْمِ السِّيَاسِيَّةِ المقارنة، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، 1990م.
24. محمد ربيع وإسماعيل صبري مقلد، موسوعة العلوم السِّيَاسِيَّةِ، الكويت، جامعة الكويت، 1993م.
25. محمد زاهد جول، التجربة النهضويَّةُ التُّرْكِيَّةُ، مركز نماء للبحوث والدِّرَاسَاتِ، الطبعة الأوَّلَى، بيروت 2013م.
26. محمد صادق إسماعيل، التجربة التُّرْكِيَّةُ من أتاتورك إلى أردوغان، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأوَّلَى، 2013م.
27. محمد وائل القيسي، الأداء الاستراتيجيِّ الأمريكيِّ بعد العام 2008م: إدارة باراك أوباما أنموذجاً، 2016م.
28. محمد ياس خضير الغريري، الدور الأمريكيِّ في سياسة تركيا حيال الاتِّحَادِ الأوروپيِّ (1993 - 2010م)، مركز الدِّرَاسَاتِ الوحدَةِ العَرَبِيَّةِ، 2010م.
29. مصطفى كامل السيد، دراسات في النُّظَرِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ، جامعة القاهرة، كَلِيَّةُ الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّةِ، 2006م.
30. مليحة ألت ونيشيك، تركيا بعيون عَرَبِيَّةِ، القاهرة، مصر: مركز الشرق للدراسات الإقليمِيَّةِ والاستراتيجِيَّةِ، 2010م.

• الرسائل الجامعية:

1. أحمد عبدالله الطحلاوي، مفهوم تحوُّل القُوَّة في نظريَّات العلاقات الدَّولِيَّة دراسة الحالة الصِّينيَّة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّياسِيَّة، 2009م.
2. باكينام الشرقاوي، قُوَّة الدَّولَّة وبرامج التكيِّف الهيكلي: دراسة مقارنة للحالتين التُّركِيَّة والإيرانيَّة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّياسِيَّة، 2000م.
3. جمال على زهران، مناهج قياس قُوَّة الدول مع التطبيق على توازن القوى بين الدول العَرَبِيَّة وإسرائيل، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّياسِيَّة، 1988م.
4. سماح عبدالصبور، القُوَّة الذَّكِيَّة في السِّياسة الخَارِجِيَّة: دراسة في أدوات السِّياسة الخَارِجِيَّة الإيرانيَّة تجاه لبنان منذ 2005م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّياسِيَّة، جامعة القاهرة، 2013م.
5. مصطفى شفيق علام، قياس قُوَّة الدَّولَّة الإيرانيَّة وتوازن القوى في منطقة الخليج العَرَبِيَّ 2003 - 2010م، رسالة ماجستير، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّياسِيَّة، جامعة القاهرة، 2012م.
6. محمود الذوادي، حركة التغيير الاجتماعيِّ في فكر ابن خلدون وعلماء الاجتماع الغرَبِيِّين الأوائل، ورقة بحثيَّة مُقدِّمة لمؤتمر: عبدالرحمن بن خلدون قراءة معرفيَّة منهجيَّة، كليَّة الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، 5-6 أغسطس 2000م.
7. مئة الله محمد طاهر عبدالهادي، القدرات النسبيَّة والصراع الدَّولِيَّ.. دراسة للعلاقات الصِّينيَّة الأمريكيَّة بعد انتهاء الحرب الباردة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّياسِيَّة، 2011م.

• **الدوريات:**

1. جوزيف ناي، اختبار سياسة أوباما الخَارِجِيَّة، بروجيكت سنديك، 14 ديسمبر 2009م.
2. رانية طاهر، "الدور الإقليمي التُّرْكِيَّ في ظلِّ ثورات الربيع العربي"، مجلة رؤية تركيَّة، شتاء 2013م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م.
3. سياسة تركيا الخَارِجِيَّة تَجَاهَ منطقة القوقاز، الراصد الإقليمي، مركز الدِّرَاسَاتِ الإِقْلِيمِيَّة، جامعة الموصل، عدد 55، يناير 2012م.
4. شريف علي محمد، القُوَّةُ الدُّكِّيَّةُ في الفكر الأُمْرِيكِيَّ "جوزيف ناي: القُوَّةُ الدُّكِّيَّةُ"، مجلة كُليَّةُ الملك خالد العَسْكَرِيَّةُ الإِلِكْترونيَّة، الرياض، 1 أكتوبر 2009م.
5. مجلة التأمين الصحي التعاوني، جمادى الآخرة 1434هـ، مايو 2013م، المجلد 6، العدد 1.
6. محمد الأمين مقراوي الوغليسي، "الصُّعُودُ التُّرْكِيَّ في آسيا الوسطى الواقع والآمال"، مجلة البيان اللندنيَّة، 28 ديسمبر 2016م.
7. نظير محمد أمين، "موقف تركيا من أحداث التغيير في المنطقة العَرَبِيَّةُ"، مجلة العلوم القَانُونِيَّةُ والسِّيَاسِيَّةُ، جامعة ديالى، العراق، العدد الثاني 2013م.

• **التقارير والفعاليَّات:**

1. عبدالرحمن بن خلدون قراءة معرفيَّة مَنَهْجِيَّة، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، 5 - 6 أغسطس 2000م.
2. عصام فاعور ملكاوي، "تركيا والخيارات الاستراتيجيَّة المتاحة"، اللِّقَاءُ العلمي حول الرُّؤى المسْتَقْبَلِيَّةُ العَرَبِيَّةُ والشراكات الدُّوْلِيَّةُ، الخرطوم / السودان، مايو 2013م.

3. العلاقات الاقتصادية والتجارية بين مصر وتركيا (من عام 2009 حتى النصف الأول من 2012م)، وزارة الصناعة والتجارة الخارجية المصرية، أكتوبر 2012م.
4. محمود الذواودي، "حركة التغيير الاجتماعي في فكر ابن خلدون وعلماء الاجتماع الغربيين الأوائل"، ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر: عبدالرحمن بن خلدون قراءة معرفية منهجية، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، 5 - 6 أغسطس 2000م.

• مواقع الإنترنت:

1. 150 مليون دولار .. صادرات المسلسلات التركية، تركيا بوسنت، 27 أغسطس 2014، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/75shfL
2. 4 طرق استثمارية تمكنك من الحصول على الجنسية التركية، العربية.نت، 14 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/P76dBN
3. 500 مليون دولار التبادل التجاري بين البحرين وتركيا، صحيفة أخبار الخليج البحرينية، 16 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XGqsWx
4. 7 ملايين سائح عربي زاروا تركيا في الأعوام الأربعة الماضية، ترك برس، 5 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة: 21 يونيو 2017، متاح على الرابط التالي: cutt.us/KcMzM
5. 7 مليارات دولار عجز ميزانية تركيا في النصف الأول، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، 19 يوليو 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1yhk43
6. 95 مليون مسافر عبروا مطاري إسطنبول خلال 2017، دايلي صباح، 6 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9bMcAe

7. إبراهيم إسماعيل كاخيا، اليقظة التُّرْكِيَّةُ والموقع الإقليمي، مجلة الدفاع العربي، د.ت، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WYtdLK
8. إبراهيم ياسين الخطيب، الدولة الزنكية في بلاد الشام والجزيرة، دار قنديل للنشر والتوزيع، مصر، 2004م.
9. الاتحاد الأوروبي يقر 3 مليارات يورو للاجئين في تركيا، دويتش فيله، 3 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GfhCWE
10. الاتحاد الأوروبي، أحداث عام 2016، هيومان رايتس ووتش، د.ت، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3JXcYS
11. أتراك ألمانيا والخارج عامل حسم في انتخابات تركيا، دويتش فيله، 14 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/k5b1uE
12. إحسان الفقيه، التدخل في شؤون الدول على الطريقة التُّرْكِيَّةُ (مقال تحليلي)، وكالة الأناضول للأخبار، 5 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6CuNnJ
13. إحصاءات التجارة الخارجية، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار بالجمهورية التُّرْكِيَّةُ، د.ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QJvJkC
14. أحمد المصري، كيف تأثرت السينما التُّرْكِيَّةُ بصعود العدالة والتنمية؟ تركيا بوست، 24 نوفمبر 2015م، تاريخ الزيارة: 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/SxClV
15. أحمد حرَّاز، أحمد داوود أوغلو الفيلسوف الذي لم يخُنْ محبوبته!، تاريخ الزيارة: 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/BwTs8F>
16. أحمد حرَّاز، أحمد داوود أوغلو الفيلسوف الذي لم يخُنْ محبوبته!، كلمتي، تاريخ الزيارة: 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/BwTs8F

17. أحمد داود أوغلو.. توليفة ناجحة للعلم والسياسة، الجزيرة نت، 7 أغسطس 2012م تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/ATJuVo
18. أحمد داوود أوغلو، العُمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدوليّة، ترجمة: محمد جابر تلجي وطارق عبد الجليل، الدار العربيّة للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الثّانية، 2011م، ص ص 232-234.
19. أحمد داوود أوغلو، العُمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدوليّة، ترجمة: محمد جابر تلجي وطارق عبد الجليل، الدار العربيّة للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الثّانية، 2011م.
20. أحمد عبدالله الطحلاوي، مفهوم تحوّل القوّة في نظريّات العلاقات الدوليّة، دراسة الحالة الصّينيّة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كليّة الاقتصاد والعلوم السّياسيّة، 2009م، ص ص 24-29.
21. أحمد علي حسن، انتخابات تركيا المبكّرة.. ضربة ذكيّة تُعبّد طريق أردوغان الرئاسي، الخليج أونلاين، 18 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QjnUjK
22. أحمد مصري، وادي الذئاب دراما تركيّة عكست واقعاً معاصراً، تركيا بوست، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/t5K7S2
23. إدارة الهجرة التركيّة تعلن عن عدد السُّوريين في تركيا حتى يونيو/حزيران 2018م، تي آر تي، 13 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DskDjX
24. ارتفاع أعداد السّياح العرب في تركيا وخاصّة من دول الخليج العربيّ، ترك برس، 6 سبتمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kmNJBw
25. ارتفاع التّضخّم في تركيا لمستوى يفوق التّوقّعات، سكاي نيوز عربيّة، 3 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MI2GM2

26. أردوغان .. تركيا تدعم كوسوفو في العالم الإسلامي، وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، 3 نوفمبر 2010، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yBy7Kk
27. أردوغان وبوتين يضعان حجر الأساس لأوّل محطة نووية في تركيا، فرانس 24، 4 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Az7kYn
28. أردوغان يبدأ جولة في أمريكا اللاتينية، صحيفة الحياة اللندنيّة، 30 يناير 2016، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JtsazV
29. أردوغان يتوسّل مواطنيه تحويل مدخراتهم إلى العملة الوطنية، موقع صحيفة البيان، 11 أغسطس 2018، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XH8CXb
30. أردوغان يحثُّ الأتراك على استبدال ما لديهم من عملة أجنبية بالذهب أو العملة المحلية، موقع 2، bbc Arabic news، ديسمبر 2016، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/apPcpm
31. أردوغان يدعو الأتراك لتحويل مدخراتهم من اليورو والدولار إلى الليرة، موقع 26، arabic.rt.، مايو 2018، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nqB7Ps
32. أردوغان يعلن تقديم 5 مليون دولار إضافية لمكافحة إيبولا في إفريقيا، ترك برس، 21 نوفمبر 2014، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/eXWqfk
33. أردوغان يغادر دافوس غاضباً بعد مُشادّة كلاميّة مع الرئيس الإسرائيلي، دويتش فيله، 30 يناير 2009م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QrHWUR
34. أردوغان يهدف لتحويل تركيا إلى مركز رئيسي لصناعة السّلاح، موقع reuters العربية، 27 مايو 2015م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/nj7PVf>

35. أردوغان يهنئ الشعب التركيّ بذكرى انتصار ملاذغيرت، تي آر تي العرَبِيَّة، 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/w6ZGJg
36. أردوغان يوقِّع على اتفاقية لـ50 مشروعاً خلال زيارته للبوسنة والهرسك، تركيا بوسـت، 20 مايو 2015، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UPfNmK
37. أردوغان: أوروبا ستخسر إذا لم تُضمَّ تركيا بحلول عام 2023، رويترز، 31 أكتوبر 2012، تاريخ الزيارة: 30 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DtXR4Z
38. أرقام ودلالات في استفتاء تركيا، بي بي سي عربي، 18 أبريل 2017م، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/IbAVG
39. أروـل چبجي وقادر أوستن، سياسة تركيا تجاه الأزمة السوريَّة، مجلة رؤية تركيَّة، العدد 3، خريف 2012م، تاريخ الزيارة 25 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8HpdGN
40. ازدهار العلاقات التركيَّة الإفريقيَّة، دايلي صباح، 10 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zicgV9
41. أزمة الليرة: تركيا تقرر مقاطعة السلع الإلكترونيَّة الأمريكيَّة بسبب العقوبات التي فرضتها إدارة الرئيس دونالد ترامب، بي بي سي عربي، 14 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pDrgC9
42. أسباب الأزمة التركيَّة العرافيَّة وأبعادها، صحيفة دايلي صباح التركيَّة، د.ت، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6LDJyc
43. الاستثمار العقاري في تركيا، الاستثمارات الخارجيَّة في تركيا، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oxaHWa
44. الاستثمار العقاري في تركيا، تركيا العقاريَّة، 24 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wmAVdL

45. الاستثمارات الأجنبية المباشرة في تركيا تتراجع 44% خلال 10 أشهر، صحيفة الاقتصادية، 24 ديسمبر 2016، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Uaebqs
46. الاستثمارات الأجنبية في تركيا تبلغ 191 مليار دولار منذ تولي العدالة والتنمية الحكم، ترك برس، 28 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6t9PLR
47. الاستثمارات السورية في تركيا تُشكل 14% من الاستثمارات الأجنبية، موقع turkpress، 17 سبتمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 14 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/19HkQd>
48. استثمارات قطر في تركيا تناهز 20 مليار دولار، ترك برس، 17 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3p82Pj
49. استطلاع رأي: مدن تركيا الكبرى تُؤيد التعديلات الدستورية، تركيا بوست، 9 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/TnsLTu
50. استطلاعات رأي تركية: تقدّم طفيف لمؤيدي التعديلات الدستورية، بي بي سي عربي، 12 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9r2iUT
51. الاستفتاء الدستوري في تركيا.. النتائج والتداعيات، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، 9 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8mgPl2
52. استفتاء تركيا.. 51.3% صوتوا بنعم على تعديلات الدستور، العربية.نت، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1RG6MQ
53. إسراء محمود، الاقتصاد التركي: 13 عاماً من النجاح، تركيا بوست، 16 أكتوبر 2015م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iuJ0sK
54. إسراء محمود، الاقتصاد التركي: 13 عاماً من النجاح، تركيا بوست، 16 أكتوبر 2015م، متاح على الرابط التالي: <http://goo.gl/iuJ0sK>

55. إسرائيل... ومحاولة الانقلاب الفاشل في تركيا، موقع مركز رؤية للتنمية السياسيّة، 29 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/yvFCtK>.
56. أسس توازن القوى، بدون مؤلف، موسوعة مقاتل من الصحراء، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/7jFei>
57. اعتدال سلامة، تركيا.. القُوّة النَّاعِمَة في الشرق الأوسط، مجلة المجلّة، 26 مايو 2013م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/RvrKk5
58. الإغاثة التُّركيَّة تواصل توزيع المساعدات الإنسانيَّة في اليمن، تركيا الآن، 26 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/q83BFn
59. الاقتصاد التُّركيُّ أكثر جاذبيَّةً للمستثمرين مع توقُّعات جيِّدة بالنمو، صحيفة الوطن الكويتيَّة، 18 نوفمبر 2012م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LDBYYf
60. الاقتصاد التُّركيُّ خلال عقد العدالة والتَّنميَّة، رؤية تركيَّة، 2013م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/i6NmRJ
61. الاقتصاد التُّركيُّ ومستقبل الاستثمارات الأجنبيَّة في تركيا حالياً حقائق وتوقُّعات، رمال إنفست، 3 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/21wD6A
62. الاقتصاد التُّركيُّ يُحقِّق أعلى نموٍّ بين دول مجموعة العشرين 2017، وكالة الأناضول للأنباء، 29 مارس 2015م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/b4pq1G
63. الاقتصاد التُّركيُّ يحقق أعلى نموٍّ بين دول مجموعة العشرين 2017، وكالة أنباء الأناضول، 29 مارس 2017م، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rSb9ud

64. الإماراتيون يملكون 300 ألف قدم مربع في تركيا، صحيفة الاتحاد الإماراتية، 24 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي:

goo.gl/vhnvyg

65. الأمم المتحدة تشارك في استضافة مؤتمر رفيع المستوى في تركيا لدعم الصومال، أخبار الأمم المتحدة، منظمة الأمم المتحدة، 21 مايو 2010م، تاريخ الزيارة: 4

أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xfbQr8

66. أمنية محسن عمر أحمد الزيات، السياسة الخارجية الصينية تجاه إفريقيا 1991-2015م، المركز الديمقراطي العربي، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح

على الرابط التالي: <http://cutt.us/rs7NT>

67. انتخابات تركيا: المغتربون يلعبون دوراً حاسماً في التصويت لأردوغان، بي بي سي عربي، 22 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8hW3KZ

68. انتهاء نقل القوات إلى القاعدة التركية في قطر، روسيا اليوم، 20 يونيو 2017، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/HQkXno

69. انفوجرافيك: أكثر مواطني الدول العربية شراء للعقار في تركيا، تركيا بوست، 26 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي:

goo.gl/GA9cWa

70. انفوجرافيك: تطابق النتائج النهائية للانتخابات التركية مع ما نشرته الأناضول، وكالة الأناضول للأنباء، 5 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/uyP1YZ

71. أنور عبدالله الرواحنة، هل ستصبح تركيا قوة عظمى في السنوات القليلة القادمة؟، ترك برس، 18 أكتوبر 2015م، تاريخ الزيارة 16 مايو 2017م، متاح

على الرابط التالي: <http://goo.gl/Xnbk3Z>

72. أهم 5 أخطار تهدد الاقتصاد التركي، موقع العربية، 20 يوليو 2016م، تاريخ

الزيارة 23 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/p7yi1U>

73. أهم التعديلات الدستورية المُمهِّدة للنظام الرئاسي في تركيا (إطار)، وكالة الأناضول للأخبار، 21 يناير 2017م، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FNHR7x
74. أورهان توربدار، النشاط التُّركيَّ الجديد في غرب البلقان: الطموحات والعوائق، موقع رؤية تركيَّة، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/BzhYMw
75. أورهان توربدار، النشاط التُّركيَّ الجديد في غرب البلقان: الطموحات والعوائق، رؤية تركيَّة، صيف 2013، نسخة رقميَّة متاحة على الرابط التالي: goo.gl/NaHhA2
76. الأوروبيّ يدعو للتحقيق في «تجاوزات الاستفتاء» ويرفض تهنة أردوغان، صحيفة الرأي الكويتيَّة، 19 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9xa5aF
77. أوري بلاو، استراتيجيَّة إسرائيل لتحسين صورتها في العالم، صحيفة الأيام، 27 مارس 2017م، تاريخ الزيارة 24/9/2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hY57vr
78. آية عبد الواحد، بينها نور ومهند.. 5 مسلسلات تركيَّة فشلت في بلدها وحققت نجاحاً هائلاً في الوطن العربي، هافنجتون بوست عربي، 28 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/dZB3Qi
79. إيمان مصطفى القُوَّة النَّاعمة في السياسة الخَارِجيَّة، فكر أونلاين، 3 مارس 2016م. متاح على الرابط التالي: goo.gl/G7EZxF
80. أيمن الدسوقي، القُوَّة الذَّكيَّة وسياسة أوباما الخَارِجيَّة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 15 فبراير 2009م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fU9Svn
81. إيناس محمد البهيجي، تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلاميَّة، مركز الكتاب الأكاديمي، 2017م.

82. أيهم أبازيد، تركيا بين الحضارة والاستراتيجية، أورينت. نت، 15 فبراير 2016م،
تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/p9kpNg
83. ب- كريم أبو حلاوة، سياسات القُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ ودورها في العلاقات الدُولِيَّةِ، مركز
دمشق للأبحاث والدراسات، 2016م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص
متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/yMZTnU>
84. البارزاني يُتَمَنُّ انفتاح تركيا تجاه الأكراد، الجزيرة نت، 31 أكتوبر 2009، تاريخ
الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/mtiSEp
85. باريس: الاستفتاء على عقوبة الإعدام في تركيا سيكون انتهاكاً للقيم الأوروبية،
صحيفة الشروق المصرية، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م،
متاح على الرابط التالي: goo.gl/VPDS8s
86. باسل الحاج جاسم، أبعاد التَّحَرُّكِ التُّرْكِيِّ فِي القَارَّةِ السَمْرَاءِ وتوقيته، 13 مارس
2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/8bwGpt>
87. باسل الحاج جاسم، الاقتصاد والدين طريقا تركيا إلى القَارَّةِ السَمْرَاءِ، صحيفة
الحياة اللندنية، 13 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على
الرابط التالي: goo.gl/UDMIk6
88. بالأرقام.. خارطة توزيع الأجنئين السوريين في تركيا، تركيا بوست، 13 يوليو
2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ciBYYH
89. بالأرقام: تفاصيل الاستثمارات الخليجية في تركيا، موقع عربي 21، 6 أغسطس
2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UjE6h8
90. البرلمان الأوروبي يوافق على تقليص المساعدات المالية لتركيا، يورو نيوز، 20
نوفمبر 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي:
goo.gl/7F7pTX

91. البرلمان التُّركيُّ يوافق على ميزانية 2018م، رويترز، 23 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pTLBBH
92. البرنامج السياسي لحزب العدالة والشِّمَّة التركي، متاح على موقع الحزب على شبكة الإنترنت، على الرابط التالي: goo.gl/MxvA3l
93. بسمة جابر، مسلسل السلطان عبدالحميد الثاني قصة المسلسل وأبطاله وأسباب إثارته للجدل، نجوم مصريَّة، 9 يوليو 2017م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: cutt.us/KFBpg
94. بعد إعلان أردوغان.. تركيا مقبلة على انتخابات رئاسية وبرلمانية مبكرة، دويتش فيله، 18 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/U43bBX
95. بعشيقة.. بؤرة توتّر بين العراق وتركيا، الجزيرة نت، 24 ديسمبر 2015م، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/S3gWsU
96. بكر محمد البدور، قراءة في مشروع الدستور التُّركيُّ الجديد، ترك برس، 10 يناير 2017، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YMTY3a
97. البلقان، الجزيرة نت، 16 مارس 2016م، تاريخ الزيارة 16 نوفمبر 2017م، النصّ متاح على الرابط التالي: goo.gl/L3WgP4
98. بنك الإمارات دبي الوطني يشترى خامس أكبر بنك في تركيا، ترك برس، 23 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XsCQCi
99. بوحنيّة قوي، إفريقيا في الاستراتيجية التُّركيَّة الجديدة، مركز القرن العربي للدراسات، 6 أكتوبر 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/huPCr1
100. بول سالم، تركيا هي البلد الوحيد في الشرق الأوسط الذي يتّجه إلى المستقبل، مركز كارنيجي الشرق الأوسط، 24 مايو 2010م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/x0bUPF
101. بول كيربي، لماذا فشل الانقلاب العسكري في تركيا؟، بي بي سي، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 17 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/OsE42y>

102. بيان حول المساعدات التي تُقدِّمُهَا تركيا لفلسطين، وزارة الخَارِجِيَّةُ التُّرْكِيَّةُ، الرقم: 198، التاريخ: 19 يونيو 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/exBYzm
103. بيتر تيلور، كولن فيلت، الجغرافيا السِّيَاسِيَّةُ لعالمنا المعاصر، ترجمة عبد السلام رضوان وإسحاق عبيد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 282، ص 73.
104. تأثير المسلسلات التُّرْكِيَّةُ في الشرق الأوسط، موقع أوروبوز عربي، 29 يونيو 2012م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Rh57Va
105. التاريخ، الجُمهُورِيَّةُ التُّرْكِيَّةُ: مُؤَسَّسَةُ الضمان الاجتماعيّ، د.ت، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gf5ZtN
106. تالا حلاوة، المسلسلات التُّرْكِيَّةُ وفضاعة الاختراق والتأثير في الوطن العربيّ، موقع جدليَّة، 26 يونيو 2013م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/K9mWxR
107. تدشين الجسر الثالث على مضيق البوسفور، أحد مشاريع أردوغان العملاقة، فرانس 24، 26 أغسطس 2016، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KXWwB7
108. تدشين خط أنابيب «باكو-تبليسي-جيهان» الخميس المقبل، صحيفة البيان الإماراتيَّة، 11 يوليو 2006م، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9dGnLH
109. تدهور قُوَّةُ الاتِّحاد السوفييتي وأسباب الانهيار، موسوعة مقاتل، الرياض، د.ت، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/r9mQNV
110. تركيا الثانية أوروبياً في تراجع معدلات الفقر 2016، وكالة الأناضول للأخبار، 6 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RWdhHm

111. تركيا السادسة عالمياً من حيث عدد السُّيَّاح 2017، وكالة الأناضول للأنباء، 23 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jKNAjP
112. تركيا الوجهة الأولى للسُّيَّاح العرب، ترك برس، 6 يوليو 2015م، تاريخ الزيارة 21 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iM2mjV
113. تركيا تبحث في أمريكا اللاتينية عن بديل لأسواق الجوار المتعثرة، إرم نيوز، 29 يناير 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KtnaDR
114. تركيا تبرز في جذب الاستثمارات- رئيس وكالة دعم وتشجيع الاستثمار التركية، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، 22 يناير 2015م، تاريخ الزيارة 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/IkdhoV
115. تركيا تُبعد عن أوروبا.. إجماع على وقف التفاوض مع أنقرة، العربية.نت، 27 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/sBr8o1
116. تركيا تتقدّم 9 مراكز عالمياً في تقرير ممارسة أنشطة الأعمال 2018م، وكالة الأناضول للأنباء، 31 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 31 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wgDhzw
117. تركيا ترعى كبار السن في منازلهم، العربي الجديد، 13 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/G1JnXy
118. تركيا تسعى لتكون الأولى عالمياً في مجال تصدير المسلسلات، تركيا بوست، 5 أبريل 2016، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qu13fP
119. تركيا تسعى لجذب استثمارات أجنبية بقيمة 15 مليار دولار خلال 2017، تركيا بوست، 31 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/alyjyn

120. تركيا تُطوِّرُ شبكةَ رعايةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ رائدةٍ خلالِ عقدين، ترك برس، 2 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yV7znA

121. تركيا تعلن التصديق على اتفاقية التجارة الحرة مع سورية خلال انعقاد اللجنة الجمركية العليا المشتركة بين البلدين، وزارة المالية- الجمهورية العربية السورية، د. ت، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/unymNn

122. تركيا تكشف عن مسار قناة إسطنبول، موقع 15، arabic.rt.، يناير 2018م، تاريخ الزيارة: 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/5TB2gX>.

123. تركيا تكشف مسار قناة إسطنبول بطول 45 كيلو متراً، موقع 15، france24، يناير 2018م، تاريخ الزيارة: 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/oqohGd>.

124. تركيا تنتقد تقريراً للاتحاد الأوروبي بشأن محادثات العضوية، رويترز، 28 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/x3UvpC

125. تركيا تهدف إلى مد خطوط سلك الحديد بطول 30 ألف كلم بحلول 2035، دايلي صباح، 3 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/eqQy7u

126. تركيا تواجه صعوبات في تحقيق الخطة الاقتصادية، أصداء الأعمال، 23 أكتوبر 2014م، تاريخ الزيارة: 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BHIgJP

127. تركيا توافق على نشر الدرع الصاروخية لـ«الناتو» على أراضيها، صحيفة المصري اليوم، القاهرة، 2 سبتمبر 2011م، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3g21ry

128. تركيا ستصبح صاحبة كلمة في الأمم المتحدة: قبول عضوية تركيا وإستونيا التامة في فريق دعم المانحين لمكتب الأمم المتحدة لتنسيق المساعدات الإنسانية، تي آر تي عربيّة، 1 يوليو 2014، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QqHTEU
129. تركيا قوة عالمية في عام 2023، ترك برس، 9 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MgcFZU
130. تركيا للعراق: نحن بوابتكم لأوروبا وأنتم بوابتنا للخليج، صحيفة الاتحاد الإماراتية، 1 نوفمبر 2009، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/VcTbWd
131. تركيا والبوسنة والهرسك تتوصلان لتفاهم حول تطوير التعاون الدفاعي، تي آر تي العربيّة، 4 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pBuZxs
132. تركيا وأمريكا اللاتينية.. علاقات تاريخية تحييها مساعي النهضة المشتركة، مرصد أمريكا اللاتينية، 3 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 2 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gJhTJH
133. تركيا وأمريكا تبدآن تدريب المعارضة السورية المعتدلة، الجزيرة نت، 26 مايو 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jw2sbz
134. تركيا وأمريكا توّقعان اتفاق تدريب المعارضة السورية، صحيفة الشرق القطريّة، 19 فبراير 2015، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DBzXaZ
135. تركيا.. ارتفاع عدد السّياح العرب 34% في النصف الأول من العام الجاري، تركيا بوست، 2 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/s9vnpL
136. تركيا.. تاريخ من الانقلابات، روسيا اليوم، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QLDeZx

137. تركيا.. رقم قياسي في عدد السَّيَّاح بالربع الأول من 2018م، دايلي صباح، 27 أبريل 2018م، مُتَّاح على الرابط التالي: goo.gl/os8EWp
138. تركيا: أردوغان يصف فوز نعم في الاستفتاء بالتاريخي والمعارضة ستطعن في النتائج، فرانس 24، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SbXr9z
139. تركيا: الشارع يُفْشِل الانقلاب وأردوغان يستعيد السيطرة، دويتش فيله، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 17 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/DM9Uia>
140. تركيا: ماذا بعد فوز أردوغان بولاية رئاسية جديدة؟، بي بي سي عربي، 24 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rPIKEz
141. التَّصْنِيفُ السِّيَادِيُّ لِتُرْكِيَا يَحَافِظُ عَلَى تَقْدِيرِ الْجِدَارَةِ الْاِثْمَانِيَّةِ فِي مَجَالِ الْاِسْتِثْمَارِ، وَكَالَةِ دَعْمٍ وَتَشْجِيعِ الْاِسْتِثْمَارِ فِي تُرْكِيَا، 20 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BQHVTN
142. تعرف على عقوبة الإعدام في تركيا والعالم عبر 6 أسئلة، صحيفة زمان التُّرْكِيَّةُ ، 7 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LD9Gwa
143. تفاصيل برنامج المنح التُّرْكِيَّةُ ، ترك برس، 28 يناير 2015، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ESfEag
144. التقرير الاستراتيجي الارتيادي، الأمة والخروج من التَّبَعِيَّةِ، مجلة البيان اللندنية بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الإنسانية بالقاهرة، الإصدار الرابع عشر 1438هـ، ص ص 85-86.
145. تقرير الأمين العام للأمم المتحدة: سيادة القانون والعدالة الانتقالية في مجتمعات الصِّراع ومجتمعات ما بعد الصِّراع ، موقع مُنظَّمة الأمم المتحدة، 2004م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/8BTxmR>

146. تقرير أمريكي: لتركيا أهمية استراتيجية في نقل الطاقة إلى أوروبا، تركيا بوست، 4 فبراير 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/BXxga>
147. تواصل حملات دعم الليرة التركية في عدد من بلدان العالم، وكالة الأناضول للأخبار، 14 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/58Eych
148. تيكا التركية: ترميم مسجد النجاشي في إثيوبيا يكتمل العام الجاري، وكالة الأناضول للأخبار، 23 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YRSHg4
149. الجالية التركية في هولندا.. من التهميش إلى قاعة البرلمان، نيو ترك بوست، د. ت، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LTRaZU
150. الجالية العربية في إسطنبول تدعو إلى دعم الليرة التركية، وكالة الأناضول للأخبار، 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QRwBSp
151. جدلية القوة في العلاقات الدولية، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، 4 مارس 2015م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Wu53P6
152. جلال خشيب، السنيما.. قوة ناعمة فاعلة في السياسة الخارجية التركية، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hnC6fC
153. جلال خشيب، قراءة في كتاب: العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، 23 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/3Res9>
154. جلال سلمي، ترامب والأزمة السورية وتركيا، ترك برس، 21 نوفمبر 2016م، تاريخ الزيارة 29 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6ywpkT
155. جهاد الزين، التقدم المدهش في العلاقة التركية- السورية وضيق الأفق اللباني، ناو ميديا، 18 سبتمبر 2003م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7eQdJO

156. حادث مرمرة: تركيا وإسرائيل تبثان الأسبوع المقبل مسألة التعويضات، بي بي سي عربي، 30 مارس 2013، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6JGtqg
157. حالة الطوارئ في سوريا، المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 19 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KrXuXN
158. حرب العراق بالأرقام، بي بي سي عربي، 15 ديسمبر 2011م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iQGRZQ
159. حسام الدين سويلم، القُوَّةُ الشاملة للدولة وكيفية حسابها، مجلة البرية، القُوَّات المُسلَّحة السُّعُودِيَّة، الرياض، د.ت، تاريخ الزيارة 8 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KK2XIT
160. حسن سلمان، وادي الذئاب: المافيا وسيط في كل حروب الشرق الأوسط، ميدل إيست أونلاين، 8 فبراير 2008م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jYKyzd
161. حسني عماد حسني، القُوَّةُ الصلبة والقُوَّةُ النَّاعِمَةُ الرَّوْسِيَّان، مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط، 6 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bg617o
162. حسين لعريض، واقع الدور التُّرْكِيِّ الراهن ضمن أدوار الفواعل الإقليمِيَّة والدَوْلِيَّةِ تَجَاهِ النزاع السوري، مركز جيل البحث العلمي، 7 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4qy9Vh
163. حكيم غريب، طبيعة التحوُّل في مفهوم القُوَّة في العلاقات الدَوْلِيَّة، لينكدإن، 24 سبتمبر 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xXZBT6
164. حمزة السلامات، مصطلح القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ نهج جديد في السياسة الخَارِجِيَّة الأَمْرِيكِيَّة خلال رئاسة أوباما، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجِيَّة، 03 نوفمبر 2014م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/852UBI

165. حملة الاستفتاء الدستوري تصعد التوترات بين أوروبا وتركيا، دويتش فيله، 11 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9aDWI1
166. الحواس تقيه، الصادق الفقيه، قراءتان في كتاب العمق الاستراتيجي لأحمد داوود أوغلو، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 5 أكتوبر 2010م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/yXwg5q>
167. خالد المطيري، الرياض وأنقرة توقعان 9 اتفاقيات بـ 400 مليون دولار، الخليج الجديد، 15 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/1TIOr>
168. خالص جلبي، غرامشي والهيمنة الثقافية، صحيفة الاتحاد الإماراتية، 24 ديسمبر 2003م، تاريخ الزيارة: 2 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/p72Um3
169. خطط لزيادة التجارة بين السعودية وتركيا إلى 20 مليار دولار، سي أن أن بالعربية، 19 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rPNvE4
170. الخطوط الجوية التركية تحقق أرباحاً تفوق التوقعات، ترك برس، 9 نوفمبر 2017، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jdYJZw
171. الخطوط الجوية التركية تنقل 68.6 مليون مسافر خلال 2017، وكالة الأناضول للأخبار، 9 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/K9DwWF
172. خليل مبروك، الأتراك ينتصرون لعمليتهم في مواجهة الدولار، الجزيرة نت، 9 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KtacXF
173. خليل مبروك، عوامل داخلية وخارجية وراء صعود السياحة التركية، الجزيرة نت، 17 أغسطس 2014م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/CSmG2b

174. د. خليل حسين، القُوَّةُ وأثرها في الأحلاف الدُولِيَّةِ وصراعاتها، مجلة الدفاع الوطني اللُّبْنَانِيّ، العدد 65، تموز 2008م، تاريخ الزيارة 17 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/feG4yr

175. الدبْلُومَاسِيَّةُ التَّقَافِيَّةُ لتركيا، ترك برس، 17 ديسمبر 2015م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/m6bBLJ

176. دراسة يونانية: الدراما التُّرْكِيَّةُ قُوَّةُ ناعمة لتحسين الصورة، عربي 21، 2 ديسمبر 2013، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/2jkkxqT

177. الدراما التُّرْكِيَّةُ تستهدف عائدات بملياري دولار (مقابلة)، وكالة الأناضول للأخبار، 20 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، مُتَاح على الرابط التالي: goo.gl/MbRrfQ

178. دستور 1982 دستور الانقلاب العسكري الساري في تركيا، ترك برس، 15 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 28 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/REQRGX

179. دستور تركيا الجديد، تركيا بوست، 8 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SrJhcU

180. دستور تركيا الصادر عام 1982م شاملاً تعديلاته لغاية عام 2011م، موقع [constituteproject](http://constituteproject.com)، 27 يوليو 2018م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: <https://goo.gl/dPNTSsz>.

181. دعم تركي للمُعَارَضَةِ السُورِيَّةِ لتشكيل «الجيش الوطني»، صحيفة الشرق الأوسط اللندنيَّة، 18 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GX5Kvi

182. ديديم تالي، ما سرُّ شعبيَّةِ المسلسلات التُّرْكِيَّةِ في أمريكا الجنوبية؟، بي بي سي عربي، 20 سبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/5tf9tc

183. راشد الغنوشي، الديمُقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام، (دار المجتهد، تونس، 2015م)، ط2، ص 263- 265.
184. رانيسة طاهر، الدور الإقليمي التُّركي في ظلِّ ثورات الربيع العربي، مجلة رؤية تركية، شتاء 2013م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/AguHLZ
185. رشاب عبد الوهاب، ثورة الدبلوماسية الرقمية.. 3 تحديات تواجه الحكومات، صحيفة الأهرام المصرية، 20 يوليو 2015م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9vz23Z
186. الرعاية الصحيّة في تركيا؛ مستشفيات معاصرة.. وإمكانيات حضارية واسعة، تركيا بوست، 22 نوفمبر 2014م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5T8iFg
187. روزين أبو طيون، اجتياح للعقول بأساليب راقية، شبكة أصداء الإخبارية، 3 مارس 2014م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/dlN1g
188. روسيا وتركيا توقعان مشروع تورك ستريم لنقل الغاز عبر البحر الأسود، سي بي إن سي العربيّة، 10 أكتوبر 2016، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fCs39G
189. روسيا.. بوابة تركيا إلى آسيا الوسطى، مركز دراسات كاتيون، 22 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jXaNfo
190. روميساء نور تشكيجي، الفنون الجميلة الإسلامية في تركيا، ترك برس، 26 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YdmDjS
191. الرئاسة: مباحثات مرسى في تركيا تركّزت على الجانب الاقتصادي، صحيفة المصري اليوم، 30 سبتمبر 2012م.

192. ريتشار فولك، رحلة النجاح لأحمد داود أوغلو، الجزيرة نت، 5 مايو 2016م،
تاريخ الزيارة 2 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oBXXMz
193. ريم أبو عجيب، نظام التعليم في تركيا، أراجيك، 24 سبتمبر 2016م، تاريخ
الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8pD6WZ
194. الرئيس أردوغان يتوجّه إلى كولومبيا في مُستهلّ جولته اللاتينية، تي آر تي
العربيّة، 9 فبراير 2015، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط
التالي: goo.gl/jrrUa2
195. الرئيس التُّركيُّ يزور القاهرة لـ«التضامن مع الثورة المصرية»، صحيفة المصري
اليوم، 3 مارس 2011، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط
التالي: goo.gl/MVT6w2
196. رئيس الجُمهوريَّة أردوغان: العلاقات بين تركيا والبوسنة والهرسك تشهد تطوُّراً
على مستوى ممتاز، تي آر تي العربيّة، 21 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي:
goo.gl/7xxVdn
197. الرئيس السوري في زيارة تاريخية لتركيا، وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، 6 يناير
2004، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oduFjG
198. الرئيس الصربي: تركيا أكبر قُوَّة في البلقان ورأيها مهم، تي آر تي العربيّة، 7
مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KNnKPJ
199. الرئيس الفلسطيني يصل أنقرة في زيارة رسميّة، تركيا بوست، 27 أغسطس
2017، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KhGWwQ
200. رئيس الوزراء التُّركيُّ السابق أوغلو يعرب عن مخاوف من التعديلات الدُسُوريَّة،
صحيفة القدس العربي اللندنيّة، 18 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس
2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LjLS4K

- 201.الرئيس اليميني يشيد بمواقف تركيا الداعمة لبلادہ، تركيا بوسنت، 13 سبتمبر 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ubGPxS
- 202.رئيس تيكا التُّركيَّة هناك مَحَبَّة كبيرة في إفريقيا تَجَاه تركيا، رئاسة الوكالة التُّركيَّة للتعاون والتنسيق، 27 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zB8DN1
- 203.رئيس وزراء البوسنة: سنمنع أي عمل يضرُّ بالعلاقات الوديَّة مع تركيا، تركيا بوسنت، 20 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LuY5fq
- 204.زياد العالول، رؤية تركيا 2023 وأحلام العرب، عربي 21، 28 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QjqUxF
- 205.زيادة أهُمِّيَّة تركيا التي تقع على مسارات الطَّاقَة، تي آر تي عربي، 3 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/O735Kf
- 206.سامي أحمد، تَحَوُّفَات أوروبية عديدة تمنع تركيا من الانضمام للاتِّحاد الأوروبي، 2 مايو 2017م، دوت مصر، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Uq223L
- 207.سامي الأخرس، لماذا أفلت حزب العدالة والتَّشَميَّة التُّركيِّ من أنياب المحكمة الدُّستوريَّة؟ موقع بيتنا، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/RRRFm>
- 208.سعيد الحاج، اتِّجَاهات السياسة الخَارِجِيَّة التُّركيَّة بعد رحيل داود أوغلو، إضاءات، 23 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/MmNSi2
- 209.سعيد الحاج، تأثيرات النموذج التُّركيِّ على تَحَوُّلات الحركات الإسلاميَّة العَرَبِيَّة، موقع الجزيرة نت، 21 سبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/GwqUCk>

210. سعيد الحاج، تركيا والأزمة السورية.. ملامح مرحلة جديدة، الجزيرة نت، 26 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 29 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي:
<https://goo.gl/0f81nM>
211. سعيد الحاج، قراءة في نتائج الانتخابات التُّرْكِيَّة، إضاءات، 25 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Pv9Hhh
212. سعيد عبدالفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربيَّة، بيروت، الطبعة الأولى، 1972.
213. سقط الانقلاب فعَلتْ أسهم القُوَّة التَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربي والإسلامي، وكالة الأناضول، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 18 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/KpgUUY>
214. سكيئة القتيبي، هل المطبخ التُّرْكِيُّ هو أصل المطبخ الشرق أوسطي؟، 5 فبراير 2016م، المرسال، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/Ghheg
215. سماح عبدالصبور، القُوَّة الذَّكِيَّة: أدوات السياسة الخَارِجِيَّة الإيرانيَّة تجاه لبنان، السياسة الدَوْلِيَّة، 13 مارس 2014م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: 77ExGf/lg.oog
216. سمير صالحة، ماذا فعل أردوغان في كازاخستان؟، ترك برس، 17 أبريل 2015م، تاريخ الزيارة 1 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/TA24XM
217. السنيما.. قُوَّة ناعمة فاعلة في السياسة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة، إدراك للدراسات والاستشارات، 19 يوليو 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tsyqOM
218. سوريا وتركيا تُوكِّدَان الرغبة في تعزيز علاقات التعاون والعمل المشترك، وكالة الأنباء الكويتيَّة (كونا)، 6 مارس 2004، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3PTgES

219. سوسن الأبطح، أحمد داود أوغلو يرسم النُّظام الإقليميّ لمنطقة الشرق الأوسط، صحيفة الشرق الأوسط اللندنيّة، عدد 11653، 24 أكتوبر 2010م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي goo.gl/zB7v9Z
220. السياسة التُّركيَّة حيال أمريكا اللاتينيَّة والكاريبّي وعلاقتها مع دول المنطقة، وزارة الخارِجيَّة التُّركيَّة، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wW6b8h
221. سيزر يعترض على تعديل قانون العقوبات التركي، الجزيرة نت، 3 يونيو 2005، تاريخ الزيارة: 28 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DCrSe1
222. سيف الدين التركمانيّ، رسائل من مسلسل قيامة أرطغرل، مدونات الجزيرة، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/E8yo41>
223. سيناريوهات ما بعد الاستفتاء على التعديلات الدُسْتُوريَّة في تركيا، نون بوست، 16 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/idDibY>
224. السينما التُّركيَّة .. أشواطٌ كبيرة في ذكرى انطلاقها المتويَّة، تركيا بوست، 15 نوفمبر 2014م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/8un9I
225. شبلي تلحمي، تقرير استطلاع الرأي العام العربي لعام 2011م، معهد بروكنجز، 21 نوفمبر 2011، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8uShZT
226. الشيماء عرفات، في مواجهة اللّاجئين: هل تُفضِّلُ أوروبا الأمن على الإنسان؟، إضاءات، 21 يناير 2016م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/P9lYu3
227. صالحة علّام، الدراما.. القُوَّة النَّاعِمَة التي غَزَتْ بها تركيا العالم!، الجزيرة نت، 3 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yLf1ZY

228. صندوق النقد الدولي: تركيا السادسة على العالم من حيث النُّمُو، موقع turkpress، 13 أبريل 2015م، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/QBAjd2>.
229. صورة أمريكا تتحسَّن مع أوباما، الجزيرة نت، 24 يوليو 2009م، تاريخ الزيارة 1 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jdSxx4
230. طنطاوي يُؤكِّد لِنغول الرغبة في الانتقال بالبلاد نحو الديمُقْرَاطِيَّة، صحيفة الخليج الإماراتيَّة، 4 مارس 2011م، تاريخ الزيارة 5 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ab2Jts
231. طه عبدالمقصود، فتح بلاد ما وراء النهر، موقع قصة الإسلام، 21 سبتمبر 2014، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/31dKLM
232. طوبى ياردمجي، تركيا.. إقبال السياح العرب على البحر الأسود في تصاعد مستمر، هابيرلر نيوز التُّرْكِيَّة، 19 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/oylQm>
233. عادل عامر، استعمال القُوَّة في العلاقات الدَوْلِيَّة بين قُوَّة القانون وهيمنة القُوَّة، 8/7/2015م، تاريخ الزيارة 16 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: www.adelamer.com/vb/archive/index.php/t-19037.html
234. عاطف العمري، تَغْيِير مفهوم الأمن القومي، صحيفة الخليج الإماراتيَّة، 13 أغسطس 2014م، تاريخ الزيارة 8 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/D9HN9L
235. عاطف الغمري، أولويَّة الأمن القومي الاقتصادي، صحيفة الخليج الإماراتيَّة، 18 يوليو 2012م، تاريخ الزيارة 21 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/1LCTg>
236. عبدالحافظ الصاوي، السياحة التُّرْكِيَّة وسهام السياسة، الجزيرة نت، 9 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/vgslUf

237. عبد الحافظ الصاوي، خرائط القوى الاقتصادية، المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، 20 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5FKVIK
238. عبد الحكيم سليمان وادي، بحث قانوني بعنوان "الاستثناءات الواردة على مبدأ عدم اللجوء لاستخدام القوة في القانون الدولي"، موقع "الحوار المتمدّن"، 10 يونيو 2013، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/a5jQks>
239. عبد المعطي زكي، الأمن القومي قراءة في المفهوم والأبعاد، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 9 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 8 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/66ZoWB
240. عجز موازنة تركيا في 2016م أفضل من المتوقع، العربي الجديد، 16 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/0N6k4F
241. العدالة والتنمية 14 عام في خدمة تركيا والأمة.. والمسيرة مستمرة، ترك برس، 18 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/V5TDEa
242. عدد اللاجئين السوريين في تركيا يتجاوز 3.5 مليون، تي آر تي عربيّة، 14 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KcVybL
243. عدنان مندريس، الجزيرة نت، 13 نوفمبر 2016، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/B2VxEi
244. العرب يُعشّون قطاع العقارات في تركيا، وكالة أنباء نيو ترك بوست، 3 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XjzuLx
245. عزّت شحور، الصين ثاني أعلى ميزانية عسكرية بالعالم، الجزيرة نت، 06 مارس 2013م، تاريخ الزيارة، 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ML3YEK

246. عصر ذهبي للعلاقات: تركيا وغرب البلقان خلال عهد حزب العدالة والتنمية، موقع رؤية تركية، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/U9hfKd>
247. العقارات، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، د.ت، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Wix9ut
248. العلاقات الاقتصادية والتجارية بين مصر وتركيا (من عام 2009م حتى النصف الأول من 2012م)، وزارة الصناعة والتجارة الخارجية المصرية، أكتوبر 2012م، ص 2.
249. العلاقات الإيرانية- التركية في ظل الثورات العربية، علي حسين باكير، الراصد نت، 3 يوليو 2011م، تاريخ الزيارة 16 نوفمبر 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/af1w3>
250. العلاقات التركية الإسرائيلية.. تاريخ من الدبلوماسية والأزمات، راديو سوا، 30 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/u9hx5W
251. العلاقات التركية مع الاتحاد الأوروبي، موقع وزارة الخارجية التركية، د.ت، تاريخ الزيارة 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YV9nlZ
252. العلاقات التركية مع الدول الإفريقية، وزارة الخارجية التركية، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb
253. العلاقات التركية مع الدول الإفريقية، وزارة الخارجية التركية، د.ت، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/NCL2Uq
254. العلاقات التركية مع دول آسيا الوسطى، وزارة الخارجية التركية، د.ت، تاريخ الزيارة 20 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4RFn8i
255. العلاقات التركية مع دول البلقان، وزارة الخارجية التركية، د.ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ndPCxD

256. علماء الدين في القارة الإفريقية يدعون تركيا لإنشاء مدارس ومساجد في بلادهم، وكالة الأنباء الكويتية، 4 نوفمبر 2006م، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MLpM8j
257. علي حسين باكير، القوة الناعمة التركية في ميزان التحولات العربية، إسلام أونلاين، 18 مارس 2011م، متاحة على صفحة الباحث الشخصية، لوجود إشكالية في مصدر النشر الرئيس، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/OTjA1C
258. علي محمد أمين الرفيعي، القوة الناعمة وأثرها في مستقبل الهيمنة الأمريكية، 2014م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/yNpzL>
259. علي محمود، 500 رجل أعمال يقودون العلاقات الاقتصادية بين مصر وتركيا، الأهرام المسائي، 25 سبتمبر 2014م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/2bsnqh
260. عمر بولاط، سجل الاقتصاد التركي من أين وإلى أين، ترك برس، 5 يناير 2015م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oJqPjY
261. عمرو أبو السعود، تامر عرفات، الزلزال التركي.. توابع انقلاب الساعات الستة، كتاب اليوم، دار أخبار اليوم، القاهرة، أغسطس 2016م، ص 11.
262. فادي عبدالله، تركيا في القرن الحادي والعشرين الوظيفة والدور المستجدان في ظل التغيرات الجيوستراتيجية على صعيد العالم والمنطقة وفي ظل مشروع أمريكا للشرق الأوسط الجديد، الحزب الشيوعي اللبناني، 16 أكتوبر 2012م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/j90cHE
263. فادي فراسين، البعد الإنساني والأخلاقي في السياسة الخارجية التركية، صحيفة ديابي صباح التركية، 29 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SA16Mg

264. فؤاد العمري، تركيا: مفاعيل الهيمنة والتحكُّم، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م،
النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/xPTgt>
265. فؤاد أوقتاي رئيس إدارة الكوارث والطوارئ (آفاد)، موقع المديرية العامة
للصحافة والإعلام التابعة لرئاسة الوزراء التُّرْكِيَّة، متاح على الرابط التالي:
goo.gl/W9IejN
266. فواز العلمي، مفهومنا الخاطئ للقُوَّة النَّاعِمَةُ، العَرَبِيَّةُ نت، 20 أكتوبر 2015م،
تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PKpMMB
267. قاعدة عَسْكَرِيَّة تَرْكِيَّة في قطر، صحيفة السفير اللُّبْنَانِيَّة، 16 ديسمبر 2015م،
تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DzCihy
268. قراءة في كتاب: العُمُقُ الاسْتِرَاتِيْجِيّ: موقع تركيا ودورها في الساحة الدَوْلِيَّة،
مركز إدراك للدراسات والاستشارات، 23 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 13 مايو
2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pXKsOc
269. قراءة في كتاب: العُمُقُ الاسْتِرَاتِيْجِيّ: موقع تركيا ودورها في الساحة الدَوْلِيَّة،
مركز إدراك للدراسات والاستشارات، 23 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 13 مايو
2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pXKsOc
270. قطر تدعم اقتصاد تركيا بـ15 مليار دولار: نَرْدُ الإِحْسَانِ بِأَحْسَنَ مِنْهُ، سي أن
أن بالعَرَبِيَّة، 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JuPXz5
271. قطر تدعم اقتصاد تركيا باستثمارات مباشرة بقيمة 15 مليار دولار، موقع،
bbc، 16 أغسطس 2018م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي:
<https://goo.gl/ArD7PD>
272. قطر وتركيا.. آفاق اِقْتِصَادِيَّة واعدة، صحيفة الشرق القطريَّة، 15 يناير 2018م،
متاح على الرابط التالي: goo.gl/NLCfNk
273. قناة إسطنبول أكبر المشاريع التي تَتَرَقَّبُهَا تركيا، موقع، yenisafak، 28
2018م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/AfzFTm>

274. قناة إسطنبول.. المشروع الأضخم في تاريخ تركيا، موقع، mubasher.aljazeera، 20 يناير 2018م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/oqohGd>.
275. قناة إسطنبول.. المشروع الذي سَيُدرُّ على تركيا مليارات الدولارات، موقع، 14 turkeyalaan، أكتوبر 2017م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/qfRZis>.
276. القُوَّة النَّاعِمَة التُّرْكِيَّة في ميزان التحوّلات العَرَبِيَّة، 20 مارس 2011م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/EtSxA2>.
277. القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربيّ والإسلاميّ، صحيفة دايلي صباح التُّرْكِيَّة، 19 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 11 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WnWpzn.
278. القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربيّ والإسلاميّ، صحيفة دايلي صباح التُّرْكِيَّة، 19 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 11 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WnWpzn.
279. القُوَّة النَّاعِمَة وحدود التغيير، 28 يناير 2009م، السير سيريل تاونسيند، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/5Vsmx>.
280. كلمة ألقاها الرئيس التركي، مساء يوم الأربعاء 13 مايو 2015م، أمام منتدى الأعمال التُّرْكِيَّة- الألباني المشترك، بالعاصمة الألبانيَّة تيرانا، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/RB58z>، والكلمة متاحة عبر مقطع فيديو على موقع يوتيوب، بتاريخ 13 مايو 2015، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oJoVrV.
281. كم تكبَّدت الليرة التُّرْكِيَّة مقابل الدولار في 10 سنوات؟- عربي 21، 29 أكتوبر 2016م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/GY7DN>.

282. كيف بدأت محاولة الانقلاب بتركيا وكيف انتهت؟، الجزيرة نت، 16 يوليو

2016م، تاريخ الزيارة 17 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/JKc4il>

283. اللّاجئون السُّوريون - تركيا بوس، 21 يونيو 2017م، تاريخ الزيارة 22 يونيو

2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/usEcn>

284. اللجنة الاستراتيجيّة العليا، سفارة دولة قطر في أنقرة - تركيا، د. ت، تاريخ

الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Fckryu

285. لجنة الانتخابات بتركيا تُؤكِّد سلامة التصويت رغم اعتراض المعارضة، صحيفة

الشرق الأوسط اللندنيّة، 17 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Fp7cLK

286. لمى خاطر، بل يمكن للفرنّ أن يكون رسالياً. مدونات الجزيرة، 5 أبريل 2017م،

متاح على الرابط التالي: goo.gl/17qd9A

287. ليزلي جيلب Leslie H. Gelb، قواعد القُوَّة، كيف يُنفذُ الاتِّفاق الجمعي السياسة

الخارجيّة الأمريكيّة؟ How Common Seen Can Rescue American

Foreign Policy، ترجمة كمال السيد، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر،
سبتمبر 2013م، ص 220.

288. ما هو التمثيل النسبي الذي أثار الجدل في تركيا مؤخراً؟، تركيا بوس، 5

ديسمبر 2014، تاريخ الزيارة: 9 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي:
goo.gl/ByMCHH

289. ما هي أبرز التعديلات الدستوريّة في تركيا؟، صحيفة الحياة اللندنيّة، 10 فبراير

2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/szgh0z>

290. ما هي خُطّة رؤية تركيا لعام 2023؟، موقع صحيفة 13 property-turkey،

ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي:
<https://goo.gl/W63vKA>

291. ما هي دوافع إجراء الاستفتاء الدستوري في تركيا؟، موقع bbc العَرَبِيَّة، 13 أبريل 2017م، تاريخ الزيارة 27 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/PIT4G
292. ماجد عزام، ملاحظات أساسية حول الاستفتاء الدستوري في تركيا، عربي 21، 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/67jueq
293. ماهي حكومة الأقلية، وهل يمكن تأسيسها في تركيا؟، ترك برس، 9 يونيو 2015، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/aDQUKm
294. مجاعة الصومال: أردوغان يزور مقديشو، بي بي سي عربي، 19 أغسطس 2011، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FCKSr5
295. مجاهد آي ديمير، نظرة عامة على تاريخ السينما التُّركِيَّة، ترك برس، 21 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Lh8Kfe
296. مجلة التأمين الصحي التعاوني، جمادى الآخرة 1434 هـ، مايو 2013م، المجلد 6، العدد 1.
297. مجموعة من الباحثين، تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج، الدار العَرَبِيَّة للعلوم ناشرون، بيروت، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، الطبعة الأولى، 2009م.
298. مجموعة مؤلفين، عبدالرحمن منيف، المؤسسة العَرَبِيَّة للدراسات والنشر، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2008م.
299. محاكمة تاريخية مُنْفَّذِي انقلاب 1980م في تركيا، دويتش فيله، 4 أبريل 2012م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bH38hh
300. محطات مفصليَّة لداود أوغلو.. في الحياة والسياسة، تركيا بوست، 9 مايو 2016، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/2unxfj

301. محطات من صراع تركيا وحزب العمال الكردستاني، الجزيرة نت، 26 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pC2v3k
302. محلل اقتصادي يوضح لسبوتنيك أسباب تراجع قيمة الليرة التركية، موقع arabic.sputniknews، 13 أغسطس 2018، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jpT6iH.
303. محمد الأمين مقراري الوغليسي، الصعود التركي في آسيا الوسطى الواقع والآمال، مجلة البيان اللندنية، 28 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kfmMfq
304. محمد إلهامي، موجز قصة أردوغان، تركيا بوست، 5 أبريل 2016، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/NNQAAE
305. محمد بابكر، اقتصاديون تحليل نتائج استفتاء تركيا، موقع عالمنا، 1 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/s2fNIB>
306. محمد حامد، استفتاء التعديلات الدستورية في تركيا والمخاوف من ديكتاتورية أردوغان، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، نُشرت بصحيفة الزمان التركية، 15 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/9ckJ0C>
307. محمد حسن القدو، الرعاية الاجتماعية في تركيا، ترك برس، 13 يناير 2015م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xEklfu
308. محمد خالد، النجاح الاقتصادي والصروح الثقافية والمساعدات نماذج تأثير فاعلة، جريدة البيان الإماراتية، 6 مايو 2017م، تاريخ الزيارة 24/9/2017م، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/ONTrQ>
309. محمد شعبان أيوب، التكافل والإغاثة في الخلافة الأموية، موقع المختار الإسلامي، 11 ديسمبر 2013م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BIH68P

310. محمد علي الحلبي، قراءة في الفكر الأمريكي، 18 يناير 2008م، تاريخ الزيارة
<http://cutt.us/kZlYp>، النص متاح على الرابط التالي:
311. محمد غسان الشبوط، تركيا بين الماضي والحاضر، المركز الديمقراطي العربي
 للدراسات الاستراتيجية؛ السياسية والاقتصادية، د.ت، تاريخ الزيارة 10 أبريل
 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8P9jrl
312. محمد مكاي، الاستفتاء التركي "يزيد الفجوة" بين أنقرة والاتحاد الأوروبي،
 موقع مصرأوي، 17 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/EX3ReU
313. محمد ياس خضير، خرائط السياسة الخارجية التركية: السياسة الخارجية-
 الفواعل والدوائر، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 23 يونيو
 2016م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/i6jW8C
314. محمود رأفت، رؤية تركيا 2023.. أردوغان على طريق الفتح، صحيفة المقال
 الإلكترونية، 13 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط
 التالي: goo.gl/GXizDs
315. محمود سمير الرنتيسي، تركيا وتفعيل القوة الصلبة: الأبعاد والتداعيات، المعهد
 المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 3 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 9
 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tAYAg6
316. محمود سمير الرنتيسي، تركيا: من الراح من التحالف العدالة والتنمية أم
 الحركة القومية؟، نون بوست، 13 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KhfmD7
317. مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، عوامل قوة الدولة، 7 نوفمبر 2007م،
 تاريخ الزيارة 17 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/iiUC3>
318. مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، عوامل قوة الدولة، 7 نوفمبر 2007م، تاريخ
 الزيارة 17 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/iiUC3>

319. المساعدات والمنح التُّرْكِيَّةُ للصومال (2015-2016م)، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، د. ت، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي:
goo.gl/LvQBfW
320. المسلسل التُّرْكِيَّ عبد الحميد.. أرقام قياسية وإقبال عالمي، الجزيرة نت، 2 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YRRsDV
321. مسلسل العاصمة، عبد الحميد سيفتح على أوروبا، تي آر تي العربيَّة، 2 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hfZV6A
322. مسلسل تركي جديد يثير أزمة مع إسرائيل، إم بي سي. نت، 12 يناير 2010م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/b7Dmiz
323. مسلسل عاصمة عبد الحميد يحصد ملايين المشاهدات، دايلي صباح، 26 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4mxxsD
324. مسلسل قيامة أرطغرل.. المسلسل الأكثر حضوراً ومتابعة وتشويقاً، موقع أقاليم برس، 6 أبريل 2017م تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/kVGiO
325. مسلسل قيامة أرطغرل.. رسائل إيجابية وأخرى سلبية، موقع اسكتشات (موقع مختص بالفنون السمعيَّة البصريَّة)، د. ت، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kTXfYk
326. المسلسلات التُّرْكِيَّةُ ، قُوَّة ناعمة تغزو كل المنطقة بكل اللغات، نون بوست، 3 ديسمبر 2013م، تاريخ الزيارة 11 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9V0TLO
327. المسلسلات التُّرْكِيَّةُ حاضرة بقوة في بيوت 142 دولة (تقرير)، وكالة الأناضول للأخبار، 12 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9GWUjZ

328. مسيرة تركيا خلال 12 عام: الحلقة الرابعة عشر: الجهود المبذولة في مجال الضمان الاجتماعي، ترك برس، 20 أبريل 2015، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RThhUN
329. مسيرة تركيا خلال 12 عاماً: الحلقة الثالثة عشرة: تطوّر القطاع الصحي، ترك برس، 13 أبريل 2015، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BvYTgx
330. مشاهير تركيا على جبهتين متضادتين بسبب الدستور، صحيفة العرب اللندنية، 28 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/41ho8G
331. مشروع جديد لرعاية المسنين، ترك برس، 1 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wrdgae
332. مصطفى النجار، تركيا.. كيف نجحت في توظيف الفنّ لتنشيط السياحة؟، صحيفة الأهرام، 12 أبريل 2012م، تاريخ الزيارة: 6 يوليو 2017، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hTmGFU
333. مصطفى شفيق علام، التغافل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجية التركية.. المحدّدات والسّياقات والتّحدّيات، مجلة قراءات إفريقية، 8 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة: 27 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/B1qnqT>
334. مصطفى شفيق علام، تحالفات القوى الإقليمية وأثارها على مستقبل المنطقة، مجلة البيان اللندنية، 23 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hWgXcF
335. مصطفى كمال أتاتورك، الجزيرة نت، 13 نوفمبر 2006م، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4Mureu
336. مصطفى محمد صلاح، الدور التركيّ الجديد في الشرق الأوسط في ظل مفهوم العُثمانيّة الجديدة، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية؛ الاقتصادية والسياسية، 26 مايو 2017م، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/krvEQH

337. مصطلح القُوَّةُ الذَّكِيَّةُ نهج جديد في السياسة الخَارِجِيَّةُ الأَمْرِيكِيَّةُ خلال رئاسة أوباما، مركز الروابط للبحوث الاستراتيجيَّةُ، 3 نوفمبر 2014م، تاريخ الزيارة 16 نوفمبر 2017م، النص متاح على الرابط التالي: <http://rawabetcenter.com/archives/977>
338. مضيقا البوسفور والدردينيل: الأهمية الاستراتيجية لتركيا، تركيا بوسنت، 8 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tX1Ayr
339. مطار إسطنبول الأول أوروبياً في نموِّ رحلات العبور، تي آر تي العَرَبِيَّةُ، 19 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XfPFzj
340. معمار سنان رجل العمارة العُثمانيَّةُ الأصيلة، ترك برس، 22 أغسطس 2015، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/q6vgYN
341. المفوضيَّةُ الأوروبيَّةُ: إعادة عقوبة الإعدام في تركيا خطُّ أحمر في مساعي الانضمام للاتِّحاد، مونت كارلو الدُولِيَّةُ، 19 مارس 2017م، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SVENGm
342. مكتب الإحصاء الأوروبي: تركيا خامس أكبر شريك تجاري للاتِّحاد، وكالة الأناضول للأخبار، 20 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Hq2Gcu
343. ملتقى حرَّان.. أدب مُتعدِّد الثقافات ببلاد الأناضول، الجزيرة نت، 24 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/emYPGk
344. مليحة ألت ونيشيك، تركيا بعيون عَرَبِيَّةُ، القاهرة، مصر: مركز الشرق للدراسات الإقليمِيَّةُ والاستراتيجيَّةُ، 2010م، ص 8.
345. المُمثِّلِيَّاتُ في الخارج، وزارة الخَارِجِيَّةُ التُّرْكِيَّةُ، د.ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hr39ug
346. مناهج وأساليب قياس قُوَّةُ الدولة الشاملة، موسوعة مقاتل من الصحراء، متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/F1Br2>

347. منظومة الرعاية الصحيّة في تركيا، مجلة التأمين الصحي والتعاوني، مايو 2013م، المجلد 6، العدد 1، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DDNp7C
348. المؤتمر الدوّلي للمانحين يُخصّص 850 مليون دولار من أجل التّمنية في دارفور، دويتش فيله، 22 مارس 2010، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Hp1ocS
349. مؤتمر وزاري في إسطنبول لمراجعة الشراكة بين تركيا وإفريقيا تحضيراً لقيّة الشراكة الثالثة بين الجانبين، صحيفة الشرق الأوسط اللندنيّة، 11 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1JwnLH
350. الموقع الرسمي لمنظّمة مراسلون بلا حدود، 24 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UmfoPR
351. مولاي علي الأمغاري، سياسة تصفير المشاكل وعمليّة السّلم والديمقراطيّة، تركيا بوسنت، 15 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: cutt.us/M8q2H
352. ميركل تحثّ أردوغان على حوار قائم على الاحترام في تركيا، دويتش فيله، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fgCHr7
353. ناجي شلاب، القوّة النّاعمة.. الإمارات نموذجاً، تاريخ الزيارة 19/6/2017م متاح على الرابط التالي: <http://cutt.us/Ko3T>
354. نيبيل الهتاري، لماذا نجحت التجربة التّركيّة؟، صحيفة القدس العربي اللندنيّة، 24 أغسطس 2013م، تاريخ الزيارة 2 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PXITUC
355. نتائج الاستفتاء على الدستور عام 2017، صحيفة بني شفق التّركيّة، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zmyJu4

356. نحو 30% من الاستثمارات الأجنبية في تركيا.. «خليجية»، موقع الخليج الجديد، 6 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي:
<http://cutt.us/7erAS>

357. نزار الفراوي، الثقافة والقُوَّةُ النَّاعِمَةُ، حروب الأفكار في السياسة الخارجية، مركز برق للدراسات والأبحاث، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص متاح على الرابط التالي:
<http://cutt.us/FsXx7>

358. نزار نبيل الحرباوي، من أجل فهم أقرب لطبيعة التوجهات التركية، نداء الوطن؛ الشبكة الفلسطينية للصحافة والإعلام، 15 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي:
<https://goo.gl/sCU3Cf>

359. نسبة التَّمَوُّم السنوي لإجمالي الناتج المحليّ بسعر السوق حسب سعر الدولار الأمريكيّ عام 2001م، تركيا، مؤشرات البنك الدوليّ، 2018م، متاح على الرابط التالي:
goo.gl/XA822p

360. النشاط العسكري التركيّ المتزايد وتحفيز التَّحَرُّكات العسْكَريَّة الروسيَّة، (TRT) العربيَّة، 12 يوليو 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي:
goo.gl/oUMw9U

361. نظرة عامة على تاريخ السينما التركية، ترك برس، 21 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي:
<http://www.turkpress.co/node/11852>

362. نظير محمد أمين، موقف تركيا من أحداث التَّغْيِير في المنطقة العربيَّة، مجلة العلوم القانونيَّة والسياسيَّة، جامعة ديالى، العراق، العدد الثاني 2013م، ص 9.

363. نورالدين فريضي، كيف تقرأ أوروبا نتائج الاستفتاء التركي؟، العربيَّة. نت، 17 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي:
goo.gl/E9p2TX

364. الهلال الأحمر التركيّ يباشر إنشاء مَخِيْمَات لـ 170 ألف نازح شمالي سوريا، الفيحاء. نت، 13 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي:
goo.gl/3KNWYP

365. الهلال الأحمر التركي يدعم السوريين بـ 7 آلاف شاحنة خلال 2017، تركيا بوست، 28 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4N5f5r
366. الهلال الأحمر التركي يعتزم إرسال مساعدات لـ 9 مليون شخص في 3 دول، ترك برس، 23 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KVBi6n
367. هيئة الإغاثة التركية تقدم مساعدات إنسانية لـ 30 ألف يمني، وكالة الأناضول للأنباء، 26 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/78sBSp
368. وزير الاقتصاد التركي: اقتصادنا سيكون العاشر عالمياً والثالث أوروبياً بحلول 2023، ترك برس، 27 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DqbLe4
369. وزير الاقتصاد التركي: تكاليف اللاجئين السوريين تجاوزت 7 مليارات دولار، ترك برس، 7 أكتوبر 2015، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6eUjFz
370. وزير الاقتصاد التركي: حجم التبادل التجاري مع إفريقيا بلغ 25 مليار دولار، وكالة الأناضول للأنباء، 22 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/c5yJZf
371. وزير الخزانة التركي.. سنجني معاً ثمار كبح مستويات التضخم، صحيفة يني شفق، تاريخ الزيارة: 16 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/DS1f7i>
372. وزير السياحة: تركيا تحقق المركز الرابع أوروبياً في الجذب السياحي لعام 2016م، ديلي صباح، مارس 2017م، تاريخ الزيارة: 5 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Xzrpuz
373. وزير تركي: هدفنا رفع الصادرات إلى 500 مليار دولار بحلول 2023، دايلي صباح، 9 ديسمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ePVrXX

374. وزيرة الأسرة والسياسات الاجتماعيَّة التُّرْكِيَّة: المساعدات التُّرْكِيَّة للاجئين السُّوريِّين تجاوزت 30 مليار دولار، تركيا نيوز، 29 نوفمبر 2017، تاريخ الزيارة: 9 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QD2QjA
375. وسام الدين العكلة، الاستفتاء الدستوري التُّرْكِيَّ يكشف الوجه القبيح للديمقراطيَّة الأوروبيَّة، ترك برس، 13 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/0FuEQ4
376. الوقف العُثمانيّ.. حضارة واقتصاد، رافد بيت الخبرة في الأوقاف والوصايا، 15 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، مُتاح على الرابط التالي: goo.gl/xaYXn2
377. وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/cMg9rh
378. الولايات المتَّحدة تُعيِّن أول سفير لها في الصومال منذ 1991م، صحيفة الوسط البحرينيَّة، 24 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QbCwoS
379. يحيى اليحياوي، أوباما وأطروحة القُوَّة الذَّكيَّة، الجزيرة نت، 18 نوفمبر 2013م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Y24c6m
380. يحيى عالم، مسلسل قيامة أرطغرل التركي: وظيفة السينما الفعَّالة في بناء الوعي بالتاريخ، نون بوست، 23 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/mkh74
381. يلدريم: محاولة انقلابيَّة لضباط في تركيا، سكاى نيوز عربيَّة، 15 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9Schqj
382. يلدريم: نهدف لرفع الناتج الإجمالي إلى 2 تريليون دولار بحلول 2023، وكالة الأناضول للأنباء، 6 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PzorYN

383. اليمن: الحرب المنسية، مُنظمة العفو الدوليّة، د.ت، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/R8LhgM
384. يمينى سليمان، القُوّة الذكّيّة: المفهوم والأبعاد دراسة تأصيليّة، المعهد المصري للدراسات السياسيّة والاستراتيجيّة، 12 يناير 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gyr2dw
385. ميشال نوفل، كتاب "عودة تركيا إلى الشرق"، الناشر: الدار العربية للعلوم، 2010، تاريخ الزيارة 3 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/RsQBY5>
386. د. إبراهيم البيومي غانم، تحليل سياسي بعنوان "أحمد داود أوغلو" وليس "كيسنجر تركيا"، موقع "أرشيف إسلام أون لاين"، تاريخ الزيارة 5 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/4BsrwE>
387. فراس محمد إلياس، كتاب "تحليل السياسة الخارجية التُّركيّة وفق منظور المدرسة العثمانية الجديدة"، الناشر: دار المنهل، ص 224، تاريخ الزيارة 6 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/dNPcCf>
388. عماد يوسف، دراسة "تركيا استراتيجية طموحة وسياسة مقيدة"، الناشر: مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2015، ص 133، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019.
389. طارق القزم، دراسة "القوة الصلبة التُّركيّة الرؤي والتطبيقات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، تاريخ النشر: 15 سبتمبر 2018، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/D8jnph>
390. تركيا تختبر الصاروخ الباليستي بورا المحلي الصنع، موقع "الدفاع العربي"، تاريخ النشر: 13 مايو 2017، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/swUZHX>
391. "محطة "آق قويو" النووية تُوفّر آلاف من فرص العمل في تركيا"، موقع "تركيا بوسنت"، تاريخ النشر: 11 ديسمبر 2017، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/p6NSnx>

392. "هل بوسع منظومة "كورال" التُّرْكِيَّةُ للحرب الإلكترونيَّة إسكات "إس - 400" الروسية؟"، موقع "Arabic rt"، تاريخ النشر: 2 ديسمبر 2015، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/ye8kwX>.
393. "قمر صناعي تركي يرسل أكثر من ألف صورة ومشهد منذ انطلاقه"، موقع "تركيا بوست"، تاريخ النشر: 11 مايو 2017، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/gyd2sd>.
394. "أردوغان يرأس اجتماعاً لدراسة 55 مشروعاً دفاعياً بقيمة 9.4 مليار دولار"، موقع "تركيا بوست"، تاريخ النشر: 1 فبراير 2018، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/fL31EF>.
395. "أسيلسان" التُّرْكِيَّةُ تطوّر نظام حماية فولاذي للدبابات والمدرّعات"، موقع "هيئة الإذاعة والتلفزيون التُّرْكِيَّةُ" TRT، تاريخ النشر: 9 فبراير 2018، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/ZhC9s6>.
396. عادل عامر، "دلالة اتفاقيَّة الدفاع المشترك بين إثيوبيا وتركيا"، موقع "وكالة أنباء أوننا ONA"، تاريخ النشر: 7 أبريل 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/pDGsLa>.
397. النشاط العسكري التركي المتزايد وتحفيز التحرُّكات العسكريَّة الروسيَّة، (TRT) العربية، 12 يوليو 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/4wzDBx>.
398. قاعدة عسكريَّة تركيَّة في قطر: تحالفات جديدة واتفاقيات متعدّدة، موقع "تركيا بوست"، 24 ديسمبر 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/hrC9zJ>.
399. "تركيا تفتتح في الصومال أكبر قواعدها العسكريَّة الخارجيّة للتدريب"، موقع "BBC عربي"، تاريخ النشر: 30 سبتمبر 2017م، تاريخ الاطلاع 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/qTdKLF>.

400. "تركيا وتفعيل القُوَّة الصلبة: الأبعاد والتداعيات"، موقع "المعهد المصري للدراسات"، تاريخ النشر: 3 أبريل 2016م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/2iizax>.
401. "تركيا تقيم نقطة المراقبة قبل الأخيرة في سوريا"، موقع صحيفة "الشرق الأوسط"، تاريخ النشر: 15 مايو 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/1TPfP4>.
402. "تركيا تسارع إلى بناء قاعدة عسكرية جديدة"، موقع "arabic.sputniknews"، تاريخ النشر: 28 أغسطس 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/YnhZxu>.
403. "أردوغان يعلن بدء عمليَّة عسكريَّة في سنجار شمال العراق"، موقع "arabic.rt"، تاريخ النشر: 25 مارس 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/GqB3pX>.
404. "وجود القوات التُّركيَّة في الموصل: الدوافع والتداعيات.. وردود الفعل"، موقع "تركيا بوست"، تاريخ النشر: 9 ديسمبر 2015م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/t3GfHW>.
405. "تركيا تمدد مهمة قوَّاتها البحريَّة في خليج عدن"، موقع "arabic.rt" تاريخ النشر: 8 فبراير 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/e2gxhm>.
406. دراسة "السياسة التُّركيَّة "الخشنة" لرسم خرائط النفوذ بالإقليم"، موقع "مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة"، تاريخ النشر: 22 فبراير 2018م، تاريخ الاطلاع: 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/yDzHa7>.
407. "الدور التركي في أفغانستان: سياسة "القُوَّة الناعمة" لإحلال السلام في أفغانستان"، موقع "قنطرة"، تاريخ النشر: 26 يوليو 2010م، تاريخ الاطلاع: 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/41hcng>.

408. سفير أنقرة بمقديشو: تركيا "دولة رائدة" في الاستثمار والدعم الإنساني بالصومال، الموقع الرسمي لوكالة "الأناضول" التُّرْكِيَّة، تاريخ النشر 4 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/9KTMQC>.

409. دراسة "التغلغل التركي والقطري في دول القرن الإفريقي"، موقع "مركز المزملة للدراسات والبحوث"، تاريخ النشر 5 مارس 2017م، تاريخ الزيارة 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/udkkrN>.

410. د. زكريا حسين، "الأزمة السُّورِيَّة - التُّرْكِيَّة .. إلى أين؟"، موقع أرشيف صحيفة "البيان"، تاريخ النشر: 9 أكتوبر 1998م، تاريخ الاطلاع 20 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/43f31s>.

411. علي صالح حمدان حامد، "الأزمة التُّرْكِيَّة . السُّورِيَّة العام 1998، وأثرها على العلاقات الأمريكيَّة- السُّورِيَّة"، مجلة "آفاق فكرية"، العدد الخامس 2016م، نسخة إلكترونيَّة متاحة على الرابط التالي: <https://goo.gl/cGKLkb>.

412. "القاهرة تسعى إلى تسوية الحد الأدنى بين القاهرة ودمشق"، مجلة "المشاهد السياسي"، العدد 137 ص 15، تاريخ النشر: 31 أكتوبر 1998م، تاريخ الزيارة: 20 يناير 2019م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: <https://goo.gl/cGKLkb>.

413. "مرور 12 عاما على اعتقال عبدالله أوجلان"، موقع "BBC عربي"، تاريخ النشر: 14 فبراير 2011م، تاريخ الاطلاع 20 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/iEWMta>.

414. بيرم بالسي، مقال تحليلي "المعضلة السُّورِيَّة: ردّ تركيا على الأزمة"، موقع "مركز كارنيجي للشرق الأوسط"، تاريخ النشر: 10 فبراير 2012م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/nphAEV>.

415. "العلاقات الاقتصادية السُّورِيَّة- التُّرْكِيَّة"، موقع "عنب بلدي"، تاريخ النشر: 17 ديسمبر 2017م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/21HoJX>.

416. د/محمد نور الدين، "تركيا في عام 2010.. بين إنجازات تحققت وتحديات قائمة"، موقع هيئة الإذاعة والتلفزيون السويسرية "swissinfo"، تاريخ النشر: 28 ديسمبر 2010م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/6cVHT4>.
417. رنا عبد العزيز خماش، كتاب "العلاقات التُّركيَّة-الإسرائيليَّة وتأثيرها على المنطقة العربيَّة"، الناشر: مركز "دراسات الشرق الأوسط-الأردن"، الطبعة الثانية-2010، ص 127، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/AXs2ov>.
418. "سوريا وتركيا: انقلاب تاريخي؟"، موقع هيئة الإذاعة والتلفزيون السويسرية "swissinfo"، تاريخ النشر: 23 أكتوبر 2009م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/6wYEbz>.
419. "توقيع 50 اتفاقية خلال اجتماعات مجلس التعاون السوري-التركي"، موقع BBC عربي"، تاريخ النشر: 23 ديسمبر 2009م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/9BLeKo>.
420. "دمشق توقع اتفاقيات أمنية وعسكرية مع أنقرة"، موقع "france24"، تاريخ النشر: 15 أكتوبر 2010م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/Xh1VJq>.
421. جلال سلمي، دراسة "السياسة التُّركيَّة حيال الأزمة السوريَّة 2011-2017"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، تاريخ النشر: 23 يونيو 2017م، تاريخ الاطلاع 21 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/jYmsRB>.
422. "العلاقات التُّركيَّة السوريَّة: ما بين الهبوط والصعود"، موقع "الجزيرة" التُّركيَّة، تاريخ النشر: 6 يناير/كانون الثاني 2014، تاريخ الاطلاع 21 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/H47V7q>.
423. "الكرملين: موسكو ترغب في عودة العلاقات مع تركيا"، صحيفة العرب، تاريخ النشر: 15 يونيو/حزيران 2016م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/T4mLBY>.

- 424.عملية درع الفرات في 5 أسئلة، موقع قناة "دويتشه فيله" باللغة العربية، تاريخ النشر: 1 ديسمبر/كانون الأول 2016م، تاريخ الاطلاع 24 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/PCYJML>.
- 425.مصطفى شفيق علام، دراسة "التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجية التركية.. المحددات والسياقات والتحديات"، موقع مجلة "قراءات إفريقية"، 8 يونيو 2017م، تاريخ الاطلاع 7 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/QxMD7s>.
- 426.العلاقات التركية مع الدول الإفريقية، موقع وزارة "الخارجية التركية"، تاريخ الاطلاع 7 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/xxeFww>.
- 427.محمود زكريا محمود إبراهيم، دراسة "العلاقات السياسية الإفريقية- التركية.. المحددات والقضايا، الناشر: مركز البحوث والدراسات الإفريقية - جامعة إفريقيا العالمية، 2015، ص 13 و14، تاريخ الاطلاع 10 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/YQ8WVb>.
- 428.دراسة "الحضور التركي في القارة الإفريقية- جزء 2"، موقع مركز "الدراسات الاستراتيجية والدبلوماسية"، 3 مايو 2018، تاريخ الاطلاع 8 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/gZCzeh>.
- 429.بوحنية قوي، تقرير "إفريقيا في الاستراتيجية التركية الجديدة"، موقع مركز "الجزيرة للدراسات"، 25 أكتوبر 2016، تاريخ الزيارة 9 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/co1Djv>.
- 430.حسن العاصي، قراءة أولية في العلاقات التركية- الإفريقية، موقع الحوار المتمدن، 5 مارس 2018م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/waL3ag>.
- 431.محمد سليمان الزواوي، "أبعاد الدور التركي في إفريقيا وآفاقه"، مجلة "قراءات إفريقية"، (العدد:9، سبتمبر 2011م)، ص 78، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019م.

432. جهاد عمر الخطيب، "ماذا ينتظر النظام السياسي الصومالي بقيادة فرماجو: دراسة في بيئة النظام ومعضلاته"، مجلة "قراءات إفريقية"، تاريخ النشر: 22 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/HzQVgx>.
433. حسن محمد علي، "الصومال وتركيا... نحو بناء علاقة شراكة طويلة الأمد"، مركز "مقديشو للبحوث والدراسات"، تاريخ النشر: 26 يناير 2015م، تاريخ الاطلاع 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/1aPFg2>.
434. "مؤتمر دولي حول الصومال في تركيا"، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، تاريخ النشر: 21 فبراير 2016م، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/JZe4vt>.
435. سفير أنقرة بمقديشو: تركيا "دولة رائدة" في الاستثمار والدعم الإنساني بالصومال، الموقع الرسمي لوكالة "الأناضول" التُّركيَّة، تاريخ النشر 4 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/9KTMQC>.
436. كلية "الأناضول" بمقديشو.. تزرع في الشباب ليحصد الصومال، موقع وكالة "الأناضول" التُّركيَّة، تاريخ النشر 27 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/6dTKBS>.
437. دعم مدرسة ضعاف السمع في الصومال، موقع وكالة "تيكا التُّركيَّة للتعاون والتنسيق"، تاريخ النشر 19 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/rfGAAR>.
438. "تيكا" التُّركيَّة تسلّم الصومال مركزا لتعليم الطيران المدني، موقع "تركيا بوست"، تاريخ النشر 26 سبتمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/dYYgmi>.
439. "الصومال.. هيئة الإغاثة التُّركيَّة تعزم حفر 36 بئراً للماء"، موقع "هيئة الإذاعة والتلفزيون التُّركيَّة TRT"، تاريخ النشر 5 مارس 2016، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/5hHVxY>.

440. "مساعدات إغاثية تركية تصل 9 آلاف صومالي من متضرري الجفاف"، موقع "يني شفق"، 26 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/oWYpsj>.
441. "أردوغان يصل الصومال في زيارة تاريخية"، موقع "هيبريس"، 2011، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/JvMNre>.
442. "بناء مركز لرعاية الأيتام في الصومال"، موقع "هيئة الإغاثة الإنسانية 11"، 11 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/DGcGeV>.
443. محمود سمير الرنتيسي، دراسة "الدور التركي بشرق إفريقيا في ظل التنافس الإقليمي"، موقع "الجزيرة"، 27 يناير 2015، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/g65Jai>.
444. "الرئيس التركي يصل إلى مقديشو في زيارة رسمية للصومال"، موقع "BBC عربي"، 25 يناير 2015، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/K99zv8>.
445. محمد سعيد مري، "لماذا تهتم تركيا بالصومال؟"، موقع "مركز مقديشو للبحوث والدراسات"، 7 يونيو 2016، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/bMMzxA>.
446. "أردوغان ونظيره الصومالي يشرفان على حفل توقيع عدد من الاتفاقيات بين بلديهما"، موقع "ترك برس"، 4 يونيو 2016، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/qMG5Vb>.
447. "الرئيس الصومالي يزور تركيا لبحث سبل تعزيز العلاقات الثنائية"، موقع "تركيا بوست"، 25 أبريل 2017، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/g4gjcp>.
448. "أردوغان يستقبل الرئيس الصومالي بمراسم رسمية"، موقع وكالة "الأناضول" التركية، 26 أبريل 2017، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: <https://goo.gl/yN2ANv>.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1. 2016 TURKISH DEFENSE INDUSTRY PERFORMANCE, The Undersecretariat for Defence Industries (SSM), Presidency of the Republic of Turkey, available at: goo.gl/46FVCJ
2. About- JCR- VIS Credit Rating Co. Ltd., available at: goo.gl/UWBuWE
3. ABOUT UNCTAD, United Nations Conference on Trade and Development, available at: goo.gl/mWWnBY
4. About, Fitch Group, available at: goo.gl/YX3WeZ
5. Adam Przeworski and Fernando Limongi, Modernization: Theories and Facts, World Politics, Vol. 49, No. 2 (Jan., 1997) , pp. 155- 183
6. Aeroports de Paris Agrees to Acquire %38 of Turkey's TAV, Bloomberg, March 12, 2012, available at: goo.gl/wVEpnz
7. Albert Sorel, Encyclopedia of World Biography, available at: goo.gl/LXLZJ2
8. Angus Stewart, Theories of Power and Domination, London, Sage Publication, 2003, P 12.
9. Contre le totalitarisme en Turquie : liberation: <https://goo.gl/rjSxLG>.
10. David O. Wilkinson, Comparative Foreign Relation; Framework and Methods, Comparative Foreign Relation Series, Belmont, CA: Dickenson Pub. CO.,1969.
11. David Wilkinson, UCLA Department of Political Science, Los Angeles, available at: goo.gl/56qks1
12. Defiant Turks stood up for democracy – but not necessarily for Erdoğan, theguardian: <https://goo.gl/bfhCmR>.

13. Editoriel, Turquie : les leçons d'un putsch manqué. LE MONDE. 18 Juillet 2016 :
14. Emeh Ikechukwu Eke Jeffrey. A Discourse on Andre Gunder Frank's Contribution to the Theory and Study of Development and Underdevelopment; Its Implication on Nigeria's development situation. in: Greener Journal of Biological Sciences. Vol. 2 (3) , November 2012. p. 52- 60.
15. Erdogan: We cannot remain silent on Africa. Daily Sabah, January 27, 2015. available at: goo.gl/ipVSZL
16. Éric Verhaeghe. Un nouvel Empire turc. ou la dangereuse folie d'Erdogan. Eentreprise. 30 MAI 2016. goo.gl/ZChBkZ
17. Fabian Briegel. Turkey: ongoing political instabiliy. RaboResearch- Economic Research. April 25. 2016. available at: goo.gl/Ut6AYK
18. Fabian Briegel. Turkey: ongoing political instabiliy. Op.Cit.
19. Fabian Briegel. Turkey: ongoing political instabiliy. RaboResearch- Economic Research. April 25. 2016 ,available at: goo.gl/Ut6AYK
20. for more details; Bill Hopwood. Mary Mellor and Geoff O'Brien. Sustainable Development: Mapping Different Approaches. Sustainable Cities Research Institute. University of Northumbria. Newcastle on Tyne. UK. 2005. pp. 38- 52.
21. For more details; Russell K. Schutt. Making Sense of the Social World: Methods of Investigation. University of Massachusetts. Boston. 1996.

22. Global humanitarian assistance report 2018. Development Initiatives (DI), 2018 p. 38.
23. History of Ottoman Empire. Ottomans. available at: goo.gl/5JqSog
24. <http://www.lemonde.fr/idees/article/2016/07/18/turquie-les-lecons-d-un-putsch>
25. Jake Donnelly. Realism and International Relations. Cambridge University Press, 2010, pp. 6- 10.
26. James J. Zogby, What Arabs Think Values, Beliefs and Concerns. Zogby International/The Arab Thought Foundation, 2002.
27. John J. Mearsheimer, Structural Realism, in Tim Dunne, Milja Kurki, and Steve Smith, eds., International Relations Theories: Discipline and Diversity, 3rd Edition (Oxford: Oxford University Press, 2013) , pp. 77- 93.
28. Joseph Nye, Smart Power, Huffington Post, May 25, 2011, available at: goo.gl/ZPzQC
29. Joseph S. Nye, Soft Power, Foreign Policy, No. 80, Twentieth Anniversary, Autumn, 1990, Washingtonpost, Newsweek Interactive, LLC pp. 153- 171.
30. Joseph S. Nye, Decline of America Soft Power, Foreign Affairs, New York, May/June 2004, Vol. 83, Iss.3; Pp16- 20.
31. Joseph S. Nye, Soft Power, Hard Power and Leadership, John F. Kennedy School of Government, available at: goo.gl/ggdIU
32. Koc Holding consortium wins Turkey's roads and bridges tender, Reuters, DECEMBER 17, 2012, available at: goo.gl/v2HDzu

33. Lemke, Douglas. The Continuation. of History: Power Transition Theory and The End of The Cold War. Journal of Peace Research, Vo. 34, No. 1, 1997.
34. Limits of American Power, Joseph S. Nye, Jr. The Academy of Political Science <https://goo.gl/hXzuac>.
35. [manque_4971256_3232.html](https://goo.gl/manque_4971256_3232.html)
36. Marie Jégo. Turquie : Recep Tayyip Erdogan en route vers le sultanat. LE MONDE, 11.02.2017, goo.gl/QGVMd8
37. Objectif 2023 : « Faire de la Turquie une puissance globale » , trt.net, 08.02.2015, goo.gl/zDYIxt
38. Patrick H. O'Neil. The Deep State: An Emerging Concept in Comparative Politics. University of Puget Sound, Washington. August 2013, P. 3.
39. Power Concept. The Physics Hypertextbook, available at: goo.gl/T0vv1g
40. Princeton University. The Princeton Project on National Security, available at: goo.gl/AdswP4
41. Ray S. Cline. World Power Trends and U.S. Foreign Policy for the 1980's. Boulder CO, Westview Press, 1980.
42. Richard L. Armitage and Joseph S. Nye Jr., Stop Getting Mad. America. Get Smart., Washington Post, December 9, 2007, available at: goo.gl/1GCczL
43. Richard Little. Balance of power in international relations. Cambridge University Press, 2007.
44. Soft Power Survey- 2012, [monocle](http://monocle.com), November 2012, available at: goo.gl/p6115v

45. Soner Cagaptay ,Ross Wilson. and James F. Jeffrey. Turkey Rising: Challenges and Prospects for the New Administration. The Washington Institute for Near East Policy. POLICYWATCH 2018. January 18. 2013. available at: <http://goo.gl/Hn2cU4>
46. Source: Global humanitarian assistance report 2018. Development Initiatives (DI). 2018. p. 38..
47. Stephen M. Walt. The Progressive Power of Realism. American Political Review. Vol 91. No. 4. December 1997.
48. Steven Lukes. Power: A Radical View. London. Macmillan. 1974. P. 25.
49. The World Bank. Turkey's Transitions: Integration. Inclusion. Institutions. Report No. 90509- TR. International Bank for Reconstruction and Development/The World Bank. Washington DC. December 2014. pp. 4- 5.
50. Tourism- Tourism expenditures (Thousand \$) (Quarterly). Turkish Statistical Institute. available at: goo.gl/mYgT2A
51. Tourism. Investment Support and Promotion Agency of Turkey. available at: goo.gl/f6mki4
52. Turkey has stopped registering Syrian refugees. say human rights group. independent: <https://goo.gl/uX5tzK>.
53. Turkey makes best use of soft power: Cavusoglu. Andalou Agency. 06.05.2016. available at: goo.gl/859ZXXN
54. Turkey: Erdoğan rule could extend until 2029 under proposal. theguardian: <https://goo.gl/pABRiR>
55. Turkey's 18- month state of emergency has led to profound human rights violations – UN report. news.un: <https://goo.gl/MCxpdu>

56. Turkish Lira 1991- 2018 , tradingeconomics: goo.gl/MHD-DUh.
57. Turks See Purge as Witch Hunt of 'Medieval' Darkness. nytimes : <https://goo.gl/JuJ6rT>.
58. Turquie : les leçons d'un putsch manqué : lemonde: <https://goo.gl/M1Y6CP>.
59. Vincent Ferraro, Dependency Theory: An Introduction, in The Development Economics Reader, Giorgio Secondi, (ed.) , London, Routledge, 2008, pp. 58- 64.
60. Zero Problems in a New Era. Turkey Ministry of Foreign Affairs, available at: goo.gl/dLZsZm

فهرس الموضوعات

7	مقدمة
11	الإشكالية البحثية
19	تساؤلات الدراسة
19	أهداف الدراسة
24	أهمية الدراسة
25	فترة إعداد الدراسة
26	الدراسات السابقة
33	حدود الدراسة
34	منهج الدراسة

الفصل الأول

37	مفهوم القوة في العلاقات الدولية.. المقترحات والاتجاهات
39	مقدمة
43	المبحث الأول: التطورات المفاهيمية للقوة في العلاقات الدولية
44	أولاً: القوة الناعمة والقوة الصلبة
44	ثانياً: القوة الصلبة
49	ثالثاً: القوة الناعمة
56	رابعاً: القوة الذكية
59	المبحث الثاني: القوة بين الفعل والكُمون
59	تحول القوة في العلاقات الدولية

- مفهوم توازن القُوى 60
- القُوة والعلاقات الدُولِيَّة والاتِّجَاهات والمُكوِّنات والقياس 62
- القُوة في العلاقات الدُولِيَّة المحددات ومناهج القياس 63

الفصل الثاني

- **القُوة التُّركِيَّة النَّاعِمَة** 67
- مقدمة 69
- **المبحث الأول: القُوة النَّاعِمَة في ميزان التَّحوُّلات الدُولِيَّة** 73
- القُوة النَّاعِمَة.. النماذج الجديدة في عصر العولمة 73
- القُوة النَّاعِمَة.. النسخة الرُّوسِيَّة 74
- **المبحث الثاني: القُوة النَّاعِمَة.. تطبيق "صفر مشاكل" التُّركِيَّ** 77
- القُوة النَّاعِمَة.. العُمق الاستراتيجِي 80
- القُوة النَّاعِمَة التُّركِيَّة في ميزان التَّحوُّلات العَرَبِيَّة 83
- **المبحث الثالث: التجربة التُّركِيَّة النَّاعِمَة** 85
- السِّياسة بتطبيقاتها الأخلاقيَّة والديمقراطيَّة 85
- اقتصاد تنافُسي مُتعدِّد الأقطاب 86
- السِّياسة الخَارِجِيَّة على أُسس عقلانيَّة وشراكة بِنَاءة 87
- عُمق حَضاريّ وهويَّة ثقافيَّة مُتنوّعة 87
- التَّأثير التُّركِيّ الكبير عَرَبِيًّا 90
- الدِّرَاما والسينما.. قُوة ناعمة فاعلة في السِّياسة الخَارِجِيَّة التُّركِيَّة 93
- السِّياحة التُّركِيَّة.. تجربة عريقة وعوامل جذب مِثاليَّة 97
- **المبحث الرابع: سياسة وأحداث.. تراجع السِّياحة التُّركِيَّة في 2016م** 101

الفصل الثالث

- 107 **القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ وسياساتها**
- 109 • مقدمة
- 111 • **المبحث الأول: مفهوم القُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ**
- 114 • القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ.. نماذج وتطبيقات
- 116 • القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ.. مظهرات وخصائص
- 119 • تطوُّر مفهوم القُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ في العلاقات الدَّولِيَّةِ
- 125 • **المبحث الثاني: الدول التي تتبَعُ سياسة القُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ**
- 125 • أولاً: الولايات المتَّحدة
- 131 « عوامل نجاح القُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة
- 137 • ثانياً: روسيا
- 138 • ثالثاً: الاتِّحاد الأوروپيِّ
- 141 • رابعاً: الصين
- 142 • خامساً: إيران
- 145 • سادساً: تركيا
- 146 • سابعاً: قطر
- 149 • ثامناً الإمارات العربيَّة المتَّحدة
- 151 • **المبحث الثالث: تحديات استخدام القُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ**
- 152 • أولاً: التَّحدِّي المؤسَّساتي
- 153 • ثانياً: التَّحدِّي السِّيَاسيِّ

الفصل الرابع

- 157 **تَطَوُّرُ مَفْهُومِ الْقُوَّةِ فِي الْعِلَاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ**
- 159 • مقدمة
- 161 • المبحث الأول: العصا والجزرة.. المساومة على رأس تطبيقات القوة
- 163 • القوة كقدرة على التحكم في الموارد
- 164 • القوة كقدرة في التحكم في الفواعل
- 166 • القوة كقدرة على التحكم في الأحداث والمخرجات
- 167 • المبحث الثاني: الأمن القومي.. ملاحقة التغيرات واستباق التطورات
- 171 • استخدام القوة العسكرية.. التكلفة الاقتصادية والبشرية الباهظة
- 175 • المبحث الثالث: تغير مصادر القوة.. بين التصنيف والتطوير
- 179 • أولاً: الأرض
- 182 • ثانياً: الشعب
- 184 • ثالثاً: النظام السياسي
- 188 • تغير الفواعل في السياسة العالمية

الفصل الخامس

- 191 **القوة التركيبية الناعمة**
- 193 • مقدمة
- 194 • نظرية العثمانية الجديدة
- 196 • "العُثمانيَّة الجديدة" .. ما لها وما عليها
- 198 • كيف هُوجِمَت "العُثمانيَّة الجديدة"؟

- المبحث الأوَّل: القُوَّةُ الصَّلْبَةُ التُّرْكِيَّةُ.. الأبعاد والتداعيات 201
- عوامل التحوُّل التُّرْكِيَّ من القُوَّةِ الناعمة إلى القُوَّةِ الصلبة 206
- القواعد العسكرية التُّرْكِيَّةُ في الخارج 211
- العمليات العسكرية التُّرْكِيَّةُ في الخارج 213
- انتشار وحدات من الجيش التُّرْكِيَّ خارج الحدود التُّرْكِيَّةُ 214
- إدارة تركيا للملف الكُرديّ 215
- تركيا في القرن الإفريقي 216
- القُوَّةُ النَّاعِمَةُ التُّرْكِيَّةُ.. تحوُّلات عَرَبِيَّةُ في الميزان 219
- العلاقات التُّرْكِيَّةُ - السُّورِيَّةُ، إرهابات الحرب بين تركيا وسوريا في العام 1999م 221
- العلاقات التُّرْكِيَّةُ - السُّورِيَّةُ إبَّان أزمة عبد الله أوجلان 225
- تفسير المشكلات مع سوريا بعد العام 2002م 227
- أسباب وصور التداخل التركي في سوريا بعد العام 2011م 229
- المبحث الثاني: القُوَّةُ التُّرْكِيَّةُ النَّاعِمَةُ حول العالم 237
- أولاً: تركيا في الشرق الأوسط 237
- ثانياً: تركيا في العالم العربي 241
- ثالثاً: تركيا في العالم الإسلامي 245
- رابعاً: تركيا في إفريقيا 246
- « القُوَّةُ الناعمة والدبلوماسية التُّرْكِيَّةُ في إفريقيا 254
- « أدوات القُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ الناعمة في الصومال 263
- خامساً: تركيا في القوقاز وآسيا الوسطى 273
- سادساً: تركيا في دول البلقان 280
- سابعاً: تركيا في أمريكا اللاتينية 284

الفصل السادس

- 293 **القوة التركية الناعمة منابع القوة والتأثير**
- 295 مقدمة •
- 297 **المبحث الأول: الوسائل الاستراتيجية والسياسات الإقليمية** •
- 299 • أولاً: أوراق تركيا في لعبة القيادة الإقليمية
- 301 • ثانياً: السياسة التركية الجديدة
- 303 • ثالثاً: السياسة الخارجية التركية والتأثير الإقليمي والدولي
- 304 • رابعاً: الخارجية التركية - نظرة سياسية
- 319 **المبحث الثاني: الدعم التركي لقضايا المنكوبين والمستضعفين** •
- 320 • أولاً: نماذج إنسانية تركية
- 323 • ثانياً: الدافع الاستراتيجي والبعد الاقتصادي لتركيا في جوانب الدعم
- 324 • ثالثاً: الدافع الإنساني للسياسة التركية
- 326 • رابعاً: دعم الشعب الفلسطيني / حادث مرمرة
- 329 • خامساً: الدعم التركي الإنساني في اليمن
- • سادساً: الدعم التركي الإنساني للشعب السوري
- 330
- 333 **المبحث الثالث: الاستقرار السياسي وجذب الاستثمار** •
- 337 • عوائق عدم الاستقرار السياسي للاستثمار
- 337 « العنف والإرهاب
- 338 « الملف السوري، والخلافات مع روسيا
- 339 « الصراع السياسي الداخلي والأزمات السياسية
- 340 « أثر عدم الاستقرار السياسي على جذب الاستثمار
- 342 • دور الحكومة في التغلب على عوائق الاستثمار

الفصل السابع

- 347 **السِّيَاحَةُ والفنون .. قطبان لِقُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ النَّاعِمَةِ**
- 349 • مقدمة
- 353 • **المبحث الأول: أَهْمِيَّةُ التَّأثيرِ الثَّقَافِيِّ والحَضَارِيِّ التُّرْكِيِّ**
- 355 • تركيا الحضارة العريقة والأصالة العميقة
- 357 • تركيا الفنون الجميلة.. لوحات تحاكي جمال البلاد والعباد
- 358 • تركيا الموسيقى والمسلسلات.. رومانسيَّة وتاريخ وبطولات أسطوريَّة
- 361 • المطبخ التُّرْكِيُّ.. توابل ونكهات الشرق في لقاء الغرب
- 363 • **المبحث الثاني: دور السِّيَاحَةِ التُّرْكِيَّةِ في تغيير نظرة العالم لتركيا**
- 364 • تركيا تقاليد ضيافة وحفاوة متوارثة
- 364 • تركيا والسِّيَاحَةِ العَرَبِيَّةِ.. علاقة وثيقة إلى حدِّ الاندماج
- 367 • تركيا.. عوامل ضَرَّرَ للسِّيَاحَةِ
- 369 • **المبحث الثالث: الأعمال الدرامِيَّة والسينما.. تأثيرها وفوائدها**
- 377 • **المبحث الرابع: أعمال دراميَّة تُرْكِيَّة نالت نجاحاً عالمياً**
- 378 • إطلالة إحصائيَّة الدَّرَامَا التُّرْكِيَّةِ في الصَّدَارَةِ
- 379 • نماذج مُتَمَيِّزَةٌ:
- 379 • « أولاً: مسلسل قيامة أرطغرل
- 388 • « ثانياً: مسلسل وادي الذئاب
- 393 • « ثالثاً: مسلسل السلطان عبدالحميد الثاني
- 395 • يمكن للفن أن يكون رسالياً

الفصل الثامن

- 403 **الاقتصاد في قاطرة القوة التركية الناعمة**
- 405 • مقدمة
- 409 • **المبحث الأول: الاقتصاد التركي.. التطور وأسباب النجاح**
- 411 • أسباب نجاح الاقتصاد التركي
- 417 • **المبحث الثاني: توظيف تركيا القوة الناعمة في القطاعات الاقتصادية**
- 417 • نموذج العلاقات التركية - المصرية
- 420 • نموذج العلاقات التركية - البوسنية
- 421 • نموذج العلاقات التركية - القطرية
- 424 • القوة الناعمة.. نموذج جذب وجاذبية تركي
- 425 • القوة الناعمة.. سياحة الاقتصاد والثقافة
- 427 • تعزيز القدرة التنافسية
- 431 • **المبحث الثالث: الحماية الاجتماعية**
- 432 • الحماية الاجتماعية الإسلامية والعثمانية؛ جذور ضاربة في التاريخ
- 434 • الحماية الاجتماعية.. نموذج تركي مشرق
- 438 • التعليم والرعاية الصحية
- 441 • **المبحث الرابع: أسباب جذب تركيا للاستثمارات الخارجية**
- 442 • التسهيلات القانونية والإدارية للمستثمرين
- 444 • أبرز الإنجازات الاقتصادية التركية
- 446 • تركيا والعلاقة مع مؤسسات التمويل الدولية

الفصل التاسع

449 **انقلاب يوليو 2016.. محطة في طريق القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَةُ**

451 مقدمة •

• **المبحث الأول: توظيف الانقلابات.. محاولات لإجهاض القُوَّة**

455 **التُّرْكِيَّة النَّاعِمَةُ**

• **المبحث الثاني: القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَةُ.. وسيناريوهات الاحتواء**

459 **أو التحييد**

• **المبحث الثالث: وقائع الانقلاب.. ليلة المواجهة بين القُوَّة**

465 **النَّاعِمَةُ وَالصَّلْبَةُ**

• **المبحث الرابع: النموذج التُّرْكِيّ.. تأثيرات كبرى على الحواضن**

473 **العَرَبِيَّة وَالإِسْلَامِيَّة**

الفصل العاشر

481 **دستور 2017 استحقاقات النُّظَام الرِّئَاسِيّ**

483 مقدمة •

• **المبحث الأول: الطريق إلى الاستفتاء الدستوري.. أجواء ما**

487 **قبل التصويت**

• **المبحث الثاني: توتر تركي أوروبي.. السياقات الدَّوْلِيَّة ما قبل**

497 **الاستفتاء**

• **المبحث الثالث: تَطَوُّرَات الأَزْمَةِ السُّورِيَّة السِّيَاقَات الإِقْلِيمِيَّة**

501 **لما قبل الاستفتاء**

- المبحث الرابع: ما بين «نعم» و«لا» تحليل نتائج التصويت الدستوري 507
- المبحث الخامس: القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة قراءة في مواد الدُّسْتُور
الجديد 515
- الفصل الحادي عشر
- رؤية تركيا 2023.. أردوغان على طريق الفاتح بعد انتخابات 2018 525
- مقدمة 527
- المبحث الأول: الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المبكرة.. معركة يونيو 2018 533
- مُحفَظَّات تبكير الانتخابات والتحالف الصعب 534
- أردوغان رئيساً.. العدالة والتنمية يفوز مجدداً 536
- المبحث الثاني: الرؤية الاقتصادية.. إرادة الإنجاز وتوجُّس الغرب 541
- المخططات.. للأرقام دور ودلالات 543
- « الزراعة في أفق 2023 545
- « شبكة السكك الحديدية في أفق 2023 545
- « الموانئ التُّركِيَّة في أفق 2023 546
- « الطرق التُّركِيَّة في أفق 2023 547
- « المطارات التُّركِيَّة في أفق 2023 548
- قناة إسطنبول 550
- العقارات قاطرة دفع للاقتصاد التُّركيَّ 552
- المبحث الثالث: الرؤية الاقتصادية في مواجهة صعوبات العجز
التَّجَارِي والتَّضخُّم 555
- مسارات الطَّاقة وأهمِّيَّة تركيا كنقطة عبور 556
- الليرة التُّركِيَّة.. محطات الانخفاض والصعود 559

- المبحث الرابع: **السياسة الخارجية.. فن الممكن وتجنب الألغام** 565
- تركيا والاتحاد الأوروبي 567

- المبحث الخامس: **الرؤية الاجتماعية.. الرعاية الصحية بشراكة**
- **بناءة بين الخاص والعام** 573
- منظومة الرعاية الصحية 573

- **الخاتمة** 581
- **مراجع الدراسة** 587
- **فهرس المحتويات** 649



في دراسته هذه يتناول الباحث خبرة وتجربة صعود نجم الدولة التركية في العلاقات الدولية، وتحولها إلى قطب إقليمي بتوظيف مفردات القوة الناعمة؛ حيث تبدو الدولة التركية منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم، في مستهل الألفية الثالثة، حالة بحثية مثيرة للاهتمام على المستوى الأكاديمي النظيري في المجتمع البحثي، كمادة ثرية للنقاش والجدل العلمي حول مفهوم القوة ومفترقات التنمية الرئيسة التي سادت في المنظومة الدولية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

ISBN 978-605-7896-04-9



9 786057 896049